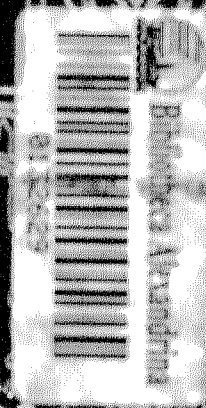


الحافظ ابن كثير

البيان في تفسير القرآن

منشورات مكتبة المعارف بيروت









المحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

✓

الْبِدَائِيَّةُ وَالنِّهَايَةُ



الجزء الثالث عشر

General Organization of Libraries
(GOAL)

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشرحها
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الهيئة العامة للكتاب - مكتبة المعارف	
رقم التسجيل	١٨٨٨ / ١٤-١٧
رقم الترخيص	١٤

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص.ب. ١٧٦١-١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة

فيها كانت وفاة السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى .
استهلّت هذه السنة وهو في غاية الصحة والسلامة ، وحريج هو وأخوه العادل إلى الصيد بشرق دمشق ، وقد اتفق الحال بينه وبين أخيه أنه بعد ما يفرغ من أمر الميراث يسير هو إلى بلاد الروم ، ويبيت أخاه إلى بغداد ، فاذا فرغ من شأنه سارا جميعاً إلى بلاد آذربيجان ، بلاد العجم ، فانه ليس دونها أحد بايع عنها ، فلما قدم الحاجب في يوم الاثنين عاذاي عشر صفر خرج السلطان لتلقيهم ، وكان معه ابن أخيه سيف الاسلام ، صاحب اليمن ، فأكرمه وأقره ، وعاد إلى القلعة بعد حلها من باب الجديد ، فكان ذلك آخر ما ركب في هذه الدنيا ، ثم إنه اعتزاه من صفر إلى ليلة السبت سادس عشر صفر ، فلما أصبح دخل عليه القاضي الفاضل وابن شداد وابنه الأصغر ، فأخذ يشكر إليهم كثرة قلعة البارحة ، وطالب له الحديث ، وطال مجلسهم هذه ، ثم تزايدت الرض واستمر ، وقصده الأعيان في اليوم الرابع ، ثم اعتزاه بيس رحيل له عرق شديد بحيث عاد إلى الأرض ، ثم قوى اليبس أسنانه الأتراء الأكلاب في ربيع الأوله الأنفصل نور الدين عل ، وكان ثانياً على دمشق ، وذات عاذا ما غارت مخالب الصنف الشديد ، وغيرة الدم في دحض الأوقات ، وكان الذين يدخلون دابته في هذه الحال الفاضل وابن شداد وقاضي البلا ابن الركي ، ثم اشتد به الحال ليلة الأربعاء السابع والشرين من صفر ، واستدعى الشيخ أبا جعفر إمام الكتامة لبيت هذه بفرأ

القرآن ويلقنه الشهادة إذا جدد به الأمر ، فذكر أنه كان يقرأ عنده وهو في الغمرات [هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة] فقال : وهو كذلك صحيح . فلما أذن الصبح جاء القاضي الفاضل فدخل عليه وهو في آخر رمق ، فلما قرأ القارئ [لا إله إلا هو عليه توكلت] تبسم وتهلل وجهه وأسلم روحه إلى ربه سبحانه ، ومات رحمه الله ، وأكرم مثواه ، وجعل جنات الفردوس مأواه ، وكان له من العمر سبع وخمسون سنة ، لأنه ولد بشكرت في شهر سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله ، فقد كان ردها للإسلام وحرزا وكمفان كيد الكفرة اللثام ، وذلك بتوفيق الله له ، وكان أهل دمشق لم يصابوا بمثل مصابه ، وود كل منهم لو فاداه بأولاده وأحبابه وأصحابه ، وقد غلقت الأسواق واحتفظ على الحواصل ، ثم أخذوا في تجهيزه ، وحضر جميع أولاده وأهله ، وكان الذي تولى غسله خطيب البلد العقيلي الدوامي ، وكان الذي أحضر الكفن ووثنة التجهيز القاضي الفاضل من صلب ماله الحلال ، هذا وأولاده الكبار والصغار يتباكون وينادون ، وأخذ الناس في العويل والانتحاب والدعاء له والابتهاال ، ثم أبرز جسمه في نعش في تابوت بعد صلاة الظهر ، وأم الناس عليه القاضي ابن الزكي ثم دفن في داره بالقاعة المنصورة ، ثم شرع ابنه في بناء تربة له ومدرسة لشافعية بالقرب من مسجد القدم ، لوصيته بذلك قديماً ، فلم يكل بناؤها ، وذلك حين قدم ولده العزيز وكان محاصراً لأخيه الأفضل كما سيأتي بيانه ، في سنة تسعين وخمسمائة ، ثم اشترى له الأفضل داراً شمال الكلاسة في وزان مازاده القاضي الفاضل في الكلاسة ، فجعلها تربة ، هطلت سحائب الرحمة عليها ، ووصلت أطراف الرأفة إليها . وكان قبله إليها في يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين ، وصلى عليه تحت الفسرقاضي القضاة محمد بن علي القرابي ابن الزكي ، عن إذن الأفضل ، ودخل في لحده ولده الأفضل فدفنه بنفسه ، وهو يومئذ سلطان الشام ، ويقال إنه دفن معه سيفه الذي كان يحضر به الجهاد ، وذلك عن أمر القاضي الفاضل ، وتناولوا بأنه يكون معه يوم القيامة يتوكأ عليه ، حتى يتنخل الجنة إن شاء الله . ثم عمل عزاءه بالجامع الأموي ثلاثة أيام ، يحضره الخصاص والعامة ، والرعية والحكام ، وقد غل الشعراء فيه مراني كثيرة من أحسنهم ما عمله المهاد الكاتب في آخر كتابه البرق السامي ، وهي مائتا بيت واثنتان ، وقد سردها الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الروضتين ، منها قوله :

فَبَلِّغْ الْهُدَى وَالْمَلِكُ عَمَّ شَتَاتُهُ * وَالْأَهْرُ سَاءَ وَأَقْلَمْتُ حَسَنَاتُهُ
أَبْنُ الَّذِي مَذَّ لَمْ يَزَلْ مَخْشِيَةً * مَرْجُوءَةٌ رَهْبَاتُهُ وَهَبَاتُهُ
أَبْنُ الَّذِي كَانَتْ لَهُ طَاعَاتُنَا * مَبْدُولَةٌ وَلَرْبِهِ طَاعَاتُهُ
بِاللهِ أَيْنَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي * اللهُ خَالِصَةُ صَفَتِ نَبَاتُهُ
أَبْنُ الَّذِي مَا زَالَ سُلْطَانًا لَنَا * يُرْجَى نَدَاهُ وَتُنَقَّى سَطَوَاتُهُ

أَبْنِ الَّذِي شَرَّفَ الزَّمَانَ بِفَضْلِهِ * وَصَحَّتْ عَلَى الْفَضْلَاءِ تَشْرِيفَاتُهُ ؟
 أَبْنِ الَّذِي عَنَّتِ الْفَرَنْجُ لِأَسَرِهِ * ذُلًّا ، وَمِنْهَا أَدْرَكْتَ ثَارَاتَهُ ؟
 أَغْلُلْ أَعْنَاقَ الْعِدَا أَسْيَافَهُ * أَطَوِّقْ أَجْيَادَ الْوَرَى مَنَاتَهُ ؟
 وَلَهُ : مِنْ لَعْلٍ مِنَ الْفَدَى مِنْ لَهْدِي * بِحِمِيهِ ؟ مِنْ لُبَاسٍ مِنْ لَنَائِلِ ؟
 مَلَبِّ الْبَقَاءِ لِلْمَكْرِ فِي آجَلٍ * إِذْ لَمْ يَتَّقِ بَيْقَامَ مَلِكٍ عَاجِلِ
 بِحَرِّ أَعَادَ الْبِرُّ بِحَرًّا بَرَهُ * وَبَسِيفِهِ فَتَحَتْ بِلَادَ السَّاحِلِ
 مَنْ كَانَ أَهْلُ الْحَقِّ فِي أَيَّامِهِ * وَبَعَزِهِ يَرِدُونَ أَهْلُ الْبَاطِلِ
 وَفَتْوحُهُ وَالْقُدْسُ مِنْ أَبْكَارِهَا * أَبَقَتْ لَهُ 'فَضْلًا' بِذِيهِ مَسَاجِلِ
 مَا كُنْتُ أَسْتَسْقِي لِقَبْرِكَ وَابِلًا * وَرَأَيْتُ جُودَكَ مَخْجَلًا لِلْوَابِلِ
 فَسَقَاكَ رِضْوَانُ الْإِلَهِ لَا نَفِي * لَا أَرْتَفِي سَفِيَا الْقَامِ الْهَاطِلِ
 فَرَكْتَهُ وَشِيءَ مِنْ تَرْجُمَتِهِ

قال الهادي وغيره : لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد - أى دينار واحد - سوريا
 وستة وثلاثين درهماً . وقال غيره : سبعة وأربعين درهماً ، ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا
 بستاناً ، ولا شيئاً من أنواع الأملاك . هذا وله من الأولاد سبعة عشر ذكراً وابنة واحدة ، وتوفي
 له في حياته غيرهم ، والذين تأخروا بعده ستة عشر ذكراً أكبرهم الملك الأفضل نور الدين علي ، ولد
 بمصر سنة خمس وستين ليلة عيد الفطر ، ثم العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ولد بمصر أيضاً في
 جمادى الأولى سنة سبع وستين ، ثم الظاهر مظفر الدين أبو المباس الخضر ، ولد بمصر في شعبان
 سنة ثمان وستين ، وهو شقيق الأفضل ، ثم الظاهر غياث الدين أبو منصور غازي ، ولد بمصر في
 نصف رمضان سنة ثمان وستين ، ثم العزيز فتح الدين أبو يعقوب إسحاق ، ولد بدمشق في ربيع الأول
 سنة سبعين . ثم نجم الدين أبو الفتح مسعود ، ولد بدمشق سنة إحدى وسبعين وهو شقيق العزيز ، ثم
 الأغر شرف الدين أبو يوسف يعقوب ، ولد بمصر سنة ثنتين وسبعين ، وهو شقيق العزيز أيضاً ، ثم الزاهر
 مجير الدين أبو سليمان داود ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين وهو شقيق الظاهر ، ثم أبو الفضل قطب
 الدين موسى ، وهو شقيق الأفضل ، ولد بمصر سنة ثلاث وسبعين أيضاً ، ثم لقب بالمظفر أيضاً ، ثم
 الأشرف معز الدين أبو عبد الله محمد ، ولد بالشام سنة خمس وسبعين ، ثم المحسن ظهير الدين أبو
 المباس أحمد ولد بمصر سنة سبع وسبعين ، وهو شقيق الذي قبله ، ثم المعظم نغر الدين أبو منصور
 توران شاه ولد بمصر في ربيع الأول سنة سبع وسبعين ، وتأخرت وافته إلى سنة ثمان وخمسين وسبعمائة ،
 ثم الجوال ركن الدين أبو سعيد أيوب ولد سنة ثمان وسبعين ، وهو شقيق للمعز ، ثم الغالب نصير

الدين أبو الفتح ملك شاه ، ولد في رجب سنة ثمان وسبعين وهو شقيق المعظم ، ثم المنصور أبو بكر أخو المعظم لأبويه ، ولد بخران بعد وفاة السلطان ، ثم عماد الدين شاذي لأُم ولد ، ونصير الدين مردان لأُم ولد أيضاً . وأما البغت فهي مؤنسة خاتون تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن المادل أبي بكر ابن أيوب رحمهم الله تعالى .

وإنما لم يخلف أموالاً ولا أملاً كالجوده وكرمه وإحسانه إلى أمرائه وغيرهم ، حتى إلى أعدائه ، وقد تقدم من ذلك ما يكفي ، وقد كان متقللاً في ملبسه ، وما كان مكرمه ، وكان لا يلبس إلا القطن والكتان والصوف ، ولا يعرف أنه تخطى إلى مكروه ، ولا سباً بعد أن أنعم الله عليه بالملك ، بل كان همه الأكبر ومقصده الأعظم نصرة الاسلام ، وكسر أعدائه الأثام ، وكان يعمل رأيه في ذلك وحده ، ومع من يثق به ليلاً ونهاراً ، وهذا مع ما لديه من الفضائل والفواضل ، والفوائد الفرائد ، في اللغة والأدب وأيام الناس ، حتى قيل إنه كان يحفظ الحساسة بتمامها ، وكان مواظباً على الصلوات في أوقاتها في الجماعة ، يقال إنه لم تنفذه الجماعة في صلاة قبل وفاته بدهر طويل ، حتى ولا في مرض موته ، كان يدخل الامام فيصلي به ، فكان يتجسم القيام مع ضممه ، وكان يفهم ما يقال بين يديه من البحث والمناظرة ، ويشارك في ذلك مشاركة قريبة حسنة ، وإن لم يكن بالعبرة المصطلح عليها ، وكان قد جمع له القطب النيسابوري عقيدة فكان يحفظها ويحفظها من عقل من أولاده ، وكان يحب سماع القرآن والحديث والعلم ، ويواظب على سماع الحديث ، حتى أنه يسمع في بعض مصافه جزء وهو بين الصغين فكان يتبعه بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد في مثله حديثاً ، وكان ذلك بإشارة المهاد الكاتب . وكان رقيق القلب سريع الدمة عند سماع الحديث ، وكان كثير التعظيم لشرائع الدين . كان قد صحب ولده الظاهر وهو بحلب شاب يقال له الشهاب السهروردي ، وكان يعرف الكيمياء شيئاً من الشريعة والأبواب النيرنجيات ، فافتتن به ولد السلطان الظاهر ، وقر به وأحبه ، وخالف فيه حملة الشرع ، فكتب إليه أن يقتله لا محالة ، فصلبه عن أمر والده وشهره ، ويقال بل حبسه بين حيطان حتى مات كدماً ، وذلك في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان من أشجع الناس وأقوام بدناً وقلباً ، مع ما كان يمتري جسمه من الأمراض والأقسام ، ولا سيما في حصار عكا ، فانه كان مع كثرة جموعهم وأمدادهم لا يزيده ذلك إلا قوة وشجاعة ، وقد بلغت جموعهم خمسمائة ألف مقاتل ، ويقال ستائة ألف ، قتل منهم مائة ألف مقاتل .

ولما انفصل الحرب وتسلبوا عكا وقتلوا من كان بها من المسلمين وساروا برمتهم إلى القدس جعل يسارهم منزلة منزلة ، وجيوشهم أضعاف أضعاف من معه ، ومع هذا نصره الله وخنلهم ، وسبقهم إلى القدس فصانه وجماعهم ، ولم يزل يجهش مقيماً برهبهم ويرعبهم ويغلبهم ويسلبهم حتى تضرعوا إليه

وخضعوا لديه ، ودخلوا عليه في الصلح ، وأن تضع الحرب أوزارها بينهم وبيده ، فأجابهم إلى ما سألوا على الوجه الذي أرادوه ، لا على ما يريدونه ، وكان ذلك من جملة الرحمة التي رحم الله بها المؤمنين ، فإنه ما انقضت تلك السنون حتى ملك البلاد أخوه العادل فمز به المسلمون وذلل به الكافرون ، وكان سخيا جيبيا ضحوك الوجه كثير البشر ، لا يتضجر من خير يفعله ، شديد المصابرة على الخيرات والطاعات ، فرحمه الله . وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة طرفا صالحا من سيرته وأيامه ، وعدله في سيرته وعلاقته ، وأحكامه .

فصل في

وكان قد قسم البلاد بين أولاده ، فالديار المصرية لولده العزيز عماد الدين أبي الفتح ، ودمشق وما حولها لولده الأفضل نور الدين علي ، وهو أكبر أولاده ، والمملكة الحلبية لولده الظاهر غازي غياث الدين ، ولأخيه العادل الكرك والشوبك وبلاد جعبر وبلدان كثيرة قاطع الغرات ، وحماه ومعاملة أخرى معها الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن أخى السلطان ، وحصن والرحبة وغيرها لأسد الدين بن شيركوه بن ناصر الدين بن محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، ونجم الدين أخى أبيه نجم الدين أيوب . والذين بمأقوله ومخاليفه جميعه في قبضة السلطان فظهر الدين سيف الاسلام طغتكين ابن أيوب ، أخى السلطان صلاح الدين ، وبعليك وأعمالها الماجد بهرام شاه بن فروغ شاه ، وبصرى وأعمالها للظاهر بن الناصر . ثم شرعت الأمور بعد موت صلاح الدين تضطرب وتختلف في جميع هذه الممالك ، حتى آل الأمر واستقرت الممالك واجتمعت الكلمة على الملك العادل أبي بكر صلاح الدين ، وصارت المملكة في أولاده كما سيأتى قريبا إن شاء الله تعالى .

وفيهما جدد الخليفة الناصر لدين الله خزائنه كتب المدرسة النظامية ببغداد ، ونقل إليها الوفا من الكتب الحسنة الثمينة وفي الحرم منها جرت ببغداد كائنة غريبة وهي أن ابنة لرجل من التجار في الطحين عشقت غلاما بأنها فلما علم أبوها بأسرها طرد الغلام من داره فواعدته البنات ذات ليلة أن يأتيها فحياه إليها مخفيا فتركته في بعض الدار ، فلما جاء أبوها في أثناء الليل أمرته فنزل فقتله ، وأمرته بقتل أمها وهي حبلى ، وأعطته الجارية حلبيا بقيمة ألفي دينار ، فأصبح أمره عند الشرطة فسك وقتل قبعه الله ، وقد كان سيده من خيار الناس وأكثرهم صدقة وبرآ ، وكان شابا وضى الوجه رحمة الله . وفيها درس بالمدرسة الجديدة عند قبر معروف الكرخي الشيخ أبو علي التوابعي وحضر عنده القضاة والأعيان ، وعمل بها دعوة حافلة .

ومن توفي فيها من الأعيان .

السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ابن شاذي ، وقد تقدمت وفاته ببسطة ،

الأمير بكتمر صاحب خلط

قتل في هذه السنة ، وكان من خيار الملوك وأشجعهم وأحسنهم سيرة رحمه الله .

الأتابك عز الدين مسعود

ابن مردود بن زني ، صاحب الموصل نجواً من ثلاث عشرة سنة ، من خيار الملوك ، كان بنسبه نور الدين الشهيد عمه ، ودفن بقرنته عند مدرسة أنشأها بالموصل أتابه الله .

جعفر بن محمد بن فطيرا

أبو الحسن أحد الكتاب بالعراق ، كان ينسب إلى التشيع ، وهذا كثير في أهل تلك البلاد لأكثر الله منهم ، جاءه رجل ذات يوم فقال له رأيت البارحة أمير المؤمنين علياً في المنام ، فقال لي : اذهب إلى ابن فطيرا فقل له يعطيك عشرة دنانير ، فقال له ابن فطيرا . متى رأيته ؟ قال : أول الليل ، فقال ابن فطيرا وأنا رأيته آخر الليل فقال لي : إذا جاءك رجل من صفته كذا وكذا فطلب منك شيئاً فلا تعطه ، فأدبر الرجل مولياً فاستنداه ووهبه شيئاً ، ومن شعره فيما أورده ابن السامى وقد تقدم ذلك لغيره :

ولما سبرت الناس أطلب منهم * أخافقة عند اعتراض الشدائد
وفكرت في يومى سرورى وشدى * وناديت في الأحياء هل من مساعد
فلم أرفباً ساءنى غير شامت * ولم أرفباً سرى غير حاسد
يحيى بن سعيد بن غازي

أبو العباس البصرى النجرائى صاحب المقامات ، كان شاعراً أديباً فاضلاً بليغاً ، له اليد الطولى في اللغة والنظم ، ومن شعره قوله :

فناء خود ينساب لطفنا * بلا عناء في كل أذن
ما رده قط باب صميم * ولا أنى زاراً باذن
السيدة زبيدة

بلت الامام المقتنى لأمر الله ، أخت المستنجد وعمة المستنقى ، كانت قد عمرت طويلاً ولها صدقات كثيرة دائرة ، وقد تزوجها في وقت السلطان مسعود على صداق مائة ألف دينار ، فتوفى قبل أن يدخل بها ، وقد كانت كارهة لذلك ، فحصل مقصودها وطلبها .

الشيخة الصالحة فاطمة خاتون

بنت محمد بن الحسن العميد ، كانت عابدة زاهدة ، عمرت مائة سنة وست سنين ، كان قد تزوجها في وقت أمير الجيوش مطر وهي بكر ، فبقيت عنده إلى أن توفى ولم تنزوج بعده ، بل اشتغلت بذكر الله عز وجل والعبادة ، رحبها الله .

وفيهما أنفذ الخليفة الناصر العباسي إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي يطلب منه أن يزيد على أبيات عدى بن زيد المشهورة ما يناسبها من الشعر ، ولو بلغ ذلك عشر مجلدات ، وهي هذه الأبيات :

أيها الشامتُ المعيرُ بالله * برأيتُ المنبرَ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الـ * أيامٍ ، بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتُ المنونَ خلعتُ أم من * ذاعليه من أن يضامُ خفيرو
أين كسرى كسرَ الملوكِ أبو * ساسانٍ أم أين قبله سابورُ ؟
وبنوا الأصغرَ الملوكِ ملوكُ الـ * وم لم يبق منهم مذكورُ
وأخو الحضرةِ إذنبناه وإذ * دجلة تجبى إليه والخابورُ
شاده مرمراً وجله كلساً * فلطير في ذراه و كورُ
لم تنبه ربيبَ المنونِ فزا * ل الملك عنه فبابه مهجورُ
وتذكرُ ربَّ الخورنقِ إذ * أشرف يوماً وللهندى تكفيرُ
سره حاله وكثرة ما * لك والبعرُ معرضاً والسديرُ
فارحوى قلبه وقال وما * غبطة حتى إلى المات يصيرُ
ثم بعد النعيم والملك والتهى والـ * أمرٍ وازنهم هناك قبورُ
ثم أضحووا كأنهم أورك جف * مت فألوت بها الصبا والدبورُ
غير أن الأيام تختص بالمرء * وفيها المعرى المظلت والتفكيرُ

ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة

لما استقر الملك الأفضل بن صلاح الدين مكان أبيه بدمشق ، بعث بهدايا سنية إلى باب الخليفة الناصر ، من ذلك سلاح أبيه وحصانه الذي كان يحضر عليه الفزوات ، ومنها صليب الصليبيات الذي استلبه أبوه من الفرنج يوم حطين ، وفيه من الذهب ما ينيف على عشرين رطلاً مرصعاً بالجواهر النفيسة ، وأربع جوارى من بنات ملوك الفرنج ، وأنشأ له العباد الكاتب كتاباً حافظاً يذكر فيه التمزية بأبيه ، والسؤال من الخليفة أن يكون في الملك من بعده ، فأجيب إلى ذلك .

ولما كان شهر جمادى الأولى قدم العزيز صاحب مصر إلى دمشق ليأخذها من أخيه الأفضل

نقيم على الكسوة يوم السبت سادس جمادى ، وحاصر البلد ، فنامه أخوه ودافعه عنها ، فقطع الأنهار ونهبت الثمار ، واشتد الحال ، ولم يزل الأمر كذلك حتى قدم العادل عهما فأصلح بينهما ، ورد الأمر للأمة بعد الدين على أن يكون للعزير القدس وما جاور فلسطين من ناحيته أيضا ، وعلى أن يكون جبلة واللاذقية للظاهر صاحب حلب ، وأن يكون لعمهما العادل أقطاعه الأول ببلاد مصر مضافا إلى ما بيده من الشام والجزيرة كحمران والرها وجبر ومجاور ذلك ، فاتفقوا على ذلك ، وتزوج العزيز ببنة عمه العادل ، ومرض ثم عوفي وهو مخيم بمرج الصفر ، وخرجت الملوك لتنهضه بالعافية والتزويج والصلح ، ثم كر راجعا إلى مصر لعل شوقه إلى أهله وأولاده ، وكان الأفضل بعد موت أبيه قد أساء التدبير فأبعد أمراء أبيه وخواصه ، وقرب الأجانب وأقبل على شرب المسكر والهو واللعب ، واستحوذ عليه وزيره ضياء الدين ابن الأثير الجزري ، وهو الذي كان يحذره إلى ذلك ، فتلف وأتلفه ، وأضل وأضله ، وزالت النعمة عنهما كما سيأتي .

وفيهما كانت وقعة عظيمة بين شهاب الدين ملك غزنة وبين كفتار الهند ، أقبلوا إليه في ألف ألف مقاتل ، ومعهم سبعائة فيل منها فيل أبيض لم ير مثله ، فالتقوا فقتلوا قتالا شديدا لم ير مثله ، فهزهم شهاب الدين عند نهر عظيم يقال له الملاحون ، وقتل ملكهم واستحوذ على حواصله وحواصل بلاده وغنم فياتهم ودخل بلاد الملك الكبيرى ، فعمل من خزانته ذهباً وغيره على ألف وأربعمائة رجل ، ثم عاد إلى بلاده سالما منصورا .

وفيهما ملك السلطان خوارزم شاه تكش - ويقال له ابن الأصابع - بلاد الرى وغيرها ، واصطالح مع السلطان طغرل بك السلجوقى وكان قد تسلّم بلاد الرى وسائر مملكة أخيه سلطان شاه وخزائنه ، وعظم شأنه ، ثم التقى هو والسلطان طغرل بك فى ربيع الأول من هذه السنة . فقتل السلطان طغرل بك ، وأرسل رأسه إلى الخليفة ، فعلق على باب النوبة عدة أيام ، وأرسل الخليفة الخلع والتقاليد إلى السلطان خوارزم شاه ، وملك همدان وغيرها من البلاد المتسمة .

وفيهما نقم الخليفة على الشيخ أبى الفرج بن الجوزى وغضب عليه ، ونفاه إلى واسط ، فكث بها خمسة أيام لم يأكل طعاما ، وأقام بها خمسة أعوام يخدم نفسه ويستقى لنفسه الماء ، وكان شيخا كبيرا قد بلغ ثمانين سنة ، وكان ينلوفى كل يوم وليلة ختمة . قال : ولم أقرأ يوسف لوجدى على ولدى يوسف ، إلى أن فرج الله كما سيأتى إن شاء الله .

وفيهما توفى من الأعيان أحمد بن إسماعيل بن يوسف

أبو الخبير القزوينى الشافعى المفسر ، قدم بغداد وعظ بالخطابية ، وكان يذهب إلى قول الأشعرى فى الأصول ، وجلس فى يوم عاشوراء فقيل له : المن يزيد بن معاوية ، فقال : ذاك إمام

مجتهد ، فرماه الناس بالآجر فاخفى ثم هرب إلى قزوين .

ابن الشاطبي ناظم الشاطبية

أبو القاسم بن قسيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيثي الشاطبي الضري ، مصنف الشاطبية في القراءات السبع ، فلم يسبق إليها ولا يلحق فيها ، وفيها من الرموز كنوز لا يهتدى إليها إلا كل ناقد بصير ، هذا مع أنه ضرب بر ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وبلده شاطبة - قرية شرقي الأندلس - كان فقيراً ، وقد أريد أن يلى خطابة بلده فامتنع من ذلك لأجل مبالغة الخطباء على المنابر في وصف الملوك ، خرج الشاطبي إلى الحج فقدم الإسكندرية سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع على السافى وولاه القاضي الفاضل مشيخة الاقراء بمدروسته ، وزار القدس وصام به شهر رمضان ، ثم رجع إلى القاهرة ، فكانت وفاته بها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بالقرافة بالقرب من التربة الناضلية ، وكان ديناً خاشعاً فاسكناً كثير الوفاة ، لا يتكلم فيما لا يعنيه ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات ، وهي لغز في النش ، وهي لغيره :

أُتِرفُ شيئاً في السماء يطيرُ * إذا سارهاجَ الناسُ حيثُ يسيرُ
فنتلقاهُ موكباً وتلقاهُ راكباً * وكلُّ أميرٍ يعنليرُ أسيرُ
يبحثُ على التوى ويكرهُ قرْبَهُ * وتنفّرُ منه النفسُ وهو نذيرُ
ولم يسترز عن رغبةٍ في زيارةٍ * ولكن على زورٍ يزورُ
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة

فيها كانت وقعة الزلاقة ببلاد الأندلس شمالى قرطبة ، بمرج الحديد ، كانت وقعة عظيمة نصر الله فيها الاسلام وخذل فيها عبدة الصليبيان ، وذلك أن القيش ملك الفرنج ببلاد الأندلس ، ومقر ملكه بمدينة طليغالة ، كتب إلى الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ملك الغرب يستنخيه ويستدعيه ويستحثه إليه ، ليكون من بعض من يخضع له في مثالبه وفي قتاله ، في كلام طويل فيه تأنيب وتهديد ووعيد شديد ، فكتب السلطان يعقوب بن يوسف في رأس كتابه فوق خطه [أرجع إليهم فلنأتينهم بمجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون] ثم نهض من فوره في جنوده وعساكره ، حتى قطع الزقاق إلى الأندلس ، فالتقوا في الحل المذكور ، فكانت الدائرة أولاً على المسلمين ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، ثم كانت أخيراً على الكافرين فهزمهم الله وكسرم وخذلهم أقبح كسرة ، وشر هزيمة وأشنعها ، فقتل منهم مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفاً ، وأمر منهم ثلاثة عشر ألفاً ، وغنم المسلمون منهم شيئاً كثيراً ، من ذلك مائة ألف خيمة وثلاثة وأربعون خيمة ، ومن الخيل ستة وأربعون ألف فرس ، ومن البغال مائة ألف بغل ، ومن الحمر مثلها ، ومن السلاح التام سبعون ألفاً ،

ومن العندد شئ كثير ، وملك عليهم من حصونهم شيئا كثيرا ، وحاصر مدنيهم طيلة مدة ، ثم لم يفتحها فانفصل عنها راجعا إلى بلاده . ولما حصل للتش ما حصل حلق لحية ورأسه ونكس صليبه وركب حماراً وحلف لا يركب فرساً ولا يتلذذ بطعام ولا ينأى مع امرأة حتى تنصره النصرانية ، ثم طاف على ملوك الفرنج فجمع من الجنود ما لا يحصى إلا الله عز وجل ، فاستمد له السلطان يدقوب فالتقى باقتتلا قتالا عظيماً لم يسمع بمثله ، فانهزم الفرنج أقبح من هزيمتهم الأولى ، وغنموا منهم نظير ما تقدم أو أكثر ، واستحوذ السلطان على كثير من ممالكهم وقلاعهم ، والله الحمد والمنة ، حتى قيل إنه بيع الأسير بدرهم ، والحصان بخمسة دراهم ، والخيل بدرهم ، والسيف بدون ذلك . ثم قسم السلطان هذه الغنائم على الوجه الشرعي ، فاستغنى المجاهدون إلى الأبد ، ثم طلبت الفرنج من السلطان الأمان فهادتهم على وضع الحرب خمس سنين ، وإنما حمله على ذلك أن رجلاً يقال له علي بن إسحاق التوزي الذي يقال له المسكك ، ظهر ببلاذ إفريقية فأحدث أمورا فظيعة في غيبة السلطان واشتغاله بقتال الفرنج مدة ثلاث سنين ، فأحدث هذا المارق التوزي بالبادية حوادث ، وعاث في الأرض فساداً ، وقتل خلقاً كثيراً ، وتلك بلادا .

وفي هذه السنة والتي قبلها استحوذ جيش الخليفة على بلاد الرى وأصبهان وهمدان وخوزستان وغيرها من البلاد ، وقوى جانب الخلافة على الملوك والممالك . وفيها خرج العزيز من مصر قاصداً دمشق ليأخذها من يد أخيه الأفضل ، وكان الأفضل قد ناب وأتاب وأقلع عما كان فيه من الشراب والاهو والالعاب ، وأقبل على الصيام والصلاة ، وشرع بكتابة مصحف بيده ، وحسنت طريقته ، غير أن وزيره الضيا الجزرى يفسد عليه دولته ، ويكدر عليه صفوته ، فلما بلغ الأفضل إقبال أخيه نحوه سار سريماً إلى عمه العادل وهو بمحبر فاستنجد به فسار معه وسبقه إلى دمشق ، وراح الأفضل أيضاً إلى أخيه الظاهر بحلب ، فساراً جميعاً نحو دمشق ، فلما سمع العزيز بذلك وقد اقترب من دمشق ، كر راجعاً سريماً إلى مصر ، وركب وراءه العادل والأفضل ليأخذاه منه مصر ، وقد اتفقا على أن يكون ثلث مصر للعادل وثلثاها للأفضل ، ثم بدا للعادل في ذلك فأرسل للعزيز يثبته ، وأقبل على الأفضل يثبته ، وأقاما على بلبس أياما حتى خرج إليهما القاضي الفاضل من جهة العزيز ، فوقع الصلح على أن يرجع القدس ومعاملتها للأفضل ، ويستقر العادل مقبلاً بمصر على إقطاعه القديم ، فأقام العادل بها طمعاً فيها ورجع العادل إلى دمشق بعد ما خرج العزيز لتوديعه ، وهي هدية على قضاء وصلاح على دخن .

وفيها توفي من الأعيان . علي بن حسان بن سافر

أبو الحسن الكاتب البغدادي ، كان أديباً شاعراً . من شعره قوله :

نفي رقادي ومضي * برق بسلع ومضاً * لاح كاسلتي يدا * أسود مصباً أبيضاً

كانه الأشهب في * النعم إذا ما ركضا * يبدو كأنه مختلف الـ * يح على جهر الغضا
فتحسب الريح أب * ما أنظر أو غضا^(١) * أو شله النار علا * لهيها وانخفضا
آه له من بارقي * ضاء على ذات الأضا * أذكرني عهداً مفى * على النوير وراقضى
قال لي قلبي أتو * مى حاجباً وأعرضا * يطلب من أمرضه * فديت ذاك المرضا
يا غرض القلب لقد * غادرت قلبي غرضاً * لأسمهم كأنما * يرسلهم أصرق القضا
فبت لا أرتأ في * أن رقادى قد قضى * حتى قفا الليل وكاذ * الليل أن ينقرضا
وأقبل الصبح لا ط * راف الدجا مبيضا * وسل في الشرق على الغ * رب رضاء وانقضى
ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة

في رجب منها أقبل العزيز من مصر ومعه عمه العادل في عساكره ، ودخلا دمشق قهراً ، وأخرجوا
منها الأفضل ووزيره الذي أساء تدبيره ، وصلى العزيز عند تربة والده صلاح ، وخطب له بدمشق ،
ودخل القلعة المنصورة في يوم وجلس في دار العدل للحكم والفصل ، وكل هذا وأخوه الأفضل حاضرين
عنده في الخدمة ، وأمر القاضي محي الدين بن الزكي بتأسيس المدرسة العزيزية إلى جانب تربة أبيه
وكانت داراً للأمر عز الدين شامة ، ثم استناب على دمشق عمه الملك العادل ورجع إلى مصر يوم
الاثنين تاسع شوال ، والسكة والمطبعة بدمشق له ، وصولح الأفضل على صرخد ، وهرب وزيره ابن
الأنير الجزري إلى جزيرته ، وقد أتاف نفسه وملكه ، وملكه بجزيرته ، وانتقل الأفضل إلى
صرخد بأهله وأولاده ، وأخيه قطب الدين .

وفي هذه السنة هبت ريح شديدة سوداء مطمة بأرض العراق ومعه رمل أحمر ، حتى احتاج
الناس إلى السرج بالنهار . وفيها ولي قوام الدين أبو طالب يحيى بن سعد بن زيادة كتاب الانشاء
ببغداد ، وكان بليغاً ، وليس هو كالفاضل . وفيها درس بجزير الدين أبو القاسم محمود بن المبارك
بالنظامية ، وكان فاضلاً مناضراً .

وفيها قتل رئيس الشافعية بأصبهان محمود بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندی قتله ملك
الدين سنقر الطويل ، وكان ذلك سبب زوال ملك أصبهان عن الديوان .
وفيها مات الوزير وزير الخلافة .

مؤيد الدين أبو الفضل

محمد بن علي بن القصاب ، وكان أبوه يبيع اللحم في بعض أسواق بغداد . فتقدم ابنه وساد
أهل زمانه . توفي بهمدان وقد أعاد رسائيق كثيرة من بلاد العراق وخراسان وغيرها ، إلى ديوان
الخلافة ، وكان ناهضاً ذا همة وله صرامة وشعر جيد . وفيها توفي .

(١) كذا بالأصل ، والبيت مضطرب .

الفخر محمود بن علي

التوفاني الشافعي ، عائداً من الحج ، والشاعر :

أبو الغنائم محمد بن علي

ابن المعلم الهرثي من قرى واسط ، عن إحدى وتسعين سنة ، وكان شاعراً فصيحاً ، وكان ابن الجوزي في مجالسه يستشهد بشئ من لطائف أشعاره ، وقد أورد ابن السامعي قطعة جيدة من شعره الحسن المليح . وفيها توفي .

الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد

ابن الحسن البغدادي المعروف بابن العريف ، ويلقب بالببيع الفاسد ، كان حنبلياً ثم اشتغل شافعيّاً على أبي القاسم بن فضالان ، وهو الذي لقبه بذلك لكثرة تكراره على هذه المسألة بين الشافعية والحنفية ، ويقال إنه صار بعد هذا كله إلى مذهب الامامية فآله أعلم . وفيها توفي

الشيخ أبو شجاع

محمد بن علي بن مفيث بن الدهان الغرضي الحاسب المؤرخ البغدادي ، قدم دمشق وامتدح السكندی أبو اليمن زيد بن الحسن فقال :

يا زيد زادك ربّي من مواهبه * نعماً يقصرُ عن إدراكها الأملُ
لا بدلَ اللهَ حالاً قد حبّلك بها * ما دارَ بين النحاة الحالُ والبدلُ
البحرُ أنتَ أحقُّ العالمينَ بهر * أليسَ باسمك فيه يضربُ المثلُ

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل إلى ابن الزكي يخبره فيه « أن في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة أتى عارض فيه ظلمات متكاثفة ، وبروق خاطفة ، ورياح عاصفة ، قوى الجوبها واشتد هبوبها قد أثبت لها أعنة مطلقات ، وارتفعت لها صفقات ، فرجفت لها الجدران واصططقت ، وتلاقت على بامدها واعتنقت ، وثار السماء والأرض عجاجاً ، حتى قيل إن هذه على هذه قد انطبقت ، ولا يحسب إلا أن جهنم قد سال منها واد ، وعدا منها عاد ، وزاد عصف الريح إلى أن أطفأ سرج النجوم ، ومزقت أديم السماء ، ومحت ما فوقه من الرقوم ، فكنا كما قال تعالى [يجملون أصابعهم في آذانهم من الصواقع] ويردون أيديهم على أعينهم من البوارق ، لا عاصم لخطف الأبصار ، ولا ملجأ من الخطب إلا المعازل الاستغفار . وفر الناس نساء ورجالا وأطفالا ، ونفروا من دورهم خفاً وتقالا ؛ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فاعتصموا بالمساجد الجامعة ، وأذعنوا للنازلة بأعناق خاضعة ، بوجوه عاتية ، ونفوس عن الأهل والمال سالية ، ينظرون من طرف خفي ، ويتوقعون أي خطب جلي ،

قد اقطعت من الحياة علقهم ، وحرمت عن النجاة طرقهم ، ووقعت الفكرة فيهم عليه قادمون ،
وقاموا على صلاتهم وودوا لو كانوا من الذين عليها دائمون ، إلى أن أذن بالركود ، وأسعف الهاجدين
بالجود ، فأصبح كل مسلم على رقيقه ، ويهنيه بسلامة طريقه ، ويرى أنه قد بعث بعد النفخة ، وأفاق
بعد الصيحة والصرخة ، وأن الله قد رد له السكره ، وأحياء بعد أن كاد يأخذهم على غرة ، ووردت
الأخبار بأنها قد كبرت المراكب في البحار ، والأشجار في الغفار ، وأتلفت خلقت كثيرا من السفار ،
ومنهم من فرلانيغه الفرار . إلى أن قال « ولا يحسب المجلس أنى أرسلت القلم محررا والعلم مجحوا ، فالأمر
أعظم ، ولكن الله سلم ، ونرجو أن الله قد أيقظنا بما به وعظنا ، ونهنا بما فيه ولنا ، فما من عباده إلا من
رأى القيامة عيانا ، ولم يلتبس عليها من بعد ذلك برهانا ، إلا أهل بلدنا فما قص الأولون مثلها في
الثلاث ، ولا سبقت لها سابقة في المعضلات ، والحمد لله الذي من فضله قد جعلنا نخب عنها ، ولا يخبر
عنا ، ونسأل الله أن يصرف عنا عارض الحرص والغرور ، ولا يجعلنا من أهل الهلاك والنبور » .

وفيهما كتب القاضي الفاضل من مصر إلى الملك المادل بدمشق يحثه على قتال الفرنج ، ويشكره
على ما هو بصده من محاربتهم ، وحفظ حوزة الاسلام ، فن ذلك قوله في بعض تلك الكتب
« هذه الأوقات التي أنتم فيها عرائس الأشعار ، وهذه النفقات التي تجري على أيديكم مهور الحور
في دار القرار ، وما أسمع من أودع يد الله ما في يديه ، فتلك نعم الله عليه ، وتوفيقه الذي ما كل من
طلبه وصل إليه ، وسواد المعاج في هذه المواقف بباطن ما سودته الذنوب من الصغائر ، فما أسمع
تلك المواقف وما أعود بالطمأنينة تلك الرجعات » . وكتب أيضاً « أدام الله ذلك الاسم تاجاً على
مفارق المنابر والطورس ، وحياء للدينا وما فيها من الأجساد والنفوس ، وعرف المملوك من الأمر
الذي اقتضته المشاهدة ، وجرت به العافية في سرور ، ولا يزيد على سببه الحال بقوله :

ألم نر أن المرء تدوي يمينه * فيقطعها عملاً ليسلم سائرته

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا سبق إليه ، ومن قلم من الاصبح ظفراً قد جلب إلى الجسد
فضله فمناً ، ودفع عنه ضرراً ، وتجنب المسكره ليس بضائر إذا كان ما جلبيه سبباً إلى الحمد ،
وأخر سنوه أول كل غزوه ، فلا يسأم مولانا نيسة الرباط وفعلها ، وتجنب الكلف وحملها ، فهو إذا
صرف وجهه إلى وجه واحد وهو وجه الله ، صرف الوجوه إليه كلها [والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وإن الله لم يحسن الله] .

وفي هذه السنة انقضت مدة الهدنة التي كان عقدها الملك صلاح الدين للفرنج فأقبلوا بحمد
وحديد ، فتلقاهم الملك المادل بمرج عكا فكسرهم وغنمهم ، وفتح يافا عنوة وفقه الحمد والمنة . وقد
كانوا كتبوا إلى ملك الألمان يستنهضونه لفتح بيت المقدس فقدر الله هلاكه . ريماء ، وأخذت الفرنج

في هذه السنة بروت من نائبها عز الدين شامة من غير قتال ولا نزال ، ولهذا قال بعض الشعراء في الأمير شامة سلم الحصن ما عليك ملامة * ما يلام الذي يروم السلامة
فتنعل على الحصون من غير حرب * سنة منها ببيروت شامة

ومات فيها ملك الفرنج كندهري ، سقط من شاق فسات ، فبقيت الفرنج كالنم بلا راعي ،
حتى ملكوا عليهم صاحب قبرس وزوجوه بالملكة امرأة كندهري ، وجرت خطوب كثيرة بينهم
وبين العادل ، ففى كلها يستنظر عليهم ويكسرهم ، ويقتل خلقا من مقاتلتهم ، ولم يزالوا كذلك معه
حتى طلبوا الصلح والمهادنة ، فعاقدهم على ذلك في السنة الآتية .
وفىها توفى ملك اليمن . سيف الأسلام طغتكين

أخو السلطان صلاح الدين ، وكان قد جمع أموالا جزيلة جدياً ، وكان يسبك الذهب مثل
الطاواحين ويدخره كذلك ، وقام في الملك بعده ولده إسماعيل ، وكان أهرج قليل التدبير ، فغلبه جهله
على أن ادعى أنه قرشى أبوى ، وتلقب بالهادى ، فكتب إليه عمه العادل ينهيه عن ذلك ويتهدده
بسبب ذلك ، فلم يقبل منه ولا التفت إليه ، بل تمادى وأساء التدبير إلى الأمراء والرعية ، فقتل
وتولى بعده مملوك من ممالك أبيه . وفىها توفى :

الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي

كان من أكابر أمراء صلاح الدين ، وهو الذى كان نائباً على عكا ، وخرج منها قبل أخذ الأفرنج ،
ثم دخلها بعد المشاطوب ، فأخذت منه ، واستنابه صلاح الدين على القدس ، ثم لما أخضع العزيز
عزل عنها فطلب إلى بغداد فأكرم إكراماً زائداً ، وأرسله الخليفة مقدماً على العساكر إلى همدان ،
فأتى هناك . وفىها توفى .

قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد

البخارى ، سمع الحديث على أبي الوقت وغيره ، وتفقه على أبي القاسم بن فضلان ، وتولى نيابة
الحكم ببغداد ، ثم استقل بالمنصب وأضيف إليه في وقت نيابة الوزارة ، ثم عزل عن القضاء ثم أعيد
ومات وهو حاكم ، فسأل الله العافية ، وكان فاضلاً بارعاً من بيت فقه وعدالة وله شعر :

تنح عن القبيح ولا ترده * ومن أولئنه حسناً فردّه

كفا بك من عدوك كل كيد * إذا كاذ المدو ولم تكده

السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد

وفىها توفى

أبو محمد الحسن بن علي بن حمزة بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن يحيى بن
الحسين بن يزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي الحسيني المعروف بابن الاقسامى ،

الكوفي مولدا ومنشا ، كان شاعرا مطبقا ، امتدح الخلفاء والوزراء ، وهو من بيت مشهور بالأدب والرياسة والروعة ، قدم بغداد فامتدح المقتنى والمستنجد وابنه المستضيء وابنه الناصر ، فولاه النقابة كان شيخاً مهيبة ، جاوز الثمانين ، وقد أورد له ابن الساعي قصائد كثيرة منها :

اصبر على كيد الزما * ن فما يدوم على طريقة
سبق القضاء فكن به * راض ولا تطلب حقيقة
كم قد تغلب مرة * وأراك من سعة وضيق
ما زال في أولادهم * يجري على هذى الطريقة

وفيهما توفيت الست عتراء بنت شاهنشاه

ابن أيوب ، ودفنت بمرستها داخل باب النعصر ، والست خاتون والدة الملك العادل ، ودفنت بدارها بدمشق المجاورة لدار أسد الدين شيركوه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة

ففيها جرت الفرنج جوهه وأقبلوا لخاصروا تينين ، فاستدعى العادل بن أخيه اقتلهم ، فجاء العزيز من مصر ، والأفضل من مرخند ، فأقلمت الفرنج عن الحصن وبلغهم موت ملك الألمان فطلبوا من العادل الهدنة والأمان ، فهادتهم ورجعت الملوكة إلى أما كتبها ، وقد عظم المقام عيسى بن العادل في هذه المرة ، واستنابه أبوه على دمشق ، وسار إلى ماسكة بالجزيرة ، فأحسن فيهم السيرة ، وكان قد توفي في هذه السنة الساطقان صاحب سنجار وغيرها من المداين الكبار ، وهو عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي الأتابكي ، كان من خيار الملوك وأحسنهم شكلا وسيرة ، وأجودهم طوية وسيرة ، وغير أنه كان يخل ، وكان شديد المحبة للعلماء ، ولا سيما الحنفية ، وقد ابنتى لهم مدرسة بسنجار ، وشروط لهم طعاما يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وهذا نظر حسن ، والفقير أولى بهذه المسنة من الفقيه ، لاشتغال الفقيه بتكراره ومطالعته عن الفكر فيما يقينه ، فعدى على أولاده ابن عمه صاحب الموصل ، فأخذ الملك منهم ، فاستغاث بنوه بالملك العادل ، فرد فيهم الملك ودرأ عنهم الضيم ، واستقرت بالملك لولده قطب الدين محمد ، ثم سار الملك إلى ماردين لخاصرها في شهر رمضان ، فاستولى على ريفها ومما ماتها ، وأهجرته قياتها ، فطاف عليها ومشي ، وما كان أحد أنه تملكها ، لأن ذلك لم يكن مشهورا ولا مقدارا .

وفيها ملكت الخزر مدينة بلخ وكبروا اطلها وقهرهم ، وأرسل الخليفة إليهم أن يمنعوأخوارزم شاه من دخول العراق ، فانه كان يروم أن يخطب له ببغداد . وفيها حاصر خوارزم شاه مدينة بخارى ففتحها بعد مدة ، وقد كانت امتنعت عليه دهرا ونعصرم اطلها ، فقهروهم جميعا وأخذها عنوة ، وعفا

عن أهلها وصنح ، وقد كانوا ألبسوا كلباً أعور قباء وسموه خوارزم شاه ، ورموه في المنجيق إلى الخوارزمية ، وقالوا هذا الملعون ، وكان خوارزم شاه أعور ، فلما قدر عليهم عفا عنهم ، جزاه الله خيراً . وفيها توفي من الأعيان .
العوام بن زيادة

كاتب الانشاء بباب الخلافة ، وهو أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي بن زيادة ، انتهت إليه رئاسة الرسائل والانشاء والبلاغة والفصاحة في زمانه بالعراق ، وله علوم كثيرة غير ذلك من الفقه على مذهب الشافعي ، أخذ عن ابن فضال ، وله معرفة جيدة بالأصلين الحساب والفتنة ، وله شرح جيد وقد ولي عدة مناصب كان مشكوراً في جميعها ، ومن مستجاد شعره قوله :

لا تَحْقِرَنَّ عِدُوًّا تَزِدُّ بِهِ فُكْمًا * قَدْ أَتَمَسَ الدَّهْرُ جَذَّ الْجَدِّ الْعَلْبِ
فهذه الشمس يروها الكسوف لها * على جلاتها بالرأس والذنب
وله : باضطراب الزمان ترتفع الأذى * نزال في حق يعم البلاء
وكذا الماء راكدة فاذا * حرك ثارت من قعر الاقداء
وله أيضاً : قد سلوت الدنيا ولم يسلبها * من علق في آماله والأراجي
فاذا ما صرفت وجهي عنها * ففتقني في بحرها العجاج
يستغيثون بي وأهلك وحدي * فكأنني ذبالة في سراج

توفي في ذي الحجة وله ثلثان وسبعون سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند موسى بن جعفر .
القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير

ابن علي البطائحي ، قدم بغداد فتفقه بها وسمع الحديث وأقام برهة مالك بن طوق مدة يشغل على أبي عبد الله بن النبيه الغرضي ، ثم ولي قضاء العراق مدة ، وكان أديباً ، وقد سمع من شيخه أبي عبد الله بن النبيه ينشد لنفسه معارفاً للحريري في بيتيه الذين زعم أنها لا يمزوان ثالثهما ، وهما قوله
بسم مئة يُحمد آثارها * واشكر لمن أعطوا ولو شمسة
والمكرهما اسطعنت لآثاتو * لتفتني السؤدد والمكرمة

قال ابن النبيه :

ما الأمة الوكساء بين الوري * أحسن من حر أئى ملاه
فه إذا استجديت عن قول لا * فاطر لا يملأ منها فة

الأمير عز الدين حرديل

كان من أكابر الأمراء في أيام نور الدين ، وكان ممن شرك في قتل شاور ، وحظي عند صلاح الدين ، وقبـ استنابه على القدس حين افتتحها ، وكان يستند به للمهمات الكبار فيسدها بنفسه

وشجاعته ، ولما ولي الأفضل عزله عن القدس فترك بلاد الشام وانتقل إلى الموصل ، فأت بها في هذه السنة .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة .

فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر

وذلك أنه خرج إلى الصيد فكانت ليلة الأحد العشرين من المحرم ، ساق خلف ذئب فكبا به فرسه فسقط عنه فمات بعد أيام ، ودفن بداره ، ثم حول إلى عند تربة الشافعي ، وله سبع أو ثمان وعشرون سنة ، ويقال : إنه كان قد عزم في هذه السنة على إخراج الخنابلة من بلده ، ويكتب إلى بقية إخوته باخراجه من البلاد ، وشاع ذلك عنه وذاع ، وسمع ذلك منه وصرح به ، وكل ذلك من علمه وخلطائه وعشرائه من الجهمية ، وقلة علمه بالحديث ، فلما وقع منه هذا ونوى هذه النية القبيحة الفاسدة أهلكه الله ودمره سريعاً ، وعظم قدر الخنابلة بين الخلق بمصر والشام ، عند الخاص والعام . وقيل : إن بعض صالحهم دعا عليه ، فما هو إلا أن خرج إلى الصيد فكان هلاكه سريعاً ، وكتب الفاضل كتاب التميز بالعزيز لعمه العادل ، وهو محاصر مارد بن معه العساكر ، وولده محمد الكامل ، وهو نائب على بلاد الجزيرة المقاربة لبلاد الحيرة ، وصورة الكتاب « أدام الله سلطان مولانا الملك العادل ، يبارك في عمره وأحلامه بأمره ، وأعز نصر الاسلام بنصره ، وفدت النفس نفسه الكريمة وأصغر الله المظالم بنعمه فيه المظلمة ، وأحياه الله حياة طيبة هو والاسلام في مواقيت الفتوح الجسيمة وينقلب عنها بالأمور المسئلة والعواقب السليمة ، ولا تقص له رجالاً ولا أعداء نفساً ولا ولداً ، ولا قصر له ذيلاً ولا يداً ، ولا أسخن له عينا ولا كبداً ، ولا كدر له خاطراً ولا مورداً ، ولما قدر الله ما قدر من موت الملك العزيز كانت حياته مكدرة عليه منقصة مهمة ، فلما حضر أجله كانت بديهة المصاب عظيمة ، وطالمة المكروه أليمة ، وإذا محاسن الوجه بليت تعفى القرى عن وجهه الحسن ، وكانت مدة مرضه بعد عودهم من الغيوم أسبوعين ، وكانت في الساعة السابعة من ليلة الأحد والعشرين من المحرم ، والمملوك في حال تسطيرها مجموع بين مرض القلب والجسد ، ووجع أطراف وهلة كبداً ، وقد لجع بهذا المولى والمهد بوالده غير بعيد ، والأسمى عليه في كل يوم جديد . ولما توفي العزيز خلف من الولد عشرة ذكور ، فعمد أمراؤه فلكوا عليهم ولده محمد ، ولقبوه بالنصور ، وجمهور الأمراء في الباطن ماثلون إلى تملك العادل ، ولكنهم يستبدون مكانه ، فأرسلوا إلى الأفضل وهو بصرخد فأحضروه على البريد سريعاً ، فلما حضر عندهم منع ردفهم ووجدوا الكلمة مختلفة عليه ، ولم يتم له ما صار إليه ، وخامر عليه أكبر الأمراء الناصرية ، وخرجوا من مصر فأقاموا ببيت المقدس وأرسلوا يستحثون الجيوش المادلية ، فأقر ابن أخيه على السلطنة ونوه باسمه على السكة والخطبة في سائر بلاد مصر ، لكن استفاد الأفضل في سفرته أنه أخذ جيشاً كثيفاً من المصريين ، وأقبل بهم ليسترد

دمشق في غيبة عمه . وذلك بإشارة أخيه صاحب حلب ، ومالك حمص أسد الدين ، فلما انتهى إليها ونزل حوالها قطع أنهارها وعطر أشجارها ، وأكل ثمارها ، ونزل بمخيمه على مسجد القدم ، وجاء إليه أخوه الظاهر وابن عمه الأسد الكاسر وجيش حماه ، فكثر جيشه وقرى بأسه ، وقد دخل جيشه إلى البلد ، ونادوا بشماره فلم يتأبههم من العامة أحد ، وأقبل العادل من ماردين بمساكره وقد التف عليه أمراء أخيه وطائفة بني أخيه ، وأمدته كل مصر بأكابرهم ، وسبق الأفضل إلى دمشق بيومين لخصمها وحفظها ، وقد استناب على ماردين ولده محمد الكامل . ولما دخل دمشق خامر إليه أكثر الأمراء من المهرين وغيرهم ، وضعف أمر الأفضل ويأس من برهم وخبرهم ، فأقام محاصر البلد بمن معه حتى انسلك الحول ثم انفصل الحال في أول السنة الآتية على ما سيأتي .

وفيها شرع في بناء سور بغداد بالآجر والكس ، وفرق على الأمراء وكلت عمارته بمد منه السنة ، فأمنت بغداد من الفرق والحصار ، ولم يكن لها سور قبل ذلك .

وفيها توفي السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف

ابن عبد المؤمن ، صاحب المغرب والأندلس بمدينته ، وكان قد بنى عندها مدينة مليحة سماها المهديّة ، وقد كان ديناً حسن السيرة صحيح السريرة ، وكان مالكي المذهب ، ثم صار ظاهرياً حزمياً ثم مال إلى مذهب الشافعي ، واستقضى في بعض بلاده منهم قضاة ، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة ، وكان كثير الجهاد رحمه الله ، وكان يؤم الناس في الصلوات الخمس ، وكان قريباً إلى المرأة والضعيف رحمه الله . وهو الذي كتب إليه صلاح الدين يستنجد على الفرنج فلما لم يخاطبه بأمر المؤمنين غضب من ذلك ولم يجبه إلى ما طلب منه ، وقام بالملك بعده ولده محمد فصار كسيرة والده ، ورجع إليه كثير من البلدان التي كانت قد عصت على أبيه ، ثم من بعد ذلك تفرقت بهم الأهواء وباد هذا البيت بعد الملك يعقوب .

وفيها ادعى رجل أعجمي بدمشق أنه عيسى بن مريم ، فأمر الأمير صارم الدين برغش نائب القلعة ، بصلبه عند حمام الهاد الكاتب ، خارج باب الفرج مقابل الطاحون التي بين البابين ، وقد باد هذا الحام قديماً ، وبعد صلبه بيومين تارت العامة على الروافض وعمدوا إلى قبر رجل منهم بباب الصغير يقال له وثاب فنبشوه وصلبوه مع كلبين ، وذلك في ربيع الآخر منها .

وفيها وقعت فتنة كبيرة ببلاد خراسان ، وكان سببها أن نحر الدين محمد بن عمر الرازي وفد إلى الملك غياث الدين الغوري صاحب غزنة ، فأكرمه وبنى له مدرسة بهراة ، وكان أكثر الغورية كرامة فأبغضوا الرازي وأحبوا إبداده عن الملك ، فجمعوا له جماعة من الفقهاء الحنفية والكرامية ، وخلقاً من الشافعية ، وحضر ابن القدوة وكان شيخاً معظماً في الناس ، وهو على مذهب ابن كرام وابن الهيثم

فتناظر هو والرازي ، وخرجا من المناظرة إلى السب والشتم ، فلما كان من القصد اجتمع الناس في المسجد الجامع ، وقام واعظ فتكلم فقال في خطبته : أيها الناس ، إنا لا نقول إلا ما صح عندنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأما علم اوسطاطا ليس وكفريات ابن سينا وفلسفة الفارابي وما تلبس به الرازي فانا لا نعلمها ولا نقول بها ، وإنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، ولأى شيء يشتم بالأمس شيخ من شيوع الاسلام ينب من دين الله وسنة رسوله ، على لسان متكلم ليس معه على ما يقول دليل . قال فبكى الناس وضجوا وبكت الكرامية واستنفاثوا ، وأعطاهم على ذلك قوم من خواص الناس ، وأنهموا إلى الملك صورة ما وقع ، فأمر بإخراج الرازي من بلاده ، وعاد إلى هراة ، فلهذا أشرب قلب الرازي بنفس الكرامية ، وصار يلجج بهم في كلامه في كل موطن ومكان .

وفيهما رضى الخليفة عن أبي الفرج ابن الجوزي شيخ الوعظ ، وقد كان أخرج من بغداد إلى واسط فأقام بها خمس سنين ، فانتفع به أهلها واشتغلوا عليه واستفادوا منه ، فلما عاد إلى بغداد خلع عليه الخليفة وأذن له في الوعظ على عادته عند الثربة الشريفة المجاورة لقبر معروف ، فكثر الجمع جدا وحضر الخليفة وأشد يومئذ فيما يخاطب به الخليفة :

لا تعطش الروض الذي بليتة * بصوب إمامك قد روضا
لا تبر هوداً أنت قد رشته * حاشى لبائى المجد أن ينقضا
إن كان لي ذنب قد جنيته * فاستأنف العفو وهب لي الرضا
قد كنت أرجوك لنيل المني * فاليوم لا أطلب إلا الرضا

وبما أنشده يومئذ .

شقينا بالنوى زمناً فلما * تلاقينا كأننا ما شقينا
سخطنا عند ما جنت الليالي * وما زالت بنا حتى رضينا
ومن لم يحي بعد الموت يوماً * فانا بعد ما متنا حيننا

وفي هذه السنة استدعى الخليفة الناصر قاضي الموصل ضياء الدين ابن الشهرزوري فولاه قضاء قضاء بغداد . وفيها وقعت فتنة بدمشق بسبب الحافظ عبد الغنى المقدسى ، وذلك أنه كان يتكلم في مقصورة الخنا بة بالجامع الأموى ، فذكر يوماً شيئاً من العقائد ، فاجتمع القاضي ابن الزكي وضياء الدين الخطيب الدولى بالسلطان المعظم ، والأمر صادم الدين برغش ، فقد له مجلساً فيها يتعلق بمسألة الاستواء على العرش والنزول والحرف والصوت ، فوافق النجم الخنبلى بقية الفقهاء واستمر الحافظ على ما يقوله لم يرجع عنه ، واجتمع بقية الفقهاء عليه ، وألزموه بالزامات شيعية لم يلتزمها ، حتى قال له الأمر برغش كل هؤلاء على الضلالة وأنت وحدك على الحق ؟ قال : نعم ،

فغضب الأمير وأمر بنفيه من البلد ، فاستنظره ثلاثة أيام فأنظره ، وأرسل برغش الأسارى من القلعة فكسروا منبر الخنابلة وتمطلت يومئذ صلاة الظهر في محراب الخنابلة ، وأخرجت الخزانة والصناديق التي كانت هناك ، وجرت خبطة شديدة ، فمؤذنه من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وكان عقد المجلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي الحجة ، فارتحل الحافظ عبد الغنى إلى بعلبك ثم سار إلى مصر فأواها المحدثون ، فحنوا عليه وأكرموه .

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير مجاهد الدين قياض الرومي

فائب الموصل المستولى على مملكتها أيام ابن استاذ نور الدين أرسلان ، وكان حاكماً ذكياً قصبها حنبياً ، وقيل شافعياً ، يحفظ شيئاً كثيراً من التواريخ والحكايات ، وقد أبقى عدة جوامع ومدارس وربط وخانات ، وله صدقات كثيرة دارة ، قال ابن الأمير : وقد كان من محاسن الدنيا .

أبو الحسن محمد بن جعفر

ابن أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباس الهاشمي ، قاضي القضاة ببغداد ، بعد ابن النجارى ، كان شافعياً تفقه على أبي الحسن بن النخل وغيره ، وقد ولى القضاء والخطابة بمكة ، وأصله منها ، ولكن ارتحل إلى بغداد فمال منها ما مال من الدنيا ، وآل به الأمر إلى ما آل ، ثم إنه عزل عن القضاء بسبب محض رقم خطه عليه ، وكان فيما قيل مزوراً عليه . فله أعلم ، فجلس في منزله حتى مات .

الشيخ جمال الدين أبو القاسم

يحيى بن علي بن الفضل بن بركة بن فضلان ، شيخ الشافعية ببغداد ، تفقه أولاً على سعيد بن محمد الزار مدرس النظامية ، ثم ارتحل إلى خراسان فأخذ من الشيخ محمد الزبيدي تلميذ الفزائى وعاد إلى بغداد وقد اقتبس علم المناظرة والأصولين ، وساد أهل بغداد وانتفع به الطلبة والفقهاء ، وبليت له مدرسة فدرس بها وبعد صيته ، وكثرت تلاميذه ، وكان كثير التلاوة وسامع الحديث ، وكان شيعياً حسناً لطيفاً نظيفاً ، ومن شعره :

وإذا أردت منازل الأشراف * فعليك بالأسعاف والانصاف

وإذا بفا باغ عليك نخله * والدهر فهو له مكاف كلف

ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

استهل هذه السنة والملك الأفضل بالجيش المصرى محاصر دمشق لعمه العادل ، وقد قطع عنها الأنهار والميرة ، فلا خبز ولا ماء إلا قليلاً ، وقد تناول الحال ، وقد خندقوا من أرض القوان إلى الله خندقاً لتلا يصل إليهم جيش دمشق ، وجاء فصل الشتاء وكثرت الأمطار والأحوال . فلما دخل شهر صفر قدم الملك الكامل محمد بن العادل على أبيه بمخلى من التركان ، وعساكر من بلاد

الجزيرة والرها وحران ، فمئذ ذلك انصرف المساكر المصرية ، وتفرقوا أيادي سبا ، فرجع الظاهر إلى حلب والأسد إلى حصص ، والأفضل إلى مصر ، وسلم العادل من كيد الأعداء ، بعد ما كان قد عزم على تسليم البلد . وسارت الأمراء الناصرية خلف الأفضل لينمونه من الدخول إلى القاهرة ، وكتبوا العادل أن يسرع السير إليهم ، فنهض إليهم سريعا فدخل الأفضل مصر وتحصن بقلعة الجبل ، وقد اعتراه الضعف والفشل ، ونزل العادل على البركة وأخذ ملك مصر ونزل إليه ابن أخيه الأفضل خاضعا ذليلا ، فأقطعه بلادا من الجزيرة ، ونفاه من الشام لسوء السيرة ، ودخل العادل القلعة وأعاد القضاء إلى صدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الكردي ، وأبقى الخطبة والسكة باسم ابن أخيه المنصور ، والعادل مستقل بالأمور ، واستوزر الصاحب صفى الدين بن شكر لصرامته وشهامته ، وسببته وديانته ، وكتب العادل إلى ولده الكامل يستدعيه من بلاد الجزيرة ليملكه على مصر ، فقدم عليه فأكرمه واحترمه وعانقه والتزمه ، وأحضر الملك الفقهاء واستفتاهم في صحة مملكة ابن أخيه المنصور بن العزيز ، وكان ابن عشر سنين ، فأفتوا بأن ولايته لا تصح لأنه متولى عليه ، فمئذ ذلك طلب الأمراء ودعاهم إلى مبايعته فامتنعوا فأرهبهم وأرهبهم ، وقال فيما قال : قد سمعتم ما أفتى به العلماء ، وقد علمتم أن تنور المسلمين لا يحفظها الأطفال الصغار ، وإنما يحفظها الملوك الكبار ، فأذعنوا عند ذلك وبايعوه ، ثم من بعدهم لولده الكامل ، فخطب الخطباء بذلك بعد اغليفة لها ، وضربت السكة باسمهما ، واستقرت دمشق باسم المعظم عيسى بن العادل ، ومصر باسم الكامل .

وفي شوال رجع إلى دمشق الأمير ملك الدين أبو منصور سليمان بن مسرور بن جلدك ، وهو أخو الملك العادل لأمه ، وهو واقف الفلكية داخل باب الفرائيس ، وبها قبره ، فأقام بها محترما معظما إلى أن توفي في هذه السنة . وفيها وفي التي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد ، فهلك بسببه الفنى والفقير ، وهرب الناس منها نحو الشام فلم يصل إليها إلا القليل ، وتخطفهم الفرنج من الطرقات وغروهم من أنفسهم واغتالوم بالقليل من الأقوات ، وأما بلاد العراق فانه كان مرخصا . قال ابن السامى : وفي هذه السنة باض ديك بينداد فسألت جماعة عن ذلك فأخبروني به .
ومن توفي فيها من الأعيان .

السلطان علاء الدين خوارزم شاه

تكش بن ألب رسلان من ولد طاهر بن الحسين ، وهو صاحب خوارزم وبعض بلاد خراسان والرى وغيرها من الأقاليم المتسعة ، وهو الذى قطع دولة السلاجقة ، كان عادلا حسن السيرة له معرفة جيدة بالموسيقى ، حسن المعاشرة ، فقيها على مذهب أبى حنيفة ، ويعرف الأصول ، وبنى

للحنفية مدرسة عظيمة ، ودفن بتربة بناها بخوارزم ، وقام في الملك من بعده وله علاء الدين محمد ، وكان قبل ذلك يلتقب بقالب الدين . وفيها قتل وزير السلطان خوارزم شاه المذكور .

نظام الدين مسعود بن علي

وكان حسن السيرة ، شافى المذهب ، له مدرسة عظيمة بخوارزم ، وجامع هائل ، وبني بمرو جامعا عظيما للشافعية ، فحسدتهم الحنابلة^(١) وشيخهم بها يقال له شيخ الاسلام ، فيقال لهم أحرقوه وهذا إنما يحمل عليه قلة الدين والمقل ، فأغرمهم السلطان خوارزم شاه ما غرم الوزير على بنائه . وفيها توفي الشيخ المسند المعمر رحلة الوقت .

أبو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب

ابن صدقة بن الخضر بن كاليب الحرائي الأصل البغدادي المولد والدار والوفاة ، عن ست وتسعين سنة ، سمع الكثير وأسمع ، وتفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، وكان من أعيان التجار وفوى الثروة

الفقيه مجد الدين

أبو محمد بن طاهر بن نصر بن جميل ، مدرس القدس أول من درس بالصلاحية ، وهو والد الفقهاء بنى جميل الدين : كانوا بالمدرسة الجاروخية ، ثم صاروا إلى المهادية والمماعية في أيامنا هذه ، ثم ماتوا ولم يبق إلا شرحهم .

الأمير صارم الدين قايماز

ابن عبد الله النجى ، كان من أكابر الدولة الصلاحية ، كان عند صلاح الدين بمنزلة الاستاذ ، وهو الذى تسلم القصر حين مات العاضد . فحصل له أموال جزيلة جداً ، وكان كثير الصدقات والأوقاف ، تصدق في يوم بسبعة آلاف دينار عينا ، وهو واقف المدرسة القبازية ، شرق القلعة ، وقد كانت دار الحديث الأشرفية داراً لهذا الأمير ، وله بها حمام ، فاشترى ذلك الملك الأشرف فيما بعده بناها دار حديث ، وأخرب الحمام وبناه مسكناً للشيخ المدرس بها . ولما توفي قباز ودفن في قبره نبشت دورته وحواصله ، وكان متهماً بمال جزيل ، فتحصل ما جمع من ذلك مائة ألف دينار وكان يظن أن عنده أكثر من ذلك ، وكان يدفن أمواله في الخراب من أراضي ضياعه وقراياه .

الأمير لؤلؤ

أحد الحجاب بالديار المصرية ، كان من أكابر الأمراء في أيام صلاح الدين ، وهو الذى كان متسلماً الأسعاول في البحر ، فكم من شجاع قد أضر ، وكم من مركب قد كسر ، وقد كان مع كثرة جهاده دار

(١) لعله الحنفية فإنه ليس بمرو وحنابلة والله سبحانه أعلم . ولكن ابن الأمير قد وافق المؤلف .

الصدقات ، كثير النفقات في كل يوم ، وقع غلاء بمصر فخص بقاى عشر ألف رغيف ، لاثني عشر ألف نفس .
 الشيخ شهاب الدين الطوسي
 أحد مشايخ الشافعية بديار مصر ، شيخ المدرسة المنسوبة إلى تقي الدين شاهنشاه بن أيوب ،
 الذى يقال لها منازل العز ، وهو من أصحاب محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، كان له قدر ومنزلة عند
 ملوك مصر ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، توفى في هذه السنة ، فازدحم الناس على
 جنازته ، وتأسفوا عليه .

الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي
 شيخ الشافعية بحلب ، أخذ الفقه عن محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وتلمذ لأزى ، ورحل إلى
 مصر وعرض عليه أن يدرس بترية الشافى فلم يقبل ، فرجع إلى حلب فأقام بها إلى أن مات .
 الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكرو

رئيس الخفنية بدمشق ، قال أبو شامة : ويعرف بابن العقادة .
 الشاعر ابو الحسن على بن نصر بن عقيل بن أحمد بغدادى ، قدم دمشق في سنة خمس وتسعين
 وخمسمائة ، ومعه ديوان شعر له فيه درر حسان ، وقد تصدى لمصح الملك الأتجمد صاحب بعلبك وله :
 وما الناس إلا كامل الحظ ناقص * وآخر منهم ناقص الحظ كامل
 وإني لمر من خيار أعفنة * وإن لم يكن عندى من المال كامل
 وفيها توفى القاضي الفاضل ، الامام العلامة شيخ الفصحاء والبلغاء .

أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف

أبى المجد على بن الحسن بن البيهقي المولى للأجل القاضي الفاضل ، كان أبوه قاضيا بمستقلان
 فأرسل ولده في الدولة الفاطمية إلى الديار المصرية ، فاشتغل بها بكتابة الاشياء على أبى الفتح قادوس
 وغيره ، فساد أهل البلاد حتى بغداد ، ولم يكن له في زمانه نظير ، ولا فيما بعده إلى وقتنا هذا مثيل ،
 ولما استقر الملك صلاح الدين بمصر جعله كاتبه وصاحبه ووزيره وجليسه وأنيسه ، وكان أعز عليه
 من أهله وأولاده ، وتساعدوا حتى فتح الأقاليم والبلاد ، هذا بحسامه وسنانه ، وهذا بقلمه ولسانه وبيانه
 وقد كان الفاضل من كثرة أمواله كثير الصدقات والصلوات والصيام والصلاة ، وكان يواظب كل يوم
 وليلة على ختمه كاملة ، مع ما يزيد عليها من نافلة ، رحيم القلب حسن السيرة ، طاهر القلب والسريرة
 له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية ، وأوقف على تخليص الأسارى من يدي النصارى ،
 وقد أقتنى من الكتب نحواً من مائة ألف كتاب ، وهذا شيء لم يفرح به أحد من الوزراء ولا العلماء
 ولا الملوك ، ولدى سنة ثنتين وخمسمائة ، توفى يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم

الثلاثاء سادس ربيع الآخر، واحتفل الناس بمجنازته، وزار قبره في اليوم الثاني الملك العادل، وتأسف عليه، ثم استوزر العادل صفى الدين بن شكر، فلما مع الفاضل بذلك دعا الله أن لا يحياه إلى هذه الدولة لما بينهما من المنافسة، فمات ولم ينله أحد بضيم ولا أذى، ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه، وقد رثاه الشعراء بأشعار حسنة، منها قول القاضي هبة الله بن سناء الملك:

عبد الرحيم على البرية رحمة * أمنت بصحبته حلول عقابها
يا سائلي عنه وعن أسبابه * قال السناء فسله عن أسبابها
وأنته خاطبة إليه وزارة * ولطال ما أعيث على خطابها
وأنت سعادته إلى أبوابه * لا كالذي يسعى إلى أبوابها
تمنو الملوك لوجهه بوجوها * لا بل تساق لبابه برقابها
شغل الملوك بما يزول ونفسه * مشغولة بالذكر في محرابها
في الصوم والصلوات أتمب نفسه * وضمان راحتهم على إتمامها
وتجعل الاتلاع عن لذاته * ثقة بحسن مآلها ومآبها
فلتفخر الدنيا بسائس ملكها * منه ودارس عليها وكتابتها
صوامها قوامها علامها * عملها بذالها وهابها

والمعجب أن الفاضل مع براعته ليس له قصيدة طويلة، وإنما له ما بين البيت والبيتين في أثناء رسائله وغيرها شيء كثير جداً، فمن ذلك قوله:

سبقتهم بإسداء الجليل تكرماً * وما مثلكم فيمن يحدث أو يحكي
وكان غنى أن أسابكم به * ولكن بليت قبلي فبيح لي البكا
وله: ولي صاحب ما خفت من جور حادث * من الدهر إلا كان لي من ورائه
إذا عضي صرف الزمان فاني * برايته أسطو عليه ورائه
وله في بدو أمره:

أرى الكتاب كلهم جيماً * بأرزاقي تمهم سنينا
ومالي بينهم رزق كافي * خلقت من الكرام الكاتبينها

وله في النحلة والزقطة:

ومفردين تجاوباً في مجلس * منعما لا ذاهما الأقوام
هذا يجود بمكس ما أتى به * هذا فيحمد ذا وذلك يلام
بقنا على حال تيسر الهوى * لكنه لا يمكن الشرح
وله:

بوابنا الليل' وقلنا له * إن غبت عنا هجم الصبح
وأرسلت جارية من جوارى الملك العزيز إلى الملك العزيز زراً من ذهب مغلف بعنبر أسود،
فسأل الملك الفاضل عن معنى ما أرادت بإرساله فأنشأ يقول :

أهدت لك العنبر في وسطه * زُرُّ من التبر رقيق الحمام
فالزُرُّ في العنبر معناها * زُرُّ هكذا مخفياً في الظلام

قال ابن خلدكان : وقد اختلف في لقبه فقيل محي الدين وقيل بحير الدين ، وحكى عن عمارة
البنى أنه كان يذكر جميل وأن العادل بل الصالح هو الذى استقدمه من الاسكندرية ، وقد كان
ممدودا في حسناته . وقد بسط ابن خلدكان ترجمته بنحو ما ذكرنا ، وفي هذه زيادة كثيرة والله أعلم
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة

فيها اشتد الفلاء بأرض مصر جدا ، فهلك خلق كثير جدا من الفقراء والأغنياء ، ثم أعقبه
فناء عظيم ، حتى حكى الشيخ أبو شامة في الذيل أن العادل كفن من ماله في مدة شهر من هذه السنة
نحواً من مائتى ألف ، وعشرين ألف ميت ، وأكلت السكلاب والميتات فيها بمصر ، وأكل من
الصغار والأطفال خلق كثير ، يشوى الصغير والداء وأياكلانه ، وكثر هذا في الناس جداً حتى صار
لا ينكر بينهم ، فلما فرغت الأطفال والميتات غلب القوى الضعيف فذهب وأكله ، وكان الرجل
يحتال على الفقير فيأتى به ليطعمه أولي عطيه شيئاً ، ثم يذبحه ويأكله ، وكان أحدهم يذبح امرأته ويأكلها
وشاع هذا بينهم بلا إنكار ولا شكوى ، بل يمدح بعضهم بعضاً ، ووجد عند بعضهم أربع مائة رأس
وهلك كثير من الأطباء الذين يستندون إلى المرضى ، فكانوا يذبحون ويؤكلون ، كان الرجل
يستدعى الطبيب ثم يذبحه ويأكله ، وقد استدعى رجل طبيباً حاذقاً وكان الرجل موصراً من أهل
المال ، فنهب الطبيب معه على وجل وخوف ، فجعل الرجل يتصدق على من لقيه في الطريق ويذكر
الله ويسبحه ، ويكثر من ذلك ، فارتاب به الطبيب وتحيل منه ، ومع هذا حمله الطعم على الاستمرار
معه حتى دخل داره ، فاذا هي خربة فارتاب الطبيب أيضاً فخرج صاحبه فقال له : ومع هذا البطء
جئت لنا بصيد ، فلما سمعها الطبيب هرب فخرج خلفه سراعا فما خلاص إلا بعد جهد وشرا .

وفيها وقع وباء شديد ببلا دعتزة بين الحجاز واليمن ، وكانوا عشرين قرية ، فبادت منها ثمانى
عشرة لم يبق فيها ديار ولا نافخ نار ، وبقيت أنفاسهم وأولهم لاقاها لها ، ولا يستطيع أحد أن
يسكن تلك القرى ولا يدخلها ، بل كان من اقتراب إلى شيء من هذه القرى هلك من ساعته ،
نعموا بالله من بأس الله وعداياه ، وفضيحه وعقابه ، أما القرىتان الباقيتان فانهما لم يمت منهما أحد
ولا عندهم شعور بما جرى على من حولهم ، بل هم على حالهم لم يفقد منهم أحد فسيبحان الحكيم العليم .

واتفق باليمن في هذه السنة كائنة غريبة جدا ، وهي أن رجلا يقال له عبد الله بن حمزة العلوي كان قد تغلب على كثير من بلاد اليمن ، وجمع نحواً من اثني عشر ألف فارس ، ومن الرجال جمعاً كثيراً ، وخافه ملك اليمن إسماعيل بن طغتكين بن أيوب ، وغلب على ظنه زوال ملكه على يدي هذا الرجل ، وأيقن بالهلكة لضعفه عن مقاومته ، واختلاف أمرائه معه في المشورة ، فأرسل الله صاعقة فنزلت عليهم فلم يبق منهم أحد سوى طائفة من الخيالة والرجالة ، فاختلف جيشه فيما بينهم فقتلهم المعز فقتل منهم سنة آلاف ، واستقر في ملكه آمناً .

وفيها تكاثب الاخوان الأفضل من صرخد والظاهر من حلب على أن يجتمعا على حصار دمشق وينزعاها من المعظم بن العادل ، وتكون للأفضل ، ثم يسيرا إلى مصر فيأخذها من العادل وابنه الكامل اللذين نقضا العهد وأبطلا خطبة المنصور ، ونكثا المواثيق ، فاذا أخذوا مصر كانت للأفضل وتصير دمشق مضافة إلى الظاهر مع حلب ، فلما بلغ العادل ما تمالآ عليه أرسل جيشاً مددا لابنه المعظم عيسى ، إلى دمشق ، فوصلوا إليها قبل وصول الظاهر وأخيه إليها ، وكان وصولهما إليها في ذى القعدة من ناحية بعلبك ، فنزلوا على مسجد القدم واشتد الحصار للبلد ، وتساق كثير من الجيش من ناحية خان القدم ، ولم يبق إلا فتح البلد ، لولا هجوم الليل ، ثم إن الظاهر بداله في كون دمشق للأفضل فرأى أن تكون له أولاً ، ثم إذا فتحت مصر تسلمها الأفضل ، فأرسل إليه في ذلك فلم يقبل الأفضل ، فاختلفا وتفرقت كلمتهما ، وتنازعا الملك بدمشق ، فتفرقت الأمراء عنهما ، وكوتب العادل في الصلح فأرسل يجيب إلى ما سألا وزاد في إقطاعهما شيئاً من بلاد الجزيرة ، وبعض معاملة المعرة . وتفرقت العساكر عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين ، وسار كل منهما إلى ما تسلم من البلاد التي أقطعها ، وجرت خطوب يطول شرحها ، وقد كان الظاهر وأخوه كتباً إلى صاحب الموصل نور الدين أرسلان الأتابكي أن يحاصر مدين الجزيرة التي مع عهدهما العادل ، فركب في جيشه وأرسل إلى ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار ، واجتمع معهما صاحب ماردين الذي كان العادل قد حاصره وضيق عليه مدة طويلة ، فقصدت العساكر حران ، وبها الفاتر بن العادل ، فحاصروه مدة ، ثم لما بلغتهم وقوع الصلح عدلوا إلى المصالحة ، وذلك بمعد طلب الفاتر ذلك منهم ، وتمهدت الأمور واستقرت على ما كانت عليه .

وفيها ملك غياث الدين وأخوه شهاب الدين الغوريان جميع ما كان يملك خوارزم شاه من البلدان والحوصل والأموال ، وجرت لهم خطوب طويلة جداً . وفيها كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق ، وكان جمهورها وعظمتها بالشام تهدمت منها دور كثيرة ، ونخرت محال كثيرة ، وخسف بقرية من أرض بصرى ، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء

كثير، وأخربت بحال كثيرة من طرابلس وصور وعكا وناپلس، ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة ومات بها وبقرها ثلاثون ألفاً تحت الردم، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجامعها، وأربع عشرة شرافة منه، وغالب الكلاسة والمارستان النورى، وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثافة بنياتها، وانفرد البحر إلى قبرص وقد حذف بالمرأى منه إلى ساحله، وتمدى إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أمم لا يحصون ولا يمدون حتى قال صاحب مرآة الزمان: إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزال نحو من ألف ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها، وقيل إن أحداً لم يخلص من مات فيها والله سبحانه أعلم.

وفيها توفي من الأعيان. عبد الرحمن بن علي

ابن محمد بن علي بن عبد الله بن حماد بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى — نسبة إلى فرقة نهر البصرة — ابن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزى، القرشى التميمي البغدادي الحنبلى، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجميع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتى مجلدة، وتفرد بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقتة وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيها يشاهد من الأمور الحسية، بعبارة وجيزة سريعة الفهم والادراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة، وهذا وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك ما يضيئ هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها، منها كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير، وله تفسير أبسط منه ولكنه ليس بمشهور، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد ومحيى البخارى ومسلم وجامع الترمذى، وله كتاب المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلداً، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه، ولم يزل يؤرخ أخبار العالم حتى صار تاريخاً، وما أحقه بقول الشاعر:

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وله مقامات وخطب، وله الأحاديث الموضوعة، وله العلل المنتاهية في الأحاديث الواهية، وغير ذلك. ولد سنة عشر وخمسمائة، ومات أبوه وعمره ثلاث سنين، وكان أهله تجاراً في النحاس، فلما تزعج جاءت به عمته إلى مسجد محمد بن ناصر الحافظ، فلزم الشيخ وقرأ عليه وسمع عليه

الحديث وتفقه بآب الزاغوفى ، وحفظ الوعظ ووعظ وهو ابن عشرين سنة أو دونها ، وأخذ اللغة عن أبى منصور الجوالقي ، وكان وهو صبى ديناً مجموعاً على نفسه لا يخاط أحدًا ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولا يخرج من بيته إلا للجمعة ، وكان لا يلعب مع الصبيان ، وقد حضر مجلس وعظه الخلفاء والوزراء والملوك والأمراء والعلماء والفقراء ، ومن سائر صنوف بنى آدم ، وأقل ما كان يجتمع فى مجلس وعظه عشرة آلاف ، وربما اجتمع فيه مائة ألف أو يزيدون ، وربما تكلم من خاطره على البديهة نظرًا ونثرًا ، وبالجملة كان أستاذًا فردًا فى الوعظ وغيره ، وقد كان فيه بهاء وترفع فى نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه ، وذلك ظاهر فى كلامه فى نثره ونظمه ، فمن ذلك قوله :

ما زلت أدرك ما غلا بل ما علا * وأكبد النهج المسير الأطولا
تجرى بى الآمال فى حلباته * جرى السعير مدى ما أملا
أنفى فى التوفيق فيه إلى الذى * أعيأ سواى توصلا وتغللا
لو كان هذا العلم شخصاً فاطناً * وسألته هل زار مثلى قال : لا
ومن شعره وقيل هو لنفسه :

إذا قمعت بميسور من القوت * بقيت فى الناس حراً غير ممقوت
ياقوت يوم إذا ما در حلقك لى * فلست آسى على درى وياقوت

وله من النظم والنثر شئ كثير جداً ، وله كتاب سماه لفظ الجنان فى كان وكان ، ومن لطائف كلامه قوله فى الحديث « أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين » إنما طالت أعمار من قبلنا لطول البادية ، فلما شارب الركب بلد الإقامة قيل لهم حثوا الملى ، وقال له رجل أيا أفضل ؟ أجلس أسبوع أو أستغفر ؟ فقال الثوب الوسخ أحوج إلى البخور . وسئل عن أوصى وهو فى السباق قال : هذا طين سطره فى كانون . والتفت إلى ناحية الخليفة المستنصر وهو فى الوعظ قال : يا أمير المؤمنين إن تكلمت خفت منك ، وإن سككت خفت عليك ، وإن قول القائل لك اتق الله خير لك من قوله لكم إنكم أهل بيت مغفور لكم ، كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغنى عن عامل لى أنه ظلم فلم أغيره فأنا الظالم ، يا أمير المؤمنين . وكان يوسف لا يشبع فى زمن القحط حتى لا ينسى الجائع ، وكان عمر يضرب بطنه عام الرمادة ويقول قررا ولا تفرقا ، والله لا ذاق عمر ممناً ولا سميئاً حتى يخصب الناس . قال فبكى المستنصر وتصدق بمال كثير ، وأطلق المحاييس وكسى خاتماً من الفقراء . ولد ابن الجوزى فى حدود سنة عشر وخمسمائة كما تقدم ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بين العشاءين الثانى عشر من رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبع وثمانون سنة ، وحملت جنازته على رؤس الناس ، وكان الجمع كثيراً جداً ، ودفن بباب حرب عند أبيه بالقرب من الامام أحمد ، وكان يوماً

مشهوداً ، حتى قيل : إنه أضر جماعة من الناس من كثرة الزحام وشدة الحر ، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات :

يا كثير المغويا من * كُتِرَتْ ذَنْبِي لَدَيْهِ * لَجَاءَكَ الْمَذْنِبُ بِرَجْوَالِهِ * فَخَ عَنْ جُرْمٍ بِيَدِهِ
أَنَا ضَيْفٌ وَجَزَاءُ الْإِلَهِ * ضَيْفٌ لِحَسَنٍ إِلَيْهِ

وقد كان له من الأولاد الذكور ثلاثة: عبد العزيز - وهو أكبرهم - مات شاباً في حياة والده في سنة أربع وخمسين ، ثم أبو القاسم علي ، وقد كان عاقاً لوالده إلهاً عليه في زمن الحنة وغيرها ، وقد تسلط على كتبه في غيبته بواسط فباعها بأبخس الثمن ، ثم محيي الدين يوسف ، وكان أنجب أولاده وأصغرهم ولد سنة ثمانين ووعظ بعد أبيه ، واشتغل وحرر وأتقن وساد أقرانه ، ثم باشر حسبة بغداد ، ثم صار رسول الخلفاء إلى الملوك بأطراف البلاد ، ولا سيما بني أيوب بالشام ، وقد حصل منهم من الأموال والكرامات ما ابتنى به المدرسة الجوزية بالشبابين بدمشق ، وما أوقف عليها ، ثم حصل له من سائر الملوك أموالاً جزيلاً ، ثم صار أستاذ دار الخليفة المستعصم في سنة أربعين وستائة ، واستمر مباشرها إلى أن قتل مع الخليفة عام هارون تركي بن جنكيزخان ، وكان لأبي الفرج عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبي المظفر بن مزعل صاحب مرآة الزمان ، وهي من أجمع التواريخ وأكثرها فائدة ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات فأنى عليه وشكر تصانيفه وعلومه .

العماد الكاتب الأصبهاني

محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن آله - بتشديد اللام وضمها - ، المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني ، صاحب المصنفات والرسائل ، وهو قرين القاضي الفاضل ، واشتهر في زمنه ، ومن اشتهر في زمن الفاضل فهو فاضل ، ولد بأصبهان في سنة تسع عشرة وخمسة ، وقدم بغداد فاشتغل بها على الشيخ أبي منصور سعيد بن الرزاز مدرس النظامية ، وسمع الحديث ثم رحل إلى الشام فحفظ عند الملك نور الدين محمود بن زنكي ، وكتب بين يديه وولاه المدرسة التي أنشأها داخل باب الفرج التي يقال لها العمادية ، نسبة إلى سكنه بها وإقامته فيها ، وتدرسه بها ، لأنه أنشأها وإنما أنشأها نور الدين محمود ، ولم يكن هو أول من درس بها ، بل قد سبقه إلى تدريسه غير واحد ، كما تقدم في ترجمة نور الدين ، ثم صار العماد كاتباً في الدولة السلجوقية وكان الفاضل يثني عليه ويشكره ، قالوا : وكان منطوقه يمتريه جود وفرة ، وقربحته في غاية الجودة والحدة ، وقد قال القاضي الفاضل لأصحابه يوماً : قولوا فتكلموا وشبهوه في هذه الصفة بصفات فلم يقبلها القاضي ، وقال : هو كالزناد ظاهره بارد وداخله نار ، وله من المصنفات الجريدة جريدة النصر في شعراء العصر ، والفتح القدسي ، والبرق السامي ، وغير ذلك من المصنفات المسجعة ، والمعارف المتنوعة

والقصائد المطولة . توفى في مستهل رمضان من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بمقابر الصوفية .
الأمير بهاء الدين قراقوش

الفحل الخصى ، أحد كبار كتاب أمراء الدولة الصلاحية ، كان شهيداً شجاعاً فائكاً ، تسلم القصر لما مات العاضد وعمر سور القاهرة محيطاً على مصر أيضاً ، وانتهى إلى المقسم وهو المكان الذي اقتسمت فيه الصحابة ما غنموا من الديار المصرية ، وبنى قلعة الجبل ، وكان صلاح الدين سلمه عكا ليعمر فيها ما كن كثيرة فوقع الحصار وهو بها . فلما خرج البديل منها كان هو من جملة من خرج ، ثم دخلها ابن المشطوب . وقد ذكر أنه أسر فافتدى نفسه بمشرة آلاف دينار ، وعاد إلى صلاح الدين ففرح به فرحاً شديداً ، ولما توفى في هذه السنة احتاط العادل على تركته وصارت أقطاعه وأملأكه للملك الكامل محمد بن العادل . قال ابن خلكان : وقد نسب إليه أحكام عجيبة ، حتى صنف بعضهم جزءاً لطيفاً سماه كتاب الفاشوش في أحكام قراقوش ، فذكر أشياء كثيرة جداً ، وأظنها موضوعة عليه ، فان الملك صلاح الدين كان يعتمد عليه ، فكيف يعتمد على من بهذه المثابة والله أعلم .

مكبة بن عبد الله المستنجد

كان تركياً عابداً زاهداً ، سمع المؤذن وقت السحر وهو ينشد على المنارة :

يا رجالَ الليلِ جدوا * ربّ صوت لا يردّ

ما يقومُ الليلُ إلّا * من له عزمٌ وجِدّ

فبكى مكبة وقال للمؤذن يا مؤذن زدنى ، فقال :

قد مضى الليلُ وولى * وحبيبي قد نَحَلّا

فصرخ مكبة صرخة كان فيها حتفه ، فأصبح أهل البلد قد اجتمعوا على بابه فأسعده منهم من وصل إلى نعشه رحمه الله تعالى .

أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع

المركلسي ببغداد ، ويعرف بابن نقطة ، كان يدور في أسواق بغداد بالنهار ينشد كان وكان والموالي ، ويسحر الناس في ليالي رمضان ، وكان مطبوعاً ظريفاً خليعاً ، وكان أخوه الشيخ عبد الغنى الزاهد من أكابر الصالحين ، له زاوية ببغداد يزار فيها ، وكان له أتباع ومر يدون ، ولا يسخر شيئاً يحصل له من الفتوح ، تصدق في ليلة بألف دينار وأصحابه صيام لم يسخر منها شيئاً لعشائهم ، وزوجته أم الخليفة بجارية من خواصها وجهرتها بمشرة آلاف دينار إليه فما حال الحال وعندهم من ذلك شيء سوى هاون ، فوقف سائل ببابه فالح في الطلب فأخرج إليه الهاون فقال : خذ هذا وكل به ثلاثين يوماً ، ولا تسأل الناس ولا تشتم على الله عز وجل . هذا الرجل من خيار الصالحين ، والمقصود أنه قال لأخيه أبي

منصور: ويحك أنت تدور في الأسواق وتلشد الأشعار وأخوك من قد عرفت؟ فأنشأ يقول في جواب ذلك بيتين مواليا من شعره على البديهة:

قد خاب من شبه الجزع إلى درة * وقاس قعبة إلى مستحبة حرة
أنا مغنى وأخى زاهداً إلى مرة * في الدبر بهرى ذى حلوة وذى مرة

وقد جرى عنده مرة ذكر قتل عثمان وعلى حاضر، فأنشأ يقول كان وكان، ومن قتل في جواره مثل ابن عفان فاعتذر، يجب عليه أن يقبل في الشام عذر يزيد، فأرادت الروافض قتله فاتفق أنه بمضى القبالى يسحر الناس في رمضان إذ مر بدار الخليفة فعمس الخليفة في الطارقة فشمته أبو منصور هذا من الطريق، فأرسل إليه مائة دينار، ورسم بحمايته من الروافض، إلى أن مات في هذه السنة رحمه الله. وفيها توفى مسند الشام.

أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر

الخشوعي، شارك ابن عساكر في كثير من مشيخته، وطالت حياته بعد وفاته بسبع وعشرين سنة فألحق فيها الأحفاد بالأجداد.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة

فيها شرع الشيخ أبو عمر محمد بن قدامة بالى المدرسة بسفح قايسون، في بناء المسجد الجامع بالسفح، فاتفق عليه رجل يقال له الشيخ أبو داود محاسن الغامى، حتى بلغ البناء مقدار قامة فنفذ ما عنده، وما كان معه من المال، فأرسل الملك المظفر كوكرى بن زين الدين صاحب إربل مالا جزيلاً لبيته به، فكمل وأرسل ألف دينار ليسانق بها إليه الماء من بردى، فلم يمكن من ذلك الملك المظفر صاحب دمشق، واعتذر بأن هذا فرش قبور كثيرة للمسلمين، فصنع له بئر وبغل يدور، ووقف عليه وقفاً لذلك. وفيها كانت حروب كثيرة وخطوب طويلة بين الخوارجية والغورية ببلاط المشرق بسطها ابن الأثير واختصرها ابن كثير. وفيها درس بالنظامية مجد الدين يحيى بن الربيع وخلع عليه خلة سنية سوداء وطرحه كحلى، وحضر عنده العلماء والأعيان. وفيها تولى القضاء ببغداد أبو الحسن علي بن سليمان الجبلى وخلع عليه أيضاً.

وفيها توفى من الأعيان القاضي ابن الزكى

محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو المعالى القرشى، محبى الدين قاضى قضاة دمشق وكل منهما كان قاضياً أبوه وجده وأبوجه يحيى بن علي، وهو أول من ولي الحكم بدمشق منهم، وكان هو جد الحافظ أبي القاسم بن عساكر لأمه، وقد ترجمه ابن عساكر في التاريخ ولم يزد على القرشى. قال الشيخ أبو شامة: ولو كان أموياً عثمانياً كما يزعمون لذكر ذلك ابن عساكر، إذ كان فيه شرف لجدته

وخالية محمد وسلمان ، فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على ابن عساكر ، اشتغل ابن الزكي على القاضي شرف الدين أبي سعد عبد الله بن محمد بن أبي عصرون ، وناب عنه في الحكم ، وهو أول من ترك النيابة ، وهو أول من خطب بار . لما فتح كما تقدم ، ثم تولى قضاء دمشق وأضيف إليه قضاء حلب أيضاً ، وكان ناظر أوقاف الجامع ، وعزل عنها قبل وفاته بشهور ، وولها خمس الدين بن الألباني ضامناً ، وقد كان ابن الزكي ينهى الطلبة عن الاشتغال بالمنطق وعلم الكلام ، ويمزق كتب من كان عنده شيء من ذلك بالمدرسة النورية ، وكان يحفظ العقيدة المسماة بالمصباح الفزالي ، ويحفظها أولاده أيضاً ، وكان له درس في التفسير يذكروه بالكلاسة ، نجا تربة صلاح الدين ، ووقع بينه وبين الاسماعيليين فأرادوا قتله فأنقذ له باباً من داره إلى الجامع ليخرج منه إلى الصلاة ، ثم إنه خولط في عقله ، فكان يمتريه شبه الصرع إلى أن توفي في شعبان من هذه السنة ، ودفن بقربته بسفح قايسون ويقال إن الحافظ عبد الغني دعا عليه فحصل له هذا الداء المضال ، ومات ، وكذلك الخطيب الدولي توفي فيها وهما اللذان قاما على الحافظ عبد الغني فانا في هذه السنة ، فكانا عبرة لغيرهما .

الخطيب الدولي

ضياء الدين أبو القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الثعلبي الدولي ، نسبة إلى قرية بالموصل ، يقال لها الدولية ، ولد بها في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وتفقّه ببغداد على مذهب الشافعي وسمع الحديث فسمع الترمذي على أبي الفتح الكروجي ، والنسائي على أبي الحسن علي بن أحمد البردي ثم قدم دمشق فولى بها الخطابة وتدرّس الفزالية ، وكان زاهداً متورعاً حسن الطريقة مهيباً في الحق ، توفي يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الأول ، ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبور الشهداء ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، وتولى بده الخطابة ولد أخيه محمد بن أبي الفضل بن زيد سبعة وثلاثين سنة ، وقيل ولده جمال الدين محمد . وقد كان ابن الزكي ولي ولده الزكي فصلى صلاة واحدة فتشفع جمال الدين بالأمر علم الدين أخى العادل ، فولاه إياها فيبقى فيها إلى أن توفي سنة خمس وثلاثين وستمائة .

الشيخ علي بن علي بن عlish

البنّي العابد الزاهد ، كان مقبلاً شرق الكلاسة ، وكانت له أحوال وكرامات ، نقلها الشيخ علم الدين السخاوي عنه ، ساقها أبو شامة عنه .

الصدر أبو الشتاء حماد بن هبة الله

ابن حماد الحراني ، التاجر ، ولد سنة إحدى عشرة عام نور الدين الشهيد ، وسمع الحديث ببغداد ومصر وغيرها من البلاد ، وتوفي في ذي الحجة ، ومن شعره قوله :

تَنَقَّلُ الْمَرْءُ فِي الْأَفَاقِ يُكَيِّبُهُ * مُحَاسِنًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا بِيْلَدَتُهُ

أما ترى البيدق الشطرنج أكسبه * حسن التنقل حسناً فوق زينته

الست الجليلة ينقشاً بنت عهد الله

عتيقة المستنقى ، كانت من أكبر حفاظه ، ثم صارت بعده من أكثر الناس صدقة وبراً وإحساناً إلى العلماء والفقراء ، لها عند تربتها بغداد عند تربة معروف الكرخي صدقات وبر .

ابن المحتسب الشاعر أبو النسكر

محمود بن سليمان بن سعيد الموصل ي عرف بابن المحتسب ، تفقه ببغداد ثم سافر إلى البلاد ومحب ابن الشهر زوري وقدم معه ، فلما ولي قضاء بغداد ولاء نظراً أوتاف النظامية ، وكان يقول الشعر ، وله أشعار في الحز لا خير فيها تركتها تنزها عن ذلك ، وتقنرا لها .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

قال سبط ابن الجوزي في مرآته : في ليلة السبت سلخ الحرم هاجت النجوم في السماء وماجت شرقاً وغرباً ، وتطارت كالجراد المنتشر مبيناً وشمالاً ، قال : ولم ير مثل هذا إلا في عام المبعث ، وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين . وفيها شرع بعارة سور قلعة دمشق وابتدئ ببرج الزاوية الغربية القبلية المجاور لباب النصر . وفيها أرسل الخليفة الناصر الخلع وسراويلات القوة إلى الملك العادل وبنيه . وفيها بعث العادل ولده موسى الأشرف لمحاصرة ماردين ، وساعده جيش سنجار والموصل ثم وقع الصلح على يدي الظاهر ، على أن يحمل صاحب ماردين في كل سنة مائة ألف وخمسين ألف دينار ، وأن تكون السكة والخطبة للعادل ، وأنه متى طلبه يبعثه يحضر إليه . وفيها كل بناء رباط المورانية ، ووليه الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد الشهرزوري ، ومعه جماعة من الصوفية ، ورتب لهم من المعلوم والجراية ما ينبغي لمثلهم . وفيها احتجز الملك العادل على محمد بن الملك العزيز وإخوته وسيرهم إلى الرها خوفاً من آفاتهم بمصر . وفيها استحوذت الكرج على مدينة دوين قتلوا أهلها ونهبوها ، وهي من بلاد آذربيجان ، لاشتغال ملكها بالفسق وشرب الخمر قبحه الله ، فتمسكت الكفرة في رقاب المسلمين بسببه ، وذلك كله غل في عنقه يوم القيامة .

وفيها توفي الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين

فقام بالملك بعده ولده محمود ، وتلقب بلقب أبيه ، وكان غياث الدين عاقلاً حازماً شجاعاً ، لم تكسر له راية مع كثرة حروبه ، وكان شافئ المذهب ، أبغى مدرسة هائلة للشافعية ، وكانت سيرته حسنة في غاية الجودة . وفيها توفي من الأعيان .

الأمير علم الدين أبو منصور^(١)

سليمان بن شيرة بن جندر أخو الملك العادل لأبيه ، في تاسع عشر من المحرم ، ودفن بداره التي

(١) في النجوم الزاهرة : سليمان بن جندر .

خطها مدرسة في داخل باب الفراديس في محلة الافتراس ، ووقف عليها الحمام بكاملها تقبل الله منه
القاضي الضياء الشهرزوري

أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الموصل ، قاضي قضاء بغداد ،
وهو ابن أخي قاضي قضاء دمشق كمال الدين الشهرزوري ، أيام نور الدين . ولما توفى سنة ست
وسبعين في أيام صلاح الدين أوصى لولد أخيه هذا بالقضاء فوليه ، ثم عزل عنه بآب أبي عصرون ،
وعوض بالسفارة إلى الملك ، ثم تولى قضاء بلدة الموصل ، ثم استدعى إلى بغداد فوليهما سفتين وأربعة
أشهر ، ثم استقال الخليفة فلم يقبله لحظوته عنده ، فاستشفع في زوجته ست الملك على أم الخليفة ،
وكان لها مكانة عندها ، فأجيب إلى ذلك فصار إلى قضاء حماء لمحجته إياها ، وكان يعاب عليه ذلك ،
وكانت لديه فضائل وله أشعار رائقة ، توفى في حماء في نصف رجب منها .

عبدالله بن علي بن نصر بن حمزة

أبو بكر البغدادي المعروف بابن المرستانية ، أحد الفضلاء المشهورين . جمع الحديث وجمعه ،
وكان طبيباً منجماً يعرف علوم الأوائل وأيام الناس ، وصنف ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ،
ورقبه على ثلاثمائة وستين كتاباً إلا أنه لم يشتهر ، وجمع سيرة ابن هبيرة ، وقد كان يزعم أنه من سلالة
الصديق فتكلموا فيه بسبب ذلك . وأنشد بعضهم :

دع الأنساب لا تعرض لثبتم * فإن المحجن من ولد الصميم
لقد أصبحت من ثبتم دعيًا * كدعوى حيض يبيح إلى ثبتم

ابن النجاة الواعظ

علي بن إبراهيم بن نجا زين الدين أبو الحسن الدمشقي ، الواعظ الخنبل ، قدم بغداد فتفقه بها
وسمع الحديث ثم رجع إلى بلده دمشق ، ثم عاد إليها رسولاً من جهة نور الدين في سنة أربع وستين ،
وحدث بها ، ثم كانت له حظوة عند صلاح الدين ، وهو الذي تم على عمارة التمني وذويه فصلوا ،
وكانت له مكانة بمصر ، وقد تكلم يوم الجمعة التي خطب فيها بالقدس بعد الفراغ من الجمعة ،
وكان وقتاً مشهوداً ، وكان يعيش عيشاً أطيب من عيش الملوك في الأطعمة والملابس ، وكان عنده
أكثر من عشرين سرية من أحسن النساء ، كل واحدة بألف دينار ، فكان يطوف عليهن ويفشاهن
وبعد هذا كله مات فقيراً لم يخلف كفنًا ، وقد أنشد وهو على منبره للوزير طلائع بن زريك :

مشيبيك قد قضى شرخ الشباب * وحل الباز في وكر القراب
تنام ومقلة الحدائق يغطي * وما ناب النواصب عنك ناب
فكيف بقاء عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب ؟

الشيخ أبو البركات (محمد بن أحمد بن سعيد التكريتي) يعرف بالمويد، كان أديباً شاعراً. ومما نظمته في الوجيه النحوي حين كان حنبلياً فانتقل حنفيّاً، ثم صار شافعيّاً، نظم ذلك في حلقة النحو بالنظامية فقال :

ألا مبلغاً عن الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدي لديه الرسائلُ
تمذهبت للنعان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكلُ
وما اخترت قول الشافعي ديانة * ولكننا تهوى الذي هو حاصلُ
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى ملاك فانظر إلى ما أنت قائلُ ؟

الست الجليلة زمرد خاتون

أم الخليفة الناصر لدين الله زوجة المستفي، كانت صالحة عابدة كثيرة البر والاحسان والصلات والأوقاف، وقد بنت لها تربة إلى جانب قبر معروف، وكانت جنازتها مشهورة جداً، واستمر العزاء بسببها شهراً، عاشت في خلافة ولدها أربعة وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر.

وفيها كان مولد الشيخ شهاب الدين أبي شامة، وقد ترجم نفسه عند ذكر مولده في هذه السنة في الذيل ترجمة مطولة، فينقل إلى سنة وفاته، وذكر بدو أمره، واشتغاله ومصنفاته وشيئا كثيراً من شعاره، وما روى له من المنامات المبشرة. وفيها كان ابتداء ملك جنكيز خان ملك التتار، عليه من الله ما يستحقه، وهو صاحب الباسق وضعها ليتحكما إليها - يعني التتار ومن معهم من أسراء الترك - ممن يبتغي حكم الجاهلية - وهو والد تولى، وجد هولاكو بن تولى - الذي قتل الخليفة المستعصم وأهل بغداد في سنة ست وخمسين وسبعمائة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في موضعه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

سنة ستائة من الهجرة

في هذه السنة كانت الفرنج قد جمعوا خلقاً منهم ليستعيدوا بيت المقدس من أيدي المسلمين، فأشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم، وذلك أنهم اجتازوا في طريقهم بالقسطنطينية فوجدوا ملوكها قد اختلفوا فيما بينهم، فحاصروها حتى فتحوها قسراً، وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسراً، وأحرقوا أكثر من ربعمائة، وما أصبح أحد من الروم في هذه الأيام الثلاثة إلا قتيلاً أو فقيراً أو مكبلاً أو أسيراً، ولجأ عامة من بقي منها إلى كنيسة العظمى المسماة بباياصوفيا، فقصدهم الفرنج فخرج إليهم القسيسون بالأنجيل ليتوسلوا إليهم ويتلوا ما فيها عليهم، فما التفثوا إلى شيء من ذلك، بل قتلهم أجمعين أكتنهم أبصعين. وأخذوا ما كان في الكنيسة من الحلي والأذهاب والأموال التي لا تحصى ولا

تعد ، وأخذوا ما كان على الصليبان والحيطان ، والحمد لله الرحمن ، الذي ما شاء كان ، ثم اقترع ملوك الفرنج وكانوا ثلاثة وهم دوق البنادقة ، وكان شيخاً أعمى يقاد فرسه ، ومركب الأفرنيس وكندا بلند ، وكان أكثرهم عدداً وعدداً . فخرجت القرعة له ثلاث مرات ، فولوه ملك القسطنطينية وأخذ المملوك الأخران بعض البلاد ، وتحول الملك من الروم إلى الفرنج بالقسطنطينية في هذه السنة ولم يبق بأيدي الروم هنالك إلا ما وراء الخليج ، استحوذ عليه رجل من الروم يقال له تسكري ، ولم يزل ماسكاً لتلك الناحية حتى توفي . ثم إن الفرنج قصدوا بلاد الشام وقد تقوا بملكهم القسطنطينية فنزلوا عكا وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي ، فقتلوا وسبوا ، فنهض إليهم العادل وكان بدمشق ، واستدعى الجيوش المصرية والشرقية ونازلهم بالقرب من عكا ، فكان بينهم قتال شديد وحصار عظيم ، ثم وقع الصلح بينهم والهدنة وأطلق لهم شيئاً من البلاد فأتاه الله وإنا إليه راجعون .

وفيها جرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية بالمشرق يطول ذكرها . وفيها تحارب صاحب الموصل نور الدين وصاحب سنجار قطب الدين وساعد الأشرف بن العادل القطب ، ثم اصطالحوا وتزوج الأشرف أخت نور الدين ، وهي الأتابكية بنت عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ، واقعة الأتابكية التي بالسفح ، وبها ترتبها . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمصر والشام والجزيرة وقبرص وغيرها من البلاد . قاله ابن الأثير في كامله . وفيها تغلب رجل من التجار يقال له محمود بن محمد الحيرى على بعض بلاد حضرموت ظفار وغيرها ، واستمرت أيامه إلى سنة تسع عشرة وستائة وما بعدها .

وفي جمادى الأولى منها عقد مجلس لقاضى القضاة ببغداد وهو أبو الحسن على بن عبد الله بن سليمان الجبلى بدار الوزير ، وثبت عليه محضر بأنه يتناول الرشاً فمزل في ذلك المجلس وفسق ونزعت الطرحة عن رأسه ، وكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر .

وفيها كانت وفاة الملك ركن الدين بن قليج أرسلان ، كان ينسب إلى اعتقاد الفلاسفة ، وكان كهناً لمن ينسب إلى ذلك ، وملجأ لهم ، وظهر منه قبل موته نهجهم عظيم ، وذلك أنه حاصر أخاه شقيقه . وكان صاحب أنكورية ، وتسمى أيضاً أنقرة . مدة سنين حتى ضيق عليه الأقوات بها فسلها إليه قسراً ، على أن يعطيه بعض البلاد . فلما تمكن منه ومن أولاده أرسل إليهم من قتلهم غداً وخديعة ومكرًا فلم ينظر بعد ذلك إلا خمسة أيام ففهم به الله تعالى بالقولنج سبعة أيام ومات فابكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين [وقام بالملك من بعده ولده أفلح أرسلان ، وكان صغيراً فبقي سنة واحدة ، ثم نزع منه الملك وصار إلى عمه كنعسرو . وفيها قتل خلق كثير من الباطنية بواسطة . قال ابن

الأثير : في رجب منها اجتمع جماعة من الصوفية برباط ببغداد في سماع فأنشدهم ، وهو الجمال الحلي :

أعاذلني أقصرى * كفى بمشيبي عند
شباب كآن لم يكن * وشيبت كآن لم يزل
وبنى ليال الوسا * ل أوآخرها والأول
وصفرة لون الحب * مبر عند استماع الفزل
لئن عاد عتي لكم * حلال الميش وأصل
فلست أهالي بما نالني * ولست أهالي بأهل ومل

قال فتحرك الصوفية على العادة فتواجد من بينهم رجل يقال له أحمد الرازي نغر منشياً عليه ،
فحركوه فإذا هو ميت . قال : وكان رجلاً صالحاً ، وقال ابن الساعي كان شيخاً صالحاً صاحب الصدر
عبد الرحيم شيخ الشيوخ فشهد الناس جنازته ، ودفن بباب إبرر .
وفيها توفي من الأعيان . أبو القاسم بهاء الدين

الحافظ ابن الحافظ أبو القاسم علي بن مبة الله بن عساكر ، كان مولده في سنة سبع وعشرين
 وخمسة ، أسمه أبوه الكثير ، وشارك أباه في أكثر مشايخه ، وكتب تاريخ أبيه مرتين بخطه ،
 وكتب الكثير وأسمع وصنف كتباً عدة ، وخلف أباه في إسماع الحديث بالجامع الأموي ، ودار
 الحديث النورية . مات يوم الخميس ثامن صفر ودفن بعد العصر على أبيه بمقابر باب الصغير شرق
 قبور الصحابة خارج الحظيرة .

الحافظ عبد الغني المقدسي

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور الحافظ أبو محمد المقدسي ، صاحب التصانيف المشهورة ، من
 ذلك الكمال في أسماء الرجال ، والأحكام الكبرى والصغرى وغير ذلك ، ولد بجماعيل في ربيع
 الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسة ، وهو أسن من عمه الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن
 قدامة المقدسي ، والشيخ أبي عمر ، بأربعة أشهر ، وكان قدومهما مع أهلها من بيت المقدس إلى
 مسجد أبي صالح ، خارج باب شرق أولاً ، ثم انتقلوا إلى السفح فعرفت محلة الصالحية بهم ، فقبل
 لها الصالحية ، فسكنوا الدير ، وقرأ الحافظ عبد الغني القرآن وسمع الحديث وأرتحل هو والموفق إلى
 بغداد سنة ستين وخمسة ، فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، وكان لا يترك أحداً ينزل
 عنده ، ولكن توسم فيهما الخيرة والنجابة والصلاح فأكرمهما وأسمعهما ، ثم توفي بعد مقدمهما بثمانين
 ليلة رحمه الله ، وكان ميل عبد الغني إلى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق إلى الفقه واشتغلا على
 الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وعلى الشيخ أبي الفتح ابن المنى ، ثم قدما دمشق بعد أربع سنين

فدخل عبد الغنى إلى مصر واسكندرية ، ثم عاد إلى دمشق ، ثم ارتحل إلى الجزيرة و بغداد ، ثم رحل إلى أصبهان فسمع بها الكثير ، و وقف على مصنف للحافظ أبي نعيم في أسماء الصحابة ، قلت : وهو عندى بخط أبي نعيم . فأخذ في مناقشته في أما كن من الكتاب في مائة وتسعين موضعاً ، فنضب بنو الخنفسى من ذلك ، فبغضوه وأخرجوه منها مخفياً في إزار . ولما دخل في طريقه إلى الموصل سمع كتاب العقيلي في الجرح والتعديل ، فنار عليه الخنفية بسبب أبي حنيفة ، فخرج منها أيضاً خائفاً يترقب ، فلما ورد دمشق كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة برواق الحنابلة من جامع دمشق ، فاجتمع الناس عليه وإليه ، وكان رقيق القلب سريع الدمعة ، فحصل له قبول من الناس جدا ، فحسده بنو الزكى والدولوى وكبار الدماشقة من الشافعية وبعض الحنابلة ، وجهزوا الناصح الحنبلى ، فسلم تحت قبة النسر ، وأمره أن يبحر بصوته مهما أمكنه ، حتى يشوش عليه ، فحول عبد الغنى ميعاده إلى بعد المصرف فذكر يوماً عقيدته على الكرسى فنار عليه القاضى ابن الزكى ، وضياء الدين الدولوى ، وعقدوا له مجلساً في القلعة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة خمس وتسعين . وتكلموا معه في مسألة العلو ومسألة النزول ، ومسألة الحرف والصوت ، وطال الكلام وظهر عليهم بالحجة ، فقال له برغش نائب القلعة : كل هؤلاء على الضلالة وأنت على الحق ؟ [قال نعم] فنضب برغش من ذلك وأمره بالخروج من البلد ، فارتحل بعد ثلاث إلى بعلبك ، ثم إلى القاهرة ، فأواه الطعانيون فكان يقرأ الحديث بها فنار عليه الفقهاء بمصر أيضاً وكتبوا إلى الوزير صفى الدين بن شكر فأقر بمنيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وله سبع وخمسون سنة ، ودفن بالترافة عند الشيخ أبي عمرو بن مرزوق رحمه الله . قال السبط : كان عبد الغنى ورعاً زاهداً عابداً ، يصلى كل يوم ثلاثمائة ركعة كورد الامام أحمد ، ويقوم الليل ويصوم عامة السنة ، وكان كريماً جواداً لا يدخر شيئاً ، ويتصدق على الأراذل والأيتام حيث لا يراه أحد ، وكان يرفع ثوبه و يؤثر بمن الجديد ، وكان قد ضعف بصره من كثرة المطالبة والبكاء وكان أوحده زمانه في علم الحديث والحفظ . قلت : وقد هذب شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى كتابه الكمال في أسماء الرجال - رجال الكتب الستة - بهذيبه الذى استدرك عليه فيه أما كن كثيرة ، فهو من ألف موضع ، وذلك الامام المزى الذى لا يمارى ولا يجارى ، وكتابه التهذيب لم يسبق إلى مثله ، ولا يلحق في شكله فرحمهما الله ، فلقد كانا نادرين في زمانهما في أسماء الرجال حفظاً وإتقاناً وسماحاً وإسماحاً وسرداً للتون وأسماء الرجال ، والحاسد لا يفلح ولا ينال منالا طائلاً .

قال ابن الأثير : وفيها توفى . أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي

صاحب تلمة التلمة أسعد بن أبى الفضل بن محمود بن خلف العجلي الفقيه الشافعى الأصبهانى

الواعظ منتخب الدين ، معجم الحديث وتفقه وبرع وصنف تنمة التتمة لأبي سعد المهر وى ، كان زاهدا حابدا ، وله شرح مشكلات الوسيط والوحي ، توفي في صفر سنة مائة .

البناني الشاعر

أبو عبد الله محمد بن المهنا الشاعر المعروف بالبناني ، مدح الخلفاء والوزراء وغيرهم ، ومدح وكبر وعلمت سنة ، وكان رقيق الشعر ظريفه قال :

ظلماً ترى مغرمًا في الحب تزجره * وغيره بالهوى أمسيت تنكره
يا ذا كل الصبر لو عانيت قائله * لو جنه وعذار كنت تعذره
أندى الذى بسحر عينيه يملنى * إذا تصدى لقتلى كيف أسهره
يستمتع الليل في نوم وأسهره * إلى الصباح وينسائي وأذكره
أبو سعيد الحسن بن خالد

ابن المبارك النعماني المارداني الملقب بالوحيد ، اشتغل في حدائنه بلم الأواهل وأتقنه وكانت له يد طول في الشعر الرائق ، فن ذلك قوله قائله الله .

أناني كتاب أنشأته أنامل * حوث أبحراً من فيضها يفرق البحر
فرا عجباً أنى التوت فوق طرسه * وما عودت بالقبح أنملة المشر
وله أيضاً لقد أنرت صدغه في لون خديه * ولا ح كفى من وراء زجاج
ترى عسكرياً في الريح مذبذب * كطائفة تسمى ليوم هياج
أم الصبح بالليل البهيم موشح * حكي آبنوساً في صحيفة عاج
لقد ظار صدغه على ورد خديه * فسيجه من شعره بسياج
الطاووسى صاحب الطريقة .

العراقي محمد بن العراقي

ركن الدين أبو الفضل القزويني ، ثم الحمداني ، المعروف بالطاوسى ، كان بارعا في علم الخلاف والجدل والناظر ، أخذ علم ذلك عن رضى الدين النيسابورى الحنفي ، وصنف في ذلك ثلاث تعاليق قال ابن خلكان : أحسن الواسطى ، وكانت إليه الرحلة بهمدان ، وقد بقى له بعض الخجبة بها مدرسة تعرف بالحاجبية ، ويقال إنه منسوب إلى طاووس بن كيسان التابى قائله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وستائة

فيها عزل الخليفة ولده محمد الملقب بالظاهر عن ولاية العهد بعد ما خطب له سبعة عشرة سنة ، وولى العهد ولده الآخر عليا ، فأت على من قريب فقاد الأمر إلى الظاهر ، فبويح له بالخلافة

بعد أبيه الناصر كما سيأتي في سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة .

وفيها وقع حريق عظيم بدار الخليفة في خزائن السلاح ، فاحترق من ذلك شيء كثير من السلاح والأمتعة والمساكن ما يقارب قيمته أربعة آلاف ألف دينار ، وشاع خبر هذا الحريق في الناس ، فأرسلت الملوك من سائر الأقطار هدايا أسلحة إلى الخليفة عوضاً عن ذلك وفوقه من ذلك شيئاً كثيراً .

وفيها عانت الكرج بيلاد المسلمين قتلوا خلقاً ، وأسرُوا آخرين . وفيها وقعت الحرب بين أمير مكة قتادة الحسيني ، وبين أمير المدينة سالم بن قاسم الحسيني ، وكان قتادة قد قصد المدينة فحصر سالماً فيها ، فركب إليه سالم بعد ما صلى عند الحجرة فاستنصر الله عليه ، ثم برز إليه فكسره وساق وراءه إلى مكة فحصره بها ، ثم إن قتادة أرسل إلى أمراء سالم فأقدم عليه ففكر سالم راجعاً إلى المدينة سالماً .

وفيها ملك غياث الدين كيخسرو بن قلاج أرسلان بن مسعود بن قلاج بلاد الروم واستنبلها من ابن أخيه ، واستقر هو بها وعظم شأنه وقويت شوكته ، وكثرت عساكره وأطاعه الأمراء وأصحاب الأطراف ، وخطب له الأفضل بن سلاح الدين بسميساط ، وسار إلى خدمته . واتفق في هذه السنة أن رجلاً ببغداد نزل إلى دجلة يسبح فيها وأعطى ثيابه لفلان ففرق في الماء فوجد في ورقة بيمينه هذه الآيات :

يا أيها الناس كنْ لي أُمِّ . * قصرَ بي عن بلوغِ الأجلِ

فلينقِ اللهُ ربهُ رجلٌ * أمكنهُ في حياته العملُ

ما أنا وحدي بفناء بيتٍ * يرى كلُّ إلى مثله سينقلُ

وفيها توفي من الأعيان . أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلبي

المعروف بشميم ، كان شيعياً أديباً لغوياً شاعراً جمع من شعره حماسة كان يفضلها على حماسة أبي تمام ، وله خريات يزعم أنها أغزل من التي لأبي نواس . قال أبو شامة في الذيل : كان قليل الدين ذا حماقة ورقاعة وخلاعة ، وله حماسة ورسائل . قال ابن الساعي : قدم بغداد فأخذ النحو عن ابن الخشاب ، حصل منه طرفاً صالحاً ، ومن اللغة وأشعار العرب ، ثم أقام بالموصل حتى توفي بها . ومن شعره :

لا تَسْرَحَنَّ الطرفُ في مَقَلِّها * فصَّارِعُ الآجالِ في الآمالِ

كم نظرةٍ أَرَدْتُ وما أَخَرْتُ * وكَمْ يدٍ قَبِلْتُ أوَّانُ قتالِ

سَنَحْتُ وما مَمَحْتُ بِقَسْلِمَةٍ * وأَغْلَلِ النَحِيَّةَ فَعَلَةُ الخِثَالِ

وله في التعنيس :

ليت من طولِ بالٍ * أم نَوَاهُ ونَوَاهُ بَرٍ * جعلَ العُودَ إلى الزو * رامٍ من بعضِ نوابِه

أنرى بوطنتى الله * رثرى مسك ترابه * وأرانى نور عيني * موطنالى ونرى به
وله أيضاً فى الحر وغيره :

أبو نصر محمد بن سعد الله^(١)

ابن نصر بن سعيد الأرتاحى ، كان سخيّاً بهياً واعظاً حنبلياً فاضلاً شاعراً مجيداً وله :

نفسُ الفقى إن أصلحتُ أحوالها * كأنْ إلى نيلِ المنى أحوى لها
وإن تراها سددتْ أقوالها * كأنْ على حملِ الملى أقوى لها
فإن تبتتْ حالُ من لها لها * فى قبره عند البلى لها لها
أبو العباس أحمد بن مسعود

ابن محمد القرطابى الطرزي ، كان إماماً فى التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة
والعرض والعلب ، وله تصانيف حسان ، وشعر رائق منه قوله :

وفى الوجنات ما فى الروض لكن * لرونى زهرها معنى عجيب
وأمجبت ما التمجبت منه * أنى لتياري تحمله عصب^(٢)
أبو الفداء إسماعيل بن برنيس السنجارى

مولى صاحبها عماد الدين زنكى بن مودود ، وكان جندياً حسن الصورة مليح النظم كثير الأدب
ومن شعره ما كتب به إلى الأشرف موسى بن المادل يعزى به فى أنح له اسمه يوسف :

دموع المعالى والمكارم أذرفت * وربيع العلى قاع لغدك صفصف
غدا الجلود والمعروف فى الأحيد ناوياً * غداة نوى فى ذلك اللحد يوسف
مضى خطفت يد المنية روحه * وقد كأن للأرواح بالبيض بغطف
سقتة ليلالى الدهر كأسن حمامها * وكان بسقى الموت فى الحرب يعرف
فوا حسرتا لو ينفع الموت حسرة * ووا أسفا لو كأن يجدى التأسف
وكان على الارزاق نفسى قوية * ولكنها عن حمل ذا الرزق تضعف
أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلى

تفقه بالنظامية وسمع الحديث ، وصنف التاريخ وغيره ، وتفرّد بحسن كتابة الشروط ، وله
فضل ونظم ، فمن شعره :

أمرض قلبى ، ما لهجرك آخر * ومسرطرى ، هل خيالك زائر
ومستعذب التمديب جوراً بصدم * أمالك فى شرع المحبة زاجر
هنيئاً لك القالب الذى قد وقفته * على ذكر أيامى وأنت مسافر

(١) فى النجوم الزاهرة : محمد بن أحمد بن حامد أبو عبد الله (٢) كذا فى الأصل والبيت مضطرب فليحذر

فلا تارق الحزنُ المبرحُ خاطري • لبيدك حتى يجمعَ الشمكُ قادرُ
فان مثَّ فالتسليمُ مني عليكم • يماودكم ما كبرَ اللهُ ذاكرُ
أبو السعادات الحلبي

التاجر البغدادي الرافضي ، كان في كل جمعة يلبس لأمة الحرب ويقف خلف باب داره ،
والباب مجاف عليه ، والناس في صلاة الجمعة ، وهو ينتظر أن يخرج صاحب الزمان من سرداب
سامرا - يعني محمد بن الحسن العسكري - ليميل بسيفه في الناس نصرة للهدى .
أبو غالب بن كمنونة اليهودي
الكتاب ، كان يزور على خط ابن مقله من قوة خطه ، توفي لعنه الله بعمورة واسط ، ذكره
ابن الساعي : في تاريخه .

ثم دخلت سنة ثنتين وستائة

فيها وقعت حرب عظيمة بين شهاب الدين محمد بن سام الغوري ، صاحب غزنة ، وبين بني
بوكر أصحاب الجبل الجودي ، وكانوا قد ارتدوا عن الاسلام فقاتلهم وكسروهم وغنم منهم شيئا كثيرا
لا يعد ولا يوصف ، فأتبعه بعضهم حتى قتله غيلة في ليلة مستهل شعبان منها بعد العشاء ، وكان رحمه الله
من أجود الملوك سيرة وأعقلهم وأثبتهم في الحرب ، ولما قتل كان في محبته نغر الدين الرازي ، وكان
يجاس لودظ بمحضرة الملك ويعظه ، وكان السلطان يبكي حين يقول في آخر مجلسه ياسلطان سلطانتك
لا يبقى ، ولا يبقى الرازي أيضاً وإن مردنا جميعا إلى الله ، وحين قتل السلطان اتهم الرازي بعض
الخاصكية بقتله ، فخاف من ذلك والتجأ إلى الوزير مؤيد الملك بن خواجا ، فسأله إلى حيث يأمن
وتلك غزنة بعده أحد مماليكه تاج الدر ، وجرت بعد ذلك خطوب يطول ذكرها ، قد استقصاها
ابن الأثير وابن الساعي .

وفيها أغارت الكرج على بلاد المسلمين فوصلوا إلى أخلاط وقتلوا وسبوا وقاتلهم المقاتلة العامة .
وفيها سار صاحب إربل مظفر الدين كوكري ومحبته صاحب مراغة لقتال ملك أذربيجان ، وهو أبو
بكر بن البهلول ، وذلك لنكوله عن قتال الكرج وإقباله على السكر ليلا ونهاراً ، فلم يقدروا عليه ، ثم
إنه تزوج في هذه السنة بنت ملك الكرج ، فانكف شرم عنه . قال ابن الأثير : وكان كما يقال
أحمد سيفه وسل أبره . وفيها استوزر الخليفة نصير الدين ناصر بن مهدي ناصر العلوي الحسني وخلع
عليه بالوزارة وضربت الطبول بين يديه وعلى بابه في أوقات الصلوات . وفيها أغار صاحب بلاد
الأرمن وهو ابن لاون على بلاد حلب فقتل وسبي ونهب ، فخرج إليه الملك الظاهر غازي بن الناصر
فهرب ابن لاون بين يديه ، فهزم الظاهر قلعة كان قد بناها ودكها إلى الأرض . وفي شعبان منها

هدمت القنطرة الرومانية عند الباب الشرقي، ونشرت حجارتها ليلط بها الجامع الأموي بسفارة الوزير صفي الدين بن شكر، وزير العدل، وكل تبليطه في سنة أربع وستائة.

وفيهما توفي من الأعيان. شرف الدين أبو الحسن

علي بن محمد بن علي جمال الاسلام الشهير زوري، بمدينة حمص، وقد كان أخرج إليها من دمشق، وكان قبل ذلك مدرساً بالأمينية والحلقة بالجامع تجاه البرادة، وكان لديه علم جيد بالذهب والخلاف.

التقي عيسى بن يوسف

ابن أحمد العراقي الضرير، مدرس الأمينية أيضاً، كان يسكن المنارة الغربية، وكان عنده شاب يخدمه ويقود به فقدم للشيخ دراهم فاتهم هذا الشاب بها فلم يثبت له عنده شيئاً، واتهم الشيخ عيسى هذا بأنه يلوّط به، ولم يكن يظن الناس أن عنده من المال شيء، فضاع المال واتهم عرضه، فأصبح يوم الجمعة السابع من ذي القعدة مشنوقاً ببيتته بالمأذنة الغربية، فامتنع الناس من الصلاة عليه لكونه قتل نفسه، فتقدم الشيخ فخر الدين عبد الرحمن بن عساكر فصلى عليه، فاتهم به بعض الناس قال أبو شامة: وإنما حمله على ما فعله ذهاب ماله والوقوع في عرضه، قال وقد جرى لي أخت هذه القضية فمصنّى الله سبحانه بفضلها، قال وقد درس بعده في الأمينية الجمال المصري وكيل بيت المال

أبو الفنائم المراكبي سهرادر البغدادي

كان يخدم مع عز الدين فجاج السراي، وحصل أموالاً جزيلة، كان كلما تهيأ له مال اشترى به ملكاً وكتبه باسم صاحب له يعتمد عليه، فلما حضرته الوفاة أوصى ذلك الرجل أن يتولى أولاده وينفق عليهم من ميراثه مما ترك لهم، فرفض الموصى إليه بعد قليل فاستدعى الشهود ليشهدم على نفسه أن ما في يده لورثة أبي الفنائم، فنادى ورثته باحضار الشهود وطولوا عليه وأخذته سكتة فمات فاستولى ورثته على تلك الأموال والأموال، ولم يقضوا أولاد أبي الفنائم منها شيئاً مما ترك لهم.

أبو الحسن علي بن سعاد الفاروسي

تفقه ببغداد وأعاد بالنظامية وناب في تدريسها واستقل بتدريس المدرسة التي أنشأتها أم الخليفة وأزيد على نيابة القضاء عن أبي طالب البخاري فامتنع فألزم به فباشره قليلاً، ثم دخل يوماً إلى مسجد فلبس على رأسه منزر صوف، وأمر الوكلاء والجلالوة أن ينصرفوا عنه، وأشهد على نفسه بعزلها عن نيابة القضاء، واستمر على الاعادة والتدريس رحمه الله. وفي يوم الجمعة العشرين من ربيع

الخالقون

الأول توفيت

أم السلطان الملك المعظم عيسى بن العدل، فدفنت بالقبة بالمدرسة المعظمية بسفح قايسون.

الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجدى

أمير الحاج وزعيم بلاد خوزستان ، كان شيعياً خيراً حسن السيرة كثير العبادة ، غالباً في التشيع ، توفي بتستر ثاني جمادى الآخرة وحمل تابوته إلى الكوفة فدفن بمشهد على لوصيته بذلك ، هكذا ترجمه ابن الساعى في تاريخه ، وذكر أبو شامة في الذيل أنه طاشتكين بن عبد الله المقتوى أمير الحاج ، حج بالناس سناً وعشرين سنة ، كان يكون في الحجاز كأنه ملك ، وقد رماه الوزير ابن يونس بأنه يكاتب صلاح الدين فحبسه الخليفة ، ثم تبين له بطلان ما ذكر عنه فأطلقه وأعطاه خوزستان ثم أعاده إلى إمرة الحج ، وكانت الحلة الشيعية إقطاعه ، وكان شجاعاً جواداً ممحاً قليل الكلام ، مضى عليه الأسبوع لا يتكلم فيه بكلمة ، وكان فيه حلم واحتمال ، استغاث به رجل على بعض نوابه فلم يرد عليه ، فقال له الرجل المستغيث : أحمار أنت ؟ فقال : لا . وفيه يقول ابن التعاويذى .

وأمر على البلاد مولى * لا يجيب الشاكي بغير السكوت

كلما زاد رفعة حطنا إلا * بتفيله إلى البهوت

وقد سرق فراشه حياجبه له فأرادوا أن يستقروه عليها ، وكان قد رآه الأمير طاشتكين حين أخذها فقال : لا تماقبوا أحداً ، قد أخذها من لا يردّها ، ورآه حين أخذها من لا ينم عليه ، وقد كان بلغ من العمر تسعين سنة ، واتفق أنه استأجر أرضاً مدة ثلاثمائة سنة للوقوف ، فقال فيه بعض المضحكين : هذا لا يوقن بالموت ، عمره تسعون سنة واستأجر أرضاً ثلاثمائة سنة ، فاستضحك القوم والله سبحانه وتعالى أعلم . ثم دخلت سنة ثلاث وستمائة

فيها جرت أمور طويلة بالشرق بين الغورية والخوازرية ، وملكهم خوارزم شاه بن تكش ببلاد الطالقان . وفيها ولي الخليفة القضاء ببغداد لعبس الله بن الدامغانى . وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبس الوهاب ابن الشيخ عبس القادر الجيلاني ، بسبب فسقه وبخوره ، وأحرقت كتبه وأمواله قبل ذلك لما فيها من كتب اللاسفة ، وعلوم الأوائل ، وأصبح يستعطي بين الناس ، وهذا بخطيئة قيامه على أبي الفرج ابن الجوزى ، فانه هو الذى كان وشى به إلى الوزير ابن القصاب حتى أحرقت بعض كتب ابن الجوزى ، وبختم على بقيتها ، ونفى إلى واسط خمس سنين ، والناس يقولون : فى الله كفاية وفى القرآن ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، والصوفية يقولون : الطريق يأخذ . والأطباء يقولون الطبيمة مكافئة . وفيها نازلت الفرنج حصص فقاتلهم ملكها أسد الدين شيركوه ، وأعانه بالمدد الملك الظاهر صاحب حلب فكشف الله شرهم . وفيها اجتمع شبان^(١) ببغداد على الخمر

(١) أحدهما أبو القاسم أحمد بن المقرئ صاحب ديوان الخليفة ، دأب ابن الأمير أصبه . وكان شاباً جليلاً فرماه بسكين فقتله . فسله الخليفة إلى أولاد ابن أصبه فقتلوه . (النجوم ج ٦ ص ١٩٢)

فصرب أحدهما الآخر بسكين فقتله وهرب ، فأخذ فقتل فوجد معه رقعة فيها بيتان من نظمه أمر
أن تجمل بين أ كفانه :

فدعت على الكريم بغير زاد * من الأعمال بالقلب السليم
وسوء الظن أن تمتد زادا * إذا كان القدوم على كريم
وفيها توفي من الأعيان .
الفقيه أبو منصور

عبد الرحمن بن الحسين بن النعمان النبلي ، الملقب بالقاضى شريح لذكائه وفضله وبرعائه وعقله
وكمال أخلاقه ، ولى قضاء بلده ثم قدم بغداد فندب إلى المناصب السكار فأباه ، خلف عليه الأمير
طاشتكين أن يعمل عنده فى الكتابة فخدمه عشرى سنة ، ثم وصى به الوزير ابن مهدى إلى المهدي
فحبسه فى دار طاشتكين إلى أن مات فى هذه السنة ، ثم إن الوزير الوائى عما قريب حبس بها أيضاً ،
وهذا مما نحن فيه من قوله : كما تدين تدان .

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر

كان ثقة عابداً زاهداً ورعاً ، لم يكن فى أولاد الشيخ عبد القادر الجبلى خير منه ، لم
يدخل فى دخلها فيه من المناصب والولايات ، بل كان متقللاً من الدنيا مقبلاً على أمر الآخرة ،
وقد سمع الكثير وسمع عليه أيضاً .

أبو الحزم مكي بن زيان

ابن شبة بن صالح الماسكى ، من أعمال سنجار ، ثم الموصلى النحوى ، قدم بغداد وأخذ
على ابن الخشاب وابن القصار ، والكمال الأنبارى ، وقدم الشام فانتفع به خلق كثير منهم الشيخ علم
الدين السخاوى وغيره وكان ضريراً ، وكان يتمصب لأبى العلاء الممرى لما بينهما من القدر المشترك
فى الأدب والعلم ، ومن شعره :

إذا احتاج النوال إلى شفيع * فلا تقبله تصبىح قرير عي
إذا عيف النوال لفرد من * فأولى أن يعاف لنتين
ومن شعره أيضاً :

نفس فداء لأعظم غنج * قال لنا الحق حين ودعنا
من ود شيئاً من حبه طمعاً * فى قلبه للوداع ودعنا
إقبال الخادم

جمال الدين أحد خدام صلاح الدين ، واقف الاقباليين الشافعية والحنفية ، وكانتا دارين فجمعهما
مدرستين ، ووقف عليهما وقفاً الكبيرة للشافعية والصغيرة للحنفية ، وعليها ثلث الوقف . توفى بالقدس

رحمه الله . ثم دخلت سنة أربع وستمائة

فيها رجع الحجاج إلى العراق وهم يدعون الله ويشكون إليه ما لقوا من صدر جهان البخاري الحنفي ، الذي كان قدم بغداد في رسالة فاحتفل به الخليفة ، وخرج إلى الحج في هذه السنة ، فضيق على الناس في المياه والميرة ، فمات بسبب ذلك ستة آلاف من جميع العراق ، وكان فيما ذكروا يأمر غلمانهم فتسويق إلى المناهل فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونه حول خيمته في قيط الحجاز ويستقونه للبقولات التي كانت تحمل معه في زراعتها ، ويمنعون منه الناس وابن السبيل ، الآمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ، فلما رجع مع الناس لعنته العامة ولم تحتفل به الخاصة ولا أكرمه الخليفة ولا أرسل إليه أحداً ، وخرج من بغداد والعامة من ورائه يرحونه ويلعنونه ، وسماه الناس صدر جهنم ، نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأل أن يزيدنا شفقة ورحمة لعباده ، فانه إنما يرحم من عباده الرحاء . وفيها قبض الخليفة على وزيره ابن مهدى العلوي ، وذلك أنه نسب إليه أنه يروم الخلافة ، وقيل غير ذلك من الأسباب ، والمقصود أنه حبس بدار طاشتكين حتى مات بها ، وكان جباراً عنيداً ، حتى قال بعضهم فيه :

خيلبي قولاً للخليفة وانصحا * توقى وقيت السوء ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعة يا خير البرية ضائع
فإن كان حقاً من سلالة حيدر * فهذا وزير في الخلافة طامع
وإن كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

وقيل : إنه كان عفيفاً عن الأموال حسن السيرة جيد المباشرة فله أعلم بحاله . وفي رمضان منها رتب الخليفة عشرين داراً للضيافة يفر فيها الصائمون من الفقراء ، يطبخ لهم في كل يوم فيها طعام كثير ويحمل إليها أيضاً من الخبز النقي والحلواء شيء كثير ، وهذا الصنيع يشبه ما كانت قریش تفعله من الرفادة في زمن الحج ، وكان يتولى ذلك عمه أبو طالب ، كما كان العباس يتولى السقاية ، وقد كانت فيهم السفارة والأواء والندوة له ، كما تقدم بيان ذلك في مواضعه ، وقد صارت هذه المناصب كلها على أتم الأحوال في الخلفاء العباسيين . وفيها أرسل الخليفة الشيخ شهاب الدين الشهرزوري وفي صحبته سنقر السلحدار إلى الملك العادل بالخلمة السنية ، وفيها العاوق والسواران ، وإلى جميع أولاده بالخلم أيضاً . وفيها ملك الأوحى بن المادل صاحب ميفارقين مدينة خلاط بعد قتل صاحبها شرف الدين بكتسر ، وكان شاباً جميل الصورة جداً ، قتله بعض مماليكهم^(١) ثم قتل القاتل أيضاً ، فغلا البلد عن ملك فأخذها الأوحى بن المادل .

وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش بلاد ما وراء النهر بعد حروب طويلة . اتفق له في بعض

(١) اسمه : المزار ديناري (انظر النجوم ج ٦ ص ١٨٨) .

المواقف أمر عجيب ، وهو أن المسلمين انهزموا عن خوارزم شاه وبقى معه عصابة قليلة من أصحابه ، قتل منهم كفار الخطا من قتلوا ، وأسروا خلقاً منهم ، وكان السلطان خوارزم شاه في جملة من أسروا ، أسره رجل وهو لا يشمر به ولا يدري أنه الملك ، وأسره معه أميراً يقال له مسعود ، فلما وقع ذلك وتراجعت المساكر الإسلامية إلى مقرها قدوا ، سلطاناً فاختبطوا فيما بينهم واختلفوا اختلافاً كثيراً وانزعجت خراسان بكاملها ، ومن الناس من حلف أن السلطان قد قتل ، وأما ما كان من أمر السلطان وذلك الأمير فقال الأمير للسلطان : من المصاحبة أن تترك اسم الملك عنك في هذه الحالة ، وأظن أنك غلام لي ، فقبل منه ما قال وأشار به ، ثم جعل الملك يخدم ذلك الأمير بلبسه ثياباً ويسقيه الماء ويصنع له الطعام ويضعه بين يديه ، ولا يألو جهداً في خدمته ، فقال الذي أسره : إني أرى هذا يخدمك فمن أنت ؟ فقال : أنا مسعود الأمير ، وهذا غلامي ، فقال : والله لو علم الأمراء أني قد أسرت أميراً وأطلقتني لأطلقتك ، فقال له : إني إنما أخشى على أهلي ، فانهم يظنون أني قد قتلت وقيميون المآثم ، فان رأيت أن تفاديني على مال وترسل من يقبضه منهم فعلت خيراً ، فقال : نعم ، فممن رجلا من أصحابه فقال له الأمير مسعود : إن أهلي لا يعرفون هذا ولكن إن رأيت أن أرسل معه غلامي هذا فعلت ليشرهم بحياتي فانهم يعرفونه ، ثم يسعى في تحصيل المال ، فقال : نعم ، فجزر معهما من يحفظهما إلى مدينة خوارزم شاه . فلما دنوا من مدينة خوارزم سبق الملك إليهما . فلما رآه الناس فرحوا به فرحاً شديداً ، ودقت البشار في سائر بلاده ، وعاد الملك إلى نصابه ، واستقر السرور بإيابه ، وأصلح ما كان وهي من مملكته بسبب ما اشتهر من قتله ، وحاصر هراة وأخذها عنوة . وأما الذي كان قد أسره فانه قال يوماً للأمير مسعود الذي يتوجه لي وينوون به أن خوارزم شاه قد قتل ، فقال : لا ، هو الذي كن في أسرك ، فقال له : فهلا أعلمتني به حتى كنت أردته موقراً معظماً ؟ فقال : خفتك عليه ، فقال : سر بنا إليه ، فساروا إليه فأكرمهما إكراماً زائداً ، وأحسن إليهما . وأما غدر صاحب سمرقند فانه قتل كل من كان في أسره من الخوارزمية ، حتى كان الرجل يقطع قلعتهين ويماق في السوق كما تقاتل الأغنام ، وعزم على قتل زوجته بنت خوارزم شاه ثم رجع عن قتلها وحبسها في قلعة وضيق عليها ، فلما بلغ الخبر إلى خوارزم شاه سار إليه في الجنود فنازله وحاصر سمرقند فأخذها قهراً وقتل من أهلها نحواً من مائتي ألف ، وأنزل الملك من القلعة وقتله صبراً بين يديه ، ولم يترك له نسلاً ولا عقباً ، واستنحوذ خوارزم شاه على تلك الممالك التي هنالك ، وتحارب الخطا وملك التتار كشلي خان المتاخم لمملكة الصين ، فكتب ملك الخطا لخوارزم شاه يستنجد على التتار ويقول : متى غلبونا خلعوا إلى بلادك ، وكذا وكذا . وكتب التتار إليه أيضاً يستنصرونه على الخطا ويقولون : هؤلاء أعداؤنا وأعداؤك ، فكن معنا عليهم ، فكتب إلى

كل من الفريقين يطيب قلبه ، وحضر الورقة بينهم وهو متحيز عن الفريقين ، وكانت الدائرة على الخطأ ، فهلكوا إلا القليل منهم ، وغدر التتار ما كانوا عاهدوا عليه خوارزم شاه ، فوقعت بينهم الوحشة الأكيدة ، وتواعدوا للقتال ، وخاف منهم خوارزم شاه وخرب بلاداً كثيرة متاخمة لبلاد كشي خان خوفاً عليها أن يملكها ، ثم إن جنكيز خان خرج على كشي خان ، فاشتغل بمحاربته عن محاربته خوارزم شاه ، ثم إنه وقع من الأمور الغريبة ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفيهما كثرت غارات الفرنج من طرابلس على نواحي حمص ، فضعف صاحبها أسد الدين شيركوه عن مقاومتهم ، فبعث إليه الظاهر صاحب حلب عسكرياً قواه بهم على الفرنج ، وخرج العادل من مصر في العساكر الإسلامية ، وأرسل إلى جيوش الجزيرة فوافوه على عكازها ، لأن القبارصة أخذوا من أسطول المسلمين قطعاً فيها جماعة من المسلمين ، فطلب صاحب عكاز الأمان والصالح على أن يرد الأسارى ، فأجابته إلى ذلك ، وسار العادل فتزل على بحيرة قدس قريباً من حمص ، ثم سار إلى بلاد طرابلس ، فأقام اثني عشر يوماً يقتل ويأسر ويغنم ، حتى جنح الفرنج إلى المهادنة ، ثم عاد إلى دمشق .

وفيهما ملك صاحب آذربيجان الأمير نصير الدين أبو بكر بن البهلول مدينة مراغة لظهورها عن ملك قاهر ، لأن ملكها مات وقام بالملك بعده ولده صغير ، فبدر أمره خادم له . وفي غرة ذي القعدة شهد محيي الدين أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي عند قاضي القضاة أبي القاسم بن الدامغانى ، فقبله وولاه حسبة جانبى بغداد ، وخلع عليه خلة سفية سوداء بطرحة كحلية ، وبعد عشرة أيام جلس للوعظ مكان أبيه أبي الفرج بباب درب الشريف ، وحضر عنده خلق كثير . وبعد أربعة أيام من يومئذ درس بمشهد أبي حنيفة ضياء الدين أحمد بن مسعود الركسانى الحنفى ، وحضر عنده الأعيان والأكابر وفي رمضان منها وصلت الرسل من الخليفة إلى العادل بالخلع ، فلبس هو وولده العظيم والأشرف ووزيره صفى الدين بن شكر ، وغير واحد من الأمراء ، ودخلوا القلعة وقت صلاة الظهر من باب الحديد ، وقرأ التقليد الوزير وهو قائم ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها درس شرف الدين عبد الله ابن زين القضاة عبد الرحمن بالمدرسة الرواحية بدمشق . وفيها انتقل الشيخ الخير بن البغدادى من الحنبلية إلى مذهب الشافعية ، ودرس بمدرسة أم الخليفة ، وحضر عنده الأكابر من سائر المذاهب . وفيها توفى من الأعيان الأمير بنيامين بن عبد الله

أحد أمراء الخليفة الناصر ، كان من سادات الأمراء عقلاً وعفة ونزاهة ، سقاها بعض الكتاب من النصرارى سقامات . وكان اسم الذى سقاها ابن ساوا ، فسلمه الخليفة إلى غلمان بليامين فشفع فيه ابن مهندى الوزير وقال : إن النصرارى قد بدلوا فيه خمسين ألف دينار ، فكتب الخليفة على رأس الورقة

إن الأسود أسودُ الغابِ همتها * يومَ الكريهةِ في الملوأبِ لا السلبِ
ففسله فلان بنيامين قتلوه وحرقوه ، وقبض الخليفة بعد ذلك على الوزير ابن مهدي كما تقدم

حنبل بن عبد الله

ابن الفرج بن سعادة الرصافي الحنبلي ، المكبر بجماع المهدي ، راوى مسند أحمد عن ابن الحصين
عن ابن المنذهب عن أبي مالك عن عبد الله عن أبيه ، عمر تسعين سنة وخرج من بغداد فأسمعه
باربل ، واستقدمه ملوك دمشق إليها فسمع الناس بها عليه المسند ، وكان المظلم يكرمه ويأكل عنده
على السباط من الطيبات ، فتصيبه التهمة كثيراً ، لأنه كان فقيراً ضيق الامعاء من قلة الأكل ، خشن
العيش ببغداد ، وكان الكندي إذا دخل على المظلم يسأل عن حنبل فيقول المظلم هو متخوم ،
فيقول أطعمه المدس فيضحك المظلم ، ثم أعطاه المظلم مالا جزيلاً ورده إلى بغداد فتوفي بها ، وكان
مولده سنة عشر وخمسمائة ، وكان معه ابن طبرزد ، فتأخرت وفاته عنه إلى سنة سبع وستائة .

عبد الرحمن بن عيسى

ابن أبي الحسن المروزي الواعظ البغدادي ، سمع من ابن أبي الوقت وغيره ، واشتغل على ابن
الجوزي بالوعظ ، ثم حدثته نفسه بمضاهاته وشتمت نفسه ، واجتمع عليه طائفة من أهل باب النصيرة
ثم تزوج في آخر عمره وقد قارب السبعين ، فاعتزل في يوم بارد فانتفخ ذكره فمات في هذه السنة .

الأمير زين الدين قراجا الصلحي

صاحب صرخد ، كانت له دار عند باب الصندير عند قناة الزلاقة ، وتربته بالسفح في قبة على
جادة الطريق عند تربة ابن تميرك ، وأقر العادل ولده يعقوب على صرخد .

عبد العزيز الطيب

توفي فجأة ، وهو والد سعد الدين العالبيب الأشرفي ، وفيه يقول ابن عنين :
فرارى ولا خلف الخطيب جماعة * وموت ولا عبد العزيز طيب .

العفيف بن الدرعي

وفيها توفي

إمام مقصورة الحنفية الغربية بجامع بني أمية .

أبو محمد جعفر بن محمد

ابن محمود بن هبة الله بن أحمد بن يوسف الاربلي ، كان فاضلاً في علوم كثيرة في الفقه على
مذهب الشافعي ، والحساب والفرائض والهندسة والأدب والنحو ، وما يتماق به علوم القرآن العزيز
وغير ذلك . ومن شعره :

لا يدفعُ المرءُ ما يأتي به القدرُ * وفي الخطوب إذا فكرت معتبرُ

فليس ينجي من الأقدار إن نزلت * رأى وحزم ولا خوف ولا حذر
فاستعمل الصبر في كل الأمور ولا * نجزع لشيء فمضى صبرك الظفر
كم مسنا عسر فصرقه لا * الله عنا وولى بعده يسر
لا ييسر المرء من روح الآله فإ * يئس منه إلا عصبة كفروا
إني لأعلم أن الدهر ذو دول * وأن يومه ذا أمن وذو خطر

ثم دخلت سنة خمس وستائة

في محرمها كل بناء دار الضيافة ببغداد التي أنشأها الناصر لدين الله بالجانب الغربي منها للحجاج والمارة لهم الضيافة ما داموا نازلين بها ، فإذا أراد أحدهم السفر منها زود وكسى وأعطى بعد ذلك ديناراً ، جزاء الله خيراً . وفيها عاد أبو الخطاب ابن دحية الكلبي من رحلته العراقية فاجتاز بالشام فاجتمع في مجلس الوزير الصفي هو والشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي شيخ اللغة والحديث ، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى إلى [قول] إبراهيم عليه السلام : إنما كنت خليلاً من وراء وراء ، بفتح اللفظتين ، فقال الكندي من وراء وراء بضمهما ، فقال ابن دحية للوزير ابن شكر : من هذا ؟ فقال : هذا أبو اليمن الكندي ، فقال منه ابن دحية ، وكان جريشاً ، فقال الكندي : هو من كاب ينبج كما ينبج الكلب . قال أبو شامة : وكانا اللفظتين محكية ، وحكى فيهما الجرايضاً . وفيها عاد نحر الدين ابن تيمية خطيب من حران من الحج إلى بغداد وجلس بباب بدر للوعظ ، مكان محبي الدين يوسف بن الجوزي ، فقال في كلامه ذلك :

وابن البون إذا ما لُزَّ في قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

كأنه يعرض بابن الجوزي يوسف ، لكونه شاباً ابن خمس وعشرين سنة والله أعلم .

وفي يوم الجمعة ناسع محرم دخل مملوك أفرنجي من باب مقصورة جامع دمشق وهو سكران وفي يده سيف مسلول ، والناس جلوس ينتظرون صلاة الفجر ، قال على الناس يضربهم بسيفه فقتل اثنين أو ثلاثة ، وضرب المنبر بسيفه فأنكسر سيفه فأخذوا ودع المارستان ، وشنق في يومه ذلك على جسر البادين .

وفيها عاد الشيخ شهاب الدين السهر وردي من دمشق بهدايا الملك العادل فلتقاء الجيش ومعه أموال كثيرة أيضاً لنفسه ، وكان قبل ذلك فقيراً زاهداً ، فلما عاد منع من الوعظ وأخذت منه الربط التي يباشرها ، ووصل إلى ما بيده من الأموال ، فشرع في تفريقها على الفقراء والمساكين ، فاستغنى منه خلق كثير ، فقال الحجي ابن الجوزي في مجلس وعظه : لا حاجة بالرجل يأخذ أموالاً من غير حقها ويصرفها إلى من يستحقها ، ولو ترك على ما كان كان تركها أولى به من تناولها ، وإنما أراد أن ترتفع

منزلته بينما . و يمد على حاله كما كان مباشره لما بدلتها ، فليحذر العبد الدنيا فانها خداعة غرارة تسترق
لغول العلماء والعباد ، وقد وقع ابن الجوزي فيها بعد فيما وقع فيه السهروردي وأعظم . وفيها قصدت
الفرنج حصص وعبروا على العاصي يجسر عدوة ، فلما عرف بهم العساكر ركبوا في آثارهم فهربوا منهم
قتلوا خلقا كثيرا منهم وغنم المسلمون منهم غنيمة جيدة والله الحمد .

وفيها قتل صاحب الجزيرة ، وكان من أسوأ الناس سيرة وأخبثهم سريرة ، وهو الملك سنجر
شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الاتابكي ، ابن عم نور الدين صاحب الموصل ، وكان
الذي تولى قتله ولده غازي ، توصل إليه حتى دخل عليه وهو في الخلاء سكران ، فضربه بسكين أربع
عشرة ضربة ، ثم ذبحه ، وذلك كله ليأخذ الملك من بدمه فخرمه الله إياه ، فبويع بالملك لأخيه محمود
وأخذ غازي القاتل قتلته من يومه ، فسلبه الله الملك والحياة ، ولكن أراح الله المسلمين من ظلم
أبيه وغشمه وفسقه .

وفيها توفى من الأعيان . أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار

ابن علي الواسطي المعروف بابن السنداي ، آخر من روى المسند عن أحمد بن الحسين ،
وكان من بيت فقه وقضاء وديانة ، وكان ثقة عدلا متورعا في النقل ، وما أنشد من حفظه :
ولو أن ليلى مطلع الشمس دونها * وكانت من وراء الشمس حين تغيب
لحدثت نفسى بانتظار نوالها * وقال المني لى : إنها قريب
قاضي القضاة لمصر

صدر الدين عبد الملك بن درياس المارداني الكردي والله أعلم .

ثم دخلت سنة ست وستائة

في الحرم وصل نجم الدين خليل شيخ الحنفية من دمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، ومعه
هدايا كثيرة ، وتناظر هو وشيخ النظامية مجد الدين يحيى بن الربيع في مسألة وجوب الزكاة في مال
اليقيم والمجنون ، وأخذ الحنفي يستدل على عدم وجوبها ، فاعترض عليه الشافعي فأجاد كل منهما في
الذي أورده ، ثم خلع على الحنفي وأصحابه بسبب الرسالة ، وكانت المناظرة بمحضرة نائب الوزير ابن
شكر . وفي يوم السبت خامس جمادى الآخرة وصل الجمال يونس بن بدران المصري رئيس الشافعية
بدمشق إلى بغداد في الرسلية عن العادل ، فتلقاه الجيش مع حاجب الحجاب ، ودخل معه ابن أخي
صاحب إربل مظفر الدين كوكري ، والرسالة تتضمن الاعتذار عن صاحب إربل والسؤال في الرضا
عنه ، فأجيب إلى ذلك . وفيها ملك العادل الخابور ونصيبين وحاصر مدينة سنجار مدة فلم يظفر بها
ثم صالح صاحبها ورجع عنها .

وفيهما توفي من الأعيان القاضي الأسعد ابن عماني

أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعيد مذهب بن مينا بن زكريا الأسعد بن عماني بن أبي قدامة ابن أبي مليح المصري الكاتب الشاعر ، أسلم في الدولة الصلاحية وتولى نظار الدواوين بمصر مدة قال ابن خلكان : وله فضائل عديدة ، ومصنفات كثيرة ، ونظم سيرة صلاح الدين وكنية ودمنة ، وله ديوان شعر . ولما تولى الوزير ابن شكر هرب منه إلى حلب فأت بها وله ثنتان وستون سنة . فن شعره في قبيل زاره بدمشق :

حكى نهرين وما في الأثر * ضر من يحكمهما أبدا
حكى في خلقه نورا * أراد وفي أخلاقه بردا
أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل

ابن عبد الرحمن بن عبد السلام اللعاني ، أحد الأعيان من الخنيفة ببغداد ، سمع الحديث ودرس بجامع السلطان ، وكان معتزليا في الأصول ، بارعا في الفروع ، اشتغل على أبيه وعمه ، وأتقن الخلاف وعلم المناظرة ، وقارب التسمين .

أبو عبد الله محمد بن الحسن

المروفي بابن الخراساني ، المحدث الناسخ ، كتب كثيرا من الحديث وجمع خطبا له ولغيره وخطه جيد مشهور . أبو المواهب معتوق بن منيع ابن مواهب الخطيب البغدادي ، قرأ النحو واللغة على ابن الخشاب ، وجمع خطبا كان يخطب منها ، وكان شيخا فاضلا له ديوان شعر ، فنه قوله :

ولا ترجو الصداقة من عدو * يعادي نفسه سرّا وجهرا
فلا أجدت مودته انتفاعاً * لكان النفع منه إليه أجرا

ابن خروف

شارح سيبويه ، علي بن محمد بن يوسف أبو الحسن ابن خروف الأندلسي النحوي شرح سيبويه ، وقدمه إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار ، وشرح جل الزجاجي ، وكان ينتقل في البلاد ولا يسكن إلا في الخانات ، ولم يتزوج ولا تسرى ، ولذلك علة تغلب على طباع الأراذل ، وقد تغير عقله في آخر عمره ، فكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس ، توفي عن خمس وثمانين سنة .

أبو علي يحيى بن الربيع

ابن سليمان بن حرار الواسطي البغدادي ، اشتغل بالنظامية على فضلان وأعاد عنه ، وسافر إلى محمد بن يحيى فأخذ عنه طريقته في الخلاف ، ثم عاد إلى بغداد ثم صار مدرسا بالنظامية وناظرا

على أوقافها ، وقد جمع الحديث وكان لديه علوم كثيرة ، ومعرفة حسنة بالمذهب ، وله تفسير في أربع مجلدات كان يدرس منه ، واختصر تاريخ الخطيب والذيل عليه لابن السهماني وقارب الثمانين .

ابن الأثير صاحب جامع الاصول والنهاية

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد بن محمد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري الشافعي ، المعروف بابن الأثير ، وهو أخو الوزير الأفاضل ضياء الدين نصر الله ، وأخو الحافظ عز الدين أبي الحسن علي صاحب الكامل في التاريخ ، ولد أبو السعادات هذا في إحدى الأربعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ القرآن وأتقن علومه وحررها ، وكان مقامه بالموصل ، وقد جمع في سائر العلوم كتباً مفيدة ، منها جامع الأصول الستة الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي والترمذي ، ولم يذكر ابن ماجه فيه ، وله كتاب النهاية في غريب الحديث وله شرح مسند الشافعي والتفسير في أربع مجلدات ، وغير ذلك في فنون شتى ، وكان معظماً عند ملوك الموصل ، فلما آل الملك إلى نور الدين أرسلان شاه ، أرسل إليه ملوكه لؤلؤ أن يستوزره فأبى فركب السلطان إليه فامتنع أيضاً وقال له : قد كبرت سني واشتهرت بنشر العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشئ من العسف والظلم ، ولا يليق بي ذلك ، فأعفاه . قال أبو السعادات : كنت أقرأ علم العربية على سعيد بن الدهان ، وكان يأمرني بصنعة الشعر فكنت لا أقدر عليه ، فلما توفي الشيخ رأيته في بعض الليالي ، فأمرني بذلك ، فقلت له : ضع لي مثلاً أحمل عليه فقال :

حب الملا مدمناً إن فاتك الظفر * فقلت أنا : وخد خد الثرى والليل معتكراً

فالمر في صهوات الليل مركزة * والمجد يفتحه الاسراء والسهر

فقال : أحسنت ، ثم استيقظت فأنعمت عليها نحواً من عشرين بيتاً . كانت وفاته في سلخ ذي الحجة عن ثنتين وستين سنة ، وقد ترجمه أخوه في الذيل فقال : كان عالماً في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة ، وتصانيفه مشهورة في التفسير والحديث والفقه والحساب وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة ، وكان مغلقاً يضرب به المثل ذا دين متين ، ولزم طريقة مستقيمة رحمه الله ، فلقد كان من محاسن الزمان . قال ابن الأثير وفيها توفي .

المجلد المطرزي النحوي الخوارزمي

كل إماماً في النحو له فيه تصانيف حسنة ،

قال أبو شامة . وفيها توفي : الملك المغيث

فتح الدين عمر بن الملك العادل ، ودفن في تربة أخيه المعظم بسفح قايسون . والملك المؤيد .

مسعود بن صلاح الدين

بمدرسة رأس العين تحمل إلى حلب فدفن بها . وفيها توفي .

الفخر الرازي

المتكلم صاحب التيسير والتصانيف ، يعرف بابن خطيب الرى ، واسمه محمد بن عمر بن الحسين ابن على القرشى التيمى البكرى ، أبو المالى وأبو عبدالله المعروف بالفخر الرازى ، ويقال له ابن خطيب الرى ، أحد الفقهاء الشافعية المشاهير بالتصانيف الكبار والصغار نحو من مائتى مصنف ، منها التفسير الحافل والمطالب العالية ، والمباحث الشرقية ، والأربعين ، وله أصول الفقه والحصول وغيره ، وصنف ترجمة الشافعى فى مجلد مفيد ، وفيه غرائب لا يوافق عليها ، وينسب إليه أشياء محجية ، وقد ترجمته فى طبقات الشافعية ، وقد كان معظماً عند ملوك خوارزم وغيرهم ، وبنيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى ، وملك من الذهب المئتين ثمانين ألف دينار ، وغير ذلك من الأمتعة والمراكب والأثاث والملابس ، وكان له خمسون مملوكاً من الترك ، وكان يحضر فى مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمرأ والفقراء والعامة ، وكانت له عبادات وأوراد ، وقد وقع بينه وبين الكرامية فى أوقات وكان يبعضهم ويبغضونه ويبدلون فى الحظ عليه ، ويبالغ هو أيضاً فى ذمهم . وقد ذكرنا طرفاً من ذلك فيما تقدم ، وكان مع خزانة علمه فى فن الكلام يقول : من لزم مذهب المعجاز كان هو الفائز ، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه . وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى الذيل فى ترجمته : كان يعظ وينال من الكرامية وينالون منه سباً وتكفيراً بالكبائر ، وقيل إنهم وضعوا عليه من سقاء سمات ففرحوا بموته ، وكانوا يرمونه بالمعاصى مع المماليك وغيرهم ، قال : وكانت وفاته فى ذى الحجة ، ولا كلام فى فضله ولا فيما كان يتعاطاه ، وقد كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها اتساعاً زائداً ، وليس ذلك من صفة العلماء ، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه ، وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها مثل قوله : قال محمد البادى ، يعنى العربى يريد به النبى (س) ، نسبة إلى البادية . وقال محمد الرازى يعنى نفسه ، ومنها أنه كان يقرر الشبهة من جهة المعلوم بعبارات كثيرة ويحبب عن ذلك بأدنى إشارة وغير ذلك ، قال وبلغنى أنه خلف من الذهب المئتين مائتى ألف دينار غير ما كان يملكه من الدواب والثياب والمعار والآلات ، وخلف ولدين أخذ كل واحد منهما أربعين ألف دينار ، وكان ابنه الأكبر قد تجدد وخدم السلطان محمد بن تكش . وقال ابن الأثير فى الكامل : وفيها توفى فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن خطيب الرى الفقيه الشافعى صاحب التصانيف المشهورة والفقه والأصول ، كان إمام الدنيا فى عصره ،

بلغنى أن مولده سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وسبعين سنة قوله :
إليك إله الخلق وجهى ووجهى * وأنت الذى أَدعوه فى السر والجهر
وأنت غيائى عند كل ملّة * وأنت ملاذى فى حياتى وفى قبرى
ذكره ابن الساعى عن ياقوت الحموى عن ابن لفخر الدين عنه وبه قال :
تنمّة أبواب السعادة للخلق * بذكر جلال الواحد الأحد الحق
بديب كل المكنت بأسرها * ومهدى بالعدل والصدق والصدق
أجل جلال الله عن شيع خلقه * وأنصر هذا الدين فى الرب والشرق
إله عظيم الفضل والعدل والعلى * هو المرشد القوى هو المسمد المشقى
وما كان يفشده :

وأرواحنا فى وحشة من جسوننا * وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستغنى من بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
ثم يقول : لقد اختلفت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروى غليلا ولا تشفى
عليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ فى الآيات [الرحمن على العرش استوى] [إليه
يصعد الكلم الطيب] وفى النفى [ليس كذله شيء] [هل تعلم له سميا] .
ثم دخلت سنة سبع وستائة

ذكر الشيخ أبو شامة أن فى هذه السنة تملأت ملوك الجزيرة : صاحب الموصل وصاحب سنجار
وصاحب إربل والظاهر صاحب حلب وملك الروم ، على مخالفة العادل ومناذته ومقاتلته واصطلام
الملك من يده ، وأن تكون الخطبة لذلك كنجر بن قلاج أرسلان صاحب الروم ، وأرسلوا إلى
الكرج ليقدموا لحصار خلاط ، وفيها الملك الأوحى بن العادل ، ووعدهم النصر والمعاونة عليه .
قلت : وهذا بنى وعدوان ينهى الله عنه ، فأقبلت الكرج بملكهم إيوانى فحاصروا خلاط فضاق بهم
الأوحى ذرعا وقال : هذا يوم عصيب ، فقدّر الله تعالى أن فى يوم الاثنين تاسع عشر ربيع الآخر
اشتد حصارهم للبلد وأقبل ملكهم إيوانى وهو راكب على جواده وهو سكران فسقط به جواده فى
بعض الحفر التى قد أعدت مكيدة حول البلد ، فبادر إليه رجال البلد فأخذوه أسيرا حقيقا ، فأسقط فى
أيدى الكرج ، فلما أوقف بين يدى الأوحى أطلقه ومنّ عليه وأحسن إليه ، وفاداه على مائتى ألف
دينار وألقى أسير من المسلمين ، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متاخمة لبلاد الأوحى ، وأن يزوج
ابنته من أخيه الأشرف موسى ، وأن يكون عوناً له على من يحاربه ، فأجاب به إلى ذلك كله فأخذت منه
الإيمان بذلك وبعت الأوحى إلى أبيه يستأذنه فى ذلك كله وأبوه نازل بظاهر حراب فى أشد حدة

بما قد دامه من هذا الأمر الفظيع ، فبينما هو كذلك إذ أتاه هذا الخبر والأمر الهائل من الله العزيز الحكيم ، لا من حولهم ولا من قوتهم ، ولا كان في بالهم ، فكاد ينهل من شدة الفرح والسرور ، ثم أجاز جميع ما شرطه ولده ، وطارت الأخبار بما وقع بين الملوك فخصموا وذلوا عند ذلك ، وأرسل كل منهم يعتذر مما نسب إليه ويحيل على غيره ، فقبل منهم اعتذاراتهم وصالحهم صلحاً أكيداً واستقبل الملك عصراً جديداً ، ووفى ملك الكرج الأوحدي بجميع ما شرطه عليه ، وتزوج الأشراف ابنته . ومن غريب ما ذكره أبو شامة في هذه الكائنة أن قسيس الملك كان ينظر في النجوم فقال للملك قبل ذلك بيوم : أعلم أنك تدخل غداً إلى قلعة خلاط ولكن بزي غير ذلك أذان العصر ، فوافق دخوله إليها أسيراً أذان العصر . **ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين**

أرسل الملك نور الدين شاه بن عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يخضب ابنة السلطان الملك العادل ، وأرسل وكيله لقبول العقد على ثلاثين ألف دينار ، فاتفق موت نور الدين ووكيله سائر في أثناء الطريق ، ففقد العقد بعد وفاته ، وقد أتى عليه ابن الأثير في كماله كثيراً وشكر منه ومن عدله وشهامته وهو أعلم به من غيره ، وذكر أن مدة ملكه سبع عشرة سنة وإحدى عشر شهراً ، وأما أبو المظفر السبط فانه قال كان جباراً ظالماً بخيلاً سفاكاً للدماء فأنه أعلم به . وقام بالملك ولده القاهرة عز الدين مسعود ، وجعل تدبير مملكته إلى غلامه بدر الدين لؤلؤ الذي صار الملك إليه فيما بعد .

قال أبو شامة : وفي سابع شوال شرع في عمارة المصلى ، وبنى له أربع جدر مشرفة ، وجعل له أبواباً صولاً لمكانه من الميار ونزول القوافل ، وجعل في قبلته محراباً من حجارة ومنبراً من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة . ثم في سنة ثلاث عشرة عمل في قبلته رواقان وعمل له منبر من خشب ورتب له خطيب وإمام راتبان ، ومات المادل ولم يتم الرواق الثاني منه ، وذلك كله على يد الوزير الصفي ابن شكر . قال وفي ثاني شوال منها جددت أبواب الجامع الأموي من ناحية باب البريد بالنحاس الأصفر ، وركبت في أمانتها . وفي شوال أيضاً شرع في إصلاح الفوارة والشاذران والبركة وعمل عندها مسجد ، وجعل له إمام راتب ، وأول من تولاه رجل يقال له النفيس المصري ، وكان يقال له بوق الجامع لطيب صوته إذا قرأ على الشيخ أبي منصور الضرير المصدر فيجتمع عليه الناس الكثيرون . وفي ذي الحجة منها توجهت مراكب من عكا إلى البحر إلى ثغر دمياط وفيها ملك قبرص المسمى إليان فدخل الثغر ليلاً فأغار على بعض البلاد فقتل وسبي وكر راجعاً فركب مراكبه ولم يدركه الطلاب ، وقد تقدمت له مثلها قبل هذه ، وهذا شيء لم يتفق لغيره لعنه الله .

وفيها عانت الفرنج بنواحي القدس فبرز إليهم الملك المعظم ، وجلس الشيخ شمس الدين أبو

المظفر ابن قرعلى الخنفي وهو سبط ابن الجوزي ابن ابنته رابعة ، وهو صاحب مرآة الزمان ، وكان فاضلا في علوم كثيرة ، حسن الشكل طيب الصوت ، وكان يتكلم في الوعظ جيذا وتعبه العامة على صيت جده ، وقد رحل من بغداد فنزل دمشق وأكرمه ملوكها ، وولى التدريس بها ، وكان يجلس كل يوم سبت عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين إلى السارية التي يجلس عندها الوعاظ في زماننا هذا ، فكان يكثر الجمع عنده حتى يكونوا من باب الناطفانيين إلى باب المشهد إلى باب الساعات ، الجالوس غير الوقوف ، فحزر جمه في بعض الأيام ثلاثين ألفا من الرجال والنساء ، وكان الناس يبيتون ليلة السبت في الجاه ، ويدعون البساتين ، يبيتون في قراءة ختات وأذكار ليحصل لهم أما كن من شدة الزحام ، فاذا فرغ من وعظه خرجوا إلى أما كنهم وليس لهم كلام إلا قالا يومهم ذلك أجمع ، يقولون قال الشيخ وممنا من الشيخ فيحثهم ذلك على العمل الصالح والكف عن المساوى ، وكان يحضر عنده الأكر ، حتى الشيخ تاج الدين أباالين الكندي ، كان يجلس في القبة التي عند باب المشهد هو وإلى البلد المعتمد وإلى البر ابن تيمرك وغيرهم . والمقصود أنه لما جلس يوم السبت خامس ربيع الأول كما ذكرنا حدث الناس على الجهاد وأمر باحضار ما كان تحصل عنده من شعور التائبين ، وقد حل منه شكالات تحمل الرجال ، فلما رآها الناس ضجوا ضجعة واحدة وبكوا بكاء كثيرا وقطعوا من شعورهم نحوها ، فلما انقضى المجلس ونزل عن المنبر فتلقاء الوالى مبادر الدين المعتمد بن إبراهيم ، وكان من خيار الناس ، فثقى بين يديه إلى باب الناطفانيين يعضده حتى ركب فرسه والناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، فخرج من باب الفرج وبات بالمصلى ثم ركب من القصد في الناس إلى الكسوة ومعه خلائق كثيرون خرجوا بنية الجهاد إلى بلاد القدس ، وكان من جملة من معه ثلاثمائة من جهة زمليكا بالعدد الكثيرة التامة ، قال : فجننا عقبه أفيق والطير لا يتجاسر أن يطير من خوف الفرنج ، فلما وصلنا نابلس تلقانا المعظم ، قال ولم أكن اجتمعت به قبل ذلك ، فلما رأى الشكالات من شعور التائبين جعل يقبلها ويمرغها على عيليه ووجهه ويبكي ، وعمل أبو المظفر ميعادا بنا بلس وحث على الجهاد وكان يوما مشهودا ، ثم سار هو ومن معه ومحبته المعظم نحو الفرنج فقتلوا خلقا وخربوا أما كن كثيرة ، وغنموا وعادوا سالمين ، وشرع المعظم في تحصين جبل الطور وبنى قلعة فيه ليكون إلبا على الفرنج ، فغرم أموالا كثيرة في ذلك ، فبعث الفرنج إلى العادل يطلبون منه الأمان والمصالحة ، فهادنهم وبطلت تلك العمارة وضاع ما كان المعظم غرم عليها والله أعلم .

الشيخ أبو عمر

وفيهما توفى من الأعيان

باني المدرسة بسفح طابسون لافقرء المشتغلين في القرآن رحمه الله ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة

الشيخ الصالح أبو عمر المقدسي ، باني المدرسة التي بالسفح يقرأ بها القرآن العزيز ، وهو أخو الشيخ موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، وكان أبو عمر أسن منه ، لأنه ولد سنة ثمان وعشرين وخمسة مائة بقرية السوايا ، وقيل بجما عيل ، والشيخ أبو عمر ربي الشيخ موفق الدين وأحسن إليه وزوجه ، وكان يقوم بمصالحه ، فلما قدموا من الأرض المقدسة نزلوا بمسجد أبي صالح خارج باب شرقي ثم انتقلوا منه إلى السفح ، وليس به من المارة شيء سوى دير الحوراني ، قال فقل لنا الصالحين نسبة إلى مسجد أبي صالح لا أنا صالحون ، وصميت هذه البقعة من ذلك الحين بالصالحية نسبة إلينا ، فقرأ الشيخ أبو عمر القرآن على رواية أبي عمرو ، وحفظ مختصر الخرق في الفقه ، ثم إن أخاه موفق شرحه فيما بعد فكتب شرحه بيده ، وكتب تفسير البغوي والحلية لأبي نعيم والابانة لابن بطه ، وكتب مصاحف كثيرة بيده للناس ولأهله بلا أجره ، وكان كثير العبادة والزهادة والتهجد ، ويصوم الدهر وكان لا يزال متبهما ، وكان يقرأ كل يوم سبعمائة بين الظهر والعصر ويصلي الضحى ثمان ركعات يقرأ فيهن ألف مرة قل هو الله أحد ، وكان يزور مغارة الدم في كل يوم اثنين وخميس ، ويجمع في طريقه الشيخ فيعطيه الأرامل والمساكين ، ومهما تهيأ له من فتوح وغيره يؤثر به أهله والمساكين ، وكان متقللا في اللبس وربما مضت عليه مدة لا يلبس فيها سراويل ولا قيصا ، وكان يقطع من عمالته قطعا يتصدق بها أو في تكميل كفن ميت ، وكان هو وأخوه وابن خالهم الحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العباد لا ينقطعون عن غزاة يخرج فيها الملك صلاح الدين إلى بلاد الفرنج ، وقد حضر واما معه فتح القدس والسواحل وغيرها ، وجاء الملك العادل يوما إلى ختمهم أي خصهم لزيارة أبي عمر وهو قائم يصلي ، فاقطع صلاته ولا أوجز فيها ، فجلس السلطان واستمر أبو عمر في صلاته ولم يلتفت إليه حتى قضى صلاته رحمه الله والشيخ أبو عمر هو الذي شرع في بناء المسجد الجامع أولا بمال رجل فامي ، فنند ما عنده وقد ارتفع البناء قامة فبعث صاحب إربل الملك المظفر كوكري مالا ففكل به ، وولى خطابته الشيخ أبو عمر ، فكان يخطب به وعليه لباسه الضعيف وعليه أنوار الخشية والتقوى والخوف من الله عز وجل ، والمسك كيف خبأته ظهر عليك وبان ، وكان المنبر الذي فيه يومئذ ثلاث مرافق والرابعة للجلوس ، كما كان المنبر النبوي ، وقد حكى أبو المظفر أنه حضر يوما عنده الجمعة وكان الشيخ عبد الله البوتاني حاضرا الجمعة أيضا عنده ، فلما انتهى في خطبته إلى الدعاء للسلطان قال : اللهم أصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر بن أيوب ، فلما قال ذلك نهض الشيخ عبد الله البوتاني وأخذ نعليه وخرج من الجامع وترك صلاة الجمعة ، فلما فرغنا ذهبنا إلى البوتاني فقلت له : ماذا نعمت عليه في قوله ؟ فقال يقول لهذا الظالم العادل ؟ لا صليت معه ، قال فبينما نحن في الحديث إذ أقبل الشيخ أبو عمر ومعه رغيف وخيارتان فكسر ذلك الرغيف وقال الصلاة ، ثم قال قال النبي (س) ،

« بعثت في زمن الملك العادل كسرى » فتبسم الشيخ عبدالله البوتاني ومد يده فأكل فلما فرغوا قام الشيخ أبو عمر فذهب فلما ذهب قال لي البوتاني يا سيدنا ماذا إلا رجل صالح .

قال أبو شامة كان البوتاني من الصالحين الكبار ، وقد رأيته وكانت وفاته بعد أبي عمر بعشر سنين فلم يسامح الشيخ أبا عمر في تساهله مع ورعه ، ولعله كان مسافرا والمسافر لا جمعة عليه ، وعذر الشيخ أبي عمر أن هذا قد جرى مجرى الأعلام العادل الكامل الأشرف ونحوه ، كما يقال سالم وغاث ومسمود ومحمود ، وقد يكون ذلك على الضد والعكس في هذه الأسماء ، فلا يكون سالما ولا غاثا ولا مسمودا ولا محمودا ، وكذلك اسم العادل ونحوه من أسماء الملوك وألقابهم ، والتجار وغيرهم ، كما يقال شمس الدين و بدر الدين وعز الدين وتاج الدين ونحو ذلك قد يكون معكوسا على الضد والافتقار ومثله الشافعي والحنبلي وغيرهم ، وقد تكون أعماله ضد ما كان عليه إمامه الأول من الزهد والعبادة ونحو ذلك ، وكذلك العادل يدخل إطلاقه على المشترك والله أعلم . قلت : هذا الحديث الذي احتج به الشيخ أبو عمر لا أصل له ، وليس هو في شيء من الكتب المشهورة ، وعجبا له ولأبي المظفر ثم لأبي شامة في قبول مثل هذا وأخذ منه مسلما إليه فيه والله أعلم .

ثم شرع أبو المظفر في ذكر فضائل أبي عمر ومناقبه وكراماته وما رآه هو وغيره من أحواله الصالحة . قال : وكان على مذهب السلف الصالح ممنا وهديا ، وكان حسن العقيدة متمسكا بالكتاب والسنة والآثار المروية بجرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلما المسلمين ، وكان ينهى عن محبة المتبذعين ويأمر بصحبة الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين ، وربما أنشدني لنفسه في ذلك :

أوصيكم بالقول في القرآن • بقول أهل الحق والافتقار
ليس بخلق ولا بفان • لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني • متلوة لله باللسان
محفوظة في الصدر والجنان • مكتوبة في الصحف بالبنان
والقول في الصفات يا إخواني • كالذات والعلم مع البيان
إمراؤها من غير ما كفران • من غير تشبيه ولا عطلان

قال وأنشدني لنفسه :

ألم يك ملهاة عن الله أنى • بدالى شيب الرأس والضعف والألم
ألم بى الخطب الذى لو بكيته • حياى حتى يذهب الدمع لم ألم

قال ومرض أياما فلم يترك شيئا مما كان يعمل من الأوراد ، حتى كانت وفاته وقت السحر في ليلة

الثلاثة التاسع والعشرين من ربيع الأول ففصل في الدير وحمل إلى مقبرته في خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، ولم يبق أحد من الدولة والأمراء والعلماء والقضاة وغيرهم إلا حضر جنازته ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان الحر شديداً فأظلمت الناس سعابة من الحر ، كان يسمع منها كدوى النحل ، وكان الناس يفتهمون أكفانه وبيعت ثيابه بالخلق العالي ، وراثه الشعراء بمرآة حسنة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وترك من الأولاد ثلاثة ذكور : عمر ، وبه كان يكنى ، والشرف عبد الله وهو الذي ولي الخطابة بمسد أبيه ، وهو والد المز أحمد . وعبد الرحمن . ولما توفي الشرف عبد الله صارت الخطابة لأخيه شمس الدين عبيد الرحمن بن أبي عمر ، وكان من أولاد أبيه المذكور ، فهو له أولاده المذكور ، وترك من الأناث بنات كما قال الله تعالى [مسلحات مؤمنات قانتات نائبات عابدات ساجدات] قال وقبره في طريق مغارة الجوع في الزقاق المتأبل لدير الحوراني رحمه الله وإيادنا .

ابن طبرزد شيخ الحديث

عمر بن محمد بن معمر بن يحيى المعروف بأبي حفص بن طبرزد البغدادي الدراقزي ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة ، سمع الكثير وأجمع ، وكان خليفاً ظريفاً ماجناً ، وكان يؤدب الصبيان بدارالقر قدم مع حنبل بن عبيد الله الكبير إلى دمشق فسمع أهلها عليهما ، وحصل لهما أموال وعادا إلى بغداد فمات حنبل سنة ثلاث وتأخروا إلى هذه السنة [في تاسع شهر رجب] فمات وله سبع وتسعون سنة ، وترك مالا جيداً ولم يكن له وارث إلا بيت المال ، ودفن بباب حرب .

السلطان الملك العادل أرسلات شاه

نور الدين صاحب الموصل ، وهو ابن أخي نور الدين الشهيد ، وقد ذكرنا بعض سيرته في الحوادث ، كان شافعي المذهب ، ولم يكن بينهم شافعي سواء ، وبني لشافعية مدرسة كبيرة بالموصل وبها تربته ، توفي في صفر ليلة الأحد من هذه السنة .

ابن سكينه عبد الوهاب بن علي

ضياء الدين المعروف بابن سكينه الصوفي ، كان يعد من الأبدال ، سمع الحديث الكثير وأجمعه ببلاد شق ، ولد في سنة تسع عشرة وخمسمائة ، وكان صاحباً لأبي الفرج ابن الجوزي ملازماً لمجلسته وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً للكثرة الخلق وللكثرة ما كان فيه من الخاصة والعامة رحمه الله .

مظفر بن ساسير

الواعظ الصوفي البغدادي ، ولد سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وسمع الحديث ، وكان يعظ في الأعزى والمساجد والقرى ، وكان ظريفاً مطبوعاً قام إليه إنسان فقال له فيما بينه وبينه : أنا مريض جائع ، فقال : أحمد ربك فقد عوفيت . واجتاز مرة على قصاب يبيع لحماً ضميماً وهو يقول أين من

حلف لا يفتن ، فقال له حتى نحتشه . قال : وعملت مرة مجلساً بيمقوبا فحمل هذا يقول عندى للشيخ نصفية وهذا يقول عندى للشيخ نصفية وهذا يقول مثله حتى عدوا نحواً من خمسين نصفية ، فقلت فى نفسى : استغثت الالة فأرجع إلى البلد تاجراً ، فلما أصبحت إذا صبرة من شمير فى المسجد فقبل لى هذه النصافى التى ذكر الجماعة ، وإذا بى بكيلة يسمونها نصفية مثل الزبدية ، وعملت مرة مجلساً بياصراً فجمعوا لى شيئاً لا أدرى ما هو ، فلما أصبحنا إذا شئ من صوف الجواميس وقرونها ، فقام رجل ينادى عليكم عندكم فى قرون الشيخ وصوفه ، فقلت لا حاجة لى بهذا وأنتم فى حل منه .

ذكره أبو شامة ثم دخلت سنة ثمان وستائة

استهلت والعدل مقيم على الطور لعمارة حصنه ، وجاءت الأخبار من بلاد المغرب بأن عبد المؤمن قد كسر الفرنج بطليطلة كسرة عظيمة ، وربما فتح البلد عنوة وقتل منهم خلقاً كثيراً . وفيها كانت زلزلة عظيمة شديدة بمصر والقاهرة ، هدمت منها دوراً كثيرة ، وكذلك بالكرك والشوبك هدمت من قلعتهما أبراجاً ، ومات خلق كثير من الصبيان والنسوان تحت الهدم ، ورؤى دخان نازل من السماء فيما بين المغرب والعشاء عند قبر عائكة غربى دمشق . وفيها أظهرت الباطنية الاسلام وأقامت الحدود على من تعاطى الحرام ، وبنوا الجوامع والمساجد ، وكتبوا إلى إخوانهم بالشام بمضات وأمنالها بذلك ، وكتب زعيمهم جلال الدين إلى الخليفة يعلمه بذلك ، وقدمت أمة منهم إلى بغداد لأجل الحج فأكرموا وعظموا بسبب ذلك ، ولكن لما كانوا بعرفات ظفر واحد منهم على قريب لأمير مكة قتادة الحسينى فقتله ظاناً أنه قتادة فنارت فتنة بين سودان مكة وركب العراق ، ونهب الركب وقتل منهم خلق كثير وفيها اشترى الملك الأشرف جوسق الريس من النيرب من ابن عم الظاهر حضر بن صلاح الدين وبناء بناء حسناً ، وهو المسمى بزماننا بالدهشة .

وفيها توفى من الأعيان . الشيخ عماد الدين

محمد بن يونس الفقيه الشافعى الموصلى صاحب التصانيف والفنون الكثيرة ، كان رئيس الشافعية بالموصل ، وبعث رسولا إلى بغداد بعد موت نور الدين أرسلان ، وكان عنده وموسوعة كثيرة فى الطهارة ، وكان يعامل فى الأموال بمسألة العينة كما قيل تصفون البعوض من شرابكم وتستر بطون الجمال بأحمالها ، ولو عكس الأمر لكان خيراً له ، فلقبه يوماً قضيف البان الموكه فقال له : يا شيخ بانفى عنك أنك تغسل العضو من أعضاءك بإريق من الماء فلم لاتفلس الائمة التى تأكلها لتستغلف قلبك وباطنك ؟ ففهم الشيخ ما أراد فترك ذلك . توفى بالموصل فى رجب عن ثلاث وسبعين سنة .

ابن حمدون تاج الدين

أبو سعد الحسن بن محمد بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، كان فاضلاً بارعاً ، اعتنى بجمع

الكتب المنسوبة وغيرها ، وولاه الخليفة المارستان المضدى ، توفى بالمدائن وحمل إلى مقابر قریش
فدفن بها . صاحب الروم خسرو شاه

ابن قلیج أرسلان ، مات فيها وقام بالملك بعده ولده کیکایرس ، فلما توفى فى سنة خمس عشرة
ملك أخوه کیتیاذ صارم الدين برغش العادل نائب القلعة بدمشق ، مات فى صفر ودفن بقرية غربي
النجاع المظفرى ، وهذا الرجل هو الذى نفي الخافط عبد التقي المقدسى إلى مصر وبين يديه كان عقد
المجاس ، وكان فى جملة من قام عليه ابن الزكي والخطيب الدولى ، وقد توفوا أربعتهم وغيرهم من قام
عليه واجتمعوا عند الحكم العدل سبعانه .

الأمير فخر الدين سرکس

ويقال له جهارکس أحد أمراء الدولة الصلاحية وإليه تنسب قباب سرکس بالسفح تجاه تربة
خاتون وبها قبره . قال ابن خلکان : هذا هو الذى بنى القيسارية الكبرى بالقاهرة المنسوبة إليه
وبنى فى أهلها مسجدا معلقا وربما ، وقد ذكر جماعة من التجار أنهم لم يروا لها نظيرآ فى البلدان
فى حسنيتها وعظمتها وإحكام بنائها . قال : وجها ركن بمعنى أربعة أنفس . قلت : وقد كان نائباً
للعادل على بانياس وتينين وهو بين ، فلما توفى ترك ولداً صغيراً فأقره العادل على ما كان يليه أبوه وجعل
له مدبراً وهو الأمير صارم الدين قطلبا التنيسى ، ثم استقل بها بعد موت الصبى إلى سنة خمس عشرة

الشيخ الكبير المعمر الرحلة أبو القاسم أبو بكر أبو الفتح

منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوى النيسابورى ، سمع أباه وجد أبيه
وغیرهما ، وعنه ابن الصلاح وغيره ، توفى بنيسابور فى شعبان فى هذه السنة عن خمس وثمانين سنة

قاسم الدين التركمانى

المقبى والد والى البلد ، كانت وفاته فى شوال منها والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وستائة

ففيها اجتمع العادل وأولاده الكامل والمعظم والفائز بدمياط من بلاد مصر فى مقاتلة الفرنج
فاغتم غيبتهم سامة الجبلى أحد أكبر الأمراء ، وكانت بيده قلعة عجولون وكوكب فسار مسرعا إلى
دمشق ليستلم البلدين ، فأرسل العادل فى إثره وئده المعظم فسبقه إلى القدس وحمل عليه فوسم عليه
فى كنيسة صهيون ، وكان شيخاً كبيراً قد أصابه النقرس ، فشرع يردّه إلى الطاعة بالملاطفة فلم ينفع فيه
فاستولى على حواصله وأملأه وأرسله إلى قلعة الكرك فأعقله بها ، وكان قيمة ما أخذته منه
قریباً من ألف ألف دينار ، من ذلك داره وحمامه داخل باب السلامة ، وداره هى التى جعلها
البادرائى مدرسة للشافعية ، وخرّب حصن كوكب ونقلت حواصله إلى حصن الطور الذى استعده

العاذل وولده المعظم . وفيها عزل الوزير ابن شكر واحتيط على أولاده وأنى إلى الشرق ، وهو الذي كان قد كتب إلى الديار المصرية بنى الحافظ عبد الغنى منها بعد نفيه من الشام ، فكتب أن ينفي إلى المغرب ، فنوف الحافظ عبد الغنى رحمه الله قبل أن يصل الكتاب ، وكتب الله عز وجل بنى الوزير إلى الشرق محل الزلازل والفتن والشر ، ونفاه عن الأرض المقدسة جزاء وفا . ولما استولى صاحب قبرص على مدينة أنطاكية حصل بسببه شر عظيم وتمكن من الغارات على بلاد المسلمين ، لاسيما على النراكين الذين حول أنطاكية ، قتل منهم خلقا كثيرا وغنم من أغنامهم شيئا كثيرا ، فغدر الله عز وجل أن أمكنهم منه في بعض الأودية فقتلوه وهافوا برأسه في تلك البلاد ، ثم أرسلوا رأسه إلى الملك العادل إلى مصر فطيف به هنالك ، وهو الذي أغار على بلاد مصر من ثغر دمياط مرتين فقتل وسبى وحجز عنه الملوك .

وفي ربيع الأول منها توفى الملك الأوحده .

نجم الدين أنوب

ابن العادل صاحب خلاط ، يقال إنه كان قد سفلك الدهاء وأساء السيرة فقصف الله عمره ، ووليها بعده أخوه الملك الأشرف موسى ، وكان محمود السيرة جيد السريرة فأحسن إلى أهلها فأحبوه كثيرا . وفيها توفى من الأعيان .

فقيه الحرم الشريف بمكة

محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف البني ، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي بكر القفصى المقرئ المحدث ، كتب كثيرا وسمع الكثير ودفن بمقابر الصوفية .

أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي

من أهل مرو ، له كتاب المحصل في شرح المفصل لآل خنشري في النحو كان ثقة عالما سمع الحديث توفى فيها عن ثنتين وتسعين سنة .

الشيخ الصالح الزاهد العابد

أبو البقاء محمود بن عثمان بن مكارم النعماني الحنبلي ، كان له عبادات ومجاهدات وسياحات ، وبنى رباطا بباب الأرح يأوى إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . توفى وقد جاوز الثمانين .

ثم دخلت سنة عشر وستائة

فيها أمر العادل أيام الجمع بوضع سلاسل على أفواه الطرق إلى الجامع لئلا تصل الخيول إلى قريب الجامع صيانة للمسلمين عن الأذى بهم ، ولئلا يضيقوا على المارين إلى الصلاة . وفيها ولد الملك

المزبظ لظاهر غازي صاحب حلب ، وهو والد الملك الناصر صاحب دمشق واقف الناصريتين داخل دمشق ، إحداها داخل باب الفراديس ، والأخرى بالسفح ذات الحائط الهائل والعمارة الثمينة ، التي قيل إنه لا يوجد مثلها إلا قليلا ، وهو الذي أسره التتار الذين مع هلاكو ملك التتار . وفيها قدم بالفيل من مصر تحمل هدية إلى صاحب الكرج فتعجب الناس منه جدا ، ومن بديع خلقه . وفيها قدم الملك الظافر خضر بن السلطان صلاح الدين من حلب قاصدا الحج ، فتلقيه الناس وأكرمه ابن عمه المعظم ، فلما لم يبق بينه وبين مكة إلا مراحل يسيرة تلقته حاشية الكامل صاحب مصر وصدوه عن دخول مكة ، وقالوا إنما جئت لأخذ اليمن ، فقال لهم قيدي وذرني أفضى المناسك ، فقالوا : ليس معنا مرسوم وإنما أمرنا بردك وصدك ، فهم طائفة من الناس يقتلهم تخاف من وقوع فتنة فتحال من حجه ورجع إلى الشام ، وتأسف الناس على ما فعل به وتباكوا لما ودعهم ، تقبل الله منه . وفيها وصل كتاب من بعض فقهاء الحنفية بخراسان إلى الشيخ تاج الدين أبو اليمن الكندي يخبر به أن السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش تنكر في ثلاثة نفر من أصحابه ، ودخل بلاد التتر ليكشف أخبارهم بنفسه ، فأنكروهم فقبضوا عليهم فضربوا منهم اثنين حتى ماتا ولم يقرأ بما جاؤا فيه واستوقفوا من الملك وصاحبه الآخر أسرا ، فلما كان في بعض الليالي هربا ورجع السلطان إلى ملكه وهذه المرة غير نوبة أسره في المعركة مع مسعود الأمير

وفيها ظهرت بلاطة وهم يحفرون في خندق حلب فوجد تحتها من الذهب خمسة وسبعون رطلا ، ومن الفضة خمسة وعشرون بالرطل الحلبي .

وفيها توفي من الأعيان . شيخ الحنفية

مدرس مشهد أبي حنيفة بيغداد ، الشيخ أبو الفضل أحمد بن مسعود بن علي الرسائي ، وكان إليه المظالم ، ودفن بالمشهد المذكور .

والشيخ أبو الفضل بن إسماعيل

ابن علي بن الحسين نغر الدين الحنبلي ، يعرف بابن المشطة ، ويقال له الفخر غلام ابن المني ، له تعلية في الخلاف وله حلقة بجامع الخليفة ، وكان يلي النظر في قرايا الخليفة ، ثم عزله فلزم بيته فقيرا لا شيء له إلى أن مات رحمه الله ، وكان ولده محمد مدبرا شيطانا مريدا كثير الهجاء والسعاية بالناس إلى أولياء الأمر بالباطل ، قطع لسانه وحبس إلى أن مات .

والوزير معز الدين أبو المعالي

سميد بن علي بن أحمد بن حديدة ، من سلالة الصحابي قطبة بن عامر بن حديدة الأنصاري ، ولي الوزارة للناصر في سنة أربع وثمانين ، ثم عزله عن سفارة ابن مهدي فهرب إلى مراغة ، ثم عاد

بعد موت ابن مهدي فأقام ببغداد معظماً محترماً ، وكان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس إلى أن مات رحمه الله وسنجز بن عبد الله الناصري

الخليفة ، كانت له أموال كثيرة وأملاك وإقطاعات متسعة ، وكان مع ذلك بخيلاً ذليلاً ساقط النفس ، اتفق أنه خرج أمير الحاج في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فاعترضه بعض الأعراب في نفر يسير ، ومع سنجر خمسمائة فارس ، فدخله الدل من الأعرابي ، فطالب منه الأعرابي خمسين ألف دينار فجباها سنجر من الحجيج ودفعها إليه ، فلما عاد إلى بغداد أخذ الخليفة منه خمسين ألف دينار ودفعها إلى أصحابها وعزله وولى طاشتكين مكانه .

قاضي السلامة

ظهر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نصر بن عسكر ، الفقيه الشافعي الأديب ، ذكره العماد في الجريدة وابن خلكان في الوفيات ، وأثنى عليه وأنشد من شعره ، في شيخ له زاوية ، وفي أصحابه يقال له مكي :

ألا قل لمكي قول النصوص * وحق النصيحة أن تستمع
معي مع الناس في دينهم * بأن الغنا شئت تتبع
وأن يأكل المرء أكل البعير * وبرقص في الجمع حتى يقع
ولو كان طاولي الحشا جائلاً * لما دار من طرب واستمع
وقالوا : سكرنا بحب الإله * وما أسكر القوم إلا الفصح
كذلك الحمر إذا أخصبت * يهيجها ربها والشبع
ترام يهزوا طامم إذا * ترتم حادهم باليدع
فيصرخ هذا وهذا يئن * ويبس لوتلبن ما انصدع

وتاج الأمناء

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر من بيت الحديث والرواية ، وهو أكبر من إخوته زين الغفر والأمناء ، مع عمه الحافظ أبي القاسم والصائين ، وكان صديقاً للكندي توفي يوم الأحد ثاني رجب ودفن قبلي محراب مسجد القدم .

والنسابة الكلبي

كان يقال له تاج العلوي الحسيني ، اجتمع بأمد بابن دحية ، وكان ينسب إلى دحية الكلبي ، ودحية الكلبي لم يعقب ، فرماه ابن دحية بالكذب في مسائله الموصلة . قال ابن الأثير : وفي الحرم منها توفي

المهذب الطيب المشهور

وهو علي بن أحمد بن مقبل الموصلي ، سمع الحديث وكان أعلم أهل زمانه بالطب ، وله فيه تصنيف حسن ، وكان كثير الصدقة حسن الأخلاق .

الجزولي صاحب المقدمة المحمّدة بالقانون

وهو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي - بطن من البربر - ثم البرديني النحوي المصري ، مصنف المقدمة المشهورة البدئية ، شرحها هو وتلاميذته ، وكلهم يمتدحون بتقصيرهم عن فهم مراده في أماكن كثيرة منها ، قدم مصر وأخذ عن ابن بري ، ثم عاد إلى بلاده وولى خطابة مراکش ، توفي في هذه السنة وقيل قبلها فآله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستائة

فيها أرسل الملك خوارزم شاه أميراً من أخصاء أمراءه عنده ، وكان قبل ذلك سيراوياً فصار أميراً خاصاً ، فبعثه في جيش ففتح له كرمان ومكران وإلى حدود بلاد السند ، وخطب له بتلك البلاد ، وكان خوارزم شاه لا يصيف إلا بنواحي سمرقند خوفاً من التتار وكشلي خان أن يثبوا على أطراف تلك البلاد التي تناخهم . قال أبو شامة : وفيها شرع في تبليط داخل الجامع الأموي وبدأوا من ناحية السبع الكبير ، وكانت أرض الجامع قبل ذلك حفراً وجوراً ، فاستراح الناس في تبليطه . وفيها وسع الخندق مما يلي التمازية فأخربت دور كثيرة وحمام قايماز وفرن كان هناك وقفاً على دار الحديث النورية . وفيها بنى المعظم الفندق المنسوب إليه بناحية قبر عائكة ظاهر باب الجابية . وفيها أخذ المعظم قلعة صرخند من ابن قراجا وعوضه عنها وسلها إلى مملوكه عز الدين أبيك المعظمي ، فثبتت في يده إلى أن انتزعها منه نجم الدين أيوب سنة أربع وأربعين . وفيها حج الملك المعظم ابن العادل ركب من الكرك على المهجن في حادي عشر ذي القعدة ومعه ابن موسك ومملوك أبيه وعز الدين أستاذ داره وخلق ، فسار على طريق تبوك والعلا . وبنى البركة المنسوبة إليه ، ومصانع أخرى . فلما قدم المدينة النبوية تلقاه صاحبها سالم وسلم إليه مفاتيحها وخدمه خدمة تامة ، وأما صاحب مكة فتادة فلم يرفع به رأساً ، ولهذا لما قضى نسكته ، وكان قارناً ، وأنفق في المجاورين ما حمله إليهم من الصدقات وكرّ راجعاً استصحب معه سالماً صاحب المدينة وتشكى إلى أبيه عند رأس الماء ما لقيه من صاحب مكة ، فأرسل العادل ، مع سالم جيشاً يطردون صاحب مكة ، فلما انتهوا إليها هرب منهم في الأودية والجبال والبراري ، وقد أثر المعظم في حجته هذه آثاراً حسنة بطريق الحجاز أثابه الله ،

وفيها تعامل أهل دمشق في القراطيس السود العادلية ثم بطلت بعد ذلك ودفنت . وفيها مات

صاحب اليمن وتولاها سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب باتفاق الأمراء عليه ، فأرسل العادل إلى ولده الكامل أن يرسل إليها ولده أضييس ، فأرسله فتملكها فظلم بها وقتل وغشيم ، وقتل من الأشراف نحواً من ثمانمائة ، وأما من عداهم فكثير ، وكان من أجبر الملوك وأكثرم فسقا وأقلمهم حياء وديناً ، وقد ذكروا عنه ما تقشع منه الأبدان وتنكره القلوب ، نسال الله العافية وفيها توفى من الأعيان إبراهيم بن علي

ابن محمد بن بكر وس الفقيه الحنبلي ، أفتى وناظر وعدل عند الحكام ، ثم انسلخ من هذا كله وصار شرطياً بباب النوى يضرب الناس ويؤذيهم غاية الأذى ، ثم بعد ذلك ضرب إلى أن مات وألتي في دجلة وفرح الناس بموته ، وقد كان أبوه رجلاً صالحاً .

الركن عبد السلام بن عبد الوهاب

ابن الشيخ عبد القادر ، كان أبوه صالحاً وكان هو متهما بالفلسفة ومخاطبة النجوم ، ووجد عنده كتب في ذلك ، وقد ولي عدة ولايات ، وفيه وفي أمثاله يقال : نعم الجدود ولكن بئس ما نسلوا . رأى عليه أبوه يوماً ثوباً بخارياً فقال : سمعنا بالبخاري ومسلم ، وأما بخاري وكافر فهذا شيء عجيب ، وقد كان مصاحباً لأبي القاسم ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ، وكان الآخر مديراً فاسقاً ، وكانا يجتمعان على الشراب والمردان قبحهما الله .

أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك

البحار المعروف بابن الأخضر البغدادي المحدث المكثّر الحافظ المصنف الحرر ، له كتب مفيدة متينة ، وكان من الصالحين ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً رحمه الله .

الحافظ أبو الحسن علي بن الأتجيب

أبي المكارم الفضل [بن أبي الحسن علي بن أبي الغيث مفرج بن حاتم بن الحسن بن جعفر بن إبراهيم بن الحسن] الأخي المقدسي ، ثم الاسكندراني المالكي ، مع السلفي وعبد الرحيم المنذري وكان مدرسا للمالكية بالأسكندرية ، وثائب الحكم بها . ومن شعره قوله :

أيا نفسُ بالمأثورِ عن خيرِ مرسلٍ * وأصحابه والتابعينُ تمسكي
عساكي إذا بلغتِ في نشرِ دينه * بما طابَ من عرفٍ له أن تمسكي
وخافي غداً يوم الحسابِ جهنماً * إذا لفتحت نيرانها أن تمسكي
توفى بالقاهرة في هذه السنة قاله ابن خلكان .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستائة

فيها شرع في بناء المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق ، وفيها عزل القاضي ابن الزكي وفوض الحكم

إلى القاضي جمال الدين بن الحرساني ، وهو ابن ثمانين أو تسعين سنة ، فحكم بالعدل وقضى بالحق ، ويقال إنه كان يحكم بالمدرسة المجاهدية قريبا من النورية عند باب القواسين . وفيها أبطل العادل ضمان الحر والقيان جزاء الله خيرا ، فزال بزوال ذلك عن الناس ومنهم شر كثير . وفيها حاصر الأمير قتادة أمير مكة المدينة ومن بها وقطع نخلا كثيرا ، فقاتله أهلها ففكر خائبا خاسرا حسيرا ، وكان صاحب المدينة بالشام فطلب من العادل نجدة على أمير مكة ، فأرسل معه جيشا فأسرع في الأوبة فأتى في أنثناء الطريق ، فاجتمع الجيش على ابن أخيه جاز فقصده مكة فالتقاه أميرها بالصفراء فاقتنلوا قتلا شديدا ، فهرب المكيون وغنم منهم جاز شيئا كثيرا ، وهرب قتادة إلى الينبع فساروا إليه لمخاصروه بها وضيقوا عليه . وفيها أغارت الفرنج على بلاد الاسماعيلية فقتلوا ونهبوا . وفيها أخذ ملك الروم كيكارس مدينة أنطاكية من أيدي الفرنج ثم أخذها منه ابن لاون ملك الأرمن ، ثم منه إبريس طرابلس . وفيها ملك خوارزم شاه محمد بن تكش مدينة غزنة بغير قتال .

وفيها كانت وفاة ولي العهد أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، ولما توفي حزن الخليفة عليه حزنا عظيما ، وكذلك الخاصة والعامة لكثرة صدقاته وإحسانه إلى الناس ، حتى قيل إنه لم يبق بيت ببغداد إلا حزنوا عليه ، وكان يوم جنازته يوما مشهودا وناح أهل البلد عليه ليلا ونهارا ، ودفن عند جدته بالقرب من قبر معروف ، توفي يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة وصلى عليه بعد صلاة العصر ، وفي هذا اليوم قدم بغداد برأس منكلى الذي كان قد عصى على الخليفة وعلى أسناده ، فطيف به ولم يتم فرحه ذلك اليوم لموت ولده وولي عهده ، والدنيا لا تسر بقدر ماتصر ، وترك ولدين أحدهما المؤيد أبو عبد الله الحسين ، والموفق أبو الفضل يحيى .

وفيها توفي من الأعيان **الحافظ عبد القادر الراوي**

ابن عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الحافظ المحدث المخرج المفيد الحر المرتقن البارع المصنف ، كان مولى لبعض المواصلة ، وقبل لبعض الجوابين ، اشتغل بدار الحديث بالموصل ، ثم انتقل إلى حران ، وقد رحل إلى بلدان شتى ، وسمع الكثير من المشايخ ، وأقام بمران إلى أن توفي بها ، وكان مولده في سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، كان دينيا صالحا زاهدا لله .

الوجيه الأعمى

أبو بكر المبارك بن سعيد بن الدهان النحوى الواسطى الملقب بالوجيه ، ولد بواسط وقدم بغداد فاشتغل بعلم العربية ، فأقن ذلك وحفظ شيئا كثيرا من أشعار العرب ، وسمع الحديث وكان حنبليا ثم انتقل إلى مذهب أبي حنيفة ، ثم صار شافعيا ، وولى تدريس النحو بالنظامية ، وفيه يقول الشاعر :

فن مبلغ عني الوجيه رسالة * وإن كان لا تجدي إليه الرسائل

تذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وذلك لما أعوزتك المآكل
وما أخذت رأي الشافعي ديانة * ولكننا تهوى الذى هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * إلى مالك فانظر إلى ما أنت قائل

وكان يحفظ شيئا كثيرا من الحكايات والأمثال والملح ، ويعرف العربية والتركية والمعجمية
والرومية والحبشية والزيجية ، وكانت له يد طويلة في نظم الشعر . فن ذلك قوله :
ولو وقفت في لجة البحر قطرة * من المزن يوما ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحي ملوكها * عبيد الله في الشرق والغرب مازها
وله في التجنيس :

أطلت ملاهى في اجتنابى لمعشر * طعام لثام جودهم غير مرتجى
حوا ملهم والدين والعرض منهم * مباح فما يخشون من عاب أو حجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهجا * لهم شرعوا في البخل سبعين منهجا

وله مدائح حسنة وأشعار رائعة ومائى فائقة ، وربما عارض شعر البحرى بما يقاربه ويدانيه ،
قالوا وكان الوجيه لا يفضبط قط ، فتراهن جماعة مع واحد أنه إن أغضبه كان له كذا وكذا ، فجاء إليه
فسأله عن مسألة في العربية فأجابه فيها بالجواب ، فقال له السائل : أخطأت أيها الشيخ ، فأعاد عليه
الجواب بعبارة أخرى ، فقال : كذبت وما أراك إلا قد نسيت النحو ، فقال الوجيه : أيها الرجل فلهلك
لم تفهم ما أقول لك ، فقال بلى ولكنك تخطئ في الجواب ، فقال له قل أنت ما عندك للاستفيد منك ،
فأغلظ له السائل في القول فتبسم ضاحكا وقال له : إن كنت راهنت فقد غلبت ، وإنما مثلك
مثل البعوضة - يعنى الناموسة - سقطت على ظهر الفيل ، فلما أرادت أن تطير قالت له استمسك
فانى أحب أن أطير ، فقال لها الفيل : ما أحسست بك حين سقطت ، فما أحتاج أن استمسك إذا
طرت ، كانت وقاته رحمه الله في شعبان منها ودفن بالوردية .

أبو محمد عبد العزيز بن أبي المعالي

ابن غنيمة المعروف بابن منينا ، ولد سنة خمس عشرة وخمسمائة وسمع الكثير وأسمعه ، توفي في
ذى الحجة منها عن سبع وتسعين سنة .

الشيخ الفقه كمال الدين مودود

ابن الشاغورى الشافعى كان يقرى بالجامع الأموى الفقه وشرح التقييه للطلبة ، ويتأنى عليهم
حتى يفهموا احتسابا تجاه المقصورة . ودفن بمقابر باب الصخير شمالي قبور الشهداء وعلى قبره شعر ذكره
أبو شامة والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة

قال أبو شامة : فيها أحضرت الأوتاد الخشب الأربعة لأجل قبة الدير ، طول كل واحد اثنتان وثلاثون ذراعاً بالنجار . وفيها شرع في تجديد خندق باب السر المقابل لدار الطعام العتيقة إلى جانب بانياس . قلت : هي التي يقال لها اليوم اصطبل السلطان ، وقد نقل السلطان بنفسه التراب وماليكه تحمل بين يديه على قريوس السروج القفاف من التراب فيفرغونها في الميدان الأخضر ، وكذلك أخوه الصالح وماليكه يعمل هذا يوماً وهذا يوماً . وفيها وقعت فتنة بين أهل الشاغور وأهل العقبة فاقتتلوا بالرجة والصيارف ، فركب الجيش إليهم ملبسين وجاء المعظم بنفسه فسك رؤسهم وجسهم . وفيها رتب للمصلح خطيب مستقل ، وأول من بشره الصدر معبد الفلكية ، ثم خطب به بعد بهاء الدين بن أبي اليسر ، ثم بنو حسان وإلى الآن .

وفيها توفي من الأعيان . الملك الظاهر أبو منصور

غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان من خيار الملوك وأسد هم سيرة ، ولكن كان فيه عصف ويماقب على الذنب اليسير كثيراً ، وكان يكرم العلماء والشعراء والفقراء ، أقام في الملك ثلاثين سنة وحضر كثيراً من الغزوات مع أبيه ، وكان ذكياً له رأى جيد وعبرة سديدة وفطنة حسنة ، بلغ أربعاً وأربعين سنة ، وجعل الملك من بعده لولده العزيز غياث الدين محمد ، وكان حينئذ ابن ثلاث سنين ، وكان له أولاد كبار ولكن ابنه هذا الصغير الذي عهد إليه كان من بنت عمه العادل وأخواله الأشرف والمعظم والكمال ، وجده وأخواله لا ينازعونه ، ولو عهد لغيره من أولاده لأخذوا الملك منه ، وهكذا وقع سواء ، بايع له جده العادل وأخواله ، وهم المعظم ينتقض ذلك وبأخذ الملك منه فلم يتفق له ذلك ، وقام بتدبير ملكه الطواشي شهاب الدين طغر بك الرومي الأبيض ، وكان ديناً عاقلاً .

وفيها توفي من الأعيان زيد بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة الشيخ الإمام وحيد عصره تاج الدين أبو البين الكندي ، ولد ببغداد ونشأ بها واشتغل وحصل ، ثم قدم دمشق فأقام بها وفاق أهل زمانه شرقاً وغرباً في اللغة والنحو وغير ذلك من فنون العلم ، وعلو الاسناد وحسن الطريقة والسيرة وحسن العقيدة ، وانتفع به علماء زمانه وأنزاع عليه وخضعوا له . وكان حنبلياً : ثم صار حنفيًا . ولد في الخامس والعشرين من شعبان سنة هشرين وخمسمائة ، قرأ القرآن بالروايات وعمره عشرين سنين ، ومعهم الكثير من الحديث العالي على الشيوخ الثقات ، وعفى به وتعلم العربية واللغة واشتهر بذلك ، ثم دخل الشام في سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، ثم سكن مصر واجتمع بالقاضي الفاضل ، ثم انتقل إلى دمشق فسكن بدار

المعجم منها وحظي عند الملوك والوزراء والأمراء ، وتردد إليه العلماء والملوك وأبنائهم ، كان الأفضل ابن صلاح الدين وهو صاحب دمشق يتردد إليه إلى منزله ، وكذلك أخوه الحسن والمعظم ملك دمشق ، كان ينزل إليه إلى درب المعجم يقرأ عليه في المفصل للزمخشري ، وكان المعظم يعطى لمن حفظ المفصل ثلاثين دينارا جائزة ، وكان يحضر مجلسه بدرب المعجم جميع المصدرين بالجامع ، كالشيخ علم الدين السخاوي ويحيى بن معطى الوجيه اللغوي ، والفخر التركي وغيرهم ، وكان القاضي الفاضل يفتي عليه . قال السخاوي : كان عنده من العلوم مالا يوجد عند غيره . ومن العجب أن سيبويه قد شرح عليه كتابه وكان اسمه عمرو ، واسمه زيد . فقلت في ذلك :

لم يكن في عهد عمرو مثله * وكذا الكندي في آخر عصر

فهما زيد وعمرو إنما * بنى النحو على زيد وعمرو

قال أبو شامة : وهذا كما قال فيه ابن الدهان المذكور في سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة :

يا زيد زادك ربى من مواهبه * نعمما يقصر عن إدراكها الأمل

النحو أنت أحق العالمين به * أليس باسمك فيه يضرب المثل

وقد مدحه السخاوي بقصيدة حسنة ، وأثنى عليه أبو المظفر سبط ابن الجوزي ، فقال قرأت عليه وكان حسن العقيدة طريف الخلق لا يسأم الإنسان من مجالسته ، وله النواذر العجيبة والخط المليح والشعر الرائق ، وله ديوان شعر كبير ، وكانت وفاته يوم الاثنين سادس شوال منها وله ثلاث وتسعون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم حمل إلى الصالحية فدفن بها ، وكان قد وقف كتبه - وكانت نفيسة - وهي سبعمائة وإحدى وستون مجلداً ، على ممتقة نجيب الدين ياقوت ، ثم على العلماء في الحديث والفقه والأفنة وغير ذلك ، وجمعت في خزانة كبيرة في مقصورة ابن سنان الحلبيّة المجاورة لمشهد علي بن زين العابدين ، ثم إن هذه الكتب تفرقت وبيع كثير منها ولم يبق بالخرانة المشار إليها إلا القليل الرث ، وهي بمقصورة الحلبيّة ، وكانت قديماً يقال لها مقصورة ابن سنان ، وقد ترك نعمة وافرة وأموالاً جزيلة ، ومماليك منمودة من الترك الحسان ، وقد كان رقيق الحاشية حسن الأخلاق يامل الطلبة معاملة حسنة من القيام والتعظيم ، فلما كبر ترك القيام لهم وأنشأ يقول :

تركتُ قيامي للصدّق يزورني * ولا ذنب لي إلا الاطالة في عمري

فان بلغوا من عشر تسمين نصفها * تبين في ترك القيام لهم عندي

ومما مدح فيه الملك المظفر شاهنشاه ما ذكره ابن الساعي في تاريخه :

وصال النواصي كان أوري وأرجا * وعصر التداي كان أبهى وأبهجا

ليالى كان العذر أحسن شافع * تولى وكان اللهو أوضح منها
 بدا الشيب فأنجابت طماعية الصبا * وقبح لي ما كان يستحسن الحجا
 بلهنية ولت كان لم أكن بها * أجلى بها وجه النعيم مسرجا
 ولا اختلت في برد الشبا بجرجا * ذنوبى إهجاباً بد وتبرجا
 أعارك غيداء المعاطف طفلة * وأغيد معسول المرائف أدهجا
 نقضت لياليها بطيب كأنه * لتقصير منها تخطفت الدجا
 فان أمس مكروب الفؤاد حزينه * أعاقرو من در الصباة منهاجا
 وحيداً على أنى بفضل منيم * مروءة بأعداء التفاضل مزهجا
 فيارب دني قد سررت وسرى * وأهجنه بالصالحات وأهجا
 ويارب قادر قد شهدت وماجد * شهدت دعوتها فتلجلجاً (١)
 صدعت بفضل تقصه فتركته * وفي قلبه شجوة وفي حلقه شجا
 كان ثنائى في مسامع حسدى * وقد ضم أبكار المعاني وأدرجا
 حسام تقي الدين في كل مارق * يقد إلى الأرض الكفى المدججا
 وقال بمدح أخاه معز الدين فر وخشاه بن شاهنشاه بن أيوب :

هل أنت راحم عبدة ومدله * ومجير صب عند ما منه وهى
 هيات برحم قاتل مقتوله * وسنانه في القلب غير منه
 مذبل من ذاك الغرام فانى * مذحل بي مرض الهوى لم أقدر
 إلى بليت بحب أغيد ساحر * بلحافظ رخص البنان بزهور
 أنبي شفاء تدمى من واله * ومتى يرق مدلل للمله
 كم آهة لي في هواه وأنة * لو كان ينفعني عليه فأوهى
 ومآرب في وصله لو أنها * تقضى لكانت عند مبسم الشهى
 يا مفرداً بالحسن إنك منته * فيه كما أنا في الصباة منتهى
 قد لام فيك مباشرى انتهى * باليوم عن حب الحياة وأنتهى
 أبكى لديه فان أحسن بلوعة * وتشهق أرمى بطرف مقهقه
 يا من محاسنه وحالى عنده * حيران بين تفكر وتكنه
 ضدان قد جما بلفظ واحد * لي في هواه بمنين موجه

(١) كذا بالأصل والبيت غير مستقيم .

أو لست ربّ فضائل لوحاز أد * فاهما وما أزهي بها غيري زهي
والذي أنشده تاج الدين الكندي في قتل عمارة البني حين كان مالا الكفرة والملاحدين على قتل
الملك صلاح الدين ، وأرادوا عودة دولة الناطميين فظهر على أمره فصلب مع من صلب في سنة
تسع وتسعين وخمسمائة .

عمارة في الاسلام أبدى خيانة * وحالف فيها بيهة وصليبا
فأوى شريك الشريك في بعض أحدير * وأصبح في حب الصليب صليبا
وكان طبيب الملتقى إن محبته * تجدد منه عودا في النفاق صليبا^(١)
وله صعبنا الدهر أياما حسانا * نعم بين في اللذات حوما
وكانت بعد ما ولت كافي * لدى نقصانها حلما ونوما
أنخ بي المشيب فلا براخ * وإن أوسعته عتبا ولوما
نزول لا يزال على التاني * يسوق إلى الردي يوما فيوما
وكننت أعد لي عاما فعاما * فصرت أعد لي يوما فيوما
العزيز محمد بن الحافظ عبد الغني المقدسي

ولد سنة ست وستين وخمسمائة وأسمه والده الكثير ورحل بنفسه إلى بغداد وقرأ بها مسند أحمد
وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وكان من أصحاب المظلم ، وكان صالحا دينيا ورعا حافظا رحمه الله
ورحم أباه . أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك

الخلاقي البغدادي ، سمع الكثير ، وكان يتردد في الرسليقة بين الخليفة والملك الأشرف ابن العادل
وكان عاقلا دينيا ثقة صدوقا . الشريف أبو جعفر

يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي الماوي الحسيني ، نقيب الطالبين بالعصرة بعد
أبيه ، كان شيخا أدبيا فاضلا عالما بفنون كثيرة لا سيما علم الأنساب وأيام العرب وأشعارها ، يحفظ
كثيرا منها ، وكان من جلساء الخليفة الناصر ، ومن لطيف شعره قوله :

لهنك سمع لا يلائم العنل * وقلب قريح لا يمل ولا يسو
كأن على الحب أضى فريضة * فليس لقلبي غيره أبدا شغل
وإني لأهوى المهجر ما كان أصلة * دلا لأولوا المهجر ما عذب الوصل
وأما إذا كان الصدود ملالة * فأيسر ما هم الحبيب به القتل
أبو علي مزيد بن علي

ابن مزيد المروفي بابن الخشكري الشاعر المشهور ، من أهل التمانية جمع لنفسه ديوانا أورد
له ابن السامى قطعة من شعره فن ذلك قوله :

(١) تقدمت هذه الأبيات في (ج ١٢ ص ٢٧٦)

سألتك يوم النوى نظرة * فلم تسمعي فعز الأسم
فأجبت كيف تقولين لا * ووجهك قد خط فيه نعم
أما التون يا هذه حاجب * أما العين عين أما الميم نم

أبو الفضل رشوان بن منصور

ابن رشوان الكردى المعروف بالنقف ولد بابل وخدم جنديا وكان أديبا شاعرا خدم مع الملك
العادل ، ومن شعره قوله :

سلى على الصوارم والرماح * وخيلاً تسبق الموج الرياح
وأسماء حبسها سمر العوالى * إذا ما الأسد حاولت الكفاح
فانى ثابت عقلاً ولباً * إذا ما صامخ في الحرب صاح
وأورد مهجتي ليج المنايا * إذا ما جث ولم أخف الجراح
وكم ليلى سهرت وبث فيه * أراعى النجم أرتقب الصباح
وكم في فدفد فرسى ونضوى * بقائلة المجير غدا وراح
لعينك في المعاجة ما ألقى * وأثبت في الكربة لا براح

محمد بن يحيى

ابن هبة الله أبو نصر النحاس الواسطي كتب إلى السبط من شعره :

وقائلة لما عرفت وصار لي * نمانون عاماً عش كذا وأبق واسلم
ودم وانتش روح الحياة فانه * لأطيب من بيت بصمة مظلم
فقلت لها عندي لديك عهد * بيت زهير فاعلمي وتعلمي
سمت تكاليف الحياة ومن يش * نمانين حولاً لا محالة يسأم

ثم دخلت سنة أربع عشرة وستائة

في ثالث المحرم منها كل تبليط داخل الجامع الأموى وجاء المعتمد مبارز الدين إبراهيم المتولى
بدمشق ، فوضع آخر بلاطة منه بيده عند باب الزيارة فرحاً بذلك . وفيها زادت دجلة ببغداد زيادة
عظيمة وارتفع الماء حتى ساوى القبور إلا مقدار أصبعين ، ثم طفق الماء من فوقه وأيقن الناس بالهلكة
واستمر ذلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما ، ثم من الله فتناقص الماء وذهبت الزيادة ، وقد بقيت
بغداد تلوًا وتهدمت أكثر البنايات . وفيها درس بالنظامية محمد بن يحيى بن فضلان وحضر عنده
القضاة والأعيان . وفيها صدر الصدر بن حويه رسولا من العادل إلى الخليفة . وفيها قدم ولده الفخر
ابن الكامل إلى المعظم يطلب منه ابنته على ابنه أقيس صاحب اليمن ، ففقد المعظم بدمشق على

صداق هائل . وفيها قدم السلطان علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكمش من همدان قاصدا إلى بغداد في أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل في ستمائة ألف ، فاستمد له الخليفة واستخدم الجيوش وأرسل إلى الخليفة يطلب منه أن يكون بين يديه على قاعدة من تقدمه من الملوك السلاجقة ، وأن يخطب له ببغداد ، فلم يجبه الخليفة إلى ذلك ، وأرسل إليه الشيخ شهاب الدين السهروردي ، فلما وصل شاهد عنده من العظمة وكثرة الملوك بين يديه وهو جالس في حركة من ذهب على سرير ساج ، وعليه قباء بخاري ما يساوي خمسة دراهم ، وعلى رأسه جلدة ما تساوي درهما ، فسلم عليه فلم يرد عليه من الكبر ولم يأذن له في الجلوس ، فقام إلى جانب السرير وأخذ في خطبة هائلة فذكر فيها فضل بني العباس وشرفهم ، وأورد حديثا في النهي عن أذام والترجسان يعيد على الملك ، فقال الملك أما ما ذكرت من فضل الخليفة فانه ليس كذلك ، ولكني إذا قدمت ببغداد أقمت من يكون بهذه الصفة ، وأما ما ذكرت من النهي عن أذام فاني لم أؤذ منهم أحدا ولكن الخليفة في سجنونه منهم طائفة كثيرة يقتاتلون في السجون ، فهو الذي آذى بني العباس ، ثم تركه ولم يرد عليه جوابا بعد ذلك ، وانصرف السهروردي راجعا ، وأرسل الله تعالى على الملك وجنوده ثلجا عظيما ثلاثة أيام حتى طم الحزاي واخليم ، ووصل إلى قريب رؤس الأعلام ، وتقطعت أيدي رجال وأرجلهم ، ومهم من البلاء مالا يحصى ولا يوصف ، فردم الله خائبين والحمد لله رب العالمين .

وفيها انتقضت الهدنة التي كانت بين العادل والفرنج واتفق قدوم العادل من مصر فاجتمع هو وابنه المعظم بيسان ، فركبت الفرنج من عسكا ومحبته ملوك السواحل كلهم وساقوا كلهم قاصدين معانصة العادل ، فلما أحس بهم فرمنهم لكثرة جيوشهم وقلة من معه ، فقال ابنه المعظم إلى أين يا أبة ؟ فشتمه بالعجمية وقال له أقطعت الشام بمالكك وتركك أبناء الناس ، ثم توجه العادل إلى دمشق وكتب إلى واليها المعتمد ليحصنها من الفرنج وينقل إليها من الغلات من داريا إلى القلعة ، ويرسل الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور ، وفزع الناس من ذلك وأبتهلوا إلى الله بالدعاء وكثر الضجيج بالجامع ، وأقبل السلطان فنزل مرج الصفر وأرسل إلى ملوك الشرق ليقدموا لقنال الفرنج ، فكان أول من قدم صاحب حمص أسد الدين ، فتلقاه الناس فدخل من باب الفرنج وجاء فسلم على ست الشام بدارها عند المارستان ، ثم عاد إلى داره ، ولما قدم أسد الدين سرى عن الناس فلما أصبح توجه نحو العادل إلى مرج الصفر . وأما الفرنج فانهم قدموا بيسان فتهبوا ما كان بها من الغلات والدواب ، وقتلوا وسبوا شيئا كثيرا ، ثم عاثوا في الأرض فسادا يقتلون وينهبون ويأسرون ما بين بيسان إلى بانياس ، وخرجوا إلى أراضي الجولان إلى نوى وغيرها ، وسار الملك المعظم فنزل على عقبة الدين بين القدس و نابلس خوفا على القدس منهم ، فانه هو الأهم الأكبر ، ثم حاصر الفرنج

حصن الطور حصاراً هائلاً ومانع عنه الذين به من الأبطال جماعة هائلة ، ثم كر الزنج راجعين إلى عكا ومعهم الأسارى من المسلمين ، وجاء الملك المعظم إلى الطور فخلع على الأمراء الذين به وطيب نفوسهم ، ثم اتفق هو وأبوه على هدمه كما سيأتى .
وفيهما توفى من الأعيان . الشيخ الامام العلامة الشيخ العماد

أخو الحافظ عبد الغنى ، أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسى ، الشيخ المهادى أصغر من أخيه الحافظ عبد الغنى بسنتين ، وقدم مع الجماعة إلى دمشق سنة إحدى وخمسين وخمسة ، ودخل بغداد مرتين وسمع الحديث وكان عابدا زاهدا ورعا كثير الصيام ، يصوم يوما ويفطر يوما ، وكان قتيها مفتيا ، وله كتاب الفروع وصنف أحكاماً ولم يتمه ، وكان يؤم بمحراب الخنابلة مع الشيخ الموفق ، وإنما كانوا يصلون بغير محراب ، ثم وضع المحراب في سنة سبع عشرة وستائة ، وكان أيضاً يؤم بالناس لقضاء الفوائت ، وهو أول من فعل ذلك . صلى المغرب ذات ليلة وكان صائماً ثم رجع إلى منزله بدمشق فأفطر ثم مات فجأة ، فصلى عليه بالجامع الأموى ، صلى عليه الشيخ الموفق عند مصلام ، ثم صعدوا به إلى السفح ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً من كثرة الناس . قال سبط ابن الجوزى كان الخلق من الكهف إلى مغارة الدم إلى المنطور لو بدر السمسم ما وقع إلا على رؤس الناس ، قال فلما رجعت تلك الليلة فكرت فيه وفي جنازته وكثرة من شهدا وقلت : هذا كان رجلاً صالحاً ولعله أن يكون نظر إلى ربه حين وضع في قبره ، ومر بذهنى أبيات الثورى التى أنشدها بعد موته فى المنام :

نظرتُ إلى ربي كفاحاً فقال لى * هنيئاً رضائى عنك يا ابن سميد
لقد كنتُ قواماً إذا أظلم الدجى * بمبرة مشتاقٍ وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصر أردته * وزرنى فانى عنك غير بعيد

ثم قلت أرجو أن يكون المهادى ربه كما رآه الثورى ، فتمت فرأيت الشيخ العماد فى المنام وعليه حلة خضراء وعمامة خضراء ، وهو فى مكان متسع كأنه روضة ، وهو يرقى فى درج متسعة ، فقلت يا عماد الدين كيف بت فانى والله تفكر فيك ؟ فنظر إلى وتبسم على عادته التى كنت أعرفه فيها فى الدنيا ثم قال :

رأيتُ إلهى حين أنزلتُ حفرى * وفارقتُ أصحابى وأهلى وجيرى
وقالَ جزيتَ الخير عفى فانى * رضيتُ فباعفوى لديك ورحمى
دأبتُ زماناً تأملُ المفو والرضا * فوَقَّيتُ نيرانى ولقَّيتُ جَنَّتَى

قال فانتهت وأنا مذمور وكتبت الأبيات والله أعلم .

القاضى جمال الدين ابن الحرسى

عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل أبو القاسم الأنصارى ابن الحرسى قاضى القضاة بدمشق

ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وكان أبوه من أهل حرستان ، فنزل داخل باب نوما وأم بمسجد الزينبي ونشأ ولده هذا نشأة حسنة سمع الحديث الكثير وشارك الحافظ ابن عساكر في كثير من شيوخه ، وكان يجلس للأسماع بمقصورة الخضر ، وعندها كان يصلي دائماً لا تفوته الجماعة بالجامع ، وكان منزله بالحرورية ودرس بالمجاهدية وعمر دهر آملويلاً على هذا القدم الصالح والله أعلم . وناب في الحكم عن ابن أبي عصرون ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وصلاته بالجامع ، ثم عزل المادل القاضي ابن الزكي وألزم هذا بالقضاء وله ثنتان وتسعون سنة وأعطاه تدريس العزيزية . وأخذ التقوية أيضاً من ابن الزكي وولاهما نغر الدين ابن عساكر . قال ابن عبد السلام ما رأيت أحداً أفقه من ابن الحرستاني ، كان يحفظ الوسيط للفرزالي . وذكر غير واحد أنه كان من أعدل القضاة وأقومهم بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، وكان ابنه عماد الدين يخطب بجامع دمشق ، وولى مشيخة الاشرفية ينوب عنه ، وكان القاضي جمال الدين يجلس للحكم بمدرسته المجاهدية ، وأرسل إليه السلطان طراحة ومسندة لأجل أنه شيخ كبير ، وكان ابنه يجلس بين يديه ، فإذا قام أبوه جالس في مكانه ، ثم إنه عزل ابنه عن نيابته لشق بانه عنه ، واستتاب شمس الدين بن الشيرازي ، وكان يجلس تجاهه في شرق الايوان ، واستتاب معه شمس الدين ابن سنا الدولة ، واستتاب شرف الدين ابن الموصلي الحنفي ، فكان يجلس في محراب المدرسة ، واستمر حاكماً سنتين وأربعة أشهر ، ثم مات يوم السبت رابع الحجة وله من العمر خمس وتسعون سنة ، وصلى عليه بجامع دمشق ثم دفن بسفح قايسون .

الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم

المسكاري باني المدرسة التي بالقدس ، كان من خيار الامراء ، وكان يتمنى الشهادة دائماً فقتله الفرنج بمحسن الطور ، ودفن بالقدس بتربة عاملها وهو بزار إلى الآن رحمه الله الشجاع محمود المعروف بابن الدماح

كان من أصدقاء المادل يضحكه ، فحصل أموالاً جزيلة منهم ، كانت داره داخل باب الفرنج فجعلها زوجته عائشة مدرسة للشافعية والحنفية ، ووقفت عليها أوقافاً داره الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة

شيخة المالمات بدمشق ، تلقب بدهن اللوز ، بنت نورنجان ، وهي آخر بناته وفاة وجملت أموالها وقفا على تربة أختها بنت العصبة المشهورة

ثم دخلت سنة خمس عشرة وستائة

استهلمت والمادل بمرج الصفر لمناجزة الفرنج وأمر ولده المعظم بتخريب حصن الطور فأحر به ونقل مافيه من آلات الحرب وغيرها إلى البلدان خوفاً من الفرنج . وفي ربيع الاول نزلت الفرنج على

دمياط وأخذوا برج السلسلة في جمادى الاولى ، وكان حصناً منيعاً ، وهو قفل بلاد مصر . وفيها النقي المعظم والفرنج على القيمون فكسروهم وقتل منهم خلقاً وأسروا مائة فأدخلهم إلى القنس منكسة أعلامهم . وفيها جرت خطوب كثيرة ببلد الموصل بسبب موت ملوكها أولاد قرا أرسلان واحداً بعد واحد ، وتغلب ملوك أبيهم بدر الدين لؤلؤ على الأمور والله أعلم . وفيها أقبل ملك الروم كيكايس سنجر يريد أخذ مملكة حلب ، وساعده على ذلك الأفضل بن صلاح الدين صاحب سميساط ، فصدته عن ذلك الملك الأشرف موسى بن العادل وقهر ملك الروم وكسر جيشه وردّه خائباً . وفيها تملك الأشرف مدينة سنجار مضافاً إلى ما بيده من الممالك .

وفيها توفي السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، فأخنت الفرنج دمياط ثم ركبوها وقصدوا بلاد مصر من ثغر دمياط فحاصروه مدة أربعة شهور ، والملك الكامل يقاتلهم ويمنعهم ، فتملكوا برج السلسلة وهو كالقفل على ديار مصر ، وصفته في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه إلى البحر ، ومنه إلى دمياط ، وهو على شاطئ البحر وحافة سلسلة منه إلى الجانب الآخر ، وعليه الجسر وسلسلة أخرى تمتع دخول المراكب من البحر إلى النيل ، فلا يمكن الدخول ، فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين ، وحين وصل الخبر إلى الملك العادل وهو بمرج الصفر تأوه لذلك وتأوه أشدّيناً ودق بيده على صدره أسفاً وحزناً على المسلمين وبلادها ، ومرض من ساعته مرض الموت لأمر بيده الله عز وجل ، فلما كان يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة توفي بقرية غالقين ، فجاءه ولده المعظم مسرعاً فجمع حواصله وأرسله في محفة ومعه خادم بصفة أن السلطان مريض ، وكلما جاء أحد من الأمراء ليسلم عليه بلغهم الطواشي عنه ، أي أنه ضيف ، عن الرد عليهم ، فلما انتهى به إلى القلعة دفن بها مدة ثم حول إلى تربته بالعادلية الكبيرة ، وقد كان الملك سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن شادي من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، ديناً عاقلاً صبوراً وقوراً ، أبطل المحرمات والنجور والمعارف من مملكته كلها وقد كانت ممتدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة إلى همدان كلها ، أخذها بعد أخيه صلاح الدين سوى حلب فانه أفرها بيد ابن أخيه الظاهر غازي لأنه زوج ابنته صفية الست خاتون . وكان العادل حليماً صفوفاً صبوراً على الأذى كثير الجهاد بنفسه ومع أخيه خضر معه مواقفه كلها أو أكثرها في مقاتلة الفرنج ، وكانت له في ذلك اليد البيضاء ، وكان ماسك اليد وقد أنفق في عام الغلاء بمصر أموالاً كثيرة على الفقراء وتصدق على أهل الحاجة من أبناء الناس وغيرهم شيئاً كثيراً جداً ، ثم إنه كفن في العام الثاني من بعد عام الغلاء في الفناء مائة ألف إنسان من الغراء والفقراء ، وكان كثير الصدقة في أيام مرضه حتى كان ينجح جميع ما عليه ويتصدق به ويكرمه به ، وكان كثير الاكل متمتعاً بصحة وعافية مع كثرة صيامه ، كان يأكل في اليوم الواحد أكالات جيدة ، ثم بعد

هذا يأكل عند النوم رطالا بالدمشق من الحلوى السكرية اليابسة ، وكان يمتريه مرض في أنفه في زمن الورد وكان لا يقدر على الاقامة به ، شق حتى يفرغ زمن الورد ، فكان يضربه الوطاق بمرج الصفر ثم يدخل البلد بعد ذلك . توفي عن خمس وسبعين سنة ، وكان له من الأولاد جماعة : محمد الكامل صاحب مصر ، وعيسى المعظم صاحب دمشق ، وروسي الأشرف صاحب الجزيرة ، وخلط وحران وغير ذلك ، والوحيد أيوب مات قبله ، والفائز إبراهيم ، والمظفر غازي صاحب الرها ، والعزير عثمان والأبجد حسن وهما شقيقا المعظم ، والمقيت محمود ، والحافظ أرسلان صاحب جمسر ، والصالح إسماعيل ، والقاهر إسحاق ، ومجير الدين يعقوب ، وقطب الدين أحمد ، وخليل وكان أصغرهم ، وتقي الدين عباس وكان آخرهم وفاة ، بقي إلى سنة سنتين وسبعمائة ، وكان له بنات أشهرهن الست صفية خاتون زوجة الظاهر غازي صاحب حلب وأم الملك العزيز والد الناصر يوسف الذي ملك دمشق ، وإليه تنسب الناصريتان إحداهما بدمشق والأخرى بالسفح وهو الذي قتله هلاكو كما سيأتي .

صفة أخذ الفرنج دمياط

لما اشتهر الخبر بموت العادل ووصل إلى ابنه الكامل وهو بنفر دمياط مرابط الفرنج ، أضعف ذلك أعضاء المسلمين وفشلوا ، ثم بلغ الكامل خبر آخر أن الأمير ابن المشطوب وكان أكبر أمير بمصر ، قد أراد أن يبايع للفائز عوضا عن الكامل ، فساق وحده جريدة فدخل مصر ليستدرك هذا الخطاب الجسيم ، فلما فقد الجيش من بينهم أنجل نظامهم واعتقدوا أنه قد حدث أمر أكبر من موت العادل ، فركبوا وراءه فدخلت الفرنج بأمان إلى الديار المصرية ، واستحوذوا على معسكر الكامل وأثقاله ، فوقع خبط عظيم جدا ، وذلك تقدير العزيز العليم ، فلما دخل الكامل مصر لم يقع مما ظنه شيء ، وإنما هي خديعة من الفرنج ، وهرب منه ابن المشطوب إلى الشام ، ثم ركب من فوره في الجيش إلى الفرنج فاذا الأمر قد تزايد ، وتمكنوا من البلدان وقتلوا خلقا وغنموا كثيرا ، وعانت الأعراب التي هنالك على أموال الناس ، فكانوا أضرب عليهم من الفرنج ، فنزل الكامل نجاء الفرنج يمانهم عن دخولهم إلى القاهرة بعد أن كان يمانهم عن دخول الثغر ، وكتب إلى إخوانه يستنحبهم ويستنجدهم ويقول الوحا العجل العجل ، أدر كوا المسلمين قبل ذلك الفرنج جميع أرض مصر . فأقبلت المساكم الإسلامية إليه من كل مكان ، وكان أول من قدم عليه أخوه الأشرف بيض الله وجهه ، ثم المعظم وكان من أمرهم مع الفرنج ما سنذكره بعد هذه السنة .

وفيها ولي حسبة بغداد الصاحب محيي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وهو مع ذلك يعمل ميعاد الوعظ على قاعدة أبيه ، وشكر في مباشرته للحسبة . وفيها فوض إلى المعظم النظر في التربة البديرة تجاه الشبلية عند الجسر الذي على نهر ، ويقال له جسر كحيل ، وهي مملوكة إلى

حسن بن الداية، كان هو وإخوته من أكابر أمراء نور الدين محمود بن زنكي، وقد جعلت في حدود الأرمين وسنائة جامعا يخطب فيه يوم الجمعة. وفيها أرسل السلطان علاء الدين محمد بن تكش إلى الملك العادل وهو مخيم بمرج الصفر رسولا، فرد إليه مع الرسول خطيب دمشق جمال الدين محمد بن عبد الملك الدولعي، واستنيب عنه في الخطابة الشيخ الموفق عمر بن يوسف خطيب بيت الأبار، فأقام بالعزبية يباشر عنه، حتى قدم وقد مات العادل.

وفيها توفي الملك القاهر صاحب الموصل. فأقيم ابنه الصغير مكانه. ثم قتل وتشتت شمل البيت الأتابكي، وتغلب على الأمور بدر الدين لؤلؤ غلام أبيه. وفيها كان عود الوزير صفى الدين عبد الله ابن علي بن شكر من بلاد الشرق بعد موت العادل، فعمل فيه علم الدين مقامة بالغ في مسدحه فيها، وقد ذكروا أنه كان متواضعا يحب الفقراء والفقهاء، ويسلم على الناس إذا اجتاز بهم وهو راكب في أهبة وزارته، ثم إنه نكب في هذه السنة، وذلك أن الكامل هو الذي كان سبب طرده وإبعاده كتب إلى أخيه المعظم فيه، فاحتاط على أمواله وحواصله، وعزل ابنه عن النظر من الدواوين، وقد كان ينوب عن أبيه في مدة غيبته. وفي رجب منها أعاد المعظم ضمان القيان والخور والمغنيات وغير ذلك من الفواحش والمنكرات التي كان أبوه قد أبطلها، بحيث إنه لم يكن أحد يتجاسر أن ينقل ملء كف خر إلى دمشق إلا بالحيلة الخفية، فجزى الله العادل خيرا، ولا جزى المعظم خيرا على ما فعل، واعتذر المعظم في ذلك بأنه إنما صنع هذا المنكر لقلة الأموال على الجند، واحتياجهم إلى النفقات في قتال الفرنج. وهذا من جهله وقلة دينه وعدم معرفته بالأمور، فإن هذا الصنيع يدل عليهم الأعداء وينهرهم عليهم، ويتمكن منهم الداء ويثبط الجند عن القتال، فيولون بسببه الأديار، وهذا مما يدمر ويخرب الديار ويدل الدول، كما في الأثر «إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني». وهذا ظاهر لا يخفى على فطن.

ومن توفي فيها من الأعيان. القاضي شرف الدين

أبو طالب عبد الله بن زين القضاة عبد الرحمن بن سلطان بن يحيى اللخمي الضرير البغدادي، كان ينسب إلى علم الأوائل، ولكنه كان يتستر بمذهب الظاهرية، قال فيه ابن الساعي: الداودي المذهب، المعري أدبا واعتقادا، ومن شعره:

إلى الرحمن أشكو ما ألاق * غداة عدوا على هوج النياق
سألتكم بمن زم المطايا * أمر بكم أمر من الفراق؟
وهل ذل أشد من التناي * وهل عيش ألد من التلاق؟

قاضي قضاة بغداد.

عماد الدين أبو القاسم

عبد الله بن الحسين بن الدامغانى الخنقى ، سمع الحديث وتفقّه على مذهب أبي حنيفة ، وولى القضاء ببغداد مرتين فمات من أربع^(١) عشرة سنة ، وكان مشكور السيرة عارفاً بالحساب والفرائض وقسمة التركات

أبو اليمن نجاح بن عبد الله الحبشي

السودانى نجم الدين مولى الخليفة الناصر ، كان يسمى سلمان دار الخلافة ، وكان لا يفارق الخليفة ، فلما مات وجد عليه الخليفة وجداً كثيراً ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، كان بين يدي نفسه مائة بقرة وألف شاة وأحبال من التمر والخبز والماورد ، وقد صلى عليه الخليفة بنفسه تحت الناج ، وتصدق عنه بمئنة ألف دينار على المشاهد ، ومثلها على الجوارين بالحرمين ، وأعتق بماله ووقف عنه خمسمائة مجلد . أبو المظفر محمد بن علوان

ابن مهاجر بن علي بن مهاجر الموصلى ، تفقّه بالنظامية وسمع الحديث ، ثم عاد إلى الموصل فساد أهل زمانه بها ، وتقدم في الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها ، وكان صالحاً ديناً .

أبو الطيب رزق الله بن يحيى

ابن رزق الله بن يحيى بن خليفة بن سليمان بن رزق الله بن غانم بن غنام التاخدرى الحديث الجوال الرحال الثقة الحافظ الأديب الشاعر ، أبو العباس أحمد بن برتكنش بن عبد الله الهامى ، كان من أمراء سنجار ، وكان أبوه من موالى الملك عماد الدين زنكى صاحبها ، وكان أحمد هذا ديناً شامراً ذا مال جزيل ، وأسلاك كثيرة ، وقد احتاط على أمواله قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكى وأودعه سجناً فلسى فيه ومات كدّاً ، ومن شعره :

قولٌ وقد ودعتها ودموعها * على خدّها من خشية البين تلتقى

مضى أكثر العمر الذى كان فافماً * رو يدك فاحمل صالحاً فى الذى بقى

ثم دخلت سنة ست عشرة وستمائة

فيها أمر الشيخ محيى الدين بن الجوزى محتسب بغداد بإزالة المنكر وكسر الملامى عكس ما أمر به المظلم ، وكان أمره في ذلك في أول هذه السنة وفقه الحمد والمنة .

ظهور جنكيز خان وعبور التتار نهر جيحون

وفيها عبرت التتار نهر جيحون صحبة ملكهم جنكيز خان من بلادهم ، وكانوا يسكنون جبال طنجاج من أرض الصين ولغتهم مخالفة لغة سائر التتار ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وسبب دخولهم نهر جيحون أن جنكيز خان بثت فجاراً له ومعهم أسواق كثيرة إلى بلاد خوارزم شاه ينتفضون له

(١) في المصرية : نحو من سبع عشرة سنة .

فيايا للكسوة ، فكتب نائبا إلى خوارزم شاه يذكر له ما معهم من كثرة الأموال ، فأرسل إليه بأن يقتلهم ويأخذ ما معهم ، ففعل ذلك ، فلما بلغ جنكزخان خبرهم أرسل يتهدد خوارزم شاه ، ولم يكن ما فعله خوارزم شاه فعلا جيدا ، فلما تهدهد أشار من أشار على خوارزم شاه بالمسير إليهم ، فسار إليهم وهم في شغل شاغل بقتال كشلى خان ، فتهب خوارزم شاه أموالهم وسبى ذراريهم وأطفالهم ، فأقبلوا إليه عرويين فاقنتلوا معه أربعة أيام قتالا لم يسمع بمثله ، أولئك يقاتلون عن حريمهم والمسلمون عن أنفسهم ، يملون أنهم متى ولوا استأصلوهم ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، حتى أن الخيول كانت تترلق في الدماء ، وكان جملة من قتل من المسلمين نحو من عشرين ألفا ، ومن التتار أضعاف ذلك ، ثم تحاجز الفريقان وولى كل منهم إلى بلاده ولجأ خوارزم شاه وأصحابه إلى بخارى وممرقند فخصنها وبالق في كثرة من ترك فيها من المقاتلة ، ورجع إلى بلاده ليجهز الجيوش الكثيرة ، فقصدت التتار بخارى وبها عشرون ألف مقاتل فحاصرها جنكزخان ثلاثة أيام ، فطلب منه أهلها الأمان فأنهم ودخلها فأحسن السيرة فيهم مكرًا وخديعة ، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها واستعمل أهل البلد في طمخندقها وكانت التتار يأتون بالنابر والرهمات فيطرحونها في الخندق يطمون به ففتحوها قسرا في عشرة أيام ، فقتل من كان بها . ثم عاد إلى البلد فاصطفى أموال تجارها وأهلها لجنده فقتلوا من أهلها خلقا لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، وأسروا الذرية والنساء ، وفعلوا معهن الفواحش بحضرة أهليهن ، فمن الناس من قاتل دون حريمه حتى قتل ، ومنهم من أسرفعذب بأنواع العذاب ، وكثر البكاء والضحيج بالبلد من النساء والأطفال والرجال ، ثم ألفت التتار النار في دور بخارى ومدارسها ومساجدها فاحترقت حتى صارت بلاقع خاوية على عروشها ، ثم كروا راجعين عنها قاصدين ممرقند ، وكان من أمرهم ما سنذكره في السنة الآتية .

وفي مستهل هذه السنة خرب سور بيت المقدس عمره مائة سنة ، أمر بذلك المعظم خوف من استيلاء الفرنج عليه بعد مشورة من أشار بذلك ، فان الفرنج إذا تمكنوا من ذلك جعلوه وسيلة إلى أخذ الشام جميعه ، فشرع في تخريب السور في أول يوم المحرم فهرب منه أهله خوف من الفرنج أن يهجموا عليهم ليلا أو نهارا ، وتركوا أموالهم وأثاثهم وتمزقوا في البلاد كل ممزق ، حتى قيل إنه بيع القنطار الزيت بعشرة دراهم والرطل النحاس بنصف درهم . وضج الناس وابتهلوا إلى الله عند الصخرة وفي الأقصى ، وهى أيضاً قلعة شماء من المعظم ، مع ما أظهر من الفواحش في العام الماضى ، فقال بعضهم يهجمو المعظم بذلك .

في رجب حلل الحيات * وأخرب القدس في الحرم

وفيهما استحوذت الفرنج على مدينة دمياط ودخلوها بالأمان فهدروا بأهلها وقتلوا رجالها وسبوا

نساءها وأطفالها ، وفجروا بالنساء وبعثوا بمنبر الجامع والربعات ورؤس القتلى إلى الجزائر ، وجعلوا الجامع كنيسة . وفيها غضب المعظم على القاضي زكي الدين بن الزكي ، وسببه أن عمته ست الشام بنت أيوب مرضت في دارها التي جعلتها بعدها مدرسة فأرسلت إلى القاضي لتوصي إليه ، فذهب إليها بشهود معه فكتب الوصية كما قالت ، فقال المعظم يذهب إلى عمي بدون إذن ، ويسمع هو والشهود كلامها ؟ واتفق أن القاضي طلب من جابي المزية حسابها وضربه بين يديه بالمقارع ، وكان المعظم ينفذ هذا القاضي من أيام أبيه ، فعند ذلك أرسل المعظم إلى القاضي ببيعة فيها قباه وكاوتة ، القباه أبيض والكاوتة صفراء . وقيل بل كانا حراوين مدرنين ، وحلف الرسول عن السلطان ليلبسهما ويحكم بين الخصوص فيهما ، وكان من لطف الله أن جاءته الرسالة بهذا وهو في دهليز داره التي بباب البريد ، وهو منتصب للحكم ، فلم يستطع إلا أن يلبسهما وحكم فيهما ، ثم دخل داره واستقبل مرض موته ، وكانت وفاته في صفر من السنة الآتية بعدها ، وكان الشرف بن عنين الزرعي الشاعر قد أظهر اللسك والتعبد ، ويقال : إنه اعتكف بالجامع أيضاً فأرسل إليه المعظم بخمر ونرد ليشتغل بهما . فكتب إليه ابن عنين :

يا أيها الملك المعظم سنة * أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوك على طريقك بعدها * خلع القضاة وتحفة الزهاد

وهذا من أقبح ما يكون أيضاً ، وقد كان نواب ابن الزكي أربعة : شمس الدين بن الشيرازي إمام مشهد على ، كان يحكم بالمشهد بالشباك ، وربما برز إلى طرف الرواق تجاه البلاطة السوداء . وشمس الدين ابن سفي الدولة ، كان يحكم في الشباك الذي في الكلاسة تجاه تربة صلاح الدين عند الغزالية ، وكال الدين المصري وكيل بيت المال كان يحكم في الشباك الكالي بمشهد عثمان ، وشرف الدين الموصل الحنفي كان يحكم بالمدرسة الطارخانية بجبرون والله تعالى أعلم .
وفيها توفي من الأعيان ست الشام

واقفة المدرستين البرانية والجوانية الست الجليلة المصونة خاتون ست الشام بنت أيوب بن شادي ، أخت الملوك وعمة أولادهم ، وأم الملوك ، كان لها من الملوك الحارم خمسة وثلاثون ملكاً ، منهم شقيقها المعظم توران شاه بن أيوب صاحب اليمن ، وهو مدفون عندها في القبر القبلي من الثلاثة ، وفي الأوسط منها زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي صاحب حمص ، وكانت قد تزوجته بعد أبي ابنها حسام الدين عمر بن لاجين ، وهي وابنها حسام الدين عمر في القبر الثالث ، وهو الذي بلى مكان الدرس ، ويقال للتربة والمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها هذا حسام الدين عمر بن لاجين ، وكان من أكابر العلماء عند خاله صلاح الدين ، وكانت ست الشام

من أكثر النساء صدقة وإحساناً إلى الفقراء والمجاويع ، وكانت تعمل في كل سنة في دارها بألوف من الذهب أشربة وأدوية وعقاقير وغير ذلك وتفرقه على الناس ، وكانت وفاتها يوم الجمعة آخر النهار السادس عشر من ذي القعدة من هذه السنة في دارها التي جعلتها مدرسة ، وهي عند المارستان وهي الشامية الجوانية ، وقلبت منها إلى تربتها بالشامية البرانية ، وكانت جنازتها خافلة رحماً الله .

أبو البقاء صاحب الأعراب واللباب

عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، الشيخ أبو البقاء العكبري الضرير النحوي الخنيلي صاحب إعراب القرآن العزيز وكتاب اللباب في النحو ، وله حواش على المقامات ومفصل الزخشي وديوان المتنبي وغير ذلك ، وله في الحساب وغيره ، وكان صالحاً ديناً ، مات وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وكان إماماً في اللغة فقيهاً مناظراً عارفاً بالأصليين والفقهاء ، وحكي القاضى ابن خلكان عنه أنه ذكر في شرح المقامات أن عنقاه مغرب كانت تأتي إلى جبل شاهق عند أصحاب الرس ، فربما اختلطت بعض أولادهم فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها فهلكت . قال : وكان وجهها كوجه الانسان وفيها شبه من كل طائر ، وذكر الزخشي في كتابه ربيع الأبرار أنها كانت في زمن موسى لها أربعة أجنحة من كل جانب ، ووجه كوجه الانسان ، وفيها شبه كثير من سائر الحيوان ، وأنها تأخرت إلى زمن خالد بن سنان العبسي الذي كان في الفترة فدعا عليها فهلكت والله أعلم . وذكر ابن خلكان أن المعز الفاطمي جىء إليه بطائر غريب الشكل من الصعيد يقال له عنقاء مغرب . قلت : وكل واحد من خالد بن سنان وحنظلة بن صفوان كان في زمن الفترة ، وكان صالحاً ولم يكن نبياً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » وقد تقدم ذلك .

الحافظ عماد الدين أبو القاسم

على ابن الحافظ بهاء الدين أبي محمد القاسم بن الحافظ الكبير أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي ، جمع الكثير ورحل فمات ببغداد في هذه السنة ، ومن لطيف شعره قوله في المروحة

ومروحة تروح كل هم * ثلاثة أشهر لا بد منها
حزيران وتموز وآب * وفي أيلول يغنى الله عنها

ابن الدواوي الشاعر وقد أورد له ابن الساعي جملة صالحة من شعره وأبو سعيد بن الوزان الدواوي وكان أحد المعدلين ببغداد وجمع البخاري من أبي الوقت وأبو سعيد محمد بن محمود بن عبد الرحمن المروزي الأصل الحمداقي المولد البغدادي المنشأ والوفاة ، كان حسن الشكل كامل الأوصاف له خط حسن ويعرف فنونا كثيرة من العلوم ، شافى المذهب ، يتكلم في مسائل الخلاف حسن الأخلاق ومن شعره قوله :

أرى قسم الأرزاق أعجب قسمه * لدى دعة ومكديته لدى كبد
وأحق ذو مال وأحق مدم * وعقل بلا حظ وعقل له حد
يمع النقي والفقر ذا الجبل والحما * ولله من قبل الأمور ومن بعد
أبو زكريا يحيى بن القاسم

ابن الفرج بن درع بن الخضر الشافعي شيخ تاج الدين التكريتي قاضيها ، ثم درس بنظامية بغداد ، وكان متقنا لهجوم كثيرة منها التفسير والفقه والأدب والنحو واللغة ، وله المصنفات في ذلك كله وجمع لنفسه تاريخاً حسناً . ومن شعره قوله :

لا بد للمرء من ضيق ومن سعة * ومن سرور وبافية ومن حزن
والله يطلب منه شكر نعمته * مادام فيها ويبقى الصبر في الحزن
فكن مع الله في الحالين معتنقاً * فرضيك هذين في سرور في علق
فما على شدة يبقى الزمان يكن * ولا على نعمة تبقى على الزمن
وله أيضاً : إن كان قاضي الهوى على ولي * ماجار في الحكم من على ولي
يا يوسف الجمال عندك لم * تبقى لي حيلة من الحيل
إن كان قد القميص من دبر * فنيك قد الفؤاد من قبل

صاحب الجواهر

الشيخ الامام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن ساس بن نزار بن عثمان بن عبد الله بن محمد بن سلس الجذامي المالكي الفقيه ، مصنف كتاب الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة ، وهو من أكثر الكتب فوائد في الفروع ، رتبها على طريقة الوجيز للقرافي . قال ابن خلكان : وفيه دلالة على غزارة علمه ونضله والطائفة المالكية بمصر عاكفة عليه لحسنه وكثرة فوائده ، وكان مدرساً بمصر ومات بدمياط رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة

في هذه السنة عم البلاء وعظم العزاء بمنكر خان المسمى بتوطين لعنه الله تعالى ، ومن معه من التتار قبهم الله أجمعين ، واستعمل أمرهم واشتد إفسادهم من أقصى بلاد الصين إلى أن وصلوا بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى إربل وأهملها ، فلكوا في سنة واحدة وهي هذه السنة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر ، وقهروا جميع الطوائف التي بتلك النواحي الخوارزمية والقفجاق والكرج واللان والخرز وغيرهم ، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحصى ولا يوصف ، وبالجملة فلم يدخلوا بلداً إلا قتلوا جميع من فيه من المقاتلة

والرجال ، وكثيراً من النساء والأطفال ، وأتلفوا ما فيه بالنهب إن احتاجوا إليه ، وبالحرق إن لم يحتاجوا إليه ، حتى أنهم كانوا يجمعون الخرب السكثير الذي يعجزون عن حمله فيطلقون فيه النار وهم ينظرون إليه ، ويحربون المنازل وما يحزوا عن تخريبه بحرقوه ، وأكثر ما يحرقون المساجد والجوامع ، وكانوا يأخذون الأسارى من المسلمين فيقاتلون بهم ويحاصرون بهم ، وإن لم ينصحوهم في القتال قتلهم . وقد بسط ابن الأثير في كمله خبرهم في هذه السنة بسطاً حسناً مفصلاً ، وقدم على ذلك كلاماً هاملاً في تعظيم هذا الخطب العظيم ، قال فتقول : هذا فصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عمقت الآلام والآلام عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا يدانيها ، ومن أعظم ما يذكر من الحوادث ما فعل بخت نصر ببنى إسرائيل من القتل وتخريب بيت المقدس ، وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من البلاد التي كل مدينة منها أضعاف البيت المقدس ، وما بنو إسرائيل بالنسبة لما قتلوا ، فإن أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من بنى إسرائيل ، ولعل الخلائق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفتى الدنيا إلا بأجوج وأجوج ، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه وهلك من خالفه ، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا الرجال والنساء والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة . فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، لهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استبدرت الريح ، فإن قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل كاشغر وبلاساغون ، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل ممرقند وبخارا وغيرهما ، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكركه ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً ، ثم يجاوزونها إلى الري وهمدان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرانية ويخربونه ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله ، ثم ساروا إلى دربند شروان فملكوا مدنه ولم يسلم غير قلعة التي بها ملكهم ، وعبروا عندها إلى بلد اللان الكز ومن في ذلك الصقع من الأمم المختلفة ، فأوسعهم قتلها ونهبها وتخريباً ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً قتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون إلى الفياض وملكوا عليهم بلادهم ، وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أعمال هؤلاء وأشد ، هذا ما لم يطرُق إلا سماع مثله ، فإن الاسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في سنة واحدة ، إنما ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحداً بل رضى من الناس بالطاعة وهؤلاء قد

ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأطيبه وأحسنه عمارة وأكثره أهلاً وأعد لهم أخلاقاً وسيرة في نحو سنة ، ولم يتفق لأحد من أهل البلاد التي لم يطارقوها بقاء إلا هو خائف مترقب وصولهم ، ومع ذلك يسجدون للشمس إذا طلعت ، ولا يحرمون شيئاً ، وياً كلون ما وجدوه من الحيوانات والنباتات لعنهم الله تعالى . قال : وإنما استقام لهم هذا الأمر لعدم المانع لأن السلطان خوارزم شاه محمداً كان قد قتل الملوك من سائر الممالك واستقر في الأمور ، فلما انهزم منهم في العام الماضي وضعف عنهم وساقوا وراءه فهرب فلا يدري أين ذهب ، وهلك في بعض جزائر البحر ، خلت البلاد ولم يبق لها من يحميها ليقضي الله أمراً كان مفقولاً ، وإلى الله ترجع الأمور . ثم شرع في تفصيل ما ذكره مجمل ، فذكر أولاً ما قدمنا ذكره في العام الماضي من بعث جنكزخان أولئك التجار بمال له ليأتونه بشمته كسوة ولباساً ، وأخذ خوارزم شاه تلك الأموال فحنق عليه جنكزخان وأرسل يهدده فصار إليه خوارزم شاه بنفسه وجنوده فوجد التتار مشغولين بقتال كشلي خان ، فنهب أمتاعهم ونساءهم وأطفالهم فرجعوا وقد انتصروا على عدوهم ، وازدادوا حنقا وغيظاً ، فتواقعوهم وإياه وابن جنكزخان ثلاثة أيام فقتل من الفريقين خلق كثير ، ثم تهاجروا ورجع خوارزم شاه إلى أطراف بلاده لخصصها ثم كر راجعاً إلى مقره ومملكته بمدينة خوارزم شاه ، فأقبل جنكزخان فحصر بخارا كما ذكرنا فافتتحها صلحاً وغدر بأهلها حتى افتتح قلعتها قهراً وقتل الجميع ، وأخذ الأموال وسبي النساء والأطفال وخرّب الدور والمحال ، وقد كان بها عشرون ألف مقاتل ، فلم يبق منهم شيئاً ، ثم سار إلى سمرقند فحاصرها في أول المحرم من هذه السنة وبها خمسون ألف مقاتل من الجنود فسكوا وبرز إليهم سبعون ألفاً من العامة فقتل الجميع في ساعة واحدة وألقى إليهم الخمسون ألف السلم فسلمهم سلاحهم وما يمتنعون به ، وقتلهم في ذلك اليوم واستباح البلد فقتل الجميع وأخذ الأموال وسبي الذرية وحرقه وتركه بلاقع ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون ، وأقام لعنه الله هنالك وأرسل السرايا إلى البلدان فأرسل سرية إلى بلاد خراسان وتسميتها التتار المغربة ، وأرسل أخرى وراء خوارزم شاه ، وكانوا عشرين ألفاً قال اطلبوه فأدركوه ولو تعلق بالسما فصاروا وراءه فأدركوه بينهم وبينه نهري جيحون وهو آمن بسببه ، فلم يجدوا سفناً فعملوا لهم أحواضاً يحملون عليها الأسلحة ويرسل أحدهم فرسه يأخذ بذنبيها فتجره الفرس بالماء وهو يجر الخوض الذي فيه سلاحه ، حتى صاروا كلهم في الجانب الآخر ، فلم يشعر بهم خوارزم شاه إلا وقد خالطوه ، فهرب منهم إلى نيسابور ثم منها إلى غيرها وهم في أثره لا يملكون بجمع لهم فصار كلما أتى بلداً اجتمع فيه عساكره له يدركونه فيهرب منهم ، حتى ركب في بحر طبرستان وسار إلى قلعة في جزيرة فيه فكانت فيها وفاته ، وقيل إنه لا يعرف بعد ركوبه في البحر ما كان من أمره بل ذهب فلا يدري أين ذهب ، ولا إلى أي مقر هرب ، ومملكة التتار حواصله فوجدوا في خزائنه عشرة آلاف

ألف دينار، وألف حل من الأطلس وغيره وعشرون ألف فرس وبغل، ومن النملان والحواري
والخيام شيئا كثيرا، وكان له عشرة آلاف مملوك كل واحد مثل ملك، فتمزق ذلك كله، وقد كان
خوارزم شاه قتيلا فاضلا له مشاركات في فنون من العلم، يفهم جيدا، وملك بلادا متسعة وممالك
متعددة إحدى وعشرين سنة وشهورا، ولم يكن بعد ملوك بني سلجوق أكثر حرمة منه ولا أعظم
ملكاً منه، لأنه إنما كانت همته في الملك لا في اللذات والشهوات، ولذلك قهر الملوك بذلك الأراضى
وأحل بالخطأ بأساً شديداً، حتى لم يبق ببلاد خراسان وما وراء النهر وعراق المعجم وغيرها من الممالك
سلطان سواء، وجميع البلاد تحت أيدي نوابه. ثم ساروا إلى مازندران وقلاعها من أنزع القلاع، بحيث
إن المسلمين لم يفتحوها إلا في سنة تسعين من أيام سليمان بن عبد الملك، ففتحها هولاء في أيسر مدة.
ونهبوا ما فيها وقتلوا أهلها كلهم وسبوا وأحرقوا، ثم ترحلوا عنها نحو الرى فوجدوا في الطريق أم
خوارزم شاه ومعه أموال عظيمة جدا، فأخذوها وفيها كل غريب ونفيس ممل بشاهد مثله من الجواهر
وغیرها، ثم قصدوا الرى فدخلوها على حين غفلة من أهلها فقتلهم وسبوا وأسروا، ثم ساروا إلى
همدان فلكوها ثم إلى زنجان فقتلوا وسبوا، ثم قصدوا قزوین فتهبوا وقتلوا من أهلها نحو من أربعين
ألفاً، ثم تيمموا بلاد أذربيجان فصالحهم ملكها أربك بن البهلوان على مال حله إليهم لشغله بما
هو فيه من السكر وارتكاب السيئات والانهماك على الشهوات، فتركوه وساروا إلى موغان فقاتلهم
الكرج في عشرة آلاف مقاتل فلم يبقوا بين أيديهم طرفه عين حتى انهزمت الكرج فأقبلوا إليهم
بجدم وحديد، فكسرتهم التتار وقعة ثانية أقبح هزيمة وأشنعها. وهنأقال ابن الأثير: ولقد جرى
لهؤلاء التتر ما لم يسمع بمثله من قديم الزمان وحديثه: طائفة تخرج من حدود الصين لاتنقض عليهم
سنة حتى يصل بعضهم إلى حدود بلاد أرمينية من هذه الناحية ويجاوزون العراق من ناحية همدان
وتألف لا أشك أن من يجيئ بعدنا إذا بعد المهدي يرى هذه الحادثة مسطورة ينكرها ويستبعدها،
والحق بيده، فحق استبعد ذلك فلينظر أننا سطرنا نحن وكل من جمع التاريخ في أزماننا ههنا في
وقت كل من فيه يعلم هذه الحادثة، قد استوى في معرفتها العالم والجاهل شهرتها، يسر الله للمسلمين
والإسلام من يحفظهم ويحوطهم، فلقد دفعوا من العدو إلى أمر عظيم، ومن الملوك المسلمين إلى من لا تمتدى
همته بطنه وفرجه، وقد عدم سلطان المسلمين خوارزم شاه. قال: وانقضت هذه السنة وهم في بلاد
الكرج، فلما رأوا منهم ممانعة ومقاتلة يعاول عليهم بها المطال عدلوا إلى غيرهم، وكذلك كانت عادتهم
فساروا إلى تبريز فصالحهم أهلها بمال. ثم ساروا إلى مراغة فحصرها ونصبوا عليها الجانيق وتقرسوا
بالأسارى من المسلمين، وعلى البلد امرأة. وإن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. ففتحوا البلد بعد أيام
وقتلوا من أهله خلقا لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل، وغنموا منه شيئا كثيرا، وسبوا وأسروا على

عادتهم لعنهم الله لعنة تدخلهم نار جهنم ، وقد كان الناس يخافون منهم خوفا عظيما جدا حتى انه دخل رجل منهم إلى درب من هذه البلد وبه مائة رجل لم يستطع واحد منهم أن يتقدم إليه ، وما زال يقتلهم واحداً بعد واحد حتى قتل الجميع ولم يرفع منهم أحد يده إليه ، ونهب ذلك الدرب وحده . ودخلت امرأة منهم في زى رجل [بيتا] قتلته كل من في ذلك البيت وحدها ثم استشعر أسير معها أنها امرأة قتلها لعنهما الله ، ثم قصدوا مدينة إربل فضاقت المسلمون لذلك ذرعا وقال أهل تلك النواحي هذا أمر عصبى ، وكتب الخليفة إلى أهل الموصل والملك الأشرف صاحب الجزيرة يقول إلى قد جهزت عسكريا فكفونا معه لقتال هؤلاء التتار ، فأرسل الأشرف يعتذر إلى الخليفة بأنه متوجه نحو أخيه الكامل إلى الديار المصرية بسبب ما قدمه المسلمين هناك من الفرج ، وأخذهم دمياط الذي قد أشرفوا بأخذهم لها على أخذ الديار المصرية قاطبة ، وكان أخوه المظلم قد قدم على والى حران يستنجد به لآخيهما الكامل ليتعاجزا والفرنج بدمياط وهو على أهبة المسير إلى الديار المصرية ، فكتب الخليفة إلى مظفر الدين صاحب إربل ليكون هو المقدم على المساكر التي يبعثها الخليفة وهي عشرة آلاف مقاتل ، فلم يقدم عليه منهم ثمانمائة فارس ثم تفرقوا قبل أن يجتمعوا ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن الله سلم بأن صرف همه التتار إلى ناحية همدان فصالحهم أهلها وترك عندهم التتار شحنة ، ثم اتفقوا على قتل شحنتهم فرجموا إليهم فحاصروهم حتى فتحوها قسراً وقتلوا أهلها عن آخرهم ، ثم ساروا إلى آخر بيجان ففتحوا أردبيل ثم تبرز ثم إلى بيلقان فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وجما غفيرا ، وحرقوها وكاثوا بفجرون بالنساء ثم يقتلونهم ويشقون بطونهم عن الأجنحة ثم عادوا إلى بلاد الكرج وقد استعدت لهم الكرج فافتتلوا معهم فكسروهم أيضاً كسرة عظيمة ، ثم فتحوا بلادنا كثيرة يقتلون أهلها ويسبون نساءها ويأسرون من الرجال ما يقاتلون بهم الحصون ، يجمعونهم بين أيديهم ترساً يتقون بهم الرمي وغيره ، ومن سلم منهم قتلوه بعد انقضاء الحرب ، ثم ساروا إلى بلاد اللان والقبجاق فافتتلوا معهم قتالا عظيما فكسروهم وقصدوا أكبر مدائن القبجاق وهي مدينة سوداق وفيها من الأمانة والثياب والتبائن من البرطاسى والقندر والسنباب شيء كثير جدا ، ولجأت القبجاق إلى بلاد الروس وكانوا نصارى فاتفقوا معهم على قتل التتار فالتقوا معهم فكسرتهم التتار كسرة عظيمة جدا ، ثم ساروا نحو باقار في حدود العشرين وستمائة ففرغوا من ذلك كله ورجعوا نحو ملكهم جنكزخان لعنه الله وإياهم . هذا ما فعلته هذه السرية المغرقة ، وكان جنكزخان قد أرسل سرية في هذه السنة إلى كلانة وأخرى إلى فرغانة فملكوها ، وجهز جيشاً آخر نحو خراسان فحاصروا بلخ فصالحهم أهلها ، وكذلك صالحوا مدنا كثيرة أخرى ، حتى انتهوا إلى الطالقان فأعجزتهم قلعها وكانت مدينة فحاصروها ستة أشهر حتى هجزوا فكتبوا إلى جنكزخان فقدم بنفسه فحاصرها أربعة أشهر

أخرى حتى فتحها قهراً ، ثم قتل كل من فيها وكل من في البلد بكأله خاصة وعامة ، ثم قصدوا مدينة مرو مع جنكزخان فقد عسكر بظاهرها نحو من مائتي ألف مقاتل من العرب وغيرهم فاقتتلوا معه قتالاً عظيماً حتى انكسر المسلمون فان الله وإنا إليه راجعون ، ثم حصروا البلد خمسة أيام واستنزلوا نائبيها خديعة ثم غدروا به وبأهل البلد فقتلوهم وغنموهم وسلبوهم وعاقبهم بأنواع العذاب ، حتى لاتهم قتلوا في يوم واحد سبعمائة ألف إنسان ، ثم ساروا إلى نيسابور ففعلوا فيها ما فعلوا بأهل مرو ، ثم إلى طوس فقتلوا وغربوا مشهد على بن موسى الرضى سلام الله عليه وعلى آباءه ، وغربوا تربة الرشيد الخليفة فتركوه خراباً ، ثم ساروا إلى غزنة فقاتلهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم ثم عادوا إلى ملكهم جنكزخان لعنه الله وإيهم ، وأرسل جنكزخان طائفة أخرى إلى مدينة خوارزم فحاصروها حتى فتحوا البلد قهراً فقتلوا من فيها قتلاً ذريعاً ، ونهبوها وسبوا أهلها وأرسلوا الجسر الذي يمنع ماء جميعون منها ففرقت دورها وهلك جميع أهلها ثم عادوا إلى جنكزخان وهو نخيم على الطالقان فجهر منهم طائفة إلى غزنة فاقتتل معهم جلال الدين بن خوارزم شاه فكسرهم جلال الدين كسرة عظيمة ، واستنقذ منهم خلقاً من أسارى المسلمين ، ثم كتب إلى جنكزخان يطلب منه أن يبرز بنفسه لقتاله ، فقصد جنكزخان فتواجها وقد تفرق على جلال الدين بعض جيشه ولم يبق بد من القتال ، فاقتتلوا ثلاثة أيام لم يمهّد قبلها مثلها من قتالهم ، ثم ضعفت أصحاب جلال الدين فذهبوا فركبوا بحر الهند فسارت التتار إلى غزنة فأخذوها بلا كلفة ولا بمالعة ، كل هذا أو أكثره وقع في هذه السنة .

وفيهما أيضاً ترك الأشرف موسى بن المادل لأخيه شهاب الدين غازي ملك خلاط وميا فارقين وبلاد أرمينية واعتاض عن ذلك بالرها وسروج ، وذلك لاشتغاله عن حفظ تلك النواحي بمساعدة أخيه الكامل ونصرته على الفرنج لعنهم الله تعالى . وفي الحرم منها هبت رياح ببغداد وجاءت بروق وصممت رعود شديدة وسقطت صاعقة بالجانب الغربي على المنارة المجاورة لعون ومعين فتلعتها ، ثم أصلحت ، وغارت الصاعقة في الأرض . وفي هذه السنة نصب محراب الخنابلة في الرواق الثالث الغربي من جامع دمشق بعد ممانعة من بعض الناس لهم ، ولكن ساعدتهم بعض الأمراء في نصبه لهم ، وهو الأمير ركن الدين الممظني ، وصلى فيه الشيخ موفق الدين بن قدامة . قلت : ثم رفع في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وعوضوا عنه بالمحراب الغربي عند باب الزيارة ، كما عوض الخفعية عن محرابهم الذي كان في الجانب الغربي من الجامع بالمحراب المجدد لهم شرقي باب الزيارة ، حين جدد الحائط الذي هو فيه في الأيام التنكزية ، على يد ناظر الجامع تقي الدين ابن مراجل أتاه الله تعالى كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . وفيها قتل صاحب سنجار أخاه فلكنها مستقبلاً بها

الملك الأشرف بن العادل . وفيها تفاق الأمير عماد الدين بن المشطوب على الملك الأشرف وكان قد آواه وحفظه من أذى أخيه الكامل حين أراد أن يبايع للفاخر ، ثم إنه سعى في الأرض فساداً في بلاد الجزيرة فسجنه الأشرف حتى مات كذا وكذا وعذاباً . وفيها أوقع الكامل بالفرنج الذين على دمياط بأساً شديداً فقتل منهم عشرة آلاف ، وأخذ منهم خيولهم وأموالهم والله الحمد .

وفيها عزل المعظم المعتمد مفاخر الدين إبراهيم عن ولاية دمشق وولاهها للمزب خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المعتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر وأخصهم عنده ، وذلك لأنه قدمه معه بخلع للأمير حسين بن أبي عزيز قتادة بن إدريس ابن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لامرأة مكة بعبد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنازع في ذلك راجح وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال لا يتأمر عليها غيري ، فوعدت فتنة أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً . وقد كان قتادة من كبار الأشراف الحسنيين الزيديين وكان عادلاً منصفاً منهما ، نعمة على عبيد مكة والمفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظالم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة فسلط الله عليه ولده حسناً فقتله وقتل عمه وأخاه أيضاً ، فلم هذا لم يعمل الله حسناً أيضاً ، بل سلبه الملك وشرده في البلاد ، وقيل بل قتل كما ذكرنا ، وكان قتادة شيخاً طويلاً ميبها لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك ، ويرى أنه أحق بالأمر من كل أحد ، وكان الخليفة بود لوحضر عنده فيكرمه ، وكان يأتي من ذلك ويمتنع عنه أشد الامتناع ، ولم يقد إلى أحد قط ولا ذل للخليفة ولا ملك ، وكتب إليه الخليفة مرة يستدعيه فكتب إليه .

ولى كف ضرغام أذل يبطشها * وأشري بها بين الورى وأبيع
نظّل ملوك الأرض تلثم ظهرها * وفي بطنها للمجد بين ربيع
أجعلها تحت الرحي ثم أبنتى * خلاصاً لها إلى إذا لربيع
وما أنا إلا المسك في كل بقعة * يضوع وأما عندكم فيضيع

وقد بلغ من السنين سبعين سنة ، وقد ذكر ابن الأثير وفاته في سنة ثمانى عشرة فالفه أعلم .

الملك الفائز

وفيها توفى من الأعيان :

غياث الدين إبراهيم بن العادل ، كان قد انتظم له الأمر في الملك بعد أبيه على الديار المصرية على يد الأمير عماد الدين بن المشطوب ، لولا أن الكامل تدارك ذلك سريعاً ، ثم أرسله أخوه في هذه السنة إلى أخيهما الأشرف ، وسى يستعنه في سرعة المسير إليهم بسبب الفرنج ، فأت بين سنجاب والموصل ، وقد ذكر أنه سم فردي إلى سنجاب فدفن بها رحمه الله تعالى .

شيخ الشيوخ صدر الدين

أبو الحسن محمد بن شيخ الشيوخ عماد الدين محمود بن حمويه الجوزي ، من بيت ريادة وإمرة عند بني أيوب ، وقد كان صدر الدين هذا فاضلاً ، درس بترية الشافعي بمصر ، وبمشهد الحسين وولى مشيخة سعيد السعداء والنظر فيها ، وكانت له حرمة وأقرة عند الملوك ، أرسله الكامل إلى الخليفة يستنصره على الفرنج فأتى بالموصل بالاسهال ، ودفن بها عند قضيب البان عن ثلاث وسبعين سنة .

صاحب حماء

الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وكان فاضلاً له تاريخ في عشر مجلدات سماه المظهار ، وكان شجاعاً فارساً ، فقام بالملك بعده ولده الناصر قليج أرسلان ، ثم عزله عنها الكامل وحجبه حتى مات رحمه الله تعالى وولى أخاه المظفر بن المنصور

صاحب آمد

الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن أرتق ، وكان شجاعاً محباً للعلماء ، وكان مصاحباً للإشرف موسى بن العادل يحمي إلى خدمته مراراً ، وملك بعده ولده المسعود ، وكان بخيلاً فاسقاً ، فأخذ منه الكامل وحجبه بمصر ثم أطلقه فأخذ أمواله وسار إلى التتار ، فأخذته منه .

الشيخ عبد الله اليونيني

الملقب أسد الشام رحمه الله ورضي عنه من قرية ببعلبك يقال لها يونين ، وكانت له زاوية يقصد فيها للزيارة ، وكان من الصالحين الكبار المشهورين بالعبادة والرياضة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له همة عالية في الزهد والورع ، بحيث إنه كان لا يقنئ شيتاً ولا يملك مالاً ولا ثياباً ، بل يلبس عارية ولا يتجاوز قيصاً في الصيف وفروة فوقه في الشتاء ، وعلى رأسه قبعاً من جلود المعز ، شعره إلى ظاهره ، وكان لا ينقطع عن غزاة من الغزوات ، ويرى عن قوس زنته ثمانون رطلا ، وكان يجاور في بعض الأحيان بجبل لبنان ، ويأتي في الشتاء إلى عيون العاصرية في سفح الجبل المطل على قرية دومة شرقي دمشق ، لاجل سخونة الماء ، فيقصد الناس للزيارة هناك ، ويحجى تارة إلى دمشق فينزل بسفح قاسيون عند القادسية وكانت له أحوال ومكاشفات صالحة ، وكان يقال له أسد الشام ، حكى الشيخ أبو المظفر سبط ابن الجوزي عن القاضي جمال الدين يعقوب الحاكم بكرك البقاع أنه شاهد مرة الشيخ عبد الله وهو يتوضأ من نور عند الجسر الأبيض إذ مر نصراني ومعه حل بفل خراً فعمرت الدابة عند الجسر فسقط الحل فرأى الشيخ وقد فرغ من وضوئه ولا يعرفه ، واستعان به على رفع الحل فاستدعاه الشيخ فقال : تعال يا فقيه ، فتساعدنا على تحميل ذلك الحل على الدابة وذهب النصراني فتمجبت من ذلك وتبعت الحل وأنا ذاهب إلى المدينة ، فأنهى به إلى العقبة فأورده إلى

الحار بها فاذا خل فقال له الحار: ويحك هذا خل، فقال النصراني أنا أعرف من أين أتيت، ثم ربط
الهداية في خان ورجع إلى الصالحية فسأل عن الشيخ فمرفه فجاء إليه فأسلم على يديه، وله أحوال
وكرامات كثيرة جدا، وكان لا يقوم لاحد دخل عليه ويقول: إنما يقوم الناس لرب العالمين، وكان
الأجد إذا دخل عليه جلس بين يديه فيقول له: يا أجد فعلت كذا وكذا ويأمره بما يأمره، وينهاه
عما ينهاه منه، وهو يمتثل جميع ما يقوله له، وما ذاك إلا لصدقه في زعمه وورعه وطريقه، وكان يقبل
الفتوح، وكان لا يدخر منه شيئا لعد، وإذا اشتد جوعه أخذ من ورق الورق ففركه واستغف و يشرب
فوقه الماء البارد رحمه الله تعالى وأكرم مثواه، وذكروا أنه كان يجمع في بعض السنين في الهواء، وقد
وقع هذا لطائفة كبيرة من الزهاد وصالحى العباد، ولم يبلغنا هذا عن أحد من أكابر العلماء، وأول من
يذكر عنه هذا حبيب العجبي، وكان من أصحاب الحسن البصري، ثم من بعده من الصالحين رحمهم
الله أجمعين. فلما كان يوم جمعة من عشر ذي الحجة من هذه السنة صلى الصبح عبد الله اليونيني وصلاة
الجمعة بجامع بملبك، وكان قد دخل الحمام يومئذ قبل الصلاة وهو صحيح، فلما انصرف من الصلاة قال
للشيخ داود المؤذن، وكان يغسل الموق، انظر كيف تكون غدا، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات
يذكر الله تعالى تلك الليلة ويتذكر أصحابه، ومن أحسن إليه ولو بأدنى شيء ويدعو لهم، فلما دخل
وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله وفي يده سبحة، فبات وهو كذلك جالس لم يسقط،
ولم تسقط السبحة من يده، فلما انتهى انظر إلى الملك الأجد صاحب بملبك فجاء إليه فماينه كذلك
فقال لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشاهد الناس منه آية، فقل له: ليس هذا من السنة، فنفى وكفن
وصلى عليه ودفن تحت الورقة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى، رحمه الله ونور ضريحه. وكانت
وفاته يوم السبت وقد جاوز ثمانين عاماً أكرمه الله تعالى، وكان الشيخ محمد الفقيه اليونيني من جملة
تلاميذه، ومن يولد به وهو جد هؤلاء المشايخ بمدينة بملبك.

أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر

الجللي الموصلي، ويعرف بابن الجني، شاب فاضل ولي كتابة الانشاء لبدر الدين لؤلؤ زعيم
الموصل، ومن شعره:

نفسى فداء الذى فكرت فيه وقد * غدوت أغرق في بحر من المعجب

يبدو بلبل على صبح على قبر * على قضيب على وهم على كشب

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستائة

فيها استولت التتر على كثير من البلدان بكلادة وهمدان وأردبيل وتبريز وكنجة، وقتلوا
أهاليها ونهبوا ما فيها، واستأسروا ذراريها، واقتربوا من بغداد فانزعج الخليفة لذلك وحسن

بعداد واستخدم الأجناد ، وقتت الناس في الصلوات والأوراد . وفيها قهروا الكرج واللان ، ثم قاتلوا القبط فكبسروهم ، وكذلك الروس ، وينهبون ما قدروا عليه ، ثم قاتلهم وسبوا نسائهم وذريتهم ، وفيها سار المعظم إلى أخيه الأشرف فاستعطفه على أخيه الكامل ، وكان في نفسه موجدة عليه فأزالها وسارا جميعاً نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد أخذوا ثغر دمياط واستحكم أمرهم هنالك من سنة أربع عشرة ، وعرض عليهم في بعض الأوقات أن يرد إليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد الساحل ويتركوا دمياط ، فامتنعوا من ذلك ولم يفعلوا ، فقدر الله تعالى أنهم ضاقت عليهم الأقوات فقدم عليهم مراكب فيها ميرة لهم فأخذها الأسعول البحري وأرسات المياه على أراضي دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك أن يتصرفوا في أنفسهم ، وحصرهم المسلمون من الجهة الأخرى حتى اضطروهم إلى أضيق الأماكن ، فعند ذلك أنابوا إلى المصالحة بلا مفاوضة ، فجاء مقدمهم إليه وعنده أخواه المعظم عيسى وموسى الأشرف ، وكانا قائمين بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً ، فوقع الصلح على ما أراد الكامل محمد بيض الله وجهه ، وملوك الفرنج والعساكر كلها واقفة بين يديه ، ومد سباطاً عظيماً ، فاجتمع عليه المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقام راجع الحلى الشاعر فأشدد :

هنيئاً فإن السعد راح مخلداً * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا إله الخلق فتحاً بدا لنا * مبيناً وإنعاماً وعزاً مؤبدا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه * وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الط * فاة وأنهى المراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمة * صقيلاً كما سل الحسام مجردا
فلم ينبج إلا كل شلو مجدل * نوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافداً * عقيرته في الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى إن عيسى وحزبه * وموسى جميعاً يخمدون محمداً

قال أبو شامة : وبلغني أنه أشار عند ذلك إلى المعظم عيسى والأشرف موسى والكامل محمد ، قال : وهذا من أحسن شيء اتفق ، وكان ذلك يوم الأربعاء التاسع عشر رجب من هذه السنة هو تراجعت الفرنج إلى عكا وغيرها ، ورجع المعظم إلى الشام واصطلىح الأشرف والكامل على أخيهما المعظم . وفيها ولي الملك المعظم قضاء دمشق كمال الدين المصري الذي كان وكيل بيت المال بها ، وكان فاضلاً بارعاً يجلس في كل يوم جمعة قبل الصلاة بالمادلية بعد فراغها لاثبات المحاضر ، ويحضر عنده في المدرسة جميع الشهود من كل المراكز حتى يقيس على الناس إثبات كتبهم في الساعة الواحدة ، جزاء الله خيراً .

ومن توفي فيها من الأعيان يا قوت الكاتب الموصلي رحمه الله
أمين الدين المشهور بطريقة ابن البواب . قال ابن الأثير : لم يكن في زمانه من يقاربه ،
وكانت لديه فضائل جمة والناس منفقون على الثناء عليه ، وكان نعم الرجل . وقد قال فيه نجيب الدين
الواسطي قصيدة بمدحه بها :

جامعٌ شارِدَ العلومِ ولولا * لكانت أم الفضائل تُسكلى
ذو براعٍ تخافُ ريقتهُ الأس * دُ ، وتمنوا له السكتائبُ ذلاً
وإذا أفتَرَ ثمره عن بياض * في سوادٍ السمر والبياضُ خجلاً
أنت بدرٌ والكاتبُ ابنُ هلالٍ * كأيِّسٍ لا تغرُ فيمن تولى
إن يكن أولى فأنك بالتفض * يل أولى فقد سبقت وصلى

جلال الدين الحسن

من أولاد الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية ، وكان قد أظهر في قومها شعائر الاسلام ، وحفظ
الحدود والمجرمات والقيام فيها بالزواج الشرعية .

الشيخ الصالح

شهاب الدين محمد بن خلف بن راجع المقدسي الحنبلي الزاهد العابد الناسك ، كان يقرأ على الناس
يوم الجمعة الحديث النبوي وهو جالس على أسفل منبر الخطابة بالجامع المظفرى ، وقد سمع الحديث
الكثير ، ورحل وحفظ مقامات الحريري في خمسين ليلة ، وكانت له فنون كثيرة ، وكان ظريفاً
مطبوعاً رحمه الله و الخطيب موفق الدين

أبو عبد الله عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كادل المقدسي ، خطيب بيت الأبار ، وقد ناب
في دمشق عن الخطيب جمال الدين الدولى حين سار في الرسالة إلى خوارزم شاه ، حتى عاد .

المحدث تقي الدين أبو طاهر

إسماعيل بن عبد الله بن عبد الحسن بن الأنطاطى ، قرأ الحديث ورحل وكتبه ، وكان حسن الخط
متقناً في علوم الحديث ، حافظاً له ، وكان الشيخ تقي الدين ابن الصلاح يثق عليه بمدحه ، وكانت
له كتب بالبيت الغربى من الكلاسة الذى كان الملك الحسن بن صلاح الدين ، ثم أخذ من ابن
الأنطاطى وسلم إلى الشيخ عبد الصمد الدكاوى ، واستمر يبد أحمابه بعد ذلك ، وكانت وفاته بدمشق
ودفن بمقابر الصوفية وصلى عليه بالجامع الشيخ ، وفق الدين ، وبسبب النصر الشيخ فخر الدين بن
عساكر ، وبالمقبرة قاضى القضاة جمال الدين المصرى رحمه الله تعالى .

أبو الفيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب

ابن مقبل الضيرير الفقيه الشافعي ، أقام ببغداد إلى أن توفي ، وكانت لديه فضائل وله رسائل ، ومن شعره قوله :

إذا كنتم للناس أهل سياسة * فسوسوا كرام الناس بالجود والبذل
وسوسوا لثام الناس بالذل يصلحوا * عليه ، فإن الذل أصلح للذل
أبو العز شرف بن علي

ابن أبي جعفر بن كامل الخالصي المقرئ الضيرير الفقيه الشافعي ، تفقه بالنظامية وسمع الحديث ورواه ، وأنشد عن الحسن بن عمرو الحلبي :

تمثلتم لي والديار بعيدة * فغيل لي أن الفؤاد لكم معنى
ولما جئكم قلمي على البعد بيننا * فأوحشتم لفظاً وآسنتم معنى
أبو سليمان داوود بن إبراهيم

ابن مندار الحلبي ، أحد المعيدين بالمدرسة النظامية ، ومما أنشده .

أيا جامعا أمسك عنائك مقصراً * فإن مطايا الدهر تكبو وتقصر
ستفرغ سناً أو تعض ندامة * إذا خان الزمان واقصر
ويلك رشد بعد غيك واعظ * ولكنه يلقاك والأمر مدبر

أبو المظفر عبد الوود بن محمود بن المبارك

ابن علي بن المبارك بن الحسن الواسطي الأصل ، البغدادي الدار والمولد ، كمال الدين المعروف وألقبه بالمجيد ، تفقه على أبيه وقرأ عليه علم الكلام ، ودرس بمدرسته عند باب الأزج ، ووكله الخليفة الناصر واشتهر بالديانة والأمانة ، وبأشر مناصب كباراً ، وحجج مراراً عديدة ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق وكان يقول :

وما تركت ستّ وستون حجة * لنا حجة أن نركب اللهو مركبا
وكان ينشد : العلم يأتي كل ذي خف * ضي وبأبي على كل آبي
كلما ينزل في الوها * وليس يصمد في الروابي

ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة

فيها نقل تابوت العادل من القلعة إلى تربته العادلية الكبيرة ، فصلى عليه أولاً نحت النسر بالجامع الأموي ، ثم جازاه به إلى التربة المذكورة فدفن فيها ، ولم تكن المدرسة كملت بعد ، وقد تكامل بناؤها في هذه السنة أيضاً ، وذكر المدرس بها القاضي جمال الدين المصري ، وحضر عنده السلطان

(١) كذا في الاصل والبيت مكسور .

المعظم فجلس في الصدر وعن شماله القاضي وعن يمينه صدر الدين الحصري شيخ الحنفية ، وكان في المجلس الشيخ تقي الدين بن الصلاح إمام السلطان ، والشيخ سيف الدين الأحمدي إلى جانب المدرس ، وإلى جانبه شمس الدين بن سناء الدولة ، ويليهِ النجم خليل قاضي المسكر، وتحت الحصري شمس الدين بن الشيرازي ، وتحت محي الدين التركي ، وفيه خالق من الأعيان والأكابر ، وفيهم نخر الدين بن عساكر . وفيها أرسل الملك المعظم الصدر الكشفي^(١) محتسب دمشق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه يستعينه على أخويه الكامل والأشرف اللذين قد تملا عليه ، فأجابه إلى ذلك بالسمع والطاعة ، ولما عاد الصدر المذكور أضاف إليه مشيخة الشيوخ . وحج في هذه السنة الملك مسعود بن أقيس بن الكامل صاحب اليمن فبذت منه أفمال نافضة بالحرم من سكر ورشق حمام المسجد بالبندق من أعلا قبة ززم ، وكان إذا نام في دار الامارة يضرب الطائفون بالمسمي بأطراف السيوف لتلايشوشوا عليه وهو نوم سكر قبعه الله ، ولكن كان مع هذا كله مهيباً محترماً والبلاد به أمنة مطمئنة ، وقد كاد يرفع سنجد أبيه يوم عرفة على سنجد الخليفة فيجري بسبب ذلك فتنة عظيمة ، وما مكن من طلوعه وصعوده إلى الجبل إلا في آخر النهار بعد جهد جهيد . وفيها كان بالشام جراد كذاير أكل الزرع والثمار والأشجار . وفيها وقعت حروب كثيرة بين القبجاق والكرج ، وقُتل كثير بسبب ضيق بلاد القبجاق عليهم . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو عبد الله محمد بن فلان . ولبس الخلمة في باب دار الوزارة ، مؤيد الدين محمد بن محمد بن محمد التميمي بحضرة الأعيان والكبراء ، وقرى تقليده بحضرتهم وساقه ابن الساعي بحروفه

ومن توفي فيها من الأعيان عبد القادر بن داود

أبو محمد الواسطي الفقيه الشافعي الملقب بالحب ، استقل بالنظامية دهرآ ، واشتغل بها ، وكان فاضلاً ديناً صالحاً ، وما أنشده من الشعر :

الفرقدان كلاهما شهدا له * والبدر ليلة تمه بهاده
دفن إذا عتبق الظلام تضرمت * نار الجوى في صدره وفؤاده
فجرت مدامع جفنه في خدو * مثل المسيل يسيل من أطواره
شوقاً إلى مضميه لم أر هكذا * مشتاق مضمي جسمه بيماده
ليت الذي أضناه سحر جفونه * قبل المات يكون من عواده
أبو طالب يحيى بن علي

اليقوى الفقيه الشافعي أحد المعينين ببغداد ، كان شيخاً مليح الشبة جميل الوجه ، كان يل بعض الاوقاف ، وما أنشده لبعض الفضلاء :

(١) هو صدر الدين أبو الحسن محمد بن أبي الفتح .

لحل تهامة وجبال أحد * وماء البحر ينقل بالزبل
يقطع الصخر فوق الظهر عرياً * لأهون من مجالسة النقيط
ولبعضهم أيضاً، وهو مما أنشده المذكور:

وإذا مضى للمرء من أعوامه * خمسون وهو إلى النقي لا ينجح
حكفت عليه الخزيات قهولها * حالفنا، فأقم كذا لا تبرح
وإذا رأى الشيطان غرة وجهه * حياً، وقال فديت من لا يفلح
اتفق أنه طوبى بشيء من المال فلم يقدر عليه فاستعمل شيئاً من الأفيون المصرى فات من
يومه ودفن بالوردية. وفيها توفى.

قطب الدين العادل

بالفيوم ونقل إلى القاهرة. وفيها توفى إمام الخنابلة بمكة.

الشيخ نصر بن أبي الفرج

المعروف بابن الحصرى، جاور بمكة مدة لم يسافر، ثم ساقته المنية إلى اليمن، فات بها في هذه
السنة. وقد سمع الحديث من جماعة من المشايخ.

وفيها في ربيع الأول توفى بدمشق الشهاب عبد الكريم بن نجم النيلي أخو البهاء والناصح،
وكان فيها مناظراً بصيراً بالحكايات. وهو الذى أخرج مسجد الوزين يد الشيخ علم الدين السخاوى
رحم الله تعالى عنه وكرمه. ثم دخلت سنة عشرين وستمائة

فيها عاد الأشرف موسى بن العادل من عند أخيه الكامل صاحب مصر. فتلقاء أخوه المعظم
وقد فهم أنهما تمالأ عليه، فبات ليلة بدمشق وسار من آخر الليل ولم يشعر أخوه بذلك، فسار إلى
بلاد فوجد أخاه الشهاب غازى الذى استنابه على خلاط ومياقارين وقد قوا رأسه وكتبه المعظم
صاحب إربل وحسنوا له مخالفة الأشرف، فكتب إليه الأشرف ينهيه عن ذلك فلم يقبل، فجمع
له المراكب ليقاتله. وفيها سار أقيس الملك مسعود صاحب اليمن ابن الكامل من اليمن إلى مكة
شرفها الله تعالى فقاتله ابن قتادة بطن مسكة بين الصفا والمروة، فهزمه أقيس وشرده، واستقل
بملك مكة مع اليمن، وجرت أمور فظيعة وتشرد حسن بن قتادة قاتل أبيه وعه وأخيه في تلك
الشعاب والأودية.

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الامام.

موفق الدين عبد الله بن أحمد

ابن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر. شيخ الاسلام، مصنف المنى في المذهب، أبو محمد المتسنى

لإمام عالم بارع . لم يكن في عصره ، بل ولا قبل دهره بمدة أفقه منه ، ولد بمجمايل في شعبان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ، وقدم مع أهله إلى دمشق في سنة إحدى وخمسين ، وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير ، ورحل مرتين إلى العراق إحداها في سنة إحدى وستين مع ابن عمه الحافظ عبد الغني ، والأخرى سنة سبع وستين ، وحج في سنة ثلاث وسبعين ، وتفقّه بغير عدد على مذهب الإمام أحمد ، وبرع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة ، مع زهد وعبادة وورع وتواضع وحسن أخلاق وجود وحياء وحسن سمع ونور وبهاء وكثرة تلاوة وصلاة وصيام وقيام وطريقة حسنة واتباع للسلف الصالح ، وكانت له أحوال ومكاشفات ، وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : إن لم تكن العلماء الماثلون أو ألباء الله فلا أعلم الله ولما ، وكان يؤم الناس للصلاة في محراب الخنابلة هو والشيخ المهاد ، فلما توفى المهاد استقل هو بالوظيفة ، فان غاب صلى عنه أبوسليمان ابن الحافظ عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ، وكان يتنقل بين العشاءين بالقرب من محرابه ، فإذا صلى العشاء انصرف إلى منزله بدرب الدولي بالرصيف وأخذ معه من الفقراء من تيسر يأكلون معه من طعامه ، وكان منزله الأصلي بقاسيون فينصرف بعض الليالي بعد العشاء إلى الجبل ، فاتفق في بعض الليالي أن خطف رجل عمامته وكان فيها كاغد فيه رمل ، فقال له الشيخ : خذ الكاغد وألقى العمامة ، فظن الرجل أن ذلك نفقة فأخذه وألقى العمامة . وهذا يدل على ذكاه مفرط واستخصار حسن في الساعة الراحنة ، حتى خالص عمامته من يده بتلطف . وله مصنفات عديدة مشهورة ، منها المنقى في شرح مختصر الخرق في عشرة مجلدات ، والشافعي في مجلدين والمقنع للعنق ، والروضة في أصول الفقه ، وغير ذلك من التصانيف المفيدة ، وكانت وفاته في يوم عيد الفطر في هذه السنة ، وقد بلغ الثمانين ، وكان يوم سبت وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بترابته المشهورة ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله تعالى ، وكان له أولاد ذكور وإناث ، فلما كان حياً ماتوا في حياته . ولم يعقب منهم سوى ابنه عيسى ولدين ثم ماتا وانقطع نسله ، قال أبوالمظفر سبط ابن الجوزي : نقلت من خط الشيخ موفق رحمه الله تعالى :

لا تجلسن بباب من * بأبي عليك وصول داره
وتقول حاجاتي إليه * لم يعوقها إن لم أداره
واتركه واقصد ربها * تقصى ورب الدار كاره

وبما أنشده الشيخ موفق الدين لنفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه قوله :

أبعد بياض الشعر أعمر مسكناً * سوى القبر ، إلى إن فلت لأحق
يخبرني شئ بأني ميت * وشيكا ، فينماني إلى ويصدق
يخرق عجري كل يوم ليلة * فهل مستطاع رقع ما يتخرق

كأني بجسمي فوق نمشي ممدداً * فن ساكت أو ممول ينحرق
إذا سألوا عني أجابوا وعولوا * وأدعهم تنهل هذا الموفق
وغيبته في صدى من الأرض ضيق * وأودعت لحداً فوقه الصخر مطبق
ويحشو على التراب أثق صاحب * ويسلمني للقبر من هو مشفق
فيارب كن لي ونساً يوم وحشي * فاني بما أنزلته لمصدق
وما ضرتني أني إلى الله صار * ومن هو من أهلى أبر وأرفق

نفر الدين ابن عساكر عبد الرحمن بن الحسن بن هبة الله بن عساكر

أبو منصور الدمشقي شيخ الشافعية بها ، وأمه اسمها أسماء بنت محمد بن الحسن بن طاهر القديسة
المعروفة والدها بأبي البركات ابن المران ، وهو الذي جدد مسجد القدم في سنة سبع عشرة وخمسة
و به قبره وقبرها ، ودفن هناك طائفة كبيرة من العلماء ، وهي أخت آمنة والدة القاضي محي الدين
محمد بن علي بن الزكي ، اشتغل الشيخ نفر الدين من صغره بالعلم الشريف على شيخه قطب الدين
مسمود النيسابوري ، فتزوج بابنته ودرس مكانه بالماروجية ، وبها كان يسكن في إحدى القاعتين
اللتين أنشأهما وبها توفي غربي الإيوان ، ثم تولى تدريس الصلاحية الناصرية بالقدس الشريف ، ثم
ولاه العادل تدريس التقوية ، وكان عنده أعيان الفضلاء ، ثم تفرغ فلزم المجاورة في الجامع في البيت
الصغير إلى جانب محراب الصحابة يتخلو فيه للعبادة والمطالعة والفتاوى ، وكانت تغد إليه من الأقطار ،
وكان كثير الذكر حسن السمعة ، وكان يجلس تحت الشجرة في كل اثنين وحيس مكان عمه لا سماع
الحديث بهداهم ، فيقرأ عليه دلائل النبوة وغيره ، وكان يحضر مشيخة دار الحديث النورية ، ومشهد
ابن عروة أول ما فتح ، وقد استدعاه الملك العادل بعد ما عزل قاضيه ابن الزكي فأجلسه إلى جانبه
وقت السباط ، وسأل منه أن يلقى القضاء بدمشق ، فقال حتى أستخير الله تعالى ، ثم امتنع من ذلك فشق
على السلطان امتناعه ، وهم أن يؤذيه فقبل له أحمد الله الذي فيه مثل هذا . ولما توفي العادل وأعاد ابنه
المعلم الخورأنكر عليه الشيخ نفر الدين ، فبقى في نفسه منه ، فانزع منه تدريس التقوية ، ولم يبق معه
سوى الماروجية ودار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وكانت وفاته يوم الأربعاء بعد العصر
عاش رجب من هذه السنة وله خمس وستون سنة ، وصلى عليه بالجامع وكان يوماً مشهوداً ، وحملت
جنازته إلى مقابر الصوفية فدفن في أولها قريباً من قبر شيخه قطب الدين مسمود بن عروة .

سيف الدين محمد بن عروة الموصلي

المسبوق إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي ، لأنه أول من فتحه ، وقد كان مشحوناً
بالحوصل الجامعية وبنى فيه البركة ووقف فيه على الحديث درساً ، ووقف خزائن كتب فيه ، وكان

مقياً بالقدس الشريف ولكنه كان من خواص أصحاب الملك المعظم ، فانتقل إلى دمشق حين خرب
سور بيت المقدس إلى أن توفي بها ، وقبره عند قباب أنابك طغتكين قبل المصلى رحمه الله .

الشيخ أبو الحسن الروزبهاري
دفن بالمكان المنسوب إليه عند باب الفراديس .

الشيخ عبد الرحمن اليميني
كان مقياً بالنارة الشرقية ، كان صالحاً زاهدا ورعا وفيه مكارم أخلاق ، ودفن بمقابر الصوفية .

الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد
ابن حمزة النخعي ابن القلانسي ، أحد رؤساء دمشق وكبرائها ، وجدّه أبو يعلى حمزة له تاريخ
ذيل به على ابن عساكر ، وقد سمع عز الدين هذا الحديث من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر
وغيره ، ولزم مجالسة الكندي وانتفع به .

الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة

محمد بن سليمان بن قتلش بن تركانشاه بن منصور السمرقندي ، وكان من أولاد الأمراء ، وولى
حاجب الحجاب بالديوان العزيز الخليفة ، وكان يكتب جيداً وله معرفة حسنة بعلوم كثيرة ، منها
الأدب وعلوم الرياضة ، وعمر دهره ، وله حظ من نظم الشعر الحسن ومن شعره قوله :

سَمَتَ تَكَالِيفَ هَذِي الْحَيَاةِ * وَكَذَا الصَّبَاحَ بِهَا وَالْمَسَاءَ
وَقَدْ كُنْتُ كَالطُّفْلِ فِي عَقْلِهِ * قَلِيلَ الصَّوَابِ كَثِيرَ الْهَرَاءِ
أَنَامَ إِذَا كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ * وَأَسَهَرَ عِنْدَ دُخُولِ الْغَنَاءِ
وَقَصَرَ خَطْوِي قِيَدَ الْمَشْيَبِ * وَطَالَ عَلَى مَا عَنَانِي عَنَاءُ
وَعُودْتُ كَالْفَرَخِ فِي عَشْرِ * وَخَلَفْتُ حُلِيَّ وَرَاءَ وَرَاءِ
وَمَا جَزَ ذَلِكَ غَيْرَ الْبَقَاءِ * فَكَيْفَ بَدَأَ سُوءَ فِعْلِ الْبَقَاءِ

وله أيضاً ، وهو من شعره الحسن رحمه الله :

إِلْهَى يَا كَثِيرَ الْعَفْرِ عَفْوَاً * لَمَّا أَسْلَفْتُ فِي زَمَنِ الشَّبَابِ
فَقَدْ سَوَدَتْ فِي الْأَثَامِ وَجْهاً * ذَلِيلًا خَاضِعاً لَكَ فِي التَّرَابِ
فَبَيَّضَهُ بِحَسَنِ الْعَفْرِ عَنِي * وَسَاخَنِي وَخَفَّفَ مِنْ عَذَابِي

ولما توفي صلى عليه بالنظامية ودفن بالشوفيزية ورآه بعضهم في المنام فقال ما فعل بك ربك ؟ فقال
تَحَايَشْتُ الْقَاءَ لِسُوءِ فِعْلِي * وَخُوفًا فِي الْمَعَادِ مِنَ النَّدَامَةِ
فَلَمَّا أَنْ قَدِمْتُ عَلَى إِلْهَى * وَحَاقَتْ فِي الْحِسَابِ عَلَى قَلَامِي

وكان العدل أن أصلي جعيماً * تمطفت بالمكارم والكرامة
وناداني لسان العفو منه * ألا يا عبد يهنيك السلامة
أبو علي الحسن بن أبي المحاسن

زهرة بن علي بن زهرة العلوي الحسيني الحلبي، نقيب الأشراف بها، كان لديه فضل وأدب وعلم
بأخبار الناس والتواريخ والسير والحديث، ضابطاً حافظاً للقرآن المجيد، وله شعر جيد فنه قوله :
لقد رأيت المشوق وهو من لا * بهجر تنبؤ النواظر عنه
أثر الدهر فيه آثار سوء * وأدالت يد الحوادث منه
عاد مستذلاً ومستبدلاً * عزاً بذل كأن لم يصنه
أبو علي يحيى بن المبارك

ابن الجلاجلي من أبناء التجار، مرمع الحديث وكان جميل الهيئة يسكن بدار الخلافة وكان عنده
علم وله شعر حسن، فنه قوله :

خير إخوانك المشارك في المر * وأين الشريك في المر أيننا
الذي إن شهدت شرك في القو * م وإن غبت كان أذننا وعينا
مثل القيق إن مسنا لنا * رجلاه الجلاء فازداد زينا
وأخو السوم إن يغبت عنك يش * نك إن يحتضر يكن ذاك شينا
جيبه غير ناصح ومنه أن * يصب الخليل إفكاً ومينا
فاخش منه ولا تلغ عليه * إن عرماً له كنقدك دينا
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة

ففيها وصلت سرية من جهة جنكزخان غير الأتولتين إلى الري، وكانت قد عمرت قليلاً
فقتلوا أهلها أيضاً، ثم ساروا إلى ساوة، ثم إلى قم وقاسان، ولم تكونا طرقنا إلا هذه المرة، ففعلوا بها
مثل ما تقدم من القتل والسبي، ثم ساروا إلى همدان فقتلوا أيضاً وسبوا، ثم ساروا إلى خلف
الخورزمية إلى أذربيجان فكسروهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، فهربوا منهم إلى تبريز فلحقوهم وكتبوا
إلى ابن البهلوان : إن كنت مصالحاً لنا فابعث لنا بالخورزمية وإلا فأنت مثلهم، فقتل منهم خلقاً
وأرسل برؤسهم إليهم، مع تحف وهدايا كثيرة، هذا كله وإنما كانت هذه السرية ثلاثة آلاف
والخورزمية وأصحاب البهلوان أضعاف أضعافهم، ولكن الله تعالى أنق عليهم الخذلان والفشل،
فأنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها ملك غياث الدين بن خوارزم شاه بلاد فارس مع ما في يده من مملكة أصفهان وهمدان

وفيها استعاد الملك الأشرف مدينة خلاط من أخيه شهاب الدين غازي ، وكان قد جعلها إليه مع جميع بلاد أرمينية وميا قارقين وجاي وجبل حور ، وجعله ولي عهده من بعده ، فلما عصى عليه وتشغب دماغه بما كتب إليه المعظم من تحسينه له مخالفته ، فركب إليه وحاصره بخلاط فسلمت إليه وامتنع أخوه في القلعة ، فلما كان الليل نزل إلى أخيه مستندراً فقبل عذره ولم يعاقبه بل أقره على ميا قارقين وحدها ، وكان صاحب إربل والمعظم متفقين مع الشهاب غازي على الأشرف ، فكتب الكامل إلى المعظم يتهده اثن ساعد على الأشرف ليأخذنه وبلاده ، وكان بدر الدين أولؤ صاحب الموصل مع الأشرف ، فركب إليه صاحب إربل فحاصره بسبب قلة جنده لأنه أرسلهم إلى الأشرف حين نازل خلاط ، فلما انفصلت الأمور على ما ذكرنا نعم صاحب إربل ، والمعظم بدمشق أيضاً .

وفيها أرسل المعظم ولده الناصر داود إلى صاحب إربل يقويه على مخالفة الأشرف ، وأرسل صوفيا من الشيساطية يقال له الملق إلى جلال الدين بن خوارزم شاه - وكان قد أخذ أذر بيجان في هذه السنة وقوى جأشه - يتفق معه على أخيه الأشرف ، فوعده النصر والرفادة . وفيها قدم الملك مسعود أقيس ملك البن على أبيه الكامل بالديار المصرية ومعه شيء كثير من الهدايا والتحف ، من ذلك مائتا خادم وثلاثة أفيالة هائلة ، وأحمال عود وند ومسك وعنبر ، وخرج أبوه الكامل لتلقيه ومن نية أقيس أن ينزع الشام من يد عمه المعظم . وفيها كل عمارة دار الحديث الكاملية بمصر ، وولى مشيختها المحافظ أبو الخطاب ابن دحية السكبي ، وكان مكثراً كثير الفنون ، وعنده فوائد ومجائب رحمه الله .

ومن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد

ابن علي القادسي الضرير الحنبلي ، والد صاحب الذيل على تاريخ ابن الجوزي ، وكان القادسي هذا يلازم حضور مجلس الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ويظهر لما يسمه من الغرائب ، ويقول والله إن ذا مليح ، فاستقرض منه الشيخ مرة عشرة دنانير فلم يعطه ، وصار يحضر ولا يتكلم ، فقال الشيخ مرة: هذا القادسي لا يقرضنا شيئاً ولا يقول والله إن ذا مليح ، فسمح الله تعالى ، وقد طلب القادسي مرة إلى دار المستفى ليصلي بالخليفة التراويح فقبل له والخليفة يسمع : ما مذهبك ؟ فقال حنبلي ، فقال له لا اتصل بدار الخلافة وأنت حنبلي ، فقال أنا حنبلي ولا أصلي بكم ، فقال الخليفة أتركوه لا يصلي بنا إلا هو .

أبو الكرم المظفر بن المبارك

ابن أحمد بن محمد البغدادي الحنفي شيخ مشهـد أبي حنيفة وغيره ، ولى الحسبة بالجانب الغربي من بغداد ، وكان فاضلاً ديناً شاعراً ومن شعره :

فصن بجميل الصبر نفسك واغنم * شريف المزاي لا يفنك ثوابها
وعش سالماً والقول فيك مهذب * كريماً وقد هانت عليك ضماها
وتندرج الأيام والكل ذاهب * قليل ويقتى عذبها وغداها
وما الدهر إلا مرء يوم وليلة * وما العمر إلا طها وذهاها
وما الحزم إلا في إخاء عزيمة * وفيك المألي صفوها ولباها
ودع عنك أحلام الأمانى فانه * سيسفر يوماً غيها وصوابها

محمد بن أبي الفرج بن بركة

الشيخ نغر الدين أبو المألي الموصلي ، قدم بغداد واشتغل بالنظامية وأعاد بها ، وكانت له معرفة
بالقرآن ، وصنف كتاباً في مخارج الحروف ، وأسند الحديث وله شعر لطيف .

أبو بكر بن حلبة المواريني البغدادي

كان فرداً في علم الهندسة وصناعة الموازين يخترع أشياء عجبية ، من ذلك أنه ثقب حبة خشخاش
سبعة ثقوب وجعل في كل ثقب شعرة ، وكان له حظوة عند الدولة .

أحمد بن جعفر بن أحمد

ابن محمد أبو العباس الديلمي البيع الواسطي ، شيخ أديب فاضل له نظم ونثر ، عارف بالأخبار
والسير ، وعنده كتب جيدة كثيرة ، وله شرح قصيدة لأبي العلاء المعري في ثلاث مجلدات ، وقد
أورد له ابن السأعي شعراً حسناً فصيحاً حلواً للذنداء في السمع لطيفاً في القلب .

ثم دخلت سنة إثنيتين وعشرين وستائة

فيها عانت الخوارزمية حين قدموا مع جلال الدين بن خوارزم شاه من بلاد غزنة مهوورين من
النتار إلى بلاد خوزستان ونواحي العراق ، فأفسدوا فيه وحاصروا مدنه ونهبوا قراه . وفيها استحوذ
جلال الدين بن خوارزم شاه على بلاد أذربيجان وكثيراً من بلاد الكرج ، وكسر الكرج وهم في
سبعين ألف مقاتل ، فقتل منهم عشرين ألفاً من المقاتلة ، واستنفل أمره جنداً وعظم شأنه ، وفتح
تفليس فقتل منها ثلاثين ألفاً . وزعم أبو شامة أنه قتل من الكرج سبعين ألفاً في المعركة ، وقتل
من تفليس تمام المائة ألف ، وقد اشتغل بهذه الغزوة عن قصد بغداد ، وذلك أنه لما حاصر دقوقاً سبه
أهلها ففتحها قسراً وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ، وخرّب سورها وعزم على قصد الخليفة ببغداد
لأنه فيها زعم عمل على أبيه حتى هلك ، واستولت التتر على البلاد ، وكتب إلى المظلم بن العادل
يستدعيه لقتال الخليفة ويحرضه على ذلك ، فامتنع المظلم من ذلك ، ولما علم الخليفة بقصد
جلال الدين بن خوارزم شاه بغداد انزعج لذلك وحصن بغداد واستخدم الجيوش والأجناد ، أنفق

في الناس ألف ألف دينار، وكان جلال الدين قد بعث جيشاً إلى الكرج فكتبوا إليه أن أدركنا قبل أن نهلك عن آخرنا، وبغداد ما نفوت، فصار إليهم وكان من أمره ما ذكرنا.

وفيها كان غلاء شديد بالعراق والشام بسبب قلة الأمطار وانتشار الجراد، ثم أعقب ذلك فناء كثير بالعراق والشام أيضاً، فمات بسببه خلق كثير في البلدان، فانا لله وإنا إليه راجعون.

وفاة الخليفة الناصر لدين الله وخلافة ابنه الظاهر

لما كان يوم الأحد آخر يوم من شهر رمضان المعظم من هذه السنة توفي الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستنصر بأمر الله، أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله، أبي عبد الله محمد بن المستنصر بالله، أبي عبد الله أحمد بن المقتدي بأمر الله، أبي القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله، أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله، أبي العباس أحمد بن الموفق أبي أحمد بن محمد المتوكل أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، أبي أحمد بن محمد المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي العباسي، أمير المؤمنين، ولد ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة خمس وسبعين [وخمسمائة]، وتوفي في هذه السنة وله من العمر تسع وستون سنة وشهران وعشرون يوماً، وكانت مدة خلافته سبعمائة وأربعين سنة إلا شهراً، ولم يرق أحد من الخلفاء العباسيين قبله في الخلافة هذه المدة الطويلة، ولم تطل مدة أحد من الخلفاء مطلقاً أكثر من المستنصر العبيدي، أقام بصبر حاكماً سنين مئة، وقد انتظم في نسبه أربعة عشر خليفة، وولي عهد على ما رأيت، وبقية الخلفاء العباسيين كلهم من أعمامه وبنى عمه.

وكان مرضه قد طال به وجهاً من عسار البول، مع أنه كان يجلب له الماء من مراحل عن بغداد ليكون أصفى، وشق ذكره مرات بسبب ذلك، ولم يفت عنه هذا الحذر شيئاً، وكان الذي ولي غسله محبي الدين ابن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي، وصلى عليه ودفن في دار الخلافة، ثم نقل إلى القرب من الرصافة في ثاني ذي الحجة من هذه السنة، وكان يوماً مشهوداً، قال ابن الساعي: أما سيرته فقد تقدمت في الحوادث، وأما ابن الأثير في كتابه فإنه قال: وبقي الناصر لدين الله ثلاث سنين عاتلاً من الحركة بالكلية، وقد ذهب إحدى عينيها والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً، وآخر الأمر أصابه دو سخطارية عشرين يوماً ومات، وزرله عدة وزراء، وقد تقدم ذكرهم، ولم يطل في أيام مرضه ما كان أحدهم من الرسوم الجائرة، وكان قبيل السيرة في رعيته ظالم لهم، فخرّب في أيامه العراق وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشيء وضده، فمن ذلك أنه عمل دوراً

للانفطار في رمضان ودورا لضيافة الحجاج ، ثم أبطل ذلك ، وكان قد أسقط مكوساً ثم أعادها وجعل
جل همه في رمي البندق والطيور المناسب وسراويلات الفتوة . قال ابن الأثير : وإن كان ما ينسبه
المعجم إليه صحيحاً من أنه هو الذي أطمع التتار في البلاد وراسلهم فهو العالمة الكبيرى الذى يصغر
عندها كل ذنب عظيم . قلت ، وقد ذكر عنه أشياء غريبة ، من ذلك أنه كان يقول للرسول الوافدين
عليه فعلم في مكان كذا كذا ، وفعل في الموضوع الفلاني كذا ، حتى ظن بعض الناس أو أكثرهم أنه
كان يكشف أو أن جنياً يأتيه بذلك ، والله أعلم .

خلافة الظاهر بن الناصر

لما توفى الخليفة الناصر لدين الله كان قد عهد إلى ابنه أبى نصر محمد هذا ولقبه بالظاهر ،
وخطب له على المنابر ، ثم عزله عن ذلك بأخيه على ، فتوفى في حياة أبيه سنة ثلث عشرة ، فاحتاج إلى
إعادة هذا الولاية العهد فخطب له ثانياً ، فحين توفى بوبيع بالخلافة ، وعمره يومئذ ثمان وخمسون سنة ،
فلم يل الخلافة من بنى العباس أسن منه ، وكان عاقلاً وقوراً ديناً عادلاً محسناً ، رد مظالم كثيرة وأسقط
مكوساً كان قد أحدثها أبوه ، وسار في الناس سيرة حسنة ، حتى قيل : إنه لم يكن بعد عمر بن عبدالعزيز
أعدل منه لوطالت مدته ، لكنه لم يحل إلى الحول ، بل كانت مدته تسعة أشهر أسقط الخراج الماضى
عن الاراضى التى قد تمطت ، ووضع عن أهل البلدة واحدة وهى يعقوباً سبعين ألف دينار كان أبوه
قد زادها عليهم في الخراج ، وكانت صنجة الخزن تزيد على صنجة البلد نصف دينار في كل مائة إذا
قبضوا وإذا أقبضوا دفعوا بصنجة البلد ، فكتب إلى الديوان [ويل للمطفئين الذين إذا اكتالوا على
الناس يستوفون وإذا كلوم أو وزنوم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم
الناس لرب العالمين] فكتب إليه بعض الكتاب يقول : يا أمير المؤمنين إن تفاوت هذا عن العام
الماضى خمسة وثلاثون ألفاً ، فأرسل ينكر عليه ويقول : هذا يترك وإن كان تفاوته ثلثمائة ألف
وخمسين ألفاً ، رحمه الله . وأمر للقاضى أن كل من ثبت له حق بطريق شرعى يوصل إليه بلا مراجعة ،
وأقام في النظر على الأموال الجردة رجلاً صالحاً واستخلص على القضاء الشيخ العلامة عماد الدين أبى
صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيللى في يوم الأربعاء ثامن ذى الحجة ، فكان من
خيار المسلمين ومن القضاء المادلين ، رحمهم الله أجمعين . ولما عرض عليه القضاء لم يقبله إلا بشرط
أن يورث ذوى الأرحام ، فقال : أعط كل ذى حق حقه واتق الله ولا تنق سواء ، وكان من عادة
أبيه أن يرفع إليه حراس الدروب في كل صباح بما كان عندهم في الحال من الاجتماعات الصالحة
والطالحة ، فلما ولى الظاهر أمر بتبديل ذلك كله وقال : أى فائدة في كشف أحوال الناس وهتك
أستارهم ؟ فقل له : إن ترك ذلك يفسد الرعية ، فقال نحن ندعو الله لهم أن يصالحهم ، وأطلق من كان

في السجن معتقلا على الأموال الديوانية ، ورد عليهم ما كان استخراج منهم قبل ذلك من المظالم وأرسل إلى القاضي بعشرة آلاف دينار يوفي بها ديون من في سجنه من المدينين الذين لا يجدون وقاه ، وفرق في العلماء بقية المائة ألف ، وقد لاهم بعض الناس في هذه التصرفات فقال : إنما فتحت الدكان بعد العصر ، فذروني أعمل صالحا وأفل الخير ، فكتم مقدار ما بقيت أعيش ! ولم تزل هذه سيرته حتى توفي في العام الآتي كما سيأتي . ورخصت الأسعار في أيامه وقد كانت قبل ذلك في غاية الغلاء حتى أنه فيما حكى ابن الأثير أكلت الكلاب والسنانير ببلاد الجزيرة والموصل ، فزال ذلك والحمد لله وكان هذا الخليفة الظاهر حسن الشكل مليح الوجه أبيض مشربا حلو الشرائط شديد القوى .

ومن توفي فيها من الأعيان أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل

نور الدين ابن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن أيوب ، كان ولي عهد أبيه ، وقد ملك دمشق بعده مدة سنتين ثم أخذها منه عمه العادل ، ثم كاد أن يملك الديار المصرية بعد أخيه العزيز فأخذها منه عمه العادل أبو بكر ، ثم اقتصر على ملك صرخد فأخذها منه أيضا عمه العادل ، ثم آل به الحال أن ملك جميعها وبها توفي في هذه السنة ، وكان فاضلا شاعرا جيدا الكتابة ، ونقل إلى مدينة حلب فدفن بها بظاهرها . وقد ذكر ابن خلكان أنه كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يشكو إليه عمه أبا بكر وأخاه عثمان وكان الناصر شيعيا مثله :

مولائي إن أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذي كان قدولاه والده * عليهما فاستقام الأمر حين ولي
نغالناه وحلا عقد بيعته * والأمر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف اتى * من الأواخر مالاتي من الأول

الأمير سيف الدين علي

ابن الأمير علم الدين بن سليمان بن جندر ، كان من أكابر الأمراء بحلب ، وله الصدقات الكثيرة ووقف بها مدرستين إحداها على الشافعية والأخرى على الحنفية ، وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخيرات والغزوات رحمه الله

الشيخ علي الكردي

المولود المقيم بظاهر باب الجابية ، قال أبو شامة : وقد اختلفوا فيه فبعض الدما شقة يزعم أنه كان صاحب كرامات ، وأنكر ذلك آخرون ، وقالوا ما رآه أحد يصلي ولا يصوم ولا لبس مداسا ، بل كان يدوس الزجاجات ويدخل المسجد على حاله ، وقال آخرون كان له تابع من الجن يتحدث على لسانه حكى السبط عن امرأة قالت جاء خبر بموت أمي باللاذقية أنها ماتت وقال لي بعضهم إنها لم تمت ،

قالت فررت به وهو قاعد عند المقابر فوفقت عنده فرفع رأسه وقال لي مانت مانت إيش تملين ؟ فكان كما قال . وحكي لي عبد الله صاحب قال صبحت يوماً وما كان معي شيء فاجترت به فدفعت إلى نصف درهم وقال : يكفي هذا لاخبز والفت بدبس ، وقال مر يوماً على الخطيب جمال الدين الدولعي فقال له يا شيخ على أكلت اليوم كسبرات يا بسة وشربت عليها المساء فكنتني ، فقال له الشيخ على الكردي وما تطلب نفسك شيئاً آخر غير هذا ؟ قال لا ، فقال يا مسلمين من يقع بكسرة يابسة بحبس نفسه في هذه المقصورة ولا يقضى ما فرضه الله عليه من الحج

الفخر ابن تيمية

محمد بن أبي القاسم بن محمد الشيخ نخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحرائي ، عالمها وخطيبها وواعظها ، اشتغل على مذهب الامام أحمد وبرع فيه وبرز وحصل وجمع تفسيراً حافلاً في مجلدات كثيرة وله الخطب المشهورة المنسوبة إليه ، ومم عم الشيخ محمد الدين صاحب المنتقى في الأحكام ، قال أبو المظفر سبط ابن الجوزي : سمعته يوم جمعة بعد الصلاة وهو يعظ الناس ينشد :

أحبابنا قد ندرت مقلتي * ما تلنقى بالنوم أو تلنقى
رفقاً بقلب مفرم وإعطيناً * على سقام الجسد المحرق
كم تطلوني بليالي ألقا * قد ذهب العمر ولم تلنقى

وقد ذكرنا أنه قدم بغداد حاجاً بعد وفاة شيخه أبي الفرج ابن الجوزي ووعظ بها في مكان وعظه .

الوزير بن شكر

صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الخالق بن شكر ، ولد بالديار المصرية بمدينة بين مصر واسكندرية سنة أربعين وخمسمائة ، ودفن بترابته عند مدرسته بمصر ، وقد وزر الملك العادل وعمل أشياء في أيامه منها تبليط جامع دمشق وأحاط سور المصل عليه ، وعمل القنطرة ومسجدها وعمارة جامع المزة ، وقد نكب وعزل سنة خمس عشرة وسبعمائة وبقى معز ولا إلى هذه السنة فكانت فيها وفاته ، وقد كان مشكور السيرة ومنهم من يقول كان ظالماً فآله أعلم

أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر

ابن إبراهيم بن علي المعروف بابن البندى الواظظ البغدادي ، أخذ الفن عن شيخه أبي الفرج ابن الجوزي وسمع الحديث الكثير ، ومن شعره قوله في الزهد :

ما هنو الدنيا بدار مسرة * فتخوف مكرأ لها وخداها
بيننا الفتي فيها يسر بنفسه * وبالله يستمتع استمناعا
حتى سقته من المنية شربة * وحتة فيه بعد ذلك رضاها

فندا بما كسبت يداه رهينة * لا يستطيع لما عرته دقا
لو كان ينطق قال من تحت الثرى * فليحسن العمل الفقى ما اسطاعا
أبو الحسن علي بن الحسن

الرازي ثم البغدادى الواعظ ، عنده فضائل وله شعر حسن ، فنه قوله فى الزهد :
استعدى يانفس الموت واسى * لنجاة فالحازم المستعد
قد تبينك أنه ليس للحي * خلوة ولا من الموت بد
إنما أنت مستعيرة ماسو * فتردين والوارى ترد
أنت تسهين والحوادث لا * تسهو وتلمين والمذايا تجمد
لاترجى البقاء فى معدن المو * ت ولا أرضا بها لك ورد
أى ملك فى الأرض أم أى حظ * لأمرى يحظه من الأرض لحد
كيف يهوى امرؤ لذاته أيا * م عليه الانفاس فيها تعد

البها السنجاري

أبو السعادات أسعد بن محمد بن موسى الفقيه الشافعى الشاعر ، قال ابن خلكان : كان فقيها
وتكلم فى الخلاف إلا أنه غلب عليه الشعر ، فأجاد فيه واشتهر بنظامه وخدم به الملوك ، وأخضعهم
الجواز وطاف البلاد ، وله ديوان بالترتبة الأشرفية بدمشق ، ومن رقيق شعره ورائقه قوله :

وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم فى الغرام بحاله
ومنى وشى واشى إلبك بأنه * سالى هواك فذاك من عذاله
أوليس للكلف المعنى شاهدة * من حاله يغنيك عن تسالره
جددت ثوب سقامه وهتك رسته * رغرامه وصرمت جبل وصاله

وهى قصيدة طويلة امتدح فيها القاضى كمال الدين الشهر زورى وله :

فله أباى على رامة * وطبيب أوقانى على حاجر
تكاد للسرعة فى مرها * أولها يعثر بالآخر

وكانت وفاته فى هذه السنة من تسعين سنة رحمة الله به وفضله .

عثمان بن عيسى

ابن درباس بن قسرين جهن بن عبدوس المدهبى المارائى ضياء الدين أخو القاضى صدر الدين
عبد الملك حاكم الديار المصرية فى الدولة الصلاحية ، وضياء الدين هذا هو شارح المذهب إلى كتاب
الشهادات فى نحو من عشرين مجلدا ، وشرح المع فى أصول الفقه والتنبيه للشيرازى ، وكان بارعا
عالما بالمذهب رحمه الله .

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوي

البواريجي ثم البغدادي ، شيخ فاضل له رواية ، وما أنشده :

ضيق المنرق الضراعة أنا * لو قمنا بقسمنا لكفانا
مالنا نعبد العباد إذا كان * إلى الله قمرنا وغنانا
أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله

ابن علي بن منصور بن الكيال الواسطي من بيت الفقه والقضاء ، وكان أحد المدلين

ببغداد ومن شعره :

فتباً لدينا لا يدوم نعيمها * تسري سراً ثم تبدى المساوي
تريك رواء في النقاب وزخرفاً * وتسفر عن شواه طحياء عالميا

ومن ذلك قوله :

إن كنت بعد الطاعتين تساعت * بالفحص أجفاني فاجفاني
أو كنت من بعد الأوبة فافظراً * حسناً بالناسي فاجفاني
الدهر مغفور له زلاته * إن عاد أوطاني على أوطاني

أبو علي الحسن بن علي

ابن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمار بن فخر بن وقاح الباسري نسبة إلى عمار بن

ياسر ، شيخ بغدادى فاضل ، له مصنفات في التفسير والفرائض ، وله خطب ورسائل وأشعار حسنة
وكان مقبول الشهادة عند الحكام .

أبو هجر محمد بن يوسف بن الطباخ

الواسطي البغدادي الصوفي ، باشر بعض الولايات ببغداد ، وما أنشده :

ما وهب الله لأمري هبة * أحسن من عقله ومن أدبه
نما جمال النقي فان فقدنا * ففقدنا الحياة أجل به

ابن يونس شارح التنبيه

أبو الفضل أحمد بن الشيخ كمال الدين أبي الفتح موسى بن يونس بن محمد بن منة بن مالك بن

محمد بن سعيد بن سعيد بن عاصم بن عابد بن كعب بن قيس بن إبراهيم الأربلي الأصل ثم
الموصل من بيت العلم والرياسة ، اشتغل على أبيه في فنونه وعلمه فبرع وتقدم . وقد درس وشرح
التنبيه واختصر إحياء علوم الدين لفرزالي مرتين صغيراً وكبيراً ، وكان يدرس منه . قال ابن خلكان :
وقد ولي بأربل مدرسة الملك المظفر بعد موت والده في سنة عشر وستائة ، وكنت أحضر عنده

وأنا صغير ولم أر أحدا يدرس مثله ، ثم صار إلى بلده سنة سبع عشرة ، ومات في يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة عن سبع وأربعين سنة رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستائة

فيها التقى الملك جلال الدين بن خوارزم شاه الخوارزمي مع الكرج فكسروهم كسرة عظيمة ، وصعد إلى أكبر معاقلتهم تفانيس ففتحها عنوة وقتل من فيها من الكفرة وسبي ذراريهم ولم يتعرض لأحد من المسلمين الذين كانوا بها ، واستقر ملكه عليها ، وقد كان الكرج أخذوها من المسلمين في سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهي بأيديهم إلى الآن حتى استنفذها منهم جلال الدين هذا ، فكان فتحاً عظيماً والله المنة . وفيها سار إلى خلاط ليأخذها من نائب الملك الأشرف فلم يتمكن من أخذها وقاتله أهلها قتالاً عظيماً فرجع عنهم بسبب اشتغاله بعصيان نائبه بمدينة كerman وخلافه له ، فسار إليهم وتركهم . وفيها اصطاح الملك الأشرف مع أخيه المعظم وسار إليه إلى دمشق ، وكان المعظم بمالط عليه مع جلال الدين وصاحب إربل وصاحب ماردين وصاحب الروم ، وكان مع الأشرف أخوه الكامل وصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ ، ثم استمال أخاه المعظم إلى ناحيته يقوى جانبه . وفيها كان قتال كبير بين إبراهيم النطاشي وبين الأرمن ، وجرت خطوط كثيرة بينهم . وفيها أوقع الملك جلال الدين بالتركان الإوانية بأساً شديداً ، وكانوا يقطعون الطرق على المسلمين .

وفيها قدم محيي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين بن الجوزي من بغداد في الرسالة إلى الملك المعظم بدمشق ، ومعه الخلع والتشريف لأولاد العادل من الخليفة الظاهر بأمر الله ، ومضمون الرسالة نهيه عن موالاة جلال الدين بن خوارزم شاه ، فانه خارجي من عزمه قتال الخليفة وأخذ بغداد منهم ، فأجابه إلى ذلك وركب التفاوض محيي الدين بن الجوزي إلى الملك الكامل بالديار المصرية ، وكان ذلك أول قدومه إلى الشام ومصر ، وحصل له جوائز كثيرة من الملوكة ، منها كان بناء مدرسته الجوزية بالشبابين بدمشق . وفيها ولي تدريس الشبلية بالسفح شمس الدين محمد بن قزغلي سبط ابن الجوزي بمرسوم الملك المعظم ، وحضر عنده أول يوم القضاة والأعيان .

وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنه المستنصر

كانت وفاة الخليفة رحمه الله يوم الجمعة ضحى الثالث عشر من رجب من هذه السنة ، أعني سنة ثلاث وعشرين وستائة ، ولم يعلم الناس بوفاته إلا بعد الصلاة ، فدعاه الخطباء يومئذ على المنابر على عادتهم فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وعمره اثنتان وخمسون سنة ، وكان من أجود بني العباس وأحسنهم سيرة وسيرة ، وأكثرم عطاء وأحسنهم منظراً ورواه ، ولو طالعت مدته لصلحت الأمة صلاحاً كثيراً على يديه ، ولكن أحب الله تربيته وإزلافه لديه ، فاختر له ما عنده وأجر له إحساناً

ورفعه ، وقد ذكرنا ما اعتمده في أول ولايته من إطلاق الأموال الديوانية ورد المظالم وإسقاط المكوس ، وتخفيف الخراج عن الناس ، وأداء الديون عن عجز عن أدائها ، والاحسان إلى العلماء والفقراء وتولية ذوى الديانة والأمانة ، وقد كان كتب كتابا لولاء الرعية فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اهدوا أنه ليس إيماننا إيمالا ، ولا إفضاؤنا احتمالا ، ولكن لنبلوكم أيكم أحسن عملا ، وقد غفرنا لكم ما سلف من إخراج البلاد وتشريد الرعايا وتقييع الشريعة ، وإظهار الباطل الجلى في صورة الحق الخفى ، حيلة ومكيده ، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستندرا كالأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث باسل ، وأنياب أسد مهيب ، تنفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أنماؤه وفتاته فتميلون رأيهم إلى هواكم ، وتمزجون باطلكم بحقه ، فيطيعكم وأنتم له عاصون ، وبواقفكم وأنتم له مغفلون والآن قد بدل الله سبحانه بخوفكم أمنا ، وبقرمكم غنى ، وبباطلكم حقا ، ورزقكم سلطانا يقبل العثرة ، ولا يؤاخذ إلا من أصر ، ولا يلتزم إلا من استمر ، يأمركم بالعدل وهو يريد منكم ، وينهاكم عن الجور وهو يكره لكم ، يخاف الله تعالى فيخوفكم مكره ، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه ، وإلا هلكتم والسلام . » ووجد في داره رقايع مختمة لم يفتحها سترأ قنابس ودرما من أعراضهم رحمه الله ، وقد خلف من الأولاد عشرة ذكورا وإنا ، منهم ابنه الأكبر الذى بويع له بالخلافة من بعده أبو جعفر المنصور ، ولقب بالمستنصر بالله ، وفصله الشيخ محمد الخياط الواعظ ، ودفن في دار الخلافة ، ثم نقل إلى التراب من الرصافة .

خلافة المستنصر بالله العباسي

أمير المؤمنين أبو جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ، بويع بالخلافة يوم مات أبوه يوم جمعة ثالث عشر رجب من هذه السنة ، سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، استدهوا به من التاج فبايعه الخاصة والعامة من أهل المقد والحل ، وكان يوما مشهودا ، وكان عمره يومئذ خمسا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما ، وكان من أحسن الناس شكلا وأبهام منظرا ، وهو كما قال القائل :

كأن الثريا علق في جبينه * وفي خده الشعرى وفي وجهه القمر

وفي نسبه الشريف خمسة عشر خليفة ، منهم خمسة من آبائه ولوا نسقا ، وتلقى هو الخلافة عنهم واداءة كبارا عن كبار ، وهذا شيء لم يتفق لأحد من الخلفاء قبله ، وسار في الناس كثيرة أبيه الظاهر في الجود وحسن السيرة والاحسان إلى الرعية ، وبنى المدرسة الكبيرة المستنصرية التي لم تبين مدرسة في الدنيا مث لها ، وسيأتى بيان ذلك في موضعه إن شاء الله ، واستمر أرباب الولايات الذين كانوا في عهد أبيه على ما كانوا عليه ، ولما كان يوم الجمعة المقبلة خطب للإمام المستنصر بالله على المنابر ونثر الذهب والفضة عند ذكر اسمه ، وكان يوما مشهودا ، وأشد الشعراء المدائح والمراثي ، وأطلقت لم

الخلع والجواهر، وقدم رسول من صاحب الموصل يوم غرة شعبان من الوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن الأثير، فيها التهنئة والتعزية بمباراة فصيحة بليغة .

ثم إن المستنصر بالله كان يواظب على حضور الجمعة راكبا ظاهراً للناس، وإنما معه خادمان وراكب دار، وخرج مرة وهو راكب فسمع ضجة عظيمة فقال : ما هذا ؟ فقيل له التأذين، فترجل عن مركوبه وسمى ماشياً، ثم صار يمدن المشى إلى الجمعة رغبة في التواضع والخشوع، ويجلس قريباً من الإمام ويستمع الخطبة، ثم أصلح له المطبق فكان يمشى فيه إلى الجمعة، وركب في الثاني والعشرين من شعبان ركوباً ظاهراً للناس عامة، ولما كانت أول ليلة من رمضان تصدق بصدقات كثيرة من الدقيق والغنم والتفقات على العلماء والفقراء والمحاييج، إطاعة لهم على الصيام، وتقوية لهم على القيام . وفي يوم السابع والعشرين من رمضان نقل تابوت الظاهر من دار الخلافة إلى التربة من الرصافة، وكان يوماً مشهوداً، وبعث الخليفة المستنصر يوم العيد صدقات كثيرة وإعاماً جزيلاً إلى الفقهاء والصوفية وأئمة المساجد، على يدى محي الدين ابن الجوزي . وذكر ابن الأثير أنه كانت زلزلة عظيمة في هذه السنة، هدمت شيئاً كثيراً من القرى والقلاع ببلادهم، وذكر أنه ذبح شاة ببسلاهم فوجد لحمها مرا حتى رأسها وأكارعها [ومعاليقها وجميع أجزائها] .

ومن توفى فيها من الأعيان بعد الخليفة الظاهر كما تقدم :

الجمال المصري

يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري، قاضى القضاة في هذا الحين، اشتغل وحصل وبرع واختصر كتاب الأئم للإمام الشافعى، وله كتاب مطول في الفرائض، وولى تدريس الأئمة بعد التقي صالح الضمير، الذى قتل نفسه، ولاء إياه الوزير صفى الدين بن شكر، وكان معنياً بأمره ثم ولى وكالة بيت المال بدمشق، وترسل إلى الملوكة والخلفاء عن صاحب دمشق، ثم ولاء المعظم قضاء القضاة بدمشق بعد عزله الزكى ابن الزكى، وولاه تدريس العادلية الكبيرة، حين كل تناوها فكان أول من درس بها وحضره الأعيان كما ذكرنا . وكان يقول أولاً درساً في التفسير حتى أكمل التفسير إلى آخره، ويقول درس الفقه بعد التفسير، وكان يعتمد في أمر إثبات السجلات اعتماداً حسناً، وهو أنه كان يجلس في كل يوم جمعة بكرة ويوم الثلاثاء ويستحضر عنده في إخوان العادلية جميع شهود البلد، ومن كان له كتاب يقبته حضر واستدعى شهوده فأدوا على الحاكم وثبت ذلك سريعاً، وكان يجلس كل يوم جمعة بعد العصر إلى الشباك الكمالى بمشهد عثمان فيحكم حتى يصلى المغرب، وربما مكث حتى يصلى الدشاء أيضاً، وكان كثير المذاكرة للعلم كثير الاشتغال بحسن الطريقة، لم ينقم عليه أنه أخذ شيئاً لأحد . قال أبو شامة : وإنما كان ينقم عليه أنه كان يشير على

بعض الورثة بمصالحة بيت المال ، وأنه استتاب ولده التاج محمدا ولم يكن مرضى الطريقة ، وأما هو فكان عفيفا في نفسه نزهاً مهيباً . قال أبو شامة : وكان يدعى أنه قرشي شيبى فتكلم الناس فيه بسبب ذلك ، وتولى القضاء بعده شمس الدين أحمد بن الخليلي الجويني . قلت : وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بداره التي في رأس درب الریحان من ناحية الجامع ، ولتربته شبك شرق المدرسة الصدرية اليوم ، وقد قال فيه ابن عنين وكان هجاء .

ما أقصر المصيرى في فمله * إذ جمل التربة في دارم
أراح للأحياء من رجوه * وأبعد الأموات من فارم
المعتمد والي دمشق

المبارز إبراهيم المروفي بالمعتمد والي دمشق ، من خيار الولاة وأعفهم وأحسنهم سيرة وأجودهم سريرة ، أصله من الموصل ، وقدم الشام فخدم فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب ، ثم استنابه البدر مودود أخو فروخشاه ، وكان شحنة دمشق ، فخدمت سيرته في ذلك ، ثم صار هو شحنة دمشق أربعين سنة ، فمات في أيامه عجائب وغرائب ، وكان كثير السرور على ذوى الهبات ، ولا سيما من كان من أبناء الناس وأهل البيوتات ، واتفق في أيامه أن رجلاً حائكاً كان له ولد صغير في آذانه خلق فقدا عليه رجل من جيرانهم فقتله غيلة وأخذ ما عليه من الحل ودفنه في بعض المقابر ، فاشتكوا عليه فلم يقر ، فبكت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها ، فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل وسألته أن ينزولها وأظهرت له أنها أحبتة فتزوجها ، ومكثت عنده حيناً ، ثم سأله في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه فقال : نعم أنا قتلت . فقالت أشتبهى أن تربي قبره حتى أنظر إليه ، فذهب بها إلى قبر خشنكاشة ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستعبرت وقد أخذت معها سكيناً أعدتها لهذا اليوم ، فضربت به حتى قتلت . ودفنته مع ولدها في ذلك القبر ، فجاء أهل المقبرة لحملها إلى الوالى المعتمد هذا فسالها فذكرت له خبرها ، فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها ، وحكى عنه السبط قال بينما أنا يوما خارج من باب الفرج وإذا برجل يحمل طبل وهو سكران فأمرت به فضرب الحد ، وأمرتهم فكسروا الطبل ، وإذا ذكوة كبيرة جدا فشقوقها [فاذا فيها خمر] وكان العادل قد منع أن يعصر خمر ويحمل إلى دمشق شيء منه بالكلية ، فكان الناس يتحولون بأنواع الخمين ولطائف المكر ، قال السبط فسالته من أين علمت أن في الطبل شيئا . قال رأيته بمشي تجرف سيقانه ففرت أنه يحمل شيئا ثقيل في الطبل . وله من هذا الجنس غرائب ، وقد عزله المظلم وكان في نفسه منه وسجنه في القلعة نحو من خمس سنين ، ونادى عليه في البلد فلم يجيء . أحد ذكر أنه أخذ منه حبة خردل ، ولما مات رحمه الله دفن بتربته المجاورة لمدرسة أبى عمر من شامها قبل السوق ، وله عند تربته مسجد

يعرف به رحمه الله . واقف الشبلية التي بطريق الصالحية

شبل الدولة كافور الحسامي نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين ، ولد ست الشام ، وهو الذي كان مستحشا على عمارة الشامية البرانية لمولاه ست الشام ، وهو الذي بنى الشبلية للحنفية وألحاقها على الصوفية إلى جانبها ، وكانت منزله ، ووقف القناة والمصنع والسباط ، وفتح للناس طريقا من عند المقبرة غربى الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش ، ولم يكن الناس لهم طريق إلى الجبل من هناك ، إنما كانوا يسلكون من عند مسجد الصفي بالمقبية ، وكانت وفاته في رجب ودفن إلى جانب مدرسته ، وقد جمع الحديث على الكندى وغيره رحمه الله تعالى

واقف الرواحية بدمشق وحلب

أبو القاسم هبة الله المعروف بابن رواحة ، كان أحد التجار ، وفي الثروة والمقدار ، ومن المدلين بدمشق ، وكان في غاية الطول والعرض ولا لحية له ، وقد ابنتى المدرسة الرواحية داخل باب الفرائيس ووقفها على الشافعية ، وفوض نظرها وتدريسها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهر زورى ، وله بحلب مدرسة أخرى مثلها ، وقد انقطع في آخر عمره في المدرسة التي بدمشق وكان يسكن البيت الذي في إيوانها من الشرق ، ورغب فيها بعد أن يدفن فيه إذا مات فلم يمكن من ذلك ، بل دفن بمقابر الصوفية ، وبعد وفاته شهد محي الدين ابن عربي الطائي الصوفي ، وتقى الدين خزعل النحوي المصري ثم المقدسى إمام مشهد ، على شهدا على ابن رواحة بأنه عزل الشيخ تقي الدين عن هذه المدرسة ، فحزت خفاوب طويلة ولم ينتظم ما راماه من الأمر ، ومات خزعل في هذه السنة أيضاً فبطل ماسلكوه .

أبو محمد محمود بن مودود بن محمود

البلدجى الحنفى الموصل ، وله بها مدرسة تعرف به ، وكان من أبناء الترك ، وصار من مشايخ العلماء وله دين متين وشعر حسن جيد ، فنه قوله :

مَنْ ادَّعى أَنْ لَهُ حَالَةً * مُخْرِجُهُ عَنْ مَنَهِجِ الشَّرْعِ
فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ صَاحِبًا * فَإِنَّهُ خُرُءٌ بِلَا نَفْعٍ

كانت وفاته بالموصل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله نحو من ثمانين سنة .

ياقوت ويقال له يعقوب بن عبدالله

نجيب الدين متولى الشيخ تاج الدين الكندى ، وقد وقف إليه الكتب التي بالخرانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق ، وكانت سبعمائة وإحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب وبيع أكثرها ، وقد كان ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد ، وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب ، ودفن بمقبرة الخيزران بالقرب من مشهد أبي حنيفة :

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها كانت عامة أهل تغليس الكرج فجاءوا إليهم فدخلوها فقتلوا العامة والخاصة ، ونهبوا وسبوا وخرّبوا وأحرقوا ، وخرجوا على حمية ، وبلغ ذلك جلال الدين فسار سريعاً ليديركم فلم يديركم . وفيها قتلت الاسماعيلية أميراً كبيراً من نواب جلال الدين بن خوارزم شاه ، فسار إلى بلادهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وخرّب مدينتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم ، وقد كانوا قبّحهم الله من أكبر العون على المسلمين ، لما قدم التتار إلى الناس ، وكانوا أضّر على الناس منهم .

وفيها تواقع جلال الدين وطائفة كبيرة من التتار فهزّمهم وأوسعهم قتلًا وأسراً ، وساق وراءهم أياماً فقتلهم حتى وصل إلى الرى فبلغه أن طائفة قد جاوزوا اتقصده فأقام بقطعهم ، وكان من أمره وأمرهم ما سيأتى في سنة خمس وعشرين . وفيها دخلت عساكر الملك الأشرف بن العادل إلى أذربيجان فملكوا منها مدناً كثيرة وغنموا أموالاً جزيلة ، وخرجوا معهم بزوجة جلال الدين بنت طغرل ، وكانت تبغضه وتماديه ، فأزّلوها مدينة خلاط وسيأتى ما كان من خبرهم في السنة الآتية . وفيها قدم رسول الانبؤ ملك الفرنج في البحر إلى المعظم يطلب منه ما كان فتحه عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين من بلاد السواحل ، فأغلب لهم المعظم في الجواب وقال له : قل لصاحبك ما عندي إلا السيف والله أعلم . وفيها هجر الأشرف أخاه شهاب الدين غازى إلى الحج في محمل عظيم يحمل قتله ستائة رجل ، ومعه خمسون هجيناً ، على كل هجين مملوك ، فسار من ناحية العراق وجاءته هدايا من الخليفة إلى أثناء الطريق ، وعاد على طريقه التي خرج منها . وفيها ولي قضاء القضاة بيغداد نجم الدين أبو المالى عبد الرحمن بن مقبل الواسطى ، ونخاع عليه كما هي عادة الحكام ، وكان يوماً مشهوداً . وفيها كان غلاء شديد ببلاد الجزيرة وقتل اللحم حتى حكى ابن الأثير أنه لم يذبح بمدينة الموصل في بعض الأيام سوى خروف واحد في زمن الربيع ، قال : وسقط فيها عاشر أذار ثلج كثير بالجزيرة والعراق مرتين فأهلك الأزهار وغيرها ، قال : وهذا شيء لم يهد مثله ، والعجب كل العجب من العراق مع كثرة حره كيف وقع فيه مثل هذا .

جنكيز خان

ومن توفى فيها من الأعيان

السلطان الأعظم عند التتار والدملوكم اليوم ، ينتسبون إليه ومن عظم القان إنما يريد هذا الملك وهو الذى وضع لهم السياسة ^(١) التى يتبعها كون إليها ، ويحكمون بها ، وأكثرها مخالف لشرائع الله تعالى وكتبه ، وهو شىء أقترحه من عند نفسه ، وتبعوه في ذلك ، وكانت تزعم أمه أنها حملته من شعاع الشمس ، فلهاذا لا يعرف له أب ، والظاهر أنه مجهول النسب ، وقد رأيت مجلداً جمعه الوزير (١) السياسة : مركبة من « سى » بمعنى ثلاثة . و « يسا » بمعنى الترتيب ، ثم حرفها العرب فقالوا : سياسة .

ببغداد علاء الدين الجويني في ترجمته فذكر فيه سيرته ، وما كان يشتمل عليه من العقل السياسي والكرم والشجاعة والتدبير الجيد للملك والرعايا ، والحروب ، فذكر أنه كان في ابتداء أمره خصيصاً عند الملك أربك خان ، وكان إذ ذاك شاباً حسناً وكان اسمه أولاً تمرجي ، ثم لما عظم سمى نفسه جنكيزخان ، وكان هذا الملك قد قر به وأذناه ، فحسده عظماء الملك وشوا به إليه حتى أخرجه عليه ، ولم يقتله ولم يجد له طريقاً في ذنب يتسلط عليه به ، فهو في ذلك إذ تغضب الملك على ملوكين صغيرين فهربا منه ولباً إلى جنكيزخان فأكرمهما وأحسن إليهما فأخبراه بما يضره الملك أربك خان من قتله ، فأخذ حذره وتحيز بدولة واتبعه طوائف من التتار وصار كثير من أصحاب أربك خان ينفرون إليه ويفدون عليه فيكرمهم ويعطيهم حتى قويت شوكتهم وكثرت جنوده ، ثم حارب بعد ذلك أربك خان فظفر به وقتله واستحوذ على مملكته وملوكه ، وانضاف إليه عدده وعدده ، وعظم أمره وبمد صيته وخضعت له قبائل الترك ببلاد طمعاج كلها حتى صار يركب في نحو ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكثر القبائل قبيلته التي هومنها يقال لهم قيان ، ثم أقرب القبائل إليه بعدهم قبيلتان كبيرتا المدد وهما أزان وقنقوران وكان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر والباقي للحرب والحكم . قال الجويني : وكان يضرب الحلقة يكون ما بين طرفيها ثلاثة أشهر ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شيء كثير لا يحصى كثرة ، ثم نشبت الحرب بينه وبين الملك علاء الدين خوارزم شاه صاحب بلاد خراسان وال عراق وأذربيجان وغير ذلك والأقاليم والملك ، فقهره جنكيزخان وكسره وغلبه وسلمه ، واستحوذ على سائر بلاده بنفسه وبأولاده في أيسر مدة كما ذكرنا ذلك في الحوادث ، وكان ابتداء ملك جنكيزخان سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وكان قتاله لخوارزم شاه في حدود سنة ست عشرة وستائة ، ومات خوارزم شاه في سنة سبع عشرة كما ذكرنا ، فاستحوذ حينئذ على الممالك بلا منازع ولا منافع ، وكانت وفاته في سنة أربع وعشرين وستائة فجمعه في تابوت من حديد وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك وأما كتابه الياسا فانه يكتب في مجلدين بخط غليظ ، ويحمل على بعير عندهم ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يعي ويقع منشياً عليه ، ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقي على لسانه حينئذ ، فان كان هذا هكذا فالظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها . وذكر الجويني أن بعض عبادهم كان يصعد الجبال في البرد الشديد لعبادة فسمع قائلاً يقول له إننا قد ملكنا جنكيزخان وذريته وجه الأرض قال الجويني فشايخ النول يصدون بهذا يأخذونه مسلماً .

ثم ذكر الجويني تنفاً من الياسا من ذلك : أنه من زنا قتل ، محصنا كان أو غير محصن ، وكذلك من لاط قتل ، ومن تعمد الكذب قتل ، ومن سحر قتل ، ومن نجس قتل ، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انتمس فيه قتل ، ومن أطعم أسيراً

أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل ، ومن وجد هارباً ولم يردّه قتل ، ومن أطعم أسيراً أو رعى إلى أحد شيئاً من الماء أو قتل ، بل يسأله من يده إلى يده ، ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً ولو كان المعلوم أميراً لا أسيراً ، ومن أكل ولم يعط من عنده قتل ، ومن ذبح حيواناً ذبح مثله بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً . وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزل على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى اليأس وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين . قال الله تعالى [ألحكم الجاهلية بينون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون] وقال تعالى [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسلياً] صدق الله العظيم

ومن آدابهم : الطاعة للسلطان غاية الاستطاعة ، وأن يعرضوا عليه أبكارهم الحسان ليختار لنفسه ومن شاء من حاشيته ما شاء ممنه ، ومن شأنهم أن يخاطبوا الملك باسمه ، ومن مرقوم يأكلون فله أن يأكل معهم من غير استئذان ولا يتخطى موقد النار ولا طبق الطعام ، ولا يقف على أسكفة الخركلة ولا يفسلون ثيابهم حتى يبدو وسخها ، ولا يكافون العلماء من كل ما ذكر شيئاً من الجنائيات ، ولا يتعرضون لمال ميت ، وقد ذكر علاء الدين الجويني طرفاً كبيراً من أخبار جنكيزخان ومكارم كان يفعلها لسجيته وما أدبهم إليه عقله وإن كان مشركاً بالله كان يعبد معه غيره ، وقد قتل من الخلائق ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، ولكن كان البداءة من خوارزم شاه ، فانه لما أرسل جنكيزخان نجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده فأتوا إلى إيران فقتلهم فأتوها من جهة خوارزم شاه ، وهو والد زوجة كشي خان ، وأخذ جميع ما كان معهم ، فأرسل جنكيزخان إلى خوارزم شاه يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضى منه أو أنه لا يعلم به ، فأنكره وقال له فيما أرسل إليه : من المهود من الملوك أن التجار لا يقتلون لأنهم عمارة الأقاليم ، وهم الذين يحملون إلى الملوك ما فيه التحف والأشياء النفيسة ، ثم إن هؤلاء التجار كانوا على دينك فقتلهم فأتيتك ، فان كان أمراً أدبرت به طلبنا بدمائهم ، وإلا فأنت تسكره وتقتنص من فائيتك . فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرف وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان فجهز لقتاله وأخذ بلاده ، فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع ، فما ذكره الجويني أنه قدمه بعض الفلاحين بالصييد ثلاث بعليجات فلم يتفق أن عند جنكيزخان أحد من الغزنديارية ، فقال لزوجته خاتون أعطيه هذين الترمطين اللذين في أذنك ، وكان فيهما جوهرة تان نفستان جداً ، فشحت المرأة بهما

وقالت : أنظروا إلى غد ، فقال إنه يبيت هذه الليلة مقلقل الخاطر ، وربما لا يجمل له شيء بعد هذا ، وإن هذين لا يمكن أحدهما إذا اشتراها إلا جاء بهما إليك . فانتزعتهما فدفعتهما إلى الفلاح فطار عقله بهما وذهب بهما فباعهما لأحد التجار بألف دينار ، ولم يعرف قيمتهما ، فحملهما التاجر إلى الملك فردهما على زوجته ، ثم أنشد الجويني عند ذلك :

ومن قال إن البحر والقطر أشبهها * نداهُ فقد أثنى على البحر والقطر

قالوا : واجتاز يوماً في سوق فرأى عند بقال عناباً فأعجبه لونه ومالت نفسه إليه فأمر الحاجب أن يشتري منه ببالس ، فاشتري الحاجب ربع بالس ، فلما وضعه بين يديه أعجبه وقال : هذا كله ببالس ؟ قال وبقى منه هذا - وأشار إلى ما بقى معه من المال - فغضب وقال : من يجد من يشتري منه مثلي نعموا له عشرة ببالس . قالوا : وأهدى له رجل جام زجاج من معمول حلب فاستحسنه جنكيزخان فوهن أمره عنده بعض خواصه وقال : خوند هذا زجاج لا قيمة له ، فقال : أليس قد حملته من بلاد بعيدة حتى وصل إلينا سالماً ؟ أعطوه مائتي بالس . قال : وقيل له إن في هذا المكان كنزاً عظيماً إن فتحته أخذت منه ما لا جزى بلا ، فقال الذي في أيدينا يكفيننا ، ودع هذا يفتحه الناس ويأكلونه فهم أحق به منا ، ولم يتعرض له ^(١) قال واشتهر عن رجل في بلاده يقول أنا أعرف موضع كنز ولا أقول إلا لائقان ، وألح عليه الأمراء أن يعلمهم فلم يفعل ، فذكر ذلك للائقان فأحضره على خيل الأولاق - يعني البريد - سريماً فلما حضر إلى بين يديه سأله عن الكنز فقال : إنما كنت أقول ذلك حيلة لأرى وجهك . فلما رأى تمير كلامه غضب وقال له : قد حصل لك ما قلت ، وردد إلى موضعه سالماً ولم يعطه شيئاً . قال : وأهدى له إنسان رمانة فكسرها وفرق حبها على الحاضرين وأمر له بعدد حبها ببالس ثم أنشد :

فلذلك تزدهم الوفود بباسه * مثل ازدحام الحب في الزمان

قال : وقدم عليه رجل كافر يقول رأيت في النوم جنكيزخان يقول قل لابي يقتل المسلمين ، فقال له هذا كذب ، وأمر بقتله ^(٢) . قال وأمر بقتل ثلاثة قد قصت إليسا بقتلهم ، فإذا امرأة تبكي

(١) وجد بهاش التركية ما نصه : « هذا منقول عن ابنه قان الذي قام مقامه ، ولعله هو الصحيح لأن قان هذا المنسوب إلى السكرم الجبلي العظيم والسخاء المفرط ، ويحكى عنه حكايات عظيمة في هذا الشأن . وأما أبوه جنكيزخان فإنه متوسط في الجود بل وفي سائر سجايه وأخلاقه وأفعاله إلا في أمر سفك الدماء قبحه الله تعالى . (٢) فيه تخطيط والصحيح أن أعربا يسا جاء إلى قان وقال له : رأيت في النوم أباك جنكيزخان قال لي : قل لابي قان يقتل المسلمين ، وكان قان يميل إلى المسلمين ، محالفا لأهل بيته ، فسأل الرجل : هل تعرف الامة المغولية ؟ فقال : لا . فقال الملك له : أنت كاذب لأن أبي ما كان يعرف من اللغات ودرس غير المغولية ، فأمر بضرب عنقه وأراح المسلمين من كيده .

وتلطم : فقال : ماهذه ؟ أحضروها ، فقالت : هذا ابني ، وهذا أخى ، وهذا زوجي ، فقال اختارى واحداً منهم حتى أطلقه لك ، فقالت : الزوج يجيئ مثله ، والابن كذلك ، والأخ لا عوض له ، فاستحسن ذلك منها وأطلق الثلاثة لها . قال : وكان يحب المصارعين وأهل الشطارة ، وقد اجتمع عنده منهم جماعة ، فذكر له إنسان بخراسان فأحضره فصرع جميع من عنده ، فأكرمه وأعطاه وأطلق له بقتامن بنات الملوك حسناء . فمكثت عنده مدة لا يتعرض لها ، فاتفق مجيئها إلى الإردوا فجعل السلطان يمازحها ويقول : كيف رأيت المستعرب ؟ فذكرت له أنه لم يقربها ، فتمتع من ذلك وأحضره فسأله عن ذلك فقال : ياخوند أنا إنما حظيت عندك بالشطارة ومتى قربتها نقصت منزلتي عندك ، فقال لأبأس عليك وأحضر ابن عم له وكان مثله ، فأراد أن يصارع الأول فقال السلطان : أنما قرابة ولا يليق هذا بينكما وأمر له بحال جزيل .

قال : ولما أحضر أوصى أولاده بالاتفاق وعدم الافتراق ، وضرب لهم في ذلك الأمثال ، وأحضر بين يديه نشاباً وأخذهما أعطاه لواحد منهم فكسره ، ثم أحضر حزمة ودفعها إليهم مجموعة فلم يعطوها كسرها ، فقال : هذا مثلكم إذا اجتمعتم واتفقتم ، وذلك مثلكم إذا انفردتم واختلقتم ، قال : وكان له عدة أولاد ذكرور وإناث منهم أربعة هم عطاء أولاده أكبرهم يوسى وهريول وباتو وبركة وتركجار ، وكان كل منهم له وظيفة عنده . ثم تكلم الجويني على ملك ذريته إلى زمان هو لا كوخان ، وهو يقول في اسمه يادشاه زاره هو لا كو ، وذكر ما وقع في زمانه من الأوابد والأمر المعروفة المرجحة كما بسطناه في الحوادث والله أعلم .

السلطان الملك المعظم

عيسى بن السادل أبي بكر بن أيوب ، ملك دمشق والشام ، كانت وفاته يوم الجمعة سلخ ذي القعدة من هذه السنة ، وكان استقلاله بملك دمشق لما توفي أبوه سنة خمس عشرة ، وكان شجاعاً باسلاً عالماً فاضلاً ، اشتغل في الفقه على مذهب أبي حنيفة على الحصري مدرس النورية ^(١) ، وفي اللغة والنحو على التاج السكندی ، وكان محفظة مفصل الزخشرى ، وكان يجيز من حفظه ثلاثين ديناراً وكان قد أمر أن يجمع له كتاب في اللغة يشمل صحاح الجوهري والجمهرة لابن دريد التهذيب للزهرى وغير ذلك ، وأمر أن يرتب له مسند الإمام أحمد ، وكان يحب العلماء ويكرمهم ، ويجهد في متابعة الخير ويقول أنا على عقيدة الطحاوى ، وأوصى عند وفاته أن لا يكفن إلا في البياض ، وأن يلحد له ويدفن في الصحراء ولا يبنى عليه ، وكان يقول : واقعة دمياط أدخرها عند الله تعالى وأرجو أن يرحمني بها . يعني أنه أبلى بها بلاء حسناً - رحمه الله تعالى - وقد جمع له بين الشجاعة والبراعة والعلم ومحبة أهله ، وكان يجيئ في كل جمعة إلى تربة والده فيجلس قليلاً ثم إذا ذكر المؤذنون ينطلق إلى تربة عمه صلاح الدين

(١) وهو مؤلف كتاب « السهم المصيب في الرد على الخطيب » فيما ذكره في تاريخ بغداد في

ترجمة الامام أبي حنيفة رحمه الله .

فيصلى فيها الجمعة ، وكان قليل التعاطف ، يركب في بعض الأحيان وحده ثم يلاحقه بعض غلمانة سوقا .
وقال فيه بعض أصحابه وهو محب الدين بن أبي السعد البغدادي .

لئن غودرت تلك المحاسن في الثرى * بوال فإ وجدى عليك ببال
ومذغبت عفى ما ظفرت بصاحب * أخى ثقة إلا ظفرت ببال
وملك بعده دمشق ولده الناصر داود بن المعظم ، وبايعه الأمراء .

أبو المعالي أسعد بن يحيى

ابن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب الفقيه الشافعي البخاري ، شيخ أديب فاضل
خبير ، له نظم ونثر ثلث ، وله نوادر حسنة وجاوز التسعين . قد استوزره صاحب حماة في وقت
وله شعر رائق أو رد منه ابن الساعي قطعة جيدة . فن ذلك قوله :

وهواك ما خطر السلو بباله * ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ففى وشى وإش إليك بشأنه * سائل هواك فذاك من أعداله
أوليس للدغ المعنى شاهدة * من حاله يفتيك عن تساله
جددت ثوب سقامه وهتك بسنه * ر غظامة ، وصرمت حبل وصاله
بالاجائب من أسير دابة * يفتى الطليق بنفسه وبماله
وله أيضاً : لأم العواذل في هواك فأكثروا * هيات ميعاد السلو الحشر
جهلوا مكانك في القلوب وحاولوا * لو أنهم وجدوا كوجدى أقصروا
صبراً على عذب الهوى وعذابه * وأخواهوى أبداً يلامو يعذروا^(١)

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد

ابن أحمد بن حمدان الطائي المعروف بالصائغ ، أحد المعيدين بالنظامية ، ودرس بالتفقيه ، وكان
عارفاً بالمذهب والفرائض والحساب ، صنف شرحاً للتنبيه . ذكره ابن الساعي .

أبو النجم محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي

الفقيه الشافعي ، تفرغ على أبي القاسم بن فضلان ثم أعاد بالنظامية ودرس بغيرها ، وكان يشتغل
كل يوم عشرين درساً ، ليس له دأب إلا الاشتغال وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ، وكان بارعاً كثير العلوم ،
قد أتقن المذهب والخلاف ، وكان يقى في مسألة الطلاق الثلاث بواحدة فتغيط عليه قاضي القضاة
أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغانى ، فلم يسمع منه ، ثم أخرج إلى تكريت فأقام بها ، ثم استدعى
إلى بغداد ، فماد إلى الاشتغال وأعاد قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق إلى إعادته بالنظامية ، وعاد
إلى ما كان عليه من الاشتغال والفتوى والوجاهة إلى أن توفى في هذه السنة رحمه الله تعالى . وهذا

ذكره ابن السامى . ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستمائة

فيها كانت حروب كثيرة بين جلال الدين والتتر ، كسروه غير مرة ، ثم بعد ذلك كله كسرم كسرة عظيمة ، وقتل منهم خلقا وأما لايحصون ، وكان هؤلاء التتر قد انفردوا وعصوا على جنكيزخان فكتب جنكيزخان إلى جلال الدين يقول له : إن هؤلاء ليسوا منا ونحن أبعدناهم ، ولكن سترى مناما لا قبل لك به . وفيها قدمت طائفة كبيرة من الفرنج من ناحية صقلية قتلوا عكا وصور وحلوا على مدينة صيدا فأنزعوها من أيدي المؤمنين ، وعبروها وقويت شوكتهم ، وجاء الانبر وملك الجزيرة القبرصية ثم سار فنزل عكا تخاف المسلمون من شره وبالله المستعان . وركب الملك الكامل محمد بن المعادل صاحب مصر إلى بيت المقدس الشريف فدخله ، ثم سار إلى نابلس تخاف الناصر داود بن المعظم من عمه الكامل ، فكتب إلى عمه الأشرف يقدم عليه جريدة ، وكتب إلى أخيه الكامل يستعطفه ويكفه عن ابن أخيه ، فأجابه الكامل بأنى إنما جئت لحفظ بيت المقدس وصونه عن الفرنج الذين يريدون أخذه ، وحاشى الله أن أحاصر أخى أو ابن أخى ، وبعد أن جئت أنت إلى الشام فأنت تحفظها وأنا راجع إلى الديار المصرية ، نفشى الأشرف وأهل دمشق إن رجع الكامل أن تمتد أطماع الفرنج إلى بيت المقدس ، فركب الأشرف إلى أخيه الكامل فنبطه عن الرجوع ، وأقاما جميعا هناك جزاءهما الله خيرا ، يحوطان جناب القدس عن الفرنج لعنهم الله . واجتمع إلى الملك جماعة من ملوكهم ، كأخيه الأشرف وأخيهما الشهاب غازى بن المعادل وأخيهما الصالح إسماعيل بن المعادل ، وصاحب حمص أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين ، وغيرهم ، واتفقوا كلمهم على نزع الناصر داود عن ملك دمشق وتسليمها إلى الأشرف موسى . وفيها عزل الصدر التكرى عن حسبة دمشق ومشيخة الشيوخ وولى فيها اثنتان غيره .

قال أبو شامة : وفى أوائل رجب توفى الشيخ الصالح الفقيه أبو الحسن على بن المراكشى المقيم بالمدرسة المالكية ، ودفن بالمقبرة التى وقفها الزين خليل بن زوزان قبلى مقابر الصوفية ، وكان أول من دفن بها رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وستمائة

استهلت هذه السنة وملوك بنى أيوب مفترقون مختلفون ، قد صاروا أحزابا وفرقا ، وقد اجتمع ملوكهم إلى الكامل محمد صاحب مصر ، وهو مقيم بنواحى القدس الشريف ، قويت نفوس الفرنج لعنهم الله بكثرتهم من وفد إليهم من البحر ، وبموت المعظم واختلاف من بعده من الملوك ، فطلبوا من المسلمين أن يردوا إليهم ما كان الناصر صلاح الدين أخذ منهم ، فوقعت المصالحة بينهم وبين الملوك أن يردوا لهم بيت المقدس وحده ، وتبقى بأيديهم بقية البلاد ، ففسلوا القدس الشريف ، وكان

المعظم قد هدم أسواره ، فمظلم ذلك على المسلمين جدا وحصل وهن شديد وإرجاف عظيم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم قدم الملك الكامل فحاصر دمشق وضيق على أهلها فقطع الأنهار ونهبت الخواصل وغلت الأسعار ، ولم يزل الجنود حولها حتى أخرج منها ابن أخيه صلاح الدين الملك الناصر داود بن المعظم ، على أن يقيم ملكا بمدينة الكرك والشوبك وبابلس وبراما بين الفخور والبلقاء ويكون الأمير عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم صاحب صرخند ، ثم تقايض الأشرف وأخاه الكامل فأخذ الأشرف دمشق وأعطى أخاه حران والرها والركة ورأس العين وسروج ، ثم سار الكامل فحاصر حماة وكان صاحبها الملك المنصور بن اتقى الدين عمر قد توفى وعهد بالأمر من بعده إلى أكبر ولده المظفر محمد ، وهو زوج بنت الكامل ، فاستحوذ على حماة أخوه صلاح الدين فلقج أرسلان فحاصره الكامل حتى أنزله من قلعتها وسلمها إلى أخيه المظفر محمد ، ثم سار فقسلم البلاد التي قايض بها عن دمشق من أخيه الملك الأشرف كما ذكرنا ، وكان الناس بدمشق قد اشتغلوا بدم الأوائل في أيام الملك الناصر داود ، وكان يمانى ذلك وقديما نسبة بعضهم إلى نوع من الانحلال فالحق أعلم ، فنادى الملك الأشرف بالبلدان أن لا يشتغل الناس بذلك وأن يشتغلوا بعلم التفسير والحديث والفقه ، وكان سيف الدين الأمدى مدرسا بالعز بزية فعزل عنها وبقي ملازما منزله حتى مات في سنة إحدى وثلاثين كما سيأتي .

وفيها كان الناصر داود قد أضاف إلى قاضي القضاة شمس الدين بن الخولي القاضي محيي الدين يحيى بن محمد بن علي بن الزكي ، فحكم أياما بالشباك ، شرق باب الكلاسة ، ثم صار الحكم بداره ، مشاركا لابن الخولي .

وممن توفى فيها من الأعيان الملك المسعود أقسيس بن الكامل

صاحب اليمن ، وقد ملك مكة سنة تسع عشرة فأحسن بها المدة ، ولقي الزيدية منها ، وأمنت الطرقات والحجاج ، ولكنه كان مسرفا على نفسه ، فيه عسف وعظم أيضا . وكانت وفاته بمكة ودفن بباب المعلى ، محمد السبكي النجار

كان يعمد بعضهم من الأبدال ، قال أبو شامة : وهو الذي بنى المسجد غربى دار الزكاة من يسار المار في الشارع من ماله ، ودفن بالجليل . وكانت جنازته مشهودة رحمه الله تعالى

أبو الحسن علي بن سالم

ابن يزبك بن محمد بن مقلد العبادي الشاعر من المدينة ، قدم بغداد مراراً وأمتنع المستظهر وغيره ، وكان فاضلا شاعرا يكثر التنزل

أبو يوسف يعقوب بن صابر الهوراني

ثم البندادى المنجنيق ، كان فاضلاً في فنه ، وشاعراً مطبقاً لطيف الشعر حسن المعاني ، قد أورد له ابن السامى قطعة صالحة ، ومن أحسن ما أورد له قصيدة فيها تمزية عظيمة لجميع الناس وهى :

هل لمن يرتجى البقاء خلودٌ * وسوى الله كل شئ مريب
والذى كان من ترابٍ وإن * عاش طويلاً للتراب يموء
فصير الأنام طراً إلى ما * صار فيه آباؤهم والجدود
أين حواء أين آدم إذفا * تنهم الظلم والنوى والخلود ؟
أين هابيل أين قابيل إذفا * هذا لهذا معاندة وحسود ؟
أين نوح ومن نجامة بالفا * لك والعالون طراً فقيده
أسلمته الأيام كالطفل للمو * تر ولم يفر حره الممدود
أين عاد ؟ بل أين جنة عاد * أم ترى أين صالح وثمود ؟
أين إبراهيم الذى شاذ به * من الله فهو المعظم المقصود
حسدوا يوسفاً أخاهم فكادوا * ومات الحاسد والحسود
وسليمان فى النبوة والملك * قضى مثل ما قضى داود
فندوا به ما أطيع لدا الخدا * ق وهذا له ألين الحديد
وابن عمران بعد آياته القدس * ع وشق الخضم فهو صعيد
والمسيح ابن مريم وهود روح الله * كادت تقضى عليه اليهود
وقضى سيد النبیین والمها * دى إلى الحق أحمد الحمود
وبنوه وآله الطاهرو * ن الزهر صلى عليهم المعبود
ونجوم السماء منتثرات * بعد حين وللهوام ركود
ولنار الدنيا التى توقد الصن * ر خود وللأمم جود
وكذا للثرى غداة يوم الد * اس منها تزلزل وهود
هذه الامهات فاروترب * وهواء رطب وماء برود
سوف يفنى كما فنىنا فلا * يبق من الخلق والد ولید
لا الشقى الغوى من نوب الايا * م ينجو ولا السعيد الرشید
ومنى سلت المنايا سيوفاً * فالوالى حصيدها والعبيد

ومن توفي فيها أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي

الفتية الشافعي ويلقب بشلب ، اشتغل في المذهب والخلاف ومن شعره قوله :

جسمي ممي غير أن الروح عندكم * فالجسم في غربته والروح في وطن
فليعجب الناس مني أن لي بدنًا * لا روح فيه ولي روح بلا بدن

أبو الفضل جبرائيل بن منصور

ابن هبة الله بن جبريل بن الحسن بن غالب بن يحيى بن موسى بن يحيى بن الحسن بن غالب بن
الحسن بن عمرو بن الحسن بن النعمان بن المنذر المروفي بابن زطينا البغدادي كاتب الديوان بها ،
أسلم - وكان نصرانيا - فحسن إسلامه ، وكان من أفصح الناس وأبلغهم موعظة ، ومن ذلك قوله « خير أوقاتك
ساعة صفت لله ، وخلعت من الفكرة لغيره والرجاء لسواه ، وما دمت في خدمة السلطان فلا تغتر
بالزمان ، اكف كفك وامصرف طرفك وأكثر صومك وأقل نومك يؤمنك ، واشكر ربك بحمد أمرك .
وقال: زاد المسافر يقدم على رحيله ، فأعد الزاد تباع بالمعاد المراد وقال : إلى متى تمادي في الغفلة
كانك قد أمنت عواقب المهلة ، عمر الالهومي وعمر الشيبية انقضى ، وما حصلت من ربك على ثقة
بالرضا ، وقد انتهى بك الأمر إلى سن التخاذل وزمن التكاسل ، وما حظيت بطائل . وقال :
روحك تخضع وعينك لا تدمع ، وقلبك يخشع ونفسك تجشع ، وتظلم نفسك وأنت لها تنوجع ، وتظهر
الزهد في الدنيا وفي الحال تطعم ، وتطلب ما ليس لك بحق وما وجب عليك من الحق لا تدفع ، وتزوم
فضل ربك وللمعاون تمنع ، وتعيب نفسك الامارة وهي عن الله لا ترجع ، وتوقف الغافلين بانذارك
وتتناوم عن سهمك وتهجع ، وتخص غيرك بخيرك ونفسك الفقيرة لا تنفع ، وتهوم على الحق وأنت
بالباطل مولع ، وتتمتر في المضايق وطرق النجاة مهيب ، وتهجم على الذنوب وفي المجرمين تشفع
وتظهر القناعة بالقليل والكثير لا تشبع ، وتممر الدار الفانية ودارك الباقية خراب بلقع ، وتستوطن
في منزل رحيل كأنك إلى ربك لا ترجع ، وتظن أنك بلا رقيب وأعمالك إلى المراقب ترفع ، تقدم
على الكبار وعن الصغار تتورع ، وتؤمل الغفران وأنت عن الذنوب لا تقلع ، وترى الأهوال
محيطة بك وأنت في ميدان الله وترفع ، وتستقبح أفعال الجاهل وباب الجهل تفرع ، وقد آن لك أن
تأنف من التعنيف وعن الدنيا ترفع ، وقد سار الحفون وتخلفت فهاذا تتوقع .

وقد أورد ابن الساعي له شعراً حسناً فنه :

إن سهرت عينك في طاعة * فذاك خير لك من نوم

أمسك قد فلت بملات * فاستدرك الفائت في اليوم

إن رباً هداك بعد ضلال * سبل الرشدين مستحق للعبادة

وله

فتمبذ له نَجْدَرُ منه عَنَقًا * واستندم فضله بطول الزهادة
وله : إذا تمففت عن حرام * عوضت بالطيب الحلال
فاقنع تجدد في الحرام حلاً * فضلاً من الله ذي الجلال
ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستائة

فيها كانت وقعة عظيمة بين الأشرف موسى بن العادل وبين جلال الدين بن خوارزم شاه ، وكان سببها أن جلال الدين كان قد أخذ مدينة خلاط في الماضي وغربها وشرده أهلها ، وخاربه علاه الدين كيقباد ملك الروم وأرسل إلى الأشرف يستحثه على القدوم عليه ولو جريدة وحده ، فقدم الأشرف في طائفة كبيرة من عسكر دمشق ، وانضاف إليهم عسكر بلاد الجزيرة ومن تبقى من عسكر خلاط ، فكانوا خمسة آلاف مقاتل ، معهم العدة الكاملة ، والخيول الهائلة ، فالتقوا مع جلال الدين بأذربيجان وهو في عشرين ألف مقاتل ، فلم يقدّم ساعة واحدة ، ولا صبر فقتلهم وانهمزم واتبعوه على الأثر ، ولم يزالوا في طلبهم إلى مدينة خوى وعاد الأشرف إلى مدينة خلاط فوجدها خاوية على عروشها ، فهدمها [وأطعمها] ثم تصالح جلال الدين وعاد إلى مستقر ملكه حرسها الله ^(١) وفيها تسلم الأشرف قلعة ببلبك من الملك الامجد بهرام شاه بعد حصار طويل ، ثم استخلف على دمشق أخاه الصالح إسماعيل ، ثم سار إلى الأشرف بسبب أن جلال الدين الخوارزمي استحوذ على بلاد خلاط وقتل من أهلها خلقاً كثيراً ونهب أموالاً كثيرة ، فالتقى معه الأشرف واقتتلوا قتالاً عظيماً فهزموه الأشرف هزيمة منكرة ، وهلك من الخوارزمية خلق كثير ، ودقت البشار في البلاد فرحاً بنصرة الأشرف على الخوارزمية ، فانهم كانوا لا يفتخون بلداً إلا قتلوا من فيه ونهبوا أموالهم ، فكسروهم الله تعالى . وقد كان الأشرف رأى النبي (ص) في المنام قبل الوقعة وهو يقول له : يا موسى أنت منصور عليهم ولما فرغ من كسرتهم عاد إلى بلاد خلاط فرمى شعبها وأصلح ما كان فسد منها . ولم ينج أحد من أهل الشام في هذه السنة ولا في التي قبلها ، وكذا فيما قبلها أيضاً ، فهذه ثلاث سنين لم يسر من الشام أحد إلى الحج . وفيها أخذت الفرنج جزيرة سوريّة وقتلوا بها خلقاً وأسروا آخرين ، فقدموا بهم إلى الساحل فاستقبلهم المسلمون فأخبروا بما جرى عليهم من الفرنج .

ومن توفى فيها من الأعيان زين الأمانة الشيخ الصالح

أبو البركات ابن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن زين الأمانة بن عساكر دمشق الشافعي ، سمع على عمه الحافظ أبي القاسم والصائغ وغير واحد ، وعمر وتفرد بالرواية وجاوز الثمانين

(١) زيادة من المصرية ، وفي التركية بياض .

بتسعة من ثلاث سنين ، وأقعد في آخر عمره فكان يحمل في محفة إلى الجامع وإلى دار الحديث النورية لاسماع الحديث ، وانتفع به الناس مدة طويلة ، ولما توفى حضر الناس جنازته ودفن عند أخيه الشيخ نضر الدين بن عساكر بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى .

الشيخ بيرم المارديني

كان صالحاً منقطعاً محباً للمزلة عن الناس ، وكان مقبلاً بالزاوية الغربية من الجامع ، وهي التي يقال لها الغربية ، وتعرف بزاوية الدولى وبزاوية القنابل النيسابورى ، وبزاوية الشيخ أبى نصر المقدسى ، قاله الشيخ شهاب الدين أبوشامة ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستائة

استهلت هذه السنة والملك الأشرف موسى بن العادل مقيم بالجزيرة مشغول فيها بإصلاح ما كان جلال الدين الخوارزمي قد أفسده من بلاده ، وقد قدمت النصارى هذه السنة إلى الجزيرة وديار بكر فماتوا بالفساد يمينا وشمالا ، قتلوا ونهبوا وسبوا على عادتهم خذلهم الله تعالى . وفيها رتب لإمام بمشهد أبى بكر من جامع دمشق وصليت فيه الصلوات الخمس . وفيها درس الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزورى الشافعى فى المدرسة الجوانية فى جانب المارستان فى جمادى الأولى منها . وفيها درس الناصر ابن الحنبلى بالصالحية بسفح قاسيون التى أنشأها الخاتون ربيعة خاتون بنت أيوب أخت ست الشام .

وفيها حبس الملك الأشرف الشيخ على الحريرى بقلعة عرنا . وفيها كان غلاء شديد بديار مصر وبلاد الشام وحلب والجزيرة بسبب قلة المياه السماوية والأرضية ، فكانت هذه السنة كما قال الله تعالى [ولنبليكنم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات] وبشر الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون [وذكر ابن الأثير كلاماً طويلاً مضمونه خروج طائفة من النصارى مرة أخرى من بلاد ما وراء النهر ، وكان سبب قدومهم هذه السنة أن الاسماعيليين كتبوا إليهم يخبرونهم بضعف أمر جلال الدين بن خوارزم شاه . وأنه قد عادى جميع الملوك حوله حتى الخليفة ، وأنه قد كسر الأشرف بن العادل مرتين ، وكان جلال الدين قد ظهرت منه أفعال ناقصة تدل على قلة عقله ، وذلك أنه توفى له غلام خصى يقال له قليج ، وكان يحبه ، فوجد عليه وجدا عظيماً بحيث إنه أمر الأمراء أن يشوا بجنازته فمشوا فراسخ ، وأمر أهل البلد أن يخرجوا بحزن وتعداد عليه فتوافى بعضهم فى ذلك فهم يقتلهم حتى تشفع فيهم بعض الأمراء ثم لم يسمح بدفن قليج فكان يحمل معه بمحفة ، وكلما أحضر بين يديه طعام يقول أحملوا هذا إلى قليج

فقال له بعضهم : أيها الملك إن قلعج قد مات ، فأمر بقتله قتل ، فكانوا بعد ذلك يقولون : قبله وهو يقبل الأرض ، ويقول هو الآن أصلح مما كان - يعنى أنه مريض وليس بميت - فيجد الملك بذلك راحة من قلة عقله ودينه قبجه الله . فلما جاءت النصارى اشتغل بهم وأمر بدفن قلعج وهرب من بين أيديهم وامتلاً قلبه خوفاً منهم ، وكان كلما سار من قطر لحقوه إليه وخرّوا ما يجتازوا به من الأقاليم والبلدان حتى انتهوا إلى الجزيرة وجاوزوها إلى سنجار وما ردين وأمد ، يفسدون ما قدروا عليه قتلاً ونهباً وأمرأ ، وتمزق شمل جلال الدين وتفرق عنه جيشه ، فصاروا شذو مذر ، وبدلوا بالأمن خوفاً ، وبالزلا ، وبالاتباع تفرقاً ، فسبحان من بيده الملك لا إله إلا هو . واتقطع خبر جلال الدين فلا يدرى أين سلك ، ولا أين ذهب ، وتمكنت التتار من الناس في سائر البلاد لا يجردون من بينهم ولا من يردعهم ، وألقى الله تعالى الوهن والضمف في قلوب الناس منهم ، كانوا كثيراً يقتلون الناس فيقول المسلم : لا بالله ، لا بالله ، فكانوا يلعبون على الخليل ويننون ويحساكون الناس لا بالله لا بالله ، وهذه طامة عظي وداهية كبرى ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وحج الناس في هذه السنة من الشام وكان من حج فيها الشيخ تقي الدين أبو عمر بن الصلاح ، ثم لم يحج الناس بعد هذه السنة أيضاً لكثرة الحروب والخوف من التتار والغرنج ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها تكامل بناء المدرسة التي بسوق المعجم ببغداد المنسوبة إلى إقبال الشراي ، وحضر الدرس بها ، وكان يوماً مشهوداً ، اجتمع فيه جميع المدرسين والمفتين ببغداد ، وعمل بصحنها قباب الحلوى فحمل منها إلى جميع المدارس والربط ، ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة في كل يوم ، والحلوى في أوقات المواسم ، والقوا كه في زمانها ، وخلع على المدرس والمعيدين والفقهاء في ذلك اليوم ، وكان وقتنا حسناً تقبل الله تعالى منه . وفيها سار الأشرف أبو العباس أحمد بن القاضى الفاضل في الرسلية عن الكامل محمد صاحب مصر إلى الخليفة المستنصر بالله ، فأكرم وأعيد معظاً . وفيها دخل الملك المظفر أبو سعيد كوكبرى بن زين الدين صاحب إربل إلى بغداد ولم يكن دخلها قط ، فنلقاه الموكب وشافه الخليفة بالسلام مرتين في وقتين ، وكان ذلك شرقاً له غبطة به سائر ملوك الآفاق وسألوا أن يهاجروا ليحصل لهم مثل ذلك ، فلم يمكنوا لفظ الثغور ، ورجع إلى مملكته معظاً مكرماً . ومن توفى فيها من الأعيان يحيى بن معطي بن عبد النور

النحوى صاحب الألفية وغيرها من المصنفات النحوية المفيدة ، ويلقب زين الدين ، أخذ عن الكندي وغيره ، ثم سافر إلى مصر فكانت وفاته بالقاهرة في مستهل ذي الحجة من هذه السنة ، وشهد جنازته الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، وكان قد رحل إلى مصر في هذه السنة ، وحكى أن الملك الكامل شهد جنازته أيضاً ، وأنه دفن قريباً من قبر المزنى بالقرافة في طابق الشافعى عن يسرة المار رحمة الله .

الدخوار الطيب

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي بن حامد ، المعروف بالدخوار شيخ الأطباء بدمشق ، وقد وقف داره بدرب العميد بالقرب من الصاغة العتيقة على الأطباء بدمشق مدرسة لهم ، وكانت وفاته بصغر من هذه السنة ، ودفن بسفح قاسيون ، وعلى قبره قبة على أعمدة في أصل الجبل شرق الركتية ، وقد ابتلى بستة أمراض متعاقبة ، منها ريح الاقوة ، وكان مولده سنة خمس وسنين وخمسمائة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة . قال ابن الأثير : وفيها توفي .

القاضي أبو غانم بن العديم

الشيخ الصالح ، وكان من المجتهدين في العبادة والرياضة ، من العاملين بعلومهم ، ولوقال قائل إنه لم يكن في زمانه أعبد منه لكان صادقاً ، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه ، فانه من جماعة شيوخنا ، سمعنا عليه الحديث وانتفعنا برؤيته وكلامه ، قال : . وفيها أيضاً في الثاني عشر من ربيع الأول توفي صديقنا .

أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي الحلبي

وهو وأهل بيته مقدموا السنة بحلب ، وكان رجلاً ذا سرورة غزيرة ، وخلق حسن ، وحلم وافر ورئاسة كثيرة ، يحب إطعام الطعام ، وأحب الناس إليه من أكل من طعامه ويقبل يده ، وكان يلقي أضيافه بوجه منبسط ، ولا يبعد عن إيصال راحة وقضاء حاجة ، فرحه الله تعالى رحمة واسعة . قلت وهذا آخر ما وجد من الكامل في التاريخ للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن الأثير رحمه الله تعالى .

أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم

ابن أبي السماعات بن كريم الموصل ، أحد الفقهاء الحنفيين ، شرح قطعة كبيرة من القدوري ، وكتب الانشاء لصاحبها بدر الدين لؤلؤ ، ثم استقال من ذلك ، وكان فاضلاً شاعراً ، من شعره :

دعوة كما شاء الغرام يكون * فلست وإن خان اليهود أخون
وليتوا له في قولكم ما استطعتم * عسى قلبه القاسى على يلين
وبشوا صباباتي إليه وكرروا * حديثي عليه فالحديث شجون
بنفسى الأذى بأنواع العين حصاة * وجههم في القلب ليس بين
وسلوا على العشاق يوم نحمارا * سيوفاً لها وطف الجفون جفون

المجد البهنسي

وزر الملك الأشرف ثم عزله وصاحبه ، ولما توفي دفن بترابته التي أنشأها بسفح قاسيون وجعل كتبه بها وقفاً ، وأجرى عليها أوقافاً جيدة دارة رحمه الله تعالى .

جمال الدولة

خاميل بن زوزان رئيس قصر حجاج ، نك كيسا ذا مروءة ، له صدقات كثيرة ، وله زيارة في مقابر الصوفية من ناحية القيلة ، ودفن بترابته عند مسجد قلوس رحمه الله تعالى
الملك الأجد

واقف المدرسة الأجدية . وفيها كانت وفاة .

بهرام شاه بن فروخشاه بن شاهنشاه

ابن أيوب صاحب بعلبك ، لم يزل بها حتى قدم الأشرف موسى بن العادل إلى دمشق فلما في سنة ست وعشرين ، فانتزع من يده بعلبك في سنة سبع وعشرين ، وأسكنه عنده بدمشق بدار أبيه ، فلما كان شهر شوال من هذه السنة عدا عليه مملوك من مماليكه تركي فقتله ليلا ، وكان قد اتهمه في صاحبة له وجبسه ، فغلب عليه في بعض الأيالي فقتله وقتل المملوك بعده ، ودفن الأجد في تربته التي إلى جانب تربة أبيه في الشرق الشامي رحمه الله تعالى ، وقد كان شاعرا فاضلا له ديوان شعر ، وقد أورد له ابن الساعي قطعة جيدة من شعره الرائع الغائق ، وترجمته في طبقات الشافعية ، ولم يذكره أبو شامة في الذيل ، وهذا عجيب منه ، وما أورد له ابن الساعي في شاب رآه يقطع قضبان بان فأنشأ على البديهة :

من لي بأهيف قال حين عتبته * في قطع كل قضيب بان رائق
نحكي شمائله الرشاء إذا انثنى * ريان بين جداول وحداائق
سرق غصون البان لين شمالي * فقطعتها والقطع حد السارق
ومن شعره أيضا رحمه الله تعالى .

يؤرقني حنين وادكار * وقد خلت المراجع والديار
تنامى الظاعنون ولي فؤاد * يسير مع الهواج حيث ساروا
حنين مثلما شاء التثاني * وشوق كلما بعد المزار
وليل بعد يذنبهم طويل * فأين مضت ليالي الفصار ؟
وقد حكم السهاد على جنوني * تساوى الليل عندى والنهار
سهادى بعد فأنهم كثير * ونوى بعد ما رحلوا غرار
فن ذا يستعير لنا عيونا * تنام وهل ترى عيناً تدار
فلا ليلى له صبح منير * ولا وجدى يقال له عشار
وكم من قائل والحى غادر * يحجب ظلمته النفع المثار

وقوفك في الديار وأنت حي * وقد رحل الخياط عليك عار

وله دوبيت :

كم يذهب هذا العمر في الخسران * ما أغفلني فيه وما أنساني

ضيعة زماني كله في لعب * يا عمر هل بعدك عمر ثلثي

وقد رآه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل الله تعالى بك ؟ فقال :

كنت من ديني على وجل * زال عني ذلك الوجل

أمنت نفسي بوائقها * عشت لامت لما رحل

رحمه الله وعفاه عنه . جلال الدين تكش

وقيل محمود بن علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش الخوارزمي ، ومم من سلالة طاهر بن الحسين ، وتكش جدم هو الذي أزال دولة السلجوقية . كانت التتار قهروا أباه حتى شردوه في البلاد فأت في بعض جزائر البحر ، ثم ساقوا وراء جلال الدين هذا حتى مزقوا عساكره شذر مندر وتفرقوا عنه أيدي سبا ، وانفرد هو وحده فأتته فلاح من قرية بأرض ميا طارقين فأنكره لما عليه من الجواهر الذهب ، وعلى فرسه ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ملك الخوارزمية . وكانوا قد قتلوا للفلاح أخا . فأنزله وأظهر إكرامه ، فلما قام قتله بفأس كانت عنده ، وأخذ ما عليه ، فبلغ الخبر إلى شهاب الدين غازي ابن المعادل صاحب ميا طارقين فاستدعى بالفلاح فأخذ ما كان عليه من الجواهر ، وأخذ الفرس أيضاً ، وكان الأشرف يقول هو سد ما بيننا وبين التتار ، كما أن السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج . ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة

فيها عزل القاضيان بدمشق : فمس الخوى وشمس الدين بن سني الدولة ، وولى قضاء القضاة حماد الدين ابن الطرستاني ، ثم عزل في سنة إحدى وثلاثين وأعيد فمس الدين بن سني الدولة كما سيأتي . وفيها سابع عشر شوالها عزل الخليفة المستنصر وزيره مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمي ، وقبض عليه وعلى أخيه حسن وابنه نضر الدين أحمد بن محمد القمي وأصحابهم وحبسوا ، واستوزر الخليفة مكانه أستاذ الدار فمس الدين أبا الأظهر ، أحمد بن محمد بن الناقذ ، وخلع عليه خلعاً سنية وفرح الناس بذلك . وفيه أقبلت طائفة من التتار فوصلوا إلى شبرور فندب الخليفة صاحب إربل مظفر الدين كوكبري بن زين الدين ، وأضاف إليه عساكر من عنده ، فساروا نحوهم فهربت منهم التتار وأقاموا في مقابلاتهم مدة شهر ، ثم تعرض مظفر الدين وعاد إلى بلده إربل ، وتراجعت التتار إلى بلادها .

ومن توفي فيها من الأعيان الحافظ محمد بن عبد الغني

ابن أبي بكر البغدادي ، أبو بكر بن نقطة الحافظ المحدث الفاضل ، صاحب الكتاب النافع المسمى بالتقييد في تراجم رواة الكتب والمشاهير من الحديثين ، وكان أبوه فقيها فقيرا منقطعاً في بعض مساجد بغداد ، يؤثر أصحابه بما يحصل له ، ونشأ ولده هذا معني بعلم الحديث وسماحه والرحلة فيه إلى الآفاق شرقاً وغرباً ، حتى برز فيه على الأقران ، وفاق أهل ذلك الزمان ، ولد سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، وتوفي يوم الجمعة الثاني والعشرين من صفر من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

الجمال عبد الله بن الحافظ عبد الغني المقدسي

كان فاضلاً كريماً حياً ، مع الكثير ، ثم خالط الملوك وأبناء الدنيا ، فتغيرت أحواله ومات ببستان ابن شكر عند الصالح إسماعيل بن العادل ، وهو الذي كفنه ودفن بسفح قاسيون

أبو علي الحسين بن أبي بكر الميارك

ابن أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مسلم الزبيدي ثم البغدادي ، كان شيخاً صالحاً حنفياً فاضلاً ذافنون كثيرة ، ومن ذلك علم الفرائض والعروض ، وله فيه أرجوزة حسنة ، انتخب منها ابن الساعي من كل بحر بيتين ، وسرد ذلك في تاريخه .

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل

ابن علي بن موسى السلماسي ، فقيه أديب شاعر ، له تصانيف ، وقد شرح المقامات والجل في النحو ، وله خطب وأشعار حسنة رحمه الله تعالى .

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب

ابن عبد الله الأنصاري نحر الدين ابن الشيرجي الدمشقي ، أحد المعدلين بها ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وكان يلي ديوان الخاتون ست الشام بنت أيوب ، وفوضت إليه أمر أوقافها . قال السبط : وكان ثقة أميناً كيساً متواضعاً . قال وقد وزر ولده شرف الدين للناصر داود مدة يسيرة ، وكانت وفاة نحر الدين في يوم عيد الاضحى ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى وعفا عنه .

حسام بن غزي

ابن يونس عماد الدين أبو المناقب المحلى المصري ، ثم الدمشقي ، كان شيخاً صالحاً فاضلاً فقيها شافعيًا حسن المحاضرة وله أشعار حسنة . قال أبو شامة : وله في معجم التوضي ترجمة حسنة ، وذكر أنه توفي عاشر ربيع الآخر ودفن بمقابر الصوفية . قال السبط : وكان مقبلاً بالمدسة الامينية ، وكان لا يأكل لأحد شيئاً ولا لسلطان ، بل إذا حضر طعاماً كان معه في كفه شيء يأكله ، وكان لا يزال معه ألف دينار على وسطه ، وحكى عنه قال : خلع على الملك العادل ليلة طليساناً فلما خرجت مشى بين يدي تعاط

بحسبني القاضي ، فلما وصلت باب البريد عند دار سيف خلعت الطيلسان وجعلته في كمي وتباطأت في المشي ، فالتفت فلم يرواها أحدا ، فقال لي : أين القاضي ؟ فأشرت إلى ناحية النورية وقلت : ذهب إلى داره ، فلما أسرع إلى ناحية النورية هرولت إلى المدرسة الأميفية واسترحت منه . قال ابن السامى كان مولده سنة ستين وخمسة ، وخاف أموالا كثيرة ورثها عصبته ، قال : وكانت له معرفة حسنة بالأخبار والتواريخ ، وأيام الناس ، مع دين وصلاح وورع ، وأورد له ابن السامى قطعاً من شعره فن ذلك قوله :

قيل لي من هويت قد عبت الش * مر في خدي . قلت ما ذاك عار
حرة انظر أحرفت عنبر الخا * ل فن ذاك الدخان عذارة
وله شوق إليكم دون أشواقكم * لكن لا بد أن يشرح
لأنى عن قلبكم غائب * وأنتم في القلب لن تبرحوا
أبو عبد الله محمد بن علي

ابن محمد بن الجارود الماراني ، الفقيه الشافعي ، أحد الفضلاء ، ولي القضاء بابل وكان ظريفاً خليماً ، وكان من محاسن الأيام ، وله أشعار رائعة ومعان فائقة منها قوله :

مشيت أنى وشباب رحل * أحل العنابة حيث حل
وذنبك جم ، ألا فارجمي * وعودى فقد حان وقت الأجل
وديني الآلة ولا تقصرى * ولا يخذ عنك طول الأمل

أبو الشفاء محمود بن والي

ابن علي بن يحيى الطائي الرقي نزيل إربل ، وولى النظر بها للملك مظفر الدين ، وكان شيخاً أديباً فاضلاً ، ومن شعره قوله :

وأهيف ما أخطئ إلا قوامه * وما الغصن إلا ما يثنيه لينه
وما الدعص إلا ما تحمل خصره * وما النبل إلا ما تريح جفونه
وما الحمر إلا ما يروق ثفره * وما السحر إلا ما تكن عيونه
وما الحسن إلا كله فن الذي * إذا ما رآه لا يزيد جنونه

ابن معطي النحوي يحيى

ترجمه أبو شامة في السنة الماضية ، وهو أضيف لأنه شهد جنازته بمصر ، وأما ابن السامى فانه ذكره في هذه السنة ، وقال إنه كان حظياً عند الكامل محمد صاحب مصر ، وإنه كان قد نظم أرجوزة في القراءات السبع ، ونظم ألفاظ الجهرة ، وكان قد عزم على نظم صحاح الجوهري .

ثم دخلت سنة ثلاثين وستمائة

فيها باشر خطابة بغداد ونقابة العباسيين العدل مجد الدين أبو القاسم هبة الله بن المنصوري ، وخلق عليه خلمة سنية ، وكان فاضلاً قد صحب الفقراء والصوفية وتزهّد برهة من الزمان ، فلما دعى إلى هذا الأمر أجاب سرّياً وأقبلت عليه الدنيا بزهرها ، وخدمه الغلمان الأتراك ، ولبس لباس المترفين وقد عاتبه بعض تلامذته بقصيدة طويلة ، وعنفه على ما صار إليه ، وسردها ابن الساعي بطولها في تاريخه . وفيها سار القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبي الفرج في الرسالة من الخليفة إلى الكامل صاحب مصر ، ومعه كتاب هائل فيه تقليده الملك ، وفيه أوامر كثيرة مليحة من إنشاء الوزير نصر الدين أحمد بن الناقص ، سرده ابن الساعي أيضاً بكلامه . وقد كان الكامل غنياً بظاهر آمد من أعمال الجزيرة ، قد افتتحها بعد حصار طويل وهو مسرور بما نال من ملكها . وفيها فتحت دار الضيافة ببغداد لجميع حين قدموا من حجهم ، وأجريت عليهم النفقات والكساوى والصلوات وفيها سارت العساكر المستنصرية بحجة الأمير سيف الدين أبي الفضائل إقبال الخالص المستنصري إلى مدينة إربل وأعمالها ، وذلك أرض مالكة مغافر الدين كوكبرى بن زين الدين ، وأنه ليس له من بعده من يملك البلاد ، فحين وصلها الجيش منه أهل البلد فحاصروه حتى افتتحوه عنوة في السابع عشر من شوال في هذه السنة ، وجاءت البشائر بذلك فضربت الطبول ببغداد بسبب ذلك ، وفرح أهلها ، وكتب التقليد عليها لإقبال المذكور ، فرتب فيها المناصب وسار فيها سيرة جيدة ، وامتدح الشعراء هذا الفتح من حيث هو ، وكذلك مدحوا فأنجحها إقبال ، ومن أحسن ما قال بعضهم في ذلك

يا يوم سابعٍ عشر شوالٍ الذي * رزق السعادةً أولاً وأخيراً

هنيئاً فيه بفتح إربل مثلاً * هنيئاً فيه وقد جلست وزراء

يعنى أن الوزير نصير الدين بن الملقمى ، قد كان وزر في مثل هذا اليوم من العام الماضي ، وفي مستهل رمضان من هذه السنة شرع في عمارة دار الحديث الأشرفية بدمشق ، وكانت قبل ذلك داراً للأمير قايمار وبها حمام فهدمت وبُنيت عوضاً . وقد ذكر السبط في هذه السنة أن في ليلة النصف من شعبان فتحت دار الحديث الأشرفية المجاورة لقلمة دمشق ، وأمل بها الشيخ تقي الدين بن الصلاح الحديث ، ووقف عليها الأشرف الأوقاف ، وجعل بها نعل النبي (ص) . قال وسمع الأشرف صحيح البخاري في هذه السنة على الزبيدي ، قلت : وكذا جمعوا عليه بالدار بالصالحية . قال : وفيها فتح الكامل آمد وحسن كيما ووجد عند صاحبها خمسمائة حرة للفراش فعذبها الأشرف عذاباً ألياً . وفيها قصد صاحب ماردين وجيش بلاد الروم الجزيرة فقتلوا وسبوا وفعلوا ما لم يفعله التتار بالمسلمين . وعن توفى فيها من الأعيان في هذه السنة من المشاهير .

أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي

كان شيخا لطيفا ظريفا ، جمع الكثير وعمل صناعة الوعظ مدة ، ثم ترك ذلك ، وكان يحفظ شيئا كثيرا من الأخبار والنوادر والأشعار ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وكانت وفاته في هذه السنة وله تسع وسبعون سنة . وقد ذكر السبط وفاة .

الوزير صفى الدين بن شكر

في هذه السنة ، وأثنى عليه وعلى محبته لعم وأهله ، وأن له مصنفات سماه البصائر ، وأنه نفضب عليه العادل ثم رضاه الكامل وأعادته إلى وزارته وحرمته ، ودفن بمدرسته المشهورة بمصر ، وذكر أن أصله من قرية يقال لها دميرة بمصر . الملك ناصر الدين محمود

ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان شاه بن قطب الدين مودود بن عماد الدين بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل ، كان مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد أقامه بدر الدين لؤلؤ صورة حتى تمكن أمره وقويت شوكته ، ثم حجر عليه فكان لا يصل إلى أحد من الجوارى ولا شيء من السراري ، حتى لا يعقب ، وضيق عليه في الطعام والشراب ، فلما توفي جده لأنه مظفر الدين كوكبري صاحب إربل منعه حينئذ من الطعام والشراب ثلاث عشرة يوما حتى مات كذا وجوعا وعطشا رحمه الله ، وكان من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من بيت الأتابكي .

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم

أحد مشايخ الحنفية ، وله مصنفات في الفرائض وغيرها ، وهو ابن خلة القاضي شمس الدين ابن الشيرازي الشافعي ، وكلاهما كان ينوب عن ابن الزكي وابن الحرساني ، وكان يدرس بالطرخانية . وفيها سكنه ، فلما أرسل إليه المظفر أن يفتي بإباحة نبيذ التمر وماء الزمان امتنع من ذلك وقال أنا على مذهب محمد بن الحسن في ذلك ، والرأية من أبي حنيفة شاذة ، ولا يصح حديث ابن مسعود في ذلك ، ولا الأثر عن عمر أيضا . فنضب عليه المظفر وعزله عن التدريس وولاه لتلميذه الزين ابن العتال ، وأقام الشيخ بمنزله حتى مات .

قال أبو شامة : ومات في هذه السنة جماعة من السلاطين منهم المغيث بن المغيث بن العادل ، والعزير عثمان بن العادل ، ومظفر الدين صاحب إربل . قلت أما صاحب إربل فهو :

الملك المظفر أبو سعيد كوكبري

ابن زين الدين علي بن تبهكتكين أحد الأجواد والسادات الكبراء والملوك الاجهاد ، له آثار حسنة وقد همر الجامع المظفرى بسفح قاسيون ، وكان قدم بسياسة الماء إليه من ماء بذرة ففهمه المظفر من ذلك ، واعتل بأنه قد يمر على مقابر المسلمين بالسفوح ، وكان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول

ويحتفل به احتفالا هائلا، وكان مع ذلك شهما شجاعا فاتكا بطلا عاقلا عادلا رحمه الله وأكرم مثواه. وقد صنف الشيخ أبو الخطاب ابن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه التنوير في مولد البشير النذير، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالعت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية، وقد كان محاصر عكا وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة، قال السبط: حكى بعض من حضر سباط المظفر في بعض الموالد كان يمد في ذلك السباط خمسة آلاف رأس مشوى، وعشرة آلاف دجاجة، ومائة ألف زبدية، وثلاثين ألف صحن حلوى، قال: وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم ويعمل للصوفية سماعا من الظفر إلى الفجر، ويرقص بنفسه معهم، وكانت له دار ضيافة لوافدين من أى جهة على أى صفة، وكانت صدقاته في جميع القرب والطاعات على الحرمين وغيرهما، ويتفك من الفرج في كل سنة خلقا من الأسارى، حتى قيل إن جملة من استفكه من أيديهم ستون ألف أسير، قالت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب - وكان قد زوجه إياها أخوها صلاح الدين، لما كان معه على عكا - قالت: كان قبضه لا يساوى خمسة دراهم فعاتبته بذلك فقال: لبسى ثوبا بخمسة وأتصدق بالبق خير من أن ألبس ثوبا مثمنا وأدع الفقير المسكين، وكان يصرف على المولى في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار، وعلى دار الضيافة في كل سنة مائة ألف دينار. وعلى الحرمين والمياه بدرب الحجاز ثلاثين ألف دينار سوى صدقات السر، رحمه الله تعالى، وكانت وفاته بقلعة إربل، وأوصى أن يحمل إلى مكة فلم يتفق فدفن بمشهد على.

والمملك العزيز بن عثمان بن العادل

وهو شقيق المعظم، كان صاحب بانياس وتلك الحصون التي هنالك، وهو الذى بنى المعظمة، وكان عاقلا قليل الكلام مطيعا لأخيه المعظم، ودفن عنده. وكانت وفاته يوم الاثنين عاشر رمضان ببستانه الناعمة من لها رحمه الله وعفا عنه.

أبو المحاسن محمد بن نصر الدين بن نصر

ابن الحسين بن على بن محمد بن غالب الأنصارى، المعروف بابن عنين الشاعر. قال ابن الساعى أصله من الكوفة وولد بدمشق ونشأ بها، وسافر عنها سنين، فجاب الأقطار والبلاد شرقا وغربا ودخل الجزيرة وبلاد الروم والعراق وخراسان وما وراء النهر والهند واليمن والحجاز وبغداد، ومدح أكثر أهل هذه البلاد، وحمل أموالا جزيلة، وكان ظريفا شاعرا مطيقا مشهورا، حسن الاخلاق جميل المعاشرة، وقد رجع إلى بلده دمشق فكان بها حتى مات هذه السنة في قول ابن الساعى، وأما السبط وغيره فأرخوا وفاته في سنة ثلاث وثلاثين، وقد قيل إنه مات في سنة إحدى وثلاثين والله أعلم. والمشهور أن أصله من حوران مدينة زرع، وكانت إقامته بدمشق في الجزيرة قبل الجامع،

وكان هجاء له قدرة على ذلك ، وصنف كتاباً سماه مقرض الأعراض ، مشتمل على نحو من خمسمائة بيت ، قل من سلم من الدماشقة من شره ، ولا الملك صلاح الدين ولا أخوه العادل ، وقد كان يُزَنّ بترك الصلاة المكتوبة فأنه أعلم . وقد نفاه الملك الناصر صلاح الدين إلى الهند فامتدح ملوكها وحصل أوالاً جزيلة ، وصار إلى الين فيقال إنه وزر لبعض ملوكها ، ثم عاد في أيام العادل إلى دمشق ولما ملك المعظم استوزره فأساء السيرة واستقال هو من تلقاء نفسه فعزله ، وكان قد كتب إلى الدماشقة من بلاد الهند :

فعلام أبعدتم أخا ثقتكم * لم يقترف ذنباً ولا سرقاً
انفوا المؤذن من بلادكم * إن كان ينبغي كل من صدقاً
ومما هجابه الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى :

سلطاننا أخرج وكتبه * ذو عمش ووزيره أهدب
والدولى الخطيب معتكف * وهو على قشر بيضة ريثب
ولا ينر باقا وعظ يشبهه الذ * من وعبد اللطيف محتسب
وصاحب الامر خلقه شرس * وعارض الجيش داؤه عجب
وقال في السلطان الملك العادل سيف الدين رحمه الله تعالى وعنا عنه .

إن سلطاننا الذى نرجمه * واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولسكن * قاطع للرسم والأرزاق

وقد حضر مرة مجلس الفخر الرازى بخراسان وهو على المنبر يعظ الناس ، فجاءت حامية خلفها جراح فألقت نفسها على الفخر الرازى كالمستجيبة به ، فأنشأ ابن عنين يقول :

جاءت سليمان الزمان حامة * والموت يلعب من جناحي خاطب
قرم لواء الجوع حتى ظله * بازائه بقلب واجف
من أعلم الورقاء أن محكم * حرم وأنتك ملجأ للخائف
الشيخ شهاب الدين السهروردي

صاحب عوارف المعارف ، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن حويه ، واسمه عبد الله البكرى البغدادي ، شهاب الدين أبو حفص السهروردي ، شيخ الصوفية ببغداد ، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين ، وتردد في الرسلية بين الخلفاء والملوك مرارا ، وحصلت له أموال جزيلة ففرقها بين الفقراء والمحتاجين ، وقد حج مرة وفي صحبته خلق من الفقراء لا يملهم إلا الله عز وجل ، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وكان يعظ الناس

وعليه ثياب البذلة ، قال مرة في ميغاده هذا البيت وكرره :
 ما في الصحاب أخو وجد تطارحه * إلا محب له في الركب محبوب
 فقام شاب وكان في المجلس فأنشده :

كانما يوسف في كل راحلة * وله وفي كل بيت منه يمتوب
 فصاح الشيخ ونزل عن المنبر وقصد الشاب ليعتذر إليه فلم يجد له ووجد مكانه حفرة فبهام
 كثير من كثرة ما كان يفحص برجله عند إنشاد الشيخ البيت . وذكر له ابن خلكان أشياء كثيرة
 من أناشيده وأثنى عليه خيرا ، وأنه توفي في هذه السنة وله ثلاث وتسعون سنة رحمه الله تعالى .
 ابن الأثير مصنف أسد الغابة والكامل

هو الامام العلامة عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري
 الموصل المعروف بابن الأثير مصنف كتاب أسد الغابة في أسماء الصحابة ، وكتاب الكامل في التاريخ
 وهو من أحسنها حوادث ، ابتداء من المبتدأ إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وقد كان يتردد إلى
 بغداد خصيصاً عند ملوك الموصل ، ووزر لبعضهم كما تقدم بيانه ، وأقام بها في آخر عمره موقراً معظماً
 إلى أن توفي بها في شعبان في هذه السنة ، عن خمس وسبعين سنة رحمه الله . وأما أخوه أبو السماعات
 المبارك فهو مصنف كتاب جامع الأصول وغيره ، وأخوهما الوزير ضياء الدين أبو الفتح نصر الله
 كان وزيراً للملك الأفضل علي بن الناصر فاتح بيت المقدس ، صاحب دمشق كما تقدم ، وجزيرة ابن
 عمر ، قيل إنها منسوبة إلى رجل يقال له عبد العزيز بن عمر ، من أهل برقيع ، وقيل بل هي منسوبة
 إلى ابني عمر ، وهما أوس وكامل ابنا عمر بن أوس .

ابن المستوفي الأربلي

مبارك بن أحمد بن مبارك ابن موهوب بن غنيم بن غالب العلامة شرف الدين أبو البركات
 الأحمسي الأربلي ، كان إماماً في علوم كثيرة كالحدِيث وأسماء الرجال والأدب والحساب ، وله مصنفات
 كثيرة وفصائل غزيرة ، وقد بسط ترجمته القاضي شمس الدين بن خلكان في الوفيات ، فأجاد وأفاد
 رحمه الله . ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستمائة

فيها كل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد ولم يكن مدرسة قبلها مثلها ، ووقفت على المذاهب
 الأربعة من كل طائفة اثنان وستون فقيهاً ، وأربعة معيدين ، ومدرس لكل مذهب ، وشيخ حديث
 وقارئان وعشرة مستمعين ، وشيخ طب ، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ، ومكتب للأيتام
 وقدر لجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة ما فيه كفاية وافر لكل واحد . ولما كان يوم الخميس
 خامس رجب حضرت الدروس بها وحضر الخليفة المستنصر بالله بنفسه الكريمة وأهل دولته من

الأمراء والوزراء والقضاة والفقهاء والصوفية والشعراء ، ولم يتخلف أحد من هؤلاء ، وعمل سباط عظيم بها أكل منه الحاضرون ، وحمل منه إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام ، وخلع على جميع المدرسين بها والحاضرين فيها ، وعلى جميع الدولة والفقهاء والمعيدين ، وكان يوماً مشهوداً ، وأنشدت الشعراء الخليفة المدامح الرائقة والقصائد الفاتحة ، وقد ذكر ذلك ابن الساعي في تاريخه مطولاً مبسوطاً شافياً كافياً ، وقدر لتدريس الشافعية بها الإمام محي الدين أبو عبد الله بن فضالان ، وللحنفية الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن محمد الفرغاني ، وللحنابلة الإمام العالم محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، ودرس عنه يومئذ ابنه عبد الرحمن نيابة لنيبته في بعض الرسائل إلى الملوك ، ودرس للمالكية يومئذ الشيخ الصالح العالم أبو الحسن المغربي المالكي نيابة أيضاً ، حتى يعين شيخ غيره ، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلهما في كثرتها وحسن نسخها وجودة الكتب الموقوفة بها . وكان المتولى لعمارة هذه المدرسة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمي الذي وُزر بعد ذلك ، وقد كان إذ ذاك أستاذاً دار الخلافة ، وخلع عليه يومئذ وعلى الوزير نصير الدين . ثم عزل مدرس الشافعية في رابع عشر ذي القعدة بقاضي القضاة أبي المعالى عبد الرحمن بن مقبل ، مضافاً إلى ما يسده من القضاء ، وذلك بعد وفاة محي الدين بن فضالان ، وقد ولى القضاء مدة ودرس بالنظامية وغيرها ، ثم عزل ثم رضى عنه ثم درس آخر وقت بالمسكنصرية كما ذكرنا ، فلما توفى ولها بعده ابن مقبل رحمه الله تعالى .

وفيها عمر الأشرف مسجداً جراح ظاهر باب الصغير . وفيها قدم رسول الأنبر وملك الفرنج إلى الأشرف ومعه هدايا منها دب أبيض شعره مثل شعر الأسد ، وذكروا أنه ينزل إلى البحر فيخرج السك فياً كله . وفيها طاوروس أبيض أيضاً . وفيها كملت عمارة القيسارية التي هي قبل النحاسين ، وحول إليها سوق الصاغة وشغرسوق الأولو الذي كان فيه الصاغة الشتيقة عند الحاددين . وفيها جددت الدكاكين التي بالزيادة . قلت وقد جددت شرقي هذه الصاغة الجديدة قيساريتهان في زماننا ، وسكنها الصباغ ونجار الذهب ، وهما حسنتان وجميعهما وقف الجامع المعمور .
ومن توفى في هذه السنة من الأعيان .

أبو الحسن علي بن أبي علي

ابن محمد بن سالم الثعلبي ، الشيخ سيف الدين الآمدي ، ثم الحموي ثم الدمشقي ، صاحب المصنفات في الأصولين وغير ذلك ، من ذلك أبحاث الأفكار في الكلام ، ودقائق الحقائق في الحكمة ، وأحكام الأحكام في أصول الفقه ، وكان حنبلي المذهب فصار شافعياً أصولياً منطقياً جديلاً خلافاً ، وكان حسن الأخلاق سليم الصدر كثير البكاء وقيق القلب ، وقد تكلموا فيه بأشياء الله أعلم

بصحتها ، والذي يغلب على الظن أنه ليس لغالبا صحة ، وقد كانت ملوك بني أيوب كالمعظم والكامل يكرمونه وإن كانوا لا يحبونه كثيرا ، وقد فوض إليه الماعظم تدريس الميزية ، فلما ولي الأشرف دمشق عزله عنها ونادى بالمدارس أن لا يشتغل أحد بتفسير الحديث والفقه ، ومن اشتغل بعلوم الأوائل فنيته ، فأقام الشيخ سيف الدين بمنزله إلى أن توفي بدمشق في هذه السنة في صفر ، ودفن بترته بسفح قاسيون . وذكر القاضي ابن خلسكان أنه اشتغل ببغداد على أبي الفتح نصر بن فتيان بن المنى الخنبل ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن ابن فضال وغيره ، وحفظ طريقة اختلاف للشريف وزوائد طريقة أسعد الميهني ، ثم انتقل إلى الشام واشتغل بعلوم العقول ، ثم إلى الديار المصرية فأعاد بمدرسة الشافعية بالقرافة الصغرى ، وتصدر بالجامع الظافري ، واشتهر فضله وانتشرت فضائله ، فحسده أقوام فسعوا فيه وكتبوا خطوطهم بآتهامه بمذهب الأوائل والتعطيل والانحلال ، فطلبوا من بعضهم أن يوافقهم فكتب :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصوم

فانتقل سيف الدين إلى حماء ثم تحول إلى دمشق فدرس بالميزية ، ثم عزل عنها ولزم بيته إلى أن مات في هذه السنة ، وله ثمانون عاما رحمه الله تعالى وعفا عنه .

واقف الركنية الأمير ركن الدين منكورس الفلكي

غلام فلك الدين أخى الملك العادل ، لأنه وقف الفلكية كما تقدم ، وكان هذا الرجل من خيار الأمراء ، ينزل في كل ليلة وقت السحر إلى الجامع وحده بطوافه ويأظب على حضور الصلوات فيه مع الجماعة ، وكان قليل الكلام كثير الصدقات ، وقد بنى المدرسة الركنية بسفح قاسيون ، ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمل عندهما تربة ، وحين توفي بقرية حدود حمل إليها رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم رضي الدين

أبو سليمان بن مظفر بن غنم الجليل الشافعي ، أحد فقهاء بغداد والمفتيين بها والمشغلين للطلبة مدة طويلة ، له كتاب في المذهب نحو من خمسة عشر مجلدا ، يحكي فيه الوجوه الفريية والاقوال المستغربة وكان لطيفا ظريفا ، توفي رحمه الله يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ببغداد .

الشيخ طي المصري

أقام مدة بالشام في زاوية له بدمشق ، وكان لطيفا كيسا زاهدا ، يتردد إليه الأكابر ودفن بزاويته المذكورة رحمه الله تعالى .

الشيخ عبدالله الأرمني

أحد العباد الزهاد الذين جابوا البلاد وسكنوا البراري والجبال والوهاد ، واحتصموا بالأقطاب

والأبدال والأزاد، ومن كانت له الأحوال والمكاشفات والمجاهدات والسياحات في سائر النواحي والجهات، وقد قرأ القرآن في بدايته وحفظ كتاب القدوري على مذهب أبي حنيفة، ثم اشتغل بالمعاملات والرياضات، ثم أقام آخر عمره بدمشق حتى مات بها ودفن بسفح قاسيون، وقد حكى عنه أشياء حسنة منها أنه قال اجتزت مرة في السياحة ببلدة فطالبتني نفسي بدخولها فأليت أن لا أستطعم منها بطعام، ودخلتها فررت برجل خسال فنظر إلى شزرا تخفت منه وخرجت من البلد هاربا، فلحقتني ومعه طعام فقال: كل فقد خرجت من البلد، فقلت له وأنت في هذا المقام وتفسل الثياب في الأسواق؟ فقال: لا ترفع رأسك ولا تنظر إلى شيء من عهلك، وكن عبدا لله فان استملك في الحش فارض به، ثم قال رحمه الله.

ولو قيل لي مت قتل ميمما وطاعة * وقلت لداي الموت أملا ومرحبا

وقال اجتزت مرة في سياحتى براهب في صومعة فقال لي: يا مسلم ما أقرب الطرق عندهم إلى الله عز وجل؟ قلت: مخالفة النفس، قال فرد رأسه إلى صومعته، فلما كنت بمكة زمن الحج إذا رجل يسلم على عند الكعبة فقلت من أنت؟ فقال أنا الراهب، قلت: يم وصلت إلى هاهنا؟ قال بالذي قلت. وفي رواية عرضت الاسلام على نفسي فأبت، فعلمت أنه حق فأسلمت وخالفته، فأفلح وأنجح. وقال بينا أنا ذات يوم بجبل لبنان إذا حرامية الفرنج فأخذوني فقيدوني وشدوا وثاق فكنت عندهم في أضيق حال، فلما كان النهار شربوا وناموا، فبينما أنا موثق إذا حرامية المسلمين قد أقبلوا فحوم فأنبهتهم فلجأوا إلى منارة هنالك فسلموا من أولئك المسلمين، فقالوا: كيف فعلت هذا وقد كان خلاصك على أيديهم؟ فقلت إنكم أطمعنوني فكان من حق الصعبة أن لا أغشكم، فمروض على شيئا من متاع الدنيا فأبيت وأطلقوني. وحكي السبط قال: زرته مرة ببيت المقدس وكنت قد أكلت سمكا مالحا، فلما جلست عنده أخذني عطش جدا وإلى جانبه إبريق فيه ماء بارد فجعلت أستسقي منه، فديده إلى الإبريق وقد احمر وجهه وناولني وقال خذ، كم تكاسر، فشربت. وذكروا أنه لما ارتحل من بيت المقدس كان سورها بهد قائما جديدا على عمارة الملك صلاح الدين قبل أن يخرجه المظلم، فوقف لأصحابه يودعهم ونظر إلى السور، وقال: كأني بالمعاول وهي تعمل في هذا السور مما قريب، قيل له معاول المسلمين أو الفرنج؟ فقال بل معاول المسلمين، فكان كما قال. وقد ذكرت له أحوال كثيرة حسنة، ويقال إن أصله أرمني وإنه أسلم على يدي الشيخ عبد الله اليوناني، وقيل بل أصله رومي من قونية، وأنه قدم على الشيخ عبد الله اليوناني وعليه برنس كبرانس الرهبان، فقال له أسلم فقال أسلمت لرب العالمين. وقد كانت أمه داية امرأة الخليفة، وقد جرت له كاتنة غريبة فسله الله بسبب ذلك، وعرفه الخليفة فأطلقه.

ثم دخلت سنة إثنين وثلاثين وستمائة

فيها خرب الملك الأشرف بن المعادل خان الزنجباري الذي كان بالعقبة فيه خواطئ وخور ومنكرات متعددة ، فهدمه وأمر بعمارة جامع مكانه سمى جامع التوبة ، تقبل الله تعالى منه .

وفيها توفي القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن شداد الحلبي ، أحد رؤسائها من بيت العلم والسيادة ، له علم بالتواريخ وأيام الناس وغير ذلك ، وقد سمع الكثير وحدث ، والشيخ شهاب الدين عبد السلام بن المطهر بن عبد الله بن محمد بن عمرو الحلبي أيضاً ، كان فقيها زاهدا حابلاً كانت له نحو من عشرين سرية ، وكان شيخاً يكثر من الجلاع ، فاعتزته أمراض مختلفة فأنلفته ومات بدمشق ودفن بقاسيون ، وهو والد قطب الدين وتاج الدين ، والشيخ الامام العالم حائث الدين أبو محمد عبد العزيز الجلي الشافعي أحد الفقهاء المفتين المشتغلين بالمدرسة النظامية ببغداد ، وله شرح على التنبيه للشيخ أبي إسحاق ، توفي في ربيع الأول رحمه الله تعالى . والشيخ الامام العالم الخطيب الأديب أبو محمد حمد بن حميد بن محمود بن حميد بن أبي الحسن بن أبي الفرج بن مفتاح النقي الدينوري ، الخطيب بها والمفتي لأهلها ، الفقيه الشافعي ، تفقه ببغداد بالنظامية ، ثم عاد إلى بلده المشار إليها ، وقد صنف كتباً . وأنشد عنه ابن الساعي سماها منه :

روت لي أحاديث الغرام صبابي * بإسنادها عن بانه العلم الفرد

وحدثني مرّ النسيم عن الحمي * عن الدوح عن وادي الغضاضين رابعد

بان غرامي والأسمى قد تلازما * فلن يبرحا حتى أوسد في الحدي

وقد أرخ أبو شامة في الذيل وفاة الشهاب السهروردي صاحب عوارف المعارف في هذه السنة ، وذكر أن مولده في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وأنه جاوز التسعين . وأما السبط فاما أرخ وفاته في سنة ثلاثين كما تقدم . قاضي القضاة بحلب

أبو الحسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي الموصل الشافعي ، كان رجلاً فاضلاً أديباً مقرأً ذا وجهة عند الملوك ، أقام بحلب وولى القضاء بها ، وله تصانيف وشعر ، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى . ابن الفارض

فاظم النائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الانحداد ، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي ، الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال ، وقد تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها ، وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزانه وحط عليه . مات في هذه السنة وقد قارب السبعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستائة

فيها قطع الكامل وأخوه الأشرف الفرات وأصلحهما ما كان أفسده جيش الروم من بلادهما ،
وخرب الكامل قلعة الرها وأحل بدنيسر بأساً شديداً ، وجاء كتاب بدر الدين صاحب الموصل بأن
الروم أقبلوا بمائة طلب كل طلب بخمسمائة فارس ، فرجع الملكان إلى دمشق سرّياً وعاد جيش الروم
إلى بلادها بالجزيرة وأعادوا الحصار كما كان ، ورجعت التنازعاتهم ذلك إلى بلادهم والله تعالى أعلم .
ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير ابن عنين الشاعر وقد تقدمت ترجمته في سنة ثلاثين .

الحاجري الشاعر

صاحب الديوان المشهور ، وهو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خارتكين بن طاشتكين
الأر بلى شاعر مطبق ، ترجمه ابن خلكان وذكر أشياء من شعره كثيرة ، وذكر أنه كان صاحبهم
وأنه كتب إلى أخيه ضياء الدين عيسى يستوحش منه :

الله يعلم ما أبقي سوى رمي * منى فراقك يا من قربته الأمل

فابعث كتابك واستودعه تمزية * فربما مت شوقاً قبل ما يصل

وذكر له في الخال رحمه الله تعالى .

ومنه من شعره وجبينه * أمسى الوري في ظلمة وضياء

لا تنكر والخال الذي في خد * كل الشقيق بنقطة سوداء

ابن دحية

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن فرج بن خلف بن قوس بن مزلال بن بلال بن
بدر بن أحمد بن دحية بن خليفة الكلابي الحافظ ، شيخ الديار المصرية في الحديث ، وهو أول من
بشر مشيخة دار الحديث الكاملية بها ، قال السبط : وقد كان كاهن عنين في ثلب المسلمين والوقية
فيهم ، ويتزيد في كلامه فبترك الناس الرواية عنه وكذبوه ، وقد كان الكامل مقبلاً عليه ، فلما
انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث . وأهانه ، توفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر ،
وقد قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وللشيخ السخاوي فيه آيات حسنة . وقال القاضي ابن
خلكان بهد سباق نسبه كما تقدم ، وذكر أنه كتبه من خطه ، قال وذكر أن أمه أمة الرحمن بنت
أبي عبد الله بن الإسماعيل موسى بن عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فلها كان يكتب بخطه ذو النسيب ابن دحية
ابن الحسن والحسين قال ابن خلكان : وكان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء مثقناً لعلم الحديث
وما يتماق به ، عارفاً بالنعو والمنة وأيام العرب وأشمارها ، اشتغل ببلاد المغرب ثم رحل إلى الشام ثم

إلى العراق واجتاز باربل سنة أربع وستائة ، فوجد ملكها المعظم مظفر الدين بن زين الدين يعنى بالمولد النبوى ، فعمل له كتاب التنوير فى مولد السراج المنير وقرأ عليه بنفسه ، فأجازه بألف دينار ، قال وقد سمعناه على الملك المعظم فى سنة مجالس فى سنة ست وعشرين وستائة . قلت وقد وقفت على هذا الكتاب وكتبت منه أشياء حسنة مفيدة . قال ابن خلكان : وكان مولده فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل ست أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفى فى هذه السنة ، وكان أخوه أبو عمرو عثمان قد باشر بعده دار الحديث السكلمية بمصر ، وتوفى بعده بسنة . قلت : وقد تكلم الناس فيه بأنواع من الكلام ، ونسبه بعضهم إلى وضع حديث فى قصر صلاة المغرب ، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله ، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر ، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعننا ويكرمه .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستائة

فيها حاصرت التنار إربل بالمجانيق ونقبوا الأسوار حتى فتحوها عنوة فقتلوا أهلها وسبوا ذرارهم ، وامتنعت عليهم القلعة مدة ، وفيها النائب من جهة الخليفة ، فدخل فصل الشتاء فأقلعوا عنها والشمر وا إلى بلادهم ، وقيل إن الخليفة جهز لهم جيشاً فانهزم التنار . وفيها استخدم الصالح أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا الخوارزمية الذين تبغوا من جيش جلال الدين وانفصلوا عن الروم ، فقوى جاش الصالح أيوب . وفيها طلب الأشرف موسى بن العادل من أخيه الكامل الرقة لتكون قوة له وعلفا لدوابه إذا جاز الفرات مع أخيه فى البواكير ، فقال الكامل : أما يكفيه أن معه دمشق مملكة بنى أمية ؟ فأرسل الأشرف الأمير فلك الدين بن السيرى إلى الكامل فى ذلك ، فأغلظ له الجواب ، وقال : إيش يعمل بالملك ؟ يكفيه عشرته للمغنى وتعلمه لصناعتهم . فغضب الأشرف لذلك وبدت الوحشة بينهما ، وأرسل الأشرف إلى حماء وحلب وبلاد الشرق فحالف أولئك الملوك على أخيه الكامل ، فلو طال عمر الأشرف لأفسد الملك على أخيه ، وإذ ذلك لكثرة ميل الملوك إليه لكرمه وشجاعته وشح أخيه الكامل ، ولكنه أدركته منيته فى أول السنة الداخلة رحمه الله تعالى .

ومن توفى فيها من الأعيان الملك العزيز الظاهر

صاحب حلب محمد بن السلطان الملك الظاهر غياث الدين غازى بن الملك الناصر صلاح الدين فاتح القدس الشريف ، وهو وأبوه وابنه الناصر أصحاب ملك حلب من أيام الناصر ، وكانت أم العزيز الغياثون بنت الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان حسن الصورة كريماً عفيفاً ، توفى وله من العمر أربع وعشرون سنة ، وكان مدبر دولته الطواشى شهاب الدين ، وكان من الأمراء رحمه الله

تعالى . وطم في الملك بعده ولده الناصر صلاح الدين يوسف ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

صاحب الروم

كيفية الملك علاء الدين صاحب بلاد الروم ، كان من أكابر الملوك وأحسنهم سيرة ، وقد زوجه العادل ابنته وأولدها ، وقد استولى على بلاد الجزيرة في وقت وأخذ أكثرها من يد الكامل محمد ، وكسر الطوارزمية مع الأشرف موسى رحمهما الله .

الناصح الحنبلي

في ثالث المحرم توفي الشيخ ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج الشيرازي ، وهم ينتسبون إلى سجد بن عبادة رضى الله عنه ، ولد الناصح سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان يهبط في بعض الأحيان . وقد ذكرنا قبل أنه وعظ في حياة الشيخ الحافظ عبد الغنى ، وهو أول من درس بالصالحية التي بالجليل ، وله ببيت ، وله مصنفات . وقد اشتغل على ابن المنى البغدادي ، وكان فاضلاً صالحاً ، وكانت وفاته بالصالحية ودفن هناك رحمه الله .

الكامل بن المهاجر

التاجر كان كثير الصدقات والاحسان إلى الناس ، مات فجأة في جمادى الأولى بدمشق فدفن بتاسيون ، واستحوذ الأشرف على أمواله ، فبليت التركة قريباً من ثلثمائة ألف دينار ، من ذلك سبعة فيها مائة حبة زولو ، كل واحدة مثل بيضة الحمامة .

الشيخ الحافظ أبو عمر وعثمان بن دحية

أخو الحافظ أبي الخطاب بن دحية ، كان قد ولي دار الحديث الكاملية حين عزل أخوه عنها ، حتى توفي في عامه هذا ، وكان ندر في صناعة الحديث أيضاً رحمه الله تعالى .

الفاضل عبد الرحمن التكريتي

الحاكم بالكرك ، ومدرس مدرسة الزبداني ، فلما أخذت أوقافها سار إلى القدس ثم إلى دمشق ، فكان ينوب بها عن القضاة ، وكان فاضلاً نزهةً حفيظاً دينياً رحمه الله تعالى ورضي عنه . ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستائة

فيها كانت وفاة الأشرف ثم أخوه الكامل ، أما الأشرف موسى بن العادل باني دار الحديث الأشرافية وجامع التوبة وجامع جراح ، فإنه توفي في يوم الخميس رابع المحرم من هذه السنة ، بالقلعة المنصورة ، ودفن بها حتى فجزت تربته التي بنيت له شمال الكلاسة ، ثم حول إليها رحمه الله تعالى ، في جمادى الأولى ، وقد كان ابتداء مرضه في رجب من السنة الماضية ، واختلفت عليه الأدوية حتى كان الجرافى يخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله عز وجل ، فلما كان آخر السنة تزايد به المرض

واعتراه إسهال مفرط فغارت قوته فشرع في التهيء للقاء الله عز وجل ، فأعنت مائتي غلام وجارية ، ووقف دار فر وخشاه التي يقال لها دار السعادة ، و بستانه بالنيرب على ابيه ، وتصدق بأموال جزيلة ، وأحضر له كفنا كان قد أعد من ملابس الفقراء والمشايخ الذين لقيمهم من الصالحين . وقد كان رحمه الله تعالى شهما شجاعا كريما جوادا لأهل العلم ، لا سيما أهل الحديث ، ومقار بيته الصالحة ، وقد بنى لهم دار حديث بالسفح ، وبالمدينة للشافعية أخرى ، وجعل فيها نعل النبي (ص) ، الذي ما زال حريصا على طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر ، وقد كان النظام ضيقا به فزعم الأشرف أن يأخذ منه قطعة ، ثم ترك ذلك خوفا من أن يذهب بالكليّة ، فقدر الله موت ابن أبي الحديد بدمشق فأوجى الملك الأشرف به ، فجعله الأشرف بدار الحديث ، ونقل إليها كتباً سنية نفيسة ، وبنى جامع التوبة بالعقبة ، وقد كان خانا للزنجاري فيه من المنكرات شيء كثير ، وبنى مسجد القصب وجامع جراح ومسجد دار السعادة ، وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسة ، ونشأ بالقدس الشريف بكفالة الأمير نغر الدين عثمان الزنجاري ، وكان أبوه يبحه ، وكذلك أخوه المعظم ثم استنابه أبوه على مدن كثيرة بالجزيرة منها الرها وحران ، ثم اتسعت مملكته حين ملك خلاط ، وكان من أعف الناس وأحسنهم سيرة وسريرة ، لا يعرف غير نسائه وسراريه ، مع أنه قد كان يعاني الشراب ، وهذا من أعجب الأمور . حكى السبط عنه قال : كنت يوما بهذه المنطرة من خلاط إذ دخل الخادم فقال : بالباب امرأة تستأذن ، فدخلت فإذا صورة لم أر أحسن منها ، وإذا هي ابنة الملك الذي كان بخلاط قبلي ، فذكرت أن الحاجب على قد استحوذ على قرية لها ، وأنها قد احتاجت إلى بيوت الكرى ، وأنها إنما تنتقوت من عمل النقوش للنساء ، فأمرت برد ضيعتها إليها وأمرت بدار تسكنها ، وقد كنت قد لها حين دخلت وأجلسنها بين يدي وأمرتها بستر وجهها حين أسفرت عنه ، ومعها عجوز ، فحين قضت شغلها قلت لها انهضى على اسم الله تعالى ، فقالت العجوز : ياخوند إنما جاءت لتعطيني بخدنتك هذه الليلة ، فقلت : معاذ الله لا يكون هذا ، واستحضرت في ذهني ابنتي ربما يصيبها نظير ما أصاب هذه ، فقامت وهي تقول بالأرمي : سترك لله مثل ما سترتني ، وقلت لها : مهما كان من حاجة فانهيها إلى أقضها لك ، فدعت لي وانصرفت ، فقالت لي نفسى : فى الحلال مندوحة عن الحرام ، فزوجها ، فقلت : لا والله لا كان هذا أبدا ، أين الحياء والكرام والمروءة ؟ قال : ومات مملوك من مماليكى وترك ولدا ليس يكون فى الناس بتلك البلاد أحسن شبابا ، ولا أحلى شكلا منه ، فأحببته وقر بته ، وكان من لا يفهم أمرى ينهق به ، فاتفق أنه عدا على إنسان ففصر به حتى قتله ، فاشتكى عليه إلى أولياء المقتول ، فقلت اثبتوا أنه قتله ، فأثبتوا ذلك فحاجت عنه مماليكى وأرادوا إرضاءهم بشتر ذيات فلم يقبلوا ، ووقفوا فى الطريق وقالوا قد أثبتنا أنه قتله ، فقلت

خذوه فقتلوه فقتلوه ، ولو طلبوا منى ملكي فداء له لدفعته إليهم ، ولكن استحييت من الله أن أطأ أرض شرعه بحظ نفسي رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ولما ملك دمشق في سنة ست وعشرين وسبعمائة نادى مناديه فيها أن لا يشتغل أحد من القمهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقه ، ومن اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفى من البلد . وكان البلدي في غاية الأمن والعدل ، وكثرة الصدقات والخيرات ، كانت القلعة لا تغلق في ليالى رمضان كلها ، ومحمون الخلاوات خارجة منها إلى الجامع والخوانق والربط ، والصلحية وإلى الصالحين والفقراء والرؤساء وغيرهم ، وكان أكثر جلوسه بمسجد أبي الدرداء الذي جده وزخرفه بالقلعة ، وكان ميمون النقية ما كسرت له راية قط ، وقد استدعى الزبيدي من بغداد حتى جمع هو والناس عليه صحيح البخاري وغيره ، وكان له ميل إلى الحديث وأهله ، ولما توفي رحمه الله رآه بعض الناس وعليه ثياب خضر وهو يطير مع جماعة من الصالحين ، فقال : ما هذا وقد كنت تعاني الشراب في الدنيا ؟ فقال ذلك البدين الذي كنا نفعل به ذاك عندهم ، وهذه الروح التي كنا نحب بها هؤلاء فهي معهم ، ولقد صدق رحمه الله ، قال رسول الله (ص) : « المرء مع من أحب » وقد كان أوصى بالملك من بعده لأخيه الصالح إسماعيل ، فلما توفي أخوه ركب في أبهة الملك ومشى الناس بين يديه ، وركب إلى جانبه صاحب حصن وعز الدين أيك المعظمي حامل الغاشية على رأسه ، ثم إنه صادر جماعة من الدماشقة الذين قيل عنهم إنهم مع الكامل ، منهم العالم تماسيف وأولاد ابن مزهر وحبسهم ببصرى ، وأطلق الحربى من قلعة عزاز ، وشرط عليه أن لا يدخل دمشق ، ثم قدم الكامل من مصر وانضاف إليه الناصر داود صاحب الكرك و نابلس والقدس ، فحاصروا دمشق حصاراً شديداً ، وقد حصنها الصالح إسماعيل ، وقطع المياه ورد الكامل ماء بردى إلى نورا ، وأحرقت العقبة وقصر حجاج ، فافتقر خلق كثير واحترق آخرون ، وجرت خطوب طويلة ، ثم آل الحال في آخر جمادى الأولى إلى أن سلم الصالح إسماعيل دمشق إلى أخيه الكامل ، على أن له بعلبك وبصرى ، وسكن الامر ، وكان الصلح بينهما على يدى القاضي محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزى ، اتفق أنه كان بدمشق قد قدم في رسالة من جهة الخليفة إلى دمشق فجزاه الله تعالى خيراً . ودخل الكامل دمشق وأطلق الفلك بن المسيرى من سجن الحيات بالقلعة الذى كان أودعه فيه الأشرف ، ونقل الأشرف إلى تربته ، وأمر الكامل في يوم الاثنين سادس جمادى الآخرة أئمة الجامع أن لا يصل أحد منهم المغرب سوى الامام الكبير ، لما كان يقع من التشويش والاختلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد ، ولنعيم ما فعل رحمه الله . وقد فعل هذا في زماننا في صلاة التراويح ، اجتمع الناس على قارئ واحد وهو الامام الكبير في المحراب المقدم عند المنبر ، ولم يبق به إمام يومئذ سوى الذى بالحلبية عند مشهد على

ولو ترك لكان حسناً والله أعلم . ذكر وفاة الملك الكامل

محمد بن العادل رحمه الله تعالى . تملك الكامل مدة شهرين ثم أخذه أمراض مختلفة ، من ذلك سعال وإسهال ونزلة في حلقه ، وقرص في رجله ، فانفق موته في بيت صغير من دار القصبه ، وهو البيت الذي توفي فيه عمه الملك الناصر صلاح الدين ، ولم يكن عند الكامل أحد عند موته من شدة هيئته ، بل دخلوا فوجدوه ميتاً رحمه الله تعالى . وقد كان مولده في سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وكان أكبر أولاد العادل بعد مودود ، وإليه أوصى العادل لعله بشأنه وكال عقله ، وتوفر معرفته ، وقد كان جيد الفهم يحب العلماء ، ويسألهم أسئلة مشككة ، وله كلام جيد على صحيح مسلم ، وكان ذكياً مبيعاً ذا بأس شديد ، عادل منصف له حرمة وافرة ، وسطوة قوية ، ملك مصر ثلاثين سنة ، وكانت الطرقات في زمانه آمنة ، والراعي متناصفاً ، لا يتجاسر أحد أن يظلم أحداً ، شق جماعة من الأجناد أخذوا شهيراً لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الركبدارية أن أستاذهم استعمله ستة أشهر بلا أجره ، فأحضر الجندي وألبسه قباب الركبدارية ، وألبس الركبداري ثياب الجندي ، وأمر الجندي أن يخدم الركبدار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الركبدار الموكب والخدمة حتى ينقضي الأجل فتأدب الناس بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاء في رد ثغر دمياط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج لعنهم الله ، فராبطهم أربع سنين حتى استنقذه منهم ، وكان يوم أخذه له واسترجاه إياه يوماً مشهوداً ، كما ذكرنا مفصلاً رحمه الله تعالى . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من رجب من هذه السنة ، ودفن بالقلمة حتى كملت تربته التي بالحائط الشمالي من الجامع ذات الشباك الذي هناك قريباً من مقصورة ابن سنان ، وهي الكندية التي عند الحلبية ، نقل إليها ليلة الجمعة الحادى والعشرين من رمضان من هذه السنة ، ومن شعره يستحث أخاه الأشرف من بلاد الجزيرة حين كان محاصراً بدمياط :

يا مسعى إن كنت حقاً مسعى * فارحل بغير تقييدٍ وتوقفٍ
واطر المنازل والديار ولا تنح * إلا على باب الملك الأشرف
قبل يديه لا عدتٍ وقل له * عني بحسن تعطفٍ وتلطفٍ
إن مات صنوك عن قريب تلقه * ما بين حدٍ مهديٍ ومثقفٍ
أو تبطل عن إنجاده فلقاؤه * يوم القيامة في عراض الموقف
ذكر ما جرى بعده

كان قد عهد لولده العادل وكان صغيراً بالديار المصرية ، وبالبلاد الدمشقية ، ولولده الصالح أيوب ببلاد الجزيرة ، فأمضى الأمراء ذلك ، فأما دمشق فاختلف الأمراء بها في الملك الناصر داود بن

المعظم، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن الملك العادل، فكان ميل عماد الدين ابن الشيخ إلى الجواد، وآخرون إلى الناصر، وكان نازلاً بدار أسامة، فانتظم أمر الجواد وجاءت الرسالة إلى الناصر أن أخرج من البلد، فركب من دار أسامة والعامه وراه إلى القلعة لا يشكون في ولايته الملك، فسلك نحو القلعة فلما جاوز المادية عطف برأس فرسه نحو باب الفرج، فصرخت العامة: لالا، فسار حتى نزل القبابون عند وطأة برزة. فعزم بعض الأمراء الأشرفية على مسكه، فساق فبات بقصر أم حكيم، وساقوا وراه فتقدم إلى مجبلون فتحصن بها وأمن.

وأما الجواد

فانه ركب في أبهة الملك وأنفق الأموال والخلع على الأمراء قال السبط: فرق ستة آلاف ألف دينار وخمسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والحدود، ونفى الخواطر واستقر ماله بدمشق، واجتمع عليه الأمراء الشاميون والمصريون، ورحل الناصر داود من مجبلون نحو غزة وبلاد الساحل فاستحوذ عليها، فركب الجواد في طلبه ومعه العساكر الشامية والمصرية، وقال للأشرفية كاتبوه وأطعموه، فلما وصلت إليه كتبهم طمع في موافقتهم، فرجع في سبعمائة راكب إلى نابلس، فقصده الجواد وهو نازل على جبينين، والناصر على سبسطية، فهرب منه الناصر فاستحوذوا على حواصله وأثقاله، فاستغنوا بها واقتصر بسببها قراً، مدقماً، ورجع الناصر إلى الكرك جريدة قد سلب أمواله وأثقاله، وعاد الجواد إلى دمشق مؤيداً منصوراً.

وفيها اختلفت الخوارجية على الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب كيفا، وتلك النواحي، وعزموا على القبض عليه، فهرب منهم ونهبوا أمواله وأثقاله، ولجأ إلى سنجار فقصده بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ليحاصره ويأخذه في قفص إلى الخليفة، وكان أهل تلك الناحية يكرهون مجاورته لتكبره وقوة سطوته، فلم يبق إلى أخذه إلا القليل، فكانت الخوارجية واستنجد بهم ووعدهم بأشياء كثيرة، فقدموا إليه جرائد لينعموه من البدر لؤلؤ، فلما أحس بهم لؤلؤ هرب منهم فاستحوذوا على أمواله وأثقاله، فوجدوا فيها شيئاً كثيراً لا يجد ولا يوصف، ورجع إلى بلد الموصل جريدة خائباً، وسلم الصالح أيوب مما كان فيه من الشدة.

ومن توفي فيها من الأعيان: محمد بن زيد

ابن ياسين الخطيب جمال الدين الدوامي، نسبة إلى قرية بأصل الموصل، وقد ذكرنا ذلك عند ترجمة عمه عبد الملك بن ياسين الخطيب بدمشق أيضاً، وكان مدرساً بالقرطبية مع الخطابة، وقد منعه المعظم في وقت عن الأفتاء، فعاتبه السبط في ذلك، فاعتذر بأن شيوخ بلده هم الذين أشاروا عليه بذلك، لكثرة خطئه في فتاويه، وقد كان شديد المواظبة على الوظيفة حتى كاد أن يفارق بيت

الخطابة، ولم يحج قط مع أنه كانت له أهوال جزيلة، وقف مدرسة بمحبرون وسبعاً في الجامع . ولما توفى ودفن بمدرسته التي بمحبرون ولى الخطابة بعده أخ له وكان جاهلاً ، ولم يستقر فيها وتولاها الكمال بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبى ، وولى تدريس الغزالية الشيخ عبدالمعز بن عبد السلام محمد بن هبة الله بن جميل

الشيخ أبو نصر بن الشيرازى ، ولد سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسمع الكثير على الحفاظ ابن عساكر وغيره ، واشتغل في الفقه وأفتى ودرس بالشامية البرانية ، وناب في الحكم عدة سنين ، وكان فقيهاً عالماً فاضلاً ذكياً حسن الأخلاق عارفاً بالأخبار وأيام العرب والأشعار ، كريم الطباع حميد الآثار ، وكانت وفاته يوم الخميس الثالث من جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

القاضي شمس الدين يحيى بن بركات

ابن هبة الله بن الحسن الدمشقى قاضياً بن سنا الدولة ، كان عالماً عفيفاً فاضلاً عادلاً منصفاً نزهاً كان الملك الأشرف يقول : ما ولى دمشق مثله ، وقد ولى الحكم ببلده المقدس وناب بدمشق عن القضاة ، ثم استقل بالحكم ، وكانت وفاته يوم الأحد السادس ذى القعدة ، وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون ، وتأسف الناس عليه رحمه الله تعالى . وتوفى بعده .

الشيخ شمس الدين بن الحوي

القاضى زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدى ، عرف بابن الأستاذ الحلبي قاضياً بعده بهاء الدين بن شداد ، وكان رئيساً عالماً عارفاً فاضلاً ، حسن الخلق والسمت ، وكان أبوه من الصالحين الكبار رحمهم الله تعالى .

الشيخ الصالح المعمر

أبو بكر محمد بن مسعود بن بهروز البغدادي ، ظهر سماه من أبى الوقت في سنة خمس عشرة وستمائة فانتال الناس عليه يسمعون منه ، وتفرد بالرواية عنه في الدنيا بعد الزبيدى وغيره ، توفى ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان رحمه الله تعالى .

الأمير الكبير المجاهد المرباط صارم الدين

خطاباً بن عبد الله عمك شركس ونائبه بعده مع ولده على تنين وتلك الحصون ، وكان كثير الصدقات ، ودفن مع استاذه بقباب شركس ، وهو الذى بناها بعد أستاذة ، وكان خيراً قليل الكلام كثير الفرو مرباطاً مدة سنين رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة

فيها قضى الملك الجواد على الصفي بن مرزوق وصادره بأربعمائة ألف دينار ، وحبس بقلعة

حصن ، فسكت ثلاث سنين لا يرى الضوء . وكان ابن مرزوق محسناً إلى الجواد قبل ذلك إحساناً كثيراً . وساطع الجواد خادماً لزوجته يقال له الناصح فصادر الدما شقة وأخذ منهم نحواً من ستمائة ألف دينار ، وسك الأمير عماد الدين بن الشيخ الذي كان سبب تملكه دمشق ، ثم خاف من أخيه نغر الدين بن الشيخ الذي بديار مصر ، وقلق من ملك دمشق ، وقال إيش أعمل بالملك ؟ باز وكاب أحب إلى من هذا . ثم خرج إلى الصعيد وكاتب الصالح نجم الدين أيوب بن السكامل ، فتقايضا من حصن كيفا وسنجار وما تبع ذلك إلى دمشق ، فلك الصالح دمشق ودخلها في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة ، والجواد بين يديه بالغاشية ، وندم على ما كان منه ، فأراد أن يستردك الفاتت فلم يتفق له ، وخرج من دمشق والناس يلعنونه بوجهه ، بسبب ما أسداه إليهم من المصادرات ، وأرسل إليه الصالح أيوب ليرد إلى الناس أموالهم فلم يلتفت إليه ، وسار وبقيت في ذمته . ولما استقر الصالح أيوب في ملك مصر كما سيأتي حبس الناصح الخادم ، فأت في أسوأ حالة ، من القلة والقمل ، جزاء وفاقا [وما ربك بظلام للعبيد] .

وفيها ركب الصالح أيوب من دمشق في رمضان قاصدا الديار المصرية ليأخذها من أخيه العادل لصفه ، فنزل بنابلس واستولى عليها وأخرجها من يد الناصر داود ، وأرسل إلى عمه الصالح إسماعيل صاحب بعلبك ليقيم عليه ليكون في صحبته إلى الديار المصرية ، وكان قد جاء إليه إلى دمشق ليليا به فجعل يسوف به ويعمل عليه ويحالف الأمراء بدمشق ليكون ملكهم ، ولا يتجاسر أحد من الصالح أيوب لجبروته أن يخبره بذلك ، وانقضت السنة وهو مقيم بنابلس يستدعي إليه وهو بمأطلة . ومن توفي فيها من الأعيان جمال الدين الحصري الحنفى

محمود بن أحمد العلامة شيخ الحنفية بدمشق ، ومدرس النورية ، أصله من قرية يقال لها حصير من معاملة بخارى ، تفقه بها وسمع الحديث الكثير ، وصار إلى دمشق فأنهت إليه رئاسة الحنفية بها ، لا سيما في أيام المعظم ، كان يقرأ عليه الجامع الكبير ، وله عليه شرح ، وكان يحترمه ويعظمه ويكرمه ، وكان رحمه الله عزيز الدمة كثير الصدقات ، عاقلاً نزهة عفيفاً ، توفي يوم الأحد ثامن صفر ودفن بمقابر الصوفية بتمه الله برحمته . توفي وله تسعون سنة ، وأول درسه بالنورية في سنة إحدى عشر وستمائة ، بهد الشرف داود الذي تولاه بهد البرهان مسعود ، وأول مدرستها رحمهم الله تعالى الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ صدر الدين علي بن حويه ، كان سبباً في ولاية الجواد دمشق ثم سار إلى مصر فلما صاحبها العادل بن السكامل بن العادل ، فقال الآن أرجع إلى دمشق وآمر الجواد بالمسير إليك ، على أن تكون له استكبرية عوض دمشق ، فان امتنع عزلته عنها وكنت أنا نائبك فيها ، فنهاه أخوه نغر الدين بن الشيخ عن تعاضد ذلك فلم يقبل ، ورجع إلى دمشق فتلقاه

الجواد إلى المصلى وأنزله عنده بالقلمة بدار المسرة ، وخادعه عن نفسه ثم دس إليه من قتله جهرة في صورة مستغيث به ، واستحوذ على أمواله وحواصله ، وكانت له جنازة حافلة ، ودفن بقاسيون

الوزير جمال الدين علي بن حديد

وزر للأشرف واستوزره الصالح أيوب أياً ، ثم مات عقب ذلك ، كان أصله من الرقة ، وكان له أملاك يسيرة يعيش منها ، ثم آل أمره أن وزر للأشرف بدمشق ، وقد هجم بعضهم ، وكانت وفاته بالجواليق في جمادى الآخرة ، ودفن بمقابر الصوفية .

جعفر بن علي

ابن أبي البركات بن جعفر بن يحيى الهمداني ، راوية السلفي ، تقدم إلى دمشق مصحبة الناصر داود ، وسمع عليه أهلها ، وكانت وفاته بها ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله تعالى ، وله تسمون سنة .

الحافظ الكبير زكي الدين

أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الاشيلي ، أحد من اعتنى بصناعة الحديث وبرّز فيه ، وأقاد الطلبة ، وكان شيخ الحديث بمشهد ابن عروة ، ثم سافر إلى حلب ، فتوفي بجمعه في رابع عشر رمضان من هذه السنة ، وهو جد شيخنا الحافظ علم الدين بن القاسم بن محمد البرزالي ، مؤرخ دمشق الذي ذيل على الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، وقد ذيلت أنا على تاريخه بمون الله تعالى . ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة

استهلت هذه السنة وسامطان دمشق نجم الدين الصالح أيوب بن الكامل نجيم عند نابلس ، يستدعيه الصالح إسماعيل ليسير إلى الديار المصرية ، بسبب أخذها من صاحبها العادل بن الكامل ، وقد أرسل الصالح إسماعيل ولده وابن يغمور إلى محبة الصالح أيوب ، فهما يتفقان الأموال في الأمراء ويحلفانهم على الصالح أيوب للصالح إسماعيل ، فلما تم الأمر وتمكن الصالح إسماعيل من مراده أرسل إلى الصالح أيوب يطلب منه ولده ليكون عوضه ببمليك ، ويسير هو إلى خدمته ، فأرسله إليه وهو لا يشعر بشيء مما وقع ، وكل ذلك عن ترتيب أبي الحسن غزال المتطلب وزير الصالح - وهو الأمين واقف أمينية بمليك - فلما كان يوم الثلاثاء السابع والعشرين من صفر هجم الملك الصالح إسماعيل وفي محبته أسد الدين شيركوه صاحب حمص إلى دمشق ، فدخلها بفتنة من باب الفراديس ، فقتل الصالح إسماعيل بداره من درب الشمارين ، نزل صاحب حمص بداره ، وجاء نجم الدين بن سلامة فهنا الصالح إسماعيل ورقص بين يديه وهو يقول : إلى بيتك جئت . وأصبحوا فحاصروا القلعة وبها المنبث صر بن الصالح نجم الدين ، وتقبوا القلعة من ناحية باب الفرج ، وهتكوا حرمتها ودخلوها وتسلموها واعتقلوا المنبث في برج هناك . قال أبو شامة : واحترقت دار الحديث وما هنالك من الحوانيت

والدور حول القلعة . ولما وصل الخبر بما وقع إلى الصالح أيوب تفرق عنه أصحابه والأمراء خوفاً على أهاليهم من الصالح إسماعيل ، وبقى الصالح أيوب وحده بمالكيه وجاريته أم ولده خليل ، وطمع فيه الفلاحون والفوارنة ، وأرسل الناصر داود صاحب الكرك إليه من أخذه من نابلس مهاتاً على بغلة بلا مهماز ولا مقدمة ، فاعتقله عنده سبعة أشهر ، وأرسل العادل من مصر إلى الناصر يطلب منه أخاه الصالح أيوب ويعطيه مائة ألف دينار ، فما أجابه إلى ذلك ، بل عكس ما طلب منه باخراج الصالح من سجنه والافراج عنه وإطلاقه من الحبس يركب وينزل ، فعند ذلك حاربت الملوك من دمشق ومصر وغيرها الناصر داود ، وبرز العادل من الديار المصرية إلى بلبيس قاصداً قتال الناصر داود ، فاضطرب الجيش عليه واختلعت الأمراء ، وقيدوا العادل واعتقلوه في خركاه ، وأرسلوا إلى الصالح أيوب يستدعونه إليهم ، فامتنع الناصر داود من إرساله حتى اشترط عليه أن يأخذ له دمشق وحصن وحلب وبلاد الجزيرة وبلاد ديار بكر ونصف مملكة مصر ، ونصف ما في الخزان من الحواصل والأموال والجواهر . قال الصالح أيوب : فأجبت إلى ذلك مكرهاً ، ولا تقدر على ما اشترط جميع ملوك الأرض ، وسرنا فأخذته ممي خائفاً أن تكون هذه الكائنة من المصريين مكيدة ، ولم يكن لي به حاجة ، وذكر أنه كان يسكر ويخبط في الأمور ويخالف في الآراء السديدة . فلما وصل الصالح إلى المصريين ملكوه عليهم ودخل الديار المصرية سالماً مؤيداً منصوراً مظهرًا محبوباً مسروراً ، فأرسل إلى الناصر داود عشرين ألف دينار فردها عليه ولم يقبلها منه . واستقر ملكه بمصر . وأما الملك الجواد فانه أساء السيرة في سنجار وصادر أهلها وعسفهم ، فكاتبوا بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقصدهم - وقد خرج الجواد للصيد - فأخذ البلد بغير شيء وصار الجواد إلى غانة ، ثم باعها من الخليفة بعد ذلك .

وفي ربيع الأول درن القاضي الرفيع عبيد العزيز بن عبد الواحد الجبلي بالشامية البرانية . وفي يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر دلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلي خطابة جامع دمشق ، وخطب الصالح إسماعيل لصاحب الروم ببلد دمشق وغيرها ، لأنه حالفه على الصالح أيوب . قال أبو شامة : وفي حزيران أيام الشمس جاء مطر عظيم هدم كثيرا من الحيطان وغيرها ، وكنت يومئذ بالمزة .

ومن توفي فيها من الأعيان . صاحب حصن

الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي ، ولاء إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه سنة إحدى وثمانين وخمسةائة ، فكث فيها سبعاً وخمسين سنة ، وكان من أحسن الملوك سيرة ، طهر بلاده من الخمر والمكوس والمنكرات ، وهي في غاية الأمن والعدل ، لا يتجاسر أحد من الفرنج ولا العرب يدخل بلاده إلا أهاته غاية الاهانة ،

وكانت ملوك بني أيوب يتقونونه لأنه يرى أنه أحق بالأمر منهم ، لأن جده هو الذي فتح مصر ، وأول من ملك منهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمصر ، وعمل عزاءه بجماع دمشق عفا الله عنه .

القاضي الحواري شمس الدين أحمد بن خليل

ابن سعادة بن جعفر الحواري قاضي القضاة بدمشق يومئذ ، وكان عالما بفنون كثيرة من الأصول والفروع وغير ذلك ، وكانت وفاته يوم السبت بعد الظهر السابع من شعبان ، وله خمس وخمسون سنة بالمدرسة العادلية ، وكان حسن الأخلاق جميل المباشرة ، وكان يقول لا أقدر على إيصال المناصب إلى مستحقها ، له مصنفات منها عروض قال فيه أبو شامة :

أحمد بن الخليل أرشده لا * له لما أرشده الخليل بن أحمد

ذلك مستخرج العروض * ندامظهر السرينه والمواد أحمد

وقد ولي القضاء بعد رفيع الدين عبد العزيز بن عبد الواحد بن إسماعيل بن عبد الهادي الخنبل مع تدريس العادلية ، وكان قاضيا بيمليك . فأحضره إلى دمشق الوزير أمين الدين الذي كان سامريا فأسلم ، وزر لأصالح إسماعيل ، واتفق هو وهذا القاضي على أكل أموال الناس بالباطل . قال أبو شامة : ظهر منه سوء سيرة وعسف وفسق وجور ومصادرة في الأموال . قلت : وقد ذكر غيره عنه أنه ربما حضر يوم الجمعة في المشهد السكالي بالشباك وهو سكران ، وأن قناني الحمر كانت تكون على بركة العادلية يوم السبت ، وكان يتمدد في التراكات اعتيادا سيئا جدا ، وقد حامله الله تعالى بنقيض مقصوده ، وأهلكه الله على يدي من كان سبب سعادته ، كما سيأتي بيانه قريبا إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة

فيها سلم الصالح إسماعيل صاحب دمشق حصن سميف أربون لصاحب صيدا الفرنجي ، فاشتد الانكار عليه بسبب ذلك من الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب البلد ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية ، فاعتقلها مدة ثم أطلقها وألزمها منازلها ، وولى الخطابة وتدريس الغزالية لعماد الدين داود بن همر بن يوسف المتقدم خطيب بيت الأبار ، ثم خرج الشيخان من دمشق فقصده أبو عمرو الناصر داود بالكرك ، ودخل الشيخ عز الدين الديار المصرية ، فتلقاء صاحبها أيوب بالاحترام والاكرام ، وولاه خطابة القاهرة وقضاء مصر ، واشتغل عليه أهلها فكان ممن أخذ عنه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى .

وفيها قدم رسول من ملك التتار تولى بن جنكيزخان إلى ملوك الاسلام يدعومهم إلى طاعته

و يأمرهم بتخريب أسوار بلدانهم . وعنوان الكتاب : من فائب رب السماء ماسح وجه الأرض ملك الشرق والغرب قان قان . وكان الكتاب مع رجل مسلم من أهل أصبهان لطيف الأخلاق ، فأول ما ورد على شهاب الدين غازي بن العادل بميا فارقين ، وقد أخبر بمجائب في أرضهم غريبة ، منها أن في البلاد المتاخمة للسد أناساً أعينهم في مناكبهم ، وأفواههم في صدورهم ، يأكلون السمك وإذا رأوا أحداً من الناس هربوا . وذكر أن عندهم بزرا يلبث الغنم يعيش الخروف منها شهرين وثلاثة ، ولا يتناسل . ومن ذلك أن بما زنديران عينا يطلع فيها كل ثلاثين سنة خشبة عظيمة مثل المنارة ، فتقيم طول النهار فإذا غابت الشمس غابت في العين فلا ترى إلى مثل ذلك الوقت ، وأن بعض الملوك احتال ليمسكوها بسلاسل ربطت فيها فغارت وقطعت تلك السلاسل ، ثم كانت إذا طلعت ترى فيها تلك السلاسل وهي إلى الآن كذلك . قال أبو شامة : وفيها قلت المياه من السماء والأرض ، وفسد كثير من الزرع والثمار والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان والمشاهير .

محي الدين بن عربي

صاحب الفصوص وغيره ، محمد بن علي بن محمد ابن عربي أبو عبد الله الطائفي الأندلسي ، طاف البلاد وأقام بمكة مدة ، وصنف فيها كتابه المسمى بالفنوحات المكية في نحو عشرين مجلداً ، فيها ما يعقل وما لا يعقل ، وما ينكر وما لا ينكر ، وما يعرف وما لا يعرف ، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح ، وله كتاب العبادلة ودويان شعر رائق ، وله مصنفات أخر كثيرة جداً ، وأقام بدمشق مدة طويلة قبل وفاته ، وكان بنو الزكي لهم عليه اشتغال وبه احتفال ولجميع ما يقوله احتمال . قال أبو شامة : وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل ، وله شعر حسن وكلام طويل على طريق التصوف ، وكانت له جنازة حسنة ، ودفن بمقبرة القاضي محي الدين بن الزكي بقاسيون ، وكانت جنازته في الثاني والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة . وقال ابن السبط كان يقول إنه يحفظ الأسم الأعظم ويقول إنه يعرف الكيمياء بطريق المنازلة لا بطريق الكسب ، وكان فاضلاً في علم التصوف ، وله تصانيف كثيرة .

القاضي نجم الدين أبو العباس

أحمد بن محمد بن خاف بن راجح المقدسي الحنبلي الشافعي ، المعروف بابن الحنبلي ، كان شيخاً فاضلاً دينياً بارعاً في علم الخلاف ، ويحفظ الجمع بين الصحيحين للحبيدي ، وكان متواضعاً حسن الأخلاق ، قد طاف البلدان يطلب العلم ثم استقر بدمشق ودرس بالفداوية والصارمية والشامية الجوانية وأم الصالح ، وناب في الحكم عن جماعة من القضاة إلى أن توفي بها ، وهو نائب الرفيع الجليل ، وكانت

وفاته يوم الجمعة سادس شوال ودفن بقاسيون .

ياقوت بن عبد الله امين الدين الرولي

منسوب إلى بيت أتابك ، قدم بغداد مع رسول صاحب الموصل أولو . قال ابن الساعي ، اجتمعت به وهو شاب أديب فاضل ، يكتب خطا حسنا في غاية الجودة ، وينظم شعرا جيدا ، ثم روى عنه شيئا من شعره . قال وتوفي في جمادى الآخرة محبوسا .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة

فيها قصد الملك الجواد أن يدخل مصر ليكون في خدمة الصالح أيوب ، فلما وصل إلى الرمل توم منه الصالح أيوب وأرسل إليه كمال الدين ابن الشيخ ليقبض عليه ، فرجع الجواد فاستجار بالناصر داود ، وكان إذ ذاك بالقدس الشريف ، وبث منه جيشا فالتقوا مع ابن الشيخ فكسروه وأسرده فوبخه الناصر داود ثم أطلقه ، وأقام الجواد في خدمة الناصر حتى توم منه فقيدته وأرسله تحت الحوطة إلى بغداد ، فأطلقه بطن من العرب عن قوة فلجأ إلى صاحب دمشق مدة ، ثم انتقل إلى الفرنج ، ثم عاد إلى دمشق فحبسه الصالح إسماعيل بعزنا إلى أن مات في سنة إحدى وأربعين كما سيأتي .

وفيها شرع الصالح أيوب في بناء المدارس بمصر ، وبني قلعة بالجزيرة فرم عليها شيئا كثيرا من بيت المال ، وأخذ أملاك الناس وخرّب نيفا وثلاثين مسجدا ، وقطع ألف نخلة . ثم أخرجها الترك في سنة إحدى وخمسين كما سيأتي بيانه . وفيها ركب الملك المنصور بن إبراهيم بن الملك المجاهد صاحب حمص ومعه الحلبيون ، فاقتتلوا مع الخوارزمية بأرض حران ، فكسروهم ومزقهم كل ممزق ، وطادوا منصورين إلى بلادهم ، فاصطلمح شهاب الدين غازي صاحب ميا فارقين مع الخوارزمية وآوام إلى بلده ليكونوا من حزبه . قال أبو شامة : وفيها كان دخول الشيخ عز الدين إلى الديار المصرية فأكرمه صاحبها وولاه الخطابة بالقاهرة وقضاء القضاة بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين المرقع ثم عزل نفسه مرتين وانقطع في بيته رحمه الله تعالى .

قال : وفيها توفي الشمس بن الخباز النحوي الضرير في سابع رجب . والكمال بن يونس الفقيه في النصف من شعبان ، وكانا فاضلي بلدهما في قتهما . قلت . أما :

الشمس ابن الخباز

فهو أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن معالي بن منصور بن علي ، الضرير النحوي الموصل المعروف بابن الخباز ، اشتغل بعلم العربية وحفظ المفصل والايضاح والتكلمة والعروض والحساب ، وكان يحفظ الجمل في الأنة وغير ذلك ، وكان شافعي المذهب كثير النوادر والملاح ، وله أشعار جيدة ، وكانت وفاته عاشر رجب وله من العمر خمسون سنة رحمه الله تعالى . وأما :

الكمال بن يونس

فهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العقيلي ، أبو الفتح الموصل شيخ الشافعية بها ، ومدرس بعدة مدارس فيها ، وكانت له معرفة تامة بالاصول والفروع والمعتولات والمنطق والحكمة ، ورحل إليه الطلبة من البلدان ، وبلغ ثمانيا وثلاثين عاما ، وله شعر حسن . فن ذلك ما امتدح به البدر لؤي صاحب الموصل وهو قوله :

لئن زينت الدنيا بمالك أمرها * فملكك الدنيا بكم تشرف
بقيت بقاء الدهر أسرك نافذة * وسعك مشكور وحكك ينصف

كان مولده سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، وتوفي للنصف من شعبان هذه السنة ، رحمه الله تعالى قال أبو شامة : وفيها توفي بدمشق :

عبد الواحد الصوفي

الذي كان قسا راهبا في كنيسة مريم سبعين سنة ، أسلم قبل موته بأيام ، ثم توفي شيخا كبيرا بعد أن أقام بمخافتة السيمساطية أياما ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكانت له جنازة حافلة ، حضرت دفنه والصلاة عليه رحمه الله تعالى .

أبو الفضل أحمد بن اسفنديار

ابن الموفق بن أبي علي البوسنجي الواعظ ، شيخ رباط الأرجوانية . قال ابن السامى : كان جميل الصورة حسن الأخلاق كثير التودد والتواضع ، متكلم متفوها منطويا حسن العبارة جيد الوعظ طيب الانشاد غلب اليراد ، له نظم حسن ، ثم ساق عنه قصيدة يمدح بها الخليفة المستنصر .

أبو بكر محمد بن يحيى

ابن المفطر بن علم بن نعيم المعروف بابن الحسر السلاوى ، شيخ عالم فاضل ، كان حنبليا ثم صار شافعيا ، ودرس بعدة مدارس ببغداد للشافعية ، وكان أحد الممدلين بها ، تولى مباشرات كثيرة ، وكان قتها أصوليا عالما بالخلاف ، وتقدم ببسله وعظم كثيرا ، ثم استنابه ابن فضلان بدار الحريم ، ثم صار من أمره أن درس بالنظامية وخلع عليه ببغلة ، وحضر عنده الأعيان ، وما زال بها حتى توفي عن ثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

قاضي القضاة ببغداد

أبو المعالي عبد الرحمن بن مقبل بن علي الواسطي الشافى ، اشتغل ببغداد وحصل وأعاد في بعض المدارس ، ثم استنابه قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر في أيام الخليفة الظاهر بن الناصر ، ثم ولى قضاء القضاة مستقلا ، ثم ولى تدريس المستنصرية بعد

موت أول من درس بها محي الدين محمد بن فصلان ، ثم عزل عن ذلك كله وعن مشيخة بعض الرباط .
ثم كانت وفاته في هذا العام ، وكان فاضلاً ديناً متواضعاً رحمه الله تعالى وعفا عنه .

ثم دخلت سنة أربعين وستائة

فيها توفي الخليفة المستنصر بالله وخلافة ولده المستعصم بالله ، فكانت وفاة الخليفة أمير المؤمنين بركة يوم الجمعة ثامن جمادى الآخرة ، وله من العمر إحدى وخمسون سنة ، وأربعة أشهر وسبعة أيام ، وكنم موته حتى كان الهداه له على المنابر ذلك اليوم ، وكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وعشرة أشهر وسبعة وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى القرب من الرصافة . وكان جميل الصورة حسن السيرة جيد السيرة ، كثير الصدقات والبر والصلوات ، محسناً إلى الرعية بكل ما يقدر عليه ، كان جده الناصر قد جمع ما يتحصل من الذهب في بركة في دار الخلافة ، فكان يقف على حافتها ويقول : أترى أعيش حتى أملاًها ، وكان المستنصر يقف على حافتها ويقول أترى أعيش حتى أنفقها كلها . فكان ينفق الرباط والخانات والقناطر في الطرقات من سائر الجهات ، وقد عمل بكل محلة من محال بغداد دار ضيافة للمفقر ، لا سيما في شهر رمضان ، وكان يتقصده الجوارى اللاتي قد بلغن الأربعين فيشتريهن له فيعتقن ويجهزهن ويزوجهن ، وفي كل وقت يبرز صلاته ألوف متعددة من الذهب ، تفرق في المحال ببغداد على ذوى الحاجات والأرامل والأيتام وغيرهم ، تقبل الله تعالى منه وجزاه خيراً ، وقد وضع ببغداد المدرسة المستنصرية للمذاهب الأربعة ، وجعل فيها دار حديث وحماماً ودار طب ، وجعل لمستحقينها من الجوامك والأطعمة والحلاوات والفاكهة ما يحتاجون إليه في أوقاته ، ووقف عليها أوقافاً عظيمة حتى قيل إن ثمن الثمن من غلات ريعها يكفي المدرسة وأهلها . ووقف فيها كتباً نفيسة ليس في الدنيا لها نظير ، فكانت هذه المدرسة جلالاً لبغداد وسائر البلاد ، وقد احترق في أول هذه السنة المشهد الذي بسامرا المنسوب إلى علي الهادي والحسن العسكري ، وقد كان بناء أرسلان البساسيري في أيام تغلبه على تلك النواحي ، في حدود سنة خمسين وأربعمائة ، فأمر الخليفة المستنصر بإعادته إلى ما كان عليه ، وقد تكلمت الروايف في الاعتذار عن حريق هذا المشهد بكلام طويل بإردلا حاصله ، وصنفوا فيه أخباراً وأنشدوا أشعاراً كثيرة لا معنى لها ، وهو المشهد الذي يزعمون أنه يخرج منه المنتظر الذي لاحقيقة له ، فلا عين ولا أثر ، ولولم يكن لأجدد ، وهو الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن علي ابن محمد بن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بكر بلاء بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، وقبح من ينلو فيهم وينفض بسببهم من هو أفضل منهم .

وكان المستنصر رحمه الله كريماً حليماً رئيساً متودداً إلى الناس ، وكان جميل الصورة حسن الأخلاق

بهي المنظر ، عليه نور بيت النبوة رضى الله عنه وأرضاه . وحكى أنه اجتاز راكباً في بعض أزقة بغداد قبل غروب الشمس من رمضان ، فرأى شيخاً كبيراً ومعه إناء فيه طعام قد حمله من محلة إلى محلة أخرى ، فقال : أيها الشيخ لم تأخذت الطعام من محلتك ؟ أوأنت محتاج تأخذ من المحلتين ؟ فقال لا والله يا سيدى - ولم يعرف أنه الخليفة - ولكنى شيخ كبير ، وقد نزل في الوقت وأنا أستحي من أهل محلتى أن أراهم وقت الطعام ، فبشمت بي من كان يهيننى ، فأنا أذهب إلى غير محلتى فأخذ الطعام وأتبعين وقت كون الناس في صلاة المغرب فأدخل بالطعام إلى منزلى بحيث لا يراى أحد . فبكى الخليفة رحمه الله وأمر له بألف دينار ، فلما دفعت إليه فرح الشيخ فرحاً شديداً حتى قيل إنه انشق قلبه من شدة الفرح ، ولم يمش بعد ذلك إلا عشرين يوماً ، ثم مات فخلف الألف دينار إلى الخليفة ، لأنه لم يترك وارثاً . وقد أنفق منها ديناراً واحداً ، فتعجب الخليفة من ذلك وقال : شئ قد خرجنا عنه لا يعود إلينا ، تصدقوا بها على فقراء محلتى ، فرحمه الله تعالى .

وقد خلف من الأولاد ثلاثة ، اثنان شقيقان وهما أمير المؤمنين المستعصم بالله الذى ولى الخلافة بعده وأبو أحمد عبدالله ، والأمير أبو القاسم عبدالعزيز وأختهما من أم أخرى كريمة صان الله حجابها . وقد رثاه الناس بأشعار كثيرة أورد منها ابن الساعى قطعة صالحة ، ولم يستوزر أحداً بل أقرباً الحسن محمد بن محمد التمى على نيابة الوزارة ، ثم كان بعده نصر الدين أبو الأزهر أحمد بن محمد الناقذ الذى كان أستاذ دار الخلافة ، والله تعالى أعلم بالصواب .

خلافة المستعصم بالله

أمير المؤمنين وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد ، وهو الخليفة الشهيد الذى قتله انتشار بأمر هلاك ابن تولى ملك التتار بن جنكيزخان لعنهم الله ، في سنة ست وخمسين وستائة كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، وهو أمير المؤمنين المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن أمير المؤمنين المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن أمير المؤمنين الظاهر بالله أبي نصر محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين المستضى بالله أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن أمير المؤمنين المقتضى لأمر الله أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن الخليفة المقتدى بأمر الله أبي القاسم عبد الله وبقية نسبه إلى العباس في ترجمة جده الناصر ، وهؤلاء الذين ذكرناهم كلهم ولى الخلافة يتلو بعضهم بعضاً ، ولم يتفق هذا لأحد قبل المستعصم ، أن في نسبه ثمانية تسقاولوا الخلافة لم يتخللهم أحد ، وهو التاسع رحمه الله تعالى به .

لما توفى أبوه بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة أربعين وستائة استدعى هو من التاج يومئذ بعد الصلاة فبويع بالخلافة ، ولقب بالمستعصم ، وله من العمر يومئذ ثلاثون سنة وشهور ، وقد

أتقن في شبابه تلاوة القرآن حفظاً وتجويداً ، وأتقن العربية وخط الحسن وغير ذلك من الفضائل على الشيخ فحمس الدين أبي المظفر على بن محمد بن النيار أحد أئمة الشافعية في زمانه ، وقد أكرمه وأحسن إليه في خلافته ، وكان المستنصر على ما ذكر كثير التلاوة حسن الأداء طيب الصوت ، يظهر عليه خشوع وإتابة ، وقد نظر في شيء من التفسير وحل المشكلات ، وكان مشهوراً بالخير مشكوراً مقتدياً بأبيه المستنصر جهده وطاقته ، وقد مشى الأمور في أيامه على السداد والاستقامة بحمد الله ، وكان القائم بهذه البيعة المستنصرية شرف الدين أبو الفضائل إقبال المستنصرى ، فبايعه أولاً بنو عمه وأهله من بني العباس ، ثم أعيان الدولة من الأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والفقهاء ومن بعدهم من أولى الحل والمقد والعامية وغيرهم ، وكان يوماً مشهوداً ومجماً محموداً ورأياً مسعياً ، وأمر آخراً ، وجاءت البيعة من سائر الجهات والأقطار والبلدان والأمصار ، وخطب له في سائر البلدان والأقاليم والرساتيق ، وعلى سائر المنابر شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً ، كما كان أبوه وأجداده ، رحمهم الله أجمعين .

وفيها وقع من الحوادث أنه كان بالمرق وباء شديداً في آخر أيام المستنصر وقتل السكر والأدوية فتصدق الخليفة المستنصر بالله رحمه الله بسكر كثير على المرضى ، تقبل الله منه . وفي يوم الجمعة رابع عشر شعبان أذن الخليفة المستنصر بالله لأبي الفرج عبد الرحمن بن محيي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي - وكان شاباً ظريفاً فاضلاً - في الوعظ بباب البدرية ، فتكلم وأجاد وأفاد وامتنح الخليفة المستنصر بقصيدة طويلة فصيححة ، سرد بها ابن الساعي بكلامها ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، والشبل في الخبز مثل الأسد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الحلبيين وبين الخوارزمية ، ومع الخوارزمية شهاب الدين غازي صاحب ميا فارقين ، فكسروهم الحلبيون كسرة عظيمة منكسة ، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً ، ونهبت نصيبين مرة أخرى ، وهذه سابع عشر مرة نهبت في هذه السنين ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وعاد الغازي إلى ميا فارقين وتفرقت الخوارزمية يفسدون في الأرض محبة مقدمهم بركات خان ، لا بارك الله فيه ، وقدم على الشهاب غازي منشور بمدينة خلاط فتسلمها وما فيها من الحواصل . وفيها عزم الصالح أبواب صاحب مصر على دخول الشام فقبل له إن العساكر مختلفة فجيز عسكراً إليها وأقام هو بمصر يدبر مملكتها .

ومن توفي فيها من الأعيان . المستنصر بالله

أمير المؤمنين كما تقدم . والحرمه المصونة الجليلة .

خاتون بنت عز الدين مسعود

ابن مردود بن زكي بن آقسنقر الاتابكية واقعة المدرسة الاتابكية بالصالحية ، وكانت زوجة

السلطان الملك الأشرف رحمه الله وفي ليلة وفاتها كانت وقتت مدرستها وتربنها بالجبل قاله أبو شامة :
ودفنت بها رحمه الله تعالى وتقبل منها .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستائة

فيها ترددت الرسل بين الصالح أيوب صاحب مصر وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق ،
على أن يرد إليه ولده المغنيث عمر بن الصالح أيوب المعتقل في قلعة دمشق ، وتستقر دمشق في يد
الصالح إسماعيل ، فوقع الصلح على ذلك ، وخطب للصالح أيوب بدمشق ، نغاف الوزير أمين الدولة
أبو الحسن غزال المسلماني ، وزير الصالح إسماعيل من غائلة هذا الأمر ، فقال لخدمته : لا ترد هذا
الغلام لأبيه تخرج البلاد من يدك ، هذا خاتم سليمان بيدك للبلاد ، فعند ذلك أبطل ما كان وقع من
الصلح ورد الغلام إلى القلعة ، وقطعت الخطبة للصالح أيوب ، ووقعت الوحشة بين الملكين ، وأرسل
الصالح أيوب إلى الخوارزمية يستحضرهم لحصار دمشق فأن الله وإنا إليه راجعون . وكانت الخوارزمية قد
فتحوا في هذه السنة بلاد الروم وأخذوها من أيدي ملكها ابن علاء الدين ، وكان قليل العقل يلعب
بالكلاب والسباع ، ويسلمها على الناس ، فاتفق أنه عضه سبع فأت فتغلبوا على البلاد حينئذ .
وفيها احتبط على أعوان القاضي الرفيع الجبلي ، وضرب بعضهم بالمقارع ، وصودروا ورسم على
القاضي الرفيع بالمدرسة المقدمة داخل باب الفراديس ، ثم أخرج ليلا وذهب به فسجن بمغارة أقمه من
نواحي البقاع ، ثم انقطع خبره . وذكر أبو شامة أنه توفي ، ومنهم من قال إنه ألقى من شاقق ، ومنهم
من قال خنق ، وذلك كله بندي الحجة من هذه السنة . وفي يوم الجمعة انطامس والعشرين منه قرئ
منشور ولاية القضاء بدمشق لحفي الدين بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى القرشي ، بالشباك السكالي
من الجامع ، كذا قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة . وزعم السبط أن عزله إنما كان في السنة
الآتية ، وذكر أن سبب هلاكه أنه كتب إلى الملك الصالح يقول له : إنه قد أورد إلى خزائنه من
الأموال ألف ألف دينار من أموال الناس . فأنكر الصالح ذلك ، ورد عليه الجواب أنه لم يرد سوى
ألف ألف درهم ، فأرسل القاضي يقول فأننا أحاقق الوزير ، وكان الصالح لا يخالف الوزير ، فأشار
حينئذ على الصالح فعزله لتبرا ساحة السلطان من شناعات الناس ، فعزله وكان من أمره ما كان .
وفوض أمر مدرسه إلى الشيخ آقاي الدين ابن الصلاح فبين العادلية للكمال التفليس ، والمندراوية
لحفي الدين بن الزكي الذي ولي القضاء بعده ، والأمنيّة لابن عبد الكافي ، والشامية البرانية للثقي
الحموي ، وغيب القاضي الرفيع وأسقط عدالة شهوده ، قال السبط : أرسله الأمين مع جماعة على بغل
باكف لبعض النصاري إلى منسارة ألقه في جبل لبنان من ناحية الساحل ، فأقام بها أياما ثم أرسل
إليه عدلين من بعلبك ليشهدا عليه ببيع أملاكه من أمين الدولة ، فذكر أنهما شاهداه وعليه

بخطيفة وقندورة ، وأنه استظمهما شيئا من الزاد وذكر أن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئا ، فأطعماه من زواذهما وشهدا عليه وانصرفا ، ثم جاءه داود النصراني فقال له قم فقد أمرنا بجمالك إلى بعلبك ، فأيقن بالهلاك حينئذ ، فقال دعوني أصلي ركعتين ، فقال له قم ، فقام يصلي فأطال الصلاة فرسه النصراني فألقاه من رأس الجبل إلى أسفل الوادي الذي هناك ، فواصل حتى تقطع ، وحكي أنه تعلق ذيله بسن الجبل فما زال داود يرميه بالحجارة حتى ألقاه إلى أسفل الوادي ، وذلك عند السقيف المطال على نهر إبراهيم . قال السبط : وقد كان فاسد العقيدة دهر يا مستهزئا بأمر الشرح ، يخرج إلى المجلس سكرانا ويحضر إلى الجمعة كذلك ، وكانت داره كالحانات . فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال : وأخذ الموفق الواسطي أحد أمنائه - وكان من أكبر البلايا - أخذ لنفسه من أموال الناس ستمائة ألف درهم ، فموجب عقوبة عظيمة حتى أخذت منه ، وقد كسرت ساقيه ومات تحت الضرب ، فألقى في مقابر اليهود والنصارى ، وأكلته الكلاب .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ شمس الدين أبو الفتح

أسعد بن المنجي التنوخي الممرى الحنبلي ، قاضي حران قديما ، ثم قدم دمشق ودرس بالمسارية وتولى خدما في الدولة المملوكية ، وكانت له رواية عن ابن صابر والقاضيين الشهزوري وابن أبي عصرون ، وكانت وفاته في سابع ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى .

الشيخ الحافظ الصالح

تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفي ، كان يدرى الحديث وله به معرفة جيدة ، أثنى عليه أبو شامة وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بقاسيون رحمه الله .

واقف الكروسية

محمد بن عقيل بن كروس ، جمال الدين محتسب دمشق ، كان كيسا متواضعا ، توفى بدمشق في شوال ودفن بداره التي جعلها مدرسة ، وله دار حديث رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الملك الجواد يونس بن ممدود

ابن العادل أبي بكر بن أيوب الملك الجواد ، وكان أبوه أكبر أولاد العادل ، تقلبت به الأحوال وملك دمشق بعد عمه الكامل محمد بن العادل ، وكان في نفسه جيدا محبا للصالحين ، ولكن كان في بابه من يظلم الناس وينسب ذلك إليه ، فأبفضته العامة وسبوه وأجؤوه إلى أن قاىض بدمشق الملك الصالح أيوب بن الكامل إلى سنجار وحسن كيفا ، ثم لم يحفظهما بل خرجتا عن يده ، ثم آل به الحال إلى أن سجنه الصالح إسماعيل بمحصن عزنا ، حتى كانت وفاته في هذه السنة ، ونقل في شوال إلى تربة المعظم بسفح قاسيون ، وكان عنده ابن يغمور معتقلا نحوه الصالح إسماعيل إلى قلعة دمشق ، فلما

ملكها الصالح أيوب نقله إلى الديار المصرية وشنته مع الأمين غزال وزير الصالح إسماعيل ، على قلعة القاهرة ، جزاء على صنعهما في حق الصالح أيوب رحمه الله تعالى . أما ابن يعمور فإنه عمل عليه حتى حول ملك دمشق إلى الصالح إسماعيل ، وأما أمين الدولة فإنه منع الصالح من تسليم ولده عمر إلى أبيه فانتقم منهما بهذا ، وهو معذور بذلك

مسعود بن أحمد بن مسعود

ابن مازة الحارثي أحد الفقهاء الخفية الفضلاء ، وله علم بالتفسير وعلم الحديث ، ولديه فضل غزير قدم بغداد بحجة رسول التتار الحج ، فحبس مدة سنين ثم أفرج عنه ، فخرج ثم عاد ، فأت ببغداد في هذه السنة . رحمه الله تعالى أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن

ابن الحسين بن علي بن محمد البطريق بن نصر بن حمدون بن ثابت الأسدي الحلبي ، ثم الواسطي ، ثم البغدادي ، الكاتب الشاعر الشيعي ، فقيه الشيعة ، أقام بدمشق مدة وامتنح كثير آمن الأمراء والملوك ، منهم الكامل صاحب مصر وغيره ، ثم عاد إلى بغداد فكان يشغل الشيعة في مذهبهم ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظم والنثر ، لكنه غنذول محجوب عن الحق . وقد أورد ابن الساعي قطعة جيدة من أشعاره الدالة على غزارة ما دته في العلم والذكاء رحمه الله وعفا عنه

ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وستمائة

فيها استوزر الخليفة المستعصم بالله مؤيد الدين آبا طالب محمد بن أحمد بن علي بن محمد الملقى الشوم على نفسه ، وعلى أهل بغداد ، الذي لم يعصم المستعصم في وزارته ، فإنه لم يكن وزير صدق ولا مرضى الطريقة ، فإنه هو الذي أعان على المسلمين في قضية هولاء وجنوده قبيح الله وإياهم ، وقد كان ابن الملقى قبل هذه الوزارة أستاذ دار الخلافة ، فلما مات نصر الدين محمد بن الناقد استوزر ابن الملقى وجعل مكانه في الاستاذارية الشيخ محي الدين يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان من خيار الناس ، وهو واقف الجوزية التي بالنشابين بدمشق تقبل الله منه . وفيها جعل الشيخ شمس الدين علي بن محمد بن الحسين بن النيار مؤدب الخليفة شيخ الشيوخ ببغداد ، وخلع عليه ، ووكّل الخليفة عبد الوهاب ابن المطهر وكالة مطلقة ، وخلع عليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الخوارزمية الذين كان الصالح أيوب صاحب مصر استقدمهم ليستنجد بهم على الصالح إسماعيل أبي الحسن صاحب دمشق ، فنزلوا على غزاة وأرسل إليهم الصالح أيوب الخلع والأموال والأقشعة والمساكر ، فاتفق الصالح إسماعيل والناصر داود صاحب الكرك ، والمنصور صاحب حمص ، مع الفرنج واقتتلوا مع الخوارزمية قتالاً شديداً ، فهزمتهم الخوارزمية كسرة منكزة فظيعة ، هزمت الفرنج بصلبانها وراياتها العالية ، على رؤس أطلاب المسلمين ، وكانت كؤوس الخمر دائرة بين الجيوش فنابت كؤوس

المنون عن كوثس الزرجون ، قتل من الفرنج في يوم واحد زيادة عن ثلاثين ألف ، وأسروا جماعة من ملوكهم وقسوسهم وأساقفتهم ، وخلفاء من أمراء المسلمين ، وبعثوا بالأسارى إلى الصالح أيوب بمصر ، وكان يومئذ يوما مشهودا وأمرأ محموداً ، والله الحمد . وقد قال بعض أسراء المسلمين قد علمت أنا لما وقفنا تحت صليبان الفرنج أنا لا نفلح . وغنمت الخوارزمية من الفرنج ومن كل معهم شيئا كثيرا ، وأرسل الصالح أيوب إلى دمشق ليحاصرهما ، فخدمها الصالح إسماعيل وخرب من حولها رباعا كثيرة ، وكسر جسر باب توما ففسار النهر فتراجع الماء حتى صار بحيرة من باب توما وباب السلامة ، ففرق جميع ما كان بينهما من العمران ، واقتصر كثير من الناس ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ومن توفى فيها من الأعيان الملك المغييث عمر بن الصالح أيوب

كان الصالح إسماعيل قد أسره وسجنه في برج قلعة دمشق ، حين أخذها في غيبة الصالح أيوب . فاجتهد أبوه بكل ممكن في خلاصه فلم يقدر ، وعارضه فيه أمين الدولة غزال المسلماني ، واقف المدرسة الأمينية التي ببلدك ، فلم يزل الشاب محبوساً في القلعة من سنة ثمان وثلاثين إلى ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر من هذه السنة ، فأصبح ميتا في محبسه غما وحزنا ، ويقال إنه قتل فأنه أعلم . وكان من خيار أبناء الملوك ، وأحسنهم شكلا ، وأكملهم عقلا . ودفن عند جده الكامل في تربته شمالي الجامع ، فاشتد حق أبيه الصالح أيوب على صاحب دمشق . ومن توفى فيها شيخ الشيوخ بدمشق :

تاج الدين أبو عبد الله بن عمر بن حمويه

أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين ، له كتاب في ثمان مجلدات ، ذكر فيه أصول ، وله السياسة الملوكية صنفها للكامل محمد وغير ذلك ، وصمم الحديث وحفظ القرآن ، وكان قد بلغ الثمانين ، وقبل إنه لم يبلغها ، وقد سافر إلى بلاد المغرب في سنة ثلاث وتسعين ، واتصل بما راى كش عند ملكها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، فأقام هناك إلى سنة ستائة ، فقدم إلى ديار مصر وولى مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه رحمه الله تعالى .

الوزير نصر الدين أبو الأزر

أحمد بن محمد بن علي بن أحمد الناقد البغدادى وزير المستنصر ثم ابنه المستعصم ، كان من أبناء التجار ، ثم توصل إلى أن وزر لمدين الخليفين ، وكان فاضلا بارعا حافظا للقرآن كثير التلاوة ، نشأ في حشمة باذخة ، ثم كان في وجاهة هائلة ، وقد أقعد في آخر أمره ، وهو مع هذا في غاية الاحترام والاكرام ، وله أشعار حسنة أورد منها ابن الساعى قطعة صالحة ، توفى في هذه السنة وقد جاوز الحسنيين رحمه الله تعالى .

نقيب النقباء خطيب الخطباء

وكيل الخلفاء أبو طالب الحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن معين بن هبة الله بن محمد بن علي

ابن الخليفة المهتدى بالله العباسي ، كان من سادات العباسيين وأئمة المسلمين ، وخطباء المؤمنين ، استمرت أحواله على السداد والصلاح ، لم ينقطع قط عن الخطابة ولم يمرض قط حتى كانت ليلة السبت الثامن والعشرين من هذه السنة ، قام في أثناء الليل لبعض حاجاته فسقط على أم رأسه ، فسقط من فم دم كثير وسكت فلم ينطق كلمة واحدة يومه ذلك إلى الليل ، فمات وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى وعفا عنه بمنه وكرمه .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة

وهي سنة الخوارزمية ، وذلك أن الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر بعث الخوارزمية ومعهم ملكهم بركات خان في محبة معين الدين ابن الشيخ ، فأحاطوا بدمشق يحاصرون عمه الصالح أبا الجيش صاحب دمشق ، وحرق قصر حمص ، وحكر الساق ، وجاءهم جراح خارج باب الصغير ، ومساجد كثيرة ، ونصب المنجنيق عند باب الصغير وعند باب الجابية ، ونصب من داخل البلد منجنيقان أيضاً ، وتراوى الفريقان وأرسل الصالح إسماعيل إلى الأمير معين الدين بن الشيخ بسجادة وعكاز وإبريق وأرسل يقول: اشتغاك بهذا أولى من اشتغاك بمحاصرة الملوك ، فأرسل إليه الممين بزمر وجنك وغلالة حرير أحمر وأصفر ، وأرسل يقول له : أما السجادة فأنها تصلح لي ، وأما أنت فهذا أولى بك . ثم أصبح ابن الشيخ فاشتد الحصار بدمشق ، وأرسل الصالح إسماعيل فأحرق جوسق قصر والده العادل ، وامتد الحريق في زقاق الرمان إلى المقيبة فأحرقت بأسرها ، وقطعت الأنهار وغلت الأسعار ، وأخيفت الطرق وجرى بدمشق أمور بشعة جدا ، لم يتم عليها قط ، وامتد الحصار شهورا من هذه السنة إلى جمادى الأولى ، فأرسل أمين الدولة يطلب من ابن الشيخ شيئا من ملابسه ، فأرسل إليه بفرجية وحمالة وقيص ومنديل ، فلبس ذلك الأمين وخرج إلى معين الدين ، فاجتمع به بعد العشاء طويلا ، ثم عاد ثم خرج مرة أخرى فاتفق الحال على أن يخرج الصالح إسماعيل إلى بعلبك ويسلم دمشق إلى الصالح أيوب ، فاستبشر الناس بذلك وأصبح الصالح إسماعيل خارجا إلى بعلبك ودخل معين الدين ابن الشيخ فنزل في دار أسامة ، فولى وعزل وقطع وصل ، وفوض قضاء القضاة إلى صدر الدين بن سفي الدولة ، وعزل القاضي محي الدين بن الزكي ، واستناب ابن سفي الدولة التتليسي الذي ناب لابن الزكي والفرز السنجاري ، وأرسل معين الدين ابن الشيخ أمين الدولة فزال ابن المسلماني وزير الصالح إسماعيل تحت الحوطة إلى الديار المصرية .

وأما الخوارزمية فانهم لم يكونوا حاضرين وقت الصلح ، فلما علموا بوقوع الصلح غضبوا وساروا نحو داريا قهوبها وساقوا نحو بلاد الشرق ، وكتبوا الصالح إسماعيل لخاله علي الصالح أيوب ، ففرح بذلك ونقض الصلح الذي كان وقع منه ، وطدت الخوارزمية فحاصروا دمشق ، وجاء إليهم الصالح

إسماعيل من بعلبك فضاق الحال على الدماشقة ، فهدمت الأموال وغلت الأسعار جداً ، حتى إنه بلغ ثمن الفرارة ألف وستائة ، وقنطار الدقيق تسعائة ، والخبز كل وقتين إلاربع بدرهم ، و رطل اللحم بسبعة وبيعت الأملاك بالدقيق ، وأكلت القطاط والكلاب والمينيات والجيفات ، وتموت الناس في الطرقات وعجزوا عن التنسيل والتكفين والافبار ، فكانوا يلقون موتاهم في الآبار ، حتى أمتنت المدينة وضجر الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي هذه الأيام توفي الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، شيخ دار الحديث وغيرها من المدارس ، فما أخرج من باب الفرج إلا بعد جهد جهيد ، ودفن بالصوفية رحمه الله

قال ابن السبط : ومع هذا كانت الخور دائرة والفسق ظاهراً ، والمكسوس بحالها وذكر الشيخ شهاب الدين أن الأسعار غلت في هذه السنة جداً ، وهلك الصعاليك بالطرقات ، كانوا يسألون لقمة ثم صاروا يسألون لبابة ثم تنازلوا إلى فاس يشترون به نخالة يبلونها ويأكلونها ، كالدياج : قال : وأنا شاهدت ذلك . وذكر تفاصيل الأسعار وغلاها في الأطعمة وغيرها ، ثم زال هذا كله في آخر السنة بعد عيد الأضحى والله الحمد .

ولما بلغ الصالح أيوب أن الخوارزمية قد ماؤا عليه وصالحوا عمه الصالح إسماعيل ، كاتب الملك المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فاستأله إليه وقوى جانب نائب دمشق معين الدين حسين ابن الشيخ ، ولكنه توفي في رمضان من هذه السنة كما سيأتي في الوفيات . ولما رجع المنصور صاحب حمص عن موالاة الصالح إسماعيل شرع في جمع الجيوش من الحلبيين والتركمان والأعراب لاستنقاذ دمشق من الخوارزمية ، وحصارهم إياها ، فبلغ ذلك الخوارزمية غفوا من غائلة ذلك ، وقالوا دمشق ماتت ، والمصالحة قتاله عند بلده ، فساروا إلى بحيرة حمص ، وأرسل الناصر دواد جيشه إلى الصالح إسماعيل مع الخوارزمية ، وساق جيش دمشق فأنضافوا إلى صاحب حمص ، والتفوا مع الخوارزمية عند بحيرة حمص ، وكان يوماً مشهوداً ، قتل فيه عامة الخوارزمية ، وقتل ملكهم بركات خان ، وجى برأسه على رمح ، ففرق فحملهم وتمزقوا شذر منذر ، وساق المنصور صاحب حمص إلى بعلبك فقلعها الصالح أيوب ، وجاء إلى دمشق فنزل بيستان سامة لخدمة للصالح أيوب ، ثم حدثته نفسه بأخذها فاتفق مرضه ، فمات رحمه الله في السنة الآتية ، ونقل إلى حمص ، فكانت مدة ملكه بعد أبيه عشرين سنين ، وقام من بعده فيها ابنه الملك الأشرف مدة سنتين ، ثم أخذت منه على ماساني وتسلم نواب الصالح أيوب بعلبك وبصرى ، ولم يبق بيد الصالح إسماعيل بلدياوى إليه ولا أهل ولا وقد ولا مال ، بل أخذت جميع أمواله ونقلت عياله تحت الحوطة إلى الديار المصرية ، وسار هو فاستجار بالملك الناصر بن العزيز بن الظاهر غازي صاحب حلب ، فأواه وأكرمه واحترمه ، وقال

الاتابك أوأو الحلبي لابن أستاذ الناصر ، وكان شاباً صغيراً : انظر إلى عاقبة الظلم . وأما الخوارزمية فانهم ساروا إلى ناحية الكرك فأكرمهم الناصر داود صاحبها ، وأحسن إليهم وصاههم وأنزلهم بالصلت فأخذوا معها نابلس ، فأرسل إليهم الصالح أيوب جيشاً مع نغر الدين ابن الشيخ فكسروهم على الصلت وأجلاهم عن تلك البلاد ، وحاصر الناصر بالكرك وأهانته غاية الاهانة ، وقدم الملك الصالح نجم الدين أيوب من الديار المصرية فدخل دمشق في أبهة عظيمة ، وأحسن إلى أهلها ، وتصدق على الفقراء والمساكين ، وسار إلى بعلبك وإلى بصرى وإلى صرخد ، فقتلها من صاحبها عز الدين أبيك المعظمي ، وعوضه عنها ثم عاد إلى مصر مؤيداً منصوراً . وهذا كله في السنة الآتية . وفي هذه السنة كانت وقعة عظيمة بين جيش الخليفة وبين التتار لعنهم الله ، فكسروهم المسلمون كسرة عظيمة وفرقوا شملهم ، وهزموا من بين أيديهم ، فلم يلبثهم ولم يتبعوهم ، خوفاً من غائلة مكرم وعلا بقوله س : « اتركوا الترك ما تركوكم » . وفي هذه السنة ظهر ببلاد خوزستان على شق جبل داخله من الابنية الثرية العجيبة ما يحار فيه الناظر ، وقد قيل إن ذلك من بناء الجن ، وأورد صفته ابن الساعي في تاريخه

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان

الشيخ تقي الدين أبو الصلاح

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الامام العلامة ، مفتي الشام وعندها ، الشهرزوري ثم الدمشقي ، سمع الحديث ببلاد الشرق وتفقه هناك بالموصل وحلب وغيرها ، وكان أبوه مدرساً بالأسدية التي بحلب ، وواقفها أسد الدين شيركوه ابن شاذي ، وقدم هو الشام وهو في عداد الفضلاء الكبار . وأقام بالقدس مدة ودرس بالصلاحية ، ثم تحول منه إلى دمشق ، ودرس بالرواحية ثم بدار الحديث الأشرفية ، وهو أول من وليها من شيوخ الحديث ، وهو الذي صنف كتاب وقفها ، ثم بالشامية الجوانية ، وقد صنف كتباً كثيرة مفيدة في علوم الحديث والفتنة [وله] تاليفات حسنة على الوسيط وغيره من الفوائد التي برحل إليها . وكان ديناً زاهداً وعلماً ناسكاً ، على طريق السلف الصالح ، كما هو طريقة متأخرى أكثر الحديثيين ، مع الفضيلة النامة في فنون كثيرة ، ولم يزل على طريقة جيدة حتى كانت وفاته بمنزله في دار الحديث الأشرفية ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وصلى عليه بجامع دمشق وشيعة الناس إلى داخل باب الفرج ، ولم يمكنهم البروز لظاهره لحصار الخوارزمية ، وما محبسه إلى جبانة الصوفية إلا نحو العشرة رحمه الله وتقدمه برضوانه . وقد أثنى عليه القاضي فخر الدين بن خلكان ، وكان من شيوخه . قال السبط أنشدني الشيخ تقي الدين من لفظه رحمه الله :

أخذ من الواوات أربعة * فمن من الخنوف

واو الوصية والوديعة * والوكالة والوقوف

وحكى ابن خلكان عنه أنه قال : ألهمت في المنام هؤلاء الكلمات : ادفع المسألة ما وجدت التحمل يمكنك فان لكل يوم رزقا جديدا ، والالحاح في الطلب يذهب اليها ، وما أقرب الصنيع من الملهوف ، وربما كان السر نوعا من آداب الله ، والحفظ مراتب فلا تعجل على عمرة قبل أن تدرك فانك ستلتها في أوانها ، ولا تعجل في حوائجك فتضييق بها ذرعا ، ويفشك القنوط .

ابن النجار الحافظ صاحب التار يخ

محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن ابن النجار ، أبو عبد الله البغدادى الحافظ الكبير ، سمع الكثير ورحل شرقا وغربا ، ولد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وشرع في كتابة التاريخ وعمره خمسة عشر سنة ، والقراءات وقرأ بنفسه على المشايخ كثيرا حتى حصل نحو من ثلاثة آلاف شيخ ، من ذلك نحو من أربع مائة امرأة ، وتغرب ثمانيا وعشرين سنة ، ثم جاء إلى بغداد وقد جمع أشياء كثيرة ، من ذلك القبر المنير في المسند الكبير ، يذكر لكل محب ما روى . وكثر الأيام في معرفة السنن والأحكام ، والمختلف والمؤتلف ، والسابق واللاحق ، والمتفق والمترق ، وكتاب الألقاب ، ونهج الاصابة في معرفة الصحابة ، والكافي في أسماء الرجال ، وغير ذلك مما لم يتم أكثره وله كتاب الذيل على تاريخ مدينة السلام ، في ستة عشر مجلدا كاملا ، وله أخبار مكة والمدينة وبيت المقدس ، وغرر الفوائد في خمس مجلدات ، وأشياء كثيرة جدا سردها ابن الساعى في ترجمته ، وذكر أنه لما عاد إلى بغداد عرض عليه الاقامة في المدارس فأبى وقال : متى ما أستغنى به عن ذلك فاشترى جارية وأولدها وأقام برهة ينق مدة على نفسه من كيسه ، ثم احتاج إلى أن نزل محمدا في جماعة المحدثين بالمدرسة المستنصرية حين وضعت ، ثم مرض شهرين وأوصى إلى ابن الساعى في أمر تركته وكانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس من شعبان من هذه السنة ، وله من العمر خمس وسبعون سنة وصلى عليه بالمدرسة النظامية ، وشهد جنازته خلق كثير ، وكان ينادى حول جنازته هذا حافظ حديث رسول الله (ص) ، الذى كان ينفى الكذب عنه . ولم يترك وارثا ، وكانت تركته عشرين ديناراً وثياب بدنه ، وأوصى أن يتصدق بها ، ووقف خزانتي من الكتب بالنظامية تساوى ألف دينار ، فأعطى ذلك الخليفة المستعصم ، وقد أثنى عليه الناس ورووه بمرات كثيرة ، سردها ابن الساعى في آخر ترجمته

الحافظ ضياء الدين المقدسى

ابن الحافظ محمد بن عبد الواحد ^(١) سمع الحديث الكثير وكتب كثيراً وطوف وجمع وصنف

(١) بياض بجميع الأصول .

وألف كتباً مفيدة حسنة كثيرة الفوائد ، من ذلك كتاب الأحكام ولم يتمه ، وكتاب المختارة وفيه علوم حسنة حديثة ، وهي أجود من مستدرک الحاكم لو كمل ، وله فضائل الأعمال وفير ذلك من الكتب الحسنة الدالة على حفظه وإطلاعه وتفصله من علوم الحديث متناً وإسناداً . وكان رحمه الله في غاية العبادة والزهادة والورع والخير ، وقد وقف كتباً كثيرة عظيمة لخزانة المدرسة الضيائية التي وقفها على أصحابهم من المحدثين والفقهاء ، وقد وقفت عليها أوقاف أخرى كثيرة بعد ذلك .

الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي

على بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري ، ثم الدمشقي شيخ القراء بدمشق ، ختم عليه ألوف من الناس ، وكان قد قرأ على الشاطبي وشرح قصيدته ، وله شرح المفصل وله تفاسير وتصانيف كثيرة ، ومدائح في رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت له حلقة بجامع دمشق ، وولي مشيخة القراء بترية أم الصالح ، وبها كان مسكنه وبه توفي ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة ، ودفن بقاسيون . وذكر القاض ابن خلكان أن مولده في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وذكر من شعره قوله :

قالوا غداً نأتي ديار الحمى * وينزل الركب بمنام
وكل من كان مطيعاً لهم * أصبح مسروراً بقلبيهم
قلت في ذنبٍ فما حيلتي * بأي وجه أتلقيهم
قالوا أليس الغفوة من شأنهم * لا سيما عن ترجمهم

ربيعة خاتون بنت أيوب

أخت السلطان صلاح الدين ، زوجها أخوها أولاً بالأمير سعد الدين مسعود بن معين الدين وتزوج هو بأخته عصمة الدين خاتون ، التي كانت زوجة الملك نور الدين واقفة الخاتونية الجوانية ، والخانقاه البرانية ، ثم لما مات الأمير سعد الدين زوجها من الملك مظفر الدين صاحب إربل ، فأقامت عنده إربل أزيد من أربعين سنة حتى مات ، ثم قدمت دمشق فسكنت بدار العتيق حتى كانت وفاتها في هذه السنة وقد تجاوزت الثمانين ، ودفنت بقاسيون ، وكانت في خدمتها الشيخة الصالحة العالمة أمة العفيف بنت الناصح الحنبلي ، وكانت فاضلة ، ولها تصانيف ، وهي التي أرشدتها إلى وقف المدرسة بسفح قاسيون على الحنابلة ، ووقفت أمة العفيف على الحنابلة مدرسة أخرى وهي الآن شرقي الرباط للناصرى ، ثم لما ماتت الخاتون وقمت العالمة بالمصادرات وحسبت مدة ثم أفرج عنها وتزوجها الأشرف صاحب حمص ، وسافرت معه إلى الرحبة وتل راشد ، ثم توفيت في سنة ثلاث وخمسين ، ووجد لها بدمشق ذخائر كثيرة وجواهر ثمينة ، تقارب ستمائة ألف درهم ، غير

الأملاك والأوقاف رحمها الله تعالى .

معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ

وزير الصالح نجم الدين أيوب ، أرسله إلى دمشق لحاصرها مع الخوارزمية أول مرة حتى أخذها من يد الصالح إسماعيل ، وأقام بها نائبا من جهة الصالح أيوب ، ثم مالا الخوارزمية مع الصالح إسماعيل عليه غصروه . بدمشق ، ثم كانت وفاته في العشر الآخر من رمضان هذه السنة ، عن ست وخمسين سنة ، فكانت مدة ولايته بدمشق أربعة أشهر ونصف . وصلى عليه بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين . وفيها كانت وفاة واقف القليجية للحنفية . وهو الأمير :

سيف الدين بن قلع

ودفن بقرية التي بمدرسته المذكورة ، التي كانت سكنه بدار فلوس تقبل الله تعالى منه . وخطيب الجبل شرف الدين عبد الله بن الشيخ أبي عمر رحمه الله . والسير أحمد بن عيسى بن الامام موفق الدين بن قدامة . وفيها توفي إمام الكلاسة الشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أبي جعفر مسند وقته ، وشيخ الحديث في زمانه رواية وصلاها رحمه الله تعالى . والمحدثان الكبيران الحافظان المقيدان شرف الدين أحمد بن الجوهري وتاج الدين عبد الجليل الأبهري .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة

فيها كسر المنصور الخوارزمية عند بحيرة حمص واستقرت يد نواب الصالح أيوب على دمشق وبمليك وبصرى ، ثم في جهادي الآخرة كسر نجر الدين بن الشيخ الخوارزمية على الصلات كسرة فرق بقية فحملهم ، ثم حاصر الناصر بالكرك ورجع عنه إلى دمشق . وقدم الصالح أيوب إلى دمشق في ذي القعدة فأحسن إلى أهلها وتسلم هذه المدن المذكورة ، وانتزع صرخد من يد عز الدين أيوب ، وعوضه عنها ، وأخذ الصلات من الناصر داود بن المعظم وأخذ حصن الصبية من السعيد بن العزيز بن العادل ، وعظم شأنه جدا ، وزار في رجوعه بيت المقدس وتفقد أحواله وأمر بإعادة أسواره أن تعمّر كما كانت في الدولة الناصرية ، ففتح القدس ، وأن يصرف الخراج وما يتحصل من غلات بيت المقدس في ذلك ، وإن عاز شيئا صرفه من عنده . وفيها قدمت الرسل من عند البابا الذي للنصارى تخبر بأنه قد أباح دم الابدور ملك الفرنج لتهوانه في قتال المسلمين ، وأرسل طائفة من عنده ليقتلوه ، فلما انتهوا إليه كان استعدهم وأجلس مملوكا له على السرير فاعتقدوه الملك قتلوه ، فعند ذلك أخذهم الابدور فصلبهم على باب قصره بعد ماذبهم وسلمهم وحشى جلودهم تبنّا ، فلما بلغ ذلك البابا أرسل إليه جيشا كثيفا لقتاله فأوقع الله الخلف بينهم بسبب ذلك ، وله الحمد والمنة .

وفيها هبت رياح عاصفة شديدة بمكة في يوم الثلاثاء من عشر ربيع الآخر ، فألقت ستارة

الكعبة المشرفة ، وكانت قد عتقت ، فانها من سنة أربعين لم تجد لدم الحج في تلك السنين من ناحية الخليفة ، فما سكنت الريح إلا والكعبة غريانة قد زال عنها شعار السواد ، وكان هذا فألا على زوال دولة بني العباس ، ومنذراً بما سيقع بعد هذا من كائنة النار لعنهم الله تعالى . فاستأذن نائب ابن عمر بن سول شيخ الحرم المكي في أن يكسو الكعبة ، فقال لا يكون هذا إلا من مال الخليفة ، ولم يكن عنده مال فافترض ثلثمائة دينار واشترى ثياب قطن وصبغها سواداً وركب عليها طرازاتها العتيقة وكسى بها الكعبة ومكثت الكعبة ليس عليها كسوة إحدى وعشرين ليلة . وفيها افتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد الملقب بدار الوزارة ، وكانت في نهاية الحسن ، ووضع فيها من الكتب النفيسة والنافعة شيء كثير ، وامتدحها الشعراء بآيات وقصائد حسنا وفي أواخر ذي الحجة طهر الخليفة المستنصر بالله ولديه الأميرين أبا العباس أحمد ، وأبا الفضائل عبد الرحمن ، وعملت ولائم فيها كل أفراس ومسرة ، لا يسمع بمثلا من أزمان متطاولة ، وكان ذلك وداعاً لمسرات بغداد وأهلها في ذلك الزمان .

وفيها احتاط الناصر داود صاحب الكرك على الأمير عماد الدين داود بن موسك بن حسكو ، وكان من خيار الأمراء الأجواد ، واصطفى أمواله كلها وسجنه عنده في الكرك ، فشفع فيه فخر الدين ابن الشيخ لما كان محاصره في الكرك فأطلقه ، فخرجت في حلقة جراحة فبطها فمات ودفن عند قبر جعفر والشهداء بمحوته رحمه الله تعالى .

وفيها توفي ملك الخوارزمية قبل بركات خان لما كسرت أصحابه عند بحيرة حمص كما تقدم ذكره
وفيها توفي الملك المنصور

ناصر الدين إبراهيم بن الملك الجهاد أسد الدين شيركوه صاحب حمص بدمشق ، بعد أن سلم بلبك لاصالح أيوب ، ونقل إلى حمص ، وكان نزوله أولاً ببستان سامة ، فلما مرض حمل إلى الدهشة ببستان الأشرف بالنيرب فمات فيه . وفيها توفي .

الصائغ محمد بن حسان

ابن واقع العامري الخطيب ، وكان كثير السماع مسنداً ، وكانت وفاته بقصر حجاج رحمه الله تعالى .
وفيها توفي الفقيه العلامة محمد بن محمود بن عبد المنعم

الرامي الحنبلي وكان فاضلاً ذا فنون ، أثنى عليه أبو شامة . قال : محبته قديماً ولم يترك بعده بدمشق مثله في المناظرة ، وصلى عليه بجامع دمشق ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

والضياء عبد الرحمن الفخاري

المالكي الذي ولي وظائف الشيخ أبي عمرو ابن الحاسب حين خرج من دمشق سنة ثمان

وثلاثين وجلس في حلقة ودرس مكانه بزاوية المالكية والفقيه تاج الدين إسماعيل بن جميل بحلب ، وكان فاضلا دينيا سليم الصدر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة

فيها كان عود السلطان الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل من الشام إلى الديار المصرية ، وزار في طريقه بيت المقدس وفرق في أهله أموالا كثيرة ، وأمر بأعادة سورته كما كان في أيام عم أبيه الملك الناصر فاتح القدس ، ونزل الجيوش لحصار الفرنج ففتحت طبرية في عاشر صفر وفتحت عسقلان في أواخر جمادى الآخرة ، وفي رجب عزل الخطيب عماد الدين داود بن خطيب بيت الأبار عن الخطابة بجامع الأموى ، وتدريس الفزالية ، وولى ذلك القاضي عماد الدين بن عبد الكريم بن الحرساني شيخ دار الحديث بعد ابن الصلاح . وفيها أرسل الصالح أيوب يطلب جماعة من أعيان الدماشقة أتموا إيماءة الصالح إسماعيل ، منهم القاضي محي الدين بن الزكي ، وبنو مصري وابن العماد الكاتب ، والحليمي مملوك الصالح إسماعيل ، والشهاب قازى وإلى مصرى ، فلما وصلوا إلى مصر لم يكن إليهم شئ من العقوبات والاهانة ، بل خلع على بعضهم وتركوا باختيارهم مكرمين .

ومن توفى فيها من الأعيان . الحسين بن الحسين بن علي

ابن حمزة العلوي الحسيفي ، أبو عبد الله الأفساسي النقيب قطب الدين ، أصله من الكوفة وأقام ببغداد ، وولى النقابة ، ثم اعتقل بالكوفة ، وكان فاضلا أديبا شاعرا مطبقا ، وأورد له ابن الساعي أشعارا كثيرة رحمه الله .

الشلوبين النحوي

هو عمر بن محمد بن عبد الله الأزدي ، أبو علي الأندلسي الأشبيلي ، المعروف بالشلوبين . وهو بلغة الأندلسيين الأبيض الأشقر . قال ابن خلدكان : ختم به أئمة النحو ، وكان فيه تغفل ، وذكر له شعرا ومصنفات ، منها شرح الجزولية وكتاب التوطئة . وأرخ وفاته بهذه السنة . وقد جاوز الثمانين رحمه الله تعالى وعفا عنه .

الشيخ علي المعروف بالحريري

أصله من قرية بسر شرقي ذراع ، وأقام بدمشق مدة يعمل صنعة الحرير ، ثم ترك ذلك وأقبل يعمل القيرى على يد الشيخ علي المازنيل ، وأبقوله زاوية على الشرف القبلي ، وهدرت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء ، كالشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم ، فلما كانت الدولة الأشرفية حبس في قلعة عز فامدة سنين ثم أطلقه الصالح إسماعيل واشترط عليه أن لا يقيم بدمشق ، فلزم بلده بسر مدة حتى كانت وفاته في

هذه السنة ، قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في الذيل : وفي رمضان أيضاً توفي الشيخ علي المعروف بالحريري المقيم بقرية بسر في زاويتيه ، وكان يتردد إلى دمشق ، وتبعه طائفة من الفقراء والمعرفون بأصحاب الحريري أصحاب المنافي للشرعية ، وباطنهم شر من ظاهرهم ، إلا من رجع إلى الله منهم ، وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشرعية والتهاون فيها من إظهار شعار أهل الفسوق والمصيان شيء كثير ، وانفسد بسببه جماعة كبيرة من أولاد كبراء دمشق وصاروا على زى أصحابه ، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار ، يجمع مجلسه الغنا الدائم والرقص والمردان ، وترك الانكار على أحد فيما يفعله ، وترك الصلوات وكثرت النغقات ، فأضل خلقا كثيرا وأفسد بها ففيرا ، ولقد أفتى في قتله مرارا جماعة من علماء الشرعية ، ثم أراح الله تعالى منه . هذا لفظه بجر وفه .

واقف العزيزة الأمير عز الدين أبيك

أستاذ دار المعظم ، كان من العقلاء الأجواد الأجماد ، استنابه المعظم علي مرشد وظهرت منه نهضة وكفاية وسداد ، ووقف المزيتين الجوانية والبرانية ، ولما أخذ منه الصالح أيوب مرشد عوضه عنها وأقام بدمشق ثم وشى عليه بأنه يكتب الصالح إسماعيل فاحتيط عليه وعلى أمواله وحواصله فرض وسقط إلى الأرض ، وقال : هذا آخر عهدي . ولم يتكلم حتى مات ودفن بباب النصر بمصر رحمه الله تعالى ، ثم نقل إلى تربته التي فوق الوراق . وإنما أرخ السبط وقاته في سنة سبع وأربعين فآله أعلم .

الشهاب غازي بن العادل

صاحب ميافارقين وخلاط وغيرهما من البلدان ، كان من عقلاء بني أيوب وفضلاتهم ، وأهل الديانة منهم ، وما أنشد قوله :

ومن عجب الأيام أنك جالس * على الأرض في الدنيا وأنت تسير
فسيرك يا هذا كسير سفينة * بقوم جلوس والقولع تغار
ثم دخلت سنة ست وأربعين وسثمائة

فيها قدم السلطان الصالح نجم الدين من الديار المصرية إلى دمشق وجهز الجيوش والجانيق إلى حمص ، لأنه كان صاحبها الملك الأشرف بن موسى بن المنصور بن أسد الدين قد قايض بها إلى تل باشا صاحب حلب الناصر يوسف بن العزيز ، ولما علمت الحلبيون بخروج الدماشقة برزوا أيضاً في جيش عظيم ليجنوا حمص منهم ، واتفق الشيخ نجم الدين البادزاي مدرس النظامية ببغداد في رسالة فأصلح بين الفريقين ، ورد كلاما من الفتنين إلى مستقرها والله الحمد . وفيها قتل مملوك تركي شاب صبي لسيده على دفنه لما أراد به من الفاحشة ، فصلب الغلام مسمرا ، وكان شابا حسنا جدا فتأسف الناس له لكونه صغيرا ومظلوما وحسنا ، ونظموا فيه قصائد ، ومن نظم فيه الشيخ شهاب

الدين أبوشامة في الذليل ، وقد أطال قصته جدا . وفيها سقطت قنطرة رومية قديمة البناء بسوق الدقيق من دمشق ، عند قصر أم حكيم ، فتهدم بسببها شيء كثير من الدور والدكاكين ، وكان سقوطها نهارا . وفي ليلة الأحد الخامس والعشرين من رجب وقع حريق بالمنارة الشرقية فأحرق جميع حشوها ، وكانت سلامها سقالات من خشب ، وهلك للناس ودائع كثيرة كانت فيها ، وسلم الله الجامع وله الحمد . وقدم السلطان بعد أيام إلى دمشق فأمر بإعادتها كما كانت ، قلت : ثم احترقت وسقطت بالكليّة بعد سنة أربعين وسبعمائة وأعيدت عمارتها أحسن مما كانت والله الحمد . وبقيت حينئذ المنارة البيضاء الشرقية بدمشق كما نطق به الحديث في نزول عيسى عليه السلام عليها ، كما سيأتى بيانه وتقريره في موضعه إن شاء الله تعالى . ثم عاد السلطان الصالح أيوب مريضا في محفة إلى الديار المصرية وهو ثقل مدنف ، شغل ما هو فيه عن أمره بقتل أخيه العادل أبي بكر بن الكامل الذي كان صاحب الديار المصرية بعد أبيه ، وقد كان سجنه سنة استحوذ على مصر ، فلما كان في هذه السنة في شوالها أمر بمخنقه فخنق بتربة شمس الدولة ، فمات بعدة إلا إلى النصف من شعبان في العام القابل في أسوأ حال ، وأشد مرض ، فسبحان من له الخلق والأمر .

وفيها كانت وفاة قاضي القضاة بالديار المصرية .

فضل الدين الخونجي

الحكيم المنطقي البارع في ذلك ، وكان مع ذلك جيد السيرة في أحكامه قال أبوشامة : أثنى عليه . غير واحد .

علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن المحرمي

كان شابا فاضلا أديبا شاعرا ماهرا ، صنف كتابا مختصرا وجيزا جامعاً لفنون كثيرة في الرياضة والعقل وذم الهوى ، ومما نتاج الأفكار . قال فيه من الكلام المستفادة الحكمية : السلطان إمام متبوع ، ودين مشروع ، فإن ظلم جارت الحكام لظلمه ، وإن عدل لم يجر أحد في حكمه ، من مكنته الله في أرضه وبلاده واثمنه على خلقه وعباده ، وبسط يده وسلطانه ، ورفع محله ومكانه ، فحقق عليه أن يؤدي الأمانة ، ويخلص الديانة ، ويجعل السريرة ، ويحسن السيرة ، ويجعل العدل دأبه المعمود ، والأجر غرضه المقصود ، فالظلم يزل القدم ، ويزيل النعم ، ويجلب الفقر ، ويهلك الأمم . وقال أيضا : معارضة الطبيب توجب التعذيب ، رب حيلة أنفع من قبيلة ، سمين الغضب مهزول ، وإلى الفدر مهزول ، قلوب الحكماء تستشف الأسرار من لحاش الأَبصار ، أرض من أخيك في ولايته بعشر ما كنت تهمله في مودته ، التواضع من مصائد الشرف ، ما أحسن حسن الظن لولا أن فيه العجز . ما أقيح سوء الظن لولا أن فيه الحزم . وذكر في غصون كلامه أن خادما لعبده الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال : يا سيدي أما لك ذنب تخاف من الله فيه ؟ قال بلى ،

قال بالذى أمهلك لما أمهنتى ، ثم أذنب العبد ثانياً فأراد عقوبته فقال له مثل ذلك فعنا عنه ، ثم أذنب الثالثة فعاقبه وهو لا يتكلم فقال له ابن عمر : مالك لم تقل مثل ما قلت فى الأولتين ؟ فقال : يا سيدى حياء من حلك مع تكرار جرمى . فبكى ابن عمر وقال : أنا أحق بالحياء من ربى ، أنت حر لوجه الله تعالى . ومن شعره يمدح الخليفة .

يا من إذا بخل السحاب بمائمه * هطلت يداً على البرية عسجدا
جورت كسرى يا مبخل حاتم * فعدت بنو الآمال نحوك سجدا
وقد أورد له ابن الساعى أشعاراً كثيرة حسنة رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو عمرو بن الحاجب

المالكي عثمان بن عمر بن أبى بكر بن يونس الروينى ثم المصرى ، العلامة أبو عمرو وشيخ المالكية كان أبوه صاحباً للأمر عز الدين موسك الصلاحى ، واشتغل هو بالعلم فقرأ القراءات وحرر النحو تحريراً بليغاً ، وتفقه وصاد أهل عصره ، ثم كان رأساً فى علوم كثيرة ، منها الأصول والفروع والعربية والتصريف والعروض والتفسير وغير ذلك . وقد كان استوطن دمشق فى سنة سبع عشرة وستائة ، ودرس بها للمالكية بالجامع حتى كان خروجه بصحبة الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى سنة ثمان وثلاثين ، فصار إلى الديار المصرية حتى كانت وفاة الشيخ أبى عمرو فى هذه السنة بالاسكندرية ، ودفن بالمقبرة التى بين المنارة والبلد . قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وكان من أذكى الأئمة قريجة ، وكان ثقة حجة متواضعاً عفيفاً كثير الحياء منصفاً محباً للعلم وأهله ، ناشراً له همتلاً للأذى صبوراً على البلوى ، قدم دمشق مراراً آخرها سنة سبع عشرة ، فأقام بها مدرساً للمالكية وشيخاً للمستفيدين عليه فى علمى القراءات والعربية ، وكان ركناً من أركان الدين فى العلم والعمل ، بارعاً فى العلوم متقناً لمذهب مالك بن أنس . رحمه الله تعالى . وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر أنه جاء إليه فى أداء شهادة حين كان نائباً فى الحكم بمصر وسأله عن مسألة اعترض الشرط على الشرط ، وإذا قال إن أكلت إن شربت فأنت طالق ، لم كان يقع الطلاق حين شربت أولاً ؟ وذكر أنه أجاب عن ذلك فى ثبوت وسكون . قلت ومختصره فى الفقه من أحسن المختصرات ، انظم فيه فوائد ابن شاش ، ومختصره فى أصول الفقه ، استوعب فيه عامة فوائد الأحكام لسيف الدين الآملى ، وقد من الله تعالى على بحفظه وجمعت كرايس فى الكلام على ما أودعه فيه من الأحاديث النبوية ، والله الحمد . وله شرح المفصل والأمالى فى العربية والمقدمة المشهورة فى النحو ، اختصر فيها مفصل الزمخشري وشرحها ، وقد شرحها غيره أيضاً ، وله التصريف وشرحه ، وله عروض على وزن الشاطبية رحمه الله ورضى عنه

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستائة

فيها كانت وفاة الملك الصالح أيوب ، وقتل ابنه تورانشاه وتولية المرعز الدين أيبك التركاني . وفي رابع المحرم يوم الاثنين توجه الملك الصالح من دمشق إلى الديار المصرية في محفة . قاله ابن السبط . وكان قد نادى في دمشق : من له عندنا شيء فليأت ، فاجتمع خلق كثير بالقلمة ، فدفعت إليهم أموالهم وفي حاشر صفر دخل إلى دمشق نائبها الأمير جمال الدين بن يغمور من جهة الصالح أيوب فنزل بدرب الشمارين داخل باب الجابية ، وفي جمادى الآخرة أمر النائب بتخريب الدكاكين المحدثنة وسط باب البريد ، وأمر أن لا يبقى فيها دكان سوى ما في جانبيه إلى جانب الخياطين القبلي والشامي ، وما في الوسط يهدم . قال أبو شامة : وقد كان العادل هدم ذلك ثم أعيد ثم هدمه ابن يغمور ، والمروج استمراره على هذه الصفة . وفيها توجه الناصر داود من الكرك إلى حلب فأرسل الصالح أيوب إلى نائبه بدمشق جمال الدين بن يغمور بخراب دار أسامة المنسوبة إلى الناصر بدمشق ، وبستانه الذي بالقايون ، وهو بستان القصر ، وأن تقام أشجاره ويحرق القصر ، وتسلم الصالح أيوب الكرك من الأجد حسن بن الناصر ، وأخرج من كان بها من بيت المعظم ، واستحوذ على جواهرها وأموالها ، فكان فيها من الذهب ألف ألف دينار ، وأقطع الصالح الأجد هذا إقطاعاً جيداً . وفيها طغى الماء ببغداد حتى أتلغ شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة ، وتمذرت الجمع في أكثر الجوامع بسبب ذلك سوى ثلاث جوامع ، ونقلت تواييت جماعة من الخلفاء إلى التراب من الرصافة خوفاً عليهم من أن تفرق محالهم ، منهم المقتصد بن الأمير أبي أحمد المتوكل ، وذلك بعد دفنه بنيف وخمسين سنة وثلاثمائة سنة ، وكذا نقل ولده المكتنى وكذا المقتنى بن المقتدر بالله رحمهم الله تعالى . وفيها هجمت الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها من الجند والعامة واستحوذ الفرنج على الثغر وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين ، وذلك في ربيع الأول منها ، فنصب السلطان النجم تجاه العدو بجميع الجيش ، وشنق خلقاً ممن هرب من الفرنج ، ولأمهم على ترك المصاهرة قليلاً ليرهبوا عدو الله وعدوم ، وقوى المرض وتزايد بالسلطان جداً ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان توفي إلى رحمة الله تعالى بالمنصورة ، فأخفت جاريته أم خليل المدعوة شجرة الدر موته ، وأظهرت أنه مريض مدنف لا يوصل إليه ، ربيت تعلم عنه بعلامته سواء . وأعلنت إلى أعيان الأمراء فأرسلوا إلى ابنه الملك المعظم تورانشاه وهو بمحسن كينا ، فأقدموه إليهم سريراً ، وذلك بإشارة أكبر الأمراء منهم نغر الدين ابن الشيخ ، فلما قدم عليهم ملكوه عليهم وبايعوه أجمعين ، فركب في عصائب الملك وقاتل الفرنج فكسروهم وقتل منهم ثلاثين ألفاً والله الحمد . وذلك في أول السنة الداخلة . ثم قتلوه بعد شهرين من ملكه ، ضربه بعض الأمراء وهو عز الدين أيبك التركاني ، فضر به في يده فقطع بعض أصابعه فهرب إلى

فصر من خشب في الخيم فحاصروه فيه وأحرقوه عليه ، فخرج من بابه مستجيراً برسول الخليفة فلم يقبلوا منه ، فهرب إلى النيل فأنعم فيه ثم خرج فقتل سريعاً شر قتلة وداسوه بأرجلهم ودفن كالجيفة ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وكان فيمن ضربه البندقداري على كتفه فخرج السيف من تحت إبطه الآخر وهو يستغيث فلا يفتأ .

ومن قتل في هذه السنة فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه

وكان فاضلاً ديناً مهيباً وقوراً خليقاً بالملك ، كانت الأمراء تعظمه جداً ، ولو دعاهم إلى مبايعته بعد الصالح لما اختلف عليه اثنان ، ولكنه كان لا يرى ذلك حماية لجانب بني أيوب ، قتله الداوية من الفرنج شهيداً قبل قدوم المعظم توران شاه إلى مصر ، في ذى القعدة ، ونهبت أمواله وحواسله وخيوله ، وخربت داره ولم يتركوا شيئاً من الأفعال الشنيعة البشعة إلا صنعوه به ، مع أن الذين تعاطوا ذلك من الأمراء كانوا معظمين له غاية التعظيم . ومن شعره :

عصيت هوى نفسى صغيراً فعندما * رمتني اليايى بالمشيب وبالكبر

أطمت الهوى عكس القضية ليقنى * خلقت كبيراً ثم عدت إلى الصغر

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستائة

في ثالث المحرم يوم الأربعاء كان كسر المعظم توران شاه للفرنج على ثغر دمياط ، فقتل منهم ثلاثين ألفاً وقيل مائة ألف ، وغنموا شيئاً كثيراً والله الحمد . ثم قتل جماعة من الأمراء الذين أسروا ، وكان فيمن أسر ملك الفرنسيس وأخوه ، وأرسلت غفارة ملك الأفرنسيس إلى دمشق فلبسها فأتبها في يوم الموكب ، وكانت من سقر لاط نحتها فر وسنجاب ، فأشد في ذلك جماعة من الشعراء فرحاً بما وقع ، ودخل الفقراء كنيسة مريم فأقاموا بها فرحاً لما نصر الله تعالى على النصارى ، وكادوا أن يخرجوها وكانت النصارى يهملبك فرحوا حين أخذت النصارى دمياط ، فلما كانت هذه الكسرة عليهم سخموا وجوه الصوور ، فأرسل نائب البلد فجنهم وأمر اليهود فصفعهم ، ثم لم يخرج شهر المحرم حتى قتل الأمراء ابن أستاذهم توران شاه ، ودفنوه إلى جانب النيل من الناحية الأخرى رحمه الله تعالى ورحم أسلافه بمنه وكرمه .

المعز عز الدين أيبك التركاني يملك مصر بعد بني أيوب

لما قتل الأمراء البحرية وغيرهم من الصالحية ابن أستاذهم المعظم غياث الدين توران شاه بن الصالح أيوب بن السكامل بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب ، وكان ملكه بعد أبيه بشهرين كما تقدم بيانه ، ولما انفصل أمره بالقتل نادوا فيها بينهم لأبأس لأبأس ، واستدعوا من بينهم الأمير عز الدين أيبك التركاني ، فلكره عليهم وبايعوه ولقبوه بالملك المعز ، وركبوا إلى القاهرة ، ثم بعد خمسة أيام أقاموا

لهم صبيبا من بنى أيوب ابن عشر سنين وهو الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر يوسف ابن المسعود إقسييس بن الكامل ، وجعلوا المعز أتابكة فكانت السكة والخطبة بينهما ، وكانوا أمراء الشام بذلك ، فاتم لهم الأمر بالشام ، بل خرج عن أيديهم ولم تستقر لهم المملكة إلا على الديار المصرية ، وكل ذلك عن أمر الخاتون شجرة الدر أم خليل حفصة الصالح أيوب ، فتزوجت بالمعز ، وكانت الخطبة والسكة لها ، يدعى لها على المنابر أيام الجمع بمصر وأعمالها ، وكذا تضرب السكة باسمها أم خليل ، والعلامة على المنشير والتواقيع بخطها واسمها ، مدة ثلاثة أشهر قبل المعز ، ثم آل أمرها إلى ماسند كره من الهوان والقتل .

الناصر بن العزيز بن الظاهر صاحب حلب يملك دمشق

لما وقع بالديار المصرية من قتل الأمراء للمعظم توران شاه بن الصالح أيوب ركب الحلبيون معهم ابن أستاذهم الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف فاتح بيت المقدس ، ومن كان عندهم من ملوك بنى أيوب منهم الصالح إسماعيل بن العادل ، وكان أحق الموجودين بالملك ، من حيث السن والتعدد والحرمة والرياسة ، ومنهم الناصر داود بن المعظم بن العادل ، والأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين شيركوه ، الذي كان صاحب حمص وغيرهم ، فجاءوا إلى دمشق فحاصروها فملكوها سرية ، ونهبت دار ابن بعمور وحبس في القلعة وتسلموا ما حولها كعبلبك وبصرى والصلوات وصرخد ، وامتنعت عليهم الكرك والشوبك بالملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل ، كان قد تغلب عليهما في هذه الفتنة حين قتل المعظم توران شاه ، فطلبه المصريون لملكوه عليهم بخاف مما حل بابي عمه ، فلم يذهب إليهم . ولما استقرت يد الحلبيين على دمشق وما حولها جلس الناصر في القلعة وطيب قلوب الناس ، ثم ركبوا إلى غزة ليقبضوا الديار المصرية ، فبرز إليهم الجيش المصري فاقتتلوا معهم أشد القتال ، فكسر المصريون أولا بحيث إنه خطب للناصر في ذلك بها ، ثم كانت الدائرة على الشاميين فانزمو وأسرروا من أعيانهم خلقا كثيرا ، وعدم من الجيش الصالح إسماعيل رحمه الله تعالى ، وقد أنشد هنا الشيخ أبو شامة لبعضهم :

ضيق إسماعيل أموالنا * وخرب المغنى بلا معنى

وراح من جلق هذا جزاء * من أقر الناس وما استغنى

شيء من ترجمة الصالح إسماعيل واقف توبة الصالح

وقد كان الصالح رحمه الله ملكا عاقلا حازما تنقلب به الأحوال أطوارا كثيرة ، وقد كان الأشرف أوصى له بدمشق من بعده ، فملكها شهورا ثم انتزعها منه أخوه الكامل ، ثم ملكها من يد الصالح أيوب خديعة ومكرا ، فاستمر فيها أزيد من أربع سنين ، ثم استعادها منه الصالح أيوب

عام الخوارزمية سنة ثلاث وأربعين ، واستقرت بيده بلاد بعلبك وبصرى ، ثم أخذنا منه كما ذكرنا ، ولم يبق له بلد يأوى إليه ، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحبها ، فلما كان في هذه السنة ما ذكرنا عدم بالديار المصرية في المعركة فلا يدرى ما فعل به والله تعالى أعلم . وهو واقف التربة والمدرسة ودار الحديث والأفراء بدمشق رحمه الله بكرمه .
وعن توفى في هذه السنة من الأعيان .

الملك المعظم توران شاه بن الصالح أيوب

ابن الكامل ابن العادل ، كان أولا صاحب حصن كيفا في حياة أبيه ، وكان أبوه يستدعيه في أيامه فلا يجيبه ، فلما توفى أبوه كما ذكرنا استدعاه الأمراء فأجابهم وجاء إليهم فلكوه عليهم ، ثم قتلوه كما ذكرنا ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من المحرم ، وقد قيل إنه كان متخفلا يصلح لذلك ، وقد رؤى أبوه في المنام بعد قتل ابنه وهو يقول :

قتلوه شر قتله • صار للعالم مثله
لم براعوا فيه إلا • لا ولا من كان قبلة
ستراهم عن قريب • لا قتل الناس أكلة

فكان كما ذكرنا من اقتتل المصريين والشاميين . وعن عدم فيما بين الصفيين من أعيان الأمراء والمسلمين فنهزم الشمس لؤلؤ مدبر ممالك الحلبيين ، وكان من خيار عباد الله الصالحين الآمرين بالمعروف وعن المنكر ناهين . وفيها كانت وفاة .

الخاتون ارغوانية

الحافظية محبت الحافظية لخدمتها وتربيتها الحافظ ، صاحب قلعة جهمر ، وكانت امرأة عاقلة مدبرة صرحت دهرها ولها أموال جزيلة عظيمة ، وهي التي كانت تصلح الأطمعة للمغيث عمر بن الصالح أيوب ، فصادرها الصالح إسماعيل فأخذ منها أربعمائة صندوق من المال ، وقد وقفت دارها بدمشق على خدامها ، واشترت بستان النجيب ياقوت الذي كان خادم الشيخ تاج الدين الكندي ، وجعلت فيه تربة ومسجدا ، ووقفت فيه عليها أوقافا كثيرة جيدة رحمه الله .

واقف الأمانة التي بعلبك . امين الدولة أبو الحسن غزال المتطبيب

وزير الصالح إسماعيل أبي الجيش الذي كان مشثوما على نفسه ، وعلى سلطانه ، وسبب في زوال النعمة عنه وعن مخدميه ، وهذا هو وزير السوء ، وقد اتهمه السبب بأنه كان مستهترا بالدين ، وأنه لم يكن له في الحقيقة دين ، فأراح الله تعالى منه عامة المسلمين ، وكان قتله في هذه السنة لما عدم الصالح إسماعيل بديار مصر ، عدم من عدم من الأمراء إليه وإلى ابن ينفور فشنقوها وصلبوها على القلعة

بمصر متناوحين . وقد وجد لأمين الدولة غزال هذا من الأموال والنحف والجواهر والأثاث ما يساوي ثلاثة آلاف ألف دينار ، وعشرة آلاف مجلد بخط منسوب وغير ذلك من الخطوط النفيسة الفائقة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها عاد الملك الناصر صاحب حلب إلى دمشق وقدت عساكر المصريين فحسروا على بلاد السواحل إلى حد الشريعة ، فجهز لهم الملك الناصر جيشاً فطردوهم حتى ردوهم إلى الديار المصرية ، وقصرهم عليها ، وتزوجت في هذه السنة أم خليل شجرة الدر بالملك المنصور الدين أيبك التركاني ، بمولوك زوجها الصالح أبوب . وفيها نقل تابوت الصالح أبوب إلى تربته بمدرسته ، ولبدت الأتراك ثياب الغزاة ، وتصدقت أم خليل عنه بأموال جزيلة . وفيها خربت الترك دمياط وقتلوا الأهالي إلى مصر وأخلوا الجزيرة أيضاً خوفاً من عود الفرنج . وفيها كل شرح الكتاب المسمى بتهج البلاغة في عشرين مجلداً مما ألفه عبد الحميد بن داود بن هبة الله بن أبي الحديد المسدائي ، الكاتب للوزير مؤيد الدين بن العلقمي ، فأطلق له الوزير مائة دينار وخلمة وقرسا ، وامتدحه عبد الحميد بقصيدة ، لأنه كان شيعياً معتزلياً . وفي رمضان استدعى الشيخ سراج الدين عمر بن بركة التهر قلى مدرس النظامية ببغداد فولى قضاء القضاة ببغداد مع التدريس المذكور ، وخلع عليه . وفي شعبان ولى تاج الدين عبد الكريم بن الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي حاسبة ببغداد بعد أخيه عبد الله الذي تركها ترهداً عنها ، وخلع عليه بطرحة ، ووضع على رأسه غاشية ، وركب الحجاب في خدمته . وفي هذه السنة صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر ، وهذا اتفاق غريب . وفيها وصل إلى الخليفة كتاب من صاحب اليمن صلاح الدين بن يوسف بن عمر بن رسول يذكر فيه أن رجلاً باليمن خرج فادعى الخلافة ، وأنه أنفذ إليه جيشاً فكسروه وقتلوا خلقاً من أصحابه وأخذ منهم صنعا وهرب هو بنفسه في شرذمة ممن بقى من أصحابه . وفيها أرسل الخليفة إليه بالخلع والتقليد وفيها كانت وفاة . بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة المحميري

خطيب القاهرة ، رحل في صفره إلى العراق فسمع بها وفيرها ، وكان فاضلاً قد أتمن معرفة منذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وكان ديناً حسن الأخلاق واسع الصدر كثير البر ، قل أن يقدم عليه أحد إلا أطعمه شيئاً ، وقد سمع الكثير على السلفي وغيره ، وأسمع الناس شيئاً كثيراً من مروياته ، وكانت وفاته في ذى الحجة من هذه السنة ، وله تسعون سنة ، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

ومن توفى فيها القاضي أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام

ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم المعاني الحنفي من بيت السلم والقضاء ، درس بمشهد أبي حنيفة وثاب عن قاضي القضاة ابن فضال الشافعي ، ثم عن قاضي القضاة أبي صالح نصر بن

عبدالرزاق الحنبلي ، ثم عن قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل الواسطي ، ثم بعد وفاته في سنة ثلاث وثلاثين استقل القاضي عبد الرحمن المعاني بولاية الحكم ببغداد ، ولقب أقضى القضاة ، ولم يخاطب بقاضي القضاة ، ودرس للحنفية بالمستنصرية في سنة خمس وثلاثين ، وكان مشكور السيرة في أحكامه ونقضه وإبرامه . ولما توفي تولى بعده قضاء القضاة ببغداد شيخ النظامية سراج الدين النهر قلى رحهما الله تعالى ونجاوز عنهما عنه وكرمه آمين .

ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية

فيها وصلت التتار إلى الجزيرة وسروج ورأس العين وما إلى هذه البلاد ، فقتلوا وسبوا ونهبوا وخرّبوا فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعوا بسنجار يسرون بين حران ورأس العين ، فأخذوا منهم ستائة حمل سكر ومعمول من الديار المصرية ، وستائة ألف دينار ، وكان عدة من قتلوا في هذه السنة من أهل الجزيرة نحواً من عشرة آلاف قتيل ، وأسروا من الولدان والنساء ما يقارب ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . قال السبط : وفيها حج الناس من بغداد ، وكان لهم عشر سنين لم يحجوا من زمن المستنصر . وفيها وقع حريق بحلب احترق بسببه ستائة دار ، ويقال إن الفرنج لعنهم الله ألغوه فيه قصدا . وفيها أعاد قاضي القضاة عمر بن علي النهر قلى أمر المدرسة الناجية التي كان قد استحوذ عليها طائفة من العوام ، وجعلوها كالقيصرية يتعاون فيها مدة طويلة ، وهي مدرسة جيدة حسنة قريبة الشبه من النظامية ، وقد كان بانها يقال له تاج الملك ، وزير ملك شاه السلجوقي ، وأول من درس بها الشيخ أبو بكر الشاشي .

وفيها كانت وفاة جمال الدين بن مطروح

وقد كان فاضلاً رئيساً كيساً شاعراً من كبار المتعممين ، ثم استقنابه الملك الصالح أيوب في وقت على دمشق فلبس لبس الجنند . قال السبط : وكان لا يليق في ذلك . ومن شعره في الناصر داود صاحب الكرك لما استعاد القدس من الفرنج حين سلمت إليهم في سنة ست وثلاثين في الدولة الكاملية فقال هذا الشاعر ، وهو ابن مطروح رحمه الله :

المسجد الأقصى له عادة * سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا للكفر مستوطناً * أن يبعث الله له فاصراً
فناصر طهره أولاً * وناصر طهره آخراً

ولما عزله الصالح من النيابة أقام خاملاً وكان كثير البر بالفقراء والمساكين ، وكانت وفاته بمصر وفيها توفي . شمس الدين محمد بن سعد الملقبي

الكاتب الحسن الخط ، كان كثير الأدب ، وسمع الحديث كثيراً ، وخدم السلطان الصالح

إسماعيل والناصر داود ، وكان دينا فاضلا شاعرا له قصيدة ينصح فيها السلطان الصالح إسماعيل وما يلقاه الناس من وزيره وقاضيه وغيرهما ، من حواشيه .

ومن توفي فيها من الأعيان . عبد العزيز بن علي

ابن عبد الجبار المغربي ، أبوه ولد ببغداد ، وسمع بها الحديث ، وهوى بطلب العلم وصنف كتابا في مجلدات على حروف المعجم في الحديث ، وحرر فيه حكاية منهج الامام مالك رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو عبد الله محمد بن غانم بن كريم

الأصبهاني ، قدم ببغداد وكان شابا فاضلا ، فتنفذ للشيخ شهاب الدين السهروردي ، وكان حسن الطريقة ، له يد في التفسير ، وله تفسير على طريقة التصوف ، وفيه لطافة ، ومن كلامه في الوعظ : العالم كالقذرة في فضاء عظمته ، والقدرة كالعلم في كتاب حكمته ، الأصول فروع إذا تجلى جمال أوليته ، والفروع أصول إذا طلعت من مغرب نفى الوسائط شمس أخريته ، أستاذ الأئمة مسدولة ، وشموع الكواكب مشعولة ، وأعين الرقباء عن المشتاقين مشغولة ، وحجاب الحجب عن أبواب الوصل ممزولة ما هذه الوقمة والحبيب قد فتح الباب ؟ ما هذه الفترة والمولى قد خرق حاجب الحجاب ؟

وقوف بأكناف المقيت عقوق • إذا لم أورد والدمع فيه عقيق
وإذا لم أمت شوقا إلى ساكن الحى • فما أنا فيما أدعيه صدوق
أياربع ليلى ما المحبون في الهوى • سواء ، ولا كل الشراب رحيق
ولا كل من تلقاه يلقاك قلبه • ولا كل من يحنو إليك مشوق
تكاثر الدعوى على الحب فاستوى • أسير صبايات الهوى وطليق

أيها الأمنون ، هل فيكم من يصعد إلى السماء ؟ أيها المحبوسون في مطامير مسمياتهم ، هل فيكم سليم في الفهم يفهم رموز الوحوش والأطياف ؟ هل فيكم موسوى الشوق يقول بلسان شوقه أرى أنظر إليك ، قد طال الانتظار ؟ ولما استسقى الناس قال بعد الاستسقاء : لما صعدت إلى الله عز وجل نفس المشتاق بكت آماق الآفاق ، وجادت بالدم مرصعة السحاب ، وامتنص لبن الرحمة رضيع التراب وخرج من أخلاف النعام نطاف الماء النخير ، فاهتزت به الهامدة ، وقرت عيون المسر ، وتزيغت الرياض بالسندس الأخضر ، غبر الصبغ حبرها أحسن تحبير ، وانفلق بأثمة الصبا أكمام الأنوار ، وانشتت بنفحات أفنائه جيوب الأزهار ، ونطقت أجزاء الكائنات بلغات صفاتها ، وعادات حبرها : أيها النائمون تيقظوا ، أيها المبهمون تعرضوا [فأنظر إلى آثار رحمة الله كيف يعي الأرض بعد موتها إن ذلك لحيى المولى إنه على كل شئ قدير] .

أبو الفتح نصر الله بن هبة الله

ابن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن صائقة الغفاري الكنتاني المصري ثم اللهشي
كان من أخصاء الملك المعظم ، وولده الناصر داود ، وقد سافر معه إلى بغداد في سنة ثلاث وثلاثين
وسمائه ، وكان أديبا مليح المحاضرة زجه الله تعالى . ومن شعره قوله :

ولما أبيتُ سادتي عن زيارتي * وعوضتموني بالبعدِ عن القربِ
ولم تسمحوا بالوصلِ في حالِ يقظتي * ولم يصطبرَ عنكم لوقتِ قلبي
نصبتُ لصيدِ الطيفِ جفني حباله * فأدركتُ خفضَ العيشِ بالنومِ والنصبِ

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستائة

فيها دخل الشيخ نجم الدين البادرائي رسول الخليفة بين صاحب مصر وصاحب الشام ، وأصلح
بين الجيشين ، وكانوا قد اشتد الحرب بينهم ونشبت ، وقد مالاً الجيش المصري الفرنج وعدم
أن يسلموا إليهم بيت المقدس إن نصرهم على الشاميين ، وجرت خطوب كثيرة ، فأصلح بينهم
وخلص جماعة من بيوت الملوك من الديار المصرية ، منهم أولاد الصالح إسماعيل ، ونبت الأشرف
وفيرم من أولاد صاحب حمص وفيرم ، جزاء الله خيرا . وفيها فيما ذكر ابن الساعي كان رجل
ببغداد على رأسه زبادى قابض فزاق فتكسرت وقف يبكي ، فتألم الناس له لفقره وحاجته ، وأنه لم
يكن يملك غيرها ، فأعطاه رجل من الحاضرين دينارا ، فلما أخذه نظر فيه طويلا ثم قال : والله هذا
الدينار أفرقه ، وقد ذهب مني في جملة دنانير عام أول ، فشتت بهض الحاضرين فقال له ذلك الرجل :
فما علامة ما قلت ؟ قال زنة هذا كذا وكذا ، وكان معه ثلاثة وعشرون دينارا ، فوزنوه فوجدوه كما
ذكر ، فأخرج له الرجل ثلاثة وعشرين دينارا ، وكان قد وجدها كما قال حين سقطت منه ، فتعجب
الناس لذلك . قال : ويقرب من هذا أن رجلا بمكة نزع ثيابه ليغتسل من ماء زمزم وأخرج من
عضده دملجا زنته خمسون مثقالا فوضعه مع ثيابه ، فلما فرغ من اغتساله لبس ثيابه ونسى الدملج
ومضى ، وصار إلى بغداد وبقى مدة سنتين بعد ذلك وأيس منه ، ولم يبق معه شيء إلا يسير فاشترى
به زجاجا وقوارير ليبيعه ويتكسب بها ، فبينما هو يطوف بها إذ زلق فسقطت القوارير فتكسرت
فوقف يبكي واجتمع الناس عليه يتألمون له ، فقال في جملة كلامه والله يا جماعة لقد ذهب مني من مدة
سنتين دملج من ذهب زنته خمسون دينارا ، ما باليت لفقدته كما باليت لتكسير هذه القوارير ، وما
ذاك إلا لأن هذه كانت جميع ما أملك ، فقال له رجل من الجماعة : فأنا والله لقيت ذلك الدملج ،
وأخرجه من عضده فتهجيب الناس والحاضرون . والله أعلم بالصواب .

ومن توفي فيها من الأعيان ^(١).

ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وستمائة

قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان : فيها وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى بأن نارا ظهرت في أرض عدن في بعض جبالها بحيث إنه يطير شررها إلى البحر في الليل ، ويصعد منها دخان عظيم في أثناء النهار ، فما شكوا أنها النار التي ذكر النبي (ص) أنها تظهر في آخر الزمان ، فتاب الناس وأقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد ، وشرعوا في أفعال الخير والصدقات . وفيها قدم الفارس أقطاي من الصعيد ونهب أموال المسلمين وأسر بعضهم ، ومعه جماعة من البحرية المفسدين في الأرض ، وقد بنوا وطمخوا وتجبروا ، ولا يلتفتون إلى الملك المعز أيبك التركاني ، ولا إلى زوجته شجرة الدر . فشاور المعز زوجته شجرة الدر في قتل أقطاي ، فأذنت له ، فعمل عليه حتى قتله في هذه السنة بالقلعة المنصورة بمصر ، واستراح المسلمون من شره . وفيها درس الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمدرسة الصالح أيوب بين القصرين . وفيها قدمت بنت ملاك الروم في تيجل عظيم وإقامات هائلة إلى دمشق زوجة لصاحبها الناصر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر ، وجرت أوقات حافلة بدمشق بسببها .

ومن توفي فيها من المشاهير عبد الحميد بن عيسى

الشيخ شمس الدين بن الخسر وشاهي ، أحد مشاهير المتكلمين ، ومن اشتغل على الفخر الرازي في الأصول وغيرها ، ثم قدم الشام فلزم الملك الناصر داود بن المعظم وحظي عنده . قال أبو شامة : وكان شيخا مهييأ فاضلا متواضعا حسن الظاهر رحمه الله تعالى . قال السبط : وكان متواضعا كيسا محضرا خيرا ، لم ينقل عنه أنه آذى أحدا فان قدر على نفع وإلا سكت ، توفي بدمشق ودفن بقاسيون على باب تربة الملك المعظم رحمه الله تعالى .

الشيخ مجد الدين بن تيمية صاحب الاحكام [عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ابن محمد بن علي بن تيمية الحارثي الحنبلي ، جد الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، ولد في حدود سنة تسعين وخمسمائة وتفتحه في صغره على عمه الخطيب نحر الدين ، وسمع الكثير ورحل إلى البلاد وبرع في الحديث والفقه وغيره ، ودرس وأفتى وانتفع به الطلبة ومات يوم الفطر بمران] ^(٢) .

(١) بياض بجميع الأصول وقال الذهبي . وفيها توفي أبو البقاء صالح بن شجاع بن محمد بن سيدم المدلبلي الخياط في الحرم . وسبط السلفي أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحرم المسكي بن عبد الرحمن الطرابلسي الاسكندراني في شوال عن إحدى وثمانين سنة . وأبو محمد بن جيل البندنجي البواب : آخر من روى عن عبد الحق اليوسفي .

(٢) بياض بأصل التركية والمصرية . وكلت الترجمة من النجوم الزاهرة .

الشيخ كمال الدين بن طلحة

الذي ولي الخطابة بدمشق بعد الفولمي ، ثم عزل وصار إلى الجزيرة فولى قضاء نصيبين ، ثم صار إلى حلب فتوفى بها في هذه السنة . قال أبو شامة : وكان فاضلاً عالماً طلب أن يلى الوزارة فامتنع من ذلك ، وكان هذا من التأييد رحمه الله تعالى .

السيد بن علان

آخر من روى عن الحافظ ابن عساكر سماعاً بدمشق .

الناصح فرج بن عبد الله الحبشي

كان كثير السماع مسنداً خيراً صالحاً مواظباً على سماع الحديث وإسماعه إلى أن مات بدار الحديث النورية بدمشق رحمه الله .

النصرة بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب

توفى بحلب في هذه السنة . وآخرون رحمهم الله أجمعين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستائة

قال السبط فيها عاد الناصر داود من الأنبار إلى دمشق ، ثم عاد وحج من العراق وأصلح بين العراقيين ، وأهل مكة ، ثم عاد معهم إلى الحلة . قال أبو شامة : وفيها في ليلة الاثنين ثامن عشر صفر توفى بحلب الشيخ الفقيه .

ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم

وكان فاضلاً دينياً ، ومن شمره قوله رحمه الله تعالى .

من ادعى أن له حالة • فتخرج من منهج الشرع

فلا تكون له صاحباً • فانه ضرب بلا نفع

وهو واقف القوصية . أبو العز^(١) إسماعيل بن حامد

ابن عبد الرحمن الأنصاري القوصي ، واقف داره بالقرب من الرحبة على أهل الحديث وبها قبره ، وكان مدرساً بمحلة جمال الاسلام تجاه البدارية^(٢) ، عرفت به ، وكان ظريفاً مطبوعاً حسن الحاضرة ، وقد جمع له مجماً حكى فيه عن مشايخه أشياء كثيرة مفيدة . قال أبو شامة : وقد طالته بخطه فرأيت فيه أغاليط وأوهاما في أسماء الرجال وغيرها ، فمن ذلك أنه انتسب إلى سعد بن عبادة ابن دلم فقال سعد بن عبادة بن الصامت وهذا غلط ، وقال في شدة خرقه التصوف فنلط ومحف حياً أبا محمد حسيناً . قال أبو شامة : رأيت ذلك بخطه ، توفى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول من

(١) في « نسخة أبو المزم » (٢) في « نسخة البرادة »

هذه السنة رحمه الله . وقد توفي الشريف المرتضى نقيب الأشراف بمجلب ، وكانت وفاته بها ، رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستائة

فيها كان ظهور النار من أرض الحجاز التي أضاعت لها أعناق الأبل ببصرى ، كما نطق بذلك الحديث المتفق عليه ، وقد بسط القول في ذلك الشيخ الإمام العلامة الحافظ شهاب الدين أبو شامة المقدسى في كتابه الدليل وشرحه ، واستحضره من كتب كثيرة وردت متواترة إلى دمشق من الحجاز بصفة أمر هذه النار التي شوهدت معاناة ، وكيفية خروجها وأمرها ، وهذا محرر في كتاب : دلائل النبوة من السيرة النبوية ، في أوائل هذا الكتاب ولله الحمد والمنة . وملخص ما أورده أبو شامة أنه قال : وجاء إلى دمشق كتب من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، بخروج نار عندهم في خامس جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكتبت الكتب في خامس رجب ، والنار بجعلها ، ووصلت الكتب إلينا في عاشر شعبان ثم قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، ورد إلى مدينة دمشق في أوائل شعبان من سنة أربع وخمسين وستائة كتب من مدينة رسول الله (س) ، فيها شرح أمر عظيم حدث بها فيه تصديق لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة . قال قال رسول الله (س) : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الأبل ببصرى » فأخبرني من أثق به ممن شاهدها أنه بلغه أنه كتب بقاء على ضوءها الكتب . قال وكنا في بيوتنا تلك الليالي ، وكان في دار كل واحد مناسراج ، ولم يكن لها حر ولفع على عظمتها ، إنما كانت آية من آيات الله عز وجل . قال أبو شامة : وهذه صورة ما وقعت عليه من الكتب الواردة فيها .

« لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة ظهر بالمدينة النبوية دوى عظيم ، ثم زلزلة عظيمة رجفت منها الأرض والحيطان والسقوف والأخشاب والأبواب ، ساعة بعد ساعة إلى يوم الجمعة الخامس من الشهر المذكور ، ثم ظهرت نار عظيمة في الحرة قريبة من قريظة نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وهي نار عظيمة إشعالها أكثر من ثلاث منارات ، وقد سالت أودية بالنار إلى وادي شظامسيل الماء ، وقد مدت مسيل شظا وما عاد يسيل ، والله لقد طلعتنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسيل نيرانا ، وقد سعت الحرة طريق الحاج العراقي ، فسارت إلى أن وصلت إلى الحرة فوقفت بعد ما أشققتنا أن نجى إلينا ، ورجعت تسيل في الشرق نخرج من وسطها سهود وجبال نيران تأكل الحجارة ، فيها أنموذج عما أخبر الله تعالى في كتابه [إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر] وقد أكلت الأرض ، وقد كتبت هذا الكتاب يوم خامس رجب سنة أربع وخمسين وستائة والنار في زيادة ما تغيرت ، وقد عدلت إلى الحرار في قريظة طريق

غير الحاج الدراقى إلى الحرة كلها نيران تشتعل بنصرها في الليل من المدينة كأنها مشاعل الحاج .
وأما أم النار الكبيرة فهي جبال نيران حمر ، والأم الكبيرة التي سالت النيران منها من عند
قريظة ، وقد زادت وما عاد الناس يدرون أى شيء يتم بعد ذلك ، والله يجعل العاقبة إلى خير ،
فما أفند أصف هذه النار .

قال أبو شامة : « وفي كتاب آخر نظهر في أول جمعة من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة
ووقع في شرق المدينة الشرفة نار عظيمة بينها وبين المدينة نصف يوم : انفجرت من الأرض
وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد ، ثم وقفت وعادت إلى الساعة ، ولا ندرى ماذا فعلت ،
ووقت ما ظهرت دخل أهل المدينة إلى نبهم عليه الصلاة والسلام مستغفرين تائبين إلى ربهم
تعالى ، وهذه دلائل القيلة » .

قال « وفي كتاب آخر : لما كان يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة ، سنة أربع وخمسين وستائة
وقع بالمدينة صوت يشبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة ، أقام على هذه الحالة يومين ، فلما كانت ليلة
الأربعاء ثالث الشهر المذكور تعقب الصوت الذي كنا نسمعه زلازل ، فلما كان يوم الجمعة خامس
الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة يكون قدرها مثل مسجد رسول الله (س) ، وهي برأى
العين من المدينة ، نشاهدها وهي ترى بشر كالقصر ، كما قال الله تعالى ، وهي بموضع يقال له أجيلين^(١)
وقد سأل من هذه النار واد يكون مقداره أربع فراسخ ، وعرضه أربعة أميال ، وعمقه قامة
ونصف ، وهي تجري على وجه الأرض ويخرج منها أمها دوجبال صفار ، وتسير على وجه الأرض
وهو صغر بنوب حتى يبق مثل الآفك . فإذا جد صار أسود ، وقبل الجود لونه أحمر ، وقد حصل
بسبب هذه النار إقلاخ من المعاصي ، والتقرب إلى الله تعالى بالطاعات ، وخرج أمير المدينة عن
مظالم كثيرة إلى أهلها » .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة ، « ومن كتاب فحس الدين بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة
الحسيني قاضى المدينة إلى بعض أصحابه : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث
بالمدينة بالثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها ، وبانت باق تلك الليلة تزلزل كل يوم
وليلة قدر عشر توها ، والله لقد زلزلت مرة ونحن حول حجرة رسول الله (س) ، اضطرب لها المنبر
إلى أن أوجسنا منه [إذ سمعنا] صوتاً للحديد الذى فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، وتمت
الزلزلة إلى يوم الجمعة فمضى ، ولما دوى مثل دوى الرعد القاصف ، ثم طلع يوم الجمعة في طريق الحرة
(١) « في النسخة المصرية الراجلين » وفي النجوم الزهرة « أجيلين » وبها مشه : في تاريخ
مكة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة « أجيلين » .

في رأس أجيلين ناز عظيمة مثل المدينة العظيمة ، وما بان لنا إلا ليلة السبت وأشفقنا منها وخفنا خوفا عظيما ، وطلعت إلى الأمير كلمته وقلت له : قد أحاط بنا المذاب ، ارجع إلى الله تعالى ، فأعق كل ممالكهم ورد على جماعة أموالهم ، فلما فعل ذلك قلت أبط الساعة معنا إلى النبي (س) ، فهبط وبقنا ليلة السبت والناس جميعهم والنسوان وأولادهم ، وما بقى أحد لا في النخيل ولا في المدينة إلا عند النبي (س) ، ثم سال منها نهر من ناز ، وأخذ في وادي أجيلين وسد الطريق ثم طلع إلى بحيرة الحاج وهو بحر ناز يجري ، وفوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادي وادي الشفا ، وما عاد يجي في الوادي سيل قط لأنها حضرته نحو ثمانين وثلاث علوها ، والله يا أخي إن عيشتنا اليوم مكيدة والمدينة قد قاب جميع أهلها ، ولا بقى يسمع فيها رباب ولا دف ولا شرب ، وتمت النار تسيل إلى أن سدت بعض طريق الحاج وبعض بحيرة الحاج ، وجاء في الوادي إلينا منها يسير^(١) وخفنا أنه يبيئنا فاجتمع الناس ودخلوا على النبي (س) ، وناووا عنده جميعهم ليلة الجمعة ، وأما قتيورها الذي مما يلينا فقد طفى بقدره الله وأنها إلى الساعة وما قصت إلا ترى مثل الجبال حجارة ولها دوى ما يدعنا نرقد ولا نأكل ولا نشرب ، وما أقدر أصف لك عظمها ولا ما فيها من الأحوال ، وأبصرها أهل ينبع وندبوا قاضيهم ابن أسعد وجاء وعدا إليها ، وما صبح يقدر يصفها من عظمها ، وكتب الكتاب يوم خامس رجب ، وهي على حالها ، والناس منها خائفون ، والشمس والقمر من يوم ما طلعت ما لمطمان إلا كاسفين ، ففسأل الله العافية .

قال أبو شامة : وبان عندنا بدمشق أثر الكسوف من ضعف نورها على الحيطان ، وكنا حيارى من ذلك إيش هو ؟ إلى أن جاءنا هذا الخبر عن هذه النار .

قلت : وكان أبو شامة قد أرخ قبل مجيء الكتب بأمر هذه النار ، فقال : وفيها في ليلة الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أول الليل ، وكان شديد الحرارة ثم انفجى ، وكسفت الشمس ، وفي غده اجمرت وقت طلوعها وغروبها وبقيت كذلك أياما متغيرة اللون ضعيفة النور ، والله على كل شيء قدير ، ثم قال : واتضح بذلك ما صورته الشافعي من اجتماع الكسوف والعيبد ، واستعبده أهل النجاة .

ثم قال أبو شامة : «ومن كتاب آخر من بعض بني الفاشاني بالمدينة يقول فيه : وصال إلينا في جمادى الآخرة فجاجة من العراق وآخرها عن بغداد أنه أصابها غرق عظيم حتى طفح الماء من أعلى أسوار بغداد إليها ، وغرق كثير منها ، ودخل الماء دار الخلافة وسط البلد ، وأنه سدت دار الوزير وثلاثمائة وثمانون دارا ، وأنهدم مخزن الخليفة ، وهلك من خزانة السلاح شيء كثير ، وأشرف الناس

على الهلاك وعادت السفن تدخل إلى وسط البلدة ، وتخترق أزقة بغداد . قال وأما نحن فانه جرى
عندنا أمر عظيم : لما كان بتاريخ ليلة الأربعاء الثالث من جمادى الآخرة ومن قبلها بيومين ، عاد
الناس يسمعون صوتاً مثل صوت الرعد ، فانزعج لما الناس كلهم ، وانقبهوا من مراقبهم وضع الناس
بالاستغفار إلى الله تعالى ، وفزعوا إلى المسجد وصلوا فيه ، وتمت ترجف بالناس ساعة بعد ساعة إلى
الصبح ، وذلك اليوم كله يوم الأربعاء وليلة الخميس كلها وليلة الجمعة ، وصبح يوم الجمعة ارجفت
الأرض رجة قوية إلى أن اضطرب منار المسجد بمضه ببعض ، وسمع لسقف المسجد صرير عظيم ،
وأشفق الناس من ذنوبهم ، وسكنت الزلزلة بعد صبح يوم الجمعة إلى قبل الظهر ، ثم ظهرت عندنا
بالحرة وراء قريفة على طريق السوارقية بالمقاعد مسيرة من الصبح إلى الظهر نار عظيمة تنفجر من
الأرض ، فارتفع لها الناس روعة عظيمة ، ثم ظهر لها دخان عظيم في السماء ينمقد حتى يبقى كالسحاب
الأيض ، فيصل إلى قبل مغيب الشمس من يوم الجمعة ، ثم ظهرت النار لها ألسن تصعد في الهواء
إلى السماء حمراء كأنها القلعة ، وعظمت وفزع الناس إلى المسجد النبوي وإلى الحجرة الشريفة ،
واستجار الناس بها وأحاطوا بالحجرة وكشفوا رؤسهم وأقروا بذنوبهم وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا
بنييه عليه الصلاة والسلام ، وأتى الناس إلى المسجد من كل فج ومن النخل ، وخرج النساء من البيوت
والصبيان ، واجتمعوا كلهم وأخلصوا إلى الله ، وفطت حرة النار السماء كلها حتى بقي الناس في مثل ضوء
القمر ، وبقيت السماء كالعلقة ، وأيقن الناس بالهلاك أو العذاب ، وبات الناس تلك الليلة بين مصل
وقال للقرآن وراكم وساجد ، وداع إلى الله عز وجل ، ومننصل من ذنوبه ومستغفر وتائب ، ولزمت
النار مكانها وتناقص تضاعفها ذلك ولهيها ، وصعد الفقيه والقاضي إلى الأمير يعظونه ، فطرح المكس
وأعق مماليكه كلهم وعبيده ، ورد علينا كل ما لنا تحت يده ، وعلى غيرنا ، وبقيت تلك النار على
حالتها تلهب التها ، وهي كالجبل العظيم [ارتفاعا و] كالمدينة عرضا ، يخرج منها حمى يصعد في
السماء ويهوى فيها ويخرج منها كالجبل العظيم نار ترمى كالرعد . وبقيت كذلك أياما ثم سالت سيلاناً
إلى وادي أجلين تنحدر مع الوادي إلى الشظا ، حتى لحق سيلانها بالبحرة ببحرة الحاج ، والحجارة
معهما تتحرك وتسير حتى كادت تقارب حرة العريض ، ثم سكنت ووقفت أياماً ، ثم عادت ترمى
ببحارة خلفها وأمامها ، حتى بنت لها جبلين وما بقي يخرج منها من بين الجبلين لسان لها أياماً ، ثم
إنها عظمت وساءها إلى الآن ، وهي تنمقد كأعظم ما يكون ، ولها كل يوم صوت عظيم في آخر الليل
إلى ضحوة ، ولها عجائب ما أقدر أن أشرحها لك على السكال ، وإنما هذا طرف يكفى . والشمس والقمر
كأنهما منكسفان إلى الآن . وكتب هذا الكتاب ولها شهر وهي في مكانها ما تتقدم ولا تتأخر .
وقد قال فيها بعضهم أبياتاً :

يا كاشف الضرر صنمًا عن جرائنا * لقد أحاطت بنا يارب بأساء
 نشكو إليك خطوبًا لا نطيق لها * حملًا ونحن بها حقًا أحماء
 زلازل تمشع العمم الصلاب لها * وكيف يقوى على الزلزال شياء
 أقام سبعا برج الأرض فانصدعت * عن منظر منه عين الشمس عشواء
 يجر من النار تجرى فوقه سفن * من المضارب لها في الأرض أرساء
 كأنما فوقه الأجيال طافية * موج عليه لفرط البهيج وعشاء
 ترمى لها شررًا كالقصر طائشة * كأنها دجئة تنصب هطلاء
 تنشق منها قلوب الصخر إن زفرت * رعبًا وترعد مثل السقف أضواء
 منها تكاثف في الجو الدخان إلى * أن عادت الشمس منه وهى دهاء
 قد أثرت سفة في البدر لفتحها * فليلة التم بعد النور ليلاء
 تحدث الثورات السبع ألسنها * بما يلاق بها تحت الترى الماء
 وقد أحاط لظاها بالبروج إلى * أن كاذ يلحقها بالأرض إهواء
 فيالها آية من معجزات رسو * ل الله يعقلها القوم الألباء
 فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت * منا الذنوب وساء القلب أسواء
 فاصبر وحب وتفضل وامح وأعف وجد * واصفح فكل لفرط الجهل خطاء
 وقوم يونس لما آمنوا كشف ال * مذاب عنهم وعم القوم نعماء
 ونحن أمة هذا المصطفى ولنا * منه إلى عفوك المرجو دواء
 هذا الرسول الذى لولاه ماسلكت * محجة في سبيل الله بيضاء
 فارحم وصل على المختار ما خطبت * على علا منبر الأوراق ورقاء

قلت : والحديث الوارد في أمر هذه النار مخرج في الصحيحين من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل ببصرى » وهذا لفظ البخارى .

وقد وقع هذا في هذه السنة - أعنى سنة أربع وخمسين وسبعمائة - كما ذكرنا ، وقد أخبرني قاضى القضاة صدر الدين على بن أبى القاسم التميمي الحنفى الحاكم بدمشق في بعض الأيام في المذاكرة ، وجرى ذكر هذا الحديث وما كان من أمر هذه النار في هذه السنة فقال : سمعت رجلا من الأعراب يخبر والذى ببصرى في تلك الليالى أنهم رأوا أعناق الأبل في ضوء هذه النار التى ظهرت في أرض الحجاز . قلت : وكان مولده في سنة ثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكان والده مدرسا للحنفية ببصرى وكذلك

كان جده ، وهو قد درس بها أيضاً ثم انتقل إلى دمشق فدرس بالصادرية وبالمعلمية ، ثم ولي قضاء القضاة الخنفية ، وكان مشكور السيرة في الأحكام ، وقد كان عمره حين وقعت هذه النار بالحجاز ثلثاً عشرة سنة ، ومثله ممن يضبط ما يسمع من الظير أن الأعرابي أخبر والده في تلك الليالي ، وصلوات الله وسلامه على نبيه سيدنا محمد وآله ومحبه وسلم تسليماً كثيراً .
وما نظمه بعض الشعراء في هذه النار الحجازية وفرق بغداد قوله :

سبيلهم من أصبحت مشيئة • جارية في ، الوري بمقدار
أحرق بغداد بالميا • أحرق أرض الحجاز بالنار
قال أبو شامة : والصواب أن يقال :

في سنة أحرق العراق وقد • أحرق أرض الحجاز بالنار .

وقال ابن السامعي في تاريخ سنة أربع وخمسين وسبعمائة : في يوم الجمعة ثامن عشر رجب - يعني من هذه السنة - كنت جالساً بين يدي الوزير فورد عليه كتاب من مدينة الرسول (س) ، محبة قاصد يعرف بقياز العلوي الحسني المدني ، فناولته الكتاب فقرأه وهو يتضمن أن مدينة الرسول (س) زلزلت يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة حتى أرتج القبر الشريف النبوي ، وسمع صرير الحديد ، وتحركت السلاسل ، وظهرت نار على مسيرة أربع فراسخ من المدينة ، وكانت ترمي بزبد كأنه رؤس الجبال ، ودامت خمسة عشر يوماً . قال القاصد : وجئت ولم تنقطع بعد ، بل كانت على حلماء وسأله إلى أي الجهات ترمي ؟ فقال : إلى جهة الشرق ، واجتازت عليها أنا ونجاسة البين ورمينا فيها سبعة فلم تحرقها ، بل كانت تحرق الحجارة وتذيقها . وأخرج قبياز المذكور شيئاً من الصخر المحترق وهو كاللحم لونا وخفة . قال وذكر في الكتاب وكان بخط قاضي المدينة أنهم لما زلزلوا دخولوا الحرم وكشفوا رؤسهم واستغفروا وأن ثأب المدينة أعتق جميع مملوكيه ، وخرج من جميع المظالم ، ولم يزالوا مستغفرين حتى سكنت الزلزلة ، إلا أن النار التي ظهرت لم تنقطع . وجاء القاصد المذكور ولها خمسة عشر يوماً وإلى الآن . قال ابن السامعي : وقرأت بخط العدل محمود بن يوسف بن الامماني شيخ حرم المدينة النبوية على ما كتبها أفضل الصلاة والسلام ، يقول : إن هذه النار التي ظهرت بالحجاز آية عظيمة ، وإشارة صحيحة دالة على اقتراب الساعة ، فالسميد من أنهز الفرحة قبل الموت ، وتدارك أمره باصلاح حاله مع الله عز وجل قبل الموت . وهذه النار في أرض ذات حجر لا شجر فيها ولا نبت ، وهي تأكل بعضها بعضاً إن لم تجمد تأكله ، وهي تحرق الحجارة وتذيقها ، حتى تمود كالطين المبول ، ثم يضر به الهواء حتى يموت كغيبث الحديد الذي يخرج من الكبر ، والله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين ، بمحمد وآله الطاهرين .

قال أبو شامة : وفي ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق مسجد المدينة على ساكنه أفضل الصلاة والسلام ، ابتداءً حريقه من زاويته الغربية من الشمال ، وكان دخل أحد القوم إلى خزانة ثم ومعه فارصعة في الأبواب ثم ، واتصلت بالسقف بسرعة ، ثم دبت في السقوف ، وأخذت قبلة فأهملت الناس عن قطعها ، فما كان إلا ساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ، ووقعت بعض أساطينه وذاب وصاصها ، وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، واحترق سقف الحجرة النبوية ووقع ما وقع منه في الحجرة ، وبقي على حاله حتى شرع في عمارة سقفه وسقف المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وأصبح الناس فمزولوا موضعاً للصلاة ، وبعد ما وقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من جملة الآيات ، وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات على ما سنذكره . هذا كلام الشيخ شهاب الدين أبي شامة . وقد قال أبو شامة : في الذي وقع في هذه السنة وما بعدها شعرا وهو قوله :

بعد ست من المئين والخمس * بن لدى أربع جرى في العام
فأرض الحجاز مع حرق المس * جدر مئة تفريق دار السلام
ثم أخذ التناز بغداد في أو * ل عام ، من بعد ذلك وعام
لم يمن أهلها وللنكر أعوا * ن عليهم ، ياضعة الاسلام
وانقضت دولة الخلافة منها * صار مستعصم بغير اعتصام
فحناناً على الحجاز ومصر * وسلاماً على بلاد الشام
رب سلم وصن وعاف بقايا * المدن ، إذا الجلال والاكرام

وفي هذه السنة كملت المدرسة الناصرية الجوانية داخل باب الفرديس ، وحضر فيها الدرس واقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غياث الدين غازي ابن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فتح بيت المقدس ، ودرس فيها قاضي البلد صدر الدين ابن سناء الدولة ، وحضر عنده الأمراء والدولة والعلما وجمهور أهل الحل والعقد بدمشق . وفيها أمر بعمارة الرباط الناصري بسفح قاسيون .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان :

الشيخ عماد الدين عبد الله بن الحسن بن النحاس

ترك الخلائق وأقبل على الزهادة والنلاوة والعبادة والصيام المتتابع والانقطاع بمسجده بسفح قاسيون نحو من ثلاثين سنة ، وكان من خيار الناس . ولما توفي دفن عند مسجده بقرية مشهورة به ، وحمام ينسب إليه في مساريق الصالحية ، وقد أثنى عليه السبط ، وأرخوا وفاته كما ذكرت .

يوسف بن الأمير حسام الدين

فزاوغل بن عبد الله عتيق الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة الحنبلي رحمه الله تعالى . الشيخ
شمس الدين .

أبو المظفر الحنفى البغدادى ثم الدمشقى ، سبط ابن الجوزى ، أمه رابعة بنت الشيخ جمال
الدين أبى الفرج بن الجوزى الواعظ ، وقد كان حسن الضررة طيب الصوت حسن الوعظ كثير
الفضائل والمصنفات ، وله مرآة الزمان فى عشرين مجلداً من أحسن التواريخ ، نظم فيه المنتظم لجدّه
وزاد عليه وذيل إلى زمانه ، وهو من أبهى التواريخ ، قدم دمشق فى حدود السبعمائة وحظى عند
ملوك بنى أيوب ، وقدموه وأحسنوا إليه ، وكان له مجلس وعظ كل يوم سبت بكرة النهار عند السارية
التي تقوم عندها الوعظ اليوم عند باب مشهد على بن الحسين زين العابدين ، وقد كان الناس يبيتون
ليلة السبت بالجامع ويتركون البساتين فى الصيف حتى يسمعون ميعاده ، ثم يسرعون إلى بساتينهم
فيتذكرون ما قاله من الفوائد والكلام الحسن ، على طريقة جده . وقد كان الشيخ قاج الدين
الكندى ، وغيره من المشايخ ، يحضرون عندهم تحت قبة يزيد ، التي عند باب المشهد ، ويستحسنون
ما يقول . ودرس بالعزمية البرانية التي بناها الأمير عز الدين أيبك المعظمى ، أستاذ دار المعظم ، وهو
واقف العزمية الجوانية التي بالكشك أيضاً ، وكانت قديماً تعرف بدور ابن منقذ . ودرس السبط
أيضاً بالشبلية التي بالجبل عند جسر كحيل ، وفوض إليه البدرية التي قبالتها ، فكانت سكنه ، وبها
نوفى ليلة الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وحضر جنازته سلطان البلد
الناصر ابن العزيز فى دونه . وقد أثنى عليه الشيخ شهاب الدين أبوشامة فى علومه وفضائله ورياسته
وحسن وعظه وطيب صوته وفضارة وجهه ، وتواضعه وزهده وتودده ، لكنه قال : وقد كنت مرصفاً
ليلة وفاته فرأيت وفاته فى المنام قبل اليقظة ، ورأيت فى حالة منكورة ، ورآه غيرى أيضاً ، فسأل
الله العافية . ولم أقدر على حضور جنازته ، وكانت جنازته حافلة حضره السلطان والناس ، ودفن
هناك . وقد كان فاضلاً عالماً ظريفاً منقطعاً منكراً على أبواب الدول ما هم عليه من المنكرات ،
وقد كان مقتصداً فى لباسه مواظباً على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، منصفاً لأهل العلم
والفضل ، مبيناً لأولى الجهل ، وثاقى الملوك وأرباب المناصب إليه زائرين وقاصدين ، وربى فى طول
زمانه فى حياة طيبة وجاءه هريرى عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ، وكان مجلس وعظه مطرباً ،
وصوته فيها يورده حسناطياً ، رحمه الله تعالى ورضى عنه . وقد سئل فى يوم عاشوراء زمن الملك الناصر
صاحب حلب أن يذكر للناس شيئاً من مقتل الحسين فصعد المنبر وجلس طويلاً لا يتكلم ، ثم
وضع المنديل على وجهه وبكى شديداً ثم أنشأ يقول وهو يبكى :

ويل لمن شعاؤه خصاؤه * والصور في نشر الخلائق ينفخ
لا بد أن ترد القيامة فاطم * وقيصها بدم الحسين ملطخ
ثم نزل عن المنبر وهو يبكي وصعد إلى الصالحية وهو كذلك رحمه الله .
واقف مرستان الصالحية

الأمير الكبير سيف الدين أبو الحسن يوسف ابن أبي الفوارس بن موسك التيمري الكردى ،
أكبر أمراء القيمرية ، كانوا يقفون بين يديه كما تعامل الملوك ، ومن أكبر حسناته وقفه المارستان
الذى بسفح قاسيون ، وكانت وفاته ودفته بالسفح في القبة التي تجاه المارستان المذكور ، وكان ذا مال
كثير وثروة رحمه الله .

محير الدين يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
دفن عند والده بتربة العادلية .

الأمير مظفر الدين إبراهيم

ابن صاحب صرخد عز الدين أيبك أستاذ دار المعظم واقف المزيين [البرانية والجوانية] على
الحنفية ، ودفن عند والده بالتربة تحت القبة عند الوراقه رحمه الله تعالى .

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح

المقدسى الفقيه الشافعى مدرس الرواحية بعد شيخه تقي الدين ابن الصلاح ، ودفن بالصوفية
أيضا ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله .

قال أبو شامة : وكثر في هذه السنة موت الفجأة . فأت خلق كثير بسبب ذلك ، ومن توفي فيها
زكى الدين أبو النورية ^(١) أحد المعدلين بدمشق . و بدر الدين بن السنى أحد رؤسائها . وعز الدين
عبد المزي بن أبي طالب بن عبد الغفار الثعلبى أبى الحسين ، وهو سبط القاضي جمال الدين بن
الحرساني ، رحمه الله تعالى وعفا عنهم أجمعين .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستائة

فيها أصبح الملك المعظم صاحب مصر عز الدين أيبك بداره ميتا وقد ولى الملك . بعد أستاذه
الصلاح نجم الدين أيوب بشهور . كان فيها ملك توران شاه المعظم بن الصالح ، ثم خلفه شجرة الدر
أم خليل مدة ثلاثة أشهر ثم أقيم هو فى الملك ، ومنه الملك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن أقيس
ابن الكامل مدة ، ثم استقل بالملك بلا منازعة ، وكسر الناصر لما أراد أخذ الديار المصرية وقتل
الفراس إقطاى فى سنة ثمان وخمسين ، وخلع بعده الأشرف واستقل بالملك وحده ، ثم تزوج بشجرة

الدر أم خليل. وكان كرمياً شجاعاً حياً ديناً، ثم كان موته في يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الأول، وهو واقف المدرسة الممزية بمصر ومجازها من أحسن الأشياء، وهي من داخل ليست بتلك الفاتكة. وقد قال بعضهم: هذه مجاز لا حقيقة له. ولما قتل رحمه الله فاتهم بماليكه زوجته أم خليل شجرة الدر به، وقد كان عزم على تزوج ابنة صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ، فأمرت جوارها أن يسكنه لها فزال تضر به بقياتها والجواري يركن في معاربه حتى مات وهو كذلك، ولما سمعوا بماليكه أقبلوا بصحبة مملوكه الأكبر سيف الدين قطز، فقتلوهما وألقوها على مزبلة غير مستورة العورة، بعد الحجاب الننيع والمقام الرفيع، وقد علمت على المناشير والنواقيع، وخطب الخطباء باسمها، وضربت السكة برسمها، فذهبت فلا تعرف بمد ذلك بعينها ولا رسمها [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير] وأقامت الأتراك بعد استئذانهم عز الدين أيبك التركماني، بإشارة أكبر ماليكه الأمير سيف الدين قطز، ولهم نور الدين حلياً ولقبوه الملك المنصور، وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه وجرت الأمور على ما يختاره برأيه ورسمه.

وفيها كانت فتنة عظيمة ببغداد بين الرافضة وأهل السنة، قهت الكرخ ودور الرافضة حتى دور قرايات الوزير ابن الملقى، وكان ذلك من أقوى الأسباب في مما لآته للتتار. وفيها دخلت الفقراء الحيدرية الشام، ومن شعارهم لبس الراحي والطراوير ويقصون لحام ويتركون شواربهم، وهو خلاف السنة، تركوها لمنابذة شيخهم حيدر حين أسره الملاحدة ققصوا لحيته وتركوا شواربه، فاقتمدوا به في ذلك، وهو معنور مأجور. وقد نهى رسول الله (ص) عن ذلك، وليس لهم في شيخهم قدوة. وقد بليت لهم زاوية بظاهر دمشق قريباً من الموقية. وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة المباركة حل هزاء واقف البادرانية بها الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد البادراني البغدادي مدرس النظامية، ورسول الخلافة إلى ملوك الآفاق في الأمور المهمة، وإصلاح الأحوال المدمية، وقد كان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً، وقد ابقي بدمشق مدرسة حسنة مكان دار الأمير أسامة، وشرط على المقيم بها المزوبة وأن لا يكون الفقيه في غيرها من المدارس، وإنما أراد بذلك توفر خاطر التقيد بوجهه على طلب العلم، ولكن حصل بذلك خلل كثير وشرب لبعضهم كبير وقد كان شيخنا الامام العلامة شيخ الشافعية بالشام وغيرها برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ تاج الدين الفزاري مدرس هذه المدرسة وابن مدرستها، يذكر أنه لما حضر الواقف في أول يوم درس بها وحضر عنده السلطان الناصر، قرأ كتاب الوقف وفيه ولا تدخلها امرأة. قال السلطان ولا صبي؟ فقال الواقف: يا مولانا السلطان ربنا ما يضرب بصناتين. فإذا ذكر هذه الحكاية تبسم

عندها رحمه الله تعالى . وكان هو أول من درس بها ثم ولده كمال الدين من بعده ، وجعل نظرها إلى وجيه الدين بن سويد ، ثم صار في ذريته إلى الآن . وقد نظر فيه بعض الأوقات الفاضل شمس الدين ابن الصائغ ثم انتزع منه حيث أثبت لهم النظر ، وقد أوقف البادرائي على هذه المدرسة أوقافاً حسنة دارة ، وجعل فيها خزانة كتب حسنة نافعة ، وقد عاد إلى بغداد في هذه السنة فولى بها قضاء القضاة كرها منه ، فأقام فيه سبعة عشر يوماً ثم توفي إلى رحمه الله تعالى في مستهل ذي الحجة من هذه السنة . ودفن بالشويزية رحمه الله تعالى .

وفي ذي الحجة من هذه السنة بعد موت البادرائي بأيام قلائل نزلت انتشار على بغداد مقدمة للملكم هولاكو بن تولى بن جنكيزخان عليهم إيمان الرحمن ، وكان افتتاحهم لها وجناباتهم عليها في أول السنة الآتية على ماسياني بيانه وتفصيله . وبالله المستعان .

ومن توفي في هذه السنة من الأعيان البادرائي واقف البادرائية التي بدمشق كما تقدم بيانه رحمه الله تعالى .

والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن أبي الفهم

اليلداني بها في ثامن ربيع الأول ودفن فيها ، وكان شيخاً صالحاً مشغولاً بالحديث سماعاً وكتابة وإسماعاً ، إلى أن توفي وله نحو مائة سنة . قلت : وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه موقوفة بخزانة الفاضلية من السكلاسة ، وقد رأى في المنام رسول الله (ص) ، فقال له : يا رسول الله ما أنا رجل جيد ؟ قال : بلى أنت رجل جيد ، رحمه الله وأكرم مثواه .

الشيخ شرف الدين

محمد بن أبي الفضل المرسى ، وكان شيخاً فاضلاً متقناً محققاً للبحث كثير الحج ، له مكانة عند الأكابر ، وقد اقتنى كتباً كثيرة ، وكان أكثر مقامه بالحجاز ، وحيث حل عظمه رؤساء تلك البلدة وكان مقتصداً في أموره ، وكانت وفاته رحمه الله بالذعقة بين العريش والداروم في منتصف ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله .

المشهد الشاعر الأمير سيف الدين

علي بن عمر بن قزل مشهد الديوان بدمشق ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وقد رآه بعضهم بعد موته فسأله عن حاله فأشبهه :

نقلتُ إلى رَمَسِ القُبُورِ وضيقها * وخوفِ ذُنُوبِي أَنها بِي تَعْتَرُ
فصادفتُ رَجَماناً رَمَوقاً وَأَنما * حبايى بها سَقياً لما كُنْتُ أَحَدُ
ومن كان حَسَنُ الظنِّ في حالِ موته * جَهِلاً بِمَنوِ اللهِ فَالْعَفْوُ أَجَدُ

بشاره بن عبد الله

الأرمي الأصل بدر الدين الكاتب مولى شيل الدولة المعظمي ، جمع الكندي وغيره ، وكان يكتب خطا جيدا ، وأسند إليه مولاه النظر في أوقافه وجماله في ذريته ، فهم إلى الآن ينظرون في الشبليتين ، وكانت وفاته في النصف من رمضان من هذه السنة .

القاضي تاج الدين

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة جمال الدين المصري نائب عن أبيه ودرس بالشامية ، وله شعر فنه قوله :

صيرت في لفيدي بالتم لنام • حمدا ورشفت من ثنايا مدام
فازور وقال أنت في الفقه إمام • ريق خمر وعندك الخمر حرام
الملك الناصر

داود بن المعظم عيسى بن العادل ، ملك دمشق بعد أبيه ، ثم انتزعت من يده وأخذها عنه الأشرف واقتصر على الكرك و نابلس ، ثم تنقلت به الأحوال وجرت له خطوب طوال حتى لم يبق معه شيء من المال ، وأودع وديعة تقارب مائة ألف دينار عند الخليفة المستنصر فأفكره إياها ولم يردها عليه ، وقد كان له فصاحة وشعر جيد ، ولديه فضائل جمة ، واشتغل في علم الكلام على الشمس الخسر وشاهي تليد الفخر الرازي ، وكان يعرف علوم الأوتل جدا ، وحكوا عنه أشياء تدل إن صححت على سوء عقيدته فأنه أعلم . وذكر أنه حضر أول درس ذكر بالمستنصرية في سنة ثنتين وثلاثين وسبائة ، وأن الشراء أنشدوا المستنصر مدائح كثيرة ، فقتل بعضهم في جملة قصيدة له :

لو كنت في يوم السقيفة شاهدا • كنت المقدم والامام الأعظما

فقال الناصر داود للشاعر : اسكت فقد أخطأت ، قد كان جده أمير المؤمنين العباس شاعرا بوشند ، ولم يكن المقدم ، وما الامام الأعظم إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال الخليفة : صدقت فكان هذا من أحسن ما قتل عنه رحمه الله تعالى ، وقد تفاخر أمره إلى أن رسم عليه الناصر بن العزيز بقرية البويعضا لعمه مجد الدين يعقوب حتى توفي بها في هذه السنة ، فاجتمع الناس ببجنازته ، وحمل منها فعلى عليه ودفن عند والده بسفح قاسيون .

الملك المعز

هو الدين أيوب التركاني ، أول ملوك الأتراك ، كان من أكبر عماليك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل ، وكان دينا صديقا كريما ، مكث في الملك نحو من سبع سنين ثم قتلته زوجته شجرة الدر أم خليل ، وقام في الملك من بعده ولده نور الدين علي ، ولقب بالملك المنصور ، وكان مدبر

مملكته مملوك أبيه سيف الدين قطز ، ثم عزله واستقل بالملك بعده نحو من سنة وتلقب بالمظفر ، فقد
الله كسرة التتار على يديه بعين جالوت . وقد بسطنا هذا كله في الحوادث فما تقدم وما سيأتي .

شجرة الدر بنت عبد الله

أم خليل التركية ، كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وكان ولدها منه خليل من
أحسن الصور ، فأتت صغيراً ، وكانت تكون في خدمته لا تفارقه حضراً ولا سفراً من شدة محبته لها
وقد ملكت الديار المصرية بعد مقتل ابن زوجها المعظم توران شاه ، فكان يخطف لها وتضرب السكة
باسمها وعلمت على المناشير مدة ثلاثة أشهر ، ثم تملك المعز كما ذكرنا ، ثم تزوجها بعد تملكه الديار
المصرية بسنوات ، ثم غارت عليه لما بلغها أنه يريد أن يتزوج بنت صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ
فعملت عليه حتى قتلته كما تقدم ذكره ، قتلها عليها مماليكه المعزية فقتلوه وألقوها على مزبلة ثلاثة
أيام ، ثم نقلت إلى تربة لها بالقرب من قبر السيدة نفيسة رحمها الله تعالى ، وكانت قوية النفس ، لما علمت
أنه قد أحيط بها أتلقت شيئاً كثيراً من الجواهر النفيسة والآلات المشتمة ، كسرت في المأون لهما
ولا لغيرها ، وكان وزيرها في دولتها الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليمان المعروف بابن خنلوهو
أول مناصبه .

الشيخ الأسعد هبة الله بن صاعد

شرف الدين الفارزي خدمته قديماً الملك الفارزي سابق الدين إبراهيم بن الملك العادل ، وكان
نصرانياً فأسلم ، وكان كثير الصدقات والبر والصلوات ، استوزره المعز وكان خطيباً عنده جداً ، لا
يفعل شيئاً إلا بعد مراجعته ومشاورته ، وكان قبله في الوزارة القاضي^(١) فاج الدين ابن بنت الأعرز ،
وقبله القاضي بدر الدين السنجاري ، ثم صارت بعد ذلك كله إلى هذا الشيخ الأسعد المسلماني ،
وقد كان الفارزي يكتبه المعز بالملوك ، ثم لما قتل المعز أهدى الأسعد حتى صار شقياً ، وأخذ
الأمير سيف الدين قطز خطه بمائة ألف دينار ، وقد هجاه بهاء الدين زهير بن علي ، فقال :

لن الله صاعداً • وأباه ، فصاعداً

وبني فنازلاً • واحداً ثم واحداً

ثم قتل بعد ذلك كله ودفن بالقرافة ، وقد رثاه القاضي ناصر الدين ابن المنير ، وله فيه مدائح وأشعار
حسنة فصيحة رائعة .

ابن أبي الحديد الشاعر العراقي

عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد هز الدين المدائني ،
الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي ، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً ، ولد بالمداين سنة
ست وثمانين وخمسمائة ، ثم صار إلى بغداد فكان أحد الكتاب والشعراء بالديوان الخليفة ، وكان

حظياً عند الوزير ابن العلقمي ، لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشاكلة في التشيع والأدب والفضيلة ، وقد أورد له ابن الساعي أشياء كثيرة من مدائح وأشعاره الفائقة الرائقة ، وكان أكثر فضيلة وأدباً من أخيه أبي المعالي موفق الدين بن هبة الله ، وإن كان الآخر فاضلاً بارعاً أيضاً ، وقد ماتا في هذه السنة رحمهما الله تعالى .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستائة

[فيها أخذت التتار بغداد وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة ، وانقضت دولة بني العباس منها] (١)
استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار ، هولاكو خان ، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدهم على البغداد وميرته وهداياه ونحوه ، وكل ذلك خوفاً على نفسه من التتار ، ومصالحة لهم قبضهم الله تعالى ، وقد سترت بغداد ونصبت فيها الجنائيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة التي لا ترد من قدر الله سبحانه وتعالى شيئاً ، كما ورد في الأثر : إن يغني حذر عن قدر ، وكما قال تعالى [إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر] وقال تعالى [إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم] وإذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال [وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب حتى أصيبت جارية كانت تلبس بين يدي الخليفة وأضحك ، وكانت من جملة حفاظها ، وكانت مولدة تسمى عرفة ، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة ، فارتفع الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً ، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فاذا عليه مكتوب إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوى العقول حقه ولهم ، فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز ، وكثرت السائر على دار الخلافة - وكان قدوم هلاكو خان بجنوده كلها ، وكانوا نحو مائتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة ، وهو شديد الحقد على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه وأنفذه وأفضاه ، وهو أن هلاكو كما كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريد من قصد بلادهم بغزل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أبيك وفيره ، وقالوا إن الوزير إنما يريد بهذا مصالحة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال ، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير ، فأرسل شيئاً من الهدايا فاحتقرها هلاكو خان ، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور ، وسليمان شاه ، ألم بينهما إليه ولا بالأبى به حتى أزعج قلوبهم ، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الفاشقة ، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ، فاحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية ، وجيوش

(١) زيادة من بعض النسخ التركية .

بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة ، لا يبلغون عشرة آلاف فارس ، وم وبقية الجيش ، كلهم قد صرفوا عن إقطاعهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد ، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرنون لهم ويحزنون على الاسلام وأهله ، وذلك كله عن آراء الوزير ابن الملقى الرافضى ، وذلك أنه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة حتى نهبت دور قرابات الوزير فاشتد حنقه على ذلك ، فكان هذا مما أهاجه على أن دبر على الاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد ، وإلى هذه الأوقات ، ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو ، نخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه ، فاجتمع بالسلطان هلاكوخان لعنه الله ، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة ، فاحتاج الخليفة إلى أن يخرج في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤس الأمراء والدولة والأعيان ، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكوخان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً ، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين ، وأنزل الباقون عن مرابهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم ، وأحضر الخليفة بين يدي هلاكو فسأله عن أشياء كثيرة فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الاهانة والجبروت ، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسى ، والوزير ابن الملقى وغيرهما ، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة ، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والخلى والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة ، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصلح الخليفة ، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله ، ويقال إن الذى أشار بقتله الوزير ابن الملقى ، والمولى نصير الدين الطوسى ، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأموات ، وانتزعها من أيدي الاسماعيلية ، وكان النصير وزيراً لشمس الشمس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين ، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر المبيدى ، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير ، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هو عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً ، وهو في جوالق اثلا يقع على الأرض شيء من دمه ، خافوا أن يؤخذ بتأره فيما قيل لهم ، وقيل بل خنق ، ويقال بل أغرق فآله أعلم ، فباءوا بآئمه وإثم من كان معه من سادات العلماء والقضاة والأكابر والرؤساء والأمراء وأولى الحل والعقد ببلادهم وستأتى ترجمة الخليفة في الوفيات - ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايع والكهول والشبان ودخل كثير من الناس في الآبار وأما كن الحشوش ، وقنى الوسيخ ، وكنا كنك أهما لا يظهر من ،

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويفلقون عليهم الأبواب فتفتنهم التناثر إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأماكن فيقتلونهم بالأسمحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فانا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والرباط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن الملقى الرافضى وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلاً حتى سلوا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن الملقى قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الدبران، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالمملوك الأكبر الأكر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التناثر وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القساء، وجهله حوشكاشا للتناثر بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلى الكبير رب الأرض والسماء.

وقد جرى على بنى إسرائيل بيت المقدس قريب مما جرى على أهل بغداد كما قص الله تعالى علينا ذلك في كتابه العزيز، حيث يقول [وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديد فحاسوا خلالهم يأسوا وكان وعداً مفعولاً] الآيات . وقد قتل من بنى إسرائيل خلق من الصلحاء وأسر جماعة من أولاد الأنبياء، وخرب بيت المقدس بعد ما كان معموراً بالعباد والزهاد والأخبار والأنبياء، فصار خاويًا على عروشه وأهى البناء .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة . فقليل ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فانا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر الحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً، وكان قتل الخليفة المستنصر بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر ودفن قبره، وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله خمس وعشرون سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبيد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت

أخواته الثلاث طاعمة وخديجة ومريم ، وأسرن من دار الخلافة من الآبكار ما يقارب ألف بكر فيها قيل والله أعلم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان عند الوزير ، وقتل أولاده الثلاثة : عبدالله ، وعبد الرحمن ، وعبد الكريم ، وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الديودار الصغير بجاهد الدين أيك ، وشهاب الدين سليمان شاه ، وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد . وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب به إلى مقبرة الحلال ، فجاء المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة ، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه . وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخطبة صدر الدين علي بن النيار ، وقتل الخطباء والأئمة ، وحلة القرآن ، وتمطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهور ببغداد ، وأراد الوزير ابن الملقم قبحه الله ولمنه أن يعطل المساجد والمدارس والربط ببغداد ويستمر بالمشاهد ومحال الرضى ، وأن يبنى لرافضة مدرسة هائلة يلشرون عقبتهم وعلمهم بها وعليها ، فلم يقدره الله تعالى على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهور يسيرة من هذه الحادثة ، وأتيه بولده فاجتمعوا والله أعلم بالدرك الأسفل من النار .

ولما انتفض الأمر المقدر وانقضت الأربعمون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس ، والقتلى في الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد ، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام ، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح ، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والعلم والطاعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه ، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى ، واجتمعوا تحت الترى بأمر الذي يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وكان رحيل السلطان المسلط هولاكوخان عن بغداد في جمادى الأولى من هذه السنة إلى مقر ملكه ، وفوض أمر بغداد إلى الأمير علي بهادر ، فوض إليه الشحنة بها وإلى الوزير ابن الملقم فلم يمهله الله ولا أهمله ، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر ، في مستهل جمادى الآخرة من ثلاث وستين سنة ، وكان عنده فضيلة في الانشاء ولديه فضيلة في الأدب ، ولكنه كان شيميا جليداً رافضياً خبيثاً ، فمات جهداً وغماً وحزناً ونديماً ، إلى حيث ألفت رحلها أم قشعم ، فولى بعده الوزارة ولده عز الدين بن الفضل محمد ، فألفقه الله بأبيه في بقية هذا العام ، والله الحمد والمنة .

وذكر أبو شامة وشيخنا أبو عبد الله الذهبي وقطب الدين اليونيني أنه أصاب الناس في هذه السنة بالشام وباء شديد ، وذكروا أن سبب ذلك من فساد الهواء والجو ، فسد من كثرة القتلى ببلاد العراق وانتشر حتى تمدى إلى بلاد الشام فله أعلم .

وفي هذه السنة اقتتل المصريون مع صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل الكبير ، وكان في حربه جماعة من أمراء البحرية ، منهم ركن الدين بيبرس البندقداري ، فكسروا المصريين ونهبوا ما كان معهم من الأثقال والأموال ، وأمسروا جماعة من رهوس الأمراء فقتلوا صبرا ، وعادوا إلى الكرك في أسوأ حال وأشنعه ، وجعلوا يفسدون في الأرض ويعيثون في البلاد ، فأرسل الله الناصر صاحب دمشق فبعث جيشا ليكفهم عن ذلك ، فكسروا البحرية واستنصروا فبرز إليهم الناصر بنفسه فلم يلتفتوا إليه وقطعوا أطناب خيمته التي هو فيها بإشارة ركن الدين بيبرس المذكور ، وجرت حر وب وخطوب يطول بسطها والله المستعان .
ومن توفي في هذه السنة من الأعيان .

خليفة الوقت المستعصم بالله

أمير المؤمنين آخر خلفاء بني العباس بالعراق رحمه الله ، وهو أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستنصر بأمر الله أبي محمد الحسن بن المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدي بالله أبي القاسم عبد الله بن الأخيرة أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أبي العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتض بالله أبي العباس أحمد بن الأمير الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله أبي الفضل جعفر بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد أبي محمد هارون بن المهدي أبي عبد الله محمد ابن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي العباسي ، مولده سنة تسع وستمائة ، وبويع له بالخلافة في العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين ، وكان مقتله في يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر سنة ست وخمسين وستمائة ، فيكون عمره يوم قتل سبعاً وأربعين سنة رحمه الله تعالى . وقد كان حسن الصورة جيد السيرة ، صحيح العقيدة مقتدياً بأبيه المستنصر في العدة وكثرة الصدقات وإكرام العلماء والعباد ، وقد استجاز له الحفاظ ابن النجار من جماعة من مشايخ خراسان منهم المؤيد الطوسي ، وأبو روح عبد العزيز بن محمد الهروي وأبو بكر القاسم بن عبد الله بن الصغار وغيرهم ، وحدث عنه جماعة منهم مؤدبه شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن علي بن محمد بن النيار ، وأجاز هو للإمام محيي الدين ابن الجوزي ، ولشيخ نجم الدين البادراني ، وحدثا عنه بهذه الإجازة . وقد كان رحمه الله سلباً على طريقة السلف واعتقاد

الجماعة كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيعظ وبحبة للمال وجمه ، ومن جملة ذلك أنه استحل الوديعة التي استودعه إياها الناصر داود بن المظفر وكانت قيمتها نحو من مائة ألف دينار فاستقبح هذا من مثل الخليفة ، وهو مستقبح من هودونه بكثير ، بل من أهل الكتاب من إن تأمنه بتظار يؤده إليك ، كما قال الله تعالى (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً) . قتلت التتار مظلوماً مضطهداً في يوم الأربعاء رابع عشر صفر من هذه السنة ، وله من العمر ستة وأربعون سنة وأربعة أشهر . وكانت مدة خلافته خمسة عشر سنة وثمانية أشهر وأياماً ، فرحمه الله أكرم مثواه ، وبل بالرأفة تراه . وقد قتل بعده ولده وأسر الثالث مع بنات ثلاث من صلبه ، وشغل منصب الخلافة بعده ، ولم يبق في بني العباس من سد مسده ، فكان آخر الخلفاء من بني العباس الحاكمين بالعدل بين الناس ، ومن يرتجى منهم النوال ويخشى العباس ، وختما بعد الله المستعصم كما فتحوا بعد الله السفاح ، بويع له بالخلافة وظهر ملكه وأمره في حسنة ثنتين وثلاثين ومائة ، بعد انقضاء دولة بني أمية كما تقدم بيانه ، وآخرهم عبد الله المستعصم وقد زال ملكه وانقضت خلافته في هذا العام ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، وزال ملكهم عن العراق والحكم بالكلية مدة سنة وشهور في أيام البساسيري بعد الحسين وأربع مائة ، ثم عادت كما كانت . وقد بسطنا ذلك في موضعه في أيام القائم بأمر الله والله الحمد .

ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية فاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصا ، فانه خرج عن بني العباس بلاد المغرب ، ملكها في أوائل الأمر بعض بني أمية من بقى منهم من ذرية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ثم قلب عليه الملوك بعددهور متطاولة كما ذكرنا ، وقارن بني العباس دولة المدعين أنهم من الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب ، وما هنالك ، وبلاد الشام في بعض الأحيان والحرمين في أزمان طويلة [وكن ذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما وراء النهر ، وتداولتها الملوك دولا بعد دول ، حتى لم يبق مع الخليفة منهم إلا بغداد وبعض بلاد العراق ، وذلك لضعف خلافتهم واشتغالهم بالشهوات وجمع الأموال في أكثر الأوقات ، كما ذكر ذلك مبسوطاً في الحوادث والوفيات]^(١)

واستمرت دولة الفاطميين قريباً من ثلاثمائة سنة حتى كان آخرهم العاضد الذي مات بعد الستين وخمسمائة في الدولة الصلاحية الناصرية القدسية ، وكانت عدة ملوك الفاطميين أربعة عشر ملكاً متخلفاً ، ومدة ملكهم نحو مائة سنة وسبع وتسعين ومائتين إلى أن توفي العاضد سنة بضع وستين وخمسمائة ، والعجب أن خلافة النبوة التالية لزمان رسول الله (ص) ، كانت ثلاثين سنة كما نطق بها

(١) زيادة من نسخة أخرى بالاستانة .

الحديث الصحيح ، فكان فيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم ابنه الحسن بن علي سنة شهر
حتى كملت الثلاثون كما قررنا ذلك في دلائل النبوة ، ثم كانت ملكا فكان أول ملوك الاسلام
من بني أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، ثم ابنه يزيد ، ثم ابن ابنه معاوية
ابن يزيد بن معاوية ، واقترض هذا البطن المفتوح بمعاوية الختم بمعاوية ، ثم ملك مروان بن الحكم
ابن أبي العاص بن أمية بن عبد قيس بن عبد مناف بن قصي ، ثم ابنه عبد الملك ، ثم الوليد بن
عبد الملك ، ثم أخوه سليمان ثم ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، ثم يزيد بن عبد الملك ، ثم هشام بن
عبد الملك ، ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ، ثم أخوه إبراهيم الناقص وهو ابن الوليد أيضا ،
ثم مروان بن محمد بن مروان الملقب بالحرار ، وكان آخرهم ، فكان أولهم اسمه مروان وآخرهم اسمه
مروان ، ثم اتخروا من أولهم إلى خاتمهم . وكان أول خلفاء بني العباس عبد الله السفاح ، وآخرهم
عبد الله المستعصم . وكذلك أول خلفاء الفاطميين فالأول اسمه عبد الله الماضد ، وآخرهم عبد الله
الماضد ، وهذا اتفاق غريب جدا قل من يقتبه له ، والله سبحانه أعلم . وهذه أرجوزة لبعض
الفضلاء ذكر فيها جميع الخلفاء :

الحمد لله العظيم مرشده • القاهر الفرد القوي بطشه
مقلب الأيام والعهود • وجامع الأنام للشور
ثم الصلاة بدوام الأبد • على النبي المصطفى محمد
 وآله وصحبه الكرام • السادة الأئمة الأعلام
 وبعد أن هدم أرجوزة • نظمها لطيفة وجيزة
 نظمتم فيها الراشدين الخلفاء • من قام بعد النبي المصطفى
 ومن تلام وطم جرا • جعلتها تبصرة وذكرى
 ليعلم الماقل ذو التصوير • كيف جرت حوادث الأمور
 وكل ذي مقدرة وملك • معرضون للفناء والهلك
 وفي اختلاف الليل والنهار • تبصرة لكل ذي اعتبار
 والملك الجبار في بلاده • يورثه من شاء من عباد
 وكل مخلوق فلفناء • وكل ملك قالى انتهاء
 ولا ينوم غير ملك الباري • سبحانه من ملك قهار
 منفرد بالمر واليقار • وما سواه قالى انقضاء
 أول من بويع بالخلافة • بعد النبي ابن أبي قحافة

أعنى الامام الهادي الصديقا * ثم ارتقى من بعده الفاروقا
 ففتح البلاد والأمصارا * واستأصلت سيوفه الكفار
 وقام بالعدل قياما يرضى * بذلك جبار السما والأرض
 ورضى الناس بنى النورين * ثم على والده السبطين
 ثم أتت كئائب مع الحسن * كادوا بأن يجددوا بها الفتن
 فأصلح الله على يديه * كما عزا نبينا إليه
 وجمع الناس على معاوية * ونقل القصة كل راوية
 فهدى الملك كما يريد * وقام فيه بعده يزيد
 ثم ابنة وكان برا راشدا * أعنى أبا ليلى وكان زاهدا
 فترك الامرة لا عن غلبة * ولم يكن إليها منه طلبه
 وابن الزبير بالحجاز يد أب * في طلب الملك وفيه ينصب
 وبالشام بايعوا مروانا * بحكم من يقول كن فكنا
 ولم يدم في الملك غير عام * وعافسته أسهم الحام
 واستوثق الملك لعبد الملك * ونار نجم سعدة في الفلك
 وكل من نازعه في الملك * خر صريعا بسيف الملك
 وقتل المصعب بالعراق * وسيز الحجاج ذا الشقاق
 إلى الحجاز بسيف النقم * وابن الزبير لائذ بالحرم
 فجار بعد قتل بصلبه * ولم يخف في أمره من ربه
 وعند ما صفت له الأمور * تقلبت بجسمه الدهور
 ثم أتى من بعده الوليد * ثم سليمان الفقى الرشيد
 ثم استفاض في الورى عدل عمر * تابع أمر ربه كما أمره
 وكان يدعى بأشج القوم * وذى الصلاة والتقى والصوم
 فجار بالعدل والاحسان * وكف أهل الظلم والظنانيان
 مقتديا بسنة الرسول * والراشدين من ذوى العقول
 فخرج الاسلام كاس قدس * ولم يروا مثلاً له من بعده
 ثم يزيد بعده هشام * ثم الوليد فت منه الهام
 ثم يزيد وهو يدعى الناقصا * فجاءه حمامة معافصا

ولم تطل مدة إبراها * وكان كل أمرم سقيا
 وأسند الملك إلى مروانا * فسكر من أموره ما كانا
 وانقرض الملك على يديه * وحادث الدهر سطا عليه
 وقتله قذ كان بالصعيد * ولم تفده كثرة المديد
 وكان فيه حنف آل الحكم * واستنزعت عنهم ضرور النعم
 ثم أتى ملك بني العباس * لازال فينا ثابت الأساس
 وجاءت البيعة من أرض العجم * وقلدت بيعتهم كل الأمن
 وكل من فازعهم من أمم * بخر صريعا بليدين والعم
 وقد ذكرت من تولى منهم * حين تولى القائم المستعصم
 أولهم ينعت بالسفاح * وبعده المنصور ذو الجناح
 ثم أتى من بعده المهدي * يتلو موسى الهادي الصفي
 وجاء هارون الرشيد بعده * ثم الأمين حين ذاق فقه
 وقام بعده قتله المأمون * وبعده المعتصم المكين
 واستخلف الواثق بعد المعتصم * ثم أخوه جعفر موفى الدم
 وأخلص النية في المتوكل * فهدى العرش القديم الأول
 فأدحض البدعة في زمانه * وقامت السنة في أوانه
 ولم يبق فيها بدعة مضلة * وأليس المعتزلى ثوب ذلة
 فرحة الله عليه أبدا * ما غار نجم في السماء أبدا
 وبعده استولى وقام المعتز * ومهد الملك وساس المقصد
 وعندما استشهد قام المنتصر * والمستعين بعده كما ذكر
 وجاء بعده موثر المعتز * والمهتدى الملتزم الأعز
 والمكتفي في صف الملائكة * وبعده ساس الأمور المقتدر
 واستولى الملك بعز القاهر * وبعده الراضى أخو المفاخر
 والمنتق من بعد ذا المستكفي * ثم المطيع مابى من خلف
 والطائع الطائع ثم القادر * والقائم الزاهد وهو الشاكر
 والمقتدى من بعده المستظهر * ثم أتى المسترشد الموقر
 وبعده الراشد ثم المقتفي * وحين مات استنجدوا بيوسف

المستغنى العادل في أفعاله * الصادق الصدوق في أقواله
والناصر الشهم الشديد الباس * ودائم طول مكثه في الناس
ثم تلاء الظاهر الكريم * وعدله كل بهر علمه
ولم تطل أيامه في المملكة * غير شهور واعترة المملكة
وعنده كان إلى المستنصر * العادل البر الكريم المنصر
دام يسوس الناس سبع عشرة * وأشهرأ بعز مات برم
ثم توفي عام أربعين * وفي جمادى صادق المنونا
وبائع الخلائق المستعصم * صلى عليه ربنا وسلمنا
فأرسل الرسل إلى الآفاق * يقضون بالبيعة والوفاق
وشرفوا بذكر المنابر * ونشروا في جودهم المفاخر
وسار في الآفاق حسن سيرته * وعنده الزائد في رعيته

قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى : ثم قلت أنا بعد ذلك أبياتا :

ثم ابتلاه الله بالتناثر * أتباع جنكيزخان الجبار
صحبته ابن ابنه هولاكو * فلم يكن من أمره فكلك
فزقوا جنوده وشمله * وقتلوه نفسه وأهله
ودمروا بغداد والبلاد * وقتلوا الأحفاد والأجداد
وانتهبوا المال مع الحرير * ولم يخافوا سطوة العظيم
وغرموا إنظاره وحلمه * وما اقتضاه عدله وحكمه
وشغرت من بعده الخلافة * ولم يورخ مثلها من آفة
ثم أقام الملك أعنى الظاهر * خليفة أعنى به المستنصر
ثم ولي من بعده ذلك الحاكم * مسيما ببيبرس الامام العالم
ثم ابنه الخليفة المستنكى * وبعض هذا للبيب يكنى
ثم ولي من بعده جماعة * ما عندهم علم ولا بضاعة
ثم تولى وقتنا المعتضد * ولا يكاد الدهر مثله يجود
في حسن خلق واعتقاد وحلى * وكيف لا وهو من السيم الأولى
سادوا البلاد والعباد فضلا * وملأوا الأقطار حكما وعدلا
أولاد عم المصطفى محمد * وأفضل الخلق بلا تردد

صلى عليه الله ذو الجلال * ما دامت الأيام والليالي

فَضْرُوبُكَ

والفاطميون قليلوا العدة * لكنهم مدّ لهم في المدة
فلكوا بضعاً وستين سنة * من بعدهم بائتين وكان كالسنة
والعدة أربع عشرة المهدى * والقائم المنصور المهدى
أعفى به المعز باقى القاهرة * ثم العزيز الحاكم الكوافرة
والظاهر المستنصر المستعلى * فالأمر الحافظ عنه سوء الفعل
والظافر الفائز ثم العاضد * آخرهم وما لهذا جاحد
أهلك بعد البضع والستين * من قبلها خمسمائة سفينا
وأصلهم يهود ليسوا شرفا * بذلك أفضى السادة الأئمة
* أنصاردين الله من ذى الأمة *

فَضْرُوبُكَ

وهكذا خلفاء بنى أمية * عندهم كمدة الرافضية
ولكن المدة كانت ناقصة * عن مائة من السنين خالصة
وكلهم قد كان فاصياً * إلا الامام عمر التقي
معاوية ثم ابنه يزيد * وابن ابنه معاوية السديدي
مروان ثم ابن له عبد الملك * متابع لابن الزبير حتى هلك
ثم استقل بعده بالملك * فى سائر الأرض بغير شك
ثم الوليد النجل باقى الجامع * وليس مثله بشكلى من جامع
ثم سليمان الجواد وعمر * ثم يزيد وهشام وعبد
أعفى الوليد بن يزيد الفاسقا * ثم يزيد بن الوليد فاقا
يلقب الناقص وهو كامل * ثم إبراهيم وهو حقل
ثم مروان الحمار الجمدى * آخرهم فاطمة بنى من عندى
والحمد لله على التمام * كذلك نعمه على الانعام
ثم الصلاة مع تمام العبد * على النهى المصطفى محمد
 وآله ومعه الأخيار * فى سائر الأوقات والأعمار
وهذه الأبيات نظم الكتاب * ثمانية تمة المناقب

ومن قتل مع الخليفة واقف الجوزية بدمشق أستاذ دار الخلافة يحيى الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين أبى الفرج ابن الجوزى ، عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن حماد بن أحمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن محمد بن أبى بكر الصديق القرشى التيمى البكرى البغدادى الحنبلى المعروف بابن الجوزى ، ولد فى ذى القعدة سنة ثمان وخمسمائة ، ونشأ شابا حسنا ، وحين توفى أبوه وعظ فى موضعه فأحسن وأجاد وأفاد ، ثم لم يزل متقدما فى مناصب الدنيا ، فولى حسبة بغداد مع الوعظ الفائق والأشعار الحسنة ، ثم ولى تدريس الخنابلة بالمسكنصرية سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وكانت له تداريس أخر ، ولى أستاذ دار الخلافة ، وكان رسولا للملوك من أبى أيوب وغيرهم من جهة الخلفاء ، وانتصب ابنه عبد الرحمن مكانه لحسبة والوعظ ، ثم كانت الحسبة تنقل فى بنى الثلاثة عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الكريم . وقد قتلوا معه فى هذه السنة رحمهم الله . ولحقى الدين هذا مصنف فى مذهب أحمد ، وقد ذكر له ابن الساعى أشعارا حسنة ينفى بها الخليفة فى المواسم والأعياد ، تدل على فضيلة وفصاحة ، وقد وقف الجوزية بدمشق وهى من أحسن المدارس ، تقبل الله منه .

الصرصرى المادح رحمه الله

يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر عبد السلام الشيخ الامام العلامة البارع الفاضل فى أنواع من العلوم ، جمال الدين أبوزكريا الصرصرى ، الفاضل المادح الحنبلى الضرير البغدادى ، معظم شعره فى مدح رسول الله (س) ، ودبوانه فى ذلك مشهور معروف غير منكر ، ويقال إنه كان يحفظ صحاح الجوهرى بتمامه فى اللغة . وصحب الشيخ على بن إدريس تلميذ الشيخ عبدالقادر ، وكان ذكيا يتوقد نورا ، وكان ينظم على البديهة سريعا أشياء حسنة فصيحة بليغة ، وقد نظم الكافى الذى ألفه موفق الدين بن قدامة ، ومختصر الخرق ، وأما مدائحه فى رسول الله (س) ، فيقال إنها تبلغ عشرين مجلدا ، وما اشتهر عنه أنه مدح أحدا من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء ، ولما دخل التنار إلى بغداد دعى إلى دارها كرمون بن هلا كوفابى أن يجيب إليه ، وأعد فى داره حجارة فخين دخل عليه التنار رمام تلك الأحجار فهشم منهم جماعة ، فلما خلصوا إليه قتل بمكازه أحدهم ، ثم قتلوه شهيدا رحمه الله تعالى ، وله من العمر ثمان وستون سنة . وقد أورد له قطب الدين البونونى من دبوانه قطعة صالحة فى ترجمته فى الدليل ، استوعب حروف المعجم ، وذكر غير ذلك قصائد طولا كثيرة حسنة .

البهاء زهير صاحب الديوان

وهو زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسين بن جعفر المهلبى العتقى المصرى ، ولد بمكة ونشأ بقوص ، وأقام بالقاهرة ، الشاعر المطبق الجواد فى حسن الخط له ديوان مشهور ، وقدم على السلطان

الصالح أبوب ، وكان غزير المروءة حسن التوسط في إيصال الخير إلى الناس ، ودفع الشر عنهم ، وقد أثنى عليه ابن خلكان وقال أجازي رواية ديوانه ، وقد بسط ترجمته القطب اليوناني .

الحافظ زكي الدين المنذري

عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سميد ، الامام العلامة محمد أبو زكي الدين المنذري الشافعي المصري ، أصله من الشام وولد بمصر ، وكان شيخ الحديث بها مدة طويلة ، إليه الوفاة والرحلة من سنين متطاولة ، وقيل إنه ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وعنى بهذا الشأن ، حتى فاق أهل زمانه فيه ، وصنف وخرج ، واختصر صحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وهو أحسن اختصاراً من الأول ، وله اليد الطولى في اللغة والفقه والتاريخ ، وكان ثقة حجة متحرراً زاهداً ، توفي يوم السبت رابع ذي القعدة من هذه السنة بدار الحديث الكاملية بمصر . ودفن بالقراة رحمه الله تعالى .

النور أبو بكر بن محمد بن محمد بن عبد العزيز

ابن عبد الرحيم بن رستم الأشعري الشاعر المشهور الخليج ، كان القاضي صدر الدين بن سناء الدولة قد أجلسه مع الشهود تحت الساعات ، ثم استدعاه الناصر صاحب البلد فجعله من جلسائه وقدمائه ، وخالع عليه خلع الاجناد ، فانسلك من هذا الفن إلى غيره ، وجمع كتاباً سماه « الزرجون في الاخلاعة والمجون » وذكر فيه أشياء كثيرة من النظم والنثر والخلعة ، ومن شعره الذي لا يحمد :

لثة العمر خمسة فاقنيها * من خليج غدا أديباً فيها

في نديم وقينة وحبيب * ومدام وسب من لام فيها

الوزير - بن العلقمي الرافضي قبحه الله

محمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أبي طالب ، الوزير مؤيد الدين أبوطالب ابن العلقمي ، وزير المستعصم البغدادي ، وخدمه في زمان المستعصم أستاذ دار الخلافة مدة طويلة ، ثم صار وزير المستعصم وزير سوء على نفسه وعلى الخليفة وعلى المسلمين ، مع أنه من الفضلاء في الانشاء والأدب ، وكان رافضياً خبيثاً ردى الطوية على الاسلام وأهله ، وقد حصل له من التظيم والوجاهة في أيام المستعصم ما لم يحصل لغيره من الوزراء ، ثم مالا على الاسلام وأهله الكفار هولا كوخان ، حتى فعل ما فعل بالاسلام وأهله مما تقدم ذكره ، ثم حصل له بعد ذلك من الاهانة والذل على أيدي التتار الذين مالاهم وزال عنه ستر الله ، وذاق الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، وقد رآته امرأة وهو في الذل والموان وهو راكب في أيام التتار برذونا وهو مرسم عليه ، وسائق يسوقه ويضرب فرسه ، فوثقت إلى جانبه وقالت له : يا ابن العلقمي هكذا كان بنو العباس يعاملونك ؟ فوقعت كلماتها

في قلبه وانقطع في داره إلى أن مات كذا وغيبته وضيقا ، وقلة وذلة ، في مستهل جمادى الآخرة من هذه السنة ، وله من العمر ثلاث وستون سنة ، ودفن في قبور الروافض ، وقد سمع بأذنيه ، ورأى بعينه من الاهانة من التتار والمسلمين مالا يحسد ولا يوصف . وتولى بعده ولده الخليل الوزير ، ثم أخذه الله أخذ القرى وهي ظلمة مريعا ، وقد هجاه بعض الشعراء فقال فيه :

يا فرقة الاسلام نوحوا واندبوا • أسفا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه • لابن الفرات فصا را لابن العلقمي

محمد بن عبد الصمد بن عبد الله بن حيدرة

فتح الدين أبو عبد الله بن العدل محتسب دمشق ، كان مشكورا حسن الطريقة ، وجده العدل نجيب الدين أبو محمد عبد الله بن حيدرة ، وهو واقف المدرسة التي بالزبداني في سنة تسعين وخمسمائة تقبل الله منه وجزاها خيرا .

أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي الفقيه الحداث المدرس بالاسكندرية ، ولد بقرطبة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الكثير هناك ، واختصر الصحيحين ، وشرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم ، وفيه أشياء حسنة مفيدة محررة رحمه الله .

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان

أحد مشايخ الشافعية ، أخذ عنه الشيخ محيي الدين النووي وغيره ، وكان مدرسا بالرواحية ، توفي في ذي القعدة من هذه السنة .

العهاد داود بن عمر بن يحيى بن عمر بن كامل

أبو المال وأبو سليمان الزبيدي المقدسي ثم الدمشقي خطيب بيت الأبار ، وقد خطب بالأموي ست سنين بعد ابن عبد السلام ، ودرس بالقرطبية ، ثم عاد إلى بيت الأبار فأت بها .

علي بن محمد بن الحسين صدر الدين أبو الحسن بن النيار شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان أولا مؤدبا للامام المستعصم ، فلما صارت الخلافة إليه برهة من الدهور دفعه وعظفه وصارت له وجهة عنده ، وانضمت إليه أزمة الأمور ، ثم إنه ذبح بدار الخلافة كما تذبح الشاة على أيدي التتار .

الشيخ علي العابد الحلباز

كان له أصحاب وأتباع ببغداد ، وله زاوية يزار فيها ، قتلته التتار وألقي على مزبلة بباب زاويته ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب من لحمه ، ويقال إنه أخبر بذلك عن نفسه في حال حياته .

محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفرج أبو عبد الله المقدسي

خطيب براد ، سمع الكثير ، وعاش تسعين سنة ، ولد في سنة ثلاث وخمسين فسمع الناس

عليه الكثير بدمشق ، ثم عاد فمات ببلده برادا في هذه السنة ، رحمه الله .

البدر لؤلؤ صاحب الموصل

الملقب بالملك الرحيم ، توفي في شعبان من مائة سنة ^(١) وقد ملك الموصل نحو من خمسين سنة ، وكان ذاعقل ودهاء ومكر ، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه حتى أبادهم ، وأزال الدولة الاتابكية عن الموصل ، ولما انفصل هولاكوخان عن بغداد - بعد الوقعة الفظيعة العظيمة - سار إلى خدمته طاعة له ، ومعه الهدايا والتحف ، فأكرمه واحترمه ، ورجع من عنده فكث بالموصل أياماً يسيرة ، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية ، وتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودة معدلته ، وقد جمع له الشيخ عز الدين كتابه المسمى بالكامل في التاريخ فأجازته عليه وأحسن إليه ، وكان يعطى لبعض الشعراء ألف دينار . وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل . رقد كان بدر الدين لؤلؤ هزلاً أرمنياً اشتراه رجل خياط ، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي ابن آقسنقر الاتابكي صاحب الموصل ، وكان مليح الصورة ، فخطى عنده وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه ، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه . ثم إنه قتل أولاد أستاذه غيلة واحداً بعد واحد إلى أن لم يبق معه أحد منهم ، فاستقل هو بالملك ، وصفت له الأمور ، وكان يبيت في كل سنة إلى مشهد على قنديلا ذهباً زنته ألف دينار ، وقد بلغ من العمر قريباً من تسعين سنة ، وكان شاباً حسن الشباب من لقارة وجهه ، وحسن شكله ، وكانت العامة تلقبه قضيبي الذهب ، وكان ذا همة عالية وداهية شديد المكر بعيد الغور ، وبعثه إلى مشهد على بذلك القنديل الذهب في كل سنة دليل على قلة عقله وتشيعه نواله أعلم .

الملك الناصر داود المعظم

ترجمه الشيخ قطب الدين اليونيني في تذييله على المرأة في هذه السنة ، وبسط ترجمته جداً وما جرى له من أول أمره إلى آخره . وقد ذكرنا ترجمته في الحوادث ، وأنه أودع الخليفة المستعصم في سنة سبع وأربعين وديمة قيمتها مائة ألف دينار فجحدتها الخليفة ، فكرر وفوده إليه ، ونسله بالناس في ردها إليه ، فلم يند من ذلك شيئاً ، وتقدم أنه قال لذلك الشاعر الذي مدح الخليفة بقوله
لو كنت في يوم السقيفة حاضراً * كنت المقدم والامام الاورما

فقال له الناصر داود : أخطأت فقد كان جد أمير المؤمنين العباس حاضراً يوم السقيفة ولم يكن المقدم ، وهو أفضل من أمير المؤمنين ، وإنما كان المقدم أبو بكر الصديق ، فقال الخليفة صدق وخلع عليه ، ونفى ذلك الشاعر - وهو الوجيه الفزارى - إلى مصر ، وكانت وفاة الناصر داود بقرية البو أيضا مرسماً عليه وشهد جنازته صاحب دمشق .

(١) في المصرية : عن ثمانين سنة .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة

استهلت هذه السنة وإيس المسلمين خليفة ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن أبي الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين ، وهو واقع بينه وبين المصريين وقد ملكوا نور الدين علي بن المعز أيبك التركاني ولقبوه بالناصر ، وقد أرسل الملك الغاشم هولا كوخان إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستدعيه إليه ، فأرسل إليه ولده العزيز وهو صغير معه هدايا كثيرة وتحف ، فلم يحتفل به هولا كوخان بل غضب على أبيه إذ لم يقبل إليه ، وأخذ ابنه وقال أنا أسير إلى بلاده بنفسى ، فانزعج الناصر لذلك ، وبعث بحريمه وأهله إلى الكرك ليحضرهم بها وخاف أهل دمشق خوفا شديدا ، ولا سيما لما بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات ، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء ، فمات ناس كثير منهم ونهبوا ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وأقبل هولا كوخان فقصده الشام بمجنوده وعساكره ، وقد امتنعت عليه ميا قارقين مدة سنة ونصف ، فأرسل إليها ولده أشموط فافتتحها قسرا وأنزل ملكها الكامل بن الشهاب غازي بن العادل فأرسله إلى أبيه وهو محاصر حلب فقتله بين يديه ، واستناب عليها بعض عماليك الأشرف ، وطيف برأس الكامل في البلاد ، ودخلوا برأسه إلى دمشق ، فنصب على باب الفراديس البراني ، ثم دفن بمسجد الرأس داخل باب الفراديس الجواني ، فنظم أبو شامة في ذلك قصيدة يذكر فيها فضله وجهاده ، وشبهه بالحسين في قتله مظلوما ، ودفن رأسه عند رأسه .

وفيها حل إلخواجه نصير [الدين الطوسي] الرصد بمدينة مراغة ، ونقل إليه شيئا كثيرا من كتب الأوقاف التي كانت ببغداد ، وعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ، ورتب لكل واحد في اليوم واليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب في اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم في اليوم . وفيها قدم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن أبي جراحة المعروف بابن العديم إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار ، وأنهم قد اقترب قدومهم إلى الشام ، وقد استولوا على بلاد الجزيرة وقيصرها ، وقد جاز أشموط بن هولا كوخان الفرات وقرب من حلب ، فعند ذلك عقدوا مجلسا بين يدي المنصور بن المعز التركاني ، وحضر قاضي مصر بدر الدين السنجاري ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وتفاوضوا الكلام فيما يتعلق بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند ، وكانت العمدة على ما يقوله ابن عبد السلام ، وكان حاصل كلامه أنه قال إذا لم يبق في بيت المال شيء ثم أنفقتم أموال الخوائض المذهبة وغيرها من الفضة والزينة ، وتساويتكم أنتم والعامة في الملابس سوى آلات الحرب بحيث لم يبق للجندي سوى فرسه التي يركبها ، ساغ للحاكم حينئذ أخذ شيء من أموال

الناس في دفع الاعداء عنهم ، لأنه إذا دم العدو البلاد ، وجب على الناس كافة دفعهم بأموالهم وأنفسهم .
ولاية الملك المظفر قطز

وفيه قبض الأمير سيف الدين قطز على ابن أستاذه نور الدين على الملقب بالنصور ، وذلك في غيبة أكثر الأمراء من ممالك أبيه وغيرهم في الصيد ، فلما مسكه سيره مع أمه وأبيه وأخوته إلى بلاد الأشكرى ، وتسلطن هو وسمى نفسه بالملك المظفر ، وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين ، فان الله جعل على يديه كسر التتار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وبأن عذره الذي اعتذر به إلى الفقهاء والقضاة وإلى ابن العديم ، فانه قال لا بد للناس من سلطان قاهر يقاتل عن المسلمين عدوم ، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة .

وفيه برز الملك الناصر صاحب دمشق إلى طه ، برز في جغافل كثيرة من الجيش والمتطوعة والأعراب وغيرهم ، ولما علم ضعفهم عن مقاومة المغول أرفض ذلك الجمع ، ولم يسر لا هو ولا هم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .
وفيه توفي من الأعيان .

واقف الصدرية صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مؤمل

التنوخى المغربى ثم الدمشقى الحنبلى أحد المعدلين ، ذوى الأموال ، والمروءات والصدقات الدارة البارة ، وقف مدرسة للحنابلة ، وقبره بها إلى جانب تربة القاضى المصرى فى رأس درب الریحان من ناحية الجامع الأموى ، وقد ولى نظر الجامع مدة ، واستجد أشياء كثيرة منها سوق النحاسين قبل الجامع ، ونقل الصاغة إلى مكانها الآن ، وقد كانت قبل ذلك فى الصاغة العتيقة ، وجدد الدكاكين التى بين أعمدة الزيارة ، وتمر الجامع أموالا جزيلة ، وكانت له صدقات كثيرة ، وذكر عنه أنه كان يعرف صنعة الكيمياء وأنه صح معه عمل الفضة ، وعندى أن هذا لا يصح ولا يصح عنه والله أعلم .

الشيخ يوسف الاقينى

كان يعرف بالأقينى لأنه كان يسكن قبة حماس نور الدين الشهيد ، وكان يلبس ثيابا طوالا تحف على الأرض ، ويبول فى ثيابه ، ورأسه مكشوفة ، ويزعمون أن له أحوالا وكشوفات كثيرة ، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته ، وذلك لأنهم لا يملكون شرائط الولاية ولا الصلاح ، ولا يملكون أن الكشف قد تصدر من البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، كالأهلبان وغيرهم ، وكالجال وابن صياد وغيرهم ، فان الجن تسترق السمع وتلتصق على أذن الانسان ، ولا سيما من يكون مجنوناً أو غير نقي الثياب من النجاسة ، فلا بد من اختبار صاحب الحال بالكتاب والسنة ، فمن وافق حاله كتاب الله وسنة رسوله فهو رجل صالح سواء كشف أو لم يكشف ، ومن لم يوافق فليس

رجل صالح سواء كاشف أم لا . قال الشافعي : إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تفقدوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة . ولما مات هذا الرجل دفن بقرية بسفح قاسيون وهي مشهورة به شرقاً^(١) الرواحية ، وهي مزخرفة قدامتني بها بعض العوام ممن كان يمتدده ، فزخرفها وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة ، وهذا كله من البدع ، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة ، وكان الشيخ إبراهيم بن سيمع جيمانة لا يتجاسر فيها بزعم أن يدخل البلد والقيمتي حتى ، فيوم مات الاقيمتي دخلها ، وكانت العوام معه فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون أذن لنا في دخول البلد ، وهم أتباع كل فاعق لم يستضيئوا بنور العلم ، قليل لجيمانة : ما منعك من دخولها قبل اليوم ؟ فقال : كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجدها السبع رايضاً فيه فلا أستطيع الدخول ، وقد كان سكن الشافور ، وهذا كذب واحتيال ومكر وشبهة ، وقد دفن جيمانة عنده في تربته بالسفح والله أعلم بأحوال العباد . الشمس علي بن الشبي المحدث

تاب في الحسبة عن الصدر البكري ، وقرأ الكثير بنفسه ، وسمع وأسمع ، وكتب بخطه كثيراً . أبو عبدالله الفاسي شارح الشاطبية

اشهر بالكنية ، وقيل إن اسمه القاسم ، مات بحلب ، وكان عالماً فاضلاً في العربية والقراءات وغير ذلك ، وقد أجاد في شرحه للشاطبية وأعاد ، واستحسنه الشيخ شهاب الدين أبو شامة شارحها أيضاً . النجم أخو البدر مفضل

وكان شيخ الفاضلية بالكلاسة ، وكان له إجازة من السافى خطيب العقبة بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ودفن بباب الصغير على جده ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . سعد الدين محمد بن الشيخ محي الدين بن عربي ذكره أبو شامة وأثنى عليه في فضيلته وأدبه وشعره ، هذا إن لم يكن من أتباع أبيه ، وقد ذكر أبو شامة وفاة الناصر داود في هذه السنة .

سيف الدين بن صبرة

متولى شرطة دمشق ، ذكر أبو شامة أنه حين مات جاءت حية فتهشت أنفاده ، وقيل : إنها التفت في أكفانه ، وأعجب الناس دفعها . قال وقيل : إنه كان نصيراً رافضياً خبيثاً مدمن خمر ، نساء الله السر والعافية التعجب بن شعيشعة الدمشقي

أخذ الشهود بها ، له سماع حديث ووقف داره بدرب البانياس دار حديث ، وهي التي كان يسكنها شيخنا الحافظ المزى قبل انتقاله إلى دار الحديث الأشرقية ، قال أبو شامة وكان ابن شعيشعة

(١) في النسخة المصرية : قرية أبي عمرو المقسمي .

وهو النجيب أبو الفتح نصر الله بن أبي طالب الشيباني مشهوراً بالكذب ورقة الدين وغير ذلك ،
وهو أحد الشهود المقتوح فيهم ، ولم يكن بأهل أن يؤخذ عنه ، قال وقد أجلسه أحد بن يحيى الملقب
بالصدر ابن سقى الدولة في حال ولايته القضاء بدمشق ، فأشدد فيه بعض الشعراء :

جلس الشعيشة الشقي ليشهدا * تبالكم ، ماذا عدا فيا بدا ؟
هل زلزال الزلزال ؟ أم قد خرج الله * جال أم عدم الرجال ذوو الهدى ؟
هيباً لحلول العقيدة جاهل * بالشرع قد أذنوا له أن يقعدا

قال أبو شامة : في سنة سبع وخمسين وستائة مات شخص زنديق يتعاطى الفلسفة والنظر في علم
الأوائل ، وكان يسكن مدارس المسلمين ، وقد أفسد عقائد جماعة من الشبان المشتغلين فيها بلفظ ،
وكان أبوه يزعم أنه من تلامذة ابن خطيب الرأزي صاحب المصنفات . حية ولد حية .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستائة

اشتهدت هذه السنة بيوم الخميس وليس للناس خليفة ، وملك المراقين وخراسان وغيرها من
بلاد المشرق السلطان هولاكوخان ملك التتار ، وسلطان ديار مصر الملك المظفر سيف الدين قطز ،
ملوك المعز أيبك التركاني ، وسلطان دمشق وحلب الملك الناصر بن العزيز بن الظاهر ، وبلاد الكرك
والشوبك للملك المغيث بن العادل بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وهو حرب مع الناصر
صاحب دمشق على المصريين ، ومعهما الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ، وقد عزموا على قتال
المصريين وأخذ مصر منهم . وبينما الناس على هذه الحال وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام
إذ دخل جيش الفول محبة ملكهم هولاكوخان وجازوا الفرات على جسور حملوها ، ووصلوا إلى
حلب في ثاني صفر من هذه السنة ، فحاصروها سبعة أيام ثم افتتحوها بالأمان ، ثم غنموا بأهلها وقتلوا
منهم خلقاً لا يملهم إلا الله عز وجل ، ونهبوا الأموال ، وسبوا النساء والأطفال ، وجرى عليهم
قريب مما جرى على أهل بغداد ، فحاصروا الديار وجمعوا أعزة أهلها أذلة ، فأن الله وإنا إليه
راجعون . وامتنعت عليهم القلعة شهراً ثم استلموها بالأمان ، وخرب أسوار البلد وأسوار القلعة
وبقيت حلب كأنها حمار أجرب ، وكان نائبها الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين وكان عاقلاً
حازماً ، لكنه لم يوافق الجيش على القتال ، وكان أمر الله قدره مقدوراً . وقد كان أرسل هولاكوخان يقول
لأهل حلب : نحن إنما جئنا لقتال الملك الناصر بدمشق ، فاجعلوا لنا عندكم شحنة ، فإن كانت النصر
لنا فالبلاد كلها في حكمنا ، وإن كانت علينا فإن شئتم قبلتم الشحنة وإن شئتم أطلقتموه . فأجابوه
مالك عندنا إلا السيف ، فتهيج من ضعفهم وجوابهم ، فزحف حيلته إليهم وأحاط بالبلد ، وكان
ما كان بقدر الله سبحانه . ولما فتحت حلب أرسل صاحب حماه بمفاتيحها إلى هولاكوخان ، فاستجاب عليها

رجلا من المعجم يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد يقال له خسر وشاه ، تغرب أسوارها كدبنت حلب
ضفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم عنها سرعاً

أرسل هولاء وهو نازل على حلب جيشاً مع أمير من كبار دولته يقال له كبتفانوين ، فوردوا
دمشق في آخر صفر فأخذوها سرعاً من غير عمانعة ولا مدافع ، بل تلقاهم كبارها بالرحب والسعة ،
وقد كتب هولاء أماتاً لأهل البلد ، فقرأ بالبدان الأخضر ونودي به في البلدة فأمن الناس على وجل
من الغدر ، كما فعل بأهل حلب ، هذا والقلة متمتعة مستورة ، وفي أعاليها المنجانيق منصوبة والحال
شديدة ، فحضرت التتار منجنيقاً يحمل على محمل وانطول تجرها ، وهم راكبون على الخيل وأسلحتهم
على أبقار كثيرة ، فنصب المنجانيق على القلعة من غربها ، وخرّبوا حيطاناً كثيرة وأخذوا حجارها
ورموا بها القلعة رمياً متواتراً كالطائر المتدارك ، فهدموا كثيراً من أعاليها وشراقتها وتداعت للسقوط
فأجابهم متوليها في آخر ذلك النهار للمصالحة ، ففتحوها وخرّبوا كل بدنة فيها ، وأعلى بروجها ، وذلك
في نصف جمادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا المتولى بها بدر الدين بن قراجا ، ونفيها جمال الدين
ابن الصير في الحامي ، وسلموا البلد والقلعة إلى أمير منهم يقال له ابل سيان ، وكان لعنه الله معظم الدين
النصارى ، فاجتمع به أساقفتهم وقسوسهم ، فعضّهم جداً ، وزار كنائسهم ، فصارت لهم دولة وصوله
بسببه ، وذهب طائفة من النصارى إلى هولاء وأخذوا معهم هدايا وتحفاً ، وقدموا من عنده ومعهم
أمان فرمان من جهته ، ودخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس ، وهم
ينادون بشعارهم ويقولون : ظهر الدين الصحيح دين المسيح . وينمون دين الاسلام وأهله ، ومعهم
أواني فيها خمر لا يرون على باب مسجد لإرشوا عنده خمر ، وقاقم ملائكة خمر يرشون منها على
وجوه الناس وثمانيتهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبتهم ، ودخلوا
من درب الحجر فوقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان ، ورشوا عنده خمر ، وكذلك على باب مسجد
درب الحجر الصغير والكبير ، واجتازوا في السوق حتى وصلوا درب الريحان أو قريب منه ، فتكاثروا
عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطلة السوق فمدح دين
النصارى وذم دين الاسلام وأهله ، فآثقه وإنا إليه راجعون . ثم دخلوا بعد ذلك إلى كنيسة مريم
وكانت حارة ولكن كان هذا سبب خرابها والله الحمد . وحكى الشيخ قطب الدين في ذيله على المرأة
أنهم ضربوا بالناقوس في كنيسة مريم فآثقه أعلم .

قال وذكر أنهم دخلوا إلى الجامع بمحرم وكان في نيّهم إن طالت مدة التتار أن يخرّبوا كثيراً
من المساجد وغيرها ، ولما وقع هذا في البلد اجتمع قضاة المسلمين والشهود والفقهاء فدخلوا القلعة
يشكون هذا الحال إلى متسلّحها ابل سيان فأهينوا وطردوا ، وقدم كلام رؤساء النصارى عليهم فآثقه

و إنما إليه راجعون . وهذا كان في أول هذه السنة وسليمان الشام الناصر بن العزيز وهو مقيم في وطأة برزه ، ومعه جيوش كثيرة من الأمراء وأبناء الملوك ليناجزوا التتار إن قدموا عليهم ، وكان في جلة من معه الأمير بيبرس البندقداري في جماعة من البحرية ، ولكن الكلمة بين الجيوش مختلفة غير مؤتلفة ، لما يريد الله عز وجل . وقد عزمت طائفة من الأمراء على خلع الناصر وسجنه ومبايعة أخيه شقيقه الملك الظاهر على ، فلما عرف الناصر ذلك هرب إلى القلعة وتفرقت السراكر شذرو مذر وساق الأمير ركن الدين بيبرس في أصحابه إلى ناحية غزة ، فاستدعاه الملك المظفر قطز إليه واستقدمه عليه ، وأعطاه قليوب ، وأنزله بدار الوزارة وعظم شأنه لديه ، وإنما كان حنقه على يديه .

وقعت عين جالوت

اتفق وقوع هذا كله في العشر الأخير من رمضان من هذه السنة ، فامضت سوى ثلاثة أيام حتى جاءت الإشارة بنصرة المسلمين على التتار بين جالوت ، وذلك أن الملك المظفر قطز صاحب مصر لما بلغه أن التتار قد فعلوا بالشام ما ذكرنا ، وقد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة ، وقد عزموا على الدخول إلى مصر ، وقد عزم الملك الناصر صاحب دمشق على الرحيل إلى مصر ، وليته فعل ، وكان في محبته الملك المنصور صاحب حماه ونفاق من الأمراء وأبناء الملوك ، وقد وصل إلى قطية وأكرم الملك المظفر قطز صاحب حماه وعسده ببلده ووفاه له ، ولم يدخل الملك الناصر مصر بل كر راجعاً إلى ناحية تيه بنى إمرأئيل ، ودخل عامة من كان معه إلى مصر ، ولو دخل كان أيسر عليه مما صار إليه ، ولكنه خاف منهم لأجل العداوة فدخل إلى ناحية الكرك فتحصن بها وليته استمر فيها ، ولكنه فاق فركب نحو البرية - وليته ذهب فيها - واستجار ببعض أمراء الأعراب ، فقصده التتار وأتلفوا ما هنالك من الأموال وخربوا الديار وقتلوا الكبار والصغار وهجموا على الأعراب التي بتلك النواحي فقتلوا منهم خلقاً وسبوا من نسلهم ونسائهم ، وقد اقتص منهم العرب بعد ذلك ، فأغاروا على خيل جشارهم في نصف شعبان فساقوها بأسرها ، فسأقت وراهم التتار فلم يدركوا لهم النبار ولا استردوا منهم فرساً ولا حملاً ، وما زال التتار وراء الناصر حتى أخذوه عند بركة زيزى وأرسلوه مع ولده العزيز وهو صغير وأخيه إلى ملكهم هولاكوخان وهو نازل على حلب ، فما زالوا في أسره حتى قتلهم في السنة الآتية كما سنده . والمقصود أن المظفر قطز لما بلغه ما كان من أمر التتار بالشام الحروسة وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تهديد ملكهم بالشام ، بادرم قبل أن يبادروه وبرز إليهم وأقدم عليهم قبل أن يقدموا عليه ، ونفج في عساكره وقد اجتمعت الكلمة عليه ، حتى انتهى إلى الشام واستيقظ له عسكر المغول وعليهم كتبغاوين ، وكان إذ ذاك في البقاع فاستشار الأشرف صاحب حمص والمجير ابن الزكي ، فأشاروا عليه بأنه لا قبل له بالمظفر حتى يستمد هولاكو

فأبى إلا أن يناجزه سريعاً ، فساروا إليه وسار المظفر إليهم ، فكان اجتماعهم على عين جالوت يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، فاقتلوا قتلاً عظيماً ، فكانت النصره والله الحمد للإسلام وأهله ، فهزموهم المسلمون هزيمة هائلة وقتل أمير المغول كتبغاوين وجماعة من بيته ، وقد قيل إن الذي قتل كتبغاوين الأمير جمال الدين آقوش الشمشى ، واتبعهم الجيش الاسلامى يقتلونهم فى كل موضع ، وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماء مع الملك المظفر قتلاً شديداً ، وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب ، وكان أتابك العسكر ، وقد أسر من جماعة كتبغاوين الملك السعيد بن العزيز بن العادل فأمر المظفر بضرب عنقه ، واستأنأ من الأشرف صاحب حمص ، وكان مع التتار ، وقد جعله هولاء كوخان نائباً على الشام كله ، فأمنه الملك المظفر ورد إليه حمص ، وكذلك رد حماء إلى المنصور وزاده المعرة وغيرها ، وأطلق سلمية للامير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب ، واتبع الامير بيهرس البندقدارى وجماعة من الشجعان التتار يقتلونهم فى كل مكان ، إلى أن وصلوا خلفهم إلى حلب ، وهرب من بدمشق منهم يوم الأحد السابع والعشرين من رمضان ، فقبضهم المسلمون من دمشق يقتلون فيهم ويستفكون الأسارى من أيديهم ، وجاءت بذلك البشارة والله الحمد على جبره أيام بلطفه فجاء بها دق البشائر من القلمة وفرح المؤمنون بنصر الله فرحاً شديداً ، وأيد الله الاسلام وأهله تأييداً وكبت الله النصارى واليهود والمنافقين وظهر دين الله وهم كارهون ، فتبادر عند ذلك المسلمون إلى كنيسة النصارى التى خرج منها الصليب فانهبوا ما فيها وأحرقوها وألقوا النار فيها حولها فاحترق دور كثيرة إلى النصارى ، وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً ، وأحرق بعض كنيسة البعاقبة ، وهمت طائفة بنهب اليهود ، فقبل لهم إنه لم يكن منهم من الطفليان كما كان من عبدة الصليبان ، وقتلت العامة وسط الجامع شيخاً رافضياً كان مصانفاً للتتار على أموال الناس يقال له الفخر محمد بن يوسف بن محمد السكنجى ، كان خبيث الطوية مشرقياً مماثلها لهم على أموال المسلمين قبضه الله ، وقتلوا جماعة مثله من المناقذين فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ، وقد كان هولاء كوا أرسل تقليداً بولاية القضاء على جميع المداين : الشام ، الجزيرة ، الموصل ، وماردين ، والأكراد وغير ذلك ، للقاضى كمال الدين عمر بن بدار التفليسى . وقد كان نائب الحكيم بدمشق عن القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله ابن سنى الدولة من مدة خمس عشرة سنة ، فحين وصل التقليد فى سادس عشرين ربيع الأول قرى بالمليدان الأخضر فاستقل بالحكم فى دمشق وقد كان فاضلاً ، فسار القاضيان المعز ولان صدر الدين بن سنى الدولة ويحى الدين بن الزكى إلى خدمة هولاء كوخان إلى حلب ، فقدم ابن الزكى لابن سنى الدولة وبذل أموالاً جزيلة ، وتولى القضاء بدمشق ورجعا ، فأت ابن سنى الدولة ببمليك ، وقدم ابن الزكى على القضاء ومعه تقليده وخلمة منجبة فلبسها وجلس فى خدمة ابل سنان تحت قبة البسر عند الباب

الكبير ، وبينهما الخاتون زوجة ابل سنان حاضرة عن وجهها ، وقرىء التقليد هناك والحالة كذلك ،
وحين ذكر اسم هولاء كثر الذهب والفضة فوق رؤس الناس ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، قبح الله
ذلك القاضي والأمير والزوجة والسلطان . وذكر أبو شامة أن ابن الزكي استنحوذ على مدارس كثيرة
في مدته هذه القصيرة ، فانه عزل قبيل رأس الحول ، فأخذ في هذه المدة العسراوية والسلطانية
والفلكية والركنية والقيصرية والمزينة مع المدرستين اللتين كانتا بيده التقوية والمزينة ، وأخذ لولده
عيسى تدريس الامينية ومشيفة الشيوخ ، وأخذ أم الصالح لبعض أصحابه وهو العماد المصري ،
وأخذ الشامية البرانية لصاحب له ، واستناب أخاه لأمه شهاب الدين إسماعيل بن أسعد بن حبش
في القضاء وولاه الرواحية والشامية البرانية . قال أبو شامة : مع أن شرط واقفها أن لا يجمع بينها وبين
غيرها . ولما رجعت دمشق وغيرها إلى المسلمين ، سعى في القضاء وبذل أموالا ليستغفره وفيها يديه
من المدارس ، فلم يستمر بل عزل بالقاضي نجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن سني الدولة ، قرىء
توقيعه بالقضاء يوم الجمعة بعد الصلاة في الحادي والعشرين من ذي القعدة عند الشباك الكالي من مشهد
عثمان من جامع دمشق . ولما كسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراهم ودخل
دمشق في أهبة عظيمة وفرح به الناس فرحاً شديداً ودعوا له دعاء كثيراً ، وأقر صاحب حصص الملك
الأشرف عليها وكذلك المنصور صاحب حماه ، واسترد حلب من يد هولاء ، وعاد الحق إلى نصابه
ومهد القواعد ، وكان قد أرسل بين يديه الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري ليطرد التتار عن
حلب ويتسلمها ويعدده بلبائنها ، فلما طردهم عنها وأخرجهم منها وتسلمها المسلمون استناب عليها
غيره وهو علاء الدين ابن صاحب الموصل ، وكان ذلك سبب الوحشة التي وقعت بينهما
واقترضت قتل الملك المظفر قطز سريماً ، والله الأمر من قبل ومن بعد . فلما فرغ المظفر من الشام عزم
على الرجوع إلى مصر واستناب على دمشق الأمير علاء الدين سنجر الحلبي الكبير والأمير مجير الدين
ابن الحسين بن آقشتمر ، وعزل القاضي ابن الزكي عن قضاء دمشق ، وولى ابن سني الدولة ثم رجع
إلى الديار المصرية والمسافر الإسلامية في خدمته ، وعيون الأعيان تنظر إليه شزراً من شدة هيئته

ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس البندقداري

وهو الأسد الضاري ، وذلك أن السلطان الملك المظفر قطز لما عاد قاصداً مصر ، وصل إلى
ما بين الغزالي والصالحية ، عدا عليه الأمراء قتلوه هناك ، وقد كان رجلاً صالحاً كثير الصلاة في
الجماعة ، ولا يتعاطى المسكر ولا شيئاً مما يتعاطاه الملوك ، وكانت مدة ملكه من حين عزل ابن أستاذ
المنصور على بن المرز التركاني إلى هذه المدة ، وهي أواخر ذي القعدة نحواً من سنة ، رحمه الله وجزاه من
الاسلام وأهله خيراً . وكان الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري قد ائتقى مع جماعة من الأمراء

على قتله ، فلما وصل إلى هذه المنزلة ضرب دهلوزه وساق خلف أرنب ، وساق معه أولئك الأمراء فشفع عنده ركن الدين بيبرس في شيء فشفعه ، فأخذ يده ليقبلها فأمسكها وحمل عليه أولئك الأمراء بالسيوف فضر به ، وألقوه عن فرسه ورشقوه بالنشاب حتى قتلوه رحمه الله ، ثم كروا راجعين إلى الحميم وبأيديهم السيوف مصلنة ، فأخبروا من هناك بالخبر ، فقال بعضهم من قتله ؟ فقالوا : ركن الدين بيبرس ، فقالوا أنت قتلتها ؟ فقال نعم ، فقالوا أنت الملك إذا ، وقيل لما قتل حار الأمراء بينهم فيمن يولون الملك ، وصار كل واحد منهم يخشى غائلة ذلك ، وأن يصيبه ما أصاب غيره سرياً ، فاتفقت كلمتهم على أن يلدوا بيبرس البندقباري ، ولم يكن هو من أكابر المقدمين ، ولكن أرادوا أن يجربوا فيه ، ولقبوه الملك الظاهر ، فجلس على سرير المملكة وحكمه ، ودقت البشائر وضربت الطبول والبوقات وصفرت الشغابة ، وزعقت الشاوشية بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً وتوكل على الله واستعان به ، ثم دخل مصر والعساكر في خدمته ، فدخل قلعة الجبل وجلس على كرسيها ، فحكم وعدل وقطع ووصل وولى وعزل ، وكان شهياً شجاعاً أقامه الله للناس لشدة احتياجه إلى في هذا الوقت الشديد والأمر المسير ، وكان أولاً لقب نفسه بالملك القاهر ، فقال له الوزير : إن هذا اللقب لا يرفع من يلقب به . فلقب به القاهر بن المعتمد فلم تطل أيامه حتى خلع ومعلت عيناه ، ولقب به القاهر صاحب الموصل فسم فوات ، فعدل عنه حينئذ إلى الملك الظاهر ، ثم شرع في مسك من يرى في نفسه رئاسة من أكابر الأمراء حتى مهد الملك . وقد كان هولاء كوخان لما بلغه ماجرى على جيشه من المسلمين بعين جالوت أرسل جماعة من جيشه الذين معه كثيرين ليستعيدوا الشام من أيدي المسلمين ، فغلب بينهم وبين ما يشتهون فرجعوا إليه خائبين خاسرين ، وذلك أنه نهض إليهم المهزبر الكاسر والسيوف الباتر الملك الظاهر ، فقدم دمشق وأرسل العساكر في كل وجه لحفظ الثغور والمعاقل بالأسلحة ، فلم يقدر التنازع على الدنو إليه ، ووجدوا الدولة قد تغيرت ، والسواعد قد فحمت ، وعناية الله بالشام وأهلها قد حصلت ، ورحمته بهم قد نزلت ، فعند ذلك نكصت شياطينهم على أعقابهم ، وكروا راجعين القهقري ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وقد كان الملك المظفر قتل رحمه الله استناب على دمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي أحد الأتراك ، فلما بلغه مقتل المظفر دخل القلعة ودعا لنفسه وتسمى بالملك المجاهد ، فلما جاءت البيعة للملك الظاهر خطب له يوم الجمعة السادس من ذي الحجة فدعا الخطيب أولاً للمجاهد ثم للظاهر ثانياً وضربت السكة باسمهما معا ، ثم ارتفع المجاهد هذا من البين كما سيأتي .

وقد اتفق في هذا العام أمور هجبية ، وهي أن أول هذه السنة كانت الشام للسلطان الناصر ابن العزيز ، ثم في النصف من صفر صارت لهؤلاء كملك التتار ، ثم في آخر رمضان صارت للمظفر قتل

ثم في أواخر العقدة صارت للظاهر بيبرس ، وقد شرکه في دمشق الملك المجاهد سنجر ، وكذلك كان القضاء في أولها بالشام لابن سفي الدولة صدر الدين ، ثم صار للكمال عمر النفليسى من جهة هولا کو ثم لابن الزكي ثم لنجم الدين ابن سفي الدولة . وكذلك كان خطيب جامع دمشق عماد الدين بن الحرستاني من سنين متطاولة ، فزل في شوال منها بالهاد الاسعدي ، وكان صينافارثا مجيدا ، ثم أعيد الهاد الحرستاني في أول ذى القعدة منها . فسبحان من بيده الأمور يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . وفيها توفي من الأعيان .

قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سني الدولة

أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسين بن يحيى بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة بن الخياط ، قاضي القضاة صدر الدين أبو العباس ابن سفي الدولة النفلابي الدمشقي الشافعي ، وسفي الدولة الحسين بن يحيى المذكور كان قاضيا لبعض ملوك دمشق في حدود الخمسمائة ، وله أوقاف على ذريته . وابن الخياط الشاعر صاحب الديوان وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة النفلابي هو عم سفي الدولة . ولد سفي الدولة سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وسمع الخشوعي وابن طبرزد ، والكندي وغيرهم ، وحدث ودرس في عدة مدارس وأفتى ، وكان عارفا بالمذاهب مشكورا للسيرة ، ولكن أبو شامة ينال منه ويذمه فألله أعلم .

وقد ولي الحكم بدمشق استقلالا سنة ثلاث وأربعين واستمر إلى مدة السنة وسافر حين عزل بالكمال النفليسى هو والقاضي محي الدين ابن الزكي ، وقد سافر هو وابن الزكي إلى هولا کو لما أخذ حلب فولى ابن الزكي القضاء ، واختار ابن سفي الدولة بمليك قدمها وهو متمرص فبات بها ودفن عند الشيخ عبد الله البيونبي ، وقد كان الملك الناصر يثني عليه كما كان الملك الأشرف يثني على والده شمس الدين . ولما استقر الملك الظاهر بيبرس ولي القضاء ولده نجم الدين ابن سفي الدولة وهو الذي حدث في زمن المشمش بطالة الدروس لأنه كان له بستان بأرض السهم ، فكان يشق عليه مفارقة المشمش ، والنزول إلى المدارس ، فبطل الناس هذه الأيام واتبعوه في ذلك ، والنفس إنما تؤثر الراحة والبطالة ، ولا سيما أصحاب البساتين في أيام الفواكه وكثرة الشهوات في تلك الأيام ولا سيما القضاة .

وفيها توفي الملك السعيد صاحب ماردين

نجم الدين بن ايل غازي بن المنصور أرتق بن أرسلان بن ايل غازي بن السفي بن تمرقاش ابن ايل غازي بن اربشي وكان شجاعا ملك يوما ، وقد وقع في قلعته توران شاه بن الملك صلاح الدين كان قائما لملك الظاهر بن العزيز بن الظاهر بن الناصر صاحب دمشق على حلب ، وقد حصن

حلب من أيدي المغول مدة شهر ، ثم أسلمها بعد محاصرة شديدة صلحا . كانت وفاته في هذه السنة ودفن بدهليز داره . وفيها قتل :

الملك السعيد حسن بن عبد العزيز

ابن المادل أبي بكر بن أيوب ، كان صاحب الصبغة وبانياس بعد أبيه ، ثم أخذنا منه وخيس بقلمة المنيرة ، فلما جاءت التتار كان معهم وردوا عليه بلاده ، فلما كانت وقعة عين جالوت أتى به أسيرا إلى بين يدي المظفر قطز فضرب عنقه ، لأنه كان قد لبس سروج التتار وناصحهم على المسلمين .

عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر

ابن محمد بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، شرف الدين بن العجبي الحلبي الشافعي ، من بيت العلم والرئاسة بحلب ، درس بالظاهرية ووقف مدرسة بها ودفن بها ، توفي حين دخلت التتار حلب في صفر ، فمذبوه وصبوا عليه ماء باردا في الشتاء فتشنج حتى مات رحمه الله تعالى .

الملك المظفر قطز بن عبد الله

سيف الدين التركي ، أنخص ممالك الممزر التركاني ، أحد ممالك الصالح أيوب بن الكامل . لما قتل أستاذة الممزر قلم في تولية ولده نور الدين المنصور على ، فلما سمع بأمر التتار خاف أن تختطف السكامة لصغر ابن أستاذة فعزله ودعا إلى نفسه ، فبويغ في ذي القعدة سنة سبع وخمسين وسبعمائة كما تقدم ، ثم سار إلى التتار فجعل الله على يديه نصرة الاسلام كما ذكرنا ، وقد كان شجاعا بطالا كثير الخير ناهجا للاسلام وأهله ، وكان الناس يحبونه ويدعون له كثيرا . ذكر عنه أنه لما كان يوم المعركة بعين جالوت قتل جواده ولم يجد أحدا في الساعة الزاهنة من الوشاقية الذين معهم الجنائب ، فترجل وبقي واقفا على الأرض ثابتا ، والقتال عمال في المعركة ، وهو في موضع السلطان من القلب ، فلما رآه بعض الأمراء ترجل عن فرسه وحلف على السلطان ليركبها فامتنع وقال لذلك الأمير : ما كنت لأحرم المسلمين نفعك . ولم يزل كذلك حتى جاءته الوشاقية بالخيول فركب ، فلامه بعض الأمراء وقال : يا خوند لم لا ركبتم فرس فلان ؟ فلو أن بعض الأعداء رآك لقتلك وهلك الاسلام بسببك ، فقال : أما أنا فكنت أروح إلى الجنة ، وأما الاسلام فله رب لا يضيعه ، قد قتل فلان وفلان وفلان حتى عد خلقا من الملوك ، فأقام للاسلام من يحفظه خيرهم ، ولم يضيع الاسلام . رحمه الله وكان حين سار من مصر في خدمته خلق من كبار الأمراء البحرية وغيرهم ، ومعه المنصور صاحب حماه وجماعة من أبناء الملوك . فأرسل إلى صاحب حماه يقول له لا تمنعني في مسلمات في هذه الأيام ، وليكن مع الجندي لمة يأكلها ، والمجل المجل ، وكان اجتماعه مع عدوه كما ذكرنا في العشر الأخير من رمضان يوم الجمعة ، وهذه بشارة عظيمة ، فان وقعة بدر كانت يوم الجمعة في رمضان ، وكان

فيها نصر الاسلام . ولما قدم دمشق في شوال أقام بها المدل ورتب الأمور ، وأرسل يبيرس خلف التتار ليخرجهم ويطردهم عن حاب ، ووعدته بذايتها فلم يف له لما رآه من المصلحة ، ف وقعت الوحشة بينهما بسبب ذلك ، فلما عاد إلى مصر تمالأ عليه الأمراء مع يبيرس فقتلوه بين القرابي والصالحية ودفن بالقصر ، وكان قبره يزار ، فلما تمكن الظاهر من الملك بعث إلى قبره ففنيته عن الناس ، وكان لا يعرف بعد ذلك ، قتل يوم السبت سادس عشر من ذى القعدة رحمه الله .

وحكى الشيخ قطب الدين اليونيني في الذيل على المرأة عن الشيخ علاء الدين بن غانم عن المولى ناج الدين أحمد بن الأمير كاتب السر في أيام الناصر صاحب دمشق ، قال : لما كنا مع الناصر بوطاه برزه جاءت البريدية بخبر أن قطز قد تولى الملك بمصر ، فقرأت ذلك على السلطان ، فقال : اذهب إلى فلان وفلان فأخبرهم بهذا ، قال : فلما خرجت عنه لقيني بعض الأجناد فقال لي جاءكم الخبر من مصر بأن قطز قد تملك ؟ فقلت : ما عندي من هذا علم وما يدريك أنت بهذا ؟ فقال بلى والله سيلي المملكة ويكسر التتار ، فقلت من أين تعلم هذا ؟ فقال : كنت أخدمه وهو صغير وكان عليه قل كثير فكنت أفضله وأهينه وأذمه ، فقال لي يوما : ويلك إيش تريد أعطيك إذا ملكك الديار المصرية ؟ فقلت له أنت مجنون ؟ فقال لقد رأيت رسول الله (ص) في المنام وقال لي أنت تملك الديار المصرية وتكسر التتار ، وقول رسول الله (ص) ، حق لاشك فيه ، فقلت له حيثئذ . وكان صادقا . أريد منك إمرة خمسين فارساً ، فقال نعم أبشر . قال ابن الأمير : فلما قال لي هذا قلت له هذه كتب المصريين بأنه قد تولى السلطنة ، فقال والله ليكسرن التتار ، وكان كذلك ، ولما رجع الناصر إلى ناحية الديار المصرية وأراد دخولها ورجع عنها ودخلها أكثر الجيوش الشامية كان هذا الأمير الحماكي في جملة من دخلها ، فأعطاه المظفر إمرة خمسين فارساً ، ووفى له بالوعد ، وهو الأمير جمال الدين التركاني . قال ابن الأمير : فلقيني بمصر بعد أن تأمر فذكرني بما كان أخبرني عن المظفر ، فذكرته ثم كانت وقعة التتار على إثر ذلك فكسروهم وطردوهم عن البلاد ، وقد روى عنه أنه لما رأى عصائب التتار قال للأمراء والجيوش الذين معه : لا تقاتلوهم حتى تزول الشمس وتفي الظلال وتهب الرياح ، ويدعوا لنا الخطباء والناس في صلاتهم ، رحمه الله تعالى .

وفيها هلك كتبغا توين نائب هولاء على بلاد الشام لعنه الله ، ومعنى توين يعني أمير عشرة آلاف ، وكان هذا الخبيث قد فتح لأستاذه هولاء كو من أقصى بلاد المعجم إلى الشام ، وقد أدرك جنكيزخان جد هولاء كو ، وكان كتبغا هذا يعتمد في حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، كان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الآخر الذي يليه ، ويطلب من أهل ذلك البلد أن يؤوا هولاء إليهم ، فإن فعلوا حصل مقصوده في تضيق الأطنمة والأشربة عليهم ، فتقصر مدة الحصار

عليه لما ضاق على أهل البلد من أقواتهم ، وإن امتنعوا من إيوائهم عندهم قاتلهم بأولئك المقاتلة الذين هم أهل البلد الذي فتحه قبل ذلك ، فإن حصل الفتح وإلا كان قد أضعف أولئك هؤلاء حتى يفنى تلك المقاتلة ، فإن حصل الفتح وإلا قاتلهم بجند وأصحابه مع راحة أصحابه وتعب أهل البلد وضعفهم حتى يقتلهم سريراً . وكان يبعث إلى الحصن يقول: إن ماءكم قد قل فخشى أن نأخذكم عنوة فنقتلكم عن آخركم ونسبي نساءكم وأولادكم فابقاؤكم بعد ذهاب مائكم ، فافتحوا صلحاً قبل أن نأخذكم قسراً فيقولون له : إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء . فيقول لأصدق حتى أبعث من عندي من يشرف عليه فإن كان كثيراً انصرفت عنكم ، فيقولون: أبعث من يشرف عليه ، فيرسل رجالاً من جيشه معهم رمال مجوفة محشوة سماً ، فإذا دخلوا الحصن الذي قد أغياه ساطوا ذلك الماء بتلك الرمال على أنهم يفتشونه ويعرفون قدره ، فيفتتح ذلك السهم ويستقر في ذلك الماء فيكون سبب هلاكهم وهم لا يشعرون لعنة الله لعنة تدخل معه قبره . وكان شيخاً كبيراً قد أسن وكان يميل إلى دين النصارى ولكن لا يمكنه الخروج من حكم جنكيزخان في الياساق .

قال الشيخ قطب الدين اليوناني: وقد رأيته يميلك حين حاصر قلعتها ، وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد ضفرها مثل الدبوق ، وقارة يعلتها من خلفه باذنه ، وكان مهيباً شديداً السهولة ، قال وقد دخل الجامع فصعد المنارة ليتأمل القلعة منها ، ثم خرج من الباب الغربي فدخل دكاناً خراباً ففضى حاجته والناس ينظرون إليه وهو مكشوف العورة ، فلما فرغ من حاجته مسحه بعض أصحابه بقميص ملبد مسحة واحدة . قال ولما بلغه خروج المظفر بالمسافر من مصر تلوم في أمره وحار ماذا يفعل ، ثم حماته نفسه الأبيسة على لقاؤه ، وظن أنه منصور على جاري عاداته ، فعمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة فحملوا حملة صادقة على التتار فهزموهم هزيمة لا تجبر أبداً ، وقتل أميرهم كتبغاوين في المعركة وأسر ابنه ، وكان شاباً حسناً ، فأحضر بين يدي المظفر فقل له أهرب أبوك ؟ قال إنه لا يهرب ، فطلبوه فوجدوه بين القتلى ، فلما رآه ابنه صرخ وبكى ، فلما تحققه المظفر سجد لله تعالى ثم قال : أنام طيباً . كان هذا سمادة التتار وبقته ذهب سدهم ، وهكذا كان كما قال ولم يفلحوا بعده أبداً ، وكان قتله يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان ، وكان الذي قتله الأمير آقوش الشمسى رحمه الله .

الشيخ محمد الفقيه اليوناني

الحنبلي البعلبكي الحافظ ، هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال أحمد بن علي ابن محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن إسحاق بن جعفر الصادق ، كذا نقل هذه النسبة الشيخ قطب الدين اليوناني من خط أخيه الأكبر أبي الحسين علي وأخبره أن والده قال له نحن من سلالة

جعفر الصادق ، قال وإنما قال له هذا عند الموت لينتزع من قبول الصدقات .

أبو عبد الله بن أبي الحسين اليوناني الحنبلي تقي الدين الفقيه الحنبلي الحافظ المفيد البارع العابد الناسك ، ولد سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ، وسمع الخشوعي وحنبلًا والبكندی والحافظ عبد الغنى وكان يثنى عليه ، وتفقه على الموفق ، ولزم الشيخ عبد الله اليوناني فانتفع به ، وكان الشيخ عبد الله يثنى عليه ويقدمه ويتقدم به في الفتاوى ، وقد لبس الخرقة من شيخ شيخه عبد الله البطائشي ، وبرع في علم الحديث وحفظ الجمع بين الصحيحين بالغناء والروا ، وحفظ قطعة صالحة من مسند أحمد ، وكان يعرف العربية أخذها عن التاج الكندي ، وكتب مليحاً حسناً ، وكان الناس ينتفعون بفنونه الكثيرة ، يأخذون عنه الطرق الحسنة ، وقد حصلت له وجاهة عظيمة عند الملوك ، ترواً مرة عند الملك الأشرف بالقلعة حال سماع البخاري على الزبيدي ، فلما فرغ من الوضوء نفذ السلطان تخفيفه وبسطها على الأرض ليطأ عليها ، وحلف السلطان له إنها طاهرة ولا بد أن يطأ برجليه عليها ففعل ذلك . وقدم الكامل على أخيه الأشرف دمشق فأنزله القلعة وتحول الأشرف لدار السعادة وجعل يذكر الكامل محاسن الشيخ الفقيه ، فقال الكامل : أحب أن أراه ، فأرسل إليه إلى بملك بطاقة واستحضره فوصل إلى دار السعادة ، فنزل الكامل إليه وتحدثا وتذاكرا شيئاً من العلم ، فحرت مسألة القتل بالمثل ، وجرى ذكر حديث الجارية التي قتلها اليهودي فرض رأسها بين حجرين فأمر رسول الله (ص) بقتله ، فقال الكامل : إنه لم يعرف . فقال الشيخ الفقيه في صحيح مسلم « فاعترف » ، فقال الكامل أنا اختصرت صحيح مسلم ولم أجدها فيه ، فأرسل الكامل فأحضر خمس مجلدات اختصاره لمسلم ، فأخذ الكامل مجلداً والأشرف آخر وعماد الدين بن موسك آخر وأخذ الشيخ الفقيه مجلداً فأول ما فتحه وجد الحديث كما قال الشيخ الفقيه ، فتمجيب الكامل من استحضاره وسرعة كشفه ، وأراد أن يأخذه معه إلى الديار المصرية فأرسله الأشرف سريماً إلى بملك ، وقال الكامل : إنه لا يؤثر بملك شيئاً ، فأرسل له الكامل ذهباً كثيراً ، قال ولله قطب الدين : كان والدي يقبل بر الملوك ويقول أنا في بيت المال أكثر من هذا ، ولا يقبل من الأمراء ولا من الوزراء شيئاً إلا أن يكون هدية ما أكل ونحوه ، ويرسل إليهم من ذلك فيقبلونه على سبيل التبرك والاستشفاء .

وذكر أنه كثر ماله وأثرى ، وصار له سعة من المال كثيرة ، وذكر له أن الأشرف كتب له كتاباً بقرية بنين وأعطاه لحيي الدين بن الجوزي ليأخذ عليه خط الخليفة ، فلما شعر والدي بذلك أخذ الكتاب ومزقه وقال : أنا في غنية عن ذلك ، قال وكان والدي لا يقبل شيئاً من الصدقة ويزعم أنه من ذرية علي بن أبي طالب من جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن

على بن أبي طالب ، قال وقد كان قبل ذلك فقيراً لا شيء له ، وكان للشيخ عبد الله زوجة ولها ابنة جميلة ، وكان الشيخ يقول لها : زوجيها من الشيخ محمد ، فتقول إنه فقير وأنا أحب أن تكون ابنتي سيدة ، فيقول الشيخ عبد الله كافي أنظر إليهما إياه وإياها في دار فيها بركة وله رزق كثير والملوك يترددون إلى زيارته ، فزوجتها منه فكان الأمر كذلك ، وكانت أولى زوجاته رحمه الله تعالى .

وكانت الملوك كلهم يحترمونه ويعظمونه ويحبسون إلى مسكنه ، بنو العادل وغيرهم ، وكذلك كان مشايخ الفقهاء كابن الصلاح ، وابن عبد السلام ، وابن الحماص ، والحصري ، وشمس الدين بن سني الدولة ، وابن الجوزي ، وغيرهم يعظمونه ويرجمون إلى قوله لعله وعمله وديانته وأمانته . وقد ذكرت له أحوال ومكاشفات وكرامات كثيرة رحمه الله ، وزعم بعضهم أنه قطب منذ ثلثي عشرة سنة فله أعلم . وذكر الشيخ الفقيه قال عزمت مرة على الرحلة إلى حران ، وكان قد بلغني أن رجلاً بها يعلم علم الفرائض جيداً ، فلما كانت الليلة التي أريد أن أسافر في صبيحتها جاءني رسالة الشيخ عبد الله اليوناني يعزم على إلى القدس الشريف ، وكأني كرهت ذلك وفتحت المصحف فطلع قوله [اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون] فخرجت معه إلى القدس فوجدت ذلك الرجل الحراني بالقدس الشريف ، فأخذت عنه علم الفرائض حتى خيل لي أنني صرت أرفع فيه منه . وقال الشيخ أبو شامة كان الشيخ الفقيه رجلاً ضحاً ، وحصل له قبول من الأمراء وغيرهم ، وكان يلبس قبعاً صوفه إلى خارج كما كان شيخه الشيخ عبد الله اليوناني ، قال وقد صنف شيئاً في المعراج فرددت عليه في كتاب سميت الواضح الجلي في الرد على الحنبلي ، وذكر ولده قطب الدين أنه مات في التاسع عشر من رمضان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة رحمه الله تعالى .

محمد بن خليل بن عبد الوهاب بن بدر

أبو عبد الله البيطار الأكل ، أصله من جبل بني هلال ، وولد بقصر حجاج ، وكان مقبلاً بالشاغور وكان فيه صلاح ودين وإيثار للفقراء والمساكين والمحاييس ، وكانت له حال غريبة لا يأكل لأحد شيئاً إلا بأجرة ، وكان أهل البلد يتراهم عليه ليأكل لهم الأشياء المفتخرة الطيبة فيمتنع إلا بأجرة جيدة ، وكلما امتنع من ذلك حل عند الناس وأحبوه ومالوا إليه ويأتونه بأشياء كثيرة من الحلوات والشواء وغير ذلك فيرد عليهم عوض ذلك أجرة جيدة مع ذلك ، وهذا غريب جداً ، رحمه الله تعالى ورضي عنه بمنه وكرمه آمين .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستائة

استهلت بيوم الاثنين لأيام خلون من كانون الأول ، وليس للمسلمين خليفة وصاحب مكة أبو نعي بن أبي سعيد بن علي بن قنادة الحسني ، وهم إدريس بن علي شريك ، وصاحب المدينة

الأمير عز الدين جواز بن شبيحه الحسني، وصاحب مصر والشام السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، وشريكه في دمشق وبمليك والصبيبة وبانياس الأمير علم الدين سنجر الملقب بالملك المجاهد، وشريكه في حلب الأمير حسام الدين لاشين الجوكنداري العززي، والكرك والشوبك للملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل بن سيف الدين أبي بكر الكامل محمد بن العادل الكبير سيف الدين أبي بكر بن أيوب. وحصن جهيون وبارزيا في يد الأمير مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين مكورس، وصاحب حمه الملك المنصور بن تقي الدين محمود، وصاحب حمص الأشرف بن المنصور إبراهيم بن أسد الدين الناصر، وصاحب الموصل الملك الصالح بن البدر لؤلؤ، وأخوه الملك المجاهد صاحب جزيرة ابن عمر، وصاحب مارددين الملك السعيد نجم الدين أيل غازي بن أرتق، وصاحب بلاد الروم ركن الدين قليج أرسلان بن كيخسرو السلجوقي، وشريكه في الملك أخوه كيكاوس والبلاد بينهما نصفين، وسائر بلاد المشرق بأيدي التتار أصحاب هولوكو، وبلاد اليمن تملكها غير واحد من الملوك، وكذلك بلاد الجوكندى المغرب في كل قطر منها ملك.

وفي هذه السنة أغارت التتار على حلب فلقبهم صاحبها حسام الدين العززي، والمنصور صاحب حمه، والأشرف صاحب حمص، وكانت الوقعة شمال حمص قريبا من قبر خالد بن الوليد، والتتار في ستة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة فهزمهم الله عز وجل، وقتل المسلمون أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحصروها أربعة أشهر وضيقوا عليها الأقوات، وقتلوا من الغرباء خلقا صبرا، فانا لله وإنا إليه راجعون، والجيوش الذين كسروهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب بل ساقوا إلى مصر، فلتقام الملك الظاهر في أبهة السلطنة وأحسن إليهم، وبقيت حلب محاصرة لا ناصر لها في هذه المدة ولكن سلم الله سبحانه وتعالى.

وفي يوم الاثنين سابع صفر ركب الظاهر في أبهة الملك ومشى الأمراء والجناد بين يديه، وكان ذلك أول ركوبه واستمر بعد ذلك يتابع الركوب واللعب بالكرة.

وفي سابع عشر صفر خرج الأمراء بدمشق على ملكها علم الدين سنجر فقاتلوه فهزموه، فدخل القلعة فحاصروه فيها فهرب منها إلى قلعة بمليك، وتسلم قلعة دمشق الأمير علم الدين أيديكين البندقداري، وكان مملوكا لجمال الدين يعمور ثم للصالح أيوب بن الكامل وإليه ينسب الملك الظاهر، فأرسله الظاهر ليتسلم دمشق من الحلبي علم الدين سنجر، فأخذها وسكن قلعتها نيابة عن الظاهر، ثم حاصروا الحلبي بمليك حتى أخذوه فأرسلوه إلى الظاهر على بغل إلى مصر، فدخل عليه ليلا فمات به ثم أطلق له أشياء وأكرمه.

وفي يوم الإثنين ثامن ربيع الأول استوزر الظاهر بهاء الدين علي بن محمد المعروف بابن الحنا

وفي ربيع الآخر قبض الظاهر على جماعة من الأمراء بلغه عنهم أنهم يريدون الثوب عليه وفيه أرسل إلى الشوبك فتسلمها من أيدي نواب المغيث صاحب الكرك ، وفيها جيز الظاهر جيشاً إلى حلب ليطردوا التتار عنها ، فلما وصل الجيش إلى غزة كتب الفرنج إلى التتار ينذرونهم ، فرحلوا عنها مسرعين واستولى على حلب جماعة من أهلها ، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم ، وقدم إليهم الجيش الظاهري فأزالوا ذلك كله ، وصادروا أهلها بألف ألف وستمائة ألف ، ثم قدم الأمير فشمس الدين آقوش التركي من جهة الظاهر فاستلم البلد فقطع ووصل وحكم وعمل .

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى باشر القضاء بمصر تاج الدين عبد الوهاب بن القاضي الأعز أبي القاسم خلف بن رشيد الدين بن أبي التناء محمود بن بدر العلاني ، وذلك بعد شروط ذكرها لظاهر شديدة ، فدخل تحتها الملك الظاهر وعزل عن القضاء بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن علي السنجاري ورسم عليه أياماً ، ثم أفرج عنه .

البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر وكان معتقلاً ببغداد فأطلق ، وكان مع جماعة الأعراب بأرض بالعراق ، ثم قصد الظاهر حين بلغه ماسكه ، فقدم مصر محبة جماعة من أمراء الأعراب عشرة ، منهم الأمير ناصر الدين منها في ثامن رجب ، ونفرج السلطان ومعه الوزير والشهود والمؤذنون فتلقوه وكان يوماً مشهوداً ، وخرج أهل التوراة بتوراتهم ، والنصارى بأنجيلهم ، ودخل من باب النصر في أمة عظيمة ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة بالايوان بقلمة الجبل ، والوزير والقاضي والأمراء على طابقتهم ، وأثبت نسب الخليفة المذكور على الحاكم تاج الدين بن الأعز ، وهذا الخليفة هو أخو المستنصر باقي المستنصرية ، وعم المستنصر ، بويع بالخلافة بمصر بإيعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء ، وركب في دست الخلافة بديار مصر والأمراء بين يديه والناس حوله ، وشق القاهرة في ثالث عشر رجب ، وهذا الخليفة هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس بينه وبين العباس أربعة وعشرون أباً ، وكان أول من بإيعه القاضي تاج الدين لما ثبت نسبه ، ثم السلطان ثم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم الأمراء والدولة ، وخطب له على المنابر وضرب اسمه على السكة وكان منصب الخلافة قد شغل منذ ثلاث سنين ونصف ، لأن المستنصر قتل في أول سنة ست وخسين وستائة ، وبويع هذا في يوم الاثنين في ثالث عشر رجب من هذه السنة - أعنى سنة تسع وخسين وستائة - وكان أميراً وسيماً شديد القوى على الهمة له شجاعة وإقدام ، وقد لقبوه بالمستنصر كما كان أخاه باقي المدرسة ، وهذا أمر لم يسبق إليه أن خليفتين أخوين يلقب كل منهما بالآخر ، ولما خلافة أخوين كهذين السفاح وأخوه المنصور ، وكذا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والمهادي

والرشيد ، والمسترشد والمتقي ولدا المستظهر ، وأما ثلاثة غلامين والمأمون والمتنعم أولاد الرشيد ، والمنتصر والمنتز والمطيع أولاد المقتدر ، وأما أربعة فأولاد عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكانت مدة خلافته إلى أن فقد كما سيأتي خمسة أشهر وعشرين يوماً ، أقصر مدة من جميع خلفاء بني العباس ، وأما بنو أمية فكانت مدة خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً ، وإبراهيم بن يزيد الناقص سبعين يوماً ، وأخوه يزيد بن الوليد خمسة أشهر . وكانت مدة خلافة الحسن بن علي بعد أبيه سبعة أشهر وأحد عشر يوماً . وكانت مدة مروان بن الحكم تسعة أشهر وعشرة أيام ، وكان في خلفاء بني العباس من لم يستكمل سنة منهم المنتصر بن المتوكل ستة أشهر ، والمهتدي بن الواثق أحد عشر شهراً وأياماً ، وقد أنزل الخليفة هذا بقلمة الجبل في برج هو وحشمه ، فلما كان يوم سابع رجب ركب في السواد وجاء إلى الجامع بالقلمة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ثم استفتح فقرأ صدر آ من سورة الأنعام ثم صلى على النبي (ص) ، ثم ترضى عن الصحابة ودعا السلطان الظاهر ، ثم نزل فصلى بالناس فاستحسنوا ذلك منه ، وكان وقتنا حسناً ويوما مشهوداً .

تولية الخلافة المستنصر بالله للملك الظاهر السلطنة

لما كان يوم الاثنين الرابع من شعبان ، ركب الخليفة والسلطان والوزير والقضاة والأمراء وأهل الحل والعقد إلى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فجلسوا فيها ، فألبس الخليفة السلطان بيده خلة سوداء ، وطوقاً في عنقه ، وقيداً في رجليه وهما من ذهب ، وصعد فخر الدين إبراهيم بن لقمان وهو رئيس الكتاب منبراً فقرأ على الناس تقليد السلطان ، وهو من إنشائه ويخط نفسه ، ثم ركب السلطان بهذه الأبهة والقيود في رجليه ، والطوق في عنقه ، والوزير بين يديه ، وعلى رأسه التقليد والأمراء والدولة في خدمته مشاة سوى الوزير ، فشق القاهرة وقد زينت له ، وكان يوماً مشهوداً ، وقد ذكر الشيخ تعالي الدين هذا التقليد بنهاية ، وهو مطول والله أعلم .

ذهاب الخليفة إلى بغداد

ثم إن الخليفة طلب من السلطان أن يجيزه إلى بغداد ، فرتب السلطان له جنداً هائلة وأقام له من كل ما ينبغي للخلفاء والملوك . ثم سار السلطان مصحبة فاصدين دمشق ، وكان سبب خروج السلطان من مصر إلى الشام ، أن التركي كما تقدم كان قد استحوذ على حلب ، فأرسل إليه الأمير علم الدين سنجر الحلبي الذي كان قد تغلب على دمشق فطرده عن حلب وتسلمها ، وأقام بها نائباً عن السلطان ، ثم لم يزل التركي حتى استعادها منه وأخرجه منها هارباً ، فاستتاب الظاهر على مصر عز الدين أيمن الحلبي وجعل تدبير المملكة إلى الوزير بهاء الدين بن الحنا ، وأخذ ولده فخر الدين

معه وزيراً وجعل تدبير العساكر والجيوش إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، ثم ساروا فدخلوا دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة، وكان يوماً مشهوداً، وصلوا الجمعة بمجامع دمشق، وكان دخول الخليفة من باب البريد، ودخل السلطان من باب الزيارة. وكان يوماً مشهوداً أيضاً، ثم جهز السلطان الخليفة إلى بغداد ومعه أولاد صاحب الموصل، وأنفق عليه وعليهم وعلى من استقل معه من الجيش الذين يردون عنه ما لم يقدر الله من الذهب المين ألف ألف دينار، وأطلق له وزاده فجزاه الله خيراً، وقدم إليه صاحب حصن الملك الأشرف فخلع عليه وأطلق له وزاده بل بامر، وقدم صاحب حمه المنصور فخلع عليه وأطلق له وكتب له تقليداً ببلاده، ثم جهز جيشاً محبة الأمير علاء الدين البندقداري إلى حلب لمحاربة التركي المتغلب عليها المفسد فيها. وهذا كل ما بلغنا من وقائع هذه السنة ملخصاً ثم دخلت سنة ستين وستمائة

في أوائل هذه السنة في ثالث الحرم قتل الخليفة المستنصر بالله الذي بويع له في رجب في السنة الماضية بمصر، وكان قتله بأرض العراق بعد ما هزم من كان معه من الجنود فانا لله وإنا إليه راجعون، واستقل الملك الظاهر بجميع الشام ومصر وصفت له الأمور، ولم يبق له منازع سوى التركي فانه ذهب إلى المنيرة فاستحوذ عليها وعصى عليه هنالك. وفي اليوم الثالث من الحرم من هذه السنة خلع السلطان الملك الظاهر ببلاد مصر على جميع الأمراء والحاشية وعلى الوزير وعلى القاضي تاج الدين ابن بنت الأهر وعزل عنها برهان الدين السنجاري، وفي أواخر الحرم أعرض الأمير بدر الدين بيليك الخازندار على بنت الأمير أوأو صاحب الموصل، واحتفل الظاهر بهذا العرس احتفالاً بالغا قال ابن خلكان: وفي هذه السنة اصطاد بعض أمراء الظاهر بمحدود حماة حمار وحش فطبخوه فلم ينضج ولا أثر فيه كثرة الوقود، ثم افتقدوا جلده فاذا هو مرسوم على أذنه بهرام جور، قال: وقد أحضره إلى فقراته كذلك، وهو يقتضى أن لهذا الحمار قريباً من ثمانمائة سنة، فان بهرام جور كان قبل المبعث عدة متطاولة، وحمار الوحش تعيش دهرًا طويلاً، قلت: يحتمل أن يكون هذا بهرام شاه الملك الأمجد، إذ يبعد بقاء مثل هذا بلا اصطلياد هذه المدة الطويلة، ويكون الكاتب قد أخطأ فأراد كتابة بهرام شاه فكتب بهرام جور فحصل اللبس من هذا والله أعلم.

ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي

في السابع والعشرين من ربيع الآخر دخل الخليفة أبو العباس الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الامام المسترشد بالله بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد من بلاد الشرق وصحبته جماعة من رؤوس تلك البلاد، وقد شهد الواقعة صحبة المستنصر، وهرب هو في جماعة من المعركة فسلم، فلما كان يوم دخوله تلتقه السلطان الظاهر وأظهر

السرو وله والاحتفال به ، وأنزله في البرج الكبير من قلعة الجبل ، وأجريت عليه الأرزاق الدارة والاحسان . وفي ربيع الآخر عزل الملك الظاهر الأمير جمال الدين آقوش النجيبى عن استداريته واستبدل به غيره . وبعد ذلك أرسله نائباً على الشام كما سيأتى .

وفي يوم الثلاثاء تاسع رجب حضر السلطان الظاهر إلى دار العدل في محاكمة في بئر إلى بيت القاضى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز فقام الناس إلا القاضى فإنه أشار عليه أن لا يقوم . وتداعيا وكان الحق مع السلطان وله بيعة عادلة ، فانزعجت البئر من يد الغريم وكان الغريم أحد الأمراء .

وفي شوال استناب الظاهر على حلب الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى وحيلثذ أنجاز عسكر سيس على القلعة من أرض حلب فركب إليهم الشهابى فكسروهم وأسر منهم جماعة فبعوهم إلى مصر قتلوا . وفيها استناب السلطان على دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى ، وكان من أكابر الأمراء وعزل عنها علاء الدين طيبرس الوزيرى وحمل إلى القاهرة .

وفي ذى القعدة خرج مرسوم السلطان إلى التاضى تاج الدين ابن بنت الأعرز أن يستناب من كل مذهب من المذاهب الثلاثة نائباً فاستناب من الحنفية صدر الدين سليمان الحنفى ، ومن الحنابلة شمس الدين محمد بن الشيخ البهادر ، ومن المالكية شرف الدين عمر السبكى المالكي .

وفي ذى الحجة قدمت وفود كثيرة من التتار على الملك الظاهر مستأمنين فأكرمهم وأحسن إليهم وأقطعهم إقطاعات حسنة ، وكذلك فعل بأولاد صاحب الموصل ورتب لهم رواتب كافية . وفيها أرسل هولاء طائفة من جنده نحو عشرة آلاف فحاصروا الموصل ونصبوا عليها أربعة وعشرين منجنيقا ، وضاعت بها الأقوات .

وفيها أرسل الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ إلى التركى يستنجده فقدم عليه فهزمت التتار ثم تبتوا والتفوا معه ، وإما كان معه سبعمائة مقاتل فهزموه وجرحوه وعاد إلى البيرة وفارقه أكثر أصحابه فدخلوا الديار المصرية ، ثم دخل هو إلى الملك الظاهر فأنعم عليه وأحسن إليه وأقطع سبعين فارساً ، وأما التتار فأنهم عادوا إلى الموصل ولم يزالوا حتى استنزلوا صاحبها الملك الصالح إليهم وفادوا في البلد بالأمان حتى أطمأن الناس ثم مالوا عليهم فقتلوا تسعة أيام وقتلوا الملك الصالح إسماعيل وولده علاء الدين وخربوا أسوار البلد وتركوها بلاقح ثم كروا راجعين فبعوهم الله .

وفيها وقع الخلف بين هولاء وبين السلطان بركة خان ابن عمه ، وأرسل إليه بركة يطلب منه نصيباً مما فتحه من البلاد وأخذ من الأموال والأسرار ، على ما جرت به عادة ملوكهم ، فقتل رسلاً فاشتد غضب بركة ، وكاتب الظاهر ليتفقا على هولاء .

وفيها وقع غلاء شديد بالشام فبيع القمح الفرادة بأربعمائة والشعير بمائتين وخمسين ، واللحم

الرطل بستة أو سبعة . وحصل في النصف من شعبان خوف شديد من التتار فتجهز كثير من الناس إلى مصر ، وبيعت الغلات حتى حواصل القلعة والأمراء ، ورسم أولياء الأمور على من له قدرة أن يسافر من دمشق إلى بلاد مصر ، ووقعت رجفة عظيمة في الشام وفي بلاد الروم ، ويقال إنه حصل لبلاد التتر خوف شديد أيضاً ، فسبحان الفعال لما يريد ويبدد الأمر . وكان الأمر لأهل دمشق بالنحول منها إلى مصر فأتتها الأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى ، فأرسل السلطان إليه في ذى القعدة فأمسكه وعزله واستتاب عليها بهاء الدين النجبي ، واستوزر بدمشق عز الدين بن وداعة . وفيها نزل ابن خلسكان عن تدريس الركنية لأبي شامة وحضر عنده حين درس وأخذ في أول مختصر المزني .

وفيها توفي من الأعيان . الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر الله العباسي الذي بايحه الظاهر بمصر كما ذكرنا ، وكان قتله في ثالث المحرم من هذه السنة ، وكان شهما شجاعا بطلا فانسكا ، وقد أنفق الظاهر عليه حتى أقام له جيشاً بألف ألف دينار وأزيد ، وسار في خدمته ومعه خلق من أكابر الأمراء وأولاد صاحب الموصل ، وكان الملك الصالح إسماعيل من الوفد الذين قدموا على الظاهر فأرسله محبة الخليفة ، فلما كانت الوقعة فقد المستنصر ورجع الصالح إلى بلاده نجاة له التتار فحاصروه كما ذكرنا ، وقتلوه وخرّبوا بلاده وقتلوا أهلها ، فانا لله وإنا إليه راجعون .
العز الضريير النحوي اللغوي

واسمه الحسن بن محمد بن أحمد بن فحما من أهل نصيبين ونشأ بأربل فاشتغل بعلوم كثيرة من علوم الأوائل ، وكان يشتغل عليه أهل الذمة وغيرهم ، ونسب إلى الانحلال وقلة الدين ، وترك الصلوات ، وكان ذكياً ، وليس بذكي ، عالم اللسان جاهل القلب ، ذكى القول خبيث الفعل ، وله شعر وأورد منه الشيخ قطب الدين قطعة في ترجمته ، وهو شبيه بأبي العلاء المعري قبحها الله .

ابن عبد السلام

عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المذهب ، الشيخ عز الدين بن عبد السلام أبو محمد السلي التمشقي الشافعي شيخ المذهب ومفيد أهله ، وله مصنفات حسان ، منها التفسير ، واختصار النهاية ، والقواعد الكبرى والصغرى ، وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلية وغير ذلك . ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع كثيراً واشتغل على نفر من بن عساكر وغيره وبرع في المذهب ، وجمع علوماً كثيرة ، وأفاد الطلبة ودرس بمدة مدارس بدمشق ، وولى خطابتها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم ، وانتهت إليه رئاسة الشافعية ، وقصد بالفتاوى من الآفاق ، وكان لطيفاً ظريفاً يستشهد بالأشعار ، وكان سبب خروجه من الشام إنكاره على الصالح

إسماعيل تسليمه صفد والتقيف إلى الفرنج ، وواقفه الشيخ أبو عمرو بن الحاجب المالكي ، فأخرجهما من بلده فسار أبو عمرو إلى الناصر داود صاحب الكرك فأكرمه ، وسار ابن عبيد السلام إلى الملك الصالح أيوب بن الكامل صاحب مصر فأكرمه وولاه قضاء مصر وخطابة الجامع العتيق ، ثم انتزعهما منه وأقره على تدريس الصالحية ، فلما حضره الموت أوصى بها للقاضي تاج الدين ابن بنت الاعز ، وتوفي في عاشر جمادى الأولى وقد نيف على الثمانين ، ودفن من الذنـد بسفح المقطم ، وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير رحمه الله تعالى .

كمال الدين بن العديم الحنفـي

عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل الحلبي الحنـفي أبو القاسم بن العديم ، الأمير الوزير الرئيس الكبير ، ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة ، سمع الحديث وحدث وتفه وأفتى ودروس وصنف ، وكان إماماً في فنون كثيرة ، وقد ترسل إلى الخلفاء والملوك مراراً عديدة ، وكان يكتب حسناً طريقة مشهورة ، وصنف الحلب تاريخاً مفيداً قريباً في أربعين مجلداً ، وكان جيد المعرفة بالحديث ، حسن الظن بالفقراء والصالحين كثير الإحسان إليهم ، وقد أقام بدمشق في الدولة الناصرية المتأخرة ، توفي بمصر ودفن بسفح المقطم بمد ابن عبد السلام بعشرة أيام ، وقد أورد له قطب الدين أشعاراً حسنة .

يوسف بن يوسف بن سلامة

ابن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن سليمان بن محمد القاطن الزينبي بن إبراهيم ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، محبي الدين أبو المزمز ، ويقال أبو المحاسن الهاشمي الدباسي الحوصلي المعروف بابن زبلاق الشاعر ، قتلته التتار لما أخذوا الموصل في هذه السنة عن سبع وخمسين سنة ، ومن شعره قوله :

بمـتْ لنا من سحر مقلتك الوسنا • سهادا يزود الكرى أن يأتك الجفنا
وأبصر جسمي حسن خصرك فاحلاً • فحاجكة لكن زاد في دقة المعنى
وأبرزت وجهاً أخجل الصبح طالماً • وملت بقدر علم الميفت القصص الدنا
حكيت أخاك البدر ليلة تمـر • سنأ وسناء إذ تشابهتما سنا

وقال أيضاً وقد دعى إلى موضع ، فبـت يعتذر بهذين البيتين :

أنا في منزلى وقد وهب الـ • له نديماً وقينة وعقارا
فأبسطوا المنـر في التأخر عنكم • شغل الخلى أهل بأن يمارا

قال أبو شامة وفيها في ثاني عشر جمادى الآخرة توفي .

البدر المراغي الخلافي

المعروف بالطويل ، وكان قليل الدين تاركا للصلاة مغتبطا بما كان فيه من معرفة الجدل والخلاف على إصلاح المتأخرين ، راضيا بما لا يفيد .

وفيهما توفي محمد بن داود بن ياقوت الصارمي

المحدث . كتب كثيرا الطبقات وغيرها ، وكان ديننا خير آية يركتبه ويدوم على الاشتغال بسماع الحديث رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وستائة

استلمت وسلطان البلاد الشامية والمصرية الظاهر بيبرس ، وعلى الشام نائبه آقوش النجيبى ، وقاضى دمشق ابن خايسن والوزير بها عز الدين بن وداعة ، وليس للناس خليفة ، وإنما تضرب السكة باسم المستنصر الذى قتل .

ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبي العباس

أحمد بن الأمير أبي على التقي ابن الأمير على بن الأمير أبي بكر بن الامام المسترشد بالله أمير المؤمنين أبي منصور الفضل بن الامام المستظهر بالله أحمد العباسى الهاشمى . لما كان ثاني المحرم وهو يوم الخميس ، جالس السلطان الظاهر والأمرء فى الايوان الكبير بقلعة الجبل ، وجاء الخليفة الحاكم بأمر الله راكبا حتى نزل عند الايوان ، وقد بسط له إلى جانب السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه ، ثم قرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه الظاهر بيبرس فبايعه وبايعه الناس بعده ، وكان يوما مشهورا . فلما كان يوم الجمعة ثابته خطاب الخليفة بالناس فقال فى خطبته « الحمد لله الذى أقام آل العباس ركننا ظهيرا ، وجعل لهم من بعده سلطانا نصيرا ، أحده على السراء والضراء ، وأستعينه على شكر ما أسبغ من النماء ، وأستنصره على دفع الأعداء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء ، لاسيما الأربعة ، وعلى العباس كاشف غم أبي السادة الخلفاء وعلى بقية الصحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أيها الناس أعلموا أن الامامة فرض من فروض الاسلام ، والجهاد محتوم على جميع الأتباع ، ولا يقوم علم الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد ، ولا سبب الحرم إلا بانتهاك المحارم ، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب الجرائم ، فلو شاهدتم أعداء الاسلام لما دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والأموال وقتلوا الرجال والأطفال ، وسبوا الصبيان والبنات ، وأيتسوم من الآباء والأمهات ، وهتكوا حرم الخلافة والحريم ، وعلت الصيحات من هول ذلك اليوم الطويل ، فكم من شيخ خضبت شيبته

بدمائه ، وكم من طفل بكى فلم يرحم لبيكه ، فشمروا عباد الله عن ساق الاجتهاد في إحياء فرض الجهاد وانقوا الله ما استطعتم (واصموا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فلم يبق معذرة في القعود عن أعداء الدين ، والمحاربة عن المسلمين ، وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجل العالم المادل المجاهد المؤيد ركن الدنيا والدين ، قد قام بنصر الأمانة عند قلة الأنصار ، وشرد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأصبحت البيعة بهيمة منتظمة العقود ، والدولة العباسية به متكثرة الجنود ، فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة ، وأخلصوا نيابكم تنصروا ، وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ، ولا يروصكم ماجرى بالحرب سجال والمقابلة للمعتدين ، والهدى يرمون والأجر للذومنين ، جمع الله على الهدى أمركم ، وأعز بالإيمان نصركم ، وأستغفر الله لى وللسائر المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم . ثم خطب الثانية ونزل فصل ،

وكتب بيعته إلى الآفاق ليخطب له وضربت السكة باسمه . قال أبو شامة : فخطب له بجماع دمشق وسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم من هذه السنة . وهذا الخليفة هو التاسع والثلاثون من خلفاء بني العباس ، ولم يل خلافة من بنى العباس من ليس والده وجده خليفة بعد السفاح والمنصور سوى هذا ، فأما من ليس والده خليفة فكثير منهم المستعين أحمد بن محمد ابن المعتصم ، والمعتز بن طاحنة بن المتوكل ، والقادر بن إسحاق بن المعتز ، والمقتدى بن الذخيرة ابن القائم بأمر الله .

ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام صاحبه

ركب الظاهر من مصر في المساكر المنصورة قاصدا ناحية بلاد الكرك ، واستدعى صاحبها الملك المنبث هر بن المادل أبي بكر بن الكامل ، فلما قدم عليه بعد جهد أرسله إلى مصر معتقلا فكان آخر العهد به ، وذلك أنه كاتب هولاكو وحشه على القدوم إلى الشام مرة أخرى ، وجاءته كتب التتار بالثبات ونيابة البلاد ، وأنهم قادمون عليه مشرون ألفا لفتح الديار المصرية ، وأخرج السلطان فتاوى الفقهاء بقتله وعرض ذلك على ابن خلكان ، وكان قد استدعاه من دمشق ، وعلى جماعة من الأمراء ، ثم سار فتمسك الكرك يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى ودخلها يومئذ في أبهة الملك ، ثم عاد إلى مصر مؤيدا منصورا .

وفيهما قدمت رسل بركة خان إلى الظاهر يقول له : قد عدت محبى للإسلام ، وعلمت ما فعل هولاكو بالمسلمين ، فاركب أنت من ناحية حتى آتية أنا من ناحية حتى نصطله أو نخرجه من البلاد وأعطيك جميع ما كان بيده من البلاد ، فاستنصب الظاهر هذا الرأي وشكره وخلع على رسله وأكرهم . وفيها زلزلت الموصل زلزلة عظيمة وتهدمت أكثر دورها ، وفي رمضان جهز الظاهر صنعا وأخشاما وآلات كثيرة لهارة مسجد رسول الله (ص) ، بعد حريقه فطيف بتلك الأخشاب والآلات

بمصر فرحة وتعلباً لشأنها ، ثم ساروا بها إلى المدينة النبوية ، وفي شوال سار الظاهر إلى الاسكندرية فنظر في أحوالها وأمورها ، وعزل قاضيا وخطيبها ناصر الدين أحمد بن المنير وولى غيره .

وفيها التقى بركة خان وهولاكو ومع كل واحد جيوش كثيرة فاقتتلوا فهزم الله هولاكو هزيمة فظيمة وقتل أكثر أصحابه وغرق أكثر من بقی وهرب هو في شزيمة يسيرة والله الحمد . ولما نظر بركة خان كثرة القتلى قال يعز على أن يقتل المغول بعضهم بعضاً ولكن كيت الحيلة فيمن غير سنة جنكيزخان ثم أغار بركة خان على بلاد القسطنطينية فصانعه صاحبها أرسل الظاهر هدايا عظيمة إلى بركة خان ، وقد أقام التركي بحلب خليفة آخر لقبه بالحاكم ، فلما اجناز به المستنصر سار معه إلى العراق واتفقا على المصاحبة وإنفاذ الحاكم المستنصر لكونه أكبر منه والله الحمد ، ولكن خرج عليهما طائفة من التتار ففرقوا شملهما وقتلوا خلقا من كان معهما ، وعدم المستنصر وهرب الحاكم مع الأعراب . وقد كان المستنصر هذا فتح بلادنا كثيرة في مسيره من الشام إلى العراق ، ولما قاتله بهادر على شحنة بفسداد كسره المستنصر وقتل أكثر أصحابه ، ولكن خرج كمين من التتار فنجدة فهرب العربان والأكراد الذين كانوا مع المستنصر وثبت هو في طائفة من كان معه من الترك فقتل أكثرهم وقدمهون بينهم ، ونجا الحاكم في طائفة ، وكانت الوقعة في أول الحرم من سنة ستين وستائة ، وهذا هو الذي أشبه الحسين بن علي في توغله في أرض العراق مع كثرة جنودها ، وكان الأولى له أن يستقر في بلاد الشام حتى تتمهد له الأمور ويصفو الحال ، ولكن قدر الله وما شاء فعل . وجهز السلطان جيشاً آخر من دمشق إلى بلاد الفرنج فأغاروا وقتلوا وسبوا ورجعوا سالمين ، وطلبت الفرنج منه المصاحبة فصالحهم مدة لاشتغاله بحلب وأعمالها ، وكان قد عزل في شوال قاضي مصر تاج الدين ابن بلت الأعز وولى عليها برهان الدين الخضر بن الحسين السنجاري ، وعزل قاضي دمشق نجم الدين أبا بكر بن صدر الدين أحمد ابن شمس الدين بن هبة الله بن سني الدولة ، وولى عليها شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان ، وقد ناب في الحكم بالقاهرة مدة طويلة عن بدر الدين السنجاري ، وأضاف إليه مع القضاء نظر الأوقاف ، والجامع والمارستان ، وتدریس سبع مدارس ، العادلية والناصرية والفدراوية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية ، وقرى تقليده يوم عرفة يوم الجمعة بعد الصلاة بالشباك السكالي من جامع دمشق ، وسافر التاضي المزول مرصا عليه . وقد تكلم فيه الشيخ أبو شامة وذكر أنه خان في وديعة ذهب جعلها فلوسا فله أعلم ، وكانت مدة ولايته سنة وأشهر . وفي يوم العيد يوم السبت سافر السلطان إلى مصر ، وقد كان رسول الإسماعيلية قدم على السلطان بدمشق يتهددونه ويتوعدونه ، ويطلبون منه إقطاعات كثيرة ، فلم يزل السلطان يوقع بينهم حتى استأصل شاقهم واستولى على بلادهم :

وفي السادس والعشرين من ربيع الأول عمل عزاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي فاتح بيت المقدس وكان عن هذا العزاء بقلمة الجبل بمصر ، بأمر الشيطان الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك لما بلغهم أن هولاكو ملك التتار قتله ، وقد كان في قبضته منذ مدة ، فلما بلغ هولاكو أن أصحابه قد كسروا بهن جالوت طلبه إلى بين يديه وقال له : أنت أرسلت إلى الجيوش بمصر حتى جاؤا فاقنتلوا مع المغول فكسروهم ثم أمر بقتله ، ويقال إنه اعتذر إليه وذكر له أن المصريين كانوا أعداءه وبينه وبينهم شآن ، فأقاله ولكنه انحطت رتبته عنده ، وقد كان مكرما في خدمته ، وقد وعده أنه إذا ملك مصر استنابه في الشام فلما كانت وقعة حمص في هذه السنة وقتل فيها أصحاب هولاكو مع مقدمهم بيدرة غضب وقال له أصحابك في العزيزية أمراء أبيك ، والناصرية من أصحابك قتلوا أصحابنا ، ثم أمر بقتله . وذكروا في كيفية قتله أنه رماه بالنشاب وهو واقف بين يديه يسأله العفو فلم يعف عنه حتى قتل وقتل أجداد شقيقه الظاهر عليا ، وأطلق ولديهما العزيز محمد بن الناصر وزباله بن الظاهر ، وكانا صغيرين من أحسن أشكال بني آدم . فأما العزيز فإنه مات هناك في أسر التتار ، وأما زباله فإنه سار إلى مصر وكان أحسن من بها ، وكانت أمه أم ولد يقال لها وجه القمر ، فزوجه بعض الأمراء بعد استأذنها ، ويقال إن هولاكو لما أراد قتل الناصر أمر بأربع من الشجر متباعدات بعضها عن بعض ، لجمعت روسها بجبال ثم ربط الناصر في الأربعة بأربعة ثم أطلقت الجبال فرجعت كل واحدة إلى مركزها بمضو من أعضائه رحمه الله . وقد قيل إن ذلك كان في الخامس والعشرين من شوال في سنة ثمان وخمسين ، وكان مولده في سنة سبع وعشرين بحلب . ولما توفي أبوه سنة أربع وثلاثين ببيع بالسلطنة بحلب وعمره سبع سنين ، وقام بتدبير مملكته جماعة من مماليك أبيه ، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم خاتون بنت العادل أبي بكر بن أيوب ، فلما توفيت في سنة أربعين وستمائة استقل الناصر بالملك ، وكان جيد السيرة في الرعية محببا إليهم ، كنزير النفقات ، ولا سيما لما ملك دمشق مع حلب وأعمالها وبعليك وحران وطائفة كبيرة من بلاد الجزيرة ، فيقال إن سباطه كان كل يوم يشتمل أربعائة رأس فتمسوى الدجاج والأوز وأنواع الطير ، مطبوخا بأنواع الأطعمة والقلاويات غير المشوى والمقل ، وكان مجموع ما يفرم على السباط في كل يوم عشرين ألفا وطامنه يخرج من يديه كما هو كانه لم يؤكل منه شيء ، فيباع على باب القلعة بأرخص الأثمان حتى إن كثيرا من أرباب البيوت كانوا لا يطبخون في بيوتهم شيئا من العلف والأطعمة بل يشترون برخص مالا يقدر على مثله إلا بكلفة ونفقة كثيرة ، فيشتري أحدهم بنصف درهم أو بدرهم مالا يقدر عليه إلا بخسارة كثيرة ، ولعله لا يقدر على مثله ، وكانت الأرضان في دارة كثيرة دارة في زمانه وأيامه ، وقد كان خليعا ظريفا حسن

الشكل أدبياً يقول الشعر المتوسط القوى بالنسبة إليه ، وقد أورد له الشيخ قطب الدين في الذيل قطعة صالحة من شعره وهي رائعة لائقة . قتل بيلاد المشرق ودفن هناك ، وقد كان أعدله تربة برباطه الذي بناه بسفح قاسيون فلم يقدر دفنه بها ، والناصرية البرانية بالسفح من أغرب الأبنية وأحسنها بلياً ما من الموكد الحكم قبلى جامع الأفرم ، وقد بنى بعدها بمدة طويلة ، وكذلك الناصرية الجوانية التي بناها داخل باب الفراديس هي من أحسن المدارس ، وبني الخان الكبير نجاة الزنجارى وحوالت إليه دار العلم ، وقد كانت قبل ذلك غربي القلعة في اصطبل السلطان اليوم رحمه الله .

وفيها توفي من الأعيان أحمد بن محمد بن عبد الله

ابن محمد بن يحيى بن سيد الناس أبو بكر اليعمرى الأندلسي الحافظ ولد سنة سبع وتسعين وخمسة مائة وسمع الكثير ، وحصل كتباً عظيمة ، وصنف أشياء حسنة ، وختم به الحافظ في تلك البلاد ، توفي بمدينة تونس في سابع عشرين رجب من هذه السنة .

ومن توفي فيها أيضاً عبد الرزاق بن عبد الله

ابن أبي بكر بن خلف عز الدين أبو محمد الرسمى المحدث المفسر ، سمع الكثير ، وحدث وكان من الفضلاء والأدباء ، له مكانة عند البدر الأوؤ صاحب الموصل ، وكان له منزلة أيضاً عند صاحب سنجار ، وبها توفي في ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الآخر وقد جاوز السبعين ، ومن شعره :

نصبُ الغرابِ فدلنا بنعيمٍ * أن الحبيبِ دنا أو أن مفنيه

ياسائى عن طيب عيشي بعدم * جدلى بعيش ثم سل عن طيبه

محمد بن أحمد بن عترة السامي الدمشقي

محبسها ، ومن عدوها وأعيانها ، وله بها أملاك وأوقاف ، توفي بالقاهرة ودفن بالقلم .

علم الدين أبو القاسم بن أحمد

ابن الموفق بن جعفر المرسى البورق القنوى النحوى المقرئ ، شرح الشاطبية شرحاً مختصراً ، وشرح المفصل في عدة مجلدات ، وشرح الجزولية وقد اجتمع بمصنفها وسأله عن بعض مسائلها ، وكان ذا فنون عديدة حسن الشكل مليح الوجه له هيئة حسنة وبزة وجمال ، وقد سمع الكندى وغيره .

الشيخ أبو بكر الدينوري

وهو باني الزاوية بالصالحية ، وكان له فيها جماعة مریدون يذكرون الله بأصوات طيبة

رحمه الله مولد الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيخ الإسلام

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وفي هذه السنة ولد شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحلیم بن أبي القاسم بن تيمية الحارثي بمران يوم الاثنين عاشر ربيع الأول من سنة إحدى وستين وستائة .

الامير الكبير مجير الدين

أبو الهيجاء عيسى بن حنير الازكشي الكردي الأموي ، كان من أعيان الأمراء وشجعانهم ، وله يوم عين جالوت اليد البيضاء في كسر التتار ، ولما دخل الملك المظفر إلى دمشق بعد الوقعة جملة مع الأمير علم الدين سنجر الحلبي نائباً على دمشق مستشاراً ومشتركاً في الرأي والمراسيم والتدبير ، وكان يجلس معه في دار العدل وله الاطلاع الكامل والرزق الواسع ، إلى أن توفي في هذه السنة . قال أبو شامة : ووالده الأمير حسام الدين توفي في جيش الملك الأشرف ببلاد الشرق هو والأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب . قلت ووالده الأمير عز الدين تولى هذه المدينة أعنى دمشق مدة ، وكان مشكور السيرة وإليه ينسب درب ابن سنون بالصاغة المتيقة ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء لأنه كان يسكنه وكان يعمل الولاية فيه ففُرف به ، وبعد موته بقليل كان فيه نزولنا حين قمنا من حوران وأنا صغير فقمتم فيه القرآن ، والله الحمد .

ثم دخلت سنة ثنتين وستين وستائة

استبليت والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، والسلطان الظاهر بيبرس ، ونائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش النجيبى وقاضيه ابن خلكان .

وفىها في أولها كتلت المدرسة الظاهرية التي بين القصرين ، ورتب لتدريس الشافعية بها القاضي تقي الدين محمد بن الحسين بن رزين ، ولتدريس الحنفية بمجد الدين عبد الرحمن بن كمال الدين عمر ابن العديم ، ولشيخة الحديث بها الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الحافظ الدميالى . وفيها هر الظاهر بالقدس خاتماً ووقف عليه أوقافاً للنازلين به من إصلاح نالهم وأكلهم وغير ذلك ، وبني به طاجوناً وفرناً .

وفىها قمت رسل بركة خان إلى الملك الظاهر ومعهم الأشرف ابن الشهاب غازي بن العادل ، ومعهم من الكتب والمشافهات ما فيه سرور للإسلام وأهله مما حل بهولاً كوأهله .

وفى جهادى الآخرة منها درس الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى بدار الحديث الأشرفية ، بعد وفاة عماد الدين بن الحرسى ، وحضر عنده القاضي ابن خلكان وجماعة من القضاة والأعيان ، وذكر خطبة كتابه المبعث ، وأورد الحديث بسنده ومثله وذكر فوائد كثيرة مستحسنة ، يقال إنه لم يراجع شيئاً حتى ولا درسه ومثله لا يستكثر ذلك عليه والله أعلم . وفيها قدم نصير الدين الطوسى إلى بغداد من جهة هولاكو ، فنظر في الأوقاف وأحوال البلد ، وأخذ كتباً كثيرة من سائر المدارس وحولها إلى رصده الذي بناه بمراعاة ، ثم انهدر إلى واسط والبصرة .

الملك الأشرف

وفيهما كانت وفاة

موسى بن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير ، كانوا ملوك حصص كبرا عن كابر إلى هذا الحين ، وقد كان من الكرماء الموصوفين ، وكبراء الدماشقة المترفين ، معتليا بالمأكل والمشرب والملابس والمراكب وقضاء الشهوات والمآرب وكثرة التمتع بالمغاني والحبايب ، ثم ذهب ذلك كأن لم يكن أو كأضغاث أحلام ، أو كظلال زائل ، وبقيت تبعاته وحقوقاته وحسابه وعاره . ولما توفى وجدت له حواصل من الجواهر النفيسة والأموال الكثيرة ، وصار ملكه إلى الدولة الظاهرية ، وتوفى معه في هذه السنة الأمير حسام الدين الجوكندار قاتل حلب .

وفيهما كانت كسرة التتار على حصص وقتل مقدمهم ببصرة بقضاء الله وقدره الحسن الجليل .
وفيهما توفى الرشيد الطار المحدث بمصر . والذي حضر مسخرة الملك الأشرف موسى بن العادل والتاجر المشهور الحاج نصر بن دس وكان ملازما للصلوات بالجامع ، وكان من ذوي اليسار والخير .

الخطيب عماد الدين بن الحرستاني

عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني ، كان خطيبا بدمشق ونائب في الحكم عن أبيه في الدولة الأشرفية ، بعد ابن الصلاح إلى أن توفى في دار الخطابة في تاسع عشر من جمادى الأولى ، وصلى عليه بالجامع ودفن عند أبيه بقاسيون ، وكانت جنازته حافلة ، وقد جاوز الثمانين بخمسة سنين ، وتولى بعده الخطابة والفرازية ولده محمد الدين ، هو ياشتر مشيخة دار الحديث الشيخ شهاب الدين أبو شامة .

محيي الدين محمد بن أحمد بن محمد

ابن إبراهيم بن الحسين بن سراقه الحافظ المحدث الأنصاري الشاطبي أبو بكر المغربي ، عالم فاضل دين أقام بحلب مدة ، ثم اجتاز بدمشق فاصداً بمصر . وقد تولى دار الحديث الكاملية بعد زكي الدين عبد العظيم المننرى ، وقد كان له سماع جيد ببغداد وغيرها من البلاد ، وقد جاوز السبعين .

الشيخ الصالح محمد بن منصور بن يحيى الشيخ أبي القاسم القباري الاسكندراني

كان مقياً بغيره لا يقتل منه ويعمل فيه ويبدعه ، ويتورع جدو يطعم الناس من ثماره . توفى في سادس شعبان بالاسكندرية وله خمس وسبعون سنة ، وكان يأمر بالمرورف وينهى عن المنكر ويردع الولاة عن الظلم فيسعون منه ويطعمونه لخدمته ، وإذا جاء الناس إلى زيارته إنما يكلمهم من طاقة المنزل وهم راضون منه بذلك ، ومن غريب ما حكى عنه أنه باع دابة له من رجل ، فلما كان بعد أيام جاء الرجل الذي اشتراها فقال : يا سيدي إن الدابة التي اشتريتها منك لا تأكل عندى شيئا ،

فنظر إليه الشيخ فقال له : ماذا تعانى من الاسباب ؟ فقال رقص عند الوالى ، فقال له إن دابتنا لا تأكل الحرام ، ودخل منزله فأعطاه دراهم ومعه دراهم كثيرة قد اختلطت بها فلا تميز ، فاشترى الناس من الرصاص كل درهم بثلاثة لأجل البركة ، وأخذ دابته ، ولما توفى ترك من الأساس مايساوى خمسين درهماً فبيع بمبلغ عشرين ألفاً . قال أبو شامة : وفى الرابع والعشرين من ربيع الآخر توفى يحيى الدين عبد الله بن صفى الدين

إبراهيم بن صرزوق بداره بدمشق المجاورة للمدرسة النورية رحمه الله تعالى . قلت داره هذه هى التى جعلت مدرسة للشافعية وقفها الأمير جمال الدين آقوش النجيبى التى يقال لها النجيبية تقبل الله منه . وبها إقامتنا جعلها الله داراً تمقها دار القرار فى الفوز العظيم . وقد كان أبو جمال الدين النجيبى وهو صنى الدين وزير الملك الأشرف ، وملك من الذهب ستائة ألف دينار خارجاً عن الأملاك والأثاث والبضائع ، وكانت وفاة أبيه بمصر سنة تسع وخمسين ، ودفن بقربه عند المقطم . قال أبو شامة : وجاء الخبر من مصر بوفاة الفخر عثمان المصرى المعروف بعين غين .

وفى ثامن عشر ذى الحجة توفى الشمس الوبار الموصلى ، وكان قد حصل شيئاً من علم الأدب ، وخطب بجامع المرة مدة . فأنشدنى لنفسه فى الشيب وخضابه قوله :

وكنْتُ وإياها مذ اختطَّ عارضى * كروحين فى جسم وما تفضت عهدا
فلما أنانى الشيبَ يقطعُ بيننا * توهمتهُ سيفاً فألبستهُ غمداً

وفىها استحضر الملك هولاء كوخان الزين الحافظى وهوسليمان بن عامر العقربانى المعروف بالزین الحافظى ، وقال له قد ثبت عندى خيانتك ، وقد كان هذا المغتر لما قدم التتار مع هولاء كودمشق وغيرها ملاً على المسلمين وآذاهم ودل على عوراتهم ، حتى سلطهم الله عليه بأنواع العقوبات والثلاث [وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً] ومن أعان ظالماً سلط عليه ، فان الله ينتقم من الظالم بالظالم ثم ينتقم من الظالمين جميعاً ، نسأل الله العافية من انتقامه وغضبه وعقابه وشر عباده .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستائة

ففىها جهز السلطان الظاهر عسكراً جماً كثيراً إلى ناحية الفرات لطرد التتار النازلين بالبصرة ، فلما سمعوا بالعسكر قد أقبلت ولوا مدبرين ، فطابت تلك الناحية وأمنت تلك المعاملة ، وقد كانت قبل ذلك لا تسكن من كثرة الفساد والخوف ، فعمرت وأمنت .

وفىها خرج الملك الظاهر فى عساكره فقصده بلاد الساحل لقتال الفرنج ففتح قيسارية فى ثلاث ساعات من يوم الخميس ثامن جمادى الأولى يوم نزوله عليها ، وتسلم قلعتها فى يوم الخميس الآخر خامس عشره فهدمها وانتقل إلى غيرها ، ثم جاء الخبر بأنه فتح مدينة أرسوف وقتل من بها من

الفرنج وجامت البريدية بذلك . فدفقت البشار في بلاد المسلمين وفرحوا بذلك فرحاً شديداً . وفيها ورد خبر من بلاد المغرب بأنهم انتصروا على الفرنج وقتلوا منهم خمسة وأربعين ألفاً ، وأسروا عشرة آلاف ، واسترجعوا منهم ثنتين وأربعين بلدة منها برنس واشيلية وقرطبة ومرسية ، وكانت النصره في يوم الخميس رابع عشر رمضان سنة ثنتين وستين .

وفي رمضان من هذه السنة شرع في تبييط باب البريد من باب الجامع إلى القنطرة التي عند الدرج وعمل في الصنف القبلي منها بركة وشاذروان . وكان في مكانها قناة من القنوات ينتفع الناس بها عند انقطاع نهر مائاس فغيرت وعمل الشاذروان ، ثم غيرت وعمل مكانها دكاكين .

وفيها استمدى الظاهر نائبه على دمشق الأمير آقوش ، فسار إليه سائماً مطيعاً ، وناب عنه الأمير علم الدين الحصني حتى عاد مكراً معزواً .

وفيها ولي الظاهر قضاة من بقية المذاهب في مصر مستقلين بالحكم يولون من جهتهم في البلدان أيضاً كما يولي الشافعي ، فتولى قضاء الشافعية التاج عبد الوهاب ابن بخت الأعز ، والخنفية شمس الدين سليمان ، والمالكية شمس الدين السبكي ، والخناابلة شمس الدين محمد المقدسي ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي الحجة بدار العدل ، وكان سبب ذلك كثرة توقف القاضي ابن بنت الأعز في أمور تخالف مذهب الشافعي ، وتوافق غيره من المذاهب ، فأشار الأمير جمال الدين أيد غدي المزبزي على السلطان بأن يولي من كل مذهب قاضياً مستقلاً يحكم بمقتضى مذهبه ، فأجابته إلى ذلك ، وكان يحب رأيَه ومشورته ، وبعث بأخشاب ورماس وآلات كثيرة لهارة مسجد رسول الله (ص) ، وأرسل منبرا فنصب هناك .

وفيها وقع حريق عظيم ببلاد مصر واتهم النصراني فعاقبهم الملك الظاهر عقوبة عظيمة . وفيها جاءت الأخبار بأن سلطان التتار هولاً كوهلك إلى لعنة الله وغضبه في سابع ربيع الآخر بمرض المهرع بمدينة مراغة ، ودفن بقلمسة تلا وبنيت عليه قبة واجتمعت التتار على ولده أبنا ، فقصد الملك بركة خان فكسره وفرق جموعه ، وفرح الملك الظاهر بذلك ، وعزم على جمع المساكين ليأخذ بلاد العراق فلم يتمكن من ذلك لتفرق المساكين في الاقطاعات .

وفيها في ثاني عشر شوال سلطان الملك الظاهر ولده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأخذ له البيعة من الأمراء وأركبه ومشى الأمراء بين يديه ، وحمل والده الظاهر الفاشية بنفسه والأمير بدر الدين بيسرى حامل الخنزير ، والقاضي تاج الدين والوزير بهاء الدين ابن حناراً كبان وبين يديه ، وأعيان الأمراء ركبان وبعيتهم مشاة حتى شقوا القاهرة وهم كذلك .

وفي ذي القعدة ختن الظاهر ولده الملك السعيد المذكور ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء وكان يوماً مشهوداً .

وفيها توفي

خالد بن يوسف بن سعد النابلسي

الشيخ زين الدين ابن الحافظ شيخ دار الحديث النورية بدمشق ، كان علماً بصناعة الحديث حافظاً لأسماء الرجال ، وقد اشتغل عليه في ذلك الشيخ محي الدين النواوي وغيره ، وتولى بدمشق ، شيخاً دار الحديث النورية الشيخ تاج الدين الفزاري ، كان الشيخ زين الدين حسن الأخلاق فكه النفس كثير المزاج على طريقة المحدثين ، رحل إلى بغداد واشتغل بها ، وسمع الحديث وكان فيه خير وصلاح وعبادة ، وكانت جنازته حافلة ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ أبو القاسم الحواري

هو أبو القاسم يوسف ابن أبي القاسم بن عبد السلام الأموي الشيخ المشهور صاحب الزاوية بحواري ، توفي ببلده ، وكان خيراً صالحاً له أتباع وأصحاب يحبونه ، وله مریدون كثير من قرایا حوران في الحل والتبنيّة وهم حنابلة لا يرون الضرب بالدف بل بالكف ، وهم أمثل من غيرهم .

القاضي بدر الدين الكردي السنجاري

الذي باشر القضاء بمصر مراراً توفي بالقاهرة . قال أبو شامة : وسيرته مرفوعة في أخذ الرشا من قضاة الأطراف والمتحاكين إليه ، إلا أنه كان جواداً كريماً صودر هو وأهله .

ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة

استلمت والخليفة الحاكم العباسي والسلطان الملك الظاهر وقضاة مصر أربعة . وفيها جعل بدمشق أربعة قضاة من كل مذهب قاض كما فعل بمصر عام أول ، ونائب الشام آقوش النجبي ، وكان قاضى قضاة الشافعية ابن خلسكان ، والحنفية شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطا ، والحنابلة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي جمر ، والمالكية عبد السلام بن الزاوي ، وقد امتنع من الولاية فألزم بها حتى قبل ثم عزل نفسه ، ثم ألزم بها فقبل بشرط أن لا يباشر أوقافاً ولا يأخذ جامكية على أحكامه ، وقال : نحن في كفاية فأعفى من ذلك أيضاً رحمه الله . وقد كان هذا الصنيع الذي لم يسبق إلى مثله قد فعل في العام الأول بمصر كما تقدم ، واستقرت الأحوال على هذا المنوال .

وفيها كل حمارة الحوض الذي شرق قناة باب البريد وعمل له شاذر وان وقبة وأتابيب يجري منها الماء إلى جانب الدرج الشمالية .

وفيها نازل الظاهر صند واستدعى بالمنجانيق من دمشق وأحاط بها ولم يزل حتى افتتحها ، ونزل أهلها على حكمه ، فقسّم البلد في يوم الجمعة ثامن عشر شوال ، وقتل المقاتلة وسبي القرية ، وقد افتتحها الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب في شوال أيضاً في أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم استعادها الفرنج فافتزعوها الظاهر منهم قهراً في هذه السنة وثلاثة ألاف ، وكان السلطان الظاهر في نفسه منهم شياً .

كثير ، فلما توجه إلى فتحها طلبوا الأمان ، فأجلس على سرير مملكته الأمير سيف الدين كرمون التتري ، وجاءت ترسلهم تخلفوه وانصرفوا ولا يشعرون أن الذي أعطاهم اليهود بالأمان إنما هو الأمير الذي أجلسه على السرير والحرب خدعة ، فلما خرجت الاستنارية والدراوية من القلعة وقد فعلوا بالمسلمين الأفاعيل القبيحة ، فأمكن الله منهم فأمر السلطان بضرب رقابهم عن آخرهم ، وجاءت البريدية إلى البلاد بذلك ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، ثم بث السرايا يمينا وشمالا في بلاد الفرنج فاستولى المسلمون على حصون كثيرة تقارب عشرين حصنا ، وأسروا قريبا من ألف أسير ما بين امرأة وصبي ، وغنموا شيئا كثيرا .

وفيها قدم ولد الخليفة المستنصر بن المنصور واسمه علي ، فأكرم وأنزل بالدار الأسدية تجاه الميزية ، وقد كان أسيرا في أيدي التتار ، فلما كسرهم بركة خان تخلص من أيديهم وسار إلى دمشق ، ولما فتح السلطان صغدا أخبره بعض من كان فيها من أسرى المسلمين أن سبب أسرهم أن أهل قرية فأرا كانوا يأخذونهم فيحملونهم إلى الفرنج فيبيعونهم منهم ، فعند ذلك ركب السلطان قاصدا فأرا فأوقع بهم بأسا شديدا وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسّر من أبنائهم ونسائهم أخذا بئار المسلمين جزاء الله خيرا ، ثم أرسل السلطان جيشا هائلا إلى بلاد سييس ، فجاسوا خلال الديار وفتحوا سييس عنوة وأسروا ابن ملكها وقتلوا أخاه ونهبوها ، وقتلوا أهلها وأخذوا بئار الاسلام وأهله منهم ، وذلك أنهم كانوا أضربوا على المسلمين زمن التتار ، لما أخذوا مدينة حلب وغيرها أسروا من نساء المسلمين وأطفالهم خلقا كثيرا ، ثم كانوا بعد ذلك يغيرون على بلاد المسلمين في زمن هولاء فكتبته الله وأهاته على يدي أنصار الاسلام ، هو وأميره كتبغا ، وكان أخذ سييس يوم الثلاثاء العشرين من ذي القعدة من هذه السنة ، وجاءت الأخبار بذلك إلى البلاد وضربت البشائر ، وفي الخامس والعشرين من ذي الحجة دخل السلطان وبين يديه ابن صاحب سييس وجماعة من ملوك الأرمن أسارى أذلاء صفرة ، والعساكر محبته وكان يوما مشهودا . ثم سار إلى مصر مؤيدا منصورا ، وطلب صاحب سييس أن ينادى ولده ، فقال السلطان لا يناديه إلا بأسير لنا عند التتار يقال له سنقر الأشقر ، فذهب صاحب سييس إلى ملك التتار فتذلل له وتمسكن وخضع له ، حتى أطلقه له ، فلما وصل سنقر الأشقر إلى السلطان أطلق ابن صاحب سييس .

وفيها عمر الظاهر الجسر المشهور بين قرارا ودامية ، تولى عمارته الأمير جمال الدين محمد بن بهادر وبنو الدين محمد بن رجال والى نابلس والأغوار ، ولما تم بناؤه اضطرب بعض أركانه فقلق السلطان من ذلك وأمر بتأكيده فلم يستعليوا من قوة جرى الماء حيفا ، فاتفق بأذن الله أن انسلت على النهر أكمة من تلك الناحية ، فسكن الماء بمقدار أن أصلحوا ما يريدون ، ثم عاد الماء كما كان

وذلك بتيسير الله وعونه وعنايته العظيمة .

وفيها توفي من الأعيان أيد غدي بن عبد الله

الأمير جمال الدين الغريزي ، كان من أكابر الأمراء وأحطام عند الملك الظاهر ، لا يكاد الظاهر يخرج عن رأيه ، وهو الذي أشار عليه بولاية القضاة من كل مذهب قاض على سبيل الاستقلال وكان متواضعا لا يلبس محرما ، كرما وقورا رئيسا معظما في الدولة ، أصابته جراحة في حصار صند فلم يزل مريضا منها حتى مات ليلة عرفة ، ودفن بالرباط الناصري بسفح قاسيون من صلاحية دمشق رحمه الله هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان

ملك التتار ، وهو والد ملوكهم ، والعمامة يقولون هولاوون مثل قلاوون ، وقد كان هولاكو ملكا جبارا فاجرا كفارا لعنه الله ، قتل من المسلمين شرقا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا القدي خلقهم وسيجزيه في ذلك شر الجزاء ، كان لا يتقيس بدين من الأديان ، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق ، وكان هو يتراعى على محبة المقولات ، ولا يتصور منها شيئا ، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاعة ومكانة ، وإنما كانت همته في تدبير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا ، حتى أباده الله في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث وستين ، ودفن في مدينة نلا ، لأرحمه الله ، وقام في الملك من بعده ولده أبنا خان وكان أبنا أحد إخوة عشرة ذكور . والله سبحانه أعلم وهو حسينا ونعم الوكيل .

ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة

في يوم الأحد ثلثي المحرم توجه الملك الظاهر من دمشق إلى الديار المصرية ومعه السباكر المنصورة ، وقد استولت الدولة الإسلامية على بلاد سييس بكها ، وعلى كثير من معقل الفرنج في هذه السنة ، وقد أرسل السباكر بين يديه إلى غزة ، وعدل هو إلى ناحية الكرك لينظر في أحوالها ، فلما كان عند بركة زيزي تصيد هنالك فسقط عن فرسه فانكسرت فخذه ، فأقام هناك أياما يتداوى حتى أمكنه أن يركب في الحفة ، وسار إلى مصر فبرأت رجله في أثناء الطريق فأمكنه الركوب وحده على الفرس . ودخل القاهرة في أبهة عظيمة ، وتجمل هائل ، وقد زينت البلد ، واحتفل الناس له احتفالا عظيما ، وفرحوا بقدومه وعافيته فرحا كثيرا ، ثم في رجب منها رجع من القاهرة إلى صند ، وحفر خندقا حول قلعتها وعمل فيه بنفسه وأمرائه وجيشه وأغار على ناحية عكا ، وقتل وأسروهم وسلم وضربت لذلك البشائر بدمشق . وفي ثلثي شهر ربيع الأول صلى الظاهر بالجامع الأزهر الجمعة ، ولم يكن تقام به الجمعة من زمن المبيدين إلى هذا الحين ، مع أنه أول مسجد بني بالقاهرة ، بناء جوهر القائد وأقام فيه الجمعة ، فلما بنى الحاكم جامعهم حول الجمعة منه إليه ، وترك الأزهر لاجمة فيه

نصارى فى حكم بقية المساجد وشعث حاله وتغيرت أحواله ، فأمر السلطان بمارته وبياضه وإقامة الجمعة وأمر بعمارة جامع الحسينية وكمل فى سنة سبع وستين كما سيأتى إن شاء الله تعالى .
وفىها أمر الظاهر أن لا يبيت أحد من المجاورين بجامع دمشق فيه وأمر بإخراج الخزائن منه ، والمقاصير التى كانت فيه ، فكانت قريباً من ثلاثمائة ، ووجدوا فيها قوارير البول والفرش والسجاجيد الكثيرة ، فاستراح الناس والجامع من ذلك واتسع على المصلين .

وفىها أمر السلطان بعمارة أسوار صفد وقلعتها ، وأن يكتب عليها [ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض برنها عبادة الصالحون] [أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون] .
وفىها التقي أبنا ومنكو تمر الذى قام مقام بركة خان فكسره أبنا وغرم منه شيئاً كثيراً .

وحكى ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونينى قال : بلغنا أن رجلاً يدعى أبا سلامة^(١) من ناحية بصرى ، كان فيه مجنون واستهتار ، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة ، فقال : والله لا أستاك إلا فى المخرج - يعنى دبره - فأخذوا كما فوضه فى مخرجه ثم أخرجه ، فكث بعدة نسمة أشهر [وهو يشكو من ألم البطن والمخرج]^(٢) فوضع ولداً على صفة الجرذان له أربعة قوائم ، ورأسه كراس السمكة ، [وله أربعة أنياب بارزة ، وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع]^(٣) وله دبر كدبر الأرنب . ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ، فقامت ابنة ذلك الرجل فوضت رأسه فأت ، وطاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات فى الثالث ، وكان يقول هذا الحيوان قتلى وقطع أعمائى ، وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ، ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً ، ومنهم من رآه بعد موته . ومن توفى فيها من الأعيان .

السلطان بركة خان بن تولى بن جنكيز خان

وهو ابن عم هولوكو ، وقد أسلم بركة خان هذا ، وكان يحب العلماء والصالحين ومن أكبر حسناته كسره لهولوكو وتفريق جنوده ، وكان يناصر الملك الظاهر ويعظم ويكرم رسله إليه ، ويطلق لهم شيئاً كثيراً ، وقد قام فى الملك بدم بعض أهل بيته وهو منكو تمر بن طنان بن بابو بن تولى بن جنكيز خان ، وكان على طريقته ومنواله وقه الحمد .

قاضي القضاة بالديار المصرية

تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر بن بكت الاعز الشافعى ، كان ديناً حنيفاً نزهاً لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولا يقبل شفاعة أحد ، وجمع له قضاء القضاة المصرية بكلاماً ، والخطابة ، والحسبة

(١) فى شذارات الذهب : قرية يقال لها دبر أبى سلامة . كان بها رجل من العربان فيه استهتار الخ

(٢) الزيادة من شذرات الذهب .

ومشيخة الشيوخ ، ونظر الأقباش ، وتدريس الشافعي والصالحية وإمامة الجامع ، وكان بيده خمسة عشر وظيفة ، ويأشر الوزارة في بعض الأوقات ، وكان السلطان يعظمه ، والوزير ابن حنا يخاف منه كثيراً ، وكان يجب أن ينسب عند السلطان ويضعه فلا يستطيع ذلك ، وكان يشتهي أن يأني داره ولوعائدا ، ففرض في بعض الأحيان فجاء القاضي عائدا ، فقام إلى تلقيه لوسط الدار ، فقال له اقاضي : إنما جئنا لمبادتك فإذا أنت سوى صحيح ، سلام عليكم ، فرجع ولم يجلس عنده . وكان مولده في سنة أربع وستائة ، وتولى بعده القضاء آق الدين ابن رزين

واقف القيمرية الامير الكبير ناصر الدين

أبو الممال الحسين بن العزيز بن أبي الفوارس القيمري الكردي ، كان من أعظم الأمراء مكانة عند الملوك ، وهو الذي سلم الشام إلى الملك الناصر صاحب حلب ، حين قتل توران شاه بن الصالح أيوب بمصر ، وهو واقف المدرسة القيمرية عند مأذنة فيروز ، وصل على بابها الساعات التي لم يسبق إلى مثلها ، ولا عمل على شكلها ، يقال إنه غرم عليها أربعين ألف درهم .

الشيخ شهاب الدين أبو شامة

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الامام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الاشرفية ، ومدرس الركنية ، وصاحب المصنفات المدينة المفيدة ، له اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة ، وله شرح الشاطبية ، وله الرد إلى الأمر الأول ، وله في المبعث وفي الأسراء ، وكتاب الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية ، وله الذيل على ذلك ، وله غير ذلك من الفوائد الحسان والفرائب التي هي كالعقيان . ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وذو كنهه ترجمة في هذه السنة في الذيل ، وذو كرمه به ومنشأه ، وطلبه العلم ، وسماعه الحديث ، وتفقه على الفخر بن عساكر وابن عبد السلام ، والسيف الآمدي ، والشيخ موفق الدين بن قدامة ، ومارى له من المنامات الحسنة . وكان ذا فنون كثيرة ، أخبرني علم الدين البرزالي الحافظ عن الشيخ تاج الدين الفزاري ، أنه كان يقول : بلغ الشيخ شهاب الدين أبو شامة رتبة الاجتهاد ، وقد كان ينظم أشعارا في أوقات ، فنها ما هو مستحلي ، ومنها ما لا يستحلي ، فآله يفرلنا وله . وبالجملة فلم يكن في وقته مثله في نفسه وديانته ، وعفته وأمانته ، وكانت وفاته بسبب محنة ألوا عليه ، وأرسلوا إليه من اغتاله وهو بمنزله بطواحين الأشنان ، وقد كان اتهم برأى ، والظاهر براءته منه ، وقد قال جماعة من أهل الحديث وغيرهم : إنه كان مظلوما ، ولم يزل يكتب في التاريخ حتى وصل إلى رجب من هذه السنة ، فذكر أنه أصيب بمحنة في منزله بطواحين الأشنان ، وكان الذين قتلوه جاءوه قبل فضر به ليموت فلم يموت ، فقيل له : ألا تشكي عليهم ، فلم يفعل وأنشأ يقول :

قلتُ لمن قالُ ألا تشنكى * ما قد جرى فهو عظيمٌ جليلٌ
يقضُ اللهُ تعالى لنا * من يأخذ الحقَّ ويشفي الغليلَ
إذا توكلنا عليه كفى * لحسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ

وكانهم عادوا إليه مرة ثانية وهو في المنزل المذكور قتلوه بالكلية في ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان رحمه الله . ودفن من يومه بمقابر دار الفرائيس ، وبأشرف بعده مشيخة دار الحديث الأشرفية الشيخ محيي الدين الذوي . وفي هذه السنة كان مولد الحافظ علم الدين القاسم بن محمد البرزالي ، وقد ذيل على تاريخ أبي تارخ أبي شامة لأن مولده في سنة وفاته ، فحذا حذوه وسلك نموه ، ورتب تربيته وهذب تربيته . وهذا أيضاً من ينشد في ترجمته .

مازلتُ تكتبُ في التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً
ويناسب أن ينشد هنا :

إذا سيدنا خلا قام سيدٌ * قوولٌ لما قال الكرامُ فعولٌ
ثم دخلت سنة ست وستين وستائة

استهلّت هذه السنة والحاكم العباسي خليفة، وسلطان البلاد الملك الظاهر، وفي أول جمادى الآخرة خرج السلطان من الديار المصرية بالمساكر المنصورة، فنزل على مدينة يافا فأنفذها عنوة، وسلم إليه أهلها قلعتها صلحاً، فأجلاهم منها إلى عكا وخرب القلعة والمدينة وسار منها في رجب فأصدأ حصن الشقيف، وفي بعض الطريق أخذ من بعض بريديّة الفرنج كتاباً من أهل عكا إلى أهل الشقيف يعلمونهم قدوم السلطان عليهم، ويأمرهم بتحصين البلد، والمبادرة إلى إصلاح أماكُن يخشى على البلد منها. ففهم السلطان كيف يأخذ البلد وعرف من أين تؤكل الكتف، واستدعى من فوره رجلاً من الفرنج فأمره أن يكتب ببله كتاباً على ألسنتهم إلى أهل الشقيف، يحضّر الملك من الوزير، والوزير من الملك، ويرى الخلف بين الدولة. فوصل إليهم فأوقع الله الخلف بينهم بحوله وقوته، وجاء السلطان لمخاصرم ورماهم بالمنجنيق فسلموه الحصن في التاسع والعشرين من رجب وأجلاهم إلى صور، وبعث بالأفغان إلى دمشق، ثم ركب جرّيدة فيمن نشط من الجيش فشن الغارة على طرابلس وأحاطها، فتهب وقتل وأرعب وكر راجعاً مؤيداً منصوراً، فنزل على حصن الأكراد لحبته في المرح، فعمل إليه أهل من الفرنج الاقامات فأبى أن يقبلها وقال أنتم قتلتم جندياً من جيشي وأريد دينه مائة ألف دينار، ثم سار فقتل على حصن، ثم منها إلى حماة، ثم إلى طامية ثم سار منزلة أخرى، ثم سار ليلاً وتقدم العسكر فلبسوا العدة وساق حتى أحاط بمدينة أنطاكية .

فتح أنطاكية على يد السلطان الملك الظاهر

وهي مدينة عظيمة كثيرة الخلاء، يقال إن دورها اثنا عشر ميلاً، وعدد بروجها مائة وستة

وثلاثون برجاء و عدد شرافتها أربعة وعشرون ألف شرافة ، كان نزوله عليها في مستهل شهر رمضان ، ففرح اليه أهلها يطلبون منه الأمان ، وشرطوا شروطا له عليهم فأبى أن يجيبهم وردم خائبين وصمم على حصارها ، ففتحها يوم السبت رابع عشر رمضان بحول الله وقوته وتأيدته ونصره ، وغنم منها شيئا كثيرا ، وأطلق للإمراء أموالا جزيلة ، ووجد من أسارى المسلمين من الحلبيين فيها خلقا كثيرا ، كل هذا في مقدار أربعة أيام . وقد كان الأفريس صاحبها وصاحب طرابلس ، من أشد الناس أذية للمسلمين ، حين ملك التتار حلب وفر الناس منها ، فانتقم الله سبحانه منه بمن أقامه للإسلام فاصرا وللصليب دافعا كاسرا ، والله الحمد والمنة ، وجاءت البشارة بذلك مع البريدية ، فجاءتها البشائر من القلعة المنصورة ، وأرسل أهل بفراس حين سمعوا بقصد السلطان إليهم يطلبون منه أن يبعث إليهم من يتسلمها ، فأرسل إليهم أستاذ داره الأمير آقسنقر الفارغانى فى ثالث عشر رمضان فتسلمها ، وتسلموا حصونا كبيرة وقلعا كثيرة ، وعاد السلطان مؤيدا منصورا ، فدخل دمشق فى السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة فى أبهة عظيمة وهيبة هائلة ، وقد زينت له البلد ودقت له البشائر فرحا بنصرة الاسلام على الكفرة الطغام ، لكنه كان قد عزم على أخذ أراضى كثيرة من القرى والبساتين التى بأيدى ملاكها يزعم أنه قد كانت التتار استحوذوا عليها ثم استنقذها منهم ، وقد أثناء بعض الفقهاء من الخفية تفرغا على أن الكفار إذا أخذوا شيئا من أموال المسلمين ملكوها ، فإذا استرجعت لم ترد إلى أصحابها ، وهذه المسألة مشهورة للناس فيها قولان (أصحهما) قول الجمهور أنه يجب ردها إلى أصحابها لحديث المضياء فاقه رسول الله (ص) ، حين استرجعها رسول الله (ص) ، وقد كان أخذها المشركون ، واستدلوا بهذا وأمثاله على أبى حنيفة ، وقال بعض العلماء إذا أخذ الكفار أموال المسلمين وأسلموا وهى فى أيديهم استقرت على أملاكهم ، واستدل على ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «وهل ترك لنا عقيل من رباع» وقد كان استحوذ على أملاك المسلمين الذين هاجروا وأسلم عقيل وهى فى يده ، فلم تنتزع من يده ، وأما إذا انتزعت من أيديهم قبل ، فانها ترد إلى أربابها لحديث المضياء ، والمقصود أن الظاهر عقد مجلسا اجتمع فيه القضاة والفقهاء من سائر المذاهب وتكلموا فى ذلك وصمم السلطان على ذلك اعتمادا على ما بيده من الفتاوى ، وخاف الناس من غائلة ذلك فتوسط صاحب نقر الدين بن الوزير بهاء الدين بن أحناء ، وكان قد درس بالشافعى بمد ابن بنت الأعرس ، فقال ياخونند أهل البلد يصلحونك عن ذلك كله بألف ألف درهم ، تقسط كل سنة مائتى ألف درهم ، فأبى إلا أن تكون معجلة بمد أيام ، وخرج متوجها إلى القطار المصرية ، وقد أجاب إلى تقسيطها ، وجاءت البشارة بذلك ، ورسم أن يعجلوا من ذلك أربعمائة ألف درهم ، وأن تعاد إليه الغلات التى كانوا قد احتلوا عليها فى زمن التقسيم والفتار ، وكانت هذه الفعلة مما شعثت خواطر الناس على السلطان ولما استقر أمر أبقا على التتار أمر باستمرار وزيره نصير الدين الطوسى ، واستناب على بلاد الروم

البرواناه وارتفع قدره عنده جدا واستقل بتدبير تلك البلاد وعظم شأنه فيها .
 وفيها كتب صاحب اليمن إلى الظاهر بالخضوع والانتهاء إلى جانبه وأن يخاطب له ببلاد اليمن ،
 وأرسل إليه هدايا وتحفًا كثيرة ، فأرسل إليه السلطان هدايا وخلعًا وسنجدًا وتقليدًا .
 وفيها رافع ضياء الدين بن القعاقى للصاحب بهاء الدين بن الحنا عند الظاهر واستظهر عليه ابن
 الحنا ، فسله الظاهر إليه ، فلم يزل يضربه بالمقارع ويستخلص أمواله إلى أن مات ، فيقال إنه ضربه
 قبل أن يموت سبعة عشر ألف مقرعة وسبعائة فالة أعلم .
 وفيها عمل البرواناه^(١) على قتل الملك علاء الدين صاحب قونية وأقام ولده غياث الدين مكانه
 وهو ابن عشر سنين وتمكن البرواناه في البلاد والعباد وأطاعه جيش الروم .

وفيها قتل الصاحب علاء الدين صاحب الديوان ببغداد ابن الخشكرى النعمانى الشاعر ، وذلك
 أنه اشتهر عنه أشياء عظيمة ، منها أنه يعتقد فضل شعره على القرآن المجيد ، واتفق أن الصاحب
 انهدر إلى واسط فلما كان بالثمانية حضر ابن الخشكرى عنده وأنشده قصيدة قد قالها فيه ، فبينما هو
 ينشدها بين يديه إذ أذن المؤذن فاستنصته الصاحب ، فقال ابن الخشكرى : يامولانا اسمع شيئاً
 جديداً ، وأعرض عن شيء له سنين ، فثبت عند الصاحب ما كان يقال عنده عنه ، ثم باسطه وأظهر
 أنه لا ينكر عليه شيئاً مما قال حتى استسلم ما عنده ، فإذا هو زنديق ، فلما ركب قال لاسنان معه
 استغفروا في أثناء الطريق واقتله ، فسأيره ذلك الرجل حتى إذا انقطع عن الناس قال لجماعة معه : أنزلوه
 عن فرسه كالمداعب له ، فأنزلوه وهو يشتمهم ويلعنهم ، ثم قال انزعوا عنه ثيابه فسلبوها وهو
 يخاضعهم ، ويقول إنكم أجلاف ، وإن هذا لعب بارد ، ثم قال : اضربوا عنقه ، فتقدم إليه أحدهم
 فضربه بسيفه فأبلى رأسه ،

وفيها توفي الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال

شيخ رباط المارزبانبة ، كان صالحاً ورعاً زاهداً حكى عن نفسه قال : كنت بمصر فبلغنى ما وقع
 من القتل الدريم ببغداد في فتنة التتار ، فأنكرت في قلبى وقلت : يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن
 لا ذنب له ؟ فرأيت في المنام رجلاً فى يده كتاب فأخذته فقرأته فإذا فيه هذه الأبيات فيها الانكار
 على .
 دع الاعتراضَ فما الامرُ لك * ولا الحُكمَ فى حركاتِ الفلكِ
 ولا تسألِ اللهَ عن فصلهِ * فنَّ خاصَّ لجةٍ بمجرهك
 إليه تصيّرُ أمورَ المبادِرِ * دَعِ الاعتراضَ فما أجلكُ

(١) كلمة فارسية معناها فى الاصل الحاجب . ثم أطلق فى دول الروم السلاجقة بآسيا الصغرى
 على الوزير الاكبر .

ومن تولى فيها من الأعيان الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله
ابن عمر المروفي بن قاضي البين ، من ثمان وستين سنة ، ودفن بالشرف الأعلى ، وكان قد
تفرد بروايات جيدة وانتفع الناس به . وفيها ولد الشيخ شرف الدين عبد الله بن تيمية أخو الشيخ
تقي الدين ابن تيمية ، والخطيب القزويني .

ثم دخلت سنة سبع وستين وستائه

في صفر منها جدد السلطان الظاهر البيعة لولده من بعده الملك السعيد محمد بركة خان ، وأحضر
الأمراء كلهم والقضاة والأعيان وأركبه ومشى بين يديه ، وكتب له ابن لقمان تقليدا هائلا بالملك من
بعد أبيه ، وأن يحكم عنه أيضا في حال حياته ، ثم ركب السلطان في عساكره في جهادي الآخرة
قاصدا الشام ، فلما دخل دمشق جاءته رسل من أبناء ملك التتار معهم مكاتبات ومشافهات ، فن جلة
المشافهات : أنت مملوك بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ وأعلم أنك لو
صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني فأعمل لنفسك على مصالحة السلطان إيتنا . فلم
يلتفت إلى ذلك ولا همه شيئا بل أجاب عنه أتم جواب ، وقال لرسله : أعلموه أنني من ورائه بالمطالبة
ولا أزال حتى أترع منه جميع البلاد التي استحوز عليها من بلاد الخليفة ، وسائر أقطار الأرض .
وفي جهادي الآخرة رسم السلطان الملك الظاهر بآراقة الخور وتبديل المفسدات والخواطئ
بالبلاد كلها ، قهبت الخواطئ وسابن جميع ما كان معهن حتى يتزوجن ، وكتب إلى جميع البلاد
بذلك ، وأسطط المكوس التي كانت مرتبة على ذلك ، وعوض من كان محالا على ذلك بفريها والله
الحد والمئة . ثم عاد السلطان بمساكره إلى مصر ، فلما كان في أثناء الطريق عند خربة القصوص
تمرصت له امرأة فقد كرت له أن ولدها دخل مدينة صور ، وأن صاحبها الفرنجي غدر به وقتله وأخذ
ماله ، فركب السلطان وشن الغارة على صور فأخذ منها شيئا كثيرا ، وقتل خلقا ، فأرسل إليه ملكها
ما سبب هذا ؟ فذكر له غدره ومكره بالتجار ثم قال السلطان لمقدم الجيوش : أوم الناس أني مريض
وأنني بالهفة وأحضر الأطباء واستوصف لي منهم ما يصلح لمريض به كذا وكذا ، وإذا صفوا لك
فأحضر الأشربة إلى الهفة وأنتم سائرون . ثم ركب السلطان على البريد وساق مسرعا فكشف
أحوال ولده وكيف الامر بالتيار المصرية بعده ، ثم عاد مسرعا إلى الجيش فجلس في الهفة وأظهر
عافيته وتبأشروا بذلك . وهذه جراحة عظيمة ، وإقدام هائل .

وفيها حج السلطان الملك الظاهر وفي صحبته الأمير بدر الدين الخزندار ، وقاضي القضاة صدر
الدين سليمان الحنفي ، ونفرا الدين بن لقمان ، وتاج الدين بن الأثير ونحو من ثلاثمائة مملوك ، وأجناد
من الخلقة المنصورة ، فسار على طريق الكرك ونظر في أحوالها ثم منها إلى المدينة النبوية ، فأحسن
إلى أهلها ونظر في أحوالها ، ثم منها إلى مكة فتصنق على المجاورين ثم وقف بعرفة وطاف طواف

الافاضة وفتحت له الكعبة ففسلها بماء الورد وطيبها بيده ، ثم وقف بباب الكعبة فتناول أيدي الناس ليدخلوا الكعبة وهو بينهم ، ثم رجع فرمى الجرات ثم تمجّل النفر فعاد على المدينة النبوية فزار القبر الشريف مرة ثانية على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومصحابته الكرام أجمعين إلى يوم الدين . ثم سار إلى الكرك فدخلها في التاسع والعشرين من ذي الحجة ، وأرسل البشير إلى دمشق بقدمه سالماً ، فخرج الأمير جمال الدين آقوش النجيبى فاقبها ليتلقى البشير في ثاني الحرم ، فإذا هو السلطان نفسه يسير في الميدان الأخضر ، وقد سبق الجميع ، فتمحّب الناس من سرعة سيره وصبره وجلده ، ثم ساق من فوره حتى دخل حلب في سادس المحرم ليتفقّد أحوالها ، ثم عاد إلى حماة ثم رجع إلى دمشق ثم سار إلى مصر فدخلها يوم الثلاثاء ثالث صفر من السنة المقبلة رحمه الله .

وفي أواخر ذي الحجة هبت ريح شديدة أغرقت مائتي مركب في النيل ، وهلك فيها خلق كثير ، ووقع هناك مطر شديد جديداً ، وأصاب الشام من ذلك صاعقة أهلكت الثمار ، فأنقذ الله وإنا إليه راجعون . وفيها أوقع الله تعالى الخلف بين التتار من أصحاب إيفغا وأصحاب ابن منكوتما بن عمه وتفرقوا واشتغلوا بيهضهم بعضاً ، والله الحد . وفيها خرج أهل حران منها وقدموا الشام ، وكان فيهم شيخنا العلامة أبو العباس أحمد بن تيمية محبة أبيه وعمره ست سنين ، وأخوه زين الدين عبدالرحمن وشرف الدين عبد الله ، وهما أصغر منه .

ومن توفي فيها من الأعيان الأمير عز الدين أيّد مر بن عبد الله الحلبي الصالحى ، كان من أكابر الأمراء وأحفظهم عند الملوك ، ثم عند الملك الظاهر ، كان يستنبيه إذا غلب ، فلما كانت هذه السنة أخفّه معه وكانت وفاته بقلعة دمشق ، ودفن بقر بنه بالقرب من الينمورية ، وخلف أموالاً جزيلة ، وأوصى إلى السلطان في أولاده ، وحضر السلطان عزاء بمجامع دمشق .

شرف الدين أبو الظاهر محمد بن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية المصرى ، ولد سنة عشر وستائة وستمائة وأباه وجماعة ، وتولى مشيخة دار الحديث الكاملية مدة ، وحدث وكان فاضلاً .

القاضي تاج الدين أبو عبدالله محمد بن وثاب بن رافع البجلي الحنفى ، درس وأفتى عن ابن عطاء بدمشق ، ومات بعد خروجه من الحمام على مساطب الحمام فجأة ودفن بقاسيون .

الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحي شيخ الأطباء بدمشق ، ومدرس الاخوارية عن وصية واقفها بذلك وله التقدمة في هذه الصناعة على أقرانه من أهل زمانه ، ومن شعره قوله :

يساقُ بنو الدنيا إلى الحنْفِ عَنوةٌ * ولا يشعُرُ الباقي بِحالِهِ من يَمضى
كَأنَّهُمُ الأَنعامُ في جَهْلِ بَعْضِها * بِما نَمَّ من سَفكِ الدِّماءِ على بَعْضِ
[الشيخ نصير الدين

المبارك بن يحيى بن أبي الحسن أبي البركات بن الصباغ الشافعي ، العلامة في الفقه والحديث ،
درس وأفتى وصنف وانتفع به ، وعمر ثمانين سنة ، وكانت وفاته في جادى عشرة جمادى الأولى
من هذه السنة ، رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو الحسن

على بن عبد الله بن إبراهيم الكوفي المقرئ النحوي الملقب بسبيويه ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة
النحو ، توفي بمارستان القاهرة في هذه السنة عن سبع وستين سنة رحمه الله . ومن شعره :
هَبْ بَسْطَ قَلْبِي بِهَجْرٍ مِنْكَ مُتَعَلِّ * يَا مَنْ هَوَاهُ ضَمِيرٌ غَيْرُ مُفَصَّلِ
فَا زَادَنِي غَيْرُ تَأْكِيدِ صَدِّكَ لِي * فَعَادُوكَ مِنْ عَطْفٍ إِلَى بَدَلٍ^(١)
وفيهما ولد شيخنا العلامة كمال الدين محمد بن علي الأنصاري بن الزملكاني شيخ الشافعية .
ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة

في ثاني المحرم منها دخل السلطان من الحجاز على المعين فلم يرع الناس إلا وهو في الميدان
الاخضر يسير ، فخرج الناس بذلك ، وأراح الناس من تلقيه بالهدايا والتحف ، وهذه كانت عادته ،
وقد عجب الناس من سرعة مسيره وعلو همته ، ثم سار إلى حلب ، ثم سار إلى مصر فدخلها في
سادس الشهر مع الركب المصري ، وكانت زوجته أم الملك السعيد في الحجاز هذه السنة ، ثم خرج
في ثالث عشر صفر هو وولده والأمراء إلى الاسكندرية فتصيد هناك ، وأطلق للأمرأ الأموال
الكثيرة والخلع ، ورجع مؤيداً منصوراً .

وفي المحرم منها قتل صاحب مرا كش أبو العلاء إدريس بن عبد الله بن محمد بن يوسف الملقب
بالرائق ، قتله بنو مزين في حرب كانت بينه وبينهم بالقرب من مرا كش . وفي ثالث عشر ربيع
الآخر منها وصل السلطان إلى دمشق في طائفة من جيوشه ، وقد لقوا في الطريق مشقة كثيرة من
البرد والوحل ، فغيم على الزنقية وبلغه أن ابن أخت زيتون خرج من عكا يقصد جيش المسلمين ،
فركب إليه سريعاً فوجده قريباً من عكا فدخلها خوفاً منه . وفي رجب تسلم نواب السلطان مصياف
من الاسماعيلية ، وهرب منها أميرهم الصارم مبارك بن الرضى ، فتحيل عليه صاحب حماه حتى أمره
وأرسله إلى السلطان لخصه في بعض الابرجة في القاهرة . وفيها أرسل السلطان الدرايزينات إلى الحجرة

النبوية ، وأمر أن تقام حول القبر صيانة له ، وعمل لها أبواباً تفتح وتغلق من الديار المصرية ، فركب ذلك عليها . وفيها استفاضت الاخبار بقدم الفرنج بلاد الشام ، فجهز السلطان المماليك لقتالهم ، وهو مع ذلك مهتم بالاسكندرية خوفاً عليها ، وقد حصنها وعمل جسوراً إليها إن دهمها العدو ، وأمر بقتل السكّاب منها . وفيها انقضت دولة بني عبد المؤمن من بلاد المغرب ، وكان آخرهم إدريس بن عبد الله بن يوسف صاحب مراکش ، قتله بنو مرّين في هذه السنة .
ومن توفي فيها من الأعيان .

الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الله الرفيع

ابن زيد بن مالك المصري المعروف بابن الزبيرى كان فاضلاً رئيساً ، وزرّ للملك المظفر قطز ثم لظاهر بيبرس في أول دولته ، ثم عزله وولى بهاء الدين ابن الحنا ، فلم يزل منزله حتى أدركته منيته في الرابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ، وله نظم جيد .

الشيخ موفق الدين

أحمد بن القاسم بن خليفة الطنّرجي الطبيب ، المعروف بابن أبي أصيّمة ، له تاريخ الأطباء في عشر مجلدات لطاف ، وهو وقف يشهد ابن عروبة بالأمرى ، توفي بصرخد وقد جاوز التسعين .

للشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم

ابن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن بكير ، أبو العباس المقدسي النابلسي ، تفرد بالرواية عن جماعة من المشايخ ، ولد سنة خمس وسبعين وخمائة ، وقد سمع ورحل إلى بلدان شتى ، وكان فاضلاً يكتب سريراً ، حكى الشيخ علم الدين أنه كتب مختصر الطرقي في ليلة واحدة ، وخطه حسن قوى ، وقد كتب تاريخ ابن عساكر مرتين ، واختصره لنفسه أيضاً ، وأضر في آخر عمره أربع سنين ، وله شعر أورد منه قطب الدين في تذييله ، توفي بسفح قاسيون وبه دفن في بكرة الثلاثاء عاشر رجب ، وقد جاوز التسعين رحمه الله .

القاضي يحيى الدين ابن الزكي

أبو الفضل يحيى بن قاضي الفضاة بهاء الدين أبي الممالى محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد ابن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الأموي بن الزكي ، تولى قضاء دمشق غير مرة ، وكذلك آباؤه من قبله ، كل قد وليها ، وقد سمع الحديث من حنبل وابن طبرزد والكندي وابن الحرستاني وجماعة ، وحديث ودرس في مدارس كثيرة ، وقد ولي قضاء الشام في الخلاوية^(١) فلم يحمده على ما ذكره أبو شامة ، توفي بمصر في الرابع عشر من رجب ، ودفن بالمقطم وقد جاوز السبعين . وله

(١) في شذرات الذهب : ولاه هولاكو قضاء الشام .

شمر جيبه قوى ، وحكى الشيخ قطب الدين فى ذلك بعد ما نسبته كما ذكرنا عن والده القاضى بهاء الدين أنه كان يذهب إلى تفضيل على على عثمان موافقة لشيخه محى الدين ابن عربى ، ولنام زاه بجامع دمشق ممرضاً عنه بسبب ما كان من بنى أمية إليه فى أيام صفين ، فأصبح فنظم فى ذلك قصيدة يذكر فيها ميله إلى على ، وإن كان هو أموى :

أدينُ بما دان الوصى ولا أرى * سواء وإن كانت أمية محندى
ولو شهدت صفين خيلى لا عنرت * وشاء بنى حرب هناك مشدى
لكنت أسن البيض عنهم تراضياً * وأمنهم نيل الخلافة باليد
ومن شعره :

قالوا ما فى جلق نزهة * تسليك عن أنت به مفر
يا عاذلى دونك فى لحظة * سهماً وقد عارضه سطر

الصاحب فخر الدين

محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن الحنا المصرى ، كان وزير الصبحية ، وقد كان فاضلاً ، بنى رابطاً بالترافة الكبرى ، ودرس بمدرسة والده بمصر ، وبالشافعى بعد ابن بخت الأعرز توفى بشعبان ودفن بسفح المقطم ، وفوض السلطان وزارة الصبحية لولده تاج الدين .

الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن

ابن الخراز الصوفى البغدادى الشاعر ، له ديوان حسن ، وكان جميل المعاشرة حسن المناكرة ، دخل عليه بعض أصحابه فلم يقم له فأنشدته قوله :

نهض القلب حين أقبلت * إجلالاً لما فيه من صحيح الوداد
ونهوض القلوب بالود أولى * من نهوض الأجساد للأجساد
ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة

فى مستهل صفر منها ركب السلطان من الديار المصرية فى طائفة من العسكر إلى عسقلان فهدم ما بقى من سورها مما كان أهمل فى الدولة الصلاحية ، وجد فيها هدم كوزين فيها ألفا دينار فقرعها على الأمراء . وجاءته البشارة وهو هناك بأن منكوتهم كسر جيش أبغا ففرح بذلك ، ثم عاد إلى القاهرة . وفى ربيع الأول بلغ السلطان أن أهل عكا ضربوا رقاب من فى أيديهم من أسرى المسلمين صبرا بظاهر عكا ، فأمر بمن كان فى يده من أسرى أهل عكا ففرضت رقابهم فى صبيحة واحدة ، وكانوا قريباً من مائتى أسير . وفيها كل جامع المنشية ^(١) وأقيمت فيه الجمعة فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر . وفيها جرت حروب يطول ذكرها بين أهل تونس والفرنج ، ثم اتصلوا بعد ذلك

(١) كذا فى المصرية . وفى التركية المزة .

على الهدنة ووضع الحرب ، بعد ما قتل من الفريقين خلق لا يحصون .

وفي يوم الخميس ثامن رجب دخل الظاهر دمشق وفي صحبته ولده الملك السعيد وابن الحنا الوزير وجهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا أن يلتقوا بالساحل ليشنوا الغارة على جبلة واللاذقية ومرقب وعرقا وما هنالك من البلاد ، فلما اجتمعوا فتحوا صافينا والمجمل ، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب ، وله ثلاثة أسوار ، فنصبوا المنجنيقات ففتحها قسرا يوم نصف شعبان ، فدخل الجيش ، وكان الذي يحاصره ولد السلطان الملك السعيد ، فأطلق السلطان أهله ومن عليهم وأجلاهم إلى طرابلس ، وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح ، فأجل أهلها أيضا وجعل كنيسة البلد جامعا ، وأقام فيه الجمعة ، وولى فيها نائبا وقاضيا وأمر بإعادة البلد ، وبعث صاحب طرسوس بمناجاة بلده يطلب منه الصلح على أن يكون نصف مقل بلاده للسلطان ، وأن يكون له بها نائبا فأجابه إلى ذلك ، وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه أيضا على المناصفة ووضع الحرب عشر سنين . وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينهر أهلها خوفا من السلطان ، فأراد السلطان أن يفتنم هذه الفرصة فبعث جيشا كثيفا في اثني عشرة شيف ليأخذوا جزيرة قبرص في غيبة صاحبها عنها ، فسارت المراكب مسرعة فلما قاربت المدينة جاءت تارح قاصف فصدم بعضها بعضا فانكسر فيها أربعة عشر مركبا باذن الله ففرق خلق وأسر الفرنج من الصنائع والرجال قريبا من ألف وثمانمائة إنسان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ثم سار السلطان فنصب المجانيق على حصن عكا فسأله أهلها الأمان على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ، ودخل البلد يوم عيد الفطر فتسلمه ، وكان الحصن شديد الضرر على المسلمين ، وهو واد بين جبليين ، ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها يقول : ما مراد السلطان في هذه الأرض ؟ فقال جئت لأرضي زروعكم وأخرب بلادكم ، ثم أعود إلى حصاركم في العام الآتي . فأرسل يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجابه إلى ذلك ، وأرسل إليه الامبايلية يستعطفونه على والدهم ، وكان مسجونا بالقاهرة ، فقال : سلوا إلى العليقة وانزلوا نخدوا إقطاعات بالقاهرة ، وتسلوا آياكم . فلما نزلوا أمر بحبسهم بالقاهرة واسقناب بحصن العليقة .

وفي يوم الأحد الثاني عشر من شوال جاء سيل عظيم إلى دمشق فأتلف شيئا كثيرا ، وغرق بسببه ناس كثير ، لا سيما الحجاج من الروم الذين كانوا نزولا بين النهرين ، أخذهم السيل وجهاهم وأحياهم ، فهلكوا وغلقت أبواب البلد ، ودخل الماء إلى البلد من مراقي السور ، ومن باب الفراديس ففرق خان ابن المقدم وأتلف شيئا كثيرا ، وكان ذلك في زمن الصيف في أيام المشمش ، ودخل السلطان إلى دمشق يوم الأربعاء الخامس عشر شوال فمزل القاضي ابن خلكان ، وكان له في القضاء

عشر سنين ، وولى القاضى عز الدين بن الصائغ ، وخلع عليه ، وكان تقليده قد كتب بظاهر طرابلس بسفارة الوزير ابن الحنا ، فسار ابن خلكان فى ذى القعدة إلى مصر . وفى ثانى عشر شوال دخل حصن الكردى شيخ السلطان الملك الظاهر وأصحابه إلى كنيسة اليهود فصلوا فيها وأزالوا ما فيها من شعائر اليهود ، ومدوا فيها سباطا وحملوا سباعا ، وبقوا على ذلك أياما ، ثم أعيدت إلى اليهود ، ثم خرج السلطان إلى السواحل فافتتح بعضها وأشرف على عكا وتأملها ثم سار إلى الديار المصرية ، وكان مقدار غرمه فى هذه المدة وفى الغزوات قريبا من ثمانمائة ألف دينار ، وأخلفها الله عليه ، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجة . وفى اليوم السابع عشر من وصوله أمسك على جماعة من الأمراء منهم الحلبي وغيره ببلغه أنهم أرادوا مسكه على الشقيف . وفى اليوم السابع عشر من ذى الحجة أمر بارقة الخو ر من سائر بلاد وتهدد من يعصرها أو يعتصرها بالقتل ، وأسقط ضمان ذلك ، وكان ذلك بالقاهرة وحدها كل يوم ضمانه ألف دينار ، ثم سارت البرد بذلك إلى الآفاق . وفيها قبض السلطان على العزيز بن المغيث صاحب البكر ، وعلى جماعة من أصحابه كانوا عزموا على سلطنته . ومن توفى فيها من الأعيان .

الملك تقي الدين عباس بن الملك العادل

أبى بكر بن أيوب بن شادى ، وهو آخر من بقى من أولاد العادل ، وقد سمع الحديث من الكندى وابن الحرستاني ، وكان محترما عند الملوك لا يرفع عليه أحد فى المجالس والمواكب ، وكان لين الأخلاق حسن الشرة ، لا تمل بمجالسته . توفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من جمادى الآخرة بدرب الریحان ، ودفن بتربته بسفح قاسيون .

قاضي القضاة شرف الدين ابو حفص

عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى السبكي المالكي ، ولد سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسمع الحديث وتفقه وأفتى بالصلاحية ، وولى حسبة القاهرة ثم ولى القضاء سنة ثلاث وستين ، لما ولوا من كل مذهب قاضيا ، وقد امتنع أشد الامتناع ثم أجاب بعد إكراه بشرط أن لا يأخذ على القضاء جامكية ، وكان مشهورا بالعلم والدين ، روى عنه القاضى بدر الدين ابن جماعة وغيره . توفى خمس بقين من ذى القعدة .

الطواشي شجاع الدين مرشد المظفري الحموي

كان شجاعا بطلا من الأبطال الشجعان ، وكان له رأى سديد ، كان أستاذه لا يخالفه ، وكذلك الملك الظاهر ، توفى بحماه ودفن بتربته بالقرب من مدرسته بحماه .

ابن سبعين وعبد الحق بن إبراهيم بن محمد

ابن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي ، نسبة إلى رقطة بلدة قريية من مرسية ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة ، فتولاه من ذلك نوع من الإلحاد ، وصنف فيه ، وكان يعرف السيميا ، وكان يلبس بذلك على الأخبياء من الأمراء والأغنياء ، ويزعم أنه حال من أحوال القوم ، وله من المصنفات كتاب البدو ، وكتاب الهوى ، وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها ابن مسمى ، وجاور في بعض الأوقات بفار حراء يرتقي فيما ينقل عنه أن يأتيه فيه وحى كما أتى النبي (ص) ، بناء على ما يتقدمه من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة ، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا ، فاحصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة ، إن كان مات على ذلك ، وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم : كأنهم الحجير حول المذار ، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت ، فله يحكم فيه وفي أمثاله . وقد قلت عنه عظام من الأقوال والأفعال ، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة .

ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من الهجرة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان الاسلام الملك الظاهر . وفي يوم الأحد الرابع عشر من المحرم ركب السلطان إلى البحر لالتقاء الشواني التي عملت عوضا عما غرق بمجزيرة قبرص ، وهي أربعون شيليا ، فركب في شيفي منها ومعه الأمير بدر الدين ، فالت بهم فسقط الخزندار في البحر فذاصر في الماء فألقى إنسان نفسه وراه فأخذ بشعره وأقنعه من الفرق ، نفع السلطان على ذلك الرجل وأحسن إليه . وفي أواخر المحرم ركب السلطان في نفر يسير من الخاصكية ، والأمراء من الديار المصرية حتى قدم الكرك ، واستصحب نائبها معه إلى دمشق ، فدخلها في ثاني عشر صفر ، ومعه الأمير عز الدين أيديمر نائب الكرك ، فولاه نيابة دمشق وعزل عنها جمال الدين آقوش النجفي في رابع عشر صفر ، ثم خرج إلى حماة وعاد بعد عشرة أيام . وفي ربيع الأول وصلت الجبال من حلب وحماة وحصص إلى دمشق بسبب الخوف من التتار ، وجعل خلق كثير من أهل دمشق . وفي ربيع الآخر وصلت المساكر المصرية إلى حضرة السلطان إلى دمشق فسار بهم منها في سابع الشهر ، فاجتاز بحماة واستصحب ملكها المنصور ، ثم سار إلى حلب فغيم باليدان الأخضر بها ، وكان سبب ذلك أن عساكر الروم جمعوا نحو من عشرة آلاف فارس وبنوا طائفة منهم فأغاروا على عين تاب ، ووصلوا إلى نسلون ووقعوا على طائفة من التتركان بين حارم وإنطاكية فاستأصوهم فلما سمع التتار بوصول السلطان ومعه المساكر المنصورة ارتدوا على أعقابهم راجعين ، وكان بلغه أن الفرنج أخاروا على بلاد قاقون^(١) ونهبوا طائفة من التتركان ، فقبض على الأمراء الذين هناك حيث لم يهتوا بمحض البلاد وعادوا إلى الديار المصرية .

(١) حصن بفلسطين ، قرب الرملة .

وفي ثالث شعبان أملاك السلطان قاضي الخناينة بمصر فمضى الدين أحمد بن المهدي المسمى ، وأخذ ما عنده من الودائع فأخذ زكاتها ورد بعضها إلى أربابها ، واحتفظ إلى شعبان من سنة ثنتين وسبعين ، وكان الذي وثق به رجل من أهل حران يقال له شبيب ، ثم تبين للسلطان نزاهة القاضي وبراءته فأعادته إلى منسبه في سنة ثنتين وسبعين ، وجاء السلطان في شعبان إلى أراضى عكا فأغار عليها فسأله صاحبها المهادنة فأجاب به إلى ذلك فهادته عشرة سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات ، وعاد إلى دمشق فقرأ بدارالسعادة كتاب الصالح ، واستمر الحال على ذلك ثم عاد السلطان إلى بلاد الاسماعيلية فأخذ طاعتها . قال قطب الدين : وفي جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلمة الجبل ، وأرضعت من بقره . قال وهذا شيء لم يهد مثله .

وفيهما توفي الشيخ كمال الدين

سلار بن حسن بن عمر بن سعيد الأربلي الشافعي ، أحد مشايخ المنعجب ، وقد اشتغل عليه الشيخ محي الدين النووي ، وقد اختصر البحر للرويات في مجلدات عديدة هي عندي بخطه وكانت الفتيا تدور عليه بدمشق ، توفي في عشر السبعين ، ودفن بباب الصغير ، وكان مفيداً بالبادرائية من أيام الرافق ، لم يطلب زيادة على ذلك إلى أن توفي في هذه السنة .

وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب

ابن سويد التكريتي التاجر الكبير بين التجار بن سويد ذو الأموال الكثيرة ، وكان معظماً عند الدولة ، ولا سيما عند الملك الظاهر ، كان يحمله ويكرمه لأنه كان قد أسدى إليه جيلاً في حال إمرته قبل أن يلى السلطنة ، ودفن برباطه وتربته بالقرب من الرباط الناصري بقاسيون ، وكانت كتب الخليفة ترد إليه في كل وقت ، وكانت مكاتباته مقبولة عند جميع الملوك ، حتى ملوك الفرنج في السواحل . وفي أيام التتار في أيام هولاكو ، وكان كثير الصدقات والبر .

نجم الدين يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن اللبودي

واقف اللبودية التي عند حمام الفلك المبرر على الأطباء ، ولديه فضيلة بمعرفة الطب ، وقد ولى نظر الدواوين بدمشق ، ودفن بتربته عند اللبودية .

الشيخ علي البكاء

صاحب الزاوية بالقرب من بلاد الخليل عليه السلام ، كان مشهوراً بالصلاح والعبادة والاطعام لمن اجتاز به من المارة والزوار ، وكان الملك المنصور قلاوون يثق عليه ويقول : اجتمعت به وهو أمير وأنه كاشفه في أشياء وقعت جميعها ، ومن جملتها أنه سيملك . نقل ذلك قطب الدين اليونيني ، وذكر أن سبب بكائه الكثير أنه محب رجلاً كانت له أحوال وكرامات ، وأنه خرج معه من بغداد

فانتهوا في ساعة واحدة إلى بلدة بينها وبين بغداد مسيرة سنة ، وأن ذلك الرجل قال له إني سأموت في الوقت الملائم ، فأشهدني في ذلك الوقت في البلد الغلاني . قال : فلما كان ذلك الوقت حضرت عنده وهو في السياق ، وقد استندار إلى جهة الشرق فحولته إلى القبلة فاستندار إلى الشرق فحولته أيضاً ففتح عينيه وقال : لا تتمب فإني لا أموت إلا على هذه الجهة ، وجعل يتكلم بكلام الرهبان حتى مات فحملناه فحنا به إلى دير هناك فوجدناهم في حزن عظيم ، فقلنا لهم : ما شأنكم ؟ فقالوا كان عندنا شيخ كبير ابن مائة سنة ، فلما كان اليوم مات على الاسلام ، فقلنا لهم : خذوا هذا بدله وسلموا صاحبنا ، قال فوليناه فحملناه وكفنناه وصلينا عليه ودفناه مع المسلمين ، وولواهم ذلك الرجل فدفنوه في مقبرة النصاري ، نسأل الله حسن الخاتمة . مات الشيخ على في رجب من هذه السنة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستائة

في خامس المحرم وصل الظاهر دمشق من بلاد السواحل التي فتحها وقد مهدها ، وركب في أواخر المحرم إلى القاهرة فأقام بها سنة ثم عاد فدخل دمشق في رابع صفر ، وفي المحرم منها وصل صاحب النوبة إلى عيذاب فتهب تجارها وقتل خلقاً من أهلها ، منهم الوالي والقاضي ، فصار إليه الأمير علاء الدين أيد غسدي الخزندار فقتل خلقاً من بلاده ونهب وحرق وهدم ودوخ البلاد ، وأخذ بالنار والله الحمد والمنة .

وفي ربيع الأول توفي الأمير سيف الدين محمد بن مظفر الدين عثمان بن ناصر الدين منكورس صاحب صهيون ، ودفن في تربة والده في عشر السبعين ، وكان له في ملك صهيون وبزريه إحدى عشرة سنة ، وتسلمها بعده ولده سابق الدين ، وأرسل إلى الملك الظاهر يستأذنه في الحضور فأذن له ، فلما حضر أقطمه خيزراً وبعث إلى البلدين نواباً من جهته .

وفي خامس جمادى الآخرة وصل السلطان بمسكوه إلى الفرات لانه بلغه أن طائفة من التتار هناك غاض إليهم الفرات بنفسه وجنده ، وقتل من أولئك مقتلة كبيرة وخلقاً كثيراً ، وكان أول من اقتحم الفرات يومئذ الأمير سيف الدين قلاوون وبدر الدين بيسرى وتبهما السلطان ، ثم فل بالتتار ما فعل ، ثم ساق إلى ناحية البيرة وقد كانت محاصرة بطائفة من التتار أخرى ، فلما سمعوا بقدومه هربوا وتركوا أموالهم وأهملهم ، ودخل السلطان إلى البيرة في أبهة عظيمة وفرق في أهلها أموالاً كثيرة ، ثم عاد إلى دمشق في ثالث جمادى الآخرة ومعه الأسرى . وخرج منها في سابعه إلى الديار المصرية ، وخرج ولده الملك السعيد لتلقيه ودخلا إلى القاهرة ، وكان يوماً مشهوداً . ومما قاله القاضي شهاب الدين محمود الكاتب ، وأولاده يقال لهم بنو الشهاب محمود ، في خوض السلطان الفرات بالجيش : سر حيث شئت لك المهيمن جار • واحكم فطوع مرادك الأقدار

لم يبقَ للدينِ الذي أظهرتهُ * ياركنتهُ عندَ الأعادى نازٍ
لما تراقصتِ الرؤسُ تحركتِ * من مطرباتِ قسيك الأوتارُ
خضتِ الفراتُ بمسكِ أفضى به * موجُ الفراتِ كما أتى الأنازُ
حملتكُ أمواجُ الفراتِ ومن رأى * بحرًا سواكُ تقلُّ الأنهارُ
وتقطعتُ فرقا ولم يكُ طودها * إذ ذاكُ إلا جيشكُ الجرازُ

وقال بعض من شاهد ذلك :

ولما تراءينا الفراتُ بخيلنا * سكرناه منا بالقنا والصوارمِ
ولجنا فلو وقفَ التيارُ عن جريانه * إلى حينِ عدنا بالغنى والفتائمِ

وقال آخر ولا بأس به :

الملكُ الظاهرُ سلطاننا * نفديه بالأموالِ والأهلِ
اقتنعمَ الماءُ ليطفى به * حرارةَ القلبِ من المغلِ

وفي يوم الثلاثاء ثالث رجب خلع على جميع الأمراء من حاشيته ومقدمي الحلقة وأرباب الدولة وأعلى كل إنسان ما يليق به من الخليل والذهب والحوايص ، وكان مبلغ ما أنفق بذلك نحو ثلثمائة ألف دينار . وفي شعبان أرسل السلطان إلى منكوتمر هدايا عظيمة ، وفي يوم الاثنين ثاني عشر شوال استدعى السلطان شيخه الشيخ خضر الكردي إلى بين يديه إلى القلعة وحوق على أشياء كثيرة ارتكبها ، فأمر السلطان عند ذلك باعتقاله وحبسه ، ثم أمر باعتياله وكان آخر العهد به . وفي ذي القعدة سلمت الاسماعيلية ما كان بقى بأيديهم من الحصون وهى الكهف والقدموس والمنطقة ، وعوضوا عن ذلك باقطاعات ، ولم يبق بالشام شيء لهم من القلاع ، واستناب السلطان فيها . وفيها أمر السلطان بمارة جسورة فى السواحل ، وغرم عليها مالا كثيرا ، وحصل للناس بذلك رفق كبير . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد

ابن حمزة بن علي بن هبة الله بن الحوى ، النغلبى الدمشقى ، كان من أعيان أهل دمشق ، ولى نظر الأيتام والحسبة ، ثم وكلة بيت المال ، وسمع الكثير وخرج له ابن بليان مشيخة قرأها عليه الشيخ شرف الدين الفرارى بالجامع ، فسمعها جماعة من الأعيان والفضلاء رحمه الله .

الخطيب فخر الدين أبو محمد

عبد القاهر بن عبد الثنى بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحارثى الخطيب بها ، وبيتته معروف بالم والخطابة والرياسة ، ودفن بمقبرة الصوفية وقد قارب الستين رحمه الله . وقد سمع الحديث من جده فخر الدين صاحب ديوان الخطيب المشهورة ، توفى بمخاتناه القصر ظاهر دمشق .

الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي

شيخ الملك الظاهر بيبرس ، كان حظيا عنده مكرما لديه ، له عنده المكانة الرفيعة ، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاوينة التي بناها له في الحسينية ، في كل أسبوع مرة أو مرتين ، وبني له عندها جامعا يخطب فيه للجمعة ، وكان يعطيه مالا كثيرا ، ويطلق له ما أراد ، ووقف على زاوينة شيئا كثيرا جدا ، وكان معظما عند الخاص والعامة بسبب حب السلطان وتعظيمه له ، وكان يمازحه إذا جلس عنده ، وكان فيه خير ودين وصلاح ، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة ، وقد دخل مرة كنيسة القمامة بالمقدس فذبح قسيسها بيده ، وذهب ما فيها لأصحابه ، وكذلك فعل بالكنيسة التي بالاسكندرية وهي من أعظم كنائسهم ، نهبا وحولها مسجدا ومدرسة أنفق عليها أموالا كثيرة من بيت المال ، وسماها المدرسة الخضرية ، وكذلك فعل بكنيسة اليهود بدمشق ، دخلها ونهب ما فيها من الآلات والأمتعة ، ومد فيها مائطا ، وأخذها مسجدا مدة ثم سموا إليه في ردها إليهم وإيقانها عليهم ، ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أنكرت عليه وحوق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منها أوجب سجنه ، ثم أمر بأعدامه وهلاكه ^(١) وكانت وفاته في هذه السنة ، ودفن بزاوينة سامحه الله ، وقد كان السلطان يحبه محبة عظيمة حتى إنه سمى بعض أولاده خضرا موافقة لاسمه ، وإليه تنسب القبة التي على الجبل غربى الربوة التي يقال لها قبة الشيخ خضر .

مصنف التعجيز

العلامة تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس بن محمد بن سعد بن مالك أبو القاسم الموصل ، من بيت الفقه والرياسة والتدريس ، ولد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وسمع واشتغل وحصل وصنف واختصر الوجيز من كتابه التعجيز ، واختصر المحصول ، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطاووسي ، وكان جده عماد الدين بن يونس شيخ المنهب في وقته كما تقدم .

ثم دخلت سنة إثنيتين وسبعين وستمائة

في صفر منها قدم الظاهر إلى دمشق وقد بانفه أن أبنا وصل إلى بغداد فتصيد بتلك الناحية ، فأرسل إلى المسامر المعمرية أن يتأهبوا للحضور ، واستعد السلطان لذلك . وفي جادى الآخرة أحضر ملك الكرخ لبيد يديه بدمشق ، وكان قد جاء متنكرا لزيارة بيت المقدس فظهر عليه فحمل إلى بين يديه فسجنه بالقلعة . وفيها كل بناء جامع دير العاين ظاهر القاهرة ، وصلى فيه الجمعة . وفيها سار السلطان إلى القاهرة فدخلها في سابع رجب . وفي أواخر رمضان دخل الملك السعيد ابن الظاهر إلى دمشق في طائفة من الجيش ، فأقام بها شهرا ثم عاد . وفي يوم عيد الفطر ختن السلطان ولده خضرا ^(١) في شذرات الذهب : أنه حبسه في القلعة وأجرى عليه المأككل المفتخرة حتى مات في محرم

سنة ٦٧٦ وكذلك في النجوم الزاهرة . وفيها أن حبسه كان في شوال سنة ٦٧١

الذى سماه باسم شيخه ، وختن معه جماعة من أولاد الأمراء ، وكان وقتها هائلا . وفيها فوض ملك التتار إلى علاء الدين صاحب الديوان ببغداد النظر في تسيير وأعمالها ، فسار إليها لينصيح أحوالها فوجد بها شابا من أولاد التجار يقال له « دلي » قد قرأ القرآن وشيئا من الفقه والاشارات لابن سينا ، ونظر في النجوم ، ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم ، وصدقته على ذلك جماعة من جهلة تلك الناحية ، وقد أسقط لهم من الفرائض صلاة العصر وعشاء الآخرة ، فاستحضره وسأله عن ذلك فراه ذكيا ، إنما يفعل ذلك عن قصد ، فأمر به فقتل بين يديه جزاء الله خيرا ، وأمر العوام فنهبوا أمتعته وأمتعة العوام ممن كان اتبعه . ومن توفى فيها من الأعيان .

مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس

أسعد بن غالب المظفرى ابن الوزير مؤيد الدين أسعد بن حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمي ابن القلانسي ، جاوز التسعين وكان رئيسا كبيرا واسع النعمة ، لا ينفصل أن يباشر شيئا من الوظائف وقد ألزمه بعد ابن سويد بمباشرة مصالح السلطان فباشرها بلا جامكية ، وكانت وفاته ببستانه ، ودفن بسبخ قاسيون يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم . والد الصدر عز الدين حمزة رئيس البلدين دمشق والقاهرة ، وجد مؤيد الدين أسعد بن حمزة الكبير كان وزيرا لملك الأفضل على بن الناصر فاتح القدس ، كان رئيسا فاضلا له كتاب الوصية في الأخلاق المرضية وغير ذلك ، وكانت له يد جيدة في النظم ، فن ذلك قوله :

يارب جنى إذا ما ضفى جدى • برحمة منك تنجى من النار
أحسن جوارى إذا مسيت جارك فى • لحدى فانك قد أوصيت بالجار

وأما والد حمزة بن أسعد بن على بن محمد التميمي فهو العميد ، وكان يكتب جيدا وصنف تاريخا فبا بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى سنة وفاته فى خمس وخمسة .

الأمير الكبير فارس الدين أقطاي

المستمرى أنابك الأمير المصرية ، كن أولا مملوكا لابن يمن ، ثم صار مملوكا لصالح أبوب فأمرة ، ثم عظم شأنه فى دوله المظفر وصار أنابك المسار ، فلما قتل امتدت أطماع الأمراء إلى المملكة فبايع أقطاي الملك الظاهر فنبه الجيش على ذلك ، وكان الظاهر يرميها له ولا يساها ، ثم قبل وفاته بقليل انهزم عند الظاهر ، ومات فى هذه السنة بالقاهرة .

الشيخ عبدالله بن غانم

ابن على بن إبراهيم بن عساكر بن الحسين المتسمى ، له زاوية بنابلس ، وله أشعار رائقة ، وكلام قوى فى علم التصوف ، وقد طول اليوناني ترجمته وأورد من أشعاره شيئا كثيرا .

قاضي القضاة كمال الدين

أبو الفتح عمر بن بندار بن عمر بن علي التفليس الشافعي ، ولد بتفليس سنة إحدى وستمائة ، وكان فاضلاً أصولياً مناظراً ، ولي نيابة الحكم مدة ثم استقل بالقضاء في دولة هلاوون - هولاكو - وكان حفيظاً نزهة لم يرد منصباً ولا تدريسا مع كثرة عياله وقلة ماله ، ولما انتقضت أيامهم تفضب عليه بعض الناس ثم أزم بالمسير إلى القاهرة ، فأقام بها يفيد الناس إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن عبد الله

التنوخى ، وتنوخ من قضاة ، كان صدرا كبيرا ، وكتب الانشاء للناصر داود بن المعظم ، وتولى نظر المارستان النورى وغيره ، وكان مشكورا لسيرة ، وقد أثنى عليه غير واحد ، وقد جاوز الثمانين ، ومن شعره قوله :

خاب رجاء امرئ له أمل * بنغير رب السماء قد وصله
أبتنى غيره أخو ثقة * وهو بيطن الأحشام قد كفله
وله أيضا : خرس اللسان وكل عن * أوصافكم ماذا يقول وأنتم ما أنتم
الأمر أعظم من مقالة قائل * قد فاه عقل أن يمبر عنكم
العجز والتقصير وصنى دائما * والبر والاحسان يعرف منكم
ابن مالك صاحب الالفيه

الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك أبو عبد الله الطائى الحياى النحوى ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة ، منها الكافية الشافية وشرحها ، والتسهيل وشرحه ، والألفية التى شرحها ولده بدر الدين شرحا مفيدا . ولد ببحيان سنة ستائة وأقام بحلب مدة ، ثم بدمشق . وكان كثير الاجتماع بابن خلكان وأثنى عليه غير واحد ، وروى عنه القاضي بدر الدين بن جماعة ، وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالى . توفي ابن مالك بدمشق ليلة الأربعاء ثانى عشر رمضان ، ودفن بقرية القاضي عز الدين بن الصائغ بقاسيون .

النصير الطوسي

محمد بن عبد الله الطوسى ، كان يقال له المولى نصير الدين ، ويقال الخوaja نصير الدين ، اشتغل في شببته وحصل علم الأوائل جيدا ، وصنف في ذلك في علم الكلام ، وشرح الاشارات لابن سينا ، ووزر لأصحاب قلاع الأموت من الاسماعيلية ، ثم وزر لهولاكو ، وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يرسم أنه أشار على هولاكو خان بقتل الخليفة بالله أعلم ، وعندى أن هذا لا يصدر

من عاقل ولا فاضل . وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه ، وقال : كان عاقلاً فاضلاً كريم الأخلاق
ودفن في مشهد موسى بن جعفر في سرداب كان قد أعد للخليفة الناصر لدين الله ، وهو الذي كان
قد بنى الرصد بمراغة ، ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء والمحدثين والأطباء
وفيرهم من أنواع الفضلاء ، وبنى له فيه قبة عظيمة ، وجعل فيه كتباً كثيرة جداً ، توفي في بغداد في
ثاني عشر ذي الحجة من هذه السنة ، وله خمس وسبعون سنة ، وله شعر جيد قوى وأصل اشتغاله على
المعين سالم بن بدار بن علي المصري المعتزلي الماتشييع ، فترع فيه عروق كثيرة منه ، حتى أفسد
اعتقاده .
الشيخ سالم البرقي

صاحب الرباط بالقرافة الصغرى ، كان صالحاً متمبداً يقصد للزيارة والتبرك بدعائه ، وله اليوم
أصحاب معروفون على طريقته .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة

فيها اطلاع السلطان على ثلاثة عشر أميراً منهم قهقار الجوى ، وقد كانوا كاتبوا النتر يدعونهم
إلى بلاد المسلمين ، وأنهم معهم على السلطان ، فأخذوا فأقروا بذلك ، وجاءت كتبهم مع البريدية
وكان آخر العهد بهم . وفيها أقبل السلطان بالعساكر فدخل بلاد سويس يوم الاثنين الحادي والعشرين
من رمضان ، قتلوا خلقاً لا يملهم إلا الله وغنموا شيئاً كثيراً من الأبقار والأغنام والأثقال
والهواب والأنعام ، فبيع ذلك بأرخص ثمن ، ثم عاد فدخل دمشق مؤيداً منصوراً في شهر ذي الحجة
فأقام بها حتى دخلت السنة . وفيها ثار على أهل الموصل رمل حتى هم الأتق وخرجوا من دورهم
يتنهبون إلى الله حتى كشف ذلك عنهم ، والله تعالى أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ابن عطاء الحنفى

قاضى القضاة شمس الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ شرف الدين محمد بن عطاء بن حسن بن
عطاء بن جبير بن جابر بن وهيب الأذرى الحنفى ، ولد سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، مع الحديث
وتفقه على مذهب أبي حنيفة ، وثاب في الحكم من الشافى مدة ، ثم استقل بقضاء الحنفية أول ما
ولى القضاة من المذاهب الأربعة ، ولما وقعت الحوطة على أملاك الناس أراد السلطان منه أن يحكم
بها بمقتضى مذهبه ، فنضب من ذلك فقال : هذه أملاك بيد أصحابها ، وما يحمل مسلم أن يتعرض لها
ثم نهض من المجلس فذهب ، فنضب السلطان من ذلك غضباً شديداً ، ثم سكن غضبه فكان يثنى
عليه بعد ذلك ويمدحه ، ويقول : لا تثبتوا كتباً إلا عنه . كان ابن عطاء من العلماء الأخيار كثير
التواضع قليل الرغبة في الدنيا ، زوى عنه ابن جماعة وأجاز لابن زالى . توفي يوم الجمعة تاسع جمادى
الأولى ، ودفن بالقرب من المعظمية بسفح قاسيون رحمه الله تعالى .

بيمنند بن يمينند بن يمينند

ابراس طرابلس الفرنجي ، كان جده نائباً لبعلت صيحل الذي تملك طرابلس من ابن عازق في حدود الخمائة ، وكانت يقيمة تسكن بهض جزائر البحر ، فتغلب هذا على البلد لبعدها عنه ، ثم استقل بها ولده ثم حفيده هذا ، وكان شكلاً مليحاً . قال قطب الدين اليونيني : رأيته في بعلبك في سنة ثمان وخمسين وستائة حين جاء مسلماً على كتبهانوين ، ورام أن يطلب منه بعلبك ، فشق ذلك على المسلمين . ولما توفي دفن في كنيسة طرابلس ، ولما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستائة نبش الناس قبره وأخرجوه منه وألقوا عظامه على المزابل للكلاب .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستائة

لما كان يوم الخميس فامن جمادى الأولى نزل التتار على البيرة في ثلاثين ألف مقاتل ، خمسة عشر ألفاً من المذول ، وخمسة عشر ألفاً من الروم ، والمقدم على الجميع البرواناه بأسر أبنا ملك التتار ومعهم جيش الموصل وجيش ماردن والأكراد ، ونصبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً ، ونفجج أهل البيرة في الليل فكبسوا عسكر التتار وأحرقوا المنجنقات ونهبوا شيئاً كثيراً ، ورجعوا إلى بيوتهم سالمين ، فأقام عليها الجيش مدة إلى تاسع عشر الشهر المذكور ، ثم رجعوا عنها بغيرهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً . ولما بلغ السلطان نزول التتار على البيرة أنفق في الجيش ستائة ألف دينار ، ثم ركب سريعاً وفي صحبته ولده السعيد ، فلما كان في أثناء الطريق باغته رحيل التتار عنها فعاد إلى دمشق ، ثم ركب في رجب إلى القاهرة فدخلها في ثامن عشر فوجد بها خمسة وعشرين رسولا من جهة ملوك الأرض ينتظر منه فتلقوه وحدثوه وقبلوا الأرض بين يديه ودخل القلعة في أبهة عظيمة . ولما عاد البرواناه إلى بلاد الروم حلف الأمراء الكبار منهم شرف الدين مسعود وضياء الدين محمود ابنا الخطايري ، وأمين الدين ميكائيل ، وحسام الدين ميجار ، وولده بهاء الدين ، على أن يكونوا من جهة السلطان الملك الظاهر وينابذوا أبنا ، وخلفوا له على ذلك ، وكتب إلى الظاهر بذلك ، وأن يرسل إليه جيشاً ويحمل له ما كان يحمله إلى التتار ، ويكون غياث الدين كنجرى على ما هو عليه ، يجلس على تخت مملكة الروم .

وفي هذه السنة استسقى أهل بغداد ثلاثة أيام فلم يسقوا . وفيها في رمضان منها وجد رجل وامرأة في نهار رمضان على طاحشة الزنا ، فأمر علاء الدين صاحب الديوان برجمها فرجها ، ولم يرجم ببغداد قبلهما قط أحد منذ بنيت . وهذا غريب جداً . وفيها استسقى أهل دمشق أيضاً مرتين . في أواخر رجب وأوائل شعبان . وكان ذلك في آخر كانون الثاني . فلم يسقوا أيضاً . وفيها أرسل السلطان جيشاً إلى دنقلة فكسر جيش السودان وقتلوا منهم خلقاً وأسروا شيئاً كثيراً من السودان

بمئذ يبيع الرقيق الرأس منها بثلاثة دراهم ، ورهب ملكهم داوداه إلى صاحب النوبة فأرسله إلى الملك الظاهر محتاطا عليه ، وقرر الملك الظاهر على أهل دققة جزية تحمل إليه في كل سنة . كل ذلك كان في شعبان من هذه السنة .

وفيها عقد عقد الملك السعيد بن الظاهر على بنت الأمير سيف الدين قلاوون الأتني ، في الإيوان بمحضرة السلطان والدولة على صدق خمسة آلاف دينار ، تمجل منها ألفا دينار ، وكان الذي كتبه وقرأه محي الدين بن عبد الظاهر ، فأعطى مائة دينار ، وخلع عليه . ثم ركب السلطان مسرعا فوصل إلى حصن الكرك فجمع القيمرية الذين به فاذا هم ستمائة نفر ، فأمر بشنقهم فشنع فيهم عنده فأطلقهم وأجلهم منه إلى مصر ، وكان قد بلغه عنهم أنهم يريدون قتل من فيه ويقيموا ملكا عليهم ، وسلم الحصن إلى الطواشي فتمس الدين رضوان السبيل ، ثم عاد في بقية الشهر إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة ثامن عشر الشهر . وفيها كانت زلزلة بأخلاق وانصلت ببلاد بكر .

ومن توفي فيها من الأعيان : الشيخ الامام العلامة

الأديب تاج الدين أبو الشفاء محمود بن عابد بن الحسين بن محمد بن علي التميمي الصرخدي الحنفي ، كان مشهورا بالفقه والأدب ، والعفة والصلاح ، ونزاهة النفس ومكارم الأخلاق . ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وسمع الحديث وروى ، ودفن بمقابر الصوفية في ربيع الآخر منها ، وله ست وتسعون سنة رحمه الله .

الشيخ الامام عماد الدين عبد العزيز بن محمد

ابن عبد القادر بن عبد الله بن خليل بن مقلد الأنصاري الدمشقي ، المعروف بابن الصائغ ، كان مدرسا بالعنقراوية وشاهدا بالخرزانة بالقلعة يعرف الحساب جيدا ، وله سماع ورواية ، ودفن بقاسيون . ابن الساعي المؤرخ .

تاج الدين بن المحتسب المعروف بابن الساعي البغدادي ، ولد سنة ثلاث وتسعين وسمع الحديث واعتنى بالتاريخ ، وجمع وصنف ، ولم يكن بالحافظ ولا الضابط المتقن . وقد أوصى إليه ابن النجار حين توفي ، وله تاريخ كبير عندي أكثره ، ومصنفات أخر مفيدة ، وآخر ما صنف كتاب في الزهاد ، كتب في شينته زكي الدين عبد الله بن حبيب السكاتب :

ما زال تاج الدين طول المدى * من عمره يعتق في السير
في طلب العلم وتدوينه * وفعله نفع بلا ضير
علا على تصانيفه * وهنه خاتمة الخبير

ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستائة

في ثالث عشر المحرم منها دخل السلطان إلى دمشق وسبق المساكر إلى بلاد حلب ، فلما توافت إليه أرسل بين يديه الأمير بدر الدين الاتابكي بألف فارس إلى البلستين ، فصادف بها جماعة من عسكر الروم فركبوا إليه وحملوا إليه الاقامات ، وطلب جماعة منهم أن يدخلوا بلاد الاسلام فأذن لهم ، فدخل طائفة منهم ببيجار وابن الخطير ، فرسم لهم أن يدخلوا القاهرة فتلقاهم الملك السعيد ، ثم عاد السلطان من حلب إلى القاهرة فدخلها في ثاني عشر ربيع الآخر .

وفي خامس جمادى الأولى عمل السلطان عرس ولده الملك السعيد على بنت قلاوون ، واحتفل السلطان به احتفالا عظيما ، وركب الجيش في الميدان خمسة أيام يلعبون ويتطاردون ، ويحمل بعضهم على بعض ، ثم خاض على الأمراء وأرباب المناصب ، وكان يبلغ ما خلع ألف وثلثمائة خلعة بمصر ، وجاءت مراسيمه إلى الشام بالخلع على أهلها ، ومد السلطان سبطا عظيما حضره الخالص والعام ، والشارد والوارد ، وحبس فيه رسل التتار ورسل الفرنج وعليهم كلهم الخلع الهاثلة ، وكان وقتا مشهودا ، وحمل صاحب حماء هدايا عظيمة وركب إلى مصر لتهنئته . وفي حادى عشر شوال طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة ، وكان يوما مشهودا .

وقعة البلستين وفتح قيسارية

ركب السلطان من مصر في المساكر فدخل دمشق في سابع عشر شوال ، فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم سار حتى دخل حلب في مستهل ذى القعدة ، فأقام بها يوما ورسم لنائب حلب أن يقيم بعسكر ملاب على الفرات لحفظ المنائر ، وسار السلطان فقطع الدر بند في نصف يوم ، ووقع سنقر الأشقر في أثناء الطريق بثلاثة آلاف من المغول فهزمهم يوم الخميس فاسع ذى القعدة وصعد العسكر على الجبال فأشرفوا على وطأة البلستين فأروا التتار قد رتبوا عسكرهم وكانوا أحد عشر ألف مقاتل ، وعزلوا عنهم عسكر الروم خوفا من مخابرتهم ، فلما تراى الجمعان حملت ميسرة التتار فصدمت سناجق السلطان ، ودخلت طائفة منهم بينهم فشقوها ، وسافت إلى الميمنة ، فلما رأى السلطان ذلك أوقف المسلمين بنفسه ومن معه ، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد كادت أن تنحطم فأمر جماعة من الأمراء بدارفها ، ثم حمل العسكر جميعه حملة واحدة على التتار فترجلوا إلى الأرض عن آخرهم ، وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا ، وصبر المسلمون صبرا عظيما ، فأنزل الله نصره على المسلمين ، فأحاطت بالتتار المساكر من كل جانب ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقتل من المسلمين أيضا جماعة ، وكان في جملة من قتل من سادات المسلمين الأمير الكبير ضياء الدين ابن الخطير ، وسيف الدين قباذ ، وسيف الدين بنجو الجاشنكير ، وعز الدين أيك التقي ، وأسرجة من أمراء المغول ، ومن أمراء

ومن أمراء الروم ، وهرب الرواناه فنجأ بنفسه ، ودخل قيسارية في بكرة الأحد ثاني عشر ذي القعدة ، وأعلم أمراء الروم ملكهم بكسرة التتار على البلستين ، وأشار عليهم بالهزيمة فانهزموا منها وأخلوها ، فدخلها الملك الظاهر وصلى بها الجمعة سابع ذي القعدة ، وخطب له بها ، ثم كر راجعا مؤيدا منصورا . وسارت البشائر إلى البلدان فرح المؤمنون يومئذ بنصر الله . ولما باغ خبر هذه الوقعة أنبا جاء حتى وقف بنفسه وجيشه ، وشاهد مكان المعركة ومن فيها . من قتل المغول ، فغاظه ذلك وأعظمه وحنق على الرواناه إذ لم يعلمه بجميلة الحال ، وكان يظن أمر الملك الظاهر دون هذا كله ، واشتد غضبه على أهل قيسارية وأهل تلك الناحية ، فقتل منهم قريبا من مائتي ألف ، وقيل قتل منهم خمسمائة ألف من قيسارية وأرزن الروم ، وكان في جملة من قتل القاضي جلال الدين جيب ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان .

الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد بن عبد الخالق الدمشقي

ودفن بالقرب من الشيخ أرسلان . قال الشيخ علم الدين : وكان يذكر أن مولده كان سنة

أربع وستين وخمسمائة . الطواشي يمن الحبشي

شيخ الخدم بالحرم الشريف ، كان ديناً عاقلاً عدلاً صادق اللهجة ، مات في عشر السبعين رحمه الله

[الشيخ المحدث شمس الدين أبو العباس

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الموصلي ، ثم الدمشقي الصوفي ، سمع الكثير وكتب الكتب الكبير بخط رفيع جيد واضح ، جاوز السبعين ^(١) ودفن بباب الفرديس .

الشاعر شهاب الدين أبو المكارم

محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة بن سالم بن عبد الله الشيباني التلعفري ، صاحب ديوان الشعر ، جاوز الثمانين ، مات بجماعة ، وكان الشعراء مقرين له معترفين بفضلته وتقدمه في هذا الفن . ومن شعره قوله :

لساني طرقتك يا غاية المنى * ومن ولمي أي خطيب وشاعر

فهذا لمعني حسن وجهك فاطم * وهذا لدمعني في تحنيك ناشر

القاضي شمس الدين

علي بن محمود بن علي بن حاصم الشهزوري الدمشقي ، مدرس القيصرية بشرط واقفها له ولديته من بعده التدريس من تأهل منهم ، فدرس بها إلى أن توفي في هذه السنة ، ودرس بعده ولده

(١) زيادة من المصرية

صلاح الدين ، ثم ابن ابنه بعد ابن جماعة ، وطالت مدة حفيده . وقد ولي شمس الدين على نيابة ابن
خلكان في الولاية الأولى ، وكان فقها جيدا نقالا للمذهب ، رحمه الله . وقد سافر مع ابن المديم
لبنداد فسمع بها ودفن بمقابر الصوفية بالقرب من ابن الصلاح .

الشيخ الصالح العالم الزاهد

أبو إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن سنجر الكنتاني الحموي
له معرفة بالغة والحديث ، ولد سنة ست وتسعين بحماة ، وتوفي بالقدس الشريف ودفن بملا ، وسمع
من الفخر ابن عساكر ، وروى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة

الشيخ الصالح جندل بن محمد الحنيني

كانت له عبادة وزهادة وأعمال صالحة ، وكان الناس يترددون إلى زيارته بمنين ، وكان يشكلم
بكلام كثير لا يفهمه أحد من الحاضرين ، بالفاظ غريبة ، وحكي عنه الشيخ فاج الدين أنه سمعه
يقول : ما تقرب أحد إلى الله بمثل الدل له والتضرع إليه ، وسمعه يقول : الموله مني من طريق الله
يتمتع أنه واصل ولو علم أنه مني رجع عما هو فيه ، لأن طريق القوم من أهل السلوك لا يثبت عليها
إلا ذوو العقول الثابتة . وكان يقول : السماع وظيفة أهل البطالة . قال الشيخ فاج الدين : وكان الشيخ
جندل من أهل الطريق وعلما التحقيق . قال : وأخبرني في سنة إحدى وستين وسبعمائة أنه قد بلغ
من العمر خمسا وتسعين سنة . قلت : على هذا فيكون قد جاوز المائة ، لأنه توفي في رمضان من
هذه السنة ، ودفن في زاويته المشهورة بقرية منين ، وتردد الناس لقبره يصلون عليه من دمشق
وأعمالها أياما كثيرة رحمه الله .

محمد بن عبد الرحمن بن محمد

الحافظ بدر الدين أبو عبد الله بن النورية السلمي الحنفي ، اشتغل على الصدر سليمان وابن عطاء
وفي النحو على ابن مالك ، وحصل وبرع ونظم ونثر ، ودرس في الشبلية والقصاعين ، وطلب لنيابة
القضاء فامتنع ، وكتب الكتابة المدسوبة . رآه بعض أصحابه في المنام بعد وفاته فقال : ما فعل الله
بك ؟ فأنشأ يقول :

ما كان لي من شافع عنده * غير اعتدادي أنه وأحد

وكانت وفاته في جمادى الآخرة ودفن بظاهر دمشق رحمه الله .

محمد بن عبد الوهاب بن منصور

شمس الدين أبو عبد الله الحراني الحنبلي تلميذ الشيخ محمد الدين ابن تيمية ، وهو أول من

حكم بالديار المصرية من الحنابلة نيابة عن القاضي تاج الدين ابن بقت الأعز، ثم ولي شمس الدين ابن الشيخ العماد القضاء مستقلاً فاستناب به، ثم ترك ذلك ورجع إلى الشام يشغل ويقتى إلى أن توفي وقد نيف على الستين رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وسبعين وستائة

فبها كانت وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، صاحب البلاد المصرية والشامية والحلبية وغير ذلك، وأقام ولده ناصر الدين أبا المعالي محمد بركة خان الملقب السعيد من بعده، وفاته الشيخ محي الدين النوروى إمام الشافعية فيها في اليوم السابع من المحرم منها، ودخل السلطان الملك الظاهر من بلاد الروم وقد كسر التتار على البلستين، ورجع مؤيداً متصوراً فدخل دمشق وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، فنزل بالقصر الأبلق الذي بناه غر في دمشق بين الميدانين الأخضرين، وتواترت الأخبار إليه بأن أبقا جاء إلى المعركة ونظر إليها وتأسف على من قتل من النول وأمر بقتل الرواة وذكروا أنه قد عزم على قصد الشام، فأمر السلطان بجميع الأمراء وضرب مشورة فانفق مع الأمراء على ملاقاته حيث كان، وتقدم بضرب الدهليز على القصر، ثم جاء الخبر بأن أبقا قد رجع إلى بلاده فأمر برد الدهليز وأقام بالقصر الأبلق يجتمع عنده الأعيان والأمرء والدولة في أسرحال، وأنعم بال . وأما أبقا فانه أمر بقتل الرواة - وكان نائبه على بلاد الروم - وكان اسمه معين الدين سليمان ابن على بن محمد بن حسن، وإنما قتله لأنه اتهمه بمالاته للملك الظاهر، وزعم أنه هو الذي حسن له دخول بلاد الروم، وكان الرواة شجاعاً حازماً كريماً جواداً، وله ميل إلى الملك الظاهر، وكان قد جاوز الحسنيين لما قتل .

ثم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، عن أربع وستين سنة، وكان رجلاً جيداً سليم الصدر كريم الأخلاق، لين الكلمة كثير التواضع، يمانى ملابس العرب ومراكبهم، وكان معظماً في الدولة شجاعاً مقداماً، وقد روى عن ابن أبي شيبة وأجاز لبرزالي . قال البرزالي ويقال إنه سمع، وذكر غيره أن السلطان الملك الظاهر معه في كأس خمر فاوله إياه فشربه وقام السلطان إلى المرتفق ثم عاد وأخذ الساق الكأس من يد القاهر فلاء ونار له السلطان الظاهر والساق لا يشعر بشيء مما جرى، وأنسى الله السلطان ذلك الكأس، أوطن أنه غيره لا أمر بريد الله ويقضيه، وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السم، فشرب الظاهر مافي الكأس ولم يشعر حتى شربه فاشتكى بطنه من ساعته، ووجد الوهيج والحرق والكرب الشديد من فوره، وأما القاهر فانه حمل إلى منزله وهو مغلوب فمات من ليلته . وتمرض الظاهر من ذلك أياماً حتى كانت وفاته يوم الخميس بعد الظهر

في السابع والعشرين من المحرم بالقصر الأبقى ، وكان ذلك يوماً عظيماً على الأمراء ، وحضر نائب السلطنة عز الدين أيديمر وكبار الأمراء والدولة ، فصلوا عليه سرا وجعلوه في تابوت ورفعوه إلى القلعة من السور وجعلوه في بيت من بيوت البحرية إلى أن نقل إلى تربته التي بناها ولده له بعد موته ، وهي دار العقيق تجاه العادلية الكبيرة ، ليلة الجمعة خامس رجب من هذه السنة ، وكنم موته فلم يعلم جمهور الناس به حتى إذا كان العشر الأخير من ربيع الأول ، وجاءت البيعة لولده السعيد من مصر فحزن الناس عليه حزناً شديداً ، وترجوا عليه ترجاً كثيراً ، وجددت البيعة أيضاً بدمشق وجاء تقليد النيابة بالشام مجدداً إلى عز الدين أيديمر نائبها .

وقد كان الملك الظاهر شهياً شجاعاً على الهمة بميد الغور مقدماً جسوراً معتلياً بأمر السلطنة ، يشفق على الاسلام ، متحلياً بالملك ، له قصد صالح في نصرة الاسلام وأهله ، وإقامة شعار الملك ، واستمرت أيامه من يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين إلى هذا الحين ، ففتح في هذه المدة فتوحات كثيرة قيسارية وأرسون وياق والشقيف وإطاكية وبمراض وطبرية والقصير وحصن الأكراد وحصن عسكا والغرين وصافينا وغير ذلك من الحصون المنيعة التي كانت بأيدي الفرنج ، ولم يدع مع الاسماعيلية شيئاً من الحصون ، وناصف الفرنج على المرقب ، وبانياس وبلاد أنطرسوس ، وسائر ما بقي بأيديهم من البلاد والحصون ، وولى في نصيبه مما ناصفهم عليه النواب والعمال وفتح قيسارية من بلاد الروم ، وأوقع بالروم والمغول على البلستين بأساً لم يسمع بمثله من دهور متطاولة ، واستعاد من صاحب سيس بلاداً كثيرة ، وجاس خلال ديارهم وحصونهم ، واسترد من أيدي المتغلبين من المسلمين بعلبك وبصرى ومرخد وحمص ومجلون والصلت وتدمر والرحبة وتل باشير وغيرها ، والكرك والشوبك ، وفتح بلاد النوبة بكها من بلاد السودان ، وافتزع بلاداً من انتشار كثيرة ، منها شير زور والبحيرة ، واتسعت مملكته من الفرات إلى أقصى بلاد النوبة ، وحرر شيئاً كثيراً من الحصون والمعقل والجسور على الأنهار الكبار ، وبني دار الذهب بقلعة الجبل ، وبني قبة على اثني عشر عموداً ملونة مذهبة ، وصور فيها صور خاصيته وأشكالهم ، وحفر أنهاراً كثيرة وخلصات بيلا مصر ، منها نهر السرداس ، وبني جوامع كثيرة ومساجد عديدة ، وجدد بناء مسجد رسول الله (ص) ، حين أحترق ، ووضع الدرابزينات حول الحجر الشريف ، وعمل فيه منبراً وسقفة بالذهب ، وجدد المارستان بالمدينة ، وجدد قبر الخليل عليه السلام ، وزاد في زاويته وما يصرف إلى المقيمين ، وبني على المكان المنسوب إلى قبر موسى عليه السلام قبة قبل أريحا ، وجدد بالقدس أشياء حسنة من ذلك قبة السلسلة ، ورمم سقف الصخرة وغيرها ، وبني بالقدس خاتماً عظيماً ، ونقل إليه باب قصر الخلفاء الفاطميين من مصر ، وعمل فيه طاحوناً وفرناً

وبستانا ، وجعل للواردين إليه أشياء تصرف إليهم في نفقة وإصلاح أمتعتهم رحمه الله . وبنى على قبر أبي عبيدة بالقرب من مئتنا مشمدا ، ووقف عليه أشياء للواردين إليه ، وعمر جسر دامية ، وجدد قبر جعفر الطيار بناحية الكرك ، ووقف على الزائرين له شيئا كثيرا ، وجدد قلعة صفت وجامعها ، وجدد جامع الرملة وغيرها في كثير من البلاد التي كانت الفرنج قد أخذتها وخربت جوامعها ومساجدها ، وبنى بمحلب داراً هائلة ، وبدمشق القصر الأباقي والمدرسة الظاهرية وغيرها ، وصُرب القرام والدنانير الجيدة الخالصة على النصح والمعاملة الجارية بين الناس ، فرحه الله .

وله من الآثار الحسنة والأماكن الملم بين في زمن الخلفاء وملوك بني أيوب ، مع اشتغاله في الجهاد في سبيل الله واستغنى من الجيوش شيئا كثيرا ، ورد إليه نحو من ثلاثة آلاف من المذول فأقطعهم وأمر كثيرا منهم ، وكان مقتصدا في ملبسه ومطعمه وكذلك جيشه ، وهو الذي أنشأ الدولة العباسية بعد دثورها ، وبقي الناس بلا خليفة نحو من ثلاث سنين ، وهو الذي أظم من كل منذهب قاضيا مستقلا قاضي قضاة . وكان رحمه الله متيقظا شهيا لا يفتر عن الأعداء ليلا ولا نهارا ، بل هو مناجز لأعداء الاسلام وأهله ، ولم شعثه واجتماع فمحه . وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر هونا ونصرا للاسلام وأهله ، وشجا في حلق المارقين من الفرنج والتتار ، والمشركين . وأبطل الخوارج والفساق من البلاد ، وكان لا يرى شيئا من الفساد والمفاسد إلا سعى في إزالته بجهده وطاقته . وقد ذكرنا في سيرته ما أرشد إلى حسن طوبته وسريته ، وقد جمع له كاتبه ابن عبد الظاهر سيرة مطولة ، وكذلك ابن شداد أيضا . وقد ترك من الأولاد عشرة ثلاثة ذكور وسبعة إناث ومات وعمره ما بين الخمسين إلى الستين ، وله أوقاف وصلات وصدقات ، تقبل الله منه الحسنات ، وتجاوز له عن السيئات والله سبحانه أعلم .

وقام في الملك بعده ولده السعيد بمباينة أبيه له في حال حياته ، وكان عمر السعيد يومئذ دون العشرين سنة ، وهو من أحسن الأشكال وأتم الرجال ، وفي صفر وصلت الهدايا من الفتنس مع رسله إلى الديار المصرية فوجدوا السلطان قد مات ، وقد أقيم الملك السعيد ولده مكانه والدولة لم تتغير ، والمعرفة بعده ما تنكرت ، ولكن البلاد قد فقدت أسدها بل أسبدها وأشدها ، بل الذي بلغ أشدها ، وإذا انفتحت ثنرة من سور الاسلام سدها ، وكلما انجلت عقدته من عرى العزائم شدها ، وكلما رامت فرقة مارة من طوائف الطغلم أن تلج إلى حومة الاسلام سدها وردها ، فسامحه الله ، وبل بالرحمة ثراء ، وجعل الجنة متقلبه ومثواه .

وكانت المساكر الشامية قد سارت إلى الديار المصرية ومهمهم محفة يظهرون ان السلطان بها مريض ، حتى وصلوا إلى القاهرة فجدوا البيعة للسعيد بعد ما أظهرها موت الملك السعيد الذي هو

إن شاء الله شهيد . وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من صفر خطب في جميع الجوامع بالديار المصرية للملك السعيد ، وصلى على والده الملك الظاهر واستهل عيانه بالدموع . وفي منتصف ربيع الأول ركب الملك السعيد بالعصائب على عادته وبين يديه الجيش بكمله المصري والشامي ، حتى وصل إلى الجبل الأحمر وفرح الناس به فرحاً شديداً ، وعمره يومئذ تسع عشرة سنة ، وعليه أبهة الملك ورياسة السلطنة . وفي يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت مدرسة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارغاني بالقاهرة ، بحارة الوزيرية على مذهب أبي حنيفة . وحل فيها مشيخة حديث وقارئ . وبعده بيوم عقد ابن الخليفة المستمسك بالله ابن الحاكم بأمر الله ، على ابنة الخليفة المستنصر ابن الظاهر ، وحضر والده والسلطان وجوه الناس . وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى شرع في بناء الدار التي تعرف بدار المعقبى ، تجاه العادلية ، لتجمل مدرسة وتربة لذلك الظاهر ، ولم تكن قبل ذلك إلا داراً لآل المعقبى ، وهي المجاورة لحمام المعقبى ، وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة وأسست المدرسة أيضاً .

وفي رمضان طامت سحابة عظيمة بمدينة صفت لم منها برق شديد ، وسطع منها لسان نار وسمع منها صوت شديد هائل ، ووقع منها على منارة صفت صاعقة شقتها من أعلاها إلى أسفلها شقاً يدخل الكف فيه ومن توفى فيها من الأعيان البروانة في العشر الأول من المحرم . والملك الظاهر في العشر الأخير منه ، وقد تقدم شيء من ترجمتهما .

الأمير الكبير بدر الدين بيلبك بن عبد الله

الوزير نائب الديار المصرية الملك الظاهر ، كان جواداً ممدحاً له بالمام ومعرفة بآيام الناس ، والتواريخ ، وقد وقف درساً بالجامع الأزهر على الشافعية ، ويقال إنه سم فثات ، فلما مات انتقض بعده جبل الملك السعيد ، واضطربت أموره .

قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي

محمد ابن الشيخ العماد أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ، أول من ولي قضاء قضاء الحنابلة بالديار المصرية ، سمع الحديث خصوصاً على ابن طبرزد وغيره ، ورجل إلى بغداد واشتغل بالغة ، وتفنن في علوم كثيرة ، وولى مشيخة سميد السعداء ، وكان شيخاً مهيباً حسن الشيعة كثير التواضع والبر والصدقة ، وقد اشترط في قبول الولاية أن لا يكون له عليها جامعية ليقوم في الناس بالحق في حكمه ، وقد عزله الظاهر عن القضاء سنة سبعين واعتقله بسبب الودائع التي كانت عنده ، ثم أطلقه بعد سنتين فلزم منزله واستقر بتدريس الصالحية إلى أن توفى في أواخر المحرم ، ودفن عند عم المحافظ عبد النني بسفح جبل المقطم ، وقد أجاز للبرزالي .

قال الحافظ البرزالي : وفي يوم السبت فاني عشر ربيع الأول ورد الخبير بموت ستة أمراء من الديار المصرية : سنقر البغدادي ، وبسطا البلدي التتري ، وبدر الدين الوزيري ، وسنقر الرومي ، وآق سنقر الفارغاني رحمهم الله .

الشيخ خضر الكردي شيخ الملك الظاهر

خضر بن أبي بكر بن موسى الكردي الترواني العدوي ، ويقال إن أصله من قرية المحمدية من جزيرة ابن عمر ، كان ينسب إليه أحوال ومكاشفات ، ولكنه لما خالط الناس افتتن ببعض بنات الأمراء ، وكان يقول عن الملك الظاهر وهو أمير إنه سبى الملك ، فلهذا كان الملك الظاهر يمتدحه ويبالغ في إكرامه بعد أن ولي المملكة ، ويعظمه تعظيماً زائداً ، وينزل عنده إلى زاويته في الأسبوع مرة أو مرتين ، ويستصحبه معه في كثير من أسفاره ، ويلزمه ويحترمه ويستشير به فيشير عليه برأيه ومكاشفات صحيحة مطابقة ، إما رحمانية أو شيطانية ، أو حال أو سعادة ، لكنه افتتن لما خالط الناس ببعض بنات الأمراء ، وكان لا يحتجبن منه ، فوقع في الفتنة . وهذا في الغالب واقع في مخالطة الناس فلا يسلم المخالط لهم من الفتنة ، ولا سيما مخالطة النساء مع ترك الأصحاب ، فلا يسلم العبد ألبتة ممن . فلما وقع ما وقع فيه حوَّق عند السلطان وتيسرى وقلاوون والفارس إقطاعي الأتابك ، فاعترف ، فهم بقتله فقال له : إنما بيني وبينك أيام قلائل ، فأمر بسجنه فسجن سنين عديدة من سنة إحدى وسبعين إلى سنة ست وسبعين ، وقدهم بالقدس كنيسة وذبح قسيسها وعلمها زاوية وقد قدمنا ترجمته قبل ذلك فيما تقدم ، ثم لم يزل مسجوناً حتى مات في يوم الخميس سادس المحرم من هذه السنة ، فأخرج من القلعة وسلم إلى قرابته فدفن في تربة أنشأها في زاويته . مات وهو في عشر الستين ، وقد كان يكشف السلطان في أشياء ، وإليه تنسب قبة الشيخ خضر التي على الجبل غرب الربوة ، وله زاوية بالقدس الشريف ^(١)

الشيخ محيي الدين النووي

يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن جمعة بن حزام الحازمي العالم ، يحيى الدين أبو زكريا النووي ثم الدمشقي الشافعي الملامه شيخ المذهب ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد بنوى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ، ونوى قرية من قرى حوران ، وقد قدم دمشق سنة تسع وأربعين ، وقد حفظ القرآن فشرع في قراءة التذية ، فيقال إنه قرأه في أربعة أشهر ونصف ، وقرأ أربع العبادات من المذهب في بقية السنة ، ثم لزم المشايخ تصحيحاً وشرحاً ، فكان يقرأ في كل يوم اثنا عشر درساً على المشايخ ، ثم اعتنى بالتصنيف فجمع شيئاً كثيراً ، منها ما كلفه منها ما يكلفه ، فما كمل شرح مسلم والروضة والمنهاج

(١) سقط من النسخة المصرية وقد تقدمت هذه الترجمة في حوادث سنة ٦٧٢ .

والرياض والأذكار والتبيان ، وتحرير التنبية وتصحيحه ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وطبقات الفقهاء وغير ذلك . ومما لم يتمه ولو كل لم يكن له نظير في بابهِ : شرح المذهب الذى سماه المجموع ، وصل فيه إلى كتاب الربا ، فأبدع فيه وأجاد وأفاد ، وأحسن الانتقاد ، وحرر الفقه فيه في المذهب وغيره ، وحرر الحديث على ما ينبغي ، والغريب واللغة وأشياء مهمة لا توجد إلا فيه ، وقد جعله نخبه على ما عن له ولا أعرف في كتب الفقه أحسن منه ، على أنه محتاج إلى أشياء كثيرة تزداد فيه وتضاف إليه ، وقد كان من الزهادة والعبادة والورع والتحرى والانجماع عن الناس على جانب كبير ، لا يقدر عليه أحد من الفقهاء غيره ، وكان يصوم الدهر ولا يجمع بين إدامين ، وكان غالب قوته بما يحمله إليه أبوه من نوى ، وقد باشر تدريس الاقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وكذلك نائب في الفلكية والركنية ، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية ، وكان لا يضيع شيئاً من أوقاته ، وحج في مدة إقامته بدمشق ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر للملوك وغيرهم . توفى في ليلة أربع وعشرين من رجب من هذه السنة بنوى ، ودفن هناك رحمه الله وعفا عنا وعنه .

علي بن علي بن أسفنديار

نجم الدين الواعظ بجامع دمشق أيام السبوت في الأشهر الثلاثة ، وكان شيخ الخلقاء المجاهدة وبها توفى في هذه السنة ، وكان فاضلاً بارعاً ، وكان جده يكتب الانشاء للخليفة الناصر ، وأسلمهم من بوشنج . ومن شعر نجم الدين هذا قوله :

إذا زار بالجنان غيري فأنى • أزور مع الساعات ربك بالقلب
وما كل ناي عن ديار بنازح • ولا كل دان في الحقيقة ذو قرب

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الأربعاء وكان الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد شاماً ومصرًا وحلباً الملك السعيد . وفي أوائل المحرم أشتد بدمشق ولاية ابن خلكان قضاء دمشق عوداً على بدء في أواخر ذي الحجة ، بعد عزل سبع سنين ، فامتنع القاضي عز الدين بن الصائغ من الحكم في سادس المحرم وخرج الناس لتأقي ابن خلكان ، فنهض من وصل إلى الرملة وكان دخوله في يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، فخرج نائب السلطنة عز الدين أيمن بجميع الأمراء والمواكب لتلقيه ، وفرح الناس بذلك ، ومدحه الشعراء ، وأنشد الفقيه فمس الدين محمد بن جعفر :

لما تولى قضاء الشام حاكمه • قاضي القضاة أبو العباس ذو الكرم
من بعد سبع شداير قال خادمه • ذا العام فيه يفاث الناس بالنعم

وقال سعد الله بن مروان الفارقي :

أَذَقَتِ الشَّامَ سَبْعَ سِنِينَ جَدْباً * غَدَاةَ هِجْرَتِهِ هِجْراً جَيْلَا
فَلَمَّا زَرَّتْهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرٍ * مَدَدَتْ عَلَيْهِ مِنْ كَفِّكَ نَيْلَا

وقال آخر :

رَأَيْتُ أَهْلَ الشَّامِ طَرّاً * مَا فِيهِمْ قَطُّ غَيْرُ رَاضٍ
نَالَهُمُ الْخَيْرَ بَعْدَ شَرٍّ * فَالَوْتُ بِسَطّاً بِلَا انْتِبَاضٍ
وَعَوْضُوا فَرْحَةً بِحُزْنٍ * قَدْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي التَّقَاضِي
وَسَرَّمْ بَعْدَ طَوْلِ نَفْسٍ * بِدَوْرِ قَاضٍ وَعِزْلِ قَاضِي
وَكُلَّهِمْ شَاكِرٌ وَشَاكٍ * بِحَالِ مُسْتَقْبَلٍ وَمَاضٍ

قال اليوناني : وفي يوم الأربعاء ثالث عشر صفر ذكر الدرس بالظاهرة وحضر نائب السلطنة أيدمر الظاهري وكان درساً حافلاً حضره القضاة ، وكان مدرس الشافعية الشيخ رشيد الدين محمود ابن الفارقي ، ومدرس الحنفية الشيخ صدر الدين سليمان الحنفي ، ولم يكن بناء المدرسة ككل . وفي جمادى الأولى باشر قضاء الحنفية صدر الدين سليمان المذكور عوضاً عن محمد الدين ابن العديم ، بحكم وفاته ، ثم توفي صدر الدين سليمان المذكور في رمضان وتولى بعده القضاء حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أنوشروان الرازي الحنفي ، الذي كان قاضياً بمطبعة قبل ذلك . وفي العشر الأول من ذي القعدة فتحت المدرسة النجيبية وحضر تدريسها ابن خلكان بنفسه ، ثم نزل عنها لولده كمال الدين موسى ، وفتحت الخانقاه النجيبية ، وقد كانتا وأوقافهما تحت الحطة إلى الآن .

وفي يوم الثلاثاء خامس ذي الحجة دخل السلطان السعيد إلى دمشق وقد زينت له وعملت له قباب ظاهرة وخرج أهل البلد لتلقيه وفرحوا به فرحاً عظيماً لحبهم والده ، وصلى عيد النحر بالميدان ، وعمل العيد بالقلعة المنصورة ، واستوزر بدمشق صاحب فتح الحمدين عبد الله بن القيسرائي ، وبالديار المصرية بعد موت بهاء الدين بن الحنا صاحب برهان الدين بن الحضرمي بن الحسن السنجاري ، وفي العشر الأخير من ذي الحجة جهز السلطان المسافر إلى بلاد سويس محبة الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى ، وأقام السلطان بدمشق في طائفة يسيرة من الأمراء والخاصة والخواص ، وجعل يكثّر التردد إلى الزنقية وفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من ذي الحجة جلس السلطان بدار العدل داخل باب النصر ، وأسقط ما كان جرده والده على بساتين أهل دمشق ، فنضاعفت له منهم الأدمية وأحبوه لذلك حباً شديداً ، فإنه كان قد أجحف بكثير من أصحاب الأملاك ، وود كثير منهم لو تخلف من ملكه جملة بسبب ما عليه . وفيها طلب من أهل دمشق خمسين ألف دينار ضربت أجرة على أملاكهم مدة شهرين ، وجبيت منهم على القهر والعسف .

ومن توفي فيها من الأعيان .

آقوش بن عبد الله الأمير الكبير جمال الدين النجيني
أبو سعيد الصالحى ، أعتقه الملك نجم الدين أيوب الكامل ، وجعله من أكبر الأمراء ، وولاه
أستاذ داريته ، وكان يثق إليه ويعتمد عليه ، وكان مولده فى سنة تسع أو عشر وستائة ، وولاه
الملك الظاهر أيضاً أستاذ داريته ، ثم استنابه بالشام تسع سنين ، فأتخذ فيها المدرسة النجيبية ووقف
عليها أوقافاً دارة واسعة ، لكن لم يقرر للمستحقين قدراً يناسب ماوقفه عليهم ، ثم عزله السلطان
واستدعاه لمصر فأقام بها مدة بطلا ، ثم مرض بالفالج أربع سنين ، وقد عاد به فى بعضها الملك الظاهر
ولم يزل به حتى كانت وفاته ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بالقاهرة بداره بدرب الملوخية ، ودفن
يوم الجمعة قبل الصلاة بترته التى أنشأها بالقرافة الصغرى ، وقد كان بنى لنفسه تربة بالنجيبية ،
وفتح لها شباكين إلى الطريق ، فلم يقدر دفنه بها . وكان كثير الصدقة محباً للعلماء محسناً إليهم ، حسن
الاعتقاد . شافى المذهب ، متغاليا فى السنة ومحبة الصحابة وبغض الروافض ، ومن جملة أوقافه
الحسان البستان والأراضى التى أوقفها على الجسورة التى قبل جامع كريم الدين اليوم ، وعلى ذلك
أوقاف كثيرة ، وجعل النظر فى أوقافه لابن خلكان .

أيدكين بن عبد الله

الامير الكبير علاء الدين الشهابى ، واقف الخانقاه الشهابية ، داخل باب الفرج . كان من كبار
الأمراء بدمشق ، وقد ولاه الظاهر بحلب مدة ، وكان من خيار الأمراء وشجعانهم ، وله حسن ظن
بالفقراء والاحسان إليهم ، ودفن بتره الشيخ همار الرومى بسفح قاسيون ، فى خامس عشر ربيع
الأول ، وهو فى عشر الحدين ، وخانقاه داخل باب الفرج ، وكان لها شباك إلى الطريق . والشهابى
نسبة إلى الطواشى شهاب الدين رشيد الكبير الصالحى .

قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن أبي العز

ابن وهيب أبو الربيع الحنفى شيخ الحنفية فى زمانه ، وعالمهم شرقاً وغرباً ، أقام بدمشق مدة يفق
ويدرس ، ثم انتقل إلى الديار المصرية يدرس بالصالحية ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالظاهرية ، وولى
القضاة بعد محمد الدين بن المديم ثلاثة أشهر ، ثم كانت وفاته ليلة الجمعة سادس شعبان ، ودفن فى
التد بعد الصلاة بداره بسفح قاسيون ، وله ثلاث وثمانون سنة ، ومن لطيف شعره فى مملوك تزوج
جارية للملك المعظم .

بإصاحي قتال وانظرا محباً • أتى به الدهرُ فبنا من محابيه
البدرُ أصبح فوق الشمس منزلة • وما الصلو عليها من مراتبه

أضحى بمائلها حسناً وشاركها * كفراً وسار إليها في مواكب
فأشكَل الفرقَ لولا وشى نعمة * بصدغه واخضرار فوق شارب
طه بن إبراهيم بن أبي بكر كمال الدين ألهماني
الأربلي الشافعي ، كان أديبا فاضلا شاعرا ، له قدرة في تصنيف روبيات ، وقد أقام بالقاهرة حتى
توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد اجتمع مرة بالملك الصالح أيوب ، فجعل يتسكلم في علم
النجوم فأشده على البديهة هذين البيتين :

دع النجوم لطرق يمش بها * وبالزينة فانضأ أيها الملك
إن النبي وأصحاب النبي نهوا * عن النجوم وقد أبصرت ممالكها
وكتب إلى صاحب له اسمه شمس الدين يستزيه بعد رمد أصابه فبرأ منه :
يقول لي الكحال عينك قد هدت * فلا تشغلن قلباً وطب بها نفسا
ولى مدة يا شمس لم أركم بهتا * وآية بره العين أن تبصر الشمس
عبد الرحمن بن عبد الله

ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن عفان جمال الدين ابن الشيخ نجم الدين البادرائي
البنداهي ثم الدمشقي ، درس بمدرسة أبيه من بعده حتى حين وفاته يوم الأربعاء سادس رجب ، ودفن
بسفح قاسيون ، وكان رئيسا حسن الأخلاق جاوز خمسين سنة .

قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن بن جمال الدين

عمر بن أحمد بن العديم ، الحلبي ، ثم الدمشقي الحنفي ، ولى قضاء الحنفية بعد ابن عطاء بدمشق ،
وكان رئيسا ابن رئيس ، له إحسان وكرم أخلاق ، وقد ولى الخطابة بجامع القاهرة الكبير ، وهو أول
حنفي ولىه ، توفي بمجوسقه بدمشق في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بالتربة التي أنشأها عند
زاوية الحريري على الشرف القبلي غربي الزيتون

الوزير ابن الحنا

علي بن محمد بن سليم بن عبد الله صاحب بهاء الدين أبو الحسن بن الحنا الوزير المصري ، وزير
الملك الظاهر وولده السعيد إلى أن توفي في سلع ذى القعدة ، وهو جد جد ، وكان ذا رأى وعزم
وتدبير ذا تمكن في الدولة الظاهرية ، لا تمنى الأمور إلا عن رأيه وأمره ، وله مكالم على الأمراء
وغيرهم ، وقد امتدحه الشعراء ، وكان ابنه تاج الدين وزير الصعبة ، وقد صودر في الدولة السعيدية .
الشيخ محمد ابن الظهير اللغوي

محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر مجد الدين أبو عبد الله الأربلي الحنفي المعروف بابن

الظاهر ، ولد باربل سنة ثنتين وستائة ، ثم أقام بدمشق ودرس بالقامعازية وأقام بها حتى توفي بها ليلة الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان بارعا في النحو واللغة ، وكانت له يد طويلة في النظم وله ديوان مشهور ، وشعر رائق ، فن شعره قوله :

كل حي إلى الممات مآبه * ومدى عمره سريع ذهابة
يخرب الدار وهي دار بقاء * ثم بيني ما عما قريب خرابه
عجبا وهو في التراب غريق * كيف يلهم طيبة وعلا به
كل يوم يزيد نقصا وإن عم * ر حلت أوصاله أوصابه
والورى في مراحل الدهر ركب * دائم السير لا يرجى ليا به
فتزوّد إن النقي خير زاد * وانصيب اللبيب منه ليا به
وأخواله من يقضى بصدق * شيتته في صلاحه وشبابه
وأخواله من يستلذ هوى النغ * س فيغدو شهدا لديه مصابه

وهي طويّلة جداً قريبة من مائة وخمسين بيتاً ، وقد أورد الشيخ قطب الدين شيتاً كثيراً من شعره الحسن الفائق الرائق . ابن اسرائيل الحريري

محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين نجم الدين أبو المعالي الشيباني الدمشقي ، ولد في يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة ثلاث وستائة ، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور اليسري الحريري ، في سنة ثمان عشرة ، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات ، وكان ابن إسرائيل يزعم أن أهله قدموا الشام مع خالد بن الوليد فاستوطنوا دمشق ، وكان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر ، بارعاً في النظم ، ولكن في كلامه ونظمه ما يشير به إلى نوع الحلول والاتحاد على طريقة ابن عربي وابن الفارض وشيخه الحريري ، والله أعلم بحاله وحقيقة أمره . توفي بدمشق ليلة الأحد الرابع عشر من ربيع الآخر هذه السنة ، عن أربع وسبعين سنة ، ودفن بترية الشيخ رسلان معه داخل القبة ، وكان الشيخ رسلان شيخ الشيخ على المغربي الذي تخرج على يديه الشيخ على الحريري شيخ ابن إسرائيل ، فن شعره قوله :

لقد عادني من لا عجب الشوق عائد * فهل عهد ذات الخلال بالسيف عائد ؟
وهل فارها بالأجرع الفرد تعتلى * لمنفرد شاب الدجى وهو شاهد ؟
ندي من سمعدي أديراً حديثها * فذكرى هواها والمدامة واحد
منعمة الأطواف رقت محاسناً * حل لي في حبها ما أكابد

وله :
 قلبدري ما لانت عليه خاها * ولشمس ملجالت عليه القلاذ
 أنها المتناض بالنوم السر * ذاهلاً يسبح في بحر الفكر
 سلم الأمر إلى مالكة * واصطبر فالصبر عقباء الظفر
 لا تكونن آيساً من فرج * إنما الأيام تأتي بالهز
 كدر يحدث في وقت الصفا * وصنى يحدث في وقت الكدر
 وإذا ما ساء دهر مرة * سز أهليه ومهما ساء سر
 فارض عن ربك في أقداره * إنما أنت أسير للقدر

وله قصيدة في مدح النبي (ص) طويلة حسنة ميمها الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني وأصحابه
 على الشيخ أحمد الاعنف عنه ، وأورد له الشيخ قطب الدين اليونيني أشعاراً كثيرة . فمنها قصيدته
 الدالية المطولة التي أولها :

وإني لي من أهواه جبراً لم وعدى * وأرغم عذالي عليه وحسدى
 وزار على شطر الزار مطولاً * على مغرم بالوصل لم يتعود
 فيا حسن ما أهدى لمينى جماله * ويا برزما أهدى إلى قلبي الصدى
 ويا صدق أحلامي يبشرى وصاله * ويا نبيل آمالي ويا نجيح مقصدي
 نجلى وجودى إذ تجلى لباطنى * بمجد سعيد أو بسعد مجد
 لقد حق لي عشق الوجود وأهله * وقد علفت كفاى جمعاً بموجدى
 ثم تنزل فأطال إلى أن قال :

فلما تجلى لي على كل شاهد * وسامرنى بالرمز في كل مشهد
 تجنبت تقييد الجلال نرفماً * وطالمت أسرار الجلال المبد
 وصار صمعى مطلقاً منه بدؤه * وحاشى لثلى من صمغ مقيد
 فني كل مشهود لقابى شاهد * وفي كل مسموع له لحن معبد
 ثم قال : وصل في مشاهد الجلال

أراه بأوصاف الجلال جميعها * بنير اعتقاد الحلول المبد
 فني كل هيفام المعاطف غادة * وفي كل مصقول السوالف أغيد
 وفي كل بدر لآخ في ليل شمره * على كل غصن مائس العطف أمل
 وعند اعتناق كل قبة مهفوف * ورشني رضاباً كالحيق المبرد
 وفي الدر والياقوت والطيب والحلا * على كل ساجى الطرف لدن القلدر

وفي حلل الأتواب راقّت لناظري * بزرجها من منهب ومودر
وفي الراح والريحان والسمع والفنا * وفي سجع ترجيع الحمام المفرد
وفي الدوح والأنهار والزهر والندى * وفي كل بستان وقصر مشيد
وفي الروضة الفيحاء تحت مماتها * يضاحك نور الشمس نوارها الندى
وفي صفو رقاق القدير إذا حكى * وقد جمده الریح صفحة مبرد
وفي القهقري والأفراح والنفلة التي * تمكن أهل الفرق من كل مقصد
وعند انتشار الشرب في كل مجلس * بهيج بأنواع الفخار المنضد
وعند اجتماع الناس في كل جمعة * وعيد وإظهار الرياض المجدد
وفي لمان الشرفيات بالوفى * وفي ميل أعطاف القنا المتأود

المظاهر العلوية

وفي الأعوجيات العتاق إذا انبرت * تسابق وفد الریح في كل مطرد
وفي الشمس تحكي في برج نورها * لدى الأفق الشرق مرآة عسجد
وفي البدر يبدؤ الأفق ليلة تم * جلته سماء مثل صرح ممدود
وفي أنجم زانت دجلا كأنها * نثار لآل في بساط زبرجد
وفي النيش روى الأرض بدهودها * قبال نداء متهمة بعد منجد
وفي البرق يبدو موهناً في سحابه * كباسم ثغر أو حسام مجرد
وفي حسن تسميق الخطاب وسرعة الج * واب في الخط الأنيق المجود

المظاهر المعنوية

ثم قال :

وفي رقة الأشعار راقّت لسامع * بدائها من مقصر ومقصد
وفي عود عبد الوصل من بعد جفوة * وفي أمن أحشاء الطريد المشرّد
وفي رجمة المعشوق شكوى محبة * وفي رقة الألفاظ عند التودد
وفي أريجيات الكريم إلى الندى * وفي عاطفات العفر من كل سيد
وحالة بسط المارقين وأنسهم * وتحريكهم عند السماع المقيد
وفي لطف آيات الكتاب التي بها * تنسم روح الوعد بعد التواعد

المظاهر الجلالية

ثم قال :

كذلك أوصاف الجلال مظاهر * أشاهده فيها بغير تردد
في سطوة القاضي الجليل ومهته * وفي سطوة الملك الشديد المرد

وفي حدة الغضب حالة طيشه * وفي نخوة القرم الميب المسود
 وفي صولة الصهباء جاز مديرها * وفي بؤس أخلاق النديم المربد
 وفي الحر والبرد الذين تقسم الزمان * وفي إيلام كل محسد
 وفي سر تسليط النفوس بشرها * على وتحسين التمدي لمعدي
 وفي عسر المادات يشعر بالقضا * وتكحيل عين الشمس منه بأعدي
 وعند اصطدام الخيل في كل موقف * يمتد فيه بالوشيج المنضد
 وفي شدة الليث الصؤول وبأسه * وشدة عيش بالسقام منكدي
 وفي جفوة المحبوب بعد وصاله * وفي غدره من بعد وعد مؤكدي
 وفي روعة البين المسى وموقفه * وداع الحزان الجوانح مكدي
 وفي فرقة الألف بعد اجتماعهم * وفي كل تشيت وشمل مبددي
 وفي كل دار أقفرت بعد أنسها * وفي طلل بالي ودارس معدي
 وفي هول أمواج البحار ووحشة الـ * قفار وسيل بالزايبر مزبد
 وعند خياي بالفرأف كها * وحالة تسليم لسر التعبد
 وعند خشوع في الصلاة لعزة الـ * مناجي وفي الاطراق عند التهجد
 وحالة إهلال الحجيج بحجهم * وأعمالهم للعيش في كل فنددي
 وفي عسر تخايص الحلال وفرة الـ * حلال لقلب الناسك المتعبد

المظاهر الكالية

وفي ذكريات العذاب وظلة الـ * حجاب وقبح الناسك المتزهد
 ويبدو بأوصاف الكمال فلا أرى * برؤيته شيئاً قبيحاً ولا ردى
 فكل عسى لي إلى كمحسن * وكل مفضل لي إلى كرشد
 فلا فرق عندي بين أنس ووحشة * ونور وإظلام ومدن ومبد
 وسيان إفتارى وصوى وفترى * وجهدي وتوبى وادعاه تهجد
 أرى تارة في حانة الخمر خالماً * عذارى وطوراً في حنية مسجد
 نملي لسرى بالحقيقة مشرب * فوقى ممزوج بكشف مسرد
 تمسرت الاوطان بي وتحقت * مظاهرها عندي بمعنى ومشهد
 وقلبي على الاشياء أجمع قلب * وشربي مقسوم على كل مورد
 فيكل أوثان ودير راهب * ويبت لنهران وقبلة مبد

ومسرح غزلان وحانة قهوة * وروضة أزهار ومطلع أسعد
وأسرار عرقان ومفتاح حكمة * وأنفاس وجدان وفيض تبلد
وجيش لضرغام وخدو لكاهب * وظلمة جيران ونور لمهتدي
تقابلت الأضداد عندى جميعها * لحنه مجرود ومنحدر مجتدي
وأحكمت تقرير المراتب صورة * ومعنى ومن عين التفرد مودى
فما موطن إلا ولي فيه موقف * على قدم قامت بحق التفرد
فلا غرو أن فت الأنام جميعهم * وقد علق بجل من جبال محمد
عليه صلاة الله تشفع دائما * بروح تحيا السلام المردد

ابن العود الرافضي

أبو القاسم الحسين بن العود نجيب الدين الأسدي الحلي، شيخ الشيعة وإمامهم وعالمهم في أنفسهم، كانت له فضيلة ومشاركة في علوم كثيرة، وكان حسن المحاضرة والمناظرة، لطيف النادرة، وكان كثير التعمد بالليل، وله شعر جيد. ولد سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وتوفي في رمضان من هذه السنة عن ست وتسعين سنة، والله أعلم بأحوال عبادته وسرائره ونياتهم.

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الأحد والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها، وقد اتفق في هذه السنة أمور عجيبة، وذلك أنه وقع الخلف بين الممالك كلها، اختلفت التتار فيما بينهم واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير، واختلفت الفرنج في السواحل وصال بعضهم على بعض وقتل بعضهم بعضا، وكذلك الفرنج الذين في داخل البحور وجزائرها، فاختلفوا واقتتلوا، وقتلت قبائل الأعراب بعضها في بعض قتلا شديداً، وكذلك وقع الخلف بين العشير من الحوارة وقامت الحرب بينهم على ساق، وكذلك وقع الخلف بين الأمراء الظاهرية بسبب أن السلطان الملك السعيد بن الظاهر لما بمث الجيش إلى سويس أقام بعده بدشق وأخذ في اللهو والامب والانبساط مع الخالصكية، وتمكنوا من الأمور، وبعد عنه الأمراء الكبار، ففضبت طائفة منهم ونابذوه وطارقوه وأقاموا بطريق المساكر الذين توجهوا إلى سويس وغيرهم، فرجعت المساكر إليهم فلما اجتمعوا شعنوا قلوبهم على الملك السعيد، ووحشوا خواطر الجيوش عليه، وقالوا الملك لا ينبغي له أن يلبس ويلهو، وإنما هم الملوكة في العدل ومصالح المسلمين والذب عن حوزتهم، كما كان أبوه. وصدقوا فيما قالوا، فان لب الملوكة والأمراء وغيرهم دليل على زوال النعم وخراب الملك، وفساد الرعية. ثم راسله الجيش في إبعاد الخالصكية عنه ودنو ذوى الأحلام والنهي إليه كما كان أبوه، فلم يفلح، وذلك أنه كان لا يمكنه ذلك لقوة شوكة الخالصكية

وكثرتهم ، فركب الجيش وساروا قاصدين مرج الصفر ، ولم يمكنهم العبور على دمشق بل أخذوا من شرقها ، فلما اجتمعوا كلهم بمرج الصفر أرسل السلطان أمه إليهم فتلقوها وقبلوا الأرض بين يديها ، فأخذت تتألفهم وتصلح الأمور ، فأجابوها واشترطوا شروطاً على ولدها السلطان ، فلما رجعت إليه لم يلتزم بها ولم تمكنها خلاصكية من ذلك ، فسارت المسالك إلى الديار المصرية ، فساق السلطان خلفهم ابتلاقي الأمور قبل تفاقمها وانفراطها ، فلم يلحقهم وسبقوه إلى القاهرة ، وقد كان أرسل أولاده وأهله ونقله إلى الكرك فحصبهم فيها ، وركب في طائفة من الجيش الذين بقوا معه والخاصكية إلى الديار المصرية ، فلما اقترب منها صدوه عنها وقاتلوه وقتل من الفريقين نفر يسير ، فأخذ به بعض الأمراء فشق به الصفوف وأدخله قلعة الجبل ليسكن الأمر ، فما زادم ذلك إلا نفوراً ، فحاصروا حيثئذ القلعة وقطعوا عنها الماء ، وجرت خطوب طويلة وأحوال صعبة . ثم اتفق الحال بعد ذلك مع الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى - وهو المشار إليه حيثئذ - أن يترك الملك السعيد الملك ويتعوض بالكرك والشوبك ، ويكون في محبته أخوه نجم الدين خضر ، وتكون المملكة إلى أخيه الصغير بدر الدين سلامش ، ويكون الأمير سيف الدين قلاوون أتابك .

خلع الملك السعيد وتولية أخيه الملك العادل سلامش

لما اتفق الحال على ما ذكرنا نزل السلطان الملك السعيد من القلعة إلى دار العدل في سابع عشر الشهر ، وهو ربيع الآخر ، وحضر القضاة والدولة من أولى الحل والمقد ، فخلع السعيد نفسه من السلطنة وأشهدهم على نفسه بذلك ، وبايعوا أخاه بدر الدين سلامش ولقب بالملك العادل ، وعمره يومئذ سبع سنين ، وجعلوا أتابك الأمير سيف الدين قلاوون الأتقي الصالحى ، وخطب له الخطباء ورحمت السكة باسمهما ، وجعل لأخيه الكرك ولأخيه خضر الشوبك ، وكتبت بذلك مكاتيب ، ووضع القضاة والمفتيون خطوطهم بذلك ، وجاءت البريدية إلى الشام بالتعليق لهم على ما حلف عليه المصريون . ومسك الأمير أيمن نائب الشام الظاهري واعتقل بالقلعة عند تأييدها ، وكان نائبها إذ ذاك علم الدين سنجر الدوادارى ، وأحيط على أموال نائب الشام وحواصله ، وجاء على نيابة الشام الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى أبهة عظيمة ، وتمكك مكي ، فنزل بدار السعادة وعظمه الناس وعاملوه معاملة الملوك ، وهزل السلطان قضاة مصر الثلاثة الشافى والحنفى والمالكي ، وولوا القضاء صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين بن بنت الامر عروضا عن الشافى ، وهو تقي الدين بن رزين وكانهم إنما عزلوه لانه توقف فى خلع الملك السعيد والله أعلم .

بيعة الملك المنصور قلاوون الصالحى

لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رجب اجتمع الأمراء بقلعة الجبل من مصر وخلصوا

الملك المعادل سلاش ابن الظاهر ، وأخرجوه من البين ، وإنما كانوا قد بايعوه صورة ليسكن الشر عند خلع الملك السعيد ، ثم اتفقوا على بيعة الملك المنصور رقادون الصالحى ، ولقبوه الملك المنصور ، وجاءت البيعة إلى دمشق فوافق الأمراء وحلفوا ، وذكر أن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر لم يحلف مع الناس ولم يرض بما وقع ، وكأنه داخله حسد من المنصور ، لأنه كان يرى أنه أعظم منه عند الظاهر . وخطب المنصور على المنابر في الديار المصرية والشامية ، وضربت السكة باسمه ، وجرت الأمور بمقتضى رأيه ف عزل وولى ونفذ مراسيمه في سائر البلاد بذلك ، فعزل عن الوزارة برهان الدين السنجارى وولى مكانه نغر الدين ابن اتمان كاتب السر ، وصاحب ديوان الانشاء بالديار المصرية .

وفي يوم الخميس الحادى عشر من ذى القعدة من هذه السنة توفى الملك السعيد ابن الملك الظاهر بالكرك وسأى ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى . وفيها حمل الأمير أيدمر الذى كان نائب الشام في حجة لمرض لحقه إلى الديار المصرية ، فدخلها في أواخر ذى القعدة ، واعتقل بقلمة مصر .

سلطنة سنقر الأشقر بدمشق

لما كان يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذى القعدة ركب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من دار السعادة بعد صلاة العصر وبين يديه جماعة من الامراء والجند مشاة ، وقصد باب القلعة الذى إلى المدينة ، فهجم منه ودخل القلعة واستدعى الأمراء فبايعوه على السلطنة ، ولقب بالملك الكامل ، وأقام بالقلمة وفادت المنادية بدمشق بذلك ، فلما أصبح يوم السبت استدعى بالقضاة والعلماء والاعيان ورؤساء البلد إلى مسجد أبى الدرداء بالقلمة ، وحلفهم وحلف له بقية الامراء والعسكر ، وأرسل العساكر إلى قرية لحفظ الأطراف وأخذ الغلات ، وأرسل الملك المنصور إلى الشوبك فتسلمها نوابه ولم يمانعهم فنجح الدين خضر . وفيها جددت أربع أضلاع في قبة النسر من الناحية الغربية . وفيها عزل فتح الدين بن القيسرائى من الوزارة بدمشق ووليا تقي الدين بن توبة التكريتى . ومن توفى فيها من الأعيان .

عز الدين بن غانم الواعظ

عبد السلام بن أحمد بن غانم بن على بن إبراهيم بن عساكر بن حسين عز الدين أحمد الأنصارى المقدسى ، الواعظ المطبق الملقب الشاعر الفصيح ، الذى نسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله ، وقد أورد له قطب الدين أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، تسكلم مرة فجاه الكعبة المعظمة ، وكان في الحضرة الشيخ تاج الدين بن الفزارى والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وابن المعجل من اليمن وغيرهم من العلماء والمباد ، فأجاد وأفاد وخطب فأبلغ وأحسن . نقل هذا المجلس الشيخ تاج الدين بن الفزارى ، وأنه كان في سنة خمس وسبعين .

الملك السعيد بن الملك الظاهر

بركة خان ناصر الدين محمد بن بركة خان أبو المعالي ابن السلطان الملك الظاهر . ركن الدين بيبرس البندقدارى ، بايع له أبوه الأمراء في حياته ، فلما توفي أبوه بويع له بالملك وله تسع عشرة سنة ، ومشيت له الأمور في أول الأمر على السعادة ، ثم إنه غلبت عليه الخصاصية فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل أول هوى ، فربما جاءت الثوبة عليه فينزل لهم ، فأنكرت الأمراء الكبار ذلك وأنفوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحد من فراسلوه في ذلك ليرجع ما هو عليه فلم يقبل ، فغلموه كما ذكرنا ، وولوا السلطان الملك المنصور قلاوون في أواخر رجب كما تقدم . ثم كانت وفاته في هذه السنة بالكرك في يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة ، يقال إنه سم الله أعلم ، وقد دفن أولا عند قبر جعفر وأصحابه الذين قتلوا بموته ، ثم نقل إلى دمشق فدفن في تربة أبيه سنة ثمانين وستمائة ، وتملك الكرك بعده أخوه نجم الدين خضر وتلقب بالملك المسعود ، فانتزعها المنصور من يده كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة

كان أولها يوم الخميس ثالث إيار ، والخليفة الحاكم بأمر الله مصر الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وبعض بلاد الشام أيضا ، وأما دمشق وأعمالها فقد ملكها سنقر الأشقر ، وصاحب الكرك الملك المسعود بن الظاهر ، وصاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين محمود ، والراق وبلاد الجزيرة وخراسان والموصل وإربل وأذربيجان وبلاد بكر وخراسان وما والاها وغير ذلك من البلاد بأيدي التتار ، وكذلك بلاد الروم في أيديهم أيضا ، ولكن فيها غياث الدين بن ركن الدين ، ولاحكم له سوى الاسم ، وصاحب اليمن الملك المظفر قنص الدين يوسف بن عمر ، وصاحب الحرم الشريف نجم الدين بن أبى نعيم الحسنى ، وصاحب المدينة عز الدين جهاز بن شيهة الحسنى . ففي مستهل السنة المذكورة ركب السلطان الملك الكامل سنقر الأشقر من القلعة إلى الميدان وبين يديه الأمراء ومقدموا الحلقة الفاشية ، وعليهم الخلع والقضاة والاعيان ركاب معه ، فسير في الميدان ساعة ثم رجع إلى القلعة ، وجاء إلى خدمته الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ملك العرب ، فقبل الأرض بين يديه ، وجلس إلى جانبه وهو على السباط ، وقام له الكاس ، وكذلك جاء إلى خدمته ملك الأعراب بالحجاز ، وأمر الكامل سنقر أن تضاف البلاد الحلبية إلى ولاية القاضي قنص الدين بن خلكان ، وولاه تدريس الأمينية وانتزعها من ابن سنى الدولة .

ولما بلغ الملك المنصور بالديار المصرية ما كان من أمر سنقر الأشقر بالشام أرسل إليه جيشا كثيفا فهزموا عسكر سنقر الأشقر الذى كان قد أرسله إلى غزة ، وساقوم بين أيديهم حتى وصل جيش

المصريين إلى قـريـب دمشق ، فأمر الملك الكامل أن يضرب دهلـيزه بالجـسـورة ، وذلك في يوم الاربعاء ثاني عشر صفر ، ونهض بنفسه وبمن معه فنزل هناك واستخدم خلقا كثيرا وأنفق أموالا جزيلة ، وانضاف إليه عرب الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، وشهاب الدين أحمد بن حجـي ، وجاءته فـجـدة حلب وفـجـدة حماة ورجال كثيرة من رجال بـلـبـك ، فلما كان يوم الأحد السادس عشر من صفر أقبل الجيش المصري محبة الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، فلما تراء الجمعان وتقابل الفرعان تقانلوا إلى الرابعة في النهار ، فقتل نفر كثير وثبت الملك الكامل سنقر الأشقر ثباتا جيدا ، ولكن خامر عليه الجيش فنهزم من صار إلى المصري ومنهم من انهزم في كل وجه ، وتفرق عنه أصحابه فلم يسمه إلا الانهزام على طريق المرح في طائفة يسيرة ، في محبة عيسى بن مهنا ، فسار بهم إلى برية الرحبة فأنزلهم في بيوت من شعر ، وأقام بهم وبدوا بهم مدة مقامهم عنده ، ثم بحث الأمراء الذين انهزموا عنه فأخذوا لهم أمانا من الأمير سنجر ، وقد نزل في ظاهر دمشق وهي مغلوبة ، فراسل نائب القلعة ولم يزل به حتى فتح باب الفرج من آخر النهار ، وفتحت القلعة من داخل البلدة فتسلها المنصور وأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس المسمى المعروف بالحالي ، والأمير لاجين حسام الدين المنصوري وغيرهم من الأمراء الذين كان قد اعتقلهم الأمير سنقر الأشقر ، وأرسل سنجر البريدية إلى الملك المنصور يعلونه بصورة الحال ، وأرسل سنجر بثلاثة آلاف في طلب سنقر الأشقر .

وفي هذا اليوم جاء ابن خلكان ليسلم على الأمير سنجر الحلبي فاعتقله في علو الخانات النجيبية ، وعزله في يوم الخميس العشرين من صفر ، ورسم لقاضي نجم الدين بن سني الدولة بالقضاء فباشره ، ثم جاءت البريدية معهم كتاب من الملك المنصور قلاوون بالعتب على طوائف الناس ، والعمو عنه كلهم ، فتضاعفت له الادعية ، وجاء تقليد النيابة بالشام للأمير حسام الدين لاجين الساجداري المنصوري ، فدخل معه علم الدين سنجر الحلبي فرتبه في دار السعادة ، وأمر سنجر القاضي ابن خلكان أن يتحول من المدرسة المادلية الكبيرة ليسكنها نجم الدين بن سني الدولة ، وألح عليه في ذلك ، فاستدعى جمالا لينقل أهله ونقله عليها إلى الصالحية فجاء البريد بكتاب من السلطان فيه تقرير ابن خلكان على القضاء والعمو عنه وشكر مواليته عليه ، وذكر خدمته المتقدمة ، ومعه خلعة سنية له فلبسها وصلى بها الجمعة وسلم على الأمراء فأكرموه وعظموه وفرح الناس به وبما وقع من الصفح عنه . وأما سنقر الأشقر فإنه لما خرجت المساكن في طلبه فارق الأمير عيسى بن مهنا وسار إلى السواحل فاستحوذ منها على حصون كثيرة ، منها صهيون ، وقد كان بها أولاده وحواسله ، وحصن بلاطس وبرزية ومكا وجبله واللاذقية ، والشفر بكاس وشيزر واستتاب فيها الأمير عز الدين ازدمر الحاج . فأرسل السلطان المنصور لحصار شيزر طائفة من الجيش ، فبينما هم كذلك إذ أقبلت

التنار لما سمعوا بتفريق كلة المسلمين ، فأنجفل الناس من بين أيديهم من سائر البلاد إلى الشام ، ومن الشام إلى مصر ، فوصلت التنار إلى حلب فقتلوا خلقا كثيرا ، ونهبوا جيشا كبيرا ، وظنوا أن جيش سنقر الأشقر يكون معهم على المنصور ، فوجدوا الأمر بخلاف ذلك ، وذلك أن المنصور كتب إلى سنقر الأشقر . إن التنار قد أقبلوا إلى المسلمين ، والمصلحة أن نتفق عليهم لئلا يهلك المسلمون بيننا وبينهم ، وإذا ملكوا البلاد لم يدعوا منا أحدا . فكتب إليه سنقر بالسمع والطاعة وبرزمن حصنه نفيم بجيشه ليكون على أهبة متى طلب أجاب ، ونزلت نوابه من حصونهم وبقوا مستعدين لقتال التنار ، وخرج الملك المنصور من مصر في أواخر جمادى الآخرة ومعه العساكر . وفي يوم الجمعة الثالث من جمادى الآخرة قرئ على منبر جامع دمشق كتاب من السلطان أنه قد عهد إلى ولده علي ، ولقب بالملك الصالح ، فلما فرغ من قراءة الكتاب جاءت البريدية فأخبروا برجوع التنار من حلب إلى بلادهم ، وذلك لما بلغهم من اتفاق كلة المسلمين ، وفرح المسلمون بذلك والله الحمد ، وعاد المنصور إلى مصر وكان قد وصل إلى غزة ، وأراد بذلك تخفيف الوطأة عن الشام فوصل إلى مصر في نصف شعبان . وفي جمادى الآخرة أعيد برهان الدين السنجاري إلى وزارة مصر ورجع نغر الدين بن لقمان إلى كتابة الانشاء . وفي أواخر رمضان أعيد إلى القضاء ابن رزين وعزل ابن بدت الأعز ، وأعيد القاضي نفيس الدين بن شكر المالكي ، ومعين الدين الحنفي ، وتولى قضاء الحنابلة عز الدين المقدسي . وفي ذى الحجة جاء تقليد ابن خلكان بإضافة المعاملة الحلبية إليه يستنوب فيها من شاء من نوابه . وفي مستهل ذى الحجة خرج الملك المنصور من بلاد مصر بالعساكر قاصدا الشام ، واستناب على مصر ولده الملك الصالح علي بن المنصور إلى حين رجوعه ، قال الشيخ قطب الدين : وفي يوم عرفة وقع بمصر برد كبار أناف شيئا كثيرا من المفلات ، ووقعت صاعقة بالاسكندرية وأخرى في يومها تحت الجبل الأحمر على صخرة فأحرقتها ، فأخذ ذلك الحديده فسبك فخرج منه أواق بالطل المصري . وجاء السلطان فنزل بمساكره فجاء عكا ، فخافت الفرنج منه خوفا شديدا وراسلوه في طلب تجديد الهدنة ، وجاء الأمير عيسى بن مهنا من بلاد العراق إلى خدمة المنصور ، وهو بهذه المنزلة فتلقاء السلطان بجيشه وأكرمه واحترمه وطامله بالصنح والمفو والاحسان ومن توفي فيها من الأعيان .

الأمير الكبير جمال الدين آقوش الشمسي

أحد أمراء الاسلام ، وهو الذي باشر قتل كتبتغاوين أحد مدعي التنار ، وهو المطاع فيهم يوم عين جالوت ، وهو الذي مسك حر الدين أيدير الظاهري في حلب من السنة الماضية ، وكانت وفاته بها .

الشيخ الصالح داود بن حاتم

ابن عمر الحبال ، كان حنبلي المذهب له كرامات وأحوال صالحة ومكاشفات صادقة ، وأصل آبائه من حران ، وكانت إقامته بيمليك ، وتوفي فيها رحمه الله عن ست وتسعين سنة ، وقد أثنى عليه الشيخ قطب الدين ابن الشيخ الفقيه اليوناني

الأمير الكبير

نور الدين علي بن عمر أبو الحسن الطورى ، كان من أكابر الأمراء ، وقد نيف على تسعين سنة وكانت وفاته بسبب أنه وقع يوم مصاف سنقر الأشقر تحت سنابك الخيل فكث بعد ذلك متمرصاً إلى أن مات بعد شهرين ودفن بسفح قاسيون .

الجزار الشاعر

يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي جمال الدين أبو الحسين المصري ، الشاعر الماجن ، المعروف بالجزار . مدح الملوك والوزراء والأمراء ، وكان ماجناً ظريفاً حلو المناظرة ، ولد في حدود ستائة بعدها بسنة أو سنتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شوال من هذه السنة . ومن شعره :

أذكر كوى ففى من البردرم * ليس يفسى وفى حشائى التهاب
ألبستى الأظفار وهماً فها * جسمى عارى ولى فرى وثياب
كلما ازرق لون جسمى من الـ * بردر تخيلت أنه سنجاب

وقال وقد تزوج أبوه بمعجزة

تزوج الشيخ أبى شيخه * ليس لها عقل ولا ذهن
كانها فى فرشها رمة * وشعرها من حوها قطن
وقال لى كم سنها * قلت ليس فى فها سن
لو أسفرت فرنها فى الدجى * ما جسرت تبصرها الجن

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة من الهجرة

استهلت والخليفة الحاكم سلطان البلاد الملك المنصور قلاوون . وفى عاشر المحرم انقضت الهدنة بين أهل عكا والمرقب والسلطان ، وكان نازلاً على الرحاء وقد قبض على جماعة من الأمراء ممن كان معه ، وهرب آخرون إلى قلعة صهيون إلى خدمة سنقر الأشقر ، ودخل المنصور إلى دمشق فى التاسع عشر من المحرم فنزل القلعة وقد زينت له البلد ، وفى التاسع والعشرين من المحرم أعاد القضاء إلى عز الدين بن الصائغ وهزل ابن خلكان . وفى أول صفر باشر قضاء الخنايلة نجم الدين ابن الشيخ فمس بن أبى عمر ، وقد كان المنصب شافراً منذ عزل والده نفسه عن القضاء ، وتولى

قضاء حلب في هذا الشهر تاج الدين يحيى بن محمد بن إسماعيل الكردى ، وجلس الملك المنصور في دار العدل في هذا الشهر فحكم وأنصف المظلوم من الظالم ، وقدم عليه صاحب حماة فتلقاه المنصور بنفسه في موكبته ، ونزل بداره بباب الفراديس . وفي ربيع الأول وقع الصلح بين الملك المنصور قلاوون وبين سنقر الأشقر الملك الكامل على أن يسلم للسلطان شيزر ويعوضه عنها بانطاكية وكفر طاب وشفر بكاس وغير ذلك ، وعلى أن يقيم على ما بيده ستائة فارس ، وتحالفنا على ذلك ، ودقت البشائر لذلك ، وكذلك تصالح صاحب الكرك والملك المنصور خضر بن الظاهر على تقرير ما بيده ونودي بذلك في البلاد . وفي العشر الأول من هذا الشهر ضمن الحر والزنا بدمشق ، وجعل عليه ديوان ومشد ، فقام في إبطال ذلك جماعة من العلماء والصالحاء والعباد ، فأبطل بعد عشرين يوماً ، وأريقت الحور وأقيمت الحدود والله الحمد والمنة .

وفي ناسع عشر ربيع الأول وصلت الخاتون بركة خان زوجة الملك الظاهر ومعها ولدها السميد قد نقلته من قرية المساجد بالقرب من الكرك لتدفنه عند أبيه بالتربة الظاهرية ، فرفع بحبال من السور ودفن عند والده الظاهر ، ونزلت أمه بدار صاحب حمص ، وهيئت لها الاقامات ، وعمل عزاء ولدها يوم الحادى والعشرين من ربيع الآخر بالتربة المذكورة ، وحضر السلطان المنصور وأرباب الدولة والقراء والوعاظ .

وفي أواخر ربيع الآخر عزل التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق وباشرها بعده تاج الدين السهورى ، وكتب السلطان المنصور إلى مصر وغيرها من البلاد يستدعى الجيوش لأجل اقتراب مجئ الشتاء ، فدخل أحمد بن حجبى ومعه بشر كثير من الأعراب ، وجاء صاحب الكرك الملك المسعود نجدة للسلطان يوم السبت الثانى عشر من جمادى الآخرة ، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان ، وجاءته التركان والأعراب وغيرهم ، وكثرت الأراجيف بدمشق ، وكثرت المناكر بها وجفل الناس من بلاد حلب وتلك النواحي ، وتركوا الغلات والاموال خوفاً من أن يدهمهم العدو من التتار ، ووصلت التتر بحجة منسكوتمر بن هولاًكو إلى عنتاب ، وسارت المساكر المنصورة إلى نواحي حلب يبيع بعضها بعضها ، ونازالت التتار بالرحبة في أواخر جمادى الآخرة جماعة من الأعراب ، وكان فيهم ملك التتار إينغا تختفيا ينظر ماذا يفعل أصحابه ، وكيف يقاتلون أعداءه ، ثم خرج المنصور من دمشق وكان خروجه منها في أواخر جمادى وقت الخطباء والائمة بالجوامع والمساجد فى العلوات وغيرها . وجاء مرسوم من السلطان باستسلام أهل الائمة من الدواوين والكتبة . ومن لا يسلم يصلب ، فأسلوا كرهاً ، وكانوا يقولون آمناً وحكم الحاكم بأسلامنا بعد أن عرض من امتنع منهم على الصليب بسوق الخليل ، وجعلت الجبال فى أعناقهم ، فأجابوا والحالة هذه ، ولما انتهى الملك المنصور إلى حمص كتب

إلى الملك الكامل سنقر الأشقر يطلبه إليه نجيعة فجاء إلى خدمته فأكرمه السلطان واحترمه ورتب له الإقامة ، وتكاملت الجيوش كلها في محبة الملك المنصور غازي بن علي لقاء المدولابحالة مخلصين في ذلك ، واجتمع الناس بعد خروج الملك في جامع دمشق ووضعوا المصحف العثماني بين أيديهم ، وجعلوا يبنون إلى الله تعالى في نصرة الإسلام وأهله على الأعداء ، وخرجوا كذلك والمصحف على رؤسهم إلى المصلى يدعون ويبنون ويبنون ، وأقبلت التتار قليلا قليلا فلما وصلوا حماة أحرقوا بستان الملك وقصره وما هنالك من المساكن ، والسلطان المنصور نجح بمحمص في عساكر من الأتراك والتركان وغيرهم جعل كثير جدا ، وأقبلت التتار في مائة ألف مقاتل أو يزيدون ، فاما الله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقعة حمص

لما كان يوم الخميس رابع عشر رجب التقى الجمعان وتواجه الخصمان عند طلوع الشمس وعسكر التتار في مائة ألف فارس ، وعسكر المسلمين على النصف من ذلك أو يزيد قليلا ، والجميع فيما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن ، فاقتتلوا قتالا عظيما لم ير مثله من أعصار منطاول ، فاستظهر التتار أول النهار ، وكسروا الميسرة واضطربت الميمنة أيضا والله المستعان . وكسر جناح القلب الأيسر وثبت السلطان ثباتا عظيما جدا في جماعة قليلة ، وقد انهزم كثير من عسكر المسلمين ، والتتار في آثارهم حتى وصلوا وراهم إلى بحيرة حمص وصلوا حمص وهي مغلقة الأبواب ، فقتلوا خلقا من العامة وغيرهم ، وأشرف المسلمون على خطة عظيمة من الهلاك ، ثم إن أعيان الأمراء من الشجمان والفرسان تأمروا فيما بينهم مثل سنقر الأشقر وبيسرى وطبريس الوزيرى و بدر الدين أمير سلاح وياشمش السمدى وحسام الدين لاجين وحسام الدين طر نطاي والدو يدارى وأمثالهم ، لمارا وأثبت السلطان ردوا إلى السلطان وحلوا حملات متعددة صادقة ، ولم يزالوا يتأهبون الحلة بعد الحلة حتى كسر الله بحوله وقوته التتار ، وجرح منكوتمر ، وجاءهم الأمير عيسى بن مهنا من ناحية العرض فصدم التتار فاضربت الجيوش لصدمته ، وتمت الهزيمة والله الحمد ، وقتلوا من التتار مقتلة عظيمة جدا ، ورجعت من التتار الذين اتبعوا المنهزمين من المسلمين فوجدوا أصحابهم قد كسروا ، والعساكر في آثارهم يقتلون ويأسرون ، والسلطان ثابت في مكانه تحت السناجق ، والكوسات تضرب خلفه وما معه إلا ألف فارس ، فطعموا فيه قتائلهم فثبت لهم ثباتا عظيما فانهزموا من بين يديه فلحقهم قتل أكثرهم ، وكان ذلك تمام النصر ، وكان انهزام التتار قبل الغروب ، وافترقوا فرقتين أخذت فرقة منهم إلى ناحية سلمية والبرية ، والأخرى إلى ناحية حلب والفرات ، فأرسل السلطان في آثارهم من يتبعهم وجاءت البطاقة بالبشارة بما وقع من النصر إلى دمشق يوم الجمعة خامس عشر رجب ، فدقت البشائر وزينت

البلد ، وأوقعت الشموع وفرح الناس . فلما أصبح الناس يوم السبت أقبلت طائفة من المهزمين منهم بيليك الناصري والخالق وغيرهم ، فأخبروا الناس بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر ، ولم يكونوا شاهداً بعد ذلك ، فبقى الناس في قلق عظيم ، وخوف شديد ، وتهايب فأس كثير لاهرب ، فبينما الناس في ذلك إذ أقبلت البريدية فأخبروا الناس بصورة ما وقع في أول الأمر وآخره ، فراجع الناس وفرحوا فرحاً شديداً وفقه الحمد والمنة .

ثم دخل السلطان إلى دمشق الثاني والعشرين من رجب ، وبين يديه الأسارى بأيديهم الرماح عليها شقف رؤس القتلى ، وكان يوماً مشهوداً ، ومع السلطان طائفة من أصحاب سنقر الأشقر منهم علم الدين اللويداري ، فنزل السلطان بالقلعة مؤيداً منصوباً ، وقد كثرت له المحبة والأدعية وكان سنقر الأشقر ودع السلطان من حصص ورجع إلى صهيون ، وأما التتر فانهم انهزموا في أسوأ حال وأتمسه يتخطفون من كل جانب ، ويقتلون من كل فج ، حتى وصلوا إلى الفرات ففرق أكثرهم ، ونزل إليهم أهل البيرة فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأمسروا آخرين ، والجيش في آثارهم يعطردونهم عن البلاد حتى أراح الله منهم الناس .

وقد استشهد في هذه الوقعة جماعة من سادات الأمراء منهم الأمير الكبير الحاج عز الدين أزدمر جدار ، وهو الذي جرح ملك التتار يومئذ منكوتمر ، فانه خاطر بنفسه وأوم أنه مفقود إليه وقلب رحمه حتى وصل إليه فطعنه فجرحه فقتلوه رحمه الله ، ودفن بالقرب من مشهد خالد .

وخرج السلطان من دمشق قاصداً الديار المصرية يوم الأحد ثاني شعبان والناس يدهمون له ، وخرج معه علم الدين اللويداري ، ثم عاد من غزوة وقد ولاء المشد في الشام والنظر في المصالح ، ودخل السلطان إلى مصر في ثاني عشر شعبان . وفي سلخ شعبان ولي قضاء مصر والقاهرة لقاضي وجيه الدين البهلي الشافعي ، وفي يوم الأحد سابع رمضان فتحت المدرسة الجهرية بدمشق في حياة منشأها وواقفها الشيخ نجم الدين محمد بن عباس بن أبي المكارم التميمي الجهرى ، ودرس بها قاضي الحنفية حسام الدين الرازي . وفي بكرة يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان وقعت مأذنة مدرسة أبي عمر بقاسيون على المسجد العتيق فأت شخص واحد ، وسلم الله تعالى بقية الجماعة . وفي طشر رمضان وقع بدمشق تلج عظيم وبرد كثير مع هواء شديد ، بحيث إنه ارتفع عن الأرض نحواً من ذراع ، وفست الخضر اوات ، وتمطل على الناس معاش كثيرة . وفي شوال وصل صاحب سنجار إلى دمشق مقفراً من التتار داخلاً في طاعة السلطان بأهله وماله ، فتلقيه نائب البلد وأكرمه وسيره إلى مصر ممزراً مكرماً .

وفي شوال عقد مجلس بسبب أهل اللغة من الكتاب الذين كانوا قد أسلموا كرها وقد كتب

لم جمعة من المفتين بأنهم كانوا مكرهين فلم يرجع إلى دينهم ، وأثبت الاكراه بين يدي القاضي جمال الدين ابن أبي يعقوب المالكي ، فعاد أكثرهم إلى دينهم وضربت عليهم الجزية كما كانوا ، سود الله وجوههم يوم تبليض وجوه وتسود وجوه . وقيل : إنهم غرموا مالا جزيلا جملة مستكثرة على ذلك ، قبضهم الله .

وفي ذي القعدة قبض السلطان على أيتش السعدي وسجنه بقلعة الجبل ، وقبض فاقبه بدمشق على سيف الدين بلبان الماروني وسجنه بقلعتها . وفي بكرة الخميس التاسع والعشرين من ذي القعدة ، وهو العاشر من آذار ، استسقى الناس بالمصلى بدمشق فسقوا بعد عشرة أيام . وفي هذه السنة أخرج الملك المنصور جميع آل الملك الظاهر من النساء والولدان والخدام من الديار المصرية إلى الكرك ليكنوا في كنف الملك المسعود خضر بن الظاهر

ومن توفي فيها من الأعيان . أبغا ملك التتار بن هولاكوخان

ابن تولى بن جنشكينخان ، كان على الهمة بعيد النور له رأى وتدبير ، وبلغ من العمر خمسين سنة ، ومدة ملكه ثمان عشرة سنة ، ولم يكن بعد والده في التدبير والحزم مثله ، ولم تكن وقعة حص هذه برأيه ولا عن مشورته ، ولكن أخوه منكوتمر أحب ذلك فلم يخالفه . ورأيت في بعض تاريخ البغادة أن قدوم منكوتمر إلى الشام إنما كان عن مكاتبة سنقر الاشقر إليه فآله أعلم . وقد جاء بنا هذا بنفسه فنزل قريبا من الغرات ليرى ماذا يكون من الأمر ، فلما جرى عليهم ما جرى ساء ذلك ومات غما وحزنا . توفي بين العيدين من هذه السنة ، وقام بالملك بعده ولده السلطان أحمد . وفيها توفي .

قاضي القضاة

نجيم الدين أبو بكر بن قاضي القضاة صدر الدين أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن يحيى بن محمد بن علي الشافعي ابن سفي الدولة ، ولد سنة ست عشرة وستائة ، وسمع الحديث وبرع في المذهب ، وناب عن أبيه فشكرت سيرته ، واستقل بالقضاء في الدولة المظفرية فهدأ أيضا ، وكان الشيخ شهاب الدين ينال منه ومن أبيه ، وقال البرزالي : كان شديدا في الأحكام متحريرا ، وقد ألزم بالمقام بمصرف درس بجامع مصر ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالأمنية والركنية ، وباشر قضاء حلب ، وعاد إلى دمشق ، وولاه سنقر قضاء دمشق ، ثم عزل بابن خلكان كما تقدم ، ثم كانت وفاته يوم الثلاثاء من المحرم ، ودفن من القديوم فأسوعا بتربة جده بقاسيون . وفي طائر المحرم توفي

قاضي القضاة صدو الدين عمر

ابن القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم الغلابي ابن بنت الأعز المصري ، كان فاضلا بارعا عارفا بالمذهب ، متحررا في الأحكام كأبيه ، ودفن بالقرافة .

الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري

الموله المعروف بالجميعانة ، كان مشهوراً بدمشق ، ويذكر له أحوال ومكاشفات على ألسنة العوام ومن لا يعقل ، ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ، ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه . توفي يوم الأحد سابع جمادى الأولى ودفن بتربة المولدين بسفح قاسيون عند الشيخ يوسف القيمي ، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة ، وكان الشيخ يوسف يسكن إقنين حمام نور الدين الشهيد بالزوربين ، وكان يجلس على النجاسات والقنر ، وكان يلبس ثياباً بداوية فيجف على النجاسات في الأزقة ، وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة ، وكان العوام يغالون في محبته واحتفاده ، وكان لا يصلي ولا يتقى نجاسة ، ومن جاءه راثراً جلس عند باب الأتقين على النجاسة ، وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات ، وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولدين . ولما مات الشيخ يوسف القيمي خرج خلق في جنازته من العوام وغيرهم ، كانت جنازته حافلة بهم ، وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون ، وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام ، حتى جاؤا به إلى تربة المولدين بقاسيون فدفنوه بها ، وقد اعتنى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سقفاً مقرناً بالدهان وأنواعه ، وعمل عليه مقصورة وأبواباً ، وغالى فيه مغالاة زائدة ، ومكث هرورجاة مجاورون عنده مدة في قراءة وتهليل ، ويطبخ لهم الطيبين فيأكلون ويشربون هناك . والقصود أن الشيخ إبراهيم الجميعانة لما مات الشيخ يوسف الأتقيي جاء من الشاغور إلى باب الصغير في جماعة من أتباعه ، وهم في صراخ وضجة وغوش كثير ، وهم يقولون : أذن لنا في دخول البلد أذن لنا في دخول البلد ، يكررون ذلك ، فقيل له في ذلك فقال : لي عشرون سنة ما دخلت داخل سور دمشق ، لأنني كنت كلما أتيت باباً من أبوابها أجسد هذا السبع رابضاً بالباب فلا أستطيع الدخول خوفاً منه ، فلما مات أذن لنا في الدخول ، وهذا كله ترويح على الطغام والعوام من الهيج الرعاع ، الذين هم أتباع كل فاهق . وقيل إن الشيخ يوسف كان يرسل إلى الجميعانة مما يأتيه من الفتوح والله سبحانه أعلم بأحوال العباد ، وإليه المقلب والمآب ، وعليه الحساب .

وقد ذكرنا أنه استشهد في وقعة حمص جماعة من الأمراء منهم الأمير عز الدين أزدمر السلحداري من نحو من ستين سنة ، وكان من خيار الأمراء وله همة عالية يلينى أن ينال بها مكاناً عالياً في الجنة

قاضي القضاة

تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي ، ولد سنة ثلاث وستائة ، وقد سمع الحديث وانتفع بالشيخ اتقى الدين بن الصلاح ، وأم بدار الحديث مدة ،

ودرس بالشامية ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، ثم سار إلى مصر فدرس بها بمدة مدارس ، وولى الحكم بها ، وكان مشكوراً ، توفي ليلة الأحد ثالث رجب منها ، ودفن بالقطم .
وفي يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة توفي .

الملك الأشرف

مظفر الدين موسى بن الملك الزاهر محيى الدين داود المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن الناصر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذى ابن صاحب حمص ، ودفن بترتهم بقاسيون .

وفي ذى القعدة توفي الشيخ جمال الدين الأسكندري

الحاسب بدمشق ، وكان له مكتب تحت منارة كبروز ، وقد انتفع به خلق كثير ، وكان شيخ الحساب فى وقته رحمه الله الشيخ علم الدين أبو الحسن

محمد بن الامام أبى على الحسين بن عيسى بن عبد الله بن رشيق الربعى المالكي المصرى ، ودفن بالقرافة ، وكانت له جنازة حافلة ، وقد كان فقيها مفتياً ، سمع الحديث وبلغ خمسا وثمانين سنة .
وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة توفي .

الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم

محمد بن المسلم . مكى بن خاف بن غيلان ، القيسى الدمشقى ، مولده سنة أربع وتسعين ، وكان من الرؤساء الكبار ، وأهل البيوتات ، وقد ولى نظار الدواوين بدمشق وغير ذلك ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وكتابة الحديث ، وكان يكتب سريماً يكتب فى اليوم الواحد ثلاث كراريس وقد أسمع مسند الامام أحمد ثلاث مرات ، وحدث بصحيح مسلم وجامع الترمذى وغير ذلك ، وسمع منه البرزالى والمازى وابن تيمية ، ودفن من يومه بسفح قاسيون عن ست وثمانين سنة . رحمه الله جميعاً

الشيخ صفى الدين

أبو القاسم بن محمد بن عثمان بن محمد التميمى الحنفى ، شيخ الحنفية ببصرى ، ومدرس الأميفية بها مدة سنين كثيرة ، كان بارعاً فاضلاً عالماً عابداً منقطعاً عن الناس ، وهو والد قاضى القضاة صدر الدين على ، وقد عمر دهرًا طويلاً ، فانه ولد فى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وتوفى ليلة نصف شعبان من هذه السنة عن تسع وتسعين سنة رحمه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

استهانت والخليفة الحاكم بأمر الله والسلطان الملك المنصور قلاوون . وفيها أرسل ملك التتار أحمد إلى الملك المنصور يطلب منه المصالحة وحقن الدماء فيما بينهم ، وجاء فى الرسالية الشيخ قطب الدين الشيرازى أحد تلامذة النصير الطوسى ، فأجاب المنصور إلى ذلك وكتب المكاتبات إلى ملك

التبر بذلك . وفي مستهل صفر قبض السلطان على الأمير الكبير بدر الدين يسرى السعدى ، وعلى الأمير علاء الدين السعدى الشمسى أيضاً .

وفيها درس القاضي بدر الدين بن جماعة بالقيصرية ، والشيخ شمس الدين ابن الصفي الحريرى بالسرمانية ، وعلاء الدين بن الزملى بكاني بالأمنية . وفي يوم الاثنين الحادى عشر من رمضان وقع حريق بالبابدين دغلم ، وحضر نائب الساطنة إذ ذاك الأمير حسام الدين لاجين السلحدار وجماعة كثيرة من الأمراء ، وكانت ليلة هائلة جداً وقى الله شرها ، واستدرك بعد ذلك أمرها القاضي نجم الدين بن النحاس ناظر الجامع ، فأصاح الأمر وسد وأعاد البناء أحسن مما كان والله الحمد والمنة . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الضالحي بقرية السلف

برهان الدين أبو إسحاق ابن الشيخ صفي الدين أبي الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى ابن الرضى الحنفى إمام المعزية بالكشك . وأسمع من جماعة منهم الكندى ابن الحرساني ولكن لم يظهر سماعه منهما إلا بعد وفاته ، وقد أجاز له أبو نصر الصيدلاني وعفيفة الفارغانية وابن الميداني ، وكان رجلاً صالحاً محباً لاسماع الحديث ، كثير البر بالطلبة له ، وقد قرأ عليه الحافظ جمال الدين المزي معجم الطبراني الكبير ، وسمعه منه بقراءة الحافظ الهرزالي وجماعة كثير ون . وكان مولده في سنة تسع وتسعين [وخمسمائة] وتوفى يوم الأحد سابع صفر ، وهو اليوم الذي قدم فيه الحجاج إلى دمشق من الحجاز ، وكان هو معهم فمات بعد استقراره بدمشق .

القاضي أمين الدين الأشعري

أبو العباس أحمد بن شمس الدين أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الجبار بن طلحة الحلبي المعروف بالأشعري الشافعي ، الحديث ، سمع الكثير وحصل ووقف أجزاء بدار الحديث الأشعرية وكان الشيخ محي الدين النووي يثنى عليه ويرسل إليه الصبيان ليقرأوا عليه في بيته لأمانته عنده ، وصيانيته وديانته . الشيخ برهان الدين أبو الشناه

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن المرافي الشافعي ، مدرس الفلكية ، كان فاضلاً بارعاً ، عرض عليه القضاء فلم يقبل ، توفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر عن ست وسبعين سنة ، وسمع الحديث وأجمعه ، ودرس بعده بالفلكية القاضي بهاء الدين بن الزكي .

القاضي الامام العلامة شيخ القراء زين الدين

أبو محمد بن عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي المالكي ، قاضي قضاة المالكية بدمشق ، وهو أول من باشر القضاء بها ، وعزل نفسه عنها تورعاً وزهاداً ، واستمر بلا ولاية ثمان سنين ، ثم كانت وفاته ليلة الثلاثاء ثامن رجب منها عن ثلاث وثمانين سنة ، وقد سمع الحديث واشتغل على السنجاري

وابن الحاجب . الشيخ صلاح الدين

محمد بن القاضي فحمس الدين علي بن محمود بن علي الشهر زوري ، مدرس القيمرية وابن مدرسا ، توفي في أواخر رجب ، وتوفي أخوه شرف الدين بعده بشهر ، ودرس بالقيمرية بعد الصلاح المذكور القاضي بدر الدين ابن جماعة .

ابن خلكان قاضي القضاة

فحمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي أحد الأئمة الفضلاء ، والسادة العلماء ، والصدور الرؤساء ، وهو أول من جدد في أيامه قضاء القضاة من سائر المذاهب ، فاشتغلوا بالأحكام بعد ما كانوا نوابا له ، وقد كان المنصب بينه وبين ابن الصائغ دولا يمزل هذا تارة ويولى هذا ، ويمزل هذا ويولى هذا ، وقد درس ابن خلكان في عدة مدارس لم تجتمع لغيره ، ولم يبق معه في آخر وقت سوى الامينية ، ويبدأ ابنه كمال الدين موسى النجيبية . توفي ابن خلكان بالمدرسة النجيبية المذكورة بايواتها يوم السبت آخر النهار ، في السادس والعشرين من رجب ، ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة . وقد كان ينظم نظما حسنا رائعا ، وقد كانت محاضراته في غاية الحسن ، وله التاريخ المفيد الذي رسم بوفيات الاعيان من أبداع المصنفات ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة

فيها قدم الملك المنصور إلى دمشق في يوم الجمعة سابع رجب في أبهة عظيمة ، وكان يوما مشهودا وفيها ولى الخطابة بدمشق الشيخ عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي عوضا عن محي الدين ابن الحرساني الذي توفي فيها كما سيأتي ، وخطب يوم الجمعة الحادي والعشرين من رجب من هذه السنة وفي هذا اليوم قبل الصلاة احتيط على القاضي عز الدين بن الصائغ بالقلمة وأثبت ابن الحضري نائب الخنفي محضرا يتضمن أن عنده ودية بمقدار ثمانية آلاف دينار ، من نجة ابن الاسكاف ، وكان الذي أثار ذلك شخص قدم من حلب يقال له تاج الدين بن السنجاري ، وولى القضاء بعده بهاء الدين يوسف بن محي الدين ابن الزكي ، وحكم يوم الاحد ثالث وعشرين رجب ومنع الناس من زيارة ابن الصائغ ، وسمى بمحضر آخر أن عنده ودية بقيمة خمسة وعشرين ألف دينار لصالح إسماعيل بن أسد الدين ، وقام في ذلك ابن الشاكري والجمال بن الجوري وآخرون ، وتكلموا في قضية ثالثة ، ثم عقد له مجلس قال فيه شدة شديدة ، وتصبوا عليه ثم أعيد إلى اعتقاله ، وقام في صفه نائب السلطنة حسام الدين لاجين ، وجماعة من الامراء ، فكلموا فيه السلطان فأطلقه وخرج إلى منزله ، رجاء الناس إلى تهنئته يوم الاثنين الثالث والعشرين من شعبان ، وانتقل من

العادية إلى داره بدرب النقاشة ، وكان عامة جلوسه في المسجد تجاه داره .
وفي رجب باشر حسبة دمشق جمال الدين بن مصرى . وفي شعبان درس الخطيب جمال الدين
ابن عبد الكافي بالفزالية عوضاً عن الخطيب ابن الحرساني ، وأخذ منه الدورية لكمال الدين بن
النجار ، الذي كان وكيل بيت المال ، ثم أخذ شمس الدين الاربلي تدريس الفزالية من ابن عبد الكافي
المذكور . وفي آخر شعبان باشر نيابة الحكم عن ابن الزكي شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي أحد
أئمة الفضلاء ، وسادات العلماء المصنفين . ولما توفى أخوه شمس الدين محمد في شوال ولى مكانه
تدريس الشامية البرانية ، وأخذت منه العادية الصغيرة ، فدرس فيها القاضي نجم الدين أحمد بن
مصرى التغلبي في ذى القعدة ، وأخذت من شرف الدين أيضاً الرواحية فدرس فيها نجم الدين
البياني نائب الحكم رحمهم الله أجمعين .
ومن توفى فيها من الأعيان .

الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل

محمد بن القاضي شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، صاحب الطريقة
المسبوبة في الكتابة ، مع الحديث وكان من رؤساء دمشق وأعيانها توفى في صفر منها .

شيخ الجليل الشيخ العلامة شيخ الاسلام

شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي ،
أول من ولى قضاء الحنابلة بدمشق ، ثم تركه وتولاه ابنه نجم الدين ، وتدرّس الاشرقية بالجليل ،
وقد جمع الحديث الكثير ، وكان من علماء الناس وأكثروا ديانته وأمانته في عصره ، مع هدى وسمت
صالح حسن ، وخشوع وقار . توفى ليلة الثلاثاء سابع ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وعشرين
سنة ، ودفن بمقبرة والده رحمهم الله

ابن أبي جفوان

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباس بن أبي جفوان الانصاري الدمشقي
المحدث الفقيه الشافعي البارع في النحو والفقه ، سمعت شيخنا تقي الدين ابن تيمية وشيخنا الحافظ
أبا الحجاج المزي يقول كل منهما للآخر : هذا الرجل قرأ مسند الامام أحمد وهما يسمان فلم يضبط
عليه لجنة متفقا عليها ، وناهيك بهذين ثناء على هذا وهما

الخطيب محيي الدين

محيي بن الخطيب قاضي القضاة عماد الدين عبد الكريم بن قاضي القضاة جمال الدين بن الحرساني
الشافعي خطيب دمشق ومدرس الفزالية ، كان فاضلاً بارعاً فقيهاً ودرس وولى الخطابة والفزالية بمد

أبيه ، وحضر جنازته نائب السلطنة وخلق كثير ، توفي في جمادى الآخرة عن ثمان وستين سنة ، ودفن بقاسيون . وفي خامس رجب توفي .

الأمير الكبير ملك عرب ال مثرى

أحمد بن حجبى بمدينة بصرى ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب .

الشيخ الامام العالم شهاب الدين

عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة مجد الدين عبد الله بن عبد الله بن أبى القاسم ابن تيمية الحرائى ، والد شيخنا العلامة العالم تقي الدين ابن تيمية ، مفتى الفرق ، الفارق بين الفرق ، كان له فضيلة حسنة ، ولديه فضائل كثيرة ، وكان له كرسى يجامع دمشق يتكلم عليه عن ظاهر قلبه ، وولى مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين ، وبها كان سكنه ، ثم درس ولده الشيخ تقي الدين بها بعده فى السنة الآتية كما سيأتى ، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستائة

فى يوم الاثنين ثانى المحرم منها درس الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرائى بدار الحديث السكرية التى بالقصاعين ، وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين ابن الرضى الشافعى ، والشيخ تاج الدين الفزارى شيخ الشافعية ، والشيخ زين الدين ابن المرحل ، وزين الدين بن المنجا الحنبلى ، وكان درسا هائلا ، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزارى بخطه لكثرة فوائده ، وكثرة ما استحسنته الحاضرون . وقد أظن الحاضرون فى شكره على حداثة سنه وصغره ، فانه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وستين ، ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموى بعد صلاة الجمعة على منبر قدمه له لتفسير القرآن العزيز ، فابتدأ من أوله فى تفسيره ، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة سارت بذكره الركبان فى سائر الأقاليم والبلدان ، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة

وفىها قدم السلطان إلى دمشق من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة ، فجاء صاحب حماة الملك المنصور إلى خدمته فنقله السلطان فى موكبه وأكرمه ، فلما كان ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان وقع مطر عظيم بدمشق ، ورعد وبرق ، وجاء سيل عظيم جدا حتى كسر أقفال باب الفرديس ، وارتفع الماء ارتفاعا كثيرا ، بحيث أغرق خلقا كثيرا ، وأخذ جمال الجيش المصرى وأتقاهم ، فخرج السلطان إلى الديار المصرية بعد ثلاثة أيام ، وتولى مشد الدواوين الأمير شمس الدين سنقر حوصا عن الدو يدراى علم الدين سنجر . وفىها اختلف التتار فبا بينهم على ملكهم

السلطان أحمد فمز لوه عنهم وقتلوه ، وملكوا عليهم السلطان أرغون بن أبغا ، ونادوا بذلك في حيشهم ، وتأنطدت أحوالهم ، ومشت أمورهم على ذلك ، وبادت دولة السلطان أحمد . وقامت دولة أرغون بن أبغا .

ومن توفي فيها من الاعيان . الشيخ طالب الرفاعي بقصر حجاج
وله زوايا مشهورة به ، وكان يزور بعض المريدين فات . وفيها مات

القاضي الامام عز الدين أبو المفاخر

محمد بن شرف الدين عبد القادر بن عفيف الدين عبد الخالق بن خليل الانصاري . الدمشقي
ولى القضاء بدمشق مرتين ، عزل باين خلكان ، ثم عزل ابن خلكان به ثانية ، ثم عزل وسجن وولى
بعده بهاء الدين ابن الزكي ، وبقى معزولا إلى أن توفي ببستانه في تاسع ربيع الأول ، وصلى عليه
بسوق الخليل ، ودفن بسبخ قاسيون ، وكان مولده سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وكان مشكور السيرة ،
له عقل وتدبير واعتقاد كثير في الصالحين ، وقد سمع الحديث له ابن بلبان مشيخة قرأها ابن جفوان
عليه ، ودرس بعده بالزروية الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن المرحل ، وكيل بيت المال ،
ودرس ابنه محيي الدين أحمد بالمادية وزاوية الكلاسة من جامع دمشق ، ثم توفي ابنه أحمد هذا
بعده في يوم الأربعاء ثامن رجب ، فدرس بالمادية والماغية الشيخ زين الدين بن الفارقي شيخ
دار الحديث نيابة عن أولاد القاضي عز الدين بن الصائغ بدر الدين وعلاء الدين . وفيها توفي

الملك السعيد فتح الدين

عبد الملك بن الملك الصالح أبي الحسن إسماعيل ابن الملك العادل ، وهو والد الملك الكامل
ناصر الدين محمد ، في ليلة الاثنين ثالث رمضان ، ودفن من القدر بقرية أم الصالح ، وكان من خيار
الأمراء محسنترا كبيرا رئيسا ، روى الموطأ عن يحيى بن بكير عن مكرم بن أبي الصقر ، وسمع
ابن الليث وغيره .

القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن منصور

البياني الشافعي ، توفي في شوال منها ، وكان فاضلا ، ولى قضاء زرع ثم قضاء حلب ، ثم
ناب في دمشق ودرس بالرواحية وياشرها بعده شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسي ، يوم عاشر
شوال . وفي هذا اليوم توفي بحماة ملكها :

الملك المنصور ناصر الدين

محمد بن محمود بن عمر بن ملكشاه ، بن أيوب ، ولد سنة ثلاثين وستمائة ، وتملك حماة سنة ثنتين
وأربعين ، وله عشر سنين ، فسكت في الملك أزيد من أربعين سنة ، وكان له بروضات ، وقد

أعشق في بعض موته خلفاً من الآراء ، وقام في الملك بعده الملك المظفر بتقليد الملك المنصور له بذلك .
القاضي جمال الدين أبو يعقوب

يوسف بن عبد الله بن عمر الرازي ، قاضي قضاة المالكية ، ومدرسهم بعد القاضي زين الزواوي الذي عزل نفسه ، وقد كان يذوب عنه فاستقل بعده بالحكم ، توفي في الخامس من ذي القعدة وهو في طريق الحجاز ، وكان عالماً فاضلاً قليل التكليف والتكاف ، وقد شغل المنصب بعده ثلاث سنين ودرس بعده للمالكية الشيخ جمال الدين الشريشي ، وبعده أبو إسحاق اللوري ، وبعده بدر الدين أبو بكر البريقي ، ثم لما وصل القاضي جمال الدين بن سليمان حاكماً درس بالمدارس والله سبحانه أعلم ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستائة

في أواخر الحرم قدم الملك المنصور إلى دمشق ومعه الجيوش وجاء إلى خدمته صاحب حمة الملك المظفر بن المنصور فتلقاه بجميع الجيوش ، وخاض عليه خلعاً الملوك ، ثم سافر السلطان بالعساكر المصرية والشامية فنزل المرقب ففتح الله عليهم في يوم الجمعة ثامن عشر صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق فذهبت البشارة وزينت البلد وفرح المسلمون بذلك ، لأن هذا الحصن كان مضرة على المسلمين ، ولم يتهنق فتحه لأحد من ملوك الإسلام لا للملك صلاح الدين ، ولا للملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، وفتح حوله بلنيس ومرقب وهي بلدة صغيرة إلى جانب البحر عند حصن منيع جداً لا يصل إليه سهم ولا حجر من جنين ، فأرسل إلى صاحب طرابلس فهدمه ترقياً إلى السلطان الملك المنصور ، واستنقذ المنصور خلقاً كثيراً من أسارى المسلمين ، الذين كانوا عند الفرنج ، والله الحمد . ثم عاد المنصور إلى دمشق ، ثم سافر بالعساكر المصرية إلى القاهرة .

وفي أواخر جمادى الآخرة ولد للمنصور ولده الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وفيها عزل محيي الدين ابن النحاس عن نظر الجامع ووليه عز الدين بن محيي الدين بن الزكي ، وباشر ابن النحاس الوزارة عوضاً عن النقي توبة التكريتي ، وطلب النقي توبة إلى الديار المصرية وأحيط على أمواله وأملاكه ، وعزل سيف الدين طوغان عن ولاية المدينة ، وباشرها عز الدين بن أبي الهيجاء .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عز الدين محمد بن علي

ابن إبراهيم بن شداد ، توفي في صفر ، وكان فاضلاً مشهوراً ، له كتاب سيرة الملك الظاهر ، وكان محتلياً بالتاريخ .
البندقداري

أستاذ الملك الظاهر بيبرس ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالح ، كان من خيار الأمراء سامحه الله . توفي في ربيع الآخر منها ، وقد كان الصالح نجم الدين صادر البندقداري هذا ،

وأخذ منه مملوكه بيبرس فأضافه إليه لشهامته ونهضته ، فتقدم عنده على أستاذه وغيره .

الشيخ الصالح العابد الزاهد

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إسماعيل الأحمسي ، كانت له جنازة هائلة ، ودفن بقايبون رحمه الله .
ابن عامر المقرئ

الذي ينسب إليه الميعاد الكبير ، الشيخ الصالح المقرئ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عامر بن أبي بكر النسوي الحنبلي ، سمع الحديث من الشيخ موفق الدين بن قدامة وغيره ، وكان يعمل الميعاد ليلة الأحد ، فإذا فرغوا من ذلك دعا بهم ثم وعظهم . توفي يوم الأربعاء حادي عشر جمادى الآخرة ودفن بالقرب من تربة الشيخ عبد الله الأرمي .

القاضي عماد الدين

داود بن يحيى بن كامل القرشي النصراني الحنفي ، مدرس العزبة بالكشك ، وثاب في الحكم من مجد الدين بن المديم ، وسمع الحديث وتوفي ليلة النصف من شعبان ، وهو والد الشيخ نجم الدين الأحمزي ، شيخ الحنفية ، وخطيب جامع تنكر .

الشيخ حسن الرومي

شيخ سعيد السعداء بالقاهرة . وقد وليها بعده شمس الدين الاتابكي . الرشيد سعيد بن علي بن سعيد . الشيخ رشيد الدين الحنفي مدرس الشبلية ، وله تصانيف مفيدة كثيرة ، ونظم حسن . فن ذلك

قوله : قل لمن يحذر أن تدركه * نكبات الدهر لا يفنى الحزن
أذهب الحزن اعتقادي * أن كل شيء بقضاء وقدر
ومن شعره قوله : الهى لك الحد الذى أنت أهله * على نعم منها الهداية فحمد
صحيحاً خلقت الجسم منى مسلماً * ولطفك في مازال مذ كنت في المهد
وكنيت يتباً قد أحاط بي الردى * فأويت واستنقذت من كل ما ردى
وهبت لى العقل الذى بضائه * إلى كل خير يهتدى طالب الرشد
ووقت للاسلام قلبى ومنطقى * فنا نعمة قد حل موقها عندي
ولو رميت جهدي أن أجازى فضيلة * فضلت بها لم يجز أطرافها جهدي
أست الذى أرجو حنانك عندما * يخلفنى الاهلون وحدى فى لحدى
نجدى بلطف منك يهدي سريتي * وقلبي ويدننى إليك بلا بعد
توفي يوم السبت ثالث رمضان ، وصلى عليه المعمر بالجامع المظفرى ، ودفن بالسفح .

أبو القاسم علي بن بليان بن عبد الله
الناصرى المحدث المفيد الماهر ، توفى يوم الخميس مستهل رمضان .
الأمير مجير الدين

محمد بن يعقوب بن علي المعروف بابن تميم الحموى الشاعر ، صاحب الديوان فى الشعر ، فن
شعره قوله : عاينت ورد الروض يلعلم خده * ويقول قولاً فى البنفسج يحنق^(١)
لا تقربوه وإن تضوع نشره * ما بينكم فهو العدو الأزرق
الشيخ العارف شرف الدين

أبو عبد الله محمد بن الشيخ عثمان بن علي الرومى ، ودفن بقريةهم بسفح قاسيون ، ومن عندهم
خرج الشيخ جمال الدين محمد السواحى وحلق ودخل فى ذى الجوز القمية وصار شيخهم ومقدمهم .
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وسبعمائة

استلمت والخليفة الحاكم أبو العباس أحمد ، والسلطان الملك المنصور قلاوون ، وذهب بالشام
الأمير حسام الدين لاجين السلحدارى المنصورى ، والأمير بدر الدين الصوابى محاصر ماينة الكرك
فى أواخر السنة الماضية ، وقدم عليه من مصر عسكر محبة الأمير حسام الدين طرقاتى ، فاجتمعوا
على حصار الكرك حتى أنزلوا منها صاحبها الملك المسعود خضر بن الملك الظاهر ، فى مستهل
صفر ، وجاءت البشارة بذلك إلى دمشق ، فدفعت البشارة ثلاثة أيام ، وعاد طرقاتى بالملك خضر
واهل بيته إلى الديار المصرية ، كما فصل الملك الظاهر أبوه بالملك المنصور عمر بن العادل ، كما تقدم
ذلك . واستناب فى الكرك نائباً عن أمر المنصور ، ورتب أمورها وأجلوا منها خلقاً من الكركيين ،
واستخدموا بقلة دمشق . ولما اقترب دخول آل الظاهر إلى القاهرة تلقاه المنصور فأكرم لقيامه وأحسن
إلى الأخوين نجم الدين خضر ، وبدر الدين سلامش ، وجعلهما يركبان مع ابنه على والأشرف
خايل ، وجعل عليهما عيوناً يرصدون ما يفعلان ، وأنزلا الدور بالقلة وأجرى عليهم من الرواتب
والنفقات ما يكفيهم وزيادة كثيرة ، وكتب الأمير بدر الدين بكتوت العلافى وهو مجرد بمصر
إلى نائب دمشق لاجين ، أنه قد انقلت زوامة فى يوم الخميس سابع صفر بأرض حمص ثم ارتفعت
فى السماء كهيئة العمود والحية العظيمة ، وجملت تختطف الحجارة الكبار ، ثم تصعد بها فى الجو كأنها
سهام الشباب وحملت شيئاً كثيراً من الجمال بأحلامها ، والآثاث والخيام والدواب ، ففقد الناس من
ذلك شيئاً كثيراً ، فأنالله وإنا إليه راجعون . وفى هذا اليوم وقع مطر عظيم فى دمشق وجاء سيل كثير
ولا سيما فى الصالحية .

وفىها أعيدهم الدين الهويدارى إلى مشد الدواوين بدمشق ، والصاحب تقي الدين بن توبة

(١) فى النجوم الزاهرة والشذرات : ويقول وهو على البنفسج يحنق .

إلى الوزارة بدمشق . وفيها تولى قضاء المالكية بمصر زين الدين بن أبي مخلوف البريدي عوضاً عن القاضي آقاي الدين برساس الذي توفي بها . وفيها درس بالقرائية بدر الدين بن جماعة أئتمرها من يد فمسن الدين إمام الكلاسة ، الذي كان ينوب عن فمسن الدين الأيكي ، والأيكى شيخ سعيد السعدا ، بأشهرها شهراً ثم جاء مرسوم بإعادتها إلى الأيكي ، وأنه قد استناب عنه جمال الدين الباجر يقي ، فبأشهرها الباجر يقي في ثالث رجب .

ومن توفي فيها من الاعيان أحمد بن شديبان

ابن تغلب الشيباني أحد مشايخ الحديث المسندين المعمرين بدمشق ، توفي بصفر عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بقاسيون .

الشيخ الامام العالم البارح

الشيخ جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن بجمان البكري الشريشي المالكي ، ولد بشرش سنة إحدى وستمائة ، ورحل إلى العراق فسمع بها الحديث من المشايخ والقطبي وابن زوربة وابن أبيي وغيرهم ، واشتغل وحصل وساد أهل زمانه ، ثم عاد إلى مصر فدرس بالفاضلية ، ثم أقام بالقدس شيخ الحرم ، ثم جاء إلى دمشق فولى مشيخة الحديث بقرية أم الصالح ، ومشيخة الرباط الناصري بالسفح ، ومشيخة المالكية ، وعرض عليه القضاء فلم يقبل . توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب بالرباط الناصري بقاسيون ، ودفن بسفح قاسيون تجاه الناصرية وكانت جنازته حافلة جداً . قاضي القضاة

يوسف ابن قاضي القضاة محي الدين أبي الفضل يحيى بن محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي ابن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن أبيان بن عثمان بن هفان ، القريشي الدمشقي المعروف بابن الزكي الشافعي ، كان فاضلاً مبرزاً ، وهو آخر من ولي القضاء من بني الزكي إلى يومنا هذا ، ولد في سنة أربعين وستمائة ، توفي ليلة الاثنين حادى عشر ذى الحجة ، ودفن بقاسيون ، وتولى بعده ابن الخوى شهاب الدين .

الشيخ مجد الدين

يوسف بن محمد بن محمد بن عبد الله المصري ثم الدمشقي الشافعي الكاتب المعروف بابن المنيار ، كان فاضلاً في الحديث والآدب ، يكتب كتاباً حسنة جداً ، وتولى مشيخة دار الحديث النورية ، وقد سمع الكثير وانتفع الناس به وبكتابته ، توفي عاشر ذى الحجة ودفن بباب الفراديس .

الشاعر الأديب

شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد المعروف بابن الخيبي ، كانت له مشاركة في علوم كثيرة ، ويد طولى في النظم الرائقي ، الفائقي جاوز الثمانين وقد تنازع هو ونجم الدين بن

إسرائيل في قصيدة بائية^(١) فتحا كما إلى ابن الفارض فأمرها بنظم أبيات على وزنها فنظم كل منها فأحسن ، ولكن لابن الخيبي يد طولى عليه ، وكذلك فعل ابن خلكان ، وامتدحه على وزنها بأبيات حسان ، وقد أطال ترجمته الجزري في كتابه ، وفيها كانت وفاة .

الحاج شرف الدين^(٢)

ابن مري ، والد الشيخ عبي الدين النووي رحمه الله .
يعقوب بن عبد الحق

أبو يوسف المديني سلطان بلاد المغرب ، خرج على الوائقي بالله أبي ديبوس فسلبه الملك بظاهر مراكش ، واستحوذ على بلاد الأندلس والجزيرة الخضراء ، في سنة ثمان وستين وستائة ، واستمرت أيامه إلى محرم هذه السنة ، وزالت على يديه دولة الموحدين بها .

البضاوي صاحب التصانيف

هو القاضي الامام العلامة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي ، قاضيا وعالما وعالم أذربيجان وتلك النواحي ، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستائة . ومن مصنفاته المنهاج في أصول الفقه ، وهو مشهور ، وقد شرحه غير واحد ، وله شرح التنبيه في أربع مجلدات ، وله الغاية القصوى في دراية الفتوى ، وشرح المنتخب والكافية في المنطق ، وله الطوالع وشرح الحصول أيضا ، وله غير ذلك من التصانيف المفيدة ، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه بتبريز والله سبحانه أعلم
ثم دخلت سنة ست وثمانين وستائة

في أول الحرم ركبت المساكر محبة نائب الشام حسام الدين لاجين إلى محاصرة صهيون وحصن برزية ، فما نعمهم الأمير سيف الدين سنقر الأشقر ، فلم يزالوا به حتى استنزلوه وسلمهم البلاد ، وسار إلى خدمة السلطان الملك المنصور ، فلقاه بالأكرام والاحترام ، وأعطاه مقدمة ألف فارس ، ولم يزل مغلما في الدولة المنصورية إلى آخرها ، وانقضت تلك الأحوال . وفي النصف من الحرم حكم القاضي جلال الدين الحنفي نيابة عن أبيه حسام الدين الرازي ، وفي الثالث عشر من ربيع الأول قدم القاضي شهاب الدين محمد بن القاضي قيس الدين بن الخليل الخوي من القاهرة على قضاء قضاة دمشق ، وقرئ تقليده يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر ، واستمر بنيابة شرف الدين المقدسي وفي يوم الأحد ثلث شوال درس بالرواحية الشيخ صفي الدين الهندي ، وحضر عنده القضاة والشيخ تاج الدين الفزاري ، وعلم الدين الدويداري ، وتولى قضاء قضاة القاهرة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الاعز ، عرضا عن برهان الدين الخضر السنجاري ، وقد كان وليها شهراً بعد ابن الخوي

(١) مطلعها : يا مطلباً ليس لي في غيره أرب * إليك آل التقى وانتهى الطلب

(٢) كانت وفاته في سنة ٦٨٢ .

فاجتمع حينئذ إلى ابن بنت الأعرز بين القضاء كله بالديار المصرية ، وذلك في أوائل صفر منها .
وفيهما استدعى سيف الدين السامري من دمشق إلى الديار المصرية ليشتري منه ربع جزر
ماء الذي اشتراه من بنت الملك الأشرف موسى ، فذكر لهم أنه وقفه ، وكان المتكلم في ذلك علم
الدين الشجاعى ، وكان ظلماً ، وكان قد استنابه الملك المنصور بديار مصر ، وجعل يتقرب إليه بتحصيل
الأموال ، ففتق لهم ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن المقدسى أن السامري اشترى هذا من بنت
الأشرف ، وهى غير رشيدة ، وأثبت سفنها على زين الدين بن مخلوف الجائر الجاهل ، وأبطل البيع
من أصله ، واسترجع على السامري بمثل مدة عشرين سنة مائتى ألف درهم ، وأخذوا منه حصص من
الزبانية قيمتها سبعين ألفاً وعشرة آلاف مكلة ، وتركوه فقيراً على برد الديار ، ثم أثبتوا رشدتها
واشتروا منها تلك الحصص بما أرادوه ، ثم أرادوا أن يستدعوا بالدماشقة واحداً بعد واحد ،
ويصادر ونهمهم ، وذلك أنه بلغهم أن من ظلم بالاشام لا يفلح وأن من ظلم بمصر أفلح وطالت مدته ،
وكانوا يطالبونهم إلى مصر أرض الفراغة والظلم ، فيقبلون معهم ما أرادوا .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الامام العلامة
قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الامام أبى العباس أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن
عبد الله بن أحمد الميمونى القيسى النورى المصرى ، ثم المالكى الشافعى المعروف بالقسطلانى ،
شيخ دار الحديث السكاملية بالقاهرة ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير
وحصل دلوماً ، وكان يفتى على مذهب الشافعى ، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولى مشيخة
دار الحديث ، وكان حسن الأخلاق محبباً إلى الناس ، توفى فى آخر الحرم ودفن بالقرافة الكبرى ،
وله شعر حسن أورد منه ابن الجزرى قطعة صالحة .

عماد الدين

محمد بن العباس الدينيسى الطيب الماهر ، والحاظق الشاعر ، خدم الاكابر والوزراء وعمر ثمانين
سنة وتوفى فى صفر من هذه السنة بدمشق .

قاضي القضاة

برهان الدين الخضر بن الحسين بن على السنجارى ، تولى الحكم بديار مصر غير مرة ، وولى
الوزارة أيضاً ، وكان رئيساً وقوراً مهيباً ، وقد باشر القضاء بعده اتقى الدين بن بنت الأعرز .

شرف الدين سليمان بن عثمان

الشاعر المشهور ، له ديوان . مات فى صفر منها .

الشيخ الصالح عز الدين

عبد العزيز بن عبد المنعم بن الصيقل الحراى ، ولد سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، وسمع

الكثير ، ثم استوطن مصر حتى توفي بها في رابع عشر رجب ، وقد جاوز التسعين ، وقد سمع منه الحافظ علم الدين البرزالي لما رحل إلى مصر في سنة أربع وثمانين ، وحكى عنه أنه شهد جنازة في بغداد فتبعهم نباش ، فلما كان الليل جاء إلى ذلك القبر ففتح عن الميت ، وكان الميت شاباً قد أصابته سكتة ، فلما فتح القبر نهض ذلك الشاب الميت جالساً فسقط النباش ميتاً في القبر ، وخرج الشاب من قبره ، ودفن فيه النباش . وحكى له قال : كنت مرة بقلوب و بين يدي صبرة قح ، فجاء زنبور فأخذوا حدة ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى ثم ذهب بها ، ثم جاء فأخذ أخرى أربع مرات ، قال فاتبعته فإذا هو يضع الحبة في فم عصفور أعمى بين تلك الأشجار التي هناك . قال : وحكى لي الشيخ عبد الكافي أنه شهد مرة جنازة فإذا عبد أسود معنا ، فلما صلى الناس عليها لم يصل ، فلما حضرنا الدفن نظر إلى وقال : أفاعله ، ثم ألقى نفسه في قبر ذلك الميت ، قال فنظرت فلم أر شيئاً .

الحافظ أبو اليمان

أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عساكر الدمشقي ترك الرياسة والأملأك ، وجاور بمكة ثلاثين سنة ، مقبلاً على العبادة والزهادة ، وقد حصل له قبول من الناس شامهم ومصرهم وغيرهم ، توفي بالمدينة النبوية في ثاني رجب منها .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة

فيها قدم الشجاعى من مصر إلى الشام بنسبة المصادرة لأرباب الأموال من أهل الشام وفي أواخر ربيع الآخر قدم الشيخ ناصر الدين عبد الرحمن المقدسى من القاهرة ، على وكالة بيت المال ونظر الأوقاف ، ونظر الخصاص ، ومعه تقاليد وخلع فتردد الناس إلى بابه وتكلم في الأمور وآذى الناس ، وكانت ولايته بسفارة الأمير علم الدين الشجاعى المتكلم في الديار المصرية ، توسل إليه بالشيخ شمس الدين الأيكي وابن الوحيد الكاتب ، وكانا عنده لهما صورة ، وقد طلب جماعة من أعيان الماشقة في أول هذه السنة إلى الديار المصرية فطولبوا بأموال كثيرة ، فدافع بعضهم بعضاً ، وهذا مما يخفف عقوبته من ظلمهم ، وإلا فلوصبروا لموجل الظالم بالمعقوبة ، ولزال عنهم ما يكرهون سريعاً . ولما قدم ابن المقدسى إلى دمشق كان يحكم بقرعة أم الصالح ، والناس يترددون إليه ويخافون شره ، وقد استعجد باشورة بباب الفراديس ومساطب باب الساعات للشهود ، وجدد باب الجباية الشالى ورفع ، وكان منواطنا ، وأصلح الجسر الذى تحته ، وكذلك أصلح جسر باب الفراديس تحت السويقة التى جدها عليه من الجانبين . وهذا من أحسن ما عمله ابن المقدسى ، وقد كان مع ذلك كثير الأذية للناس ظلوماً غشوماً ، ويفتح على الناس أبواباً من الظلم لاحتاجة إليها .

وفي عاشر جمادى الأولى قدم من الديار المصرية أيضاً قاضى القضاة حسام الدين الحنفى ،

والصاحب تقي الدين توبة الشكري ، وقاضى القضاة جمال الدين محمد بن سليمان الزواوى المالكي على قضاء المالكية بعد شغوره عن حاكم بدمشق ثلاث سنين ونصف ، فأقام شعار المنصب ودرس ونشر المذهب وكان له سؤدد ورياسة .

وفى ليلة الجمعة رابع شعبان توفى الملك الصالح علاء الدين بن الملك المنصور قلاوون بالسنطارية فوجد عليه أبوه وجداً شديداً ، وقد كان عهد إليه بالأمر من بعده وخطب له على المنابر من مدة سنين ، فدفعه فى تربته وجعل ولاية العهد من بعده إلى ابنه الأشرف خليل ، من بعد أبيه ، وخطب له على المنابر من بعد ذكر أبيه يوم الجمعة ، ودقت البشائر وزين البلد سبعة أيام ، ولبس الجيش الخلع وركبوا ، وأظهر الناس سروراً لشهائمه ، مع ما فى قلوبهم على أبيه لأجل ظلم الشجاعى . وفى رمضان باشر حسنة دمشق فمضى الدين بن السلوسى عوضاً عن شرف الدين ابن الشيرازى وفيه توجه الشيخ بدر الدين بن جماعة إلى خطابة القدس بعد موت خطيبه قطب الدين ، فباشر بعده تدريس القيمرية علاء الدين أحمد بن القاضى تاج الدين بن بنت الأعرز . وفى شهر رمضان كبس نصراني وعنده مسلمة وهما يشربان الخمر فى نهار رمضان ، فأمر نائب السلطنة حسام الدين لاجين بتحريق النصراني قبيل فى نفسه أموالاً جزيلة فلم يقبل منه ، وأحرق بسوق الخليل ، وهمل الشهاب محمود فى ذلك أبياتاً فى قصيدة مليحة ، وأما المرأة فجذلت الحد .

ومن توفى فيها من الأعيان الخطيب الامام قطب الدين

أبو الزكا عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن على بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن هوف ، القرشى ، الزهرى ، خطيب بيت المقدس أربعين سنة ، وكان من الصالحاء الكبار محبوباً عند الناس ، حسن الهيئة مهيئاً عزيز النفس ، يفتى الناس ويذكر التفسير من حفظه فى المحراب بعد صلاة الصبح ، وقد سمع الكثير وكان من الاخيار ، وله سنة ثلاث وستائة ، وتوفى ليلة الثلاثاء سابع رمضان عن أربع وثمانين سنة .

الشيخ الصالح العابد

إبراهيم بن معزاد بن شداد بن ماجد الجعبرى ، تقي الدين أبو إسحاق ، أصله من قلعة جعبر ، ثم أقام بالقاهرة ، وكان يحظ الناس وكان الناس يلتفتون بكلامه كثيراً . توفى بالقاهرة يوم السبت الرابع والعشرين من المحرم ، ودفن فى تربته بالحسينية ، وله نظم حسن ، وكان من الصالحاء المشهورين رحمه الله .

الشيخ الصالح

يس بن عبد الله المقرئ الحجام ، شيخ الشيوخ محيى الدين النواوى ، وقد حج عشرين حجة ، وكانت له أحوال وكرامات .

الحنوده غازية خاتون

بنت الملك المنصور قلاوون ، زوجة الملك السعيد .

الحكيم الرئيس

علاء الدين بن أبي الحزم بن نفيس ، شرح القانون لابن سينا وصنف الموجز وغيره من الفوائد
وكان يكتب من حفظه ، وكان اشتغاله على ابن الدخوارى ، وتوفى بمصر في ذى القعدة .

الشيخ بدر الدين

عبد الله بن الشيخ جمال الدين بن مالك النحوى ، شارح الألفية التى جعلها أبوه ، وهو من
أحسن الشروح وأكثرها فوائد ، وكان لطيفاً ظريفاً فاضلاً ، توفى في يوم الأحد الثامن من المحرم ،
ودفن من القديس باب الصغير . والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستائة

فيها كان فتح مدينة طرابلس : وذلك أن السلطان قلاوون قدم بالجيش المنصور المصرية
محبته إلى دمشق ، فدخلها في الثالث عشر من صفر ، ثم سار بهم وبجيش دمشق ومحبته خلق كثير
من المتطوعة ، منهم القاضي نجم الدين الحنبلى ، قاضى الحنابلة ، وخلق من القادة وغيرهم ، فنزل
طرابلس يوم الجمعة مستهل ربيع الأول ، وحاصرها بالجنايق حصاراً شديداً ، وضيقوا على أهلها تضيقاً
عظيماً ، وانصب عليها تسعة عشر من جنجيقا ، فلما كان يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة فتحت طرابلس
في الساعة الرابعة من النهار عنوة ، وشغل القتل والأسر جميع من فيها ، وغرق كثير من أهل الميناء
وسبيت النساء والأطفال ، وأخذت الخبايا والحواصل ، وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثلاث
وخمسة إلى هذا التاريخ ، وقد كانت قبل ذلك في أيدي المسلمين من زمان معاوية ، فبعد فتحها
سفيان بن نجيب لمعاوية ، فأسكنها معاوية اليهود ، ثم كان عبد الملك بن مروان جدد محاربتها وحصنها
وأسكنها المسلمين ، وصارت أمانة عامرة مطمئنة ، وبها تمار الشام ومصر ، فان بها الجزر والموز والتلج
والنصب ، والمياه جارية فيها تصعد إلى أماكن عالية ، وقد كانت قبل ذلك ثلاث مدن متقاربة ،
ثم صارت بلفاً واحداً ، ثم حولت من موضعها كاسياً إلى الآن . ولما وصلت البشارة إلى دمشق دقت
البشار وزينت البلاد وفرح الناس فرحاً شديداً والله الحمد والمنة .

ثم أمر السلطان الملك المنصور قلاوون أن تهدم البلد بما فيها من العمار والحدود والأسوار
الحصينة التى كانت عليها ، وأن يبنى على ميل منها بلدة غيرها أمكن منها وأحسن ، ففعل ذلك ،
فبنى هذه البلدة التى يقال لها طرابلس ، ثم حاد إلى دمشق . وبدأ منصوراً مسروراً مجبوراً ، فدخلها
يوم النصف من جمادى الآخرة ، وسكنه فوض الأمور والكلام في الأموال فيها إلى إلى علم الدين

الشجاعى ، فصادر جماعة وجمع أموالا كثيرة ، وحصل بسبب ذلك أذى الخلق ، وبس هذا الصنيع فان ذلك تعجيل لدمار الظالم وهلاكه ، فلم يفتن عن المنصور ما جمع له الشجاعى من الأموال شيئا ، فانه لم يمش بعد ذلك إلا اليسير حتى أخذه الله أخذ القرى وهى ظلمة ، كما سبأنى . ثم سافر السلطان فى ثنائى شعبان بجيشه إلى الديار المصرية ، فدخلها فى أواخر شعبان . وفيها فتحت قلاع كثيرة بناحية حلب : كركر ، وتلك الدواحي ، وكسرت طائفة من التتر هناك ، وقتل ملكهم خربندا نائب التتر على ملطية .

وفيها تولى الحسبة بدمشق جمال الدين يوسف بن التقي توبة التكريزى ثم أخذها بعد شهر راج الدين الشيرازى . وفيها وضع منبر عند محراب الصحابة بسبب حمارة كانت فى المقصورة ، فصلى برهان الدين الاسكندرئى نائب الخطيب بالناس هناك مدة شهر ، الجماعات والجمعات ، ابتدؤا ذلك من يوم الجمعة الثانى والعشرين من ذى الحجة .

ومن توفى فيها من الأعيان للشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم زوجة النجم بن إسرائيل ، كانت من بيت الفقراء لها سلطنة وإقدام وترجمة وكلام فى طريقة الحريرية وغيرهم ، وحضر جنازتها خلق كثير ، ودفنت عند الشيخ رسلان .

العالم ابن الصاحب

الشيخ المالحن ، هو الشيخ الفاضل علم الدين أحمد بن يوسف بن عبد الله بن شكر ، كان من بيت علم ورياسة ، وقد درس فى بعض المدارس ، وكانت له وجهة ورياسة ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على الحرفشة ومحبة الحرافيش والتشبه بهم فى اللباس والطريقة ، وأكل الحشيش واستعمله ، كان من الفهم فى المصلحة والهجون والزوائد الرائقة الفائقة التى لا يلحق فى كثير منها ، وقد كان له أولاد فضلاء ينهونه عن ذلك فلم يلتفت إليهم ، ولم يزل ذلك دأبه حتى توفى ليلة الجمعة الحادى والعشرين من ربيع الأول . ولما ولى القضاء الأربعة كان ابن خالته تاج الدين بن بنت الأعمز مستقلا فى القضاء قبل ذلك ، فقال له ابن الصاحب المذكور : ما مت حتى رأيتك صاحب ربيع ، فقال له : تسكت وإلا تخليتهم يستقونك السم ، فقال له : فى قلة دينك فعل ، وفى قلة عقولهم يسموا منك ، وقال بملح الحشيشة الخسيسة :

فى خيار الحشيش معنى مراى • يا أهيل القول والانهام
حرموها عن غير عقل وقيل • وحرام تعريم غير الحرام
وله أيضا : يافنس مبل إلى النصاب • فالهر منه الفنى يعيش
ولا تملى من سكر يوم • إن أهوز الحر الحشيش

وله أيضاً : جمعت بين الحشيش والخمر * فرحت لا أهندي من السكر
يامن يريني لباب مدرستي * يربح والله غاية الأجر
وقال يهجو صاحب بهاء الدين بن الحنا .
أقدم بهاوتها * لا بد أن تتعنى * تكتب على بن محمد * من أين لك يا ابن حنا
فاستدعاه فصر به ثم أمر به إلى المارستان فكث فيه سنة ثم أطلق .

شمس الدين الأصبهاني

شارح الحصول : محمد بن محمود بن محمد بن عباد السلماني العلامة ، قدم دمشق بعد الحسين
وسمائه ، وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله ، وسمع الحديث وشرح الحصول للرازي ، وسنف القواعد في
أربعة فروع ، أصول الفقه ، وأصول الدين ، والمنطق ، والخلاف . وله معرفة جيدة في المنطق والنحو
والأدب ، وقد رحل إلى مصر فدرس بمشهد الحسين والشافعي وغيرهما ، ورحل إليه الطلبة ، توفي في
العشرين من رجب في القاهرة عن ثنتين وسبعين سنة .

الشمس محمد بن العفيف

سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني ، الشاعر المطبق ، كانت وفاته في حياة أبيه فلما
له ووجد عليه وجدا شديدا ، وراه بأشعار كثيرة ، توفي يوم الأربعاء الرابع عشر من رجب ،
وصلى عليه بالجامع ، ودفن بالصوفية . فن رائق شعره قوله :

وإن ثنياه نجومٌ لبدرد * وهن لمقد الحسن فيه فرائد
وكم يتجافى خصره وهو فاحل * وكم يتحلى ثغره وهو بارد

وله يذم الحشيشة :

ما للحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف إلى رشده
صفراء في وجهه خضراء في فمه * حمراء في عينه سوداء في كبده
ومن شعره أيضاً : بدا وجهه من فرق ذابل خدر * وقد لاحت من سود الذوائب في جنح
قلبت عجيب كيف لم يذهب الدجا * وقد طلعت قمم النهار على رمح

وله من جملة أبيات .

ما أنت عندى والقضية * بآل الدين في حيسوى * هذا كحركة المواء * وانت حركت الموى
الملك المنصور شهاب الدين

محمود بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، توفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان ، وصلى عليه
بالجامع ، ودفن من يومه بتربة جده ، وكان ناظرها ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان يحب أهله ،

وكان فيه لطف وتواضع . الشيخ فخر الدين أبو محمد

عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي الحنبلي ، شيخ دار الحديث النورية ومشهد ابن عروة ، وشيخ الصديرة ، كان يفتي ويفيد الناس مع ديانة وصلاح وزهادة وعبادة ، ولد سنة إحدى عشرة وستمائة ، وتوفي في رجب منها . ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة

فيها كانت وفاة الملك المنصور قلاوون ، وكان الخليفة الحاكم العباسي ، ونائب مصر حسام الدين طرطاي ، ونائب الشام حسام الدين لاجين ، وقضاة الشام شهاب الدين بن الخوري الشافعي ، وحسام الدين الحنفي ، ونجم الدين بن شيخ الجبل ، وجمال الدين الزواوي المالكي ، وجاء البريد يطالب شمس الدين منقر الأشقر إلى الديار المصرية ، فأكرمه السلطان وقواه وشديده وأمره باستخلاص الأموال ، وزاده مشهد الجيوش ، والكلام على الحصون إلى البيرة وكنتا وغير ذلك ، قوت نفسه وزاد تجميعه . ولكن كان يرجع إلى مروءة وستر وينفع من ينتهي إليه ، وذلك مودة في الدنيا في أيام قلائل ، وفي جمادى الآخرة جاء البريد بالكشف على ناصر الدين المقدسي وكيل بيت المال ، وناظر الخصاص فظهرت عليه مخازي من أكل الأوقاف وغيرها ، فرسم عليه بالمندراوية وطواب بتلك الأموال وضيق عليه ، وعمل فيه سيف الدين أبو العباس السامري قصيدة يتشفي فيها لما كان أسدى إليه من الظلم والأيذاء . مع أنه راح إليه ونعم له وتمازحاً هناك ، ثم جاء البريد يطلبه إلى الديار المصرية تغاف النول من خبابه ، فأصبح يوم الجمعة وهو مشنوق بالمدرسة المندراوية ، فطلبت القضاة والشهود فشاهدوه كذلك ، ثم جهز وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بمقابر الصوفية عند أبيه ، وكان مدرساً بالرواحية وتربة أم الصالح ، مع الوكالتين والنظر .

وجاء البريد بعمل بحائيق لمصارعكا فركب الأعمى إلى أراضى بعلبك لما هناك من الأخشاب العظيمة التي لا يوجد مثلها بدمشق ، وهي تصلح لذلك ، فكثر الجبايات والجبايات والسخر ، وكانوا الناس تسكيناً كثيراً ، وأخذوا أخشاب الناس ، وحملت إلى دمشق بكلفة عظيمة وشدة كثيرة ، فانافذوا إنا إليه راجعون .

وفاة الملك المنصور قلاوون

بينما الناس في هذا الهم والمصادرات وأمثال ذلك إذ وردت بريدية فأخبروا بوفاة الملك المنصور يوم السبت سادس ذي القعدة من هذه السنة ، بالخيم ظاهر القاهرة ، ثم حل إلى قلعة الجبل ليلاً وجلس بعده ولده الملك الأشرف خليل بولاية العهد له ، وحلف له جميع الأمراء ، وخطب له على المنابر ، وركب في أبهة الملك ، والعساكر كلهم في خدمته مشاة من قلعة الجبل إلى الميدان الأسود الذي هو سوق الخليل ، وعلى الأمراء والمقدمين الخلع ، وعلى القضاة والأعيان ، ولما جاءت الأخبار

بذلك حاف له الامراء بالشام ، وقبض على حسام الدين طارقطاي نائب أبيه وأخذته أموالا جزيلة أنفق منها على المساكر .

وفيها ولي خطابة دمشق زين الدين مهر بن مكي بن المرحل عوضا عن جمال الدين بن عبدالكافي وكان ذلك بمساعدة الأعسر ، وتولى نظر الجامع الرئيس وجيه الدين بن المنجي الخنيلي ، عوضا عن ناصر الدين بن المقدسي ، ونمر وقفه وعمره وزاد مائة وخمسين ألفا . وفيها اخترفت دار صاحب حمة ، وذلك أنه وقع فيها نار في غيبته فلم يتجاسر أحد يدخلها ، فعملت النار فيها رمين فاحترقت واحترق كل ما فيها .

وفي شوال درس بتربة أم الصالح بعد ابن المقدسي القاضي إمام الدين القنوي ، وفيها باشر الشريف حسين بن أحمد بن الشيخ أبي هر قضاه الخنابلة عوضا عن ابن عمه نجم الدين بن شيخ الجبل ، عن مرسوم الملك المنصور قبل وفاته . وحج بالناس في هذه السنة من الشام الأمير بدر الدين بكتوت الدوباسي ، وحج قاضي القضاة شهاب الدين بن الخلوي ، وشمس الدين بن السلموس ومقدم الركب الأمير عتبة ، فتوهم منه أبو نبي ، وكان بينهما عداوة ، فأغلق أبواب مكة ومنع الناس من دخولها فاحرق الباب وقتل جماعة ونهب بعض الاماكن ، وجرت خطوب فظيمة ، ثم أرسلوا القاضي ابن الخلوي ليصالح بين الفريقين ، ولما استقر عند أبي نبي رحل الركوب وبقي هو في الحرم وحده وأرسل معه أبو نبي من ألقه بهم سالما معظما . وجاء الخبر ب موت المنصور إلى الناس وهم بمصر فارتفعت وهذا شيء عجيب . وجاء كتاب يستحث الوزير ابن السلموس في المسير إلى الديار المصرية ، وبين الأسطر بخط الملك الأشرف نيا شير يا وجه الخير احضر لتسلم الوزارة . فساق إلى القاهرة فوصلها يوم الثلاثاء عاشر الحرم ، فسلم الوزارة كما قال السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان السلطان الملك المنصور قلاوون

ابن عبد الله التركي الصالحى الأتني ، اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، بألفي دينار ، وكان من أكابر الأمراء عنده وبهده ، ولما تزوج الملك السعيد بن الظاهر بابنته غازية خاتون ، عظم شأنه جدا عند الظاهر ، وما زال يترفع في الدولة حتى صار أتابك سلاش بن الظاهر ، ثم رفعه من البين واستقل بالملك في سنة أربع وثمانين ، وفتح طرابلس سنة ثمان وثمانين ، وعزم على فتح عكا وبرز إليها فعاجلته المنية في السادس والعشرين من ذي القعدة ، ودفن بتربة مدرسته الهائلة التي أنشأها بين القصرين ، التي ليس بديار مصر ولا بالشام مثله . وفيها دار حديث ومارستان . وعليها أوقاف دارة كثيرة عظيمة ، مات عن قريب من ستين سنة ، وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة ، وكان حسن الصورة مهيبا ، عليه أمية السلطنة

ومهاية الملك ، قام القامة حسن الاحية على الهمة شجاعا وقورا ساعده الله .

الأمير حسام الدين طرقي

فائب السلطنة المنصورية بمصر ، أخذه الأشرف فسمجنه في قلعة الجبل ، ثم قتله وبقى ثمانية أيام لا يدري به ، ثم لف في حصير وألقى على مزبلة ، وحزن عليه بعض الناس ، فكفن كآحاد الفقراء بعد النعم الكثير ، والدنيا المتسعة ، والكلمة النافذة ، وقد أخذ السلطان من حواصله ستمائة ألف دينار وسبعين قنطاراً بالمصرى فضة ، ومن الجواهر شيئا كثيرا ، سوى الخيل والبغال والجمال والأمنعة والبسط الجياد ، والأسلحة الثمينة ، وغير ذلك من الحواصل والأموال بمصر والشام ، وترك ولدين أحدهما أعمى ، وقد دخل هذا الأعمى على الأشرف فوضع المنديل على وجهه وقال شئ لله وذكر له أن لهم أياما لا يجهون شيئا يأكلونه ، فرق له وأطلق لهم الأملاك يأكلون من ريعها ، فسبحان الله المتصرف في خلقه بما يشاء ، يميز من يشاء وينل من يشاء .

الشيخ الإمام العلامة

رشيد الدين عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقي الشافعي ، مدرس الظاهرية ، توفى بها وقد جاوز التسعين ، وحد مخنوقا في الحرم ، ودفن بالصوفية ، وقد جمع الحديث وكلن مفردا في فنون من العلوم كثيرة ، منها علم النحو والأدب وحل المترجم والكتابة والانشاء وعلم الفلك والنجوم وضرب الرمل والحساب وغير ذلك ، وله نظم حسن .

الخطيب جمال الدين أبو محمد

عبد الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربيعي ، توفى بدار الخطابة وحضر الناس الصلاة عليه يوم السبت سابع جمادى الأولى ، وحمل إلى السفيح فدفن إلى جانب الشيخ يوسف الفقاهي .

فخر الدين أبو الظاهر إسماعيل

ابن عز القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد بن أبي اليمن ، الشيخ الزاهد المتقل من متاع الدنيا ، توفى في العشرين من رمضان ، وصلى عليه في الجامع ، ودفن بترية بني الزكي بقاسيون محبة في يحيى الدين بن عربي ، فإنه كان يكتب من كلامه كل يوم ووقتتين ، ومن الحديث ووقتتين وكان مع هذا يحسن الظن به ، وكان يصلي مع الأئمة كلهم بالجامع ، وقد أخبر عنه بعض العلماء أنه رأى بخطه . وفي كل شئ له آية * تدل على أنه عينه

وقد صحح على « عينه » وإنما الصحيح المروى عن أنشد هذا الشعر

* تدل على أنه واحد *

وله شرفه : والتبر مفسن في النصون هوى * فراح في قلبه يمثلها

فَنَارَ مَنْةَ النَّسِيمِ مَاشِقَهَا * فُجَاءَ عَنْ وَصْلِهِ يَمْلِكُهَا
 لَهُ أَيْضًا : لَمَّا تَحَقَّقَ بِالْإِمَّاكَانِ فَوْقَكُمْ * وَقَدْ بَدَأَ حَكْمُهُ فِي عَالَمِ الصُّورِ
 فَبِزْ الْجَمْعِ عَنْهُ وَهُوَ مُتَّخِذٌ * فَلَاحَ فَرْقَكُمْ فِي عَالَمِ الصُّورِ
 لِي سَادَّةٌ لَا أَرَى سَوَامٍ * هُمْ عَيْنٌ مَعْنَى وَعَيْنٌ جَوْفِ
 لَقَدْ أَحَاطُوا بِكُلِّ جُزْءٍ * مَنَى وَعَزَوْا عَنْ دَرْكِ طَرَفِ
 هُمْ نَظَرُوا فِي عَوَمٍ قَرَى * وَطَوَّلَ ذُلَّ وَفَرَطٍ ضَمَنِ
 فَمَا لَوِي يَبْحَثُ جُودٍ * وَصَرَفَ بِرُوحِضٍ لَعَابِ
 فَلَا تَلَمْ إِنْ جَرَّتْ ذَيْلِي * نَفَرًا بِهِمْ أَوْ ثَنِيَتْ عَطْفِي
 مُوَاهِبُ ذِي الْجَلَالِ لَدَى تَهْرِي * قَدْ أَخْرَسَتْنِي وَفَطَنْتُنِي شُكْرَا
 لَهُ :
 فَنَعْمَى إِثْرَ نَعْمَى إِثْرَ نَعْمَى * وَبَشَرَى بَعْدَ بَشَرَى بَعْدَ بَشَرَى
 لَهَا بَدَأَ وَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ * يَعْمُ مَزِيدُهَا دُنْيَا وَأُخْرَى

الحاج طيبرس بن عبد الله

علاء الدين الوزير، صهر الملك الظاهر، كان من أكابر الأمراء ذوي الحل والمقد، وكان ديناً
 كثير الصدقات، له خان بدمشق أوقفه، وله في فكك الأسرى وغير ذلك، وأوصى عند موته
 بثلاثمائة ألف تصرف على الجند بالشام ومصر، فحصل لكل جندي خمسون درهماً، وكانت وفاته
 في ذي الحجة، ودفن بترابته بسفح المقطم.

قاضي القضاة

نجم الدين أبو العباس بن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر المقدسي، توفي ثاني عشر رجب
 بسوا، وكان فاضلاً بارعاً خطيباً مدرساً بأكبر المدارس، وهو شيخ الحنابلة وابن شيخهم، وتولى
 بعده القضاة الشيخ شرف الدين حسين بن عبد الله بن أبي عمر، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من الهجرة

فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطاولة، ولم يبق لهم فيها
 حجر واحد والله الحمد والمنة

استتمت هذه السنة والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس العباسي، وسليمان البلاد الملك الأشرف
 خليل بن المنصور قلاوون، ونائبه بمصر وأعمالها بدر الدين بيسدرا، ووزيره ابن السلوس
 صاحب شمس الدين، ونائبه بالشام حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري، وقضاة الشام

م المذكورون في التي قبلها ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، وصاحب مكة نجم الدين أبو نجي محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسيني ، وصاحب المدينة عز الدين جهاز بن شيعة الحسيني ، وصاحب الروم غياث الدين كنجسر ، وهو ابن ركن الدين قلع أرسلان السلجوقي ، وصاحب حماة أقي الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر أقي الدين محمد ، وسلطان بلاد العراق وخراسان وتلك النواحي أرغون بن أبا بن هولان بن تولى بن جنكزخان .

وكان أول هذه السنة يوم الخميس وفيه تصدق عن الملك المنصور أموال كثيرة جداً من الذهب والفضة ، وأنزل السلطان إلى تربته في ليلة الجمعة فدفن بها تحت القبة ، ونزل في قبره بدر الدين بيدرا ، وعلم الدين الشجاعى ، وفرت صدقات كثيرة حينئذ ، ولما قدم صاحب شمس الدين بن السلجوس من الحجاز خلع عليه للوزارة ، وكتب تقليده بها القاضي محيى الدين بن عبد الظاهر كاتب الانشا بيده ، وركب الوزير في أمة الوزارة إلى داره ، وحكم . ولما كان يوم الجمعة قبض على شمس الدين سنقر الأشقر وسيف الدين بن جرمك الناصرى ، وأفرج عن الأمير زين الدين كتيبا وكان قد قبض عليه مع طرقاتى ، ورد عليه أقطاعه ، وأعيد النقي توبة إلى وزارة دمشق مرة أخرى . وفيها أثبت ابن الخوى محضراً يتضمن أن يكون تدريس الناصرية للقاضى الشافعى وانزعها من زين الدين الفارقي . فتع عكا وبقيّة السواحل

وفيها جاء البريد إلى دمشق في مستهل ربيع الأول لتجهيز آلات الحصار لعكا ، ونودي في دمشق الغزاة في سبيل الله إلى عكا ، وقد كان أهل عكا في هذا الجين عدوا على من غنهم من تجار المسلمين فقتلوا وأخذوا أموالهم ، فأبرزت المناجيق إلى ناحية الجسورة ، ونجرت العامة والمتطوعة يخرجون في المعجل حتى الفقهاء والمدرسين والصالحاء ، وتولى ساقها الأمير علم الدين الدويدارى ، وخرجت المساكر بين يدي نائب الشام ، وخرج هو في آخرهم ، ولحقه صاحب حماة الملك المظفر وخرج الناس من كل صوب ، واتصل بهم عسكر طرابلس ، وركب الأشرف من الديار المصرية بمساكره فاصداً عسكا ، فتوافت الجيوش هناك ، فنازلها يوم الخميس رابع ربيع الآخر ونصبت عليها المناجيق من كل ناحية يمكن نصبها عليها ، واجتهدوا غاية الاجتهاد في محاربتها والتضييق على أهلها ، واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخارى ، فقرأه الشيخ شرف الدين الفزارى ، فحضر القضاة والفضلاء والأعيان . وفي أثناء محاصرة عكا وقع تخييط من نائب الشام حسام الدين لاجين ، فتوهم أن السلطان يريد مسكه ، وكان قد أخبره بذلك الأمير الذى يقال له أبو خرص ، فركب هاربا فرد علم الدين الدويدارى بالمسا به وجاء به إلى السلطان فطيب قلبه وخلع عليه ثم

أمسكه بعد ثلاثة أيام وبعثه إلى قلعة صند واحتاط على حواصله، ورسم على أستاذ داره بدر الدين بكداش، وجري مالا يلبق وقوعه هنالك، إذ الوقت وقت عسر وضيق وحصار. وصمم السلطان على الحصار فرتب الكوسات ثلثمائة حمل، ثم زحف يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ودقت الكوسات جملة واحدة عند طلوع الشمس، وطاع المسلمون على الأسوار مع طلوع الشمس، ونصبت السناجق الإسلامية فوق أسوار البلد، فوات الفرنج عند ذلك الأدبار، ودركوا هاربين في حراكب التجار، وقتل منهم عدد لا يملئه إلا الله تعالى، وغنموا من الأمتعة والرقيق والبضائع شيئاً كثيراً جداً، وأمر السلطان بهدمها وتخريبها، بحيث لا يفتفع بها بعد ذلك، فبسر الله فتحها نهار جمعة، كما أخفنتها الفرنج من المسلمين في يوم الجمعة، وسلمت صور وصيدا قياتهما إلى الأشرف، فاستوثق الساحل للمسلمين، وتنظف من الكافرين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

وجاءت المطابقة إلى دمشق بذلك ففرح المسلمون، ودقت البشائر في سائر الحصون، وزينت البلاد لينزله فيها النافرون والمتفرجون، وأرسل السلطان إلى صور أمير أفهم أسوارها وعفا آثارها. وقد كان لها في أيدي الفرنج من سنة ثمان عشرة وخمسمائة. وأما عكا فقد كان الملك الناصر يوسف بن أيوب أخذها من أيدي الفرنج، ثم إن الفرنج جاؤا فأحاطوا بها بجيوش كثيرة، ثم جاء صلاح الدين ليما نهم عنهم مدة سبعة وثلاثين شهراً، ثم آخر ذلك استملكوها وقتلوا من كان فيها من المسلمين، كما تقدم ذلك.

ثم إن السلطان الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سار من عكا قاصداً دمشق في أبهة الملك وحرمة وافرة، وفي صحبته وزيره ابن السمعوس والجيوش المنصورة، وفي هذا اليوم استناب بالشم الأمير علم الدين سنجر الشجاع، وسكن بدار السعادة، وزيد في إقطاعه حرساً ولم تقطع له نيرة، وإنما كانت لمصالح حواصل القلعة، وجعل له في كل يوم ثلثمائة على دار الطعام، وفوض إليه أن يطلق من الخزانة ما يريد من غير مشاورة ولا مراجعة، وأرسله السلطان إلى صيدا لأنه كان قد بقى بها برج عسى، ففتحته ودقت البشائر بسببه، ثم عاد سريعاً إلى السلطان فودعه، وسار السلطان نحو الديار المصرية في أواخر رجب، وبعثه إلى بيروت ليفتحها فصار إليها ففتحها في أقرب وقت، وسلمت عثلية وانطرطوس وجبيل. ولم يبق بالسواحل ولله الحمد معقل للفرنج إلا بأيدي المسلمين، وأراح الله منهم البلاد والعباد، ودخل السلطان إلى القاهرة في ناسع شعبان في أبهة عظيمة جداً، وكان يوماً مشهوداً. وأفرج عن بدر الدين يسرى بعد سجن سبع سنين. ورجع علم الدين سنجر الشجاع نائب دمشق إلى دمشق في سابع عشرين الشهر المذكور، وقد نظف السواحل من الفرنج بالكلية، ولم يبق لهم بها حجر. وفي رابع رمضان أفرج عن حسام الدين لاجين من قلعة صند ومعه جماعة

أمراء ، ورد عليهم إقطاعاتهم ، وأحسن إليهم وأكرمهم .
وفي أوائل رمضان طلب القاضي بدر الدين ابن جماعة من القدس الشريف وهو حاكم به ، وخطيب
فيه ، على البريد إلى الديار المصرية فدخلها في رابع عشره ، وأفطر ليلته عند الوزير ابن السلحوس
وأكرمه جداً واحترمه ، وكانت ليلة الجمعة ، فصرح الوزير بعزل تقي الدين ابن بنت الاعز وتولية ابن
جماعة بالديار المصرية قضاء القضاة ، وجاء القضاة إلى تهنئته وأصبح الشهود بخدمة ، ومع القضاء
خطابة الجامع الأزهر ، وتدريس الصالحية ، وركب في الخلعة والطرحة ورسم بقية القضاة أن يستمروا
بلبس الطرحات ، وذهب تغطب بالجامع الأزهر ، وانتقل إلى الصالحية ودرس بها في الجمعة الأخرى
وكان درساً حائلاً ، ولما كان يوم الجمعة رسم السلطان للحاكم بأمر الله أن يخطب هو بنفسه الناس يومئذ
وأن يذكر في خطبته أنه قد ولي السلطنة للأشرف خليل بن المنصور ، فلبس خلعة سوداء وخطب
الناس بالخطبة التي كان يخطب بها في الدولة الظاهرية ، وكانت من إنشاء الشيخ شرف الدين المقدسي
في سنة ستين وستمائة ، فيكون بين الخطبتين أزيد من ثلاثين سنة ، وذلك بجامع قلعة الجبل ، ثم
استمر ابن جماعة يخطب بالقلعة عند السلطان ، وكان يستنيب في الجامع الأزهر .

وأما ابن بنت الاعز فناله من الوزير إخراج ومصادرة وإهانة بالسة ، ولم يترك له من مناصبه
شيئاً ، وكان بيده سبعة عشر منصباً ، منها القضاء والخطابة ونظر الأحباس ومشيخة الشيوخ ، ونظر
الخزانة وتدريس كبار ، ومصادره بنحو من أربعين ألف ، غير مرا كبه وأشياء كثيرة ، ولم يظهر منه
استكانة له ولا خضوع ، ثم عاد فرضى عنه وولاه تدريس الشافعي ، وعملت ختمة عند قبر المنصور
في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة وحضرها القضاة والأمراء ، ونزل السلطان ومعه الخليفة إليهم وقت
السحر ، وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة ، عرض الناس على غزو بلاد العراق واستنقاذها
من أيدي التتر ، وقد كان الخليفة قبل ذلك محتجباً فرآه الناس جبهة ، وركب في الاسواق بعد ذلك .
ومل أهل دمشق ختمة عظيمة بالميدان الأخضر إلى جانب القصر الأبلق ، فقرئت ختمات كثيرة
ثم خطب الناس بعدها الشيخ عز الدين القاروني ، ثم ابن البرزوري ، ثم تكلم من له عادة بالكلام
وجامع البريدية بالتهويل لغزو العراق ، ونودي في الناس بذلك ، وعملت سلاسل عظام بسبب
الجسورة على دجلة ببغداد ، وحصلت الأجور على المقصود وإن لم يقع المقصود ، وحصل لبعض
الناس أذى بسبب ذلك .

وفيهما نادى نائب الشام الشجاعى أن لا تلبس امرأة عمامة كبيرة ، وخرب الأبلية التي على
نهر بانياس والجداول كلها والمساح والسقايات التي على الأنهار كلها ، وأخرب جسر الزلاية وما عليه
من الدكاكين ، ونادى أن لا يمشى أحد بعد العشاء الآخرة ، ثم أطلق لهم هذه قطع ، وأخرب الحمام

الذى كان بناء الملك السعيد ظاهر باب النصر ، ولم يكن بدمشق أحسن منه ، ووسع الميدان الأخضر من ناحية الشمال مقدار سدسه ، ولم يترك بينه وبين النهر الا مقدارا يسيراً ، وعمل هو بنفسه والأمراء بهيطانه .

وفيها حبس جمال الدين آقوش الأفرم المنصورى وأميراً آخر معه فى القلعة .
وفيها حل الأمير علم الدين الدويدارى إلى الوار المصرية مقيداً . وقد نظم الشيخ شهاب الدين محمود قصيدة فى فتح عكا .

الحمدُ لله زالت دولة الصليب * وعزَّ بالترك دين المصطفى العربى
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت * رؤياه فى النوم لاستحيث من الطلب
ما بهد عكا وقد هدت قواعدها * فى البحر للترك عند البر من أرب
لم يبق من بعدها لكفر إذ خربت * فى البحر والبر ما ينجى سوى الحرب
أم الحروب فكم قد أنشأت فتناً * شاب الوليد بها هولاً ولم تشب
ياوم عكا لقد أنسيت ما سبقت * به الفتوح وما قد خط فى الكتب
لم يبالغ النفاق حد الشكر فيك فـ * عسى يقوم به ذو الشعر والأدب
أغضبت مباد عيسى إذ أبدتهم * لله أى رضى فى ذلك الغضب
وأشرف المادى المصطفى البشير على * ما أسلف الأشرف السلطان من قرب
قرر عينا لهذا الفتح وإبتهجت * بيشروم السكبة الفراء فى الحجب
وسار فى الأرض سيراً قد جمعت به * فالبر فى طرب ، والبحر فى حرب

وهى طويلة جداً ، وله تفسيره فى فتح عكا أشعار كثيرة . ولما رجع البريد أخبر بأن السلطان لما عاد إلى مصر خلع على وزيره ابن السلدوس جميع ملابسه التى كانت عليه ، ومركوبه الذى كان تحته ، فركبه ورسم له بثانية وسبعين ألفاً من خزانة دمشق ، ليشتري له بها قرية قرحتا من بيت المال .

وفى هذه السنة انتهت عمارة قلعة حلب بعد الخراب الذى أصابها من هولاء وأصحابه عام ثمان وخسين . وفيها فى شوال شرع فى عمارة قلعة دمشق وبناء الدور السلطانية والطارمة والقبّة الزرقاء ، حسب ما رسم به السلطان الأشرف خليل بن قلاوون لنائبه علم الدين سنجر الشجاعى . وفيها فى رمضان أعيد إلى نيابة القلعة الأمير أرجواش ولمعطى إقطاعات سنية . وفيها أرسل الشيخ الرجيعى من ذرية الشيخ بونس مضيقاً عليه محصوراً إلى القاهرة ، وفيها درس عز الدين القارونى بالمدرسة النجيبية عوضاً عن كمال الدين ابن خلكان ، وفى ذلك اليوم درس نجم الدين مكى بالرواحية

عوضاً عن ناصر الدين ابن المقدسى ، وفيه درس كمال الدين الطيب بالمدرسة الدخوارية الطيبة ، وفي هذا الشهر درس الشيخ جلال الدين الخبازى بالخاتونية البرانية ، وجمال الدين بن الناصر ابقى بالفتحية ، وبرهان الدين الاسكندرى بالقوصية التى بالجامع ، والشيخ نجم الدين التمشق بالشريفية عند حارة الغرباء . وفيها أعيدت الناصرة إلى الفاروق وفيه درس بالأملية القاضى نجم الدين ابن مصرى بعد ابن الزملى ، وأخذت منه العادلية الصغيرة لجمال الدين ابن الزملى .

ومن توفى فيها من الأعيان : ارغون بن أبغا ملك التتار

كان شهماً شجاعاً سفاكاً لدماء ، قتل عمه السلطان أحمد بن هولكو ، فعمم في أعين المغول فلما كان في هذه السنة مات من شراب شربه فيه سم ، فتهمت المغول بالموذ به - وكان وزيره سعد الدولة ابن الصفي يهودياً - فقتلوا من اليهود خلقاً كثيراً ، ونهبوا منهم أموالاً عظيمة جداً في جميع مدائن العراق ، ثم اختلفوا فيمن يقيمونه بعده ، فالت طائفة إلى كيخسرو فأجسوه على سرير المملكة ، فبقى مدة ، قيل سنة وقيل أقل من ذلك ، ثم قتلوه وملكوا بعده بيدرا . وجاء الخبر بوفاة أرغون إلى الملك الأشرف وهو محاصر صكا ففرح بذلك كثيراً ، وكانت مدة ملك أرغون ثمان سنين ، وقد وصفه بعض مؤرخى العراق بالعدل والسياسة الجيدة .

المسند المعمر الرحالة

فخر الدين بن النجار وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المقدسى الحنبلى المعروف بابن النجار ، ولد في سلخ أو مستهل سنة ست وسبعمائة وسمع الكثير ورحل مع أهله ، وكان رجلاً صالحاً عابداً زاهداً ورعاً ناسكاً ، تفرد بروايات كثيرة لطول عمره ، وخرجت له مشيخات وسمع منه الخلق الكثير والجسم الفغير ، وكان منصوباً لذلك حتى كبر وأسن وضعف عن الحركة ، وله شعر حسن ، منه قوله :

تكررت السنون على حتى * بليت وصرت من سطر المتاع
وقل النفع عندي غير أنى * أعلل بالرواية والسماع
فإن يك خالصاً فله جزاء * وإن يك مالتاً فالى ضياع
وله أيضاً : إليك اعتذارى من صلاتى قاعداً * وهجزي عن سعى إلى الجمعات
وتركي صلاة الفرض في كل مسجد * تجميع فيه الناس للصلوات
فيارب لا تعمق صلاتى ونجتي * من النار واصفح لي عن المفوات

توفى ضحى نهار الأربعاء ثلثي ربيع الآخر من هذه السنة ، عن خمس وتسعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن عند والده الشيخ قيس الدين أحمد بن عبد الواحد بسفح قاسيون .

الشيخ تاج الدين الفزاري

عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو عبد الفزاري ، الامام العلامة العالم ، شيخ الشافعية في زمانه ، حاز قصب السبق دون أقرانه ، وهو والد شيخنا العلامة برهان الدين . كان مولد الشيخ تاج الدين في سنة ثلاثين وستمائة ، وتوفي ضحى الاثنين خامس جمادى الآخرة ، بالمدرسة البادرانية وصلى عليه بعد الظهر بالاموى ، تقدم للصلاة عليه قاضى القضاة شهاب الدين بن الخوي ، ثم صلى عليه عند جامع جراح الشيخ زين الدين الفارقي ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وكان يوما شديد الزحام . وقد كان ممن اجتمع فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة ، والأخلاق اللطيفة ، وفصاحة المنطق ، وحسن التصنيف ، وعلا الهمة ، وفقه النفس ، وكتابه الأقليم الذي جمع على أبواب التنبيه وصل فيه إلى باب النصب ، دليل على فقه نفسه وعلو قدره ، وقوة همة ونفوذ نظره ، واتصافه بالاجتهاد الصحيح في غالب ما سطره ، وقد انتفع به الناس ، وهو شيخ أكابر مشايخنا هو ومحي الدين النووي ، وله اختصار الموضوعات لابن الجوزي ، وهو عندى بخطه ، وقد سمع الحديث الكثير وحضر عند ابن الزبيدي صحيح البخاري ، وسمع من ابن اللبثي وابن الصلاح واشتغل عليه ، وعلى ابن عبيد السلام وانتفع بهما ، وخرج له الحافظ علم الدين البرزالي أحد تلاميذه مشيخة في عشرة أجزاء عن مائة شيخ فسمعا عليه الأعيان : وله شرح جيد فنه :

لله أيام جمع الشمل ما برحت * بها الحوادث حتى أصبحت ممرا
ومبتدا الحزن من تاريخ مسألتى * عنكم ، فلم ألقى لأعيناً ولا أنرا
ياراحلين قد رثتم فالنجاة لكم * ونحن للمعجز لا نستعجز القدرا

وقد ولى المدرس بعده بالبادرانية والحلقة والفتيا بالجامع ولده شيخنا برهان الدين ، فشى على طريقة والده وهديه وممته رحمه الله . وفي ثالث شعبان توفي

الطبيب الماهر عز الدين إبراهيم بن محمد بن طرخان

السويدي الأنصاري ، ودفن بالسفح عن تسعين سنة ، وروى شيئا من الحديث ، وفاق أهل زمانه في صناعة الطب ، وصنف كتباً في ذلك ، وكان يرمي بقلة الدين وترك الصلوات وانحلال في العقيدة ، إنكار أمور كثيرة مما يتماق باليوم الآخر ، والله يحكم فيه وفي أمثاله بأمره العدل الذي لا يجوز ولا يظلم . وفي شعره ما يدل على قلة عقله ودينه وعدم إيمانه ، واعتراضه على تحریم الحر ، وأنه قد طال رمضان عليه في تركها وغير ذلك .

الشيخ الإمام العلامة

علاء الدين أبو الحسن علي بن الامام العلامة كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن

خلف الانصارى الزملى كاتى ، وقد درس بعد أبيه المذكور بالأمية ، وكانت وفاة والده هذا ليلة الثلاثاء التاسع والعشرين من ربيع الآخر بالأمية ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده الأمير الكبير بدر الدين على بن عبد الله الناصرى ، ناظر الرباط بالصالحية ، من وصية أستاذه ، وهو الذى ولى الشيخ شرف الفزارى مشيخة الرباط بعد ابن الشريشى جمال الدين ، وقد دفن بالتربة الكبيرة داخل الرباط المذكور .

الشيخ الامام أبو حفص عمر بن يحيى بن عمر الكرخي
صهر الشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأحد تلاميذه ، ولد سنة تسع وتسعين وخمسة ، ومات يوم الاربعاء ثمانى ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن إلى جانب ابن الصلاح .
الملك العادل بدر الدين سلامش بن الظاهر

الذى كان قد بويع بالملك بعد أخيه الملك السعيد ، وجعل الملك المنصور قلاوون أتابكه ، ثم استقل قلاوون بالملك ، وأرسلهم إلى الكرك ثم أعادهم إلى القاهرة ثم سفرهم الأشرف خليل فى أول دولته إلى بلاد الاشكري من ناحية اصطنبول ، فات سلامش هناك وبقي أخوه نجم الدين خضر وأهلوم ب تلك الناحية ، وقد كان سلامش من أحسن الناس شكلا وأبهام منظرا ، وقد افتتن به خلق كثير ، والوطية الذين يحبون المردان ، وشبب به الشعراء وكان عاقلا رئيسا مهيأ وقورا
العفيف التامساني

أبو الربيع سليمان بن على بن عبد الله بن على بن يس المدايدى الكومى ثم التلسانى الشاعر المتقن المتنقن فى علومها النحو والأدب والفقه والأصول ، وله فى ذلك مصنفات ، وله شرح مواقف النفر وشرح أسماء الله الحسنى ، وله ديوان مشهور ، ولولده محمد ديوان آخر ، وقد نسب هذا الرجل إلى عظام فى الأقوال والاعتقاد فى الحلول والاتحاد والزندقة والكفر الحفى ، وشهرته تفتى عن الأطناب فى ترجمته ، توفى يوم الاربعاء خابس رجب ودفن بالصوفية ، ويذكر عنه أنه عمل أربعين خلوة كل خلوة أربعين يوما متتابعة فآله أعلم .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستائة

ففيها فتحت قلعة الروم وسلطان البلاد من دنقلة إلى مصر إلى أقصى بلاد الشام بكمالها وسواحلها بلاد حلب وغير ذلك الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون ، ووزيره فمس الدين بن السملوس ، وقضاة بالشام ومصر المذكورون فى التوق قبلها ، ونائب مصر بدر الدين بندار ونائب الشام علم الدين سنجر الشجاعي ، وسلطان التتر يدار بن أرغون بن أبنا ، والعمارة

الخرائن أتلأف شيتا كثر آ من الذخائر والنفاأ والسكتب . وفى التاسع والعشرى من ربيع الاول
خطب الخليفة الحاكم وحث فى خطبته على الجهاد والنفر ، وصلى بهم الجمعة وجهر بالبسملة . وفى ليلة
السبت ثالث عشر صفر جى بهذا الجرزالأحر الذى يباب البرادة من عكا ، فوضع فى مكانه .
وفى ربيع الأول كل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبعة الزرقاء ، وجاءت فى غاية الحسن
والسكال والارتفاع . وفى يوم الاثنين ثانى جمادى الأولى ذكر الدرس بالظاهرة الشيخ صفى الدين
محمد بن عبد الرحىم الأرموى ، عوضاً عن علاء الدين بن بنت الاعز . وفى هذا اليوم درس بالدولية
كال الدين بن الزكى . وفى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة درس بالنجيبية الشيخ ضياء الدين
عبد العزيز الطوسى ، بمقتضى نزول الفارقى له عنها . والله أعلم بالصواب .

فتح قلعة الروم

وفى ربيع الاول منها توجه السلطان الاشرف بالمسار نحو الشام فقدم دمشق ومعه وزيره ابن
السلموس فاستعرض الجيوش وأنفق فيهم أموالاً جزيلة ، ثم سار بهم نحو بلاد حلب ، ثم سار إلى
قلعة الروم فافتتحها بالسيف قهراً فى يوم السبت حادى عشر رجب ، وجاءت البشارة بذلك إلى
دمشق ، وزينت البلد سبعة أيام وبارك الله لجيش المسلمين فى سعيهم ، وكان يوم السبت إلباعلى أهل
يوم الأحد ، وكان الفتح بعد حصار عظيم جدا ، مدة ثلاثين يوما ، وكانت المنجنيقات تزيد على
ثلاثين منجنيقا ، واستشهد من الأمراء شرف الدين بن الخطير ، وقد قتل من أهل البلد خلق كثير
وغمم المسلمون منها شيئا كثيرا ، ثم عاد السلطان إلى دمشق وترك الشجاعى بقلعة الروم يعمرون
ما وهى من قلعتها بسبب رمى المنجنيقات عليها وقت الحصار ، وكان دخوله إلى دمشق بكرة يوم
الثلاثاء تاسع عشر شعبان ، فاحتفل الناس لدخوله ودعوا له وأحبوه ، وكان يوما مشهوداً بسط له كما
يسط له إذا قدم من الديار المصرية ، وإتما كان ذلك بإشارة ابن السلموس ، فهو أول من بسط له ، وقد
كسر أبوه التتر على حمص ولم ييسط له ، وكذلك الملك الظاهر كسر التتر والروم على البلسين ، وفى
غير موطن ولم ييسط له ، وهذه بدعة شنعاء قد أحدثها هذا الوزير للملوك ، وفيها إسراف وضياع مال
وأشر وبطر ورياء وتسكيف للناس ، وأخذ أموال ووضهها فى غير مواضعها ، والله سبحانه سائله
عنها ، وقد ذهب وتركها يتوارثها الملوك والناس عنه ، وقد حصل للناس بسبب ذلك ظلم عظيم ،
فليتق العبد ربه ولا يحدث فى الاسلام بسبب هواه ومراد نفسه ما يكون سبب مقت الله له ،
وإعراضه عنه ، فان الدنيا لاتدوم لأحد ، ولا يدوم أحد فيها والله سبحانه أعلم .

وكان ملك قلعة الروم مع السلطان أسيرا ، وكذلك رؤس أصحابه ، فدخل بهم دمشق وهم يحملون
رؤس أصحابهم على رؤس الرماح ، وجبر السلطان طائفة من الجيش نحو جبل كسروان والجزر بسبب

مما لا نهم للفرج قديماً على المسلمين ، وكان مقدم المسكر بNDAR وفي محبته سنقر الأشقر ، واقر
سنقر المنصوري الذي كان نائب حلب فعزله عنها السلطان وولى مكانه سيف الدين بلبان البطاحي
المنصوري ، وجماعة آخرون من الأمراء الكبار ، فلما أحاطوا بالجبل ولم يبق إلا دمار أهليه حملوا
في الليل إلى بNDAR حلاً كثيراً ففترو في قضيتهم ، ثم انصرف بالجيش عنهم وعادوا إلى السلطان ،
فتلقاهم السلطان وترجل السلطان إلى الأمير بNDAR وهو نائبه على مصر ، ثم ابن السلموس نبه السلطان
على فعل بNDAR فلما وعفته ، فرض من ذلك مرضاً شديداً أشفى به على الموت حتى قيل إنه مات ،
ثم عوفي فعمل ختمة عظيمة بجماع دمشق حضرها القضاة والأعيان ، وأشغل الجامع نظير ليلة
النصف من شعبان ، وكان ذلك ليلة العشر الأول من رمضان ، وأطلق السلطان أهل الحبوس وترك
بقية الضمان من أبواب الجهات السلطانية ، وتصدق عنه بشئ كثير ، ونزل هو عن ضمانات كثيرة
كان قد حاف فيها على أربابها ، وقد امتدح الشهاب محمود الملك الأشرف خليل على فتحه قلعة الروم
بقصيدة هائلة فاضلة أولها :

لك الراية الصفراء يقدمها النصر • فن كيقبادان رآها ويخسرو
إذا خفت في الأفق حدث بنورها • هوى الشكر واستولى الهدى والنجمي النور
وإن نشرت مثل الأصائل في الوغى • جلى النقع من لآلئ طلعتها البدر
وإن يمت زرق العدى سارت نحتها • كئائب خضردوحها البيض والسمر
كان مشار النقع ليل وخفتها • بروق وأنت البدر والفلك الحتر
وتفتح أنى في إثر فتح كأنما • سماء بدت تترى كواكبها الزهر
فكم قطعت طوعاً وكرهاً معاقلاً • مضى الدهر عنها وهى عانسة بكره
بذلت لها عزماً فلولاً مهابة • كساها الحيا جاءتك تسنى ولا مهر
قصنت حتى من قلعة الروم لم ينج • لنيرك إذ غرتهم الغل فاعثروا
ووالوم سرراً ليخفوا أذاً • وفي آخر الأمر استوى السرو والجهر
صرفت إليهم همة كورقها • إلى البحر لاستولى على مدو الجزر
وما قلعة الروم التي حزت فتحها • وإن عظمت إلا إلى غيرها جسر
طلية ما يأتى من الفتح بعدها • كما لاح قبل الشمس في الأفق الفجر
فصبحتها بالجيش كالروض بهجة • صوارمه أنهاره والفسا الزهر
وأبدت بل كالبحر والبيض موجة • وجرد المراكى السفن والخود الذر
وأغربت بل كالليل هوج سيفه • أهله والنبل أنجمه الزهر

ولحظات لابل كالتهار شموسه * محياك والآصال راياتك الصفر
ليوث من الانراك آجامها القنا * لما كل يوم في ذرى ظفر ظفر
فلا الريح يجرى بينهم لاشقيا كما * عليهم ولا ينهل من فوقهم قطر
عيون إذا الحرب العوان تعرضت * لخطايا بالنفس لم يغلبها مهر
ترى الموت معقوداً بهب نبالهم * إذا ما رماها القوس والنظر الشذر
ففي كل سرح غصن بانه مهف * وفي كل قوس مدة ساعد بدر
إذا صدموا شتم الجبال تزلزلت * وأصبح سهلاً تحت خيلهم الوعر
ولو وردت ماء الفرات خيولهم * لقل هنا قد كان فيا مضى نهر
أداروا بها سوراً فأضحت كخاتم * لدى خنصر أو نحت منقطع خصر
وأرخوا إليها من أكربحارم * سحب ردى لم يخل من قطره قطر
كان المجانيق التي قرن حولها * رواعد سخط وبلها النار والصخر
أقامت صلاة الحرب ليلاً صخورها * فأكثرها شفع وأكبرها وتر
ودارت بها تلك النقوب فأسرفت * وليس عليها في الذي فملت حجر
فأضحت بها كالصبي يخفي غرامه * حذار أعاديه وفي قلبه جزر
وشبت بها النيران حتى تمزقت * وباحت بما أخفته وأنتك السمر
فلاذوا بذيل العفو منك فلم تجب * رجاءهم لو لم يشب قصدم مكر
وما كره المثل اشتغالك عنهم * بها عند ما فروا ولسكنهم سروا
فأحرزتها بالسيف قرراً وهكذا * فتوحك فيما قد مضى كله قسر
وأضحت بمصدر الله ثغراً عنماً * تبيد الأيالي والعدى وهو مقدر
فيا أشرف الاملاك فزت بفزوة * تحصل منها الفتح والذكر والأجر
ليهنك عند المصطفى أن دينه * توالى له في يمن دولتك النصر
وبشراك أرضيت المسيح وأحمد * وإن غضب اليمفور من ذلك والكفر
فسر حيث ما تختار للأرض كلها * [تطيمك] والأمصار أجمعها مصر
ودم وابقى للدينيا ليحيى بك الهدى * وبزهي على ماضي المصور بك العصر
حنفت منها أشياء كثيرة .

وفيهاتولى خطابة دمشق الشيخ عز الدين أحمد الفاروقى الواسطى بعد وفاة زين الدين بن المرحل
وخطب واستسقى بالناس فلم يسقوا ، ثم خطب مرة ثانية بعد ذلك بأيام عند مسجد القدم ، فلم يسقوا

ثم ابتهل الناس من غير دعاية واستسقية فسقوا ، ثم عزل الفاروقى بعد أيام بالخطيب موفق الدين أبى المعالى محمد بن محمد بن محمد بن عبد المنعم بن حسن المهراتى الحوى ، كان خطيب حجة ثم نقل إلى دمشق فى هذه السنة ، فقام وخطب وتآلم الفاروقى لذلك ودخل على السلطان واعتقد أن الوزير عزله من غير علمه ، فإذا هو قد شعر لذلك واعتذر بأنه إنما عزله لضعفه ، فذكر له أنه يصلى ليلة النصف مائة ركعة بمائة قل هو الله أحد ، فلم يقبلوا واستمر وألحى . وهذه دناءة وقلة عقل وعدم إخلاص من الفاروقى ، وأصاب السلطان فى عزله .

وفى هذا اليوم قبض السلطان على الأمير سنقر الأشقر وغيره فهرب هو والأمير حسام الدين لاجين السلحدارى ، فنادت عليه المنادية بدمشق : من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شتى ، وركب السلطان ومخاليكه فى طلبه ، وصلى الخطيب بالناس فى الميدان الأخضر ، وعلى الناس كتابة بسبب تفرق الكلمة ، واضطراب الجيش ، واختبط الناس ، فلما كان سادس شوال أمسكت العرب سنقر الأشقر فردوه على السلطان فأرسله مقيدا إلى مصر . وفى هذا اليوم ولّى السلطان نيابة دمشق لمر الدين أيبك الحوى ، عوضا عن الشجاعى ، وقدم الشجاعى من الروم ثانى يوم عزله فتلقيه الفاروقى فقال : قد عزلنا من الخطابة ، فقال ونحن من النيابة ، فقال الفاروقى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون) فلما بلغ ابن السلوس تنضب عليه وكان قد عين له القيصرية فترك ذلك ، وسافر السلطان عاشر شوال إلى مصر فدخلها فى أبهة الملك ، وفى يوم دخوله أقطع قرا سنقر مائة فارس بمصر عوضا عن نيابة حلب ، وفى هذه السنة اشترى الأمير سيف الدين طغاي الأشقرى قيسارية القطان المعروفة بإنشاء الملك المعظم بن المسادل من بيت المال ، بمرسوم من السلطان ، وكان حظيا عنده ، ونقل سوق الحرير بين تلك المدة إليها ، وكان السلطان قد أفرج عن علم الدين الدويدارى بعد رجوعه من قلعة الروم واستحضره إلى دمشق وخلع عليه واستعجبه معه إلى القاهرة ، وأقطع مائة فارس ، وولاه مشد الدواوين مكرها .

وفى ذى القعدة استحضر السلطان سنقر الأشقر وطقصوا فعاقبهما فاعترفا بأنهما أرادا قتله ، فسألهما عن لاجين فقالا : لم يكن معنا ولا علم له بهذا ، فغنتهما وأطلقه بعد ما جعل الوتر فى حلقه ، وكان قد بقى له مدة لا بد أن يبلغها ، وقد ملك بعد ذلك كما سنذكره إن شاء الله تعالى .

وفى ذى الحجة فقد الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين عقده على بنت قاضى القضاة شهاب الدين الخطوبى بالبادرائية ، وكان حافلا . وفيها دخل الأمير سنقر الأعسر على بنت الوزير شمس الدين بن السلوس على صداق ألف دينار ، وعجل لها خمسمائة ، وفيها قفز جماعة من التتر فحووا من ثلثائة إلى الديار المصرية فأكرموا .

ومن توفي فيها من الاعيان . الخطيب زين الدين أبو حفص

عمر بن مكي بن عبد الصمد الشافعي المعروف بابن المرحل ، وهو والد الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، سمع الحديث وبرع في الفقه وفي علوم شتى ، منها علم الهيئة وله فيه مصنف ، تولى خطابة دمشق ودرس وأفتى ، توفي ليلة السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول ، وصلى عليه من القديباب الخطابة .

الشيخ عز الدين الفاروقي

ولي الخطابة قليلاً ثم عزل ثم مات ودفن بباب الصغير عفا الله عنه .

الصاحب فتح الدين أبو عبد الله

محمد بن محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر ، كاتب الأسرار في الدولة المنصورية بعد ابن لقمان وكان ماهراً في هذه الصناعة ، وحظي عند المنصور وكذا عند ابنه الأشرف ، وقد طلب منه ابن السلجوس أن يقرأ عليه كل ما يكتبه ، فقال : هذا لا يمكن فإن أسرار الملوك لا يطلع عليها غيرهم ، وابصروا الحكم غيرى يكون معكم بهذه المثابة ، فلما بلغ ذلك الأشرف أنجبته منه وازدادت عنده منزلته ، توفي يوم السبت نصف رمضان ، وأخرجت في تركته قصيدة قد رثاها تاج الدين بن الأثير وكان قد شوش فاعتقد أنه يموت فعوفي فبقيت بعده ، وتولى ابن الأثير بعده ورثاه تاج الدين كارتاه وتوفي ابن الأثير بعده بشهر وأربعة أيام .

يونس بن علي بن رضوان بن برقش

الأمير عماد الدين ، كان أحد الأمراء بطبخانة في الدولة الناصرية ، ثم حمل وبطل الجندية بالكلية في الدولة المظفرية وهلم جرا إلى هذه السنة ، وكان الظاهر يكرمه ، توفي في شوال ودفن عند والده بتربة الخزيعيين رحمهم الله .

جلال الدين الحلبازي

عمر بن محمد بن عمر أبو محمد الحلبازي أحد مشايخ الحنفية الكبار ، أصله من بلاد ما وراء النهر من بلد يقال لها خجندة ، واشتغل ودرس بخوارزم ، وأعاد ببغداد ، ثم قدم دمشق فدرس بالمرزية والخاتونية البرانية ، وكان فاضلاً بارعاً منصفاً مصنفاً في فنون كثيرة ، توفي لخمس بقين من ذي الحجة منها ، وله ثلثان وستون سنة ، ودفن بالصوفية .

الملك المظفر

قرا أرسلان الافريقي ، صاحب ماردن ، توفي وله ثمانون سنة وقام بعده ولده شمس الدين داود ولقب بالملك السعيد والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة

في تاريخ ظاهر الدين السكازروني ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في هذه السنة نظير ما كان في سنة أربع وخمسين على صفتها ، إلا أن هذه النار كان يملو لها فيها كثيراً ، وكانت تحرق الصخر ولا تحرق السعف ، واستمرت ثلاثة أيام .

استهلّت هذه السنة والخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد الملك الأشرف بن المنصور ونائبه بنصر بدر الدين بيدرا ^(١) ، وبالشام عز الدين أبيك الحموي ، وقضاة مصر والشام هم الذين كانوا في التي قبلها ، والوزير خمس الدين بن السلموس . وفي جمادى الآخرة قدم الأشرف دمشق فنزل في القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وجهاز الجيوش ونهياً لغزو بلاد سويس ، وقدم في غضون ذلك رسل صاحب بلاد سويس يطلبون الصلح ، فشفع الأمراء فيهم فسلموا بهنسنا وتل حمدون . ومرعش ، وهي أكبر بلادهم وأحسنها وأحصنها ، وهي في فم الدردند ، ثم ركب السلطان في ثاني رجب نحو سلية بأكثر الجيش صورة أنه يريد أن يصيب الأمير حسام الدين لاجين ، فأضافه الأمير مهنا بن عيسى ، فلما انقضت الضيافة أمسك له حسام الدين لاجين ، وكان عنده ، فجاء به فسجنه في قلعة دمشق وأمسك مهنا بن عيسى وولى مكانه محمد بن علي بن حذيفة ، ثم أرسل السلطان جمهور الجيش بين يديه إلى الديار المصرية بحجة نائبه بيدرا ، ووزيره ابن السلموس ، وتأخر هو في خاصيته ثم لحقهم .

وفي المحرم منها حكم القاضي حسام الدين الرازي الحنفي بالشرية بين العلويين والجمهريين في الدباغة التي كانوا يتنازعونها من مدة مائتي سنة ، وكان ذلك يوم الثلاثاء سادس عشر من المحرم ، بدار العدل ، ولم يرافقه ابن الخواري ولا غيره ، وحكم للأعناكيين بصحة نسبهم إلى جعفر الطيار . وفيها رسم الأشرف بتخريب قلعة الشوبك فهدمت ، وكانت من أحسن القلاع وأمنها وأنفعا ، وإنما خربها عن رأي عتبة المعني ، ولم ينصح للسلطان فيها ولا للمسلمين ، لأنها كانت شجى في حلق الأعراب الذين هناك . وفيها أرسل السلطان الأمير علم الدين الدويداري إلى صاحب القسطنطينية وإلى أولاد بركة ومع الرسول تحفاً كثيرة جداً ، فلم يتفق خروجه حتى قتل السلطان فعاد إلى دمشق .

وفي عشر جمادى الأولى درس القاضي إمام الدين القزويني بالظاهرية البرانية . وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي الثاني والعشرين من ذي الحجة يوم الاثنين طهر الملك الأشرف أخاه الملك الناصر محمد وابن أخيه الملك المعظم مظفر الدين موسى بن الصالح علي بن المنصور ، وعمل مهم عظيم ولعب الأشرف بالتبقي وتمت لهم فرحة هائلة ، كانت كالوداع لسلطنته من الدنيا . وفي أول

(١) في شذرات الذهب : بدار .

المحرم درس الشيخ قمس الدين بن غانم بالمصرونية ، وفي مستهل صفر درس الشيخ كال الدين ابن الزمكاني بالرواحية عوضاً عن نجم الدين بن مكي بحكم انتقاله إلى حلب وإراضه من المدرسة المذكورة ، ودخل الركب الشامي في آخر صفر ، وكان من حج في هذه السنة الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وكان أميرم الباسطى وناظم في معان ربح شديدة جداً مات بسببها جماعة ، وحلت الريح جلالاً عن أماكنها ، وطارت العائم من الرأس ، واشتغل كل أحد بنفسه . وفي صفر منها وقع بدمشق برد عظيم أسد شيتنا كثيراً من المغلات بحيث بيع القمح كل عشرة أواق بدرهم ، ومات شيء كثير من الدواب ، وفيه زلزلت ناحية السكر وسقط من تلفيتنا أما كن كثيرة .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الأرموي

الشيخ الصالح القدوة العارف أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموي ، المقيم بزأويته بسفح قاسيون ، كان فيه عبادة وانقطاع وله أوراد وأذكار ، وكان محبباً إلى الناس ، توفى بالمحرم ودفن عند والده بالسفح .

ابن الأعمى صاحب المقامة

الشيخ ظهير الدين محمد بن المبارك بن سالم بن أبي الغنائم الدمشقي المعروف بابن الأعمى ، ولد سنة عشرة وستائة ، وسمع الحديث وكان فاضلاً بارعاً ، له قصائد يمتدح بها رسول الله (ص) ، سماها الشفعية ، عدد كل قصيدة اثنان وعشرون بيتاً . قال البرزالي : سمعته وله المقامة البحرية المشهورة ، توفى في المحرم ودفن بالصوفية . الملك الزاهر مجير الدين

أبو سليمان داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حصص ابن ناصر الدين محمد بن الملك المظفر ، توفى ببستانه عن ثمانين سنة ، وصلى عليه بالجامع المظفري ، ودفن بقربته بالسفح ، وكان ديناً كثير الصلاة في الجامع ، وله إجازة من المؤيد الطوسي وزينب الشعرية وأبي روح وغيرهم . توفى في جمادى الآخرة . الشيخ تقي الدين الواسطي

أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الواسطي ثم الدمشقي الحنبلي ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، توفى يوم الجمعة آخر النهار رابع عشرين جمادى الآخرة عن تسعين سنة ، وكان رجلاً صالحاً طابداً ، تفرد بملو الرواية ، ولم يخلف بعده مثله ، وقد تفقه ببغداد ثم رحل إلى الشام ودرس بالمحلية مدة عشرين سنة ، وبمدرسة أبي عمر ، وولى في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروق ، وكان داعية إلى مذهب السلف والصبر الأول ، وكان يعود المرضى ويشهد الجنائز ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكان من خيار عباد الله تعالى رحمه الله . وقد درس بعده بالصالحية الشيخ قمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي ، وبترار الحديث الظاهرية

شرف الدين عمر بن خواجا إمام الجامع المعروف بالناصح .

ابن صاحب حماة الملك الأفضل

نور الدين علي بن الملك المظفر آقاي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر آقاي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، توفي بد شق وصلى عليه بجامعها ، وخرج به من باب الفرائس محولا إلى مدينة أبيه وترتبهم بها ، وهو والد الأميرين الكبيرين بدر الدين حسن وعهاد الدين إسماعيل الذي تملك حماة بعد مدة .

ابن عبد الظاهر

محمي الدين بن عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر بن علي بن نجدة السعدي ، كاتب الانشاء بالديار المصرية ، وآخر من برز في هذا الفن على أهل زمانه ، وسبق سائر أقرانه ، وهو والد الصاحب فتح الدين النديم ، وقد تقدم ذكر وفاته قبل والده ، وقد كانت له مصنعات منها سيرة الملك الظاهر ، وكان ذا مروءة ، وله النظم الفائق والنثر الرائق . توفي يوم الثلاثاء رابع رجب وقد جاوز السبعين ، ودفن بقرية التي أنشأها بالقرافة .

الأمير علم الدين سنجر الحلبي

الذي كان قائم قطز على دمشق فلما جاءتهبيعة الظاهر دعا لنفسه فبيع وتسمى بالملك المجاهد ثم حوصر وهرب إلى بعلبك فحوصر فأجاب إلى خدمة الظاهر فسجنه مدة وأطلقه وسجنه المنصور مدة وأطلقه الأشرف ، واحترمه وأكرمه ، بلغ الثمانين سنة ، وتوفي في هذه السنة .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستائة

في أولها كان مقتل الأشرف ، وذلك أنه خرج إلى الصيد في ثالث المحرم ، فلما كان بأرض بروج بالقرب من الاسكندرية ثاقى عشر المحرم ، حل عليه جماعة من الأمراء الذين اتفقوا على قتله حين انفرد عن جمهور الجيش ، فأول من صوبه نائبه بيدرا ، ونعم عليه لاجين المنصوري ، ثم اختفى إلى رمضان ، ثم ظهر يوم العيد ، وكان ممن اشترك في قتل الأشرف بدر الدين بيسرى وشمس الدين قراستقر المنصوري ، فلما قتل الأشرف اتفق الأمراء على تملك بيدرا ، وسموه الملك الظاهر أو الواحد ، فلم يتم له ذلك ، فقتل في اليوم الثاني بأمر كتبنا ، ثم اتفق زين الدين كتبنا ، وعلم الدين سنجر الشجاع على أن يملكوا أخاه محمد الملك الناصر بن قلاوون ، وكان عمره إذ ذاك ثمان سنين وشهوراً ، فأجلسوه على سرير المملكة يوم الرابع عشر من المحرم ، وكان الوزير ابن السلوس بالاسكندرية ، وكان قد خرج في محبة السلطان وتقدم هو إلى الاسكندرية فلم يشمر إلا وقد أحاط به البلاء ، وجاءه المذاب من كل ناحية ، وذلك أنه كان يعامل الكبار معاملة

الصغار ، فأخذوه وتولى عقوبته من بينهم الشجاعى فضرب ضربا عظيما ، وقرر على الاموال ولم يزالوا يعاقبونه حتى كانت وفاته فى عاشر صفر بعد أن احتبط على سواحلها كلها . وأحضر جسد الأشرف فدفن بقرنته ، وتأم الناس لفقده وأعظموا قتله ، وقد كان شهيدا شجاعا على الهمة حسن النظر ، كان قد هزم على غزو العراق واسترجاع تلك البلاد من أيدي التتار ، واستمد لذلك ونادى به فى بلاده ، وقد فتح فى مدة ملكه - وكانت ثلاث سنين - عكا وسائر السواحل ، ولم يترك لغرنج فيها معسلا ولا حجرا ، وفتح قلعة الروم وبهنا وغيرها .

فلما جاءت بيعة الناصر إلى دمشق خطب له بها على المنابر ، واستقر الحال على ذلك ، وجعل الأمير كتبنا أتاك ، والشجاعى مشورا كبيرا ، ثم قتل بعد أيام بقلعة الجبل ، وحمل رأسه إلى كتبنا فأمر أن يطاف به فى البلد ، وفرح الناس بذلك وأعطوا الذين حملوا رأسه مالا ، ولم يبق لكتبنا منازع ، ومع هذا كان يشاور الأمراء تطييبا لقلوبهم .

وفى صفر بعد موت ابن السلموس عزل بدر الدين بن جماعة عن القضاء وأعيد تقي الدين بن بنت الامر واستمر ابن جماعة مدرسا بمصر فى كفاية ورياسة ، وتولى الوزارة بمصر صاحب تاج الدين ابن الحنا ، وفى ظهر يوم الاربعاء الحادى والعشرين من صفر رتب إمام بمحارب الصحابة ، وهو كمال الدين عبد الرحمن بن القاضى محيى الدين بن الزكى ، وصلى بعدئذ بعد الخطيب ، ورتب بالمكتب الذى يباب الشافعيين إمام أيضا ، وهو ضياء الدين بن برهان الدين الاسكندرى ، وياشر نظر الجامع الشريف زين الدين حسين بن محمد بن عدنان ، وعاد سوق الحريريين إلى سوقه ، وأخلوا قيسارية القطن الذى كان نواب طنجى أزموم يسكنها ، وولى خطابة دمشق الشيخ العلامة شرف الدين أحمد بن جمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد المقدسى ، بعد عزل موفق الدين الحوى دعوه إلى حانة شغلب المقدسى يوم الجمعة نصف رجب ، وقرئ تقليده وكانت ولايته بإشارة تاج الدين ابن الحنا الوزير بمصر ، وكان فصيحيا بليغا عالما بارعا .

وفى أواخر رجب حلف الأمراء للأمير زين الدين كتبنا مع الملك الناصر محمد بن قلاوون وسارت البيعة بذلك فى سائر المدن والمعامل .

واقعة عساف النصراني .

كان هذا الرجل من أهل السويداء قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي «س» ، وقد استنجا عساف هذا بابن أحمد بن حجى أمير آل على ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقى شيخ دار الحديث ، فدخلا على الأمير عز الدين أبيك الحموى نائب السلطنة فكلما فى أمره فأجابهما إلى ذلك ، وأرسل ليحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس ،

فرأى الناس عسافا حين قدم ومعه رجل من العرب فسيبوه وشتموه ، فقال ذلك الرجل البدوي : هو خير منكم - يعنى النصراني - فرجهما الناس بالحجارة ، وأصاب عسافا ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارق فضرهما بين يديه ، ورسم عليهما فى المنراوية وقدم النصراني فأسلم وعقد مجلس بسببه ، وأثبت بينه وبين الشهود عداوة ، فخن دمه ، ثم استدعى بالشيخين فأرضاهما وأطلقهما ، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز ، فاتفق قتله قريبا من مدينة رسول الله (ص) ، قتله ابن أخيه هناك ، وصنف الشيخ تقي الدين ابن تيمية فى هذه الواقعة كتابه الصارم المسلول على سباب الرسول .

وفى شعبان منهاركب الملك الناصر فى أبهة الملك وشق القاهرة ، وكان يوما مشهودا ، وكان هذا أول ركوبه ، ودقت البشائر بالشام وجاء المرسوم من جهته ، قرئ على المنبر بالجامع فيه الأمر بنشر العدل وطى الظلم ، وإبطال ضمان الاوتاف والأملاك إلا برضى أصحابها . وفى اليوم الثانى والعشرين من شعبان درس بالمسروورية القاضى جمال الدين القزوينى ، أخو إمام الدين ، وحضر أخوه وقاضى القضاة شهاب الدين الخوى ، والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان درسا خافلا . قال البرزالي : وفى شعبان اشتهر أن فى الغيبة بمجسرين قتلنا عظيما ابتلع رأسا من المعز كبيرا صحيحا . وفى أواخر رمضان ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، وكان محتفيا منذ قتل الاشرف فاعتذره عند السلطان فقبله وخلع عليه وأكرمه ، ولم يكن قتله باختياره .

وفى شوال منها اشتهر أن مهنا بن عيسى خرج عن طاعة السلطان الناصر ، وأنهاز إلى التتر . وفى يوم الاربعاء ثامن ذى القعدة درس بالغزالية الخطيب شرف الدين المقدسى عوضا عن قاضى القضاة شهاب الدين ابن الخوى ، توفى وترك الشامية البرانية ، وقدم على قضاء الشام القاضى بدر الدين أحمد بن جماعة يوم الخميس الرابع عشر من ذى الحجة ، ونزل العادلية وخرج نائب السلطنة والجيش بكاله لتلقيه ، وامتدحه الشعراء ، واستناب تاج الدين الجعبرى نائب الخطابة وبأشر تدرى الشامية البرانية ، عوضا عن شرف الدين المقدسى ، الشيخ زين الدين الفاروقى ، وانترعت من يده الناصرية فدرس بها ابن جماعة ، وفى العادلية فى العشرين من ذى الحجة ، وفى هذا الشهر أخرجوا الكلاب من دمشق إلى الفلاة بأمر واليها جمال الدين اقباي ، وشدد على الناس والبوايين بذلك . ومن توفى فيها من الاعيان

الملك الاشرف خليل بن قلاوون المنصور . وبيدرا والشجاعى ، وشمس الدين بن السلموس ،

الشيخ الامام العلامة

تاج الدين موسى بن محمد بن مسعود المرازى ، المعروف بأبى الجواب الشافى ، درس بالاقبالية

وغيرها وكان من فضلاء الشافعية ، له يد في الفقه والاصول والنحو وفهم جيد ، توفي فجأة يوم السبت ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وقد جاوز السبعين .

الخاتون مؤنس بنت السلطان العادل أبي بكر بن أيوب

وتعرف بدار القطبية ، و بدار إقبال ، ولدت سنة ثلاث وستمائة ، وروت الاجازة عن عفيفة الفارثانية ، وعن عين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج النقفية ، توفيت في ربيع الآخر بالقاهرة ، ودفنت بباب زويلة .
الصاحب الوزير فخر الدين

أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد البناني المصري رأس الموقعين ، وأستاذ الوزراء المشهورين ، ولد سنة ثنتي عشرة وستمائة ، وروى الحديث ، توفي في آخر جمادى الآخرة في القاهرة المملك الحافظ غياث الدين بن محمد

الملك السعيد معين الدين بن الملك الأجد بهرام شاه بن المعز عز الدين فروخ شاه بن شاهنشاه ابن أيوب ، وكان فاضلاً بارعاً ، سمع الحديث وروى البخاري ، وكان يحب العلماء والفقراء ، توفي يوم الجمعة سادس شعبان ، ودفن عند جده لأمه ابن المقدم ، ظاهر باب الفاراديس .

قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي

أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة شمس الدين أبي العباس أحمد بن خليل بن سعادة بن جعفر ابن عيسى بن محمد الشافعي ، أصابهم من خوى ، اشتغل وحصل علوماً كثيرة ، وصنف كتباً كثيرة منها كتاب فيه عشرون فناً ، وله نظم علوم الحديث وكفاية المتحفظ وغير ذلك ، وقد سمع الحديث الكثير ، وكان محباً له ولائاً له ، وقد درس وهو صغير بالداغية ، ثم ولي قضاء القدس ، ثم بهسنا ، ثم ولي قضاء حلب ، ثم عاد إلى الحلّة ، ثم ولي قضاء القاهرة ، ثم قدم على قضاء الشام مع تدريس العادلية والفرزالية وغيرهما ، وكان من حسنات الزمان وأكابر العلماء الأعلام ، عفيفاً نزهاً بارعاً محباً للحديث وعلمه وعلمائه ، وقد خرج له شيخنا الحافظ المزي أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وخرج له تقي الدين ابن عتبة الأسودى الاسعردى مشيخة على حروف المعجم ، اشتملت على مائتين وستة وثلاثين شيخاً . قال البرزالي : وله نحو ثلثمائة شيخ لم يذكر وفي هذا المعجم ، توفي يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، عن سبع وستين سنة ، وصلى عليه ودفن من يومه بقرية والده بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى .
الأمير علاء الدين الأعمى

فاطر القدس وباني كثير آ من معالمة اليوم ، وهو الأمير الكبير علاء الدين أيديكين بن عبد الله الصالحى النجمي ، كان من أكابر الامراء ، فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولى نظره معمره ومشره وكان مهيباً لا تخالف مراسيمه ، وهو الذى بنى المطهرة قريباً من مسجد النبي (ص) ، فانتفع الناس

بها بالوضوء وغيره ، ووجد بها الناس تيسيرا ، وابتقى بالقدس ربطا كثيرة ، وآثاراً حسنة ، وكان يباشر الامور بنفسه ، وله حرمة وافرة ، توفي في شوال منها .

الوزير شمس الدين محمد بن عثمان

ابن أبي الرجال التنوخي ، المعروف بابن السلموس ، وزير الملك الأشرف ، مات تحت الضرب الذي جاوز ألف مقرة ، في عاشر صفر من هذه السنة ، ودفن بالقرافة ، وقيل إنه نقل إلى الشام بعد ذلك . وكان ابتداء أمره تاجراً ، ثم ولي الحسبة بدمشق بسفارة تقي الدين بن توبة ، ثم كان يعامل الملك الأشرف قبل السلطنة فظهر منه على عدل وصدق ، فلما ملك بعد أبيه المنصور استدعاه من الحج فولاه الوزارة ، وكان يتعاطف على أكبر الامراء ويسميهم بأسمائهم ، ولا يقوم لهم ، فلما قتل أستاذه الأشرف تسلموه بالضرب والاهانة وأخذ الأموال ، حتى أعدموه حياته ، وصبروه وأسكنوه الثرى ، بعد أن كان عند نفسه قد بلغ الثريا ، ولكن حقا على الله أنه مازع شيئا إلا وضعه .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة

استلمت والخليفة الحاكم بأمر الله وساطان البلاد الملك الناصر محمد بن قلاوون وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة وأشهرآ ، ومدير الممالك وأتابك العساكر الأمير زين الدين كتيبا ، ونائب الشام الأمير عز الدين أبيك الحموي ، والوزير بدمشق تقي الدين توبة التكريتي ، وشاد الدواوين شمس الدين الأعسر ، وقاضى الشافعية ابن جماعة ، والحنفية حسام الدين الرازي ، والمالكية جمال الدين الزواوي ، والخنازلة شرف الدين حسن ، والمحاسب شهاب الدين الحنفي ، ونقيب الأشراف زين الدين بن عدنان ، ووكيل بيت المال وناظر الجامع تاج الدين الشيرازي ، وخطيب البلد شرف الدين المقدسي .

فلما كان يوم عاشوراء نهض جماعة من ممالك الأشرف وخرقوا حرمة السلطان وأرادوا الخروج عليه ، وجاؤا إلى سوق السلاح فأخذوا ما فيه ، ثم احتيط عليهم ، فنهض منهم من صلب ومنهم من شقق ، وقطع أيدي آخرين منهم وألصقتهم ، وجرت خبطة عظيمة جداً ، وكانوا قريبا من ثلثمائة أوزيدون . سلطنة الملك العادل كتيبا

وأصبح الأمير كتيبا في الحسادى عشر من المحرم فجلس على سرير المملكة ، وخلع الملك الناصر محمد بن المنصور ، وألزمه بيت أهله ، وأن لا يخرج منه ، وبايعه الأمراء على ذلك ، وهنتوه ومد سماطا حافلا ، وسارت البريذية بذلك إلى الأقاليم ، فبويج له وخطب له مستقلا وضربت السكة باسمه ، وتم الأمر وزينت البلاد ، ودقت البشائر ، ولقب بالملك العادل ، وكان عمره إذ ذاك نحوآ من خمسين سنة ، فانه من سبي وقعة حمص الأولى التي كانت في أيام الملك الظاهر بعد وقعة عين

جالوت ، وكان من الفوريانية ، وهم طائفة من النتر ، واستناب في مصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، وكان بين يديه مدير الماليك . وقد ذكر الجزري في تاريخه عن بعض الأمراء أنه شهد هولاكو خان قد سأل منجمه أن يستخرج له من هؤلاء المتقدمين في عسكره الذي يملك الديار المصرية ، فضرِب وحسب وقال له : أجد رجلاً يملكها اسمه كتبغا فقلته كتبغانوين ، وهو صهر هولاكو ، فقدمه على المساكر فلم يكن هو ، فقتل في عين جالوت كما ذكرناه ، وأن الذي ملك مصر هذا الرجل وهو من خيار الأمراء وأجودهم سيرة ومعدلة ، وقصدا في نصرة الاسلام .

وفي يوم الأربعاء استهل ربيع الأول ركب كتبغا في أبهة الملك ، وشق القاهرة ودعاه الناس وعزل صاحب تاج الدين بن الحسناء عن الوزارة وولى نغر الدين بن الخليلي ، واستسقى الناس بامشق عند مسجد القدام ، وخطب بهم تاج الدين صالح الجعبري نيابة عن مستخلفه شرف الدين المقدسي ، وكان مريضاً فزل نفسه عن القضاء ، وخطب الناس بعد ذلك ، وذلك يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى ، فلم يسهوا ثم استسقوا مرة أخرى يوم السبت سابع جمادى الآخرة بالمكان المذكور ، وخطب بهم شرف الدين المقدسي ، وكان الجمع أكثر من أول ، فلم يسهوا . وفي رجب حكم جمال الدين ابن الشريشي نيابة عن القاضي بدر الدين بن جماعة ، وفيه درس بالمعظمية القاضي شمس الدين بن العز ، انتزعها من علاء الدين بن الدقاق . وفيه ولي القدس والخليل الملك الأوحدي ابن الملك الناصر داود بن المعظم . وفي رمضان رسم للحنابلة أن يصلوا قبل الامام الكبير وذلك أنهم كانوا يصلون بعده فلما أحدث لحراب الصحابة إمام كانوا يصلون جميعاً في وقت واحد ، فحصل تشويش بسبب ذلك ، فاستقرت القاعدة على أن يصلوا قبل الامام الكبير ، وفي وقت صلاة مشهد على بالصحن عند محرابهم في الرواق الثالث الغربي .

قلت : وقد تغيرت هذه القاعدة بعد العشرين وسبعائة كما سيأتي .

وفي أواخر رمضان قدم القاضي نجم الدين بن صهرى من الديار المصرية على قضاء المساكر بالشام ، وفي ظهر يوم الخميس خامس شوال صلي القاضي بدر الدين بن جماعة بمحراب الجامع إماماً وخطيباً عوضاً عن الخطيب المدرس شرف الدين المقدسي ، ثم خطب من القصد وشكرت خطبته وقراءته ، وذلك مضاف إلى ما بيده من القضاء وغيره .

وفي أوائل شوال قدمت من الديار المصرية تواقيع شتى منها تدريس الغزالية لابن صهرى عوضاً عن الخطيب المقدسي ، وتوقيع بتدريس الأمينية لامام الدين القزويني عوضاً عن نجم الدين ابن صهرى ، ورسم لأخيه جلال الدين بتدريس الظاهرية البرانية عوضاً عنه . وفي شوال كانت عمارة الحمام الذي أنشأه عز الدين الحوي بمسجد القصب ، وهو من أحسن الحمامات ، وباشر مشيخة

دار الحديث النورية الشيخ علاء الدين بن المطار عوضاً عن شرف الدين المقدسي . وحج فيها الملك المجاهد أنس بن الملك المادل كتبنا ، وتصدقوا بصدقات كثيرة في الحرمين وغيرهما وتودي بدمشق في يوم عرفة أن لا يركب أحد من أهل الذمة خيلاً ولا بغلاً ، ومن رأى من المسلمين أحداً من أهل الذمة قد خالف ذلك فله سلبه . وفي أواخر هذه السنة والتي تليها حصل بديار مصر غلاء شديد هلك بسببه خلق كثير ، هلك في شهر ذي الحجة نحو من عشرين ألفاً . وفيها ملك التتار قازان ابن أرغون بن أبغا بن تولى بن جنكيزخان فأسلم وأظهر الاسلام على يد الامير توزون رحمه الله ، ودخلت التتار أو أكثرهم في الاسلام ونثر الذهب والفضة والفلو على رؤس الناس يوم إسلامه ، وتسمى بمحمود ، وشهد الجمعة والخطبة ، وخرب كنائس كثيرة ، وضرب عليهم الجزية ورد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها من البلاد ، وظهرت السبيح والهيكل مع التتار والحمد لله وحده .

وفيها توفي من الأعيان الشيخ أبو الرجال المنيني

الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مرعي من مجتري المنيين ، كانت له أحوال ومكاشفات وكان أهل دمشق والبلاد يزورونه في قرية منيين ، وربما قدم هو بنفسه إلى دمشق فيكرم ويضاف وكانت له زاوية ببلده ، وكان بريثاً من هذه السماعات الشيطانية ، وكان تلميذ الشيخ جندل ، وكان شيخه الشيخ جندل من كبار الصالحين سالكا طريق السلف أيضاً ، وقد باغ الشيخ أبو الرجال ثمانين سنة ، وتوفي بمنيين في منزله في عاشر المحرم ، وخرج الناس من دمشق إلى جنازته فنهض منهم من أدركا ومن الناس من لم يدرك فصرى على القبر ودفن بزوايته رحمه الله .

وفيها في أواخر ربيع الاول جاء الخبر بأن عساف بن أحمد بن حجي الذي كان قد أجاز ذلك النصراني الذي سب الرسول قتل ففرح الناس بذلك .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع

بقية الساف جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن الحرساني بن قاضي القضاة ، وخطيب الأطباء ، عماد الدين عبد الكريم بن جمال الدين عبد الصمد ، سمع الحديث وقاب عن أبيه في الامامة وتدريس الغزالية ، ثم ترك المناصب والدنيا ، وأقبل على العبادة ، وللناس فيه اعتقاد حسن صالح ، يقبلون يده ويسألونه الدعاء ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالسفح عند أهله في أواخر ربيع الآخر .

الشيخ محب الدين الطبري المكي

الشافعي ، سمع الكثير وصنف في فنون كثيرة ، من ذلك كتاب الاحكام في مجلدات كثيرة مفيدة ، وله كتاب هـ في ترتيب جامع المسانيد أممعه لصاحب اليمن ، وكان مولده يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة منها ، ودفن بمكة ، وله شعر جيد فنه قصيدته في المنازل التي بين

مكة والمدينة تزيد على ثلثمائة بيت ، كتبها عنه الخافظ شرف الدين الديماطى فى معجمه .

الملك المظفر صاحب اليمن

يوسف بن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول ، أقام فى مملكة اليمن بعد أبيه سبعاً وأربعين سنة ، وعمر ثمانين سنة ، وكان أبوه قد ولى أزيد من مدة عشرين سنة بعد الملك أقيس ابن السكامل محمد ، وكان عمر بن رسول مقدم عساكر أقيس ، فلما مات أقيس وثب على الملك قثم له الأمر وتسمى بالملك المنصور ، واستمر أزيد من عشرين سنة ، ثم ابنه المظفر سبعا وأربعين سنة ، ثم قام من بعده فى الملك ولده الملك الأشرف محمد الدين فلم يمكث سنة حتى مات ، ثم قام أخوه المؤيد عز الدين داود بن المظفر فاستمر فى الملك مدة ، وكانت وفاة الملك المظفر المذكور فى رجب من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكان يحب الحديث وسماعه ، وقد جمع لنفسه أربعين حديثاً .

شرف الدين المقدسي

الشيخ الامام الخطيب المدرس المفتى ، شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي ، ولد سنة ثنتين وعشرين وستمائة ، وسمع السكندر وكتب حسناً وصنف فأجاد وأفاد ، وولى القضاء نيابة بدمشق والتدريس والخطابة بدمشق ، وكان مدرّس الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة ، ودرس فى وقت بالشامية البرانية وأذن فى الافناء جماعة من الفضلاء منهم الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام أبو العباس بن تيمية ، وكان يفخر بذلك ويفرح به ويقول : أنا أذنت لابن تيمية بالافناء ، وكان يتقن فنونا كثيرة من العلوم ، وله شعر حسن ، وصنف كتاباً فى أصول الفقه جمع فيه شيئاً كثيراً ، وهو عندى بضاعة الحسن ، توفى يوم الاحد سابع عشر رمضان وقد جاوز السبعين ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده رحمه الله ورحم أباه . وقد خطب بعده يوم العيد الشيخ شرف الدين الغزاري خطيب جامع جراح ثم جاء المرسوم لابن جماع بالخطابة . ومن شعر الخطيب شرف الدين بن المقدسي :

أحجج إلى الزهر لتسمى به * وارم جماراً لهم مستنفرا

من لم يطف بالزهر فى وقته * من قبل أن يخلق قد قصرا

واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين

أبو بكر محمد بن عياش بن أبي المسكارم النيسابوري ، واقف الجوهريّة على الحنفية بدمشق توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر شوال ، ودفن بمدرسته وقد جاوز الثمانين ، وكانت له خدم على الملوك ، فن دونهم .

الشيخ الامام العالم المفتي

الخطيب الطيب ، محمد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون التنوخي

الحنفى ، خطيب النيرب ومدرس الدماغية للحنفية ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً ، توفى بالنيرب وصلى عليه بجامع الصالحية ، وكان فاضلاً له شهر حسن ، وروى شيئاً من الحديث ، توفى ليلة السبت خامس ذى القعدة عن خمس وسبعين سنة .

الفاروقى الشيخ الامام العابد الزاهد

الخطيب عز الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ محبى الدين إبراهيم بن عمر بن الفرج بن سابور ابن علي بن غنيمه الفاروقى الواسطى ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة ، وسمع الحديث ورحل فيه ، وكانت له فيه يد جيدة ، وفى التفسير والفقه والودع والبلاغة ، وكان ديناً ورعاً زاهداً ، قدم إلى دمشق فى دولة الظاهر فأعطى تدريس الجارضية وإمام مسجد ابن هشام ، ورتب له فيه شئ على المصالح ، وكان فيه إثبات له أحوال صالحة ، ومكاشفات كثيرة ، تقدم يوماً فى محراب ابن هشام ليصلى بالناس فقال - قبل أن يكبر الاحرام والتنت عن عينه - فقال : اخرج فاغتسل ، فلم يخرج أحد ، ثم كر ذلك ثانية وثالثة ، فلم يخرج أحد ، فقال : يا عتمان اخرج فاغتسل ، فخرج رجل من الصف فاغتسل ثم عاد وجاء إلى الشيخ يعتذر إليه ، وكان الرجل صالحاً فى نفسه ، ذكر أنه أصابه فيض من غير أن يرى شخصاً ، فاعتقد أنه لا يلزمه غسل ، فلما قال الشيخ ما قال اعتقد أنه يخاطب غيره ، فلما عينه باسمه علم أنه المراد . ثم قدم الفاروقى مرة أخرى فى أواخر أيام المنصور قلاوون فخطب بجامع دمشق مدة شهر ، ثم عزل بموفق الدين الحوى ، وتقدم ذكر ذلك ، وكان قد درس بالنجيبية وبتدار الحديث الظاهرية ، فترك ذلك كله وسافر إلى وطنه ، فأت بكرة يوم الاربعاء مستهل ذى الحجة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً بواسط ، وصلى عليه بدمشق وغيره رحمه الله ، وكان قد لبس خرقة التصوف من السهر وردى ، وقرأ القراءات العشرة وخاف أنفى مجلد ومائتى مجلداً ، وحدث بالكثير ، وسمع منه البرزالي كثيراً صحيح البخارى وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه ، ومسند الشافعى ، ومسند عبد ابن حميد ، ومجموع الطبرانى الصغير ، ومسند الدارمى وفضائل القرآن لأبى عبيد ، وثمانين جزء وغير ذلك .

الجمال المحقق

أحمد بن عبد الله بن الحسين الدمشقى ، اشتغل بالفقه على مذهب الشافعى ، وبرع فيه وأفتى وأعاد ، وكان فاضلاً فى الطب ، وقد ولى مشيخة الدخوارية لتقدمه فى صناعة الطب على غيره ، وعاد المرضى بالمراستى النورى على قاعدة الأطباء ، وكان مدرساً للشافعية بالفرخشانية ، ومعيداً بعدة مدارس ، وكان جيد الذهن مشاركاً فى فنون كثيرة ساعه الله .

الست خاتون بنت الملك الأشرف

موسى بن العادل زوجة ابن عمها المنصور بن الصالح إسماعيل بن العادل ، وهى التى أثبت سفرها

زمن المنصور قلاوون حتى اشترى منها حزمًا وأخذت الزنقية من زين الدين السامري .

الصدر جمال الدين

يوسف بن علي بن مهاجر النكري أخو الصاحب تقي الدين توبة ، ولى حسبة دمشق في وقت ودفن بقرية أخيه بالسفح ، وكانت جنازته حافلة ، وكان له عقل وأمر وثروة ومروءة ، وخلف ثلاث بنين : شمس الدين محمد ، وعلاء الدين علي ، وبدر الدين حسن .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستمائة

استهلت وخليفة الوقت الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد العباسي ، وسلطان البلاد الملك العادل زين الدين كتبغا ، ونائبه بمصر الأمير حسام الدين لاجين السلحداري المنصوري ، ووزيره نغر الدين بن الخليل ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام عز الدين الحوي ، ووزيره تقي الدين توبة ، وشاد الدواوين الأعسر ، وخطيب البلد وقاضيه ابن جماعة . وفي المحرم ولى نظير الانام برهان الدين بن هلال عرضا عن شرف الدين بن الشيرجي .

وفي مستهل هذه السنة كان الغلاء والفناء بديار مصر شديداً جداً ، وقد تغانى الناس إلا القليل ، وكانوا يحفرون الحفيرة فيدفنون فيها الفئام من الناس ، والأسعار في غاية الغلاء ، والأقوات في غاية القلة والغلاء ، والموت عـال ، فأت بها في شهر صفر مائة ألف ونحو من ثلاثين ألفاً ، ووقع غلاء بالشام فبلغت الغرارة إلى مائتين ، وقدمت طائفة من التتار العورانية لما بلغهم سلطنة كتبغا إلى الشام لأنه منهم ، فتأقاهم الجيش بالرحب والسعة ، ثم سافروا إلى الديار المصرية مع الأمير قراسنقر المنصوري ، وجاء الخبر بأشتداد الغلاء والفناء بمصر حتى قيل إنه بيع الفروج بالاسكندرية بسنة وثلاثين درهماً ، وبالقاهرة بقسمة عشر ، والبيض كل ثلاثة بدرهم ، وأقيت الحر والخليل والبغال والسكلاب من أكل الناس لها ، ولم يبق شيء من هذه الحيوانات يلوح إلا أكلوه .

وفي يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى ولى قضاء القضاة بمصر الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد عرضا عن تقي الدين بن بنت الأعز ، ثم وقع الرخص بالديار المصرية وزال الضر والجوع في جمادى الآخرة والله الحمد .

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب درس القاضي إمام الدين بالقيصرية عوضاً عن صدر الدين ابن رزين الذي توفي . قال البرزالي : وفيها وقعت صاعقة على قبة زمزم فقتلت الشيخ علي بن محمد بن عبد السلام مؤذن المسجد الحرام ، كان يؤذن على سطح القبة المذكورة ، وكان قد روى شيئا من الحديث . وفيها قدمت امرأة الملك الظاهر أم سلاش من بلاد الاشكري إلى دمشق في أواخر رمضان فبعث إليها نائب البلد بالهدايا والتحف ورتبت لها الرواتب والأقامات ، وكان قد نفاهم خليل

ابن المنصور لما ولي السلطنة .

قال الجزري : وفي رجب درس كمال الدين بن القلانسي عوضا عن جلال الدين القزويني .
وفي يوم الأربعاء سابع عشر شعبان درس الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين بن
تيمية الحراني بالمدرسة الحنبلية عوضاً عن الشيخ زين الدين بن المنجي توفي إلى رحمة الله ، ونزل
ابن تيمية عن حلقة الهادي بن المنجا لشمس الدين بن الفخر البعلبكي . وفي آخر شوال نائب القاضي
جمال الدين الزرعي الذي كان حاكماً بزراع ، وهو سليمان بن عمر بن سالم الأزرعي عن ابن جماعة
بدمشق ، فشردت سيرته . وفيها خرج السلطان كتبغا من مصر قاصدا الشام في أواخر شوال ،
ولما جاء البريد بذلك ضربت البشائر بالقلمة ، ونزلوا بالقلمة السلطان ونائبه لاجين ووزيره ابن
الخليلي . وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة ولي قضاء الحنابلة الشيخ تقي الدين سليمان بن
حمزة المقدسي عوضا عن شرف الدين مات رحمه الله ، وخلف عليه وعلى بنية الحكام وأرباب الولايات
الكبار وأكابر الأمراء ، وولي نجم الدين بن أبي الطيب وكالة بيت المال عوضا عن ابن الشيرازي
وخلف عليه مع الجماعة ، ورسم على الأعسر وجماعة من أصحابه وخلق من الكتبة والولاة وصودروا
بمال كثير ، واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وعلى بنت ابن السلجوس وابن عدنان وخلق ، وجرت
خبطة عظيمة ، وقدم ابننا الشيخ على الحريري حسن وشيث من بسر لزيارة السلطان فحصل لهما منه
رفد وإسعاف وعادا إلى بلادهما ، وضيقت القلندرية السلطان بسفح جبل المرة ، فأعطاهم نحوا من
هشرة آلاف ، وقدم صاحب حماة إلى خدمة السلطان ولعب معه الكرة بالميدان ، واشتكت الاشراف
من تقيهم زين الدين بن عدنان ، فرفع صاحب يده عنهم وجعل أمرهم إلى القاضي الشافعي ،
فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة صلى السلطان الملك العادل كتبغا بمقصورة
الخطابة ، وعن يمينه صاحب حماة وتحتة بدر الدين أمير سلاح ، وعن يساره أولاد الحريري حسن
وأخوه ، وتحتهم نائب المملكة حسام الدين لاجين ، وإلى جانبه نائب الشام عز الدين الحموي ،
وتحتة بدر الدين بيسري ، وتحتة قرا سنقر وإلى جانبه الحاج بهادر ، وخلفهم أمراء كبار ، وخلق
على الخطيب بدر الدين بن جماعة خلة سنية . ولما قضيت الصلاة سلم على السلطان وزار السلطان
المصحف العثماني . ثم أصبح يوم السبت فلعب الكرة بالميدان .

وفي يوم الاثنين ثاني ذي الحجة عزل الأمير عز الدين الحموي عن نيابة الشام وعاقبه السلطان
عنايا كثيرا على أشياء صدرت منه ، ثم عفا عنه وأمره بالمسير معه إلى مصر ، واستناب بالشام الأمير
سيف الدين غرلو العادلي ، وخلف على المولى وعلى المعزول ، وحضر السلطان دار العدل وحضر عنده
الوزير والتضادة والأمراء ، وكان عادلا كما سمى ، ثم سافر السلطان في ثاني عشر ذي الحجة نحو بلاد

حلب فاجتاز على حرستا ، ثم أقام بالبرية أياماً ثم عاد فنزل حمص ، وجاء إليه نواب البلاد وجلس
الأمير غرلو نائب دمشق بدار العدل لحكم وعدل ، وكان محمود السيرة شديد الحكم رحمه الله تعالى .
ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ زين الدين بن منجي

الامام العالم العلامة مفتي المسلمين ، الصدر الكامل ، زين الدين أبو البركات بن المنجي بن الصدر
عز الدين أبي عمر عثمان بن أسعد بن المنجي بن بركات بن المتوكل التنوخي ، شيخ الحنابلة وعالمهم ،
ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث وفتقه ، فبرع في فنون من العلم كثيرة من الاصول
والفروع والعربية والتفسير وغير ذلك ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وصنف في الاصول ، وشرح
المفنع ، وله تعاليق في التفسير ، وكان قد جمع له بين حسن السمعة ، الديانة والعلم والوجاهة وصحة
الذهن والعقيدة والمناظرة وكثرة الصدقة ، ولم يزل يواظب على الجامع للاشتغال متبرعا حتى توفى في
يوم الخميس رابع شعبان ، وتوفيت معه زوجته أم محمد ست البها بنت صدر الدين الحنبدى ، وصلى
عليهما بعد الجمعة بجامع دمشق ، وحملهما إلى سفح قاسيون شمال الجامع المظفرى تحت الروضة
فدفنا في تربة واحدة رحمهما الله تعالى . وهو والد قاضي القضاة علاء الدين ، وكان شيخ المسماة
ثم ولها بمده ولداه شرف الدين وعلاء الدين ، وكان شيخ الحنبلية فدرس بها بمده الشيخ
آقى الدين بن تيمية كما ذكرنا ذلك في الحوادث .

المسعودي صاحب الحمام بالمزة

أحد كبار الأمراء ، هو الأمير الكبير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي ، أحد الأمراء
المشهورين بخدمة الملوك ، توفى ببستانه بالمزة يوم السبت سابع عشرين شعبان ، ودفن بصباح يوم
الأحد بترابته بالمزة ، وحضر نائب السلطنة جنازته ، وعمل عزاءه تحت اللسر بجامع دمشق .

الشيخ الخالدي

هو الشيخ الصالح إسرائيل بن علي بن حسين الخالدي ، له زاوية خارج باب السلامة ، كان
يقصد فيها للزيارة ، وكان مشتملا على عبادة وزهادة ، وكان لا يقوم لأحد ، ولو كان من كان ،
وعنده سكرون وخشوع ومعرفة بالطريق ، وكان لا يخرج من منزله إلا إلى الجمعة ، حتى كانت وفاته
بنصف رمضان ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

الشرف حسين المقدسي^(١)

هو قاضي القضاة شرف الدين أبو الفضل الحسين ابن الامام الخطيب شرف الدين أبي بكر
عبد الله ابن الشيخ أبي عمر المقدسي ، مرمع الحديث وفتقه وبرع في الفروع واللغة ، وفيه أدب وحسن
محاضرة ، مليح الشكل ، تولى القضاء بعد نجم الدين بن الشيخ خمس الدين في أواخر سنة سبع

(١) في شذرات الذهب : حسن المقدسي .

وثمانين ، ودرس بدار الحديث الأشرفية بالسفح ، توفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال ، وقد قارب السنين ، ودفن من القبة بمقبرة جده بالسفح ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان جنازته ، وعمل من القصد عزاءه بالجامع المظفرى ، وبأشر القضاء بعده تقي الدين سليمان بن حمزة ، وكذا مشيخة دار الحديث الأشرفية بالسفح ، وقد ولها شرف الدين الغابر الحنبلى النابلسى مدة شهر ، ثم صرف عنها واستقرت بيد التقي سليمان المقدسى .

الشيخ الامام العالم الناسك

أبو محمد بن أبى حمزة المغربى المالكى ، توفي بالديار المصرية فى ذى القعدة ، وكان قوالا بالحق ، أماراً بالمعروف ونهياً عن المنكر .

الصاحب محيى الدين بن النحاس

أبو عبد الله محمد بن بدر الدين يعقوب بن إبراهيم بن عبد الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدى الحلبى الحنفى ، ولد سنة أربع عشرة وستمائة بحلب ، واشتغل وبرع وجمع الحديث وأقام بدمشق مدة ، ودرس بها بمدارس كبار ، منها الظاهرية والزنجانية ، وولى القضاء بحلب والوزارة بدمشق ، ونظر الخزانة ونظر الدواوين والأوقاف ، ولم يزل مكرماً معظماً معروف بالفضيلة والانصاف فى المناظرة ، محباً للحديث وأهله على طريقة السلف ، وكان يحب الشيخ عبد القادر وطائفته ، توفي ببستانه بأرزة عشية الاثنين سلخ ذى الحجة ، وقد جاوز الثمانين ، ودفن يوم الثلاثاء مستهل سنة ست وتسعين بمقبرة له بأرزة ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة .

قاضي القضاة

تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضى القضاة تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن القاضى الاعز أبى القاسم خلف بن بدر الملائى الشافى ، توفي فى جمادى الأولى ودفن بالقرافة بترتهم . ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة

استهلكت والخليفة والسلطان ونائب مصر ونائب الشام والقضاة المذكورون فى التى قبلها والسلطان الملك العادل كتبنا فى نواحى حصص يتصيد ، ومعه نائب مصر لاجين وأكابر الامراء ، ونائب الشام بدمشق وهو الامير سيف الدين غرلو العادلى . فلما كان يوم الاربعاء الثانى المحرم دخل السلطان كتبنا إلى دمشق وصلى الجمعة بالمقصورة وزار قبر هود وصلى عنده ، وأخذ من الناس قصصهم بيده ، وجلس بدار العدل فى يوم السبت ووقع على القصص هو ووزيره نضر الدين الخليلى . وفى هذا الشهر حضر شهاب الدين بن محيى الدين بن النحاس فى مدرستى أبيه الزنجانية والظاهرية وحضر الناس عنده ، ثم حضر السلطان دار العدل يوم الثلاثاء وجاء يوم الجمعة فعلى الجمعة بالمقصورة

ثم صعد في هذا اليوم إلى مفارة الدم لزيارتها ، ودعا هنالك وتصدق بجملة من المال ، وحضر الوزير الخليلي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم إلى الجامع بعد العشاء فجلس عند شبك الكاملية وقرأ القرآن بين يديه ، ورسم بأن يكمل داخل الجامع بالفرش ففعلوا ذلك ، واستمر ذلك نحواً من شهرين ثم عاد إلى ما كان عليه .

وفي صبيحة هذا اليوم درس القاضي فحس الدين بن الحريري بالقبازية عوضاً عن ابن النحاس باتفاق بينهم ، وحضر عنده جماعة ، ثم صلى السلطان الجمعة الأخرى بالمقصورة ومعه وزيره ابن الخليلي وهو ضيف من مرض أصابه ، وفي سابع عشر المحرم أمر للملك الكامل بن الملك السعيد ابن الصالح إسماعيل بن العادل بطلبخانة ولبس الشربوش ، ودخل القلعة ودقت له الكوسات على يابه ، ثم خرج السلطان العادل كتبها بالعساكر من دمشق بكرة الثلاثاء ثاني عشر من المحرم ، وخرج بعده الوزير فاجتاز بدار الحديث ، وزار الأثر النبوي ، وخرج إليه الشيخ زين الدين الفارقي وشافه بتدريس الناصرية ، وترك زين الدين تدريس الشامية البرانية فولها القاضي كمال الدين بن الشريشي ، وذكر أن الوزير أعطى الشيخ شيتا من حطام الدنيا قبله ، وكذلك أعطى خادم الأثر وهو الممين خطاب . وخرج الاعيان والقضاة مع الوزير لتوديعه . ووقع في هذا اليوم مطر جيد استشفى الناس به وغسل آثار العساكر من الأوساخ وغيرها ، وعاد النقي توبة من توديع الوزير وقد فوض إليه نظار الخزانة وعزل عنها شهاب الدين بن النحاس ، ودرس الشيخ ناصر الدين بالناصرية الجوانية عوضاً عن القاضي بدر الدين بن جماعة في يوم الأربعاء آخر يوم من المحرم .

وفي هذا اليوم تحدث الناس فيما بينهم بوقوع تخبيط بين العساكر ، وخلف وتشويش ، فغلق باب القلعة الذي إلى المدينة ، ودخل الصاحب شهاب الدين إليها من ناحية الخوخة ، وتنبأ النائب والأمراء وركب طائفة من الجيش على باب النصر وقفاً ، فلما كان وقت العصر وصل السلطان الملك العادل كتبها إلى القلعة في خمسة أنفس أو ستة من مماليكه ، فدخل القلعة فجاء إليه الأمراء وأحضر ابن جماعة وحسام الدين الحنفي ، وجددوا الحلف للأمراء ثمانية فحلفوا ، وخلع عليهم ، وأمر بالاحتياط على نواب الأمير حسام الدين لاجين وحواصله ، وأقام العادل بالقلعة هذه الأيام ، وكان الخلف الذي وقع بينهم -م- برادى فحمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من المحرم ، وذلك أن الأمير حسام الدين لاجين كان قد واطأ جماعة من الأمراء في الباطن على العادل ، وتوثق منهم ، وأشار على العادل حين خرجوا من دمشق أن يستصحب معه الخزانة ، وذلك لتلايق بدمشق شئ من المال يتقوى به العادل إن فاتهم ورجع إلى دمشق ، ويكون قوة له هو في الطريق على ما عزم عليه من الفدر ، فلما كانوا بالمكان المذكور قتل لاجين الأمير سيف الدين ببيحاص وبكتوت الأزرق المادليين ، وأخذ

الخرانة من بين يديه والمسكر ، وقصدوا الديار المصرية ، فلما سمع العادل بذلك خرج في الدهليز وساق جريدة إلى دمشق فدخلها كما ذكرنا ، وتراجع إليه بعض مماليك كزين الدين غلبك وغيره ، ولزم شهاب الدين الخنفي القلعة لتدبير المملكة ، ودرس ابن الشريشي بالشامية البرانية بكرة يوم الخميس مستهل صفر ، وتقلب أمور كثيرة في هذه الايام ، ولزم السلطان القلعة لا يخرج منها ، وأطلق كثيراً من المكوس ، وكتب بذلك نواقيع وقرئت على الناس ، وغلا السعر جداً فبلفت الفرارة مائتين ، واشتد الحال وتفاقم الأمر ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

سلطنة الملك منصور لاجين السلحداري

وذلك أنه لما استاق الخرانة وذهب بالجيش إلى الديار المصرية دخلها في أبهة عظيمة ، وقد اتفق معه جمهور الأمراء الكبار وبايعوه وملكوه عليهم . وجلس على سرير الملك يوم الجمعة عاشر صفر ، ودقت بصر البشار ، وزينت البلد ، وخطب له على المنابر ، وبالقدس والخليل ، ولقب بالملك المنصور ، وكذلك دقت له البشار بالكرك ونابلس وصفد ، وذهبت إليه طائفة من أمراء دمشق ، وقدمت التجريدة من جهة الرحبة بحجة الأمير سيف الدين كجكن فلم يدخلوا البلد بل نزلوا بميدان الحصن ، وأظهروا مخالفة العادل وطاعة المنصور لاجين صاحب مصر ، وركب إليه الأمراء طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، فضحف أمر العادل جداً ، فلما رأى انحلال أمره قال للأمراء : هو خشداشي وأنا وهو شيء واحد ، وأنا سامع له مطيع ، وأنا أجلس في أي مكان من القلعة أريد ، حتى تسكاتبوه وتنظروا مايقول . وجاءت البريدية بالمسكاتبات بالأمر بالاحتياط على القلعة وعلى العادل وبقي الناس في هرج وأقول ذات ألوان مختلفة ، وأبواب القلعة مغلقة ، وأبواب البلد سوى باب النصر إلا الخلوقة ، والمامة حول القلعة قد ازدحمت حتى سقطت طائفة منهم بالخندق فمات بعضهم ، وأمسى الناس عشية السبت وقد أعلن باسم الملك المنصور لاجين ، ودقت البشار بذلك بعد العصر ودعاه المؤذنون في سحر ليلة الأحد بجامع دمشق ، وتلوا قوله تعالى [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء] الآية .

وأصبح الناس يوم الأحد فاجتمع القضاة والأمراء وفيهم غرلو العادل بدار السعادة فخلعوا للمنصور لاجين ، ونودي بذلك في البلد ، وأن يفتح الناس دكاكينهم ، واختفى الصاحب شهاب الدين وأخوه زين الدين المحتسب ، فعمل الوالي ابن النشابي حسبة البلد ، ثم ظهر زين الدين فباشرها على عادته . وكذلك ظهر أخوه شهاب الدين ، وسافر نائب البلد غرلو والأمير جاعان إلى الديار المصرية يهلمان السلطان بوقوع التحليف على ما رسم به ، وجاء كتاب السلطان أنه جلس على السرير يوم الجمعة عاشر صفر ، وشق القاهرة في سادس عشره في أبهة المملكة ، وعليه الخلع الاندلسية

والأمراء بين يديه ، وأنه قد استناب بمصر الأمير سيف الدين سنقر المنصوري ، وخطب للمنصور
 لاجين بدمشق أول يوم ربيع الأول ، وحضر المقصورة القضاة وشمس الدين الاعسر وكجك ،
 واستدمر وجماعة من أمراء دمشق ، وتوجه القاضي إمام الدين القزويني وحسام الدين الحنفي وجمال
 الدين المالكي إلى الديار المصرية مطلوبين ، وقدم الأمير حسام الدين أستاذ دار السلطان ، وسيف
 الدين جاعان من جهة السلطان لحفوا الأمراء ثانية ودخلوا على العادل القلعة ومعهم القاضي بدر الدين
 ابن جماعة وكجك لحفوه أيماناً مؤكدة بعدما طال بينهم الكلام بالتركي ، وذكر وبالتركي في مبايعته
 أنه راض من البلدان أي بلد كان ، فوقع التعيين بمد الهين على قلعة صرخد ، وجاءت المراسيم
 بالوزارة لنقي الدين توبة ، وعزل شهاب الدين الحنفي ، وبالحسبة لأمين الدين يوسف الأرمي الرومي
 صاحب شمس الدين الايكي ، عوضاً عن زين الدين الحنفي ، ودخل الأمير سيف الدين قبجق
 المنصوري على نيسابا الشام إلى دمشق بكرة السبت السادس عشر من ربيع الأول ، ونزل دار
 السعادة عوضاً عن سيف الدين خرلو العبادلي ، وقد خرج الجيش بكامله لتلقيه ، وحضر يوم الجمعة
 إلى المقصورة فصلى بها وقرأ بعد الجمعة كتاب سلطاني حسامي بإبطال الغنائمات من الأوقاف
 والأملاك بغير رضى أصحابها ، قرأه القاضي محيي الدين بن فضل الله صاحب ديوان الانشاء ، ونودي
 في البلد من له مقالة فليات يوم الثلاثاء إلى دار العدل ، وخلع على الامراء والمقدمين وأرباب المناصب
 من القضاة والسكتية ، وخلع على ابن جماعة خلمتين واحدة للقضاة والأخرى للخطابة .

ولما كان في شهر جمادى الآخرة وصل البريد فأخبر بولاية إمام الدين القزويني القضاة بالشام
 عوضاً عن بدر الدين بن جماعة ، وإبقاء ابن جماعة على الخطابة ، وتدريس القيرية التي كانت بيد
 إمام الدين ، وجاء كتاب السلطان بذلك وفيه احترام وإكرام له ، فدرس بالقيرية يوم الخميس ثاني
 رجب ، ودخل إمام الدين إلى دمشق عقيب صلاة الظهر يوم الأربعاء الثامن من رجب فجلس
 بالمعادية وحكم بين الناس وامتدحه الشراء بقصائد ، منها قصيدة لبعضهم يقول في أولها :

تبدلت الأيام من بعد عسرها يسراً * فأضحت نفور الشام تنفرت بالبشرى

وكان حال دخوله عليه خلة السلطان ومعه القاضي جمال الدين الزواوي ، قاضي قضاة المالكية
 وعليه خلة أيضاً ، وقد شكر سيرة إمام الدين في السفر ، وذكر من حسن أخلاقه ورياضته ما هو
 حسن جميل ، ودرس بالمعادية بكرة الأربعاء منتصف رجب ، وأشهد عليه بعد الدرس بولاية أخيه
 جلال الدين نيابة الحكم ، وجلس في الديوان الصغير وعليه الخلة ، وجاء الناس يهنئونه وقرئ تقليده
 يوم الجمعة بالشباك السكالي بعد الصلاة بمحضرة نائب السلطنة وبقية القضاة ، قرأه شرف الدين
 القزاري . وفي شعبان وصل الخبر بأن شمس الدين الاعسر تولى بالديار المصرية شد الدواوين

والوزارة ، وباشر المنصبين جميعاً ، وباشر نظر الدواوين بدمشق فخر الدين بن السيرجي عوضا عن زين الدين بن مصرى ، ثم عزل بعد قليل بشهر أو أقل بأمين الدين بن هلال ، وأعيدت الشامية البرانية إلى الشيخ زين الدين الفارقي مع الناصرية بسبب غيبة كال الدين بن الشريشي بالقاهرة .

وفي الرابع عشر من ذي القعدة أمسك الأمير شمس الدين قراستغر المنصوري نائب الديار المصرية لاجئين هو وجماة من الامراء معه ، واحتيط على حواصلهم وأموالهم بمصر والشام ، وولى السلطان نيابة مصر للأمير سيف الدين منكوت الحسامي ، وهؤلاء الامراء الذين مسكهم هم الذين كانوا قد أعانوه وباعوه على العادل كتبغا ، وقدم الشيخ كال الدين الشريشي ومعه توقيع بتدريس الناصرية عوضا عن الشامية البرانية ، وأمسك الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وزير مصر وشاد الدواوين يوم السبت الثالث والعشرين من ذي الحجة ، واحتيط على أمواله وحواصله بمصر والشام . ونودي بمصر في ذي الحجة أن لا يركب أحد من أهل الدمة فرسا ولا بغلا ، ومن وجد منهم راكبا ذلك أخذ منه . وفيها ملك البين السلطان الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر المنتقم ذكره في التي قبلها . ومن توفى فيها من الاعيان

قاضي قضاة الحنابلة بمصر

عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي الحنبلي ، سمع الحديث وبرع في المذهب وحكم بمصر ، وكان مشكورا في سيرته وحكمه ، توفى في صفر ودفن بالمقطم ، وتولى بعده شرف الدين عبد الغني بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر الحراني بديار مصر .

الشيخ الامام الحافظ القدوة

عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع بن أحمد بن عزاز المصري الحنبلي ، توفى بالمدينة النبوية في أواخر صفر ، ولد سنة خمس وعشرين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، وجاور بالمدينة النبوية خمسين سنة ، وحج فيها أربعين حجة متوالية ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب رحمه الله . الشيخ شيث بن الشيخ علي الحريري

توفى بقرية بسر من حوران يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر وتوجه أخوه حسن والفقراء من دمشق إلى هناك لتعزية أخيهم حسن الأكبر فيه .

الشيخ الصالح المقرئ

جمال الدين عبد الواحد بن كثير بن ضرغام المصري ، ثم الدمشقي ، تقيب السبع الكبير والنزالية ، كان قد قرأ على السخاوي وسمع الحديث ، توفى في أواخر رجب وصلى عليه

بالجامع الاموى ودفن بالقرب من قبة الشيخ رسلان .

واقف السامرية

الصدر الكبير سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن جعفر البغدادي السامري واقف السامرية التي إلى جانب الكروسية بدمشق ، وكانت داره التي يسكن بها ، ودفن بها ووقفها دار حديث وخانقاه ، وكان قد انتقل إلى دمشق وأقام بها بهذه الدار مدة ، وكانت قديماً تعرف بدار ابن قوام ، بناها من حجارة منحوتة كلها ، وكان السامري كثير الأموال حسن الأخلاق معظماً عند الدولة ، جميل المعاشرة ، له أشعار رائقة ومبتكرات فائقة ، توفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، وقد كان بينداد له حظوة عند الوزير ابن العلقمي ، وامتدح المعتمد وخلع عليه خلمة سوداء سنية ، ثم قدم دمشق في أيام الناصر صاحب حلب فخطب عنده أيضاً فسمى فيه أهل الدولة فصنف فيهم أرجوزة فتح عليهم بسببها بابا فصادروهم المالك بمشرين ألف دينار ، فمظموه جماً وتوسلوا به إلى أغراضهم ، وله قصيدة في مدح النبي (ص) ، وقد كتب عنه الحافظ الهمداني شيئاً من شعره .

واقف النفيسية التي بالرصيف

الرئيس نفيس الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلام بن علي ابن صدقة الحرائي ، كان أحد شهود القيمة بدمشق ، وولى نظر الأيتام في وقت ، وكان ذا ثروة من المال ، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وممع الحديث ووقف داره دار حديث ، توفي يوم السبت بعد الظهر الرابع من ذي القعدة ، ودفن بسفح قاسيون بكرة يوم الأحد بعد ماضى عليه بالاموى .

الشيخ أبو الحسن المعروف بالساروب الدمشقي

يلقب بنجم الدين ، ترجمه الحريري فأطنب ، وذكر له كرامات وأشياء في علم الحروف وغيرها والله أعلم بحاله .

وفيهما قتل قازان الأمير نوروز الذي كان إسلامه على يديه ، كان نوروز هذا هو الذي استسلمه ودعاه للإسلام فأسلم وأسلم معه أكثر التتر ، فان التتر شوشوا خاطر قازان عليه واستمالوه منه وعنه ، فلم يزل به حتى قتله وقتل جميع من ينسب إليه ، وكان نوروز هذا من خيار أمراء التتر عند قازان وكان ذا عبادة وصدق في إسلامه وأذكاره وتطوعاته ، وقصده الجيد رحمه الله وعفا عنه ، ولقد أسلم على يديه منهم خاق كثير لا يعلمهم إلا الله ، واتخذوا السبع والهيكل وحضروا الجمع والجماعات وقربوا القرآن والله أعلم . ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة

استسلمت والخليفة الحاكم والسلطان لاجين ونائب مصر منكوتمر ونائب دمشق قبجق . وفي عاشر صفر تولى جلال الدين بن حسام الدين القضاء مكان أبيه بدمشق ، وطلب أبوه إلى مصر فأقام

عند السلطان وولاه قضاء قضاء مصر للحنفية عوضاً عن فحس الدين السروجي ، واستقر ولده بدمشق قاضي قضاء الحنفية ، ودرس بمدرستى أبيه الخاتونية والمقدمية ، وترك مدرسة الفصاعين والشبلية وجاء الخبر على يدى البريد بعافية السلطان من الوقعة التى كان وقها فدقت البشائر وزينت البلد ، فانه سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة ، فكان كما قال الشاعر :

حويت بطشاً وإحساناً ومعرفة * وليس يحمل هذا كله الفرس

وجاء على يديه تقليد وخلمة لنائب السلطنة ، فقرأ التقليد وبأس العتبة . وفى ربيع الأول درس بالجوزية عز الدين ابن قاضى القضاة تقي الدين سليمان وحضر عنده إمام الدين الشافعى وأخوه جلال الدين وجماعة من الفضلاء ، وبعد التدريس جلس وحكم عن أبيه بإذنه فى ذلك .

وفى ربيع الأول غضب قاضى القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وترك الحكم بمصر أياماً ، ثم استرضى وعاد وشرطوا عليه أن لا يستنيب ولده المحب ، وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر أقيمت الجمعة بالمدرسة المعظمية وخطب فيها مدرستها القاضى فحس الدين بن المعز الحنفى ، واشتهر فى هذا الحين القبض على بدر الدين بيسرى واحتيط على أمواله بديار مصر ، وأرسل السلطان بجزيرة مصرية علم الدين الدويدارى إلى تل حمدون ففتحته بحمد الله ومنه ، وجاء الخبر بذلك إلى دمشق فى الثانى عشر من رمضان ، وخربت به الخليلية وأذن بها الظهر ، وكان أخذها يوم الاربعاء سابع رمضان ، ثم فتحت ممرعش بعدها فدقت البشائر ، ثم انتقل الجيش الى قلعة حموص فأصيب جماعة من الجيش منهم الامير علم الدين سنجر طعصباً أصابه زيار فى نغذه ، وأصاب الامير علم الدين الدويدارى حجر فى رجله .

ولما كان يوم الجمعة سابع عشر شوال عمل الشيخ تقي الدين بن تيمية ميعداً فى الجهاد وحرص فيه وبالغ فى أجور المجاهدين ، وكان ميعداً حافلاً جليلاً .

وفى هذا الشهر عاد الملك السمعود بن خضو بن الظاهر من بلاد الاشكرى إلى ديار مصر بعد أن مكث هناك من زمن الأشرف بن المنصور ، وتلقاه السلطان بالوكب وأكرمه وعظمه . وحج الامير خضر بن الظاهر فى هذه السنة مع المصريين وكان فيهم الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى . وفى شهر شوال جلس المدرسون بالمدرسة التى أنشأها نائب السلطنة بمصر وهى المكتوبية داخل باب القنطرة . وفيها دقت البشائر لاجل أخذ قلعة حميص ونجم من بلاد سيس .

وفيها وصلت الجريدة من بلاد مصر قاصدين بلاد سيس مدداً لأصحابهم ، وهى نحو ثلاثمائة آلاف مقاتل ، وفى منتصف ذى الحجة أمسك الامير عز الدين أيك الحموى الذى كان نائب الشام هو وجماعة من أهله وأصحابه من الامراء . وفيها قلت المياه بدمشق جسداً حتى بقى ثورا فى

بعض الأماكن لا يصل إلى ركبة الإنسان، وأما بردي فإنه لم يبق فيه مسكة ماء ولا يصل إلى جسر حسر بن، وغلاسر النلج بالبلد. وأما فيل مصر فاته كان في غاية الزيادة والكثرة. ومن توفي فيهما الأعيان. الشيخ حسن بن الشيخ علي الحويري في ربيع الأول بقرية بسر، وكان من كبار الطائفة، ولأناس إليه ميل لحسن أخلاقه وجودة معاشرته، ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة.

الصدر الكبير شهاب الدين

أبو العباس أحمد بن عثمان بن أبي الرجا بن أبي الزهر التنوخي المعروف بابن السلموس، آخر الوزير، قرأ الحديث وسمع الكثير، وكان من خيار عباد الله، كثير الصدقة والبر، توفي بداره في جادى الأولى، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير، وعمل عزاءه بمسجد ابن هشام، وقبولى في وقت نظر الجامع وشكرت سيرته، وحصل له وجاعة عظيمة عريضة أيام وزارة أخيه، ثم عاد إلى ما كان عليه قبل ذلك حتى توفي، وشهد جنازته خلق كثير من الناس.

الشيخ شمس الدين الأيكي

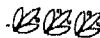
محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي، المعروف بالأيكي، أحد الفضلاء الحلالين للمشكلات، والميسرين المضلات، لاسيما في علم الأصول والمنطق، وعلم الأوائل، باشر في وقت مشيخة الشيوخ بمصر، وأقام مدرسا فزالية قبل ذلك، توفي بقرية المزة يوم جمعة، ودفن يوم السبت ومشي الناس في جنازته، منهم قاضي القضاة إمام الدين القزويني، وذلك في الرابع من رمضان ودفن بمقابر الصوفية إلى جانب الشيخ شحمة وعمل عزاءه بخانقاه السيمساطية، وحضر جنازته خلق كثير، وكان معظم ما في نفوس كثير من العلماء وغيرهم

الصدر ابن عقبة

إبراهيم بن أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البهراوى، درس وأعاد، وولى في وقت قضاء حلب، ثم سافر قبل وفاته إلى مصر فجاؤ بتوقيع فيه قضاء قضاء حلب، فلما اجتاز بدمشق توفي بها في رمضان من هذه السنة، وله سبع وثمانون سنة. يشيب المرء ويشب معه خصلتان الحرص وطول الأمل

الشهاب العابر

أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى الخنبلى شهاب الدين عابر الرؤيا، سمع الكثير وروى الحديث. وكان مجيهاً في تفسير المناجات، وله فيه اليد الطولى، وله تصنيف فيه ليس كالذى يؤثر عنه من الغرائب والمجائب، ولد سنة ثمان وعشرين وستمائة، توفي في ذى القعدة ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة رحمه الله.



ثم الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية. ويليه الجزء الرابع عشر. وأوله سنة ثمان وتسعين وستمائة

فهرست الجزء الثالث عشر من كتاب البداية والنهاية

صحيحة	صحيحة
٢	ثم دخلت سنة تسع وثمانين وخمسمائة
٤	تركته وشيء من ترجمته
٦	فصل
٧	السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب
١٥	الأمير بكتمر صاحب خلاط
	الأتابك عز الدين مسعود
	جعفر بن محمد بن فطيرا
	يحيى بن سعيد بن غازي
	السيدة زبيدة
٨	الشيخة الصالحة فاطمة خاتون
٩	ثم دخلت سنة تسعين وخمسمائة
١٠	أحمد بن إسماعيل بن يوسف
	ابن الشاطبي ناظم الشاطبية
	ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وخمسمائة
١١	علي بن حسان بن سافر
١٢	ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة
	مؤيد الدين أبو الفضل
	الفخر محمود بن علي
١٣	ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
١٤	أبو الغنائم محمد بن علي
١٥	الفقيه أبو الحسن علي بن سعيد
	الشيخ أبو شجاع
	ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة
١٦	سيف الإسلام طغتكين
	الأمير الكبير أبو الهيجاء السمين الكردي
	قاضي بغداد أبو طالب علي بن علي
	ابن هبة الله بن محمد
	السيد الشريف نقيب الطالبين ببغداد
١٧	الست علاء بنت شاهنشاه
١٨	ثم دخلت سنة أربع وتسعين وخمسمائة
١٩	العوام بن زيادة
٢٠	القاضي أبو الحسن علي بن رجاء بن زهير
	الأمير عز الدين حرديل
	ثم دخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة
	فيها كانت وفاة العزيز صاحب مصر
٢١	السلطان أبو محمد يعقوب بن يوسف
	الأمير مجاهد الدين قياز الرومي
	أبو الحسن محمد بن جعفر
	الشيخ جمال الدين أبو القاسم
	ثم دخلت سنة ست وتسعين وخمسمائة

صحيفة

- الملك غياث الدين الغوري أخو شهاب الدين
الأمير علم الدين أبو منصور^(١)
٣٥ القاضي الضياء الشهرزوري
عبدالله بن علي بن نصر بن حمزة
ابن النجا الواعظ
٣٦ الست الجليلة زمرد خاتون
سنة ستائة من الهجرة
٣٨ أبو القاسم بهاء الدين
الحافظ عبد الغني المقدسي
٣٩ أبو الفتوح أسعد بن محمود العجلي
٤٠ البناني الشاعر
أبو سعيد الحسن بن خالد
العراقي محمد بن العراقي
ثم دخلت سنة إحدى وستائة
٤١ أبو الحسن علي بن عنتر بن ثابت الحلبي
٤٢ أبو نصر محمد بن سعد الله^(١)
أبو العباس أحمد بن مسعود
أبو الفداء إسماعيل بن برتعمس النجاوي
أبو الفضل بن الياس بن جامع الأربلي
٤٣ أبو السعادات الحلبي
أبو غالب بن كمنونة اليهودي
ثم دخلت سنة اثنتين وستائة
٤٤ شرف الدين أبو الحسن
التقي عيسى بن يوسف

صحيفة

- ٢٢ السلطان علاء الدين خوارزم شاه
٢٣ نظام الدين مسعود بن علي
أبو الفرج بن عبد المنعم بن عبد الوهاب
الفقيه مجد الدين
الأمير صارم الدين قايمار
الأمير لؤلؤ
٣٤ الشيخ شهاب الدين الطوسي
الشيخ ظهير الدين عبد السلام الفارسي
الشيخ العلامة بدر الدين ابن عسكر
الشاعر أبو الحسن
أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف
٢٦ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة
٢٨ عبد الرحمن بن علي
٣٠ العماد الكاتب الأصبهاني
٣١ الأمير بهاء الدين قراقوش
مكتبة بن عبد الله المستنجد
أبو منصور بن أبي بكر بن شجاع
٣٢ أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر
ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وخمسمائة
القاضي ابن الزكي
٢٣ الخطيب الدولعي
الشيخ علي بن علي بن عlish
الصدر أبو الثناء حماد بن هبة الله
٣٤ ينفشا بنت عبد الله
ابن المحتسب الشاعر أبو السكر
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وخمسمائة

أبو الفنائم المركيسهادر البغدادي
أبو الحسن علي بن سعاد الفارسي
الحناتون
٤٥ الأمير مجير الدين طاشتكين المستنجد
ثم دخلت سنة ثلاث وستائة
٤٦ الفقيه أبو منصور
عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر
أبو الحزم مكي بن زيان
إقبال الخادم
ثم دخلت سنة أربع وستائة
٤٩ الأمير بنيامين بن عبد الله
٥٠ حنبل بن عبد الله
عبد الرحمن بن عيسى
الأمير زين الدين قراجا الصادحي
عبد العزيز الطبيب
العفيف بن الدرعي
أبو محمد جعفر بن محمد
٥١ ثم دخلت سنة خمس وستائة
٥٢ أبو الفتح محمد بن أحمد بن يختيار
قاضي القضاة لمصر
ثم دخلت سنة ست وستائة
٥٣ القاضي الأسعد ابن عماني
أبو يعقوب يوسف بن إسماعيل
أبو عبد الله محمد بن الحسن

أبو الواهب معتوق بن منيع
ابن خروف
أبو علي يحيى بن الربيع
٥٤ ابن الأثير صاحب جامع الأصول والنهاية
المجلد المطرزي النحوي الخوارزمي
الملك المغيث
٥٥ مسعود بن صلاح الدين
الفخر الرازي
ثم دخلت سنة سبع وستائة
٥٦ ذكر وفاة صاحب الموصل نور الدين
٥٧ الشيخ أبو عمر
٥٨ ابن طبرزد شيخ الحديث
٦١ السلطان الملك العادل أرسلان شاه
ابن سكينه عبد الوهاب بن علي
مظفر بن ساسير
٦٢ ثم دخلت سنة ثمان وستائة
الشيخ عماد الدين
ابن حمدون تاج الدين
٦٣ صاحب الروم خسرو شاه
الأمير فخر الدين سر كس
الشيخ الكبير المعمر أبو القاسم
أبو بكر أبو الفتح
قاسم الدين التركاني
ثم دخلت سنة تسع وستائة

صحيفة

- ٦٤ نجم الدين أيوب
فقيه الحرم الشريف بمكة
أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد الديباجي
الشيخ الصالح الزاهد العابد
ثم دخلت سنة عشر وستائة
٦٥ مسعود الأمير
شيخ الحنفية
والشيخ أبو الفضل بن إسماعيل
والوزير معز الدين أبو المعالي
٦٦ وسنجر بن عبدالله الناصري
قاضي السلامة
وتاج الأمناء
والنسابة الكلبي
٦٧ المذنب الطبيب المشهور
الجزولي صاحب المقدمة المصنوعة بالقانون
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وستائة
٦٨ إبراهيم بن علي
الركن عبد السلام بن عبد الوهاب
أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك
الحافظ أبو الحسن علي بن الأنجب
ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وستائة
٦٩ الحافظ عبد القادر الرازي
الوجيه الأعمى
٧٠ أبو محمد عبد العزيز بن أبي المعالي
الشيخ الفقه كمال الدين مودود

صحيفة

- ٧١ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وستائة
الملك الظاهر أبو منصور
زيد بن الحسن
٧٢ العزيز محمد بن الحافظ عبد الفتي المقدسي
أبو الفتوح محمد بن علي بن المبارك
الشريف أبو جعفر
أبو علي مزيد بن علي
٧٥ أبو الفضل رشوان بن منصور
محمد بن يحيى
ثم دخلت سنة أربع عشرة وستائة
٧٧ الشيخ الامام العلامة الشيخ العماد
القاضي جمال الدين ابن الحرساني
٧٨ الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم
الشجاع محمود المعروف بابن الدماغ
الشيخة الصالحة العابدة الزاهدة
ثم دخلت سنة خمس عشرة وستائة
٨٠ صفة أخذ الفرنج دمياط
٨١ القاضي شرف الدين
٨٢ عماد الدين أبو القاسم
أبو اليمين نجاح بن عبدالله الحبشي
أبو المظفر محمد بن علوان
أبو الطيب رزق الله بن يحيى
ثم دخلت سنة ست عشرة وستائة
ظهور جنكيز خان وعبور التتار
نهر جيحون

صحيفة

- ٨٤ ست الشام
٨٥ أبو البقاء صاحب الاعراب واللباب
الحافظ عماد الدين أبو القاسم
٨٦ أبو زكريا يحيى بن القاسم
صاحب الجواهر
ثم دخلت سنة سبع عشرة وستمائة
٩٢ الملك الفائز
٩٣ شيخ الشيوخ صدر الدين
صاحب حماء
صاحب آمد
الشيخ عبد الله اليوناني
٩٤ أبو عبد الله الحسين بن محمد بن أبي بكر
ثم دخلت سنة ثمان عشرة وستمائة
٩٦ ياقوت الكاتب الوصلي رحمه الله
جلال الدين الحسن
الشيخ الصالح
والخطيب موفق الدين
المحدث تقي الدين أبو طاهر
٩٧ أبو الفيث شعيب بن أبي طاهر بن كليب
أبو العز شرف بن علي
أبو سليمان داود بن إبراهيم
أبو المظفر عبد الوهيد بن محمود بن المبارك
ثم دخلت سنة تسع عشرة وستمائة
٩٨ عبد القادر بن داود

صحيفة

- أبو طالب يحيى بن علي
٩٩ قطب الدين العادل
الشيخ نصر بن أبي الفرج
ثم دخلت سنة عشرين وستمائة
موفق الدين محمد بن أحمد
١٠١ عبد الرحمن بن الحسن بن هبة
الله بن عساكر
سيف الدين محمد بن طرودة الموصلية
١٠٢ الشيخ أبو الحسن الروزبهاري
الشيخ عبد الرحمن اليماني
الرئيس عز الدين المظفر بن أسعد
الأمير الكبير أحد حجاب الخليفة
١٠٣ أبو علي الحسن بن أبي المحاسن
أبو علي يحيى بن المبارك
ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وستمائة
١٠٤ أحمد بن محمد
أبو الكرم المظفر بن المبارك
١٠٥ محمد بن أبي الفرج بن بركة
أبو بكر بن حلبه الموازمني البغدادي
أحمد بن جعفر بن أحمد
ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وستمائة
١٠٦ وفاة الخليفة الناصر لدين الله
وخلافة ابن الظاهر

صحيفة

- ١٢١ السلطان الملك المعظم
١٢٢ أبو المعالي أسعد بن يحيى
أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد
أبو النجم محمد بن القاسم بن
هبة الله التكريتي
١٢٣ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وستائة
ثم دخلت سنة ست وعشرين وستائة
١٢٤ الملك المسعود اقسيس بن الكامل
محمد السبتي التجار
أبو الحسن علي بن سالم
١٢٥ أبو يوسف يعقوب بن صابر الحارثي
١٢٦ أبو الفتوح نصر بن علي البغدادي
أبو الفضل جبرائيل بن منصور
١٢٧ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وستائة
زين الأمانة الشيخ الصالح
١٢٨ الشيخ بيرم المارديني
ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وستائة
١٢٩ يحيى بن معطي بن عبد النور
١٣٠ الدخوار الطبيب
القاضي أبو غانم بن العديم
أبو القاسم عبد المجيد بن العجمي
أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الكريم
المجد البهنسي
١٣١ جمال الدولة

صحيفة

- ١٠٧ خلافة الظاهر بن الناصر
١٠٨ أبو الحسن علي الملقب بالملك الأفضل
الأمير سيف الدين علي
الشيخ علي الكردي
١٠٩ الفخر ابن تيمية
الوزير بن شكر
أبو إسحاق إبراهيم بن المظفر
١١٠ أبو الحسن علي بن الحسن
البها السنجاري
عثمان بن عيسى
أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الرسوي
١١١ أبو الفضل عبد الرحيم بن نصر الله
أبو علي الحسن بن علي
أبو بكر محمد بن يوسف بن الطباخ
ابن يونس شارح التنبيه
١١٢ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وستائة
وفاة الخليفة الظاهر وخلافة ابنته
المستنصر
١١٣ خلافة المستنصر بالله العباسي
١١٤ الجمال المصري
١١٥ المعتمد والي دمشق
١١٦ واقف الشبلية التي بطريق الصاحبة
واقف الرواحية بدمشق وحلب
أبو محمد محمود بن مودود بن محمود
ياقوت ويقال له يعقوب بن عبد الله
١١٧ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وستائة
جنكيز خان

صحيفة

الملك الأجدد

برام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه

١٣٢ جلال الدين تكش

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستائة

١٣٣ الحافظ محمد بن عبد الغني

الجمال عبدالله بن الحافظ عبد

الغني المقدسي

أبو علي الحسين بن أبي بكر المبارك

أبو الفتح مسعود بن إسماعيل

أبو بكر محمد بن عبد الوهاب

حسام بن غزي

١٣٤ أبو عبد الله محمد بن علي

أبو التمام محمود بن والي

ابن معطي النحوي يحيى

١٣٥ ثم دخلت سنة ثلاثين وستائة

١٣٦ أبو القاسم علي بن الشيخ أبي الفرج

ابن الجوزي

الوزير صفى الدين بن شكر

الملك ناصر الدين محمود

القاضي شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم

الملك المظفر أبو سعيد كوكبري

١٣٧ والملك العزيز بن عثمان بن العادل

أبو المحاسن محمد بن نصر الدين

ابن نصر

صحيفة

١٣٨ الشيخ شهاب الدين السهروردي

١٣٩ ابن الأثير مصنف اسد القابة والكمال

ابن المستوفي الأريلي

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وستائة

١٤٠ أبو الحسن علي بن أبي علي

١٤١ واقف الركنية الأمير ركن

الدين منكورس الفلكي

الشيخ الامام العالم رضي الدين

الشيخ طي المصري

الشيخ عبدالله الأرمني

ثم دخلت سنة إثنين وثلاثين وستائة

قاضي القضاة بحلب

ابن الفارض

١٤٤ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وستائة

الحاجري الشاعر

ابن دحية

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستائة

١٤٥ الملك العزيز الظاهر

١٤٦ صاحب الروم

الناصر الحنبلي

الكمال بن المهاجر

الشيخ الحافظ أبو عمرو عثمان بن دحوة

القاضي عبد الرحمن التكريتي

صحيفة

- ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وستمائة
 ١٤٩ ذكر وفاة الملك الكامل
 ذكر ما جرى بعده
 ١٥٠ وأما الجواد
 محمد بن زيد
 ١٥١ محمد بن هبة الله بن جميل
 القاضي شمس الدين يحيى بن بركات
 الشيخ شمس الدين بن الحوي
 الشيخ الصالح المعمر
 صارم الدين
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وستمائة
 ١٥٢ جمال الدين الحصري الحنفي
 ١٥٣ الوزير جمال الدين علي بن حديد
 جعفر بن علي
 الحافظ الكبير زكي الدين
 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وستمائة
 ١٥٤ صاحب حمص
 ١٥٥ القاضي الحوي شمس الدين أحمد بن خليل
 ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وستمائة
 ١٥٦ محي الدين بن بجري
 القاضي نجم الدين أبو العباس
 ١٥٧ ياقوت بن عبد الله أمين الدين الرولي
 ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وستمائة
 الشمس ابن الحجاز

صحيفة

- ١٥٨ الكمال بن يونس
 عبد الواحد الصوفي
 أبو الفضل أحمد بن اسفنديار
 أبو بكر محمد بن يحيى
 قاضي القضاة ببغداد
 ١٥٩ ثم دخلت سنة أربعين وستمائة
 ١٦٠ خلافة المستعصم بالله
 ١٦١ المستنصر بالله
 خاتون بنت عز الدين مسعود
 ١٦٢ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وستمائة
 الشيخ شمس الدين أبو الفتوح
 ١٦٣ الشيخ الحافظ الصالح
 واقف الكروسية
 الملك الجواد يونس بن ممدود
 ١٦٤ مسعود بن أحمد بن مسعود
 أبو الحسن علي بن يحيى بن الحسين
 ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وستمائة
 ١٦٥ الملك المغيث عمر بن الصالح أيوب
 تاج الدين أبو عبد الله بن مر بن حمويه
 الوزير نصر الدين أبو الأزهر
 نقيب النقباء خطيب الخطباء
 ١٦٦ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وستمائة
 ١٦٨ الشيخ تقي الدين أبو الصلاح
 ١٦٩ ابن التجار الحافظ صاحب التاريخ

صحيفة

- الحافظ طعياء الدين المقدسي
 ١٧٠ الشيخ علم الدين أبو الحسن السخاوي
 ربيعة خاتون بنت أيوب
 ١٧١ معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ
 سيف الدين بن قلع
 ثم دخلت سنة أربع وأربعين وستمائة
 ١٧٢ الملك المنصور
 الصائغ محمد بن حسان
 الفقيه العلامة محمد بن محمود بن
 عبد المتعم
 والضياء عبد الرحمن الفخاري
 ثم دخلت سنة خمس وأربعين وستمائة
 الحسين بن الحسين بن علي
 الشلوين النحوي
 الشيخ علي المعروف بالحريري
 ١٧٤ واقف العزيز الأمير عز الدين أيبك
 الشهاب غازي بن العادل
 ثم دخلت سنة ست وأربعين وستمائة
 ١٧٥ فصل الدين الخوئي
 علي بن يحيى جمال الدين أبو الحسن
 الهرمي
 ١٧٦ الشيخ أبو عمرو بن الحاجب
 ١٧٧ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وستمائة
 ١٧٨ فخر الدين يوسف بن الشيخ بن حمويه
 ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وستمائة

صحيفة

- المعز عز الدين أيبك التركاني يملك
 مصر بعد بني أيوب
 ١٧٩ الناصر بن العزيز بن الظاهر صاحب
 حلب يملك دمشق
 شيء من ترجمة الصالح إسماعيل
 واقف تربة الصالح
 ١٨٠ الملك المعظم توران شاه بن الصالح
 أيوب
 الخاتون ارغوانية
 امين الدولة أبو الحسن غزال المتطبيب
 ١٨١ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وستمائة
 بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة
 الحيري
 القاضي أبو الفضل عبد الرحمن بن
 عبد السلام
 ١٨٢ ثم دخلت سنة خمسين وستمائة هجرية
 جمال الدين بن مطروح
 شمس الدين محمد بن سعد المقدسي
 ١٨٣ عبد العزيز بن علي
 الشيخ أبو عبدالله محمد بن غانم
 ابن كريم
 ١٨٤ أبو الفتح نصر الله بن هبة الله
 ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة
 ١٨٥ ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وستمائة
 عبد الحميد بن عيسى

صحيفة

١٨٦ الشيخ كمال الدين بن طلحة

السيد بن علان

الناصح فرج بن عبد الله الحبشي

النصرة بن صلاح الدين يوسف

ابن ايوب

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وستائة

ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم

أبو الغزالي^(١) إسماعيل بن حامد

١٨٧ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وستائة

١٩٣ الشيخ عماد الدين عبد الله بن

الحسن بن النحاس

١٩٤ يوسف بن الأمير حسام الدين

١٩٥ واقف مرستان الصالحية

مجير الدين يعقوب بن الملك العادل

أبي بكر بن أيوب

الأمير مظفر الدين إبراهيم

الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح

ثم دخلت سنة خمس وخمسين وستائة

١٩٧ والشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن

أبي القهم

الشيخ شرف الدين

المشد الشاعر الأمير سيف الدين

١٩٨ بشاره بن عبد الله

صحيفة

القاضي تاج الدين

الملك الناصر

الملك المعز

١٩٩ شجرة الدر بنت عبد الله

الشيخ الأسعد هبة الله بن صاعد

ابن أبي الحديد الشاعر العراقي

٢٠٠ ثم دخلت سنة ست وخمسين وستائة

٢٠٤ خليفة الوقت المستعصم بالله

٢١٠ فصل

فصل

٢١١ الصرصري الملاح رحمه الله

البهاء زهير صاحب الديوان

٢١٢ الحافظ زكي الدين المنذري

النور أبو بكر بن محمد بن محمد

عبد العزيز

الوزير - بن العلقمي الرافضي قبحه الله

٢١٣ محمد بن عبد الصمد بن عبد الله

ابن حيدرة

القرطي صاحب المفهم في شرح مسلم

الكمال إسحاق بن أحمد بن عثمان

العماد داود بن عمر بن يحيى بن

عمر بن كامل

الشيخ علي العابد الخباز

صحيفة

محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي
الفرج أبو عبدالله المقدسي
٢١٤ البدر لؤلؤ صاحب الموصل
الملك الناصر داود المعظم
٢١٥ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستمائة
٢١٦ ولاية الملك المظفر قطز
واقف الصدريّة صدر الدين أسعد
بن المنجاة بن بركات بن مومل
الشيخ يوسف الاقيني
٢١٧ الشمس علي بن الشبي المحدث
أبو عبدالله الفاسي شارح الشاطبية
النجم أخو البدر مفضل
سعد الدين محمد بن الشيخ محي
الدين بن عربي
ميف الدين بن صبرة
النجيب بن شعيشعة الدمشقي
٢١٨ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة
٢١٩ صفة أخذهم دمشق وزوال ملكهم
عنها سريعاً
٢٢٠ وقعت عين جالوت
٢٢٢ ذكر سلطنة الملك الظاهر بيبرس
البندقداري
٢٢٤ قاضي القضاة صدر الدين أبو
العيس ابن سني الدولة

صحيفة

الملك السعيد صاحب ماردين
٢٢٥ الملك السعيد حسن بن عبدالعزيز
عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن الحسن
ابن عبد الرحمن بن طاهر
الملك المظفر قطز بن عبدالله
٢٢٧ الشيخ محمد الفقيه الديونيني
٢٢٩ محمد بن خليل بن عبد الوهاب
ابن بدر
ثم دخلت سنة تسع وخمسين وستمائة
٢٣١ البيعة بالخلافة للمستنصر بالله أبي
القاسم أحمد بن أمير المؤمنين
الظاهر
٢٣٢ تولية الخلافة المستنصر بالله لسدك
الظاهر السلطاني
ذهاب الخليفة إلى بغداد
٢٣٣ ثم دخلت سنة ستين وستمائة
ذكر بيعة الحاكم بأمر الله العباسي
٢٣٥ الخليفة المستنصر بن الظاهر بأمر
الله العباسي
العزّ الضير النحوي اللغوي
ابن عبد السلام
٢٣٦ كمال الدين بن العديم الحنفي
يوسف بن يوسف بن سلامة
البدر المراغي الخلافي

هو لاکو خان بن تولى خان بن
جنکین خان
ثم دخلت سنة خمس وستين وستمائة
٢٤٩ السلطان برکه خان بن تولى بن
جنکین خان
قاضي القضاة بالديار المصرية
٢٥٠ واقف القيمرية الامير الكبير
ناصر الدين
الشيخ شهاب الدين أبو شامة
٢٥١ ثم دخلت سنة ست وستين وستمائة
فتح انطاكية على يد السلطان
الملك الظاهر
٢٥٣ الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال
٢٥٤ الحافظ أبو إبراهيم إسحاق بن عبد الله
ثم دخلت سنة سبع وستين وستمائة
٢٥٥ الأمير عز الدين أیدمر بن عبد الله
شرف الدين أبو الظاهر
القاضي تاج الدين أبو عبد الله
الطبيب الماهر شرف الدين أبو الحسن
٢٥٦ الشيخ نصير الدين
الشيخ أبو الحسن
ثم دخلت سنة ثمان وستين وستمائة
٢٥٧ صاحب زين الدين يعقوب بن
عبد الله الرفيع

محمد بن داود بن يافوت الصارمي
٢٢٧ ثم دخلت سنة إحدى وستين وستمائة
ذكر خلافة الحاكم بأمر الله أبي العباس
١٢٨ ذكر أخذ الظاهر الكرك وإعدام
صاحبها
٢٤١ أحمد بن محمد بن عبد الله
عبد الرزاق بن عبد الله
محمد بن أحمد بن عزتر السامي الدمشقي
علم الدين أبو القاسم بن أحمد
الشيخ أبو بكر الدينوري
مولد الشيخ تقي الدين ابن تيميه
شيخ الإسلام
٢٤٢ الأمير الكبير مجير الدين
ثم دخلت سنة إثنين وستين وستمائة
٢٤٣ الملك الأشرف
الخطيب عماد الدين بن الحرستاني
محيي الدين محمد بن أحمد بن محمد
٢٤٤ محيي الدين عبد الله بن صفى الدين
ثم دخلت سنة ثلاث وستين وستمائة
٢٤٦ خالد بن يوسف بن سعد النابلسي
الشيخ أبو القاسم الحواري
القاضي بدر الدين الكردي السنجاري
ثم دخلت سنة أربع وستين وستمائة
٢٤٨ أید غد، بن عبد الله

صحيفة

الشيخ موفق الدين
الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدائم
القاضي محيي الدين ابن الزكي
٢٥٨ صاحب فخر الدين
الشيخ أبو نصر بن أبي الحسن
ثم دخلت سنة تسع وستين وستمائة
٢٦٠ الملك قمي الدين عباس بن الملك
العاقل
قاضي القضاة شرف الدين أبو حفص
الطواشي شجاع الدين المظفري
الحموي
٢٦١ ابن سبعين: عبد الحق بن إبراهيم
ابن محمد
ثم دخلت سنة سبعين وستمائة من
الهجرة
٢٦٢ الشيخ كمال الدين
وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب
نجم الدين يحيى بن محمد بن
عبد الواحد بن اللبودي
الشيخ علي البكاء
٢٦٣ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة
٢٦٤ الشيخ تاج الدين أبو المظفر محمد بن أحمد
الخطيب فخر الدين أبو محمد

صحيفة

٢٦٥ الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني
العدوي
مصنف التعجيز
ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة
٢٧٦ مؤيد الدين أبو المعالي الصدر الرئيس
الأمير الكبير فارس الدين أقطاي
الشيخ عبدالله بن غانم
٢٦٧ قاضي القضاة كمال الدين
إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر بن
عبدالله
ابن مالك صاحب الالفية
النصير الطوسي
الشيخ سالم البرقي
ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة
ابن عطاء الحنفي
٢٦٩ يميند بن يميند بن يميند
ثم دخلت سنة أربع وسبعين وستمائة
٢٨٠ الشيخ الامام العلامة
الشيخ الامام عماد الدين عبد العزيز
ابن محمد
ابن الساعي المؤرخ
٢٧١ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وستمائة
وقعة البلستين وفتح قيسارية

صحيفة

قاضي القضاة صدر الدين سليمان بن
أبي العز
٢٨٢ طه بن إبراهيم بن أبي بكر كال
الدين الهمداني
عبد الرحمن بن عبدالله
قاضي القضاة مجد الدين عبد الرحمن
بن جمال الدين
الوزير ابن الحنا
الشيخ محمد ابن الظهير اللغوي
٢٨٣ ابن اسرائيل الحريري
٢٨٧ ابن العود الرافضي
ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة
٢٨٨ خلع الملك السعيد وتولية أخيه
الملك العادل سلامش
بيعة الملك المنصور قلاوون الضالحي
٢٨٩ سلطنة سنقر الأشقر بدمشق
عز الدين بن غانم الواعظ
٢٩٠ الملك السعيد بن الملك الظاهر
ثم دخلت سنة تسع وسبعين وستمائة
٢٩٢ الأمير الكبير جمال الدين آقوش
الشمسي
٢٩٣ الشيخ الصالح داود بن حاتم
الأمير الكبير

صحيفة

٢٧٢ الشيخ أبو الفضل ابن الشيخ عبيد
ابن عبد الخالق الدمشقي
الطاوashi بن الحبشي
الشيخ المحسنت شمس الدين
أبو العباس
الشاعر شهاب الدين أبو المكارم
القاضي شمس الدين
٢٧٣ الشيخ الصالح العالم الزاهد
الشيخ الصالح جندل بن محمد المنيني
محمد بن عبد الرحمن بن محمد
محمد بن عبد الوهاب بن منصور
٢٧٤ ثم دخلت سنة ست وسبعين وستمائة
٢٧٧ الأمير الكبير بدر الدين بيلبك
ابن عبدالله
قاضي القضاة شمس الدين الحنبلي
٢٧٨ الشيخ خضر الكردي شيخ الملك
الظاهر
الشيخ محيي الدين النووي
٢٧٩ علي بن علي بن أسفنديار
ثم دخلت سنة سبع وسبعين وستمائة
٢٨١ آقوش بن عبدالله الأمير الكبير
جمال الدين النجيمي
أيدكين بن عبدالله

صحيفة

الجزائر الشاعر

ثم دخلت سنة ثمانين وستمائة من
الهجرة

٢٩٥ وقعة حص

٢٩٧ أبغاملك التتار بن هولاكوخان

قاضي القضاة

قاضي القضاة صدر الدين عمر

٢٩٨ الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري

قاضي القضاة

٢٩٩ الملك الأشرف

الشيخ جمال الدين الأسكندري

الشيخ علم الدين أبو الحسن

الصدر الكبير أبو الغنائم المسلم

للشيخ صفي الدين

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

٣٠٠ الشيخ الصالح بقية السلف

القاضي أمين الدين الأشتري

الشيخ برهان الدين أبو الشناء

القاضي الامام العلامة شيخ القراء

زين الدين

٣٠١ الشيخ صلاح الدين

ابن خلكان قاضي القضاة

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة

صحيفة

٣٠٢ الصدر الكبير عماد الدين أبو الفضل

شيخ الجبل الشيخ العلامة شيخ الاسلام

ابن أبي جفوان

الخطيب محيي الدين

٣٠٣ الأمير الكبير ملك عرب ال مثرى

الشيخ الامام العالم شهاب الدين

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة

٣٠٤ الشيخ كطالب الرفاعي بقصر حجاج

لقاضي الامام عز الدين أبو المفاخر

الملك السعيد فتح الدين

القاضي نجم الدين عمر بن نصر بن

متصور

الملك المنصور ناصر الدين

٣٠٥ القاضي جمال الدين أبو يعقوب

ثم دخلت سنة أربع وثمانين وستمائة

الشيخ عز الدين محمد بن علي

البندقداري

٣٠٦ الشيخ الصالح العابد الزاهد

ابن عامر المقرري

القاضي عماد الدين

الشيخ حسن الرومي

٣٠٧ أبو القاسم علي بن بليان بن عبد الله

الأمير مجير الدين

صحيفة

- الشيخ العارف شرف الدين
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وستمائة
٣٠٨ أحمد بن شيبان
الشيخ الامام العالم البارع
قاضي القضاة
الشيخ مجد الدين
الشماعر الأديب
٣٠٩ الحاج شرف الدين^(٢١)
يعقوب بن عبد الحق
البيضاوي صاحب التصانيف
ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمائة
٣١٠ الشيخ الامام العلامة
عماد الدين
قاضي القضاة
شرف الدين سليمان بن عثمان
الشيخ الصالح عز الدين
٣١١ الحافظ أبو اليمن
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمائة
٣١٢ الخطيب الامام قطب الدين
الشيخ الصالح العابد
الشيخ الصالح
٣١٣ الخوند غازیة خاتون
الحاكم الرئيس

صحيفة

- الشيخ بدر الدين
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وستائة
٣١٤ الشيخة فاطمة بنت الشيخ إبراهيم
الزعيبي
العالم ابن الصاحب
٣١٥ شمس الدين الأصبهاني
الشمس محمد بن العفيف
الملك المنصور شهاب الدين
٣١٦ الشيخ فخر الدين أبو محمد
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وستمائة
 وفاة الملك المنصور قلاوون
٣١٧ السلطان الملك المنصور قلاوون
٣١٨ الأمير حسام الدين طرقي
الشيخ الإمام العلامة
الخطيب جمال الدين أبو محمد
فخر الدين أبو الظاهر إسماعيل
٣١٩ الحاج طبرس بن عبدالله
قاضي القضاة
٣١٩ ثم دخلت سنة تسعين وستمائة من
الهجرة
٣٢٠ فتح عكا وبقية السواحل
٣٢٤ ارغون بن أبقا ملك التتار
المسند المعمر الرحالة
٣٢٥ الشيخ تاج الدين الفزاري

صحيفة

الطبيب الماهر عز الدين إبراهيم
ابن محمد بن طرخان
الشيخ الإمام العلامة
٢٣٦ الشيخ الامام أبو حفص عمر بن
يحيى بن عمر الكرخي
الملك العادل بدر الدين سلامش
ابن الظاهر
العفيف التامساني
ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة
٢٣٥ فتح قلعة الروم
٢٣١ الخطيب زين الدين أبو حفص
الشيخ عز الدين الفاروئي
الصاحب فتح الدين أبو عبدالله
يونس بن علي بن رضوان بن برقش
جلال الدين الحبازي
الملك المظفر
٢٣٢ ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وستمائة
٢٣٣ الشيخ الأرموي
ابن الأعمى صاحب المقامة
الملك الزاهر مجير الدين
الشيخ تقي الدين الواسطي
٢٣٤ ابن صاحب حماة الملك الأفضل
ابن عبد الظاهر

صحيفة

الأمير علم الدين سنجر الحلبي
ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة
٢٣٥ واقعة عساف النصراني
٢٣٦ الشيخ الامام العلامة
٢٣٧ الخاتون مؤنس بنت السلطان العادل
أبي بكر بن أيوب
الصاحب الوزير فخر الدين
الملك الحافظ غياث الدين بن محمد
قاضي القضاة شهاب الدين بن الخوي
الأمير علاء الدين الأعمى
٢٣٨ الوزير شمس الدين محمد بن عثمان
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة
سلطنة الملك العادل كتبغا
٢٤٠ الشيخ أبو الرجال المنيني
الشيخ الصالح العابد الزاهد الورع
الشيخ محب الدين الطبري المكي
٢٤١ الملك المظفر صاحب اليمن
شرف الدين المقدسي
واقف الجوهريّة الصدر نجم الدين
الشيخ الامام العالم المفني
٢٤٢ الفاروئي الشيخ الامام العابد الزاهد
الجمال المحقق
الست خاتون بنت الملك الأشرف

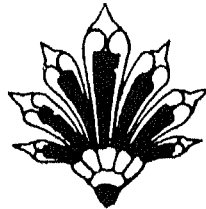
صحيفة

الشيخ الامام الحافظ القدوة
الشيخ شيث بن الشيخ علي الحريري
الشيخ الصالح الماتري
٢٥١ واقف السامرية
واقف النفيسية التي بالرصيف
الشيخ أبو الحسن المعروف
بالساروب الدمشقي
ثم دخلت سنة سبع وتسعين وستمائة
٢٥٢ الشيخ حسن بن الشيخ علي الحريري
الصدر الكبير شهاب الدين
الشيخ شمس الدين الايكي
الصدر ابن عقبة
الشهاب العابر

صحيفة

٣٤٣ الصدر جمال الدين
ثم دخلت سنة خمس وتسعين وستائة
٣٤٥ الشيخ زين الدين بن منجي
المسعودي صاحب الحمام بالمزة
الشيخ الخالدي
الشرف حسين المقدسي^(١)
٣٤٦ الشيخ الامام العالم الناسك
الصاحب محيي الدين بن النحاس
قاضي القضاة
ثم دخلت سنة ست وتسعين وستائة
٢٤٨ سلطنة الملك منصور لاجين
السلحداري
٣٥٠ قاضي القضاة الحنابلة بمصر

انتهى القهرست

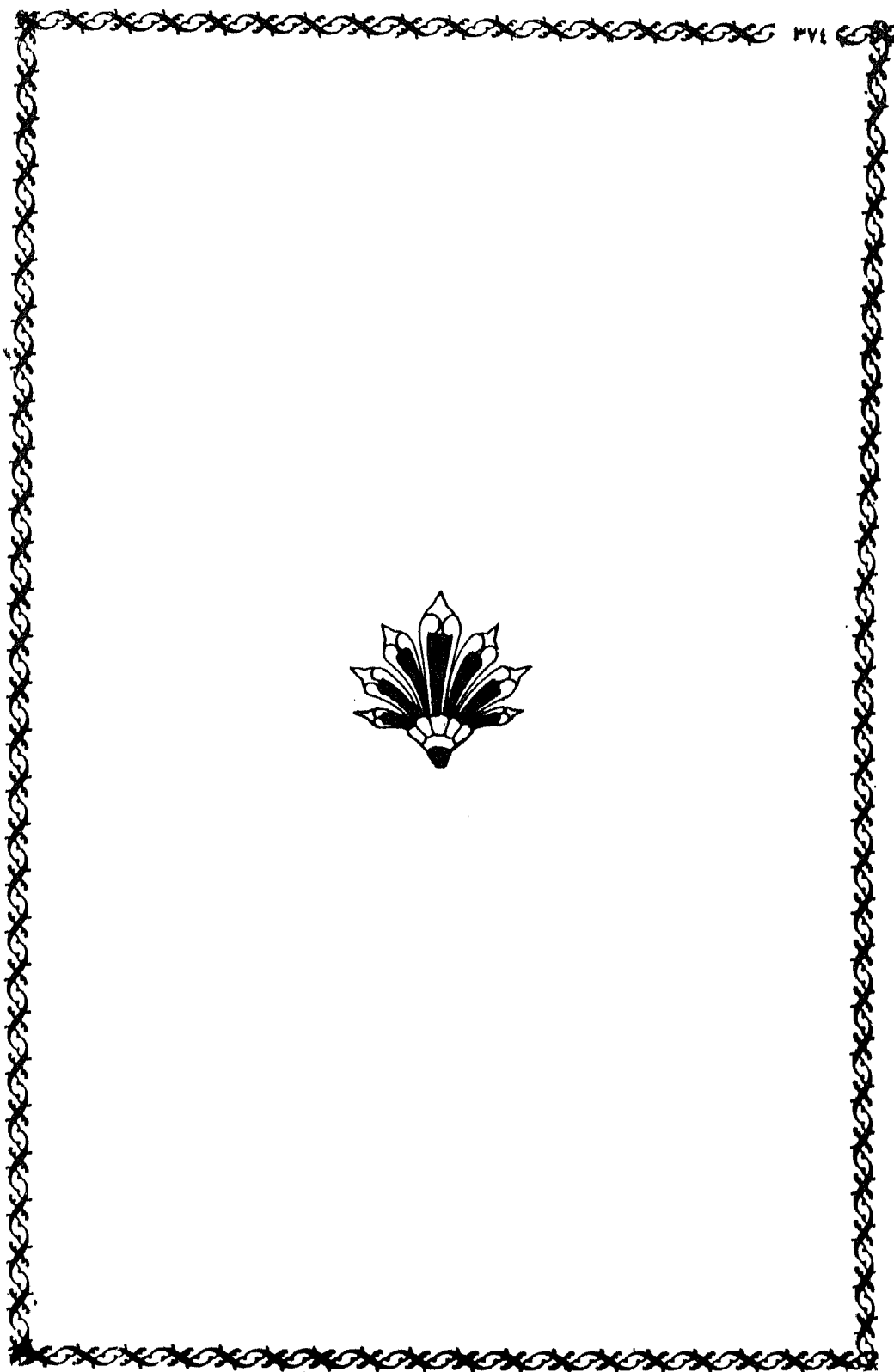




جميع الحقوق محفوظة

للتأثير

مكتبة المعمار
بيروت



الحافظ ابن كثير
الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ

البَدَائِيَةُ وَالنَهَائِيَةُ

لِلْجَزَالِ السَّالِيعِ عَشْرَةَ

ضبطت وصححت هذه الطبعة على عدة نسخ وذهبت بشرح
قامت بها هيئة باشراف الناشر

الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
بيروت - لبنان

مكتبة المعارف
ص. ب. ١٧٦١ - ١١
بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة

استهلت واخليفة الحاكم العباسي وسلطان البلاد المنصور لاجين ونائبه بمصر مملوكه سيف الدين منكوتمر، وقاضي الشافعية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والحنفي حسام الدين الرازي، والمالكي والحنبلي كما تقدم. ونائب الشام سيف الدين قبجق المنصوري، وقضاة الشام هم المذكورون في التي قبلها، والوزير تقي الدين توبة، والخلطيبي بدر الدين بن جماعة.

ولما كان في أثناء المحرم رجعت طائفة من الجيش من بلاد سويس بسبب المرض الذي أصاب بعضهم، فجاه كتاب السلطان بالعتب الأكيد والوعيد الشديد لهم، وأن الجيش يخرج جميعه صحبة نائب السلطنة قبجق إلى هناك ونصب مشانق لمن تأخر بعذر أو غيره، فخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجق ومحبته الجيوش وخرج أهل البلد للفرجة على الأطلاب على ما جرت به العادة، فبرز نائب السلطنة في أبهة عظيمة فدعت له العامة وكانوا يحبونه، واستمر الجيش سائرین قاصدين بلاد سويس، فلما وصلوا إلى حمص بلغ الأمير سيف الدين قبجق وجماعة من الأمراء أن السلطان قد تفلت خطره بسبب سعي منكوتمر فيهم، وعلموا أن السلطان لا يخالفه لمحبه له، فاتفق جماعة منهم على الدخول إلى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم، فساقوا من حمص فيمن أطاعهم، وهم قبجق وبزلي وبكتمر السلحدار والايلى، واستمروا ذاهبين. فرجع كثير من الجيش إلى دمشق، وتخبطت الأمور وتأسفت العوام على قبجق لحسن سيرته، وذلك في ربيع الآخر من هذه السنة فانا لله وإنا اليه راجعون.

ذكر مقتل المنصور لاجين وعود الملك إلى محمد بن قلاوون

لما كان يوم السبت التاسع عشر ربيع الآخر وصل جماعة من البريدية وأخبروا بقتل السلطان الملك المنصور لاجين ونائبه سيف الدين منكوتر، وأن ذلك كان ليلة الجمعة حادى عشره، على يد الأمير سيف الدين كرجى الأشرفي ومن وافقه من الأمراء، وذلك بحضور القاضي حسام الدين الحنفى وهو جالس فى خدمته يتعبدان، وقبل كانا يلعبان بالشطرنج، فلم يشعرا إلا وقد دخلوا عليهم فبادروا إلى السلطان بسرعة جبهة ليلة الجمعة فقتلوه وقتل نائبه صبراً صبيحة يوم الجمعة وألقى على مزرقة، واتفق الأمراء على إعادة ابن أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، فأرسلوا وراعه، وكان بالكرك ونادوا له بالقاهرة، وخطب له على المنابر قبل قدومه، وجاءت السكتب إلى نائب الشام قبجق فوجده قد فرّ خوفاً من غائلة لاجين، فسارت إليه البريدية فلم يدركوه إلا وقد لحق بالمغول عند رأس العين، من أعمال ماردين، وتنازل الحال ولا قوة إلا بالله.

وكان الذى شعر العزم وراعه وساق ليردهم الأمير سيف الدين بلبان، وقام بأعباء البلد نائب القلعة علم الدين أرجواش، والأمير سيف الدين جاعان، واحتاطوا على ما كان له اختصاص بتلك الدولة، وكان منهم جمال الدين يوسف الرومى محاسب البلد، وناظر المارستان، ثم أطلق بعد مدة وأعيد إلى وظائفه، واحتيط أيضاً على سيف الدين جاعان وحسام الدين لاجين وإلى البر، وأدخلوا القلعة، وقتل بهر الأمير سيف الدين طنجى، وكان قد ناب عن الناصر أربعة أيام، وكرجى الذى تولى قتل لاجين قتيلاً وألقى على المزابيل، وجعل الناس من العامة وغيرهم يتألمون صورة طنجى، وكان جميل الصورة، ثم بعد الدلال والمال والملك وارتهم هناك قبور، فدفن السلطان لاجين وعند رجله نائبه منكوتر، ودفن الباقون فى مضاجعهم هناك.

وجاءت البشائر بدخول الملك الناصر إلى مصر يوم السبت رابع جمادى الاولى، وكان يوماً مشهوداً، ودقت البشائر ودخل القضاة وأكابر الدولة إلى القلعة، وبويع بحضرة علم الدين أرجواش، وخطب له على المنابر بدمشق وغيرها بحضرة أكابر العلماء والقضاة والأمراء، وجاء الخبر بأنه قد ركب وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة، والجيش معه مشاة، فضربت البشائر أيضاً. وجاءت مراسيمه فقرئت على السدة وفيها الرفق بالراعى والأمر بالاحسان إليهم، فدعوا له، وقدم الأمير جمال الدين آقوش افروم نائباً على دمشق، فدخلها يوم الأربعاء قبل العشرين جمادى الاولى، فنزل بدار السعادة على العادة، وفرح الناس بقدومه، وأشعلوا له الشموع، وكذلك يوم الجمعة أشعلوا له لما جاء إلى صلاة الجمعة بالمقصورة. وبعد أيام أفرج عن جاعان ولاجين وإلى البر، وعادوا إلى ما كانوا عليه، واستقر الأمير حسام الدين الاستادار أتابكا لساكر المصرية، والأمير

سيف الدين سلال نائباً بمصر، وأخرج الأعسر في رمضان من الحبس وولى الوزارة بمصر، وأخرج قراسنقر المنصوري من الحبس وأعطى نيابة الصببية، ثم لما مات صاحب حماة الملك المظفر نقل قراسنقر إليها.

وكان قد وقع في أواخر دولة لاجين بعد خروج قبجق من البلد محنة للشيخ تقي الدين بن تيمية قام عليه جماعة من الفقهاء وأرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفى، فلم يحضر فنودى في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بالجووية، فانتصر له الأمير سيف الدين جامعاً، وأرسل يطلب الدين قاموا عنده فاخفى كثير منهم، وضرب جماعة ممن نادى على العقيدة فسكت الباقون. فلما كان يوم الجمعة عمل الشيخ تقي الدين الميعاد بالجامع على عادته، وفسر في قوله تعالى [وإنك لعل خلق عظيم] ثم اجتمع بالقاضى إمام الدين يوم السبت واجتمع عنده جماعة من الفضلاء وبحوثاً في الجوىة وناقشوه في أمّاكن فيها، فأجاب عنها بما أسكتهم بعد كلام كثير، ثم ذهب الشيخ تقي الدين وقد تمهدت الأمور، وسكنت الأحوال، وكان القاضى إمام الدين معتقده حسناً ومقصده صالحاً.

وفيها وقف علم الدين سنجر الدويدار رواقه داخل باب الفرج مدرسة ودار حديث، وولى مشيخته الشيخ علاء الدين بن المطار وحضر عنده القضاة والأعيان، وعمل لهم ضيافة، وأفرج عن قرا سنقر. وفي يوم السبت حادى عشر شوال فتح مشهد عثمان الذى جده ناصر الدين بن عبد السلام ناظر الجامع، وأضاف إليه مقصورة الخدم من شماليه، وجعل له إماماً راتباً، وحاكياً به مشهد على بن الحسين زين العابدين. وفي العشر الأولى من ذى الحجة عاد القاضى حسام الدين الرازى إلى قضاء الشام، وعزل عن قضاء مصر، وعزل ولده عن قضاء الشام. وفيها فى ذى القعدة كثرت الأراجيف بقصد التتر بلاد الشام والله المستعان.

ومن توفى فيها من الأعيان. الشيخ نظام الدين

أحمد بن الشيخ جمال الدين محمود بن أحمد بن عبد السلام الحمصرى^(١) الحنفى، مدرس النورية ثامن الحرم، ودفن فى تاسعه يوم الجمعة فى مقابر الصوفية، كان فاضلاً، ناب فى الحكم فى وقت ودرس بالنورية بعد أبيه، ثم درس بعده الشيخ شمس الدين بن الصدر سليمان بن النقيب.

المفسر الشيخ العالم الزاهد

جمال الدين عبد الله بن محمد بن سليمان بن حسن بن الحسين البلخى، ثم المقدسى الحنفى، ولد فى النصف من شعبان سنة إحدى عشرة وستمائة بالقدس، واشتغل بالقاهرة وأقام مدة بالجامع الأزهر ودرس فى بعض المدارس هناك، ثم انتقل إلى القدس فاستوطنه إلى أن مات فى الحرم منها، وكان

(١) فى الشذرات: ابن الحمصر.

شيخاً فاضلاً في التفسير ، وله فيه مصنف حافل كبير جمع فيه خمسين مصنفاً من التفسير ، وكان الناس يقصدون زيارته بالقدس الشريف ويتبركون به .

الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم بالقدس

كان الناس يجتمعون به وهو منقطع بالمسجد الأقصى ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول فيه : هو على طريقة ابن عربي وابن سبعين ، توفي في الحرم من هذه السنة .

التقي توبة الوزير

تقي الدين توبة بن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة الرعي الشكري ، ولد سنة عشرين وستمائة يوم عرفة بعرفة ، وتنقل بالخدم إلى أن صار وزيراً بدمشق مرات عديدة ، حتى توفي ليلة الخميس ثاني جمادى الآخرة ، وصلى عليه غدوة بالجامع وسوق الخليل ، ودفن بقرية تجماء دار الحديث الأشرافية بالسفح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان ، وهاجر بعده نظر الدواوين نضر الدين بن الشيرجى ، وأخذ أمين الدين بن الهلال نظر الخزانة .

الأمير الكبير

شمس الدين بيسرى ، كان من أكابر الأمراء المتقدمين في خدمة الملوك ، من زمن قلاوون وهلم جرا ، توفي في السجن بقلعة مصر ، وعمل له عزاء بالجامع الأموى ، وحضره نائب السلطنة الافرم والقضاة والأعيان .

السلطان الملك المظفر

تقي الدين محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، وابن ملوكها أكابر ، توفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى القعدة ، ودفن ليلة الجمعة .

الملك الأوحى

نجم الدين يوسف بن الملك داود بن المعظم ناصر القدس ، توفي به ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة ودفن برباطه عند باب حطة عن سبعين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير ، وكان من خيار أبناء الملوك ديناً وفضيلة وإحساناً إلى الضعفاء .

القاضى شهاب الدين يوسف

ابن الصالح محب الدين بن النحاس أحد رؤساء الحنفية ، ومدرس الزنجانية والظاهرية ، توفي ببستانه بالمرزة ثالث عشر ذى الحجة ، ودرس بعده بالزنجانية القاضى جلال الدين بن حسام الدين .

الصاحب نصر الدين أبو الغنائم

سالم بن محمد بن سالم بن هبة الله بن محفوظ بن مصرى التغلبى ، كان أحسن حالاً من أخيه القاضى نجم الدين ، وقد جمع الحديث وأهمه ، كان صدراً معظماً ، ولى نظر الدواوين ونظر الخزانة ،

ثم ترك المناصب وحج وجاور بمكة ، ثم قدم دمشق فأقام بها دون السنة ومات ، توفي يوم الجمعة ثامن وعشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الجمعة بالجامع ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون ، ومحل عزاه بالصاحبية .
ياقوت بن عبد الله

أبو الدر المستعصم الكاتب ، لقبه جمال الدين ، وأصله رومي ، كان فاضلاً مليح الخط مشهوراً بذلك ، كتب ختما حسناً ، وكتب الناس عليه ببغداد ، وتوفي بها في هذه السنة ، وله شعر رائع ، فنه ما أورده البرزالي في تاريخه عنه :

تجدد الشمس شوق كلما طلعت * إلى محياك يا صمى وباصرى
وأسهر الليل في أنس بلاونس * إذ طيب ذكر الك في ظلماته يسرى
وكل يوم مضى لا أراك به * فلست محتسباً ما ضيه من عرى
ليلي نهائراً إذا مادرت في خلدي * لأن ذكرك نور القلب والبصر
ثم دخلت سنة تسع وتسعين وسبعمائة

وفيها كانت وقعة قازان ، وذلك أن هذه السنة استهلكت والخليفة والسلطان هما المذكوران في التي قبلها ، ونائب مصر سلا ، ونائب الشام آقوش الأفرم ، وسائر الحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وقد تواترت الأخبار بقصد التتار بلاد الشام ، وقد خاف الناس من ذلك خوفاً شديداً ، وجفل الناس من بلاد حلب وحماة ، وبلغ كرى الخليل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم ، فلما كان يوم الثلاثاء ثاني المحرم ضربت البشائر بسبب خروج السلطان من مصر فاصداً الشام ، فلما كان يوم الجمعة ثامن ربيع الأول دخل السلطان إلى دمشق في مطر شديد وحل كثير ، ومع هذا خرج الناس لتلقيه ، وكان قد أقام بغزة قريباً من شهرين ، وذلك لما بلغه قدوم التتار إلى الشام ، قهياً لذلك وجاء فدخل دمشق فنزل بالطارمة ، وزينت له البلدة ، وكثرت له الأدعية وكان وقتاً شديداً ، وحالا صعباً ، وامتلاً البلد من الجفادين النازحين عن بلادهم ، وجلس الأعسر وزير الدولة وطالب المال واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش ، وخرج السلطان بالجيش من دمشق يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول ولم يتخلف أحد من الجيوش ، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة ، وأخذ الناس في الدعاء والقنوت في الصلوات بالجامع وغيره ، وتضرعوا واستغاثوا وابتهلوا إلى الله بالادعية .
وقعة قازان

لما وصل السلطان إلى وادي الخزندار عند وادي سلمية ، فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول فالتقوا معهم فكسروا المسلمين وولى السلطان هارباً فانا لله وإنا إليه راجعون ، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم ومن العوام خلق كثير ، وقصد في المعركة قاضي قضاة

الحنفية ، وقد صبروا وأبوا بلاء حسناً ، ولكن كان أمر الله قدراً مقدوراً ، فولى المسلمون لايلى أحد على أحد ، ثم كانت العاقبة بعد ذلك للفتن ، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار المصرية واجتاز كثير منهم على دمشق ، وأهل دمشق في خوف شديد على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، ثم إنهم استكانوا واستسلموا للقضاء والقدر ، وماذا يجدي الحذر إذا نزل القدر ، ورجع السلطان في طائفة من الجيش على ناحية بعلبك والبقاع ، وأبواب دمشق مغلقة ، والقلعة محصنة والغلاء شديد والحال ضيق وفرج الله قريب ، وقد هرب جماعة من أعيان البلد وغيرهم إلى مصر ، كالقاضي إمام الدين الشافعي ، وقاضي المالكية الزاوي ، وتاج الدين الشيرازي ، وعلم الدين الصوابي وإلى البر ، وجمال الدين بن النحاس وإلى المدينة ، والمحاسب وغيرهم من التجار والعوام ، وبقي البلد شاغراً ليس فيه من حاكم سوى نائب القلعة .

وفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس وخرجوا منه على حية ، وتفرقوا في البلد ، وكانوا قريباً من مائتي رجل ، قهبوا بما قدروا عليه ، وجازوا إلى باب الجابية فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى بر البلد ، فتفرقوا حيث شاؤوا لا يقدر أحد على ردهم ، وعانت الحرافشة في ظاهر البلد فكسروا أبواب البساتين وقلعوا من الأبواب والشبابيك شيئاً كثيراً ، وباعوا ذلك بأرخص الأثمان ، هذا وسلطان التتار قد قصد دمشق بعد الوقعة ، فاجتمع أعيان البلد والشيخ تقي الدين بن تيمية في مشهد على واتفقوا على المسير إلى قازان لتلقيه ، وأخذ الأمان منه لاهل دمشق ، فتوجهوا يوم الاثنين ثالث ربيع الآخر فاجتمعوا به عند النبك ، وكنه الشيخ تقي الدين كلاماً قوياً شديداً فيه مصالحة عظيمة عاد نفعها على المسلمين ولله الحمد . ودخل المسلمون ليلتشد من جهة قازان فنزلوا بالبدرانية وغلقت أبواب البلد سوى باب توما ، وخطب الخطيب بالجامع يوم الجمعة ، ولم يذكر سلطاناً في خطبته ، وبعد الصلاة قدم الأمير إسماعيل ومعه جماعة من الرسل فنزلوا ببستان الظاهر عند الطرون . وحضر الفرمان بالأمان وطيف به في البلد ، وقرئ يوم السبت ثامن الشهر بمقصورة الخطابة ، ونثر شيء من الذهب والفضة . وفي ثاني يوم من المناداة بالأمان طلبت الخيول والسلاح والاموال الخبأة عند الناس من جهة الدولة ، وجلس ديوان الاستخلاص إذ ذاك بالمدرسة القيمرية ، وفي يوم الاثنين عاشر الشهر قدم سيف الدين قبجق المنصوري فنزل في الميدان واقرب جيش التتر وكثر الميث في ظاهر البلد ، وقتل جماعة وغلبت الاسعار بالبلد جداً ، وأرسل قبجق إلى نائب القلعة ليسلها إلى التتر فامتنع أرجواش من ذلك أشد الامتناع ، فجمع له قبجق أعيان البلد فكلموه أيضاً فلم يجبههم إلى ذلك ، وصمم على ترك تسليمها إليهم وبها عين تعطف ، فان الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له ذلك ، ولم يبق فيها

إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعتم ، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام فإن الله حفظ لهم هذا الحصن والمقل الذي جعله الله حرزا لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنة ، حتى ينزل بها عيسى ابن مريم . وفي يوم دخول قبحق إلى دمشق دخل السلطان ونائبه سلا را مصر كما جاءت البطافة بذلك إلى القلعة ، ودقت البشائر بها فتوى جأش الناس بعض قوة ، ولكن الأمر كما يقال :

كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَمَاءٍ وَدُونَهَا * قُلُّ الْجِبَالِ وَدُونُهَا حَتُوفُ

الرَّجُلِ حَافِيَةً وَمَالِي مَرْكَبٌ * وَالْكَفُّ صِفْرٌ وَالطَّرِيقُ خَوْفُ

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر خطب لقازان على منبر دمشق بحضور المغول بالمقصورة ودعى له على السدة بعد الصلاة وقرأ عليها مرسوم بنبأ قبحق على الشام ، وذهب إليه الأعيان فمنوه بذلك ، فأظهر الكرامة وأنه في تعب عظيم مع التمر ، ونزل شيخ المشايخ محمود بن على الشيباني بالمدرسة العادلية الكبيرة . وفي يوم السبت النصف من ربيع الآخر شرعت التتار وصاحب سيس في نهب الصالحية ومسجد الاسدية ومسجد خاتون ودار الحديث الاشرفية بها واحترق جامع التوبة بالمقبيية ، وكان هذا من جهة الكرج والارمن من النصارى الذين هم مع التتار قبحقهم الله . وسبوا من أهلها خلقا كثيرا وجأ غفيرا ، وجاء أكثر الناس إلى رباط الخنابلة فاحتاطت به التتار فخماهم منهم شيخ الشيوخ المذكور ، وأعطى فى الساكن مال له صورة ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقا كثيرا من بنات المشايخ وأولادهم فانا لله وإنا إليه راجعون .

ولما نكب دير الخنابلة فى ثانى جمادى الاولى قتلوا خلقا من الرجال وأسروا من النساء كثيرا ، ونال قاضى القضاة اتى الدين أذى كثير ، ويقال إنهم قتلوا من أهل الصالحية قريبا من أربع مائة ، وأسروا نحو من أربعة آلاف أسير ، ونهبت كتب كثيرة من الرباط الناصرى والضيائية ، وخزانة ابن البرورى ، وكانت تباع وهى مكتوب عليها الوقفية ، وفعلوا بالمرزة مثل ما فعلوا بالصالحية ، وكذلك بداريا وبغيرها ، وتحصن الناس منهم فى الجامع بداريا ففتحوه قسرا وقتلوا منهم خلقا وسبوا نساءهم وأولادهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وخرج الشيخ ابن تيمية فى جماعة من أصحابه يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر إلى ملك التتار وعاد بعد يومين ولم يتفق اجتماعه به ، حجب به عنه الوزير سعد الدين والرشيد مشير الدولة المسلمانى ابن يهودى ، والتزما له بقضاء الشغل ، وذكر له أن التتار لم يحصل لكثير منهم شئ إلى الآن ، ولا بد لهم من شئ ، واشتد بالبلد أن التتار يريدون دخول دمشق فأنزعج الناس لذلك وخافوا خوفا شديدا ، وأرادوا الخروج منها والحرب على وجوههم ، وأين الفرار ولات حين مناص ، وقد أخذ من البلد فوق العشرة آلاف فرس ، ثم فرضت أموال كثيرة على البلد موزعة على أهل الاسواق

كل سوق يحسبه من المال ، فلا قوة إلا بالله . وشرع التتر في عمل مجانيق بالجامع ليرموا بها القلعة من صحن الجامع ، وغلقت أبوابه ونزل التتر في مشاهدته يحرسون أخشاب المجانيق ، وينهبون باحرته من الأسواق ، وأحرق أرجوان ماحول القلعة من الابنية ، كمدار الحديد الأشرقية وغير ذلك ، إلى حد العادلية الكبيرة ، وأحرق دار السعادة لثلاثا يتمكنوا من محاصرة القلعة من أعاليها ، ولزم الناس منازلهم لئلا يسغروا في طم الخندق ، وكانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل ، والجامع لا يصل فيه أحد إلا اليسير ، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جليل ، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيه ثم يعود سريعا ، ويظن أنه لا يعود إلى أهله ، وأهل البلد قد أذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

والمصادر والتراتيم والعقوبات عمالة في أكبر أهل البلد ليلا ونهاراً ، حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف ، كالجامع وغيره ، ثم جاء مرسوم بصيانة الجامع وتوفير أوقافه وصرف ما كان يؤخذ بجزائن السلاح ، وإلى الحجاز ، وقرئ ذلك المرسوم بعد صلاة الجمعة بالجامع في تاسع عشر جمادى الأولى ، وفي ذلك اليوم توجه السلطان قازان وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل نحو بلاد العراق ، وجاء كتابه إنا قد تركنا نوابنا بالشام في ستين ألف مقاتل ، وفي عزمنا العود إليها في زمن الخريف ، والدخول إلى الديار المصرية وفتحها ، وقد أعجزتهم القلعة أن يصلوا إلى حجر منها ، وخرج سيف الدين قبيق لتوديع قطاوش شاه نائب قازان وسار وراه وضربت البشائر بالقلعة فرحاً رحيلهم ، ولم تفتح القلعة ، وأرسل أرجواش ثاني يوم من خروج قبيق القلعية إلى الجامع فكسروا أخشاب المنجنيقات المنصوبة به ، وعادوا إلى القلعة سريعا سالمين ، واستصحبوا معهم جماعة ممن كانوا يلوذون بالنتر قهراً إلى القلعة ، منهم الشريف القمي ، وهو شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد بن أبي القاسم المرتضى العلوي ، وجاءت الرسل من قبيق إلى دمشق فنادوا بها طيبوا أنفسكم وافتحوا دكا كينكم ونهيتوا غداً لتلقى سلطان الشام سيف الدين قبيق ، فخرج الناس إلى أما كنهم فأشرفوا عليها فرأوا ما بها من الفساد والدمار ، وانفك رؤساء البلد من التراسيم بعد ما ذاقوا شيئاً كثيراً .

قال الشيخ علم الدين البرزالي : ذكر لي الشيخ وجيه الدين بن المنجا أنه حمل إلى خزانة قازان ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم ، سوى ما تمحق من التراسيم والبراطيل وما أخذ غيره من الأمراء والوزراء ، وأن شيخ المشايخ حصل له نحو من ستائة ألف درهم ، والاصيل بن النصير الطوسي مائة ألف ، والصفي السخاوي ثمانون ألفاً ، وعاد سيف الدين قبيق إلى دمشق يوم الخميس بعد الظهر خامس عشر من جمادى الأولى ومعه الالبيكي وجماعة ، وبين يديه السيوف مسلة وعلى

رأسه عصابة فنزل بالقصر ونودي بالبلد نائبيكم قبجق قد جاء فافتحوا دكا كينكم واعملوا معاشكم ولا يقرر أحد بنفسه هذا الزمان والاسعار في غاية الغلاء والقلة ، قد بلغت الغرارة إلى أربعمائة ، واللحم الرطل بنحو العشرة ، والخبز كل رطل بدرهمين ونصف ، والعشرة الدقيق بنحو الأربعين ، والجلين الأوقية بدرم ، والبيض كل خمسة بدرم ، ثم فرج عنهم في أواخر الشهر ، ولما كان في أواخر الشهر نادى قبجق بالبلد أن يخرج الناس إلى قراهم وأمر جماعة وانضاف إليه خلق من الأجناد ، وكثرت الأراجيف على بابه ، وعظم شأنه ودقت البشار بالقلعة وعلى باب قبجق يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة ، وركب قبجق بالمصائب في البلد والشاويشية بين يديه ، وجوز نحواً من ألف فارس نحو خربة اللصوص ، ومشى مشى الملوكة في الولايات وتأمير الأمراء والمراسيم العالية النافذة ، وصار كما قال الشاعر :

يا لك من قنبرية مرمي * خلاك الجو فيضي واصفري * ونقري ما شئت أن تنقري
ثم إنه ضمن الخمارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها ، وجعلت دار ابن جرادة خارج من باب توما خمارة وحانة أيضاً ، وصار له على ذلك في كل يوم ألف درهم ، وهي التي دمرته وبحقت آثاره وأخذ أموالاً آخر من أوقاف المدارس وغيرها ، ورجع بولاي من جهة الأغوار وقد عاث في الأرض فساداً ، ونهب البلاد وخرب ومعه طائفة من التتر كثيرة ، وقد خربوا قرى كثيرة ، وقتلوا من أهلها وسبوا خلقاً من أطفالها ، وجي لبولاي من دمشق أيضاً جباية أخرى ، وخرج طائفة من القلعة فقتلوا طائفة من التتر ونهبوا ، وقتل جماعة من المسلمين في غبون ذلك ، وأخذوا طائفة ممن كان يلوذ بالتتر ورسم قبجق لخطيب البلد وجماعة من الأعيان أن يدخلوا القلعة فيسلكوا مع نائبيها في المصالحة فدخلوا عليه يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة ، فكلموه وبالنوا معه فلم يجب إلى ذلك وقد أجاد وأحسن وأرجل في ذلك بيض الله وجهه .

وفي ثامن رجب طلب قبجق القضاة والأعيان فخلعهم على المناصحة للدولة الحمودية - يعني قازان - فخلعوا له ، وفي هذا اليوم خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى نخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين ، فاستنقذ كثيراً منهم من أيديهم ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد ، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم عادوا من عنده فשלحوا عند باب شرقي وأخذ ثيابهم وعماهم ورجعوا في شرحالة ، ثم بعث في طلبهم فاخفى أكثرهم وتغيبوا عنه ، ونودي بالجامع بعد الصلاة ثالث رجب من جهة نائب القلعة بأن العساكر المصرية قادمة إلى الشام ، وفي عشية يوم السبت رحل بولاي وأصحابه من التتر وانشروا عن دمشق وقد أراح الله منهم وساروا من على عقبة دمر فعاثوا في تلك النواحي فساداً ، ولم يأت سابع الشهر وفي حواشي البلد منهم أحد ، وقد أراح الله عز وجل

شرم عن العباد والبلاذ ، وفادى قبجق فى الناس قد أمنت الطرقات ولم يبق بالشام من التتر أحد ، وصلى قبجق يوم الجمعة عاشر رجب بالمقصورة ، ومعه جماعة عليهم لأمة الحرب من السيوف والقسى والترا كيش فيها الشباب ، وأمنت البلاذ ، وخرج الناس للفرجة فى غيظ السفوحلى على عادتهم فماتت عليهم طائفة من التتر ، فلما رأوهم رجعوا إلى البلد هاربين مسرعين ، ونهب بعض الناس بعضاً ومنهم من ألقى نفسه فى النهر ، وإنما كانت هذه الطائفة مجتازين ليس لهم قرار ، وتلقى قبجق من البلد ثم إنه خرج منها فى جماعة من رؤسائها وأعيانها منهم عز الدين ابن القلانسى ليتلقوا الجيش المصرى وذلك أن جيش مصر خرج إلى الشام فى تاسع رجب وجاءت البريدية بذلك ، وبقي البلد ليس به أحد ، ونادى أرجواش فى البلد احفظوا الاسوار وأخرجوا ما كان عندهم من الاسلحة ولا تهملوا الاسوار والابواب ، ولا يبيتن أحد إلا على السور ، ومن بات فى داره شنى ، فاجتمع الناس على الاسوار لحفظ البلاذ ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يدور كل ليلة على الاسوار يحرض الناس على الصبر والقتال ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط .

وفى يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة بدمشق لصاحب مصر ففرح الناس بذلك ، وكان يخطب لتقازان بدمشق وغيرها من بلاد الشام مائة يوم سواء . وفى بكرة يوم الجمعة المذكور دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وأصحابه على الخانات والحانات فكسروا أنية الخور وشقة الظروف وأراقوا الخور ، وعزروا جماعة من أهل الحانات المنخذة لهذه الفواحش ، ففرح الناس بذلك ، ونودى يوم السبت ثامن عشر رجب بأن تزين البلد لقدم العساكر المصرية ، وفتح باب الفرج مضافاً إلى باب النصر يوم الأحد تاسع عشر رجب ، ففرح الناس بذلك وافرغوا لأنهم لم يكونوا يدخلون إلا من باب النصر ، وقدم الجيش الشامى محبة نائب دمشق جمال الدين آقوش الأفرم يوم السبت عاشر شعبان ، وثانى يوم دخل بقية العساكر وفيهم الأميران شمس الدين قراسنقر المنصورى وسيف الدين قطلبك فى تجملى . وفى هذا اليوم فتح باب العريش ، وفيه درس القاضى جلال الدين القزوينى بالأمينية عوضاً عن أخيه قاضى القضاة إمام الدين توفى بمصر ، وفى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء تكامل دخول العساكر محبة نائب مصر سيف الدين سلاز ، وفى خدمته الملك العادل كتبغا ، وسيف الدين الطراخى فى تجملى بباهر ، ونزلوا فى المريج ، وكان السلطان قد خرج عازماً على الحجى ، فوصل إلى الصالحية ثم عاد إلى مصر .

وفى يوم الخميس النصف من شعبان أعيد القاضى بدر الدين بن جماعة إلى قضاء القضاة بدمشق مع الخطابة بعد إمام الدين ، ولبس معه فى هذا اليوم أمين الدين المعجمى خلعاً الحسبة ، وفى يوم سابع عشره لبس خلعاً نظار الدواوين تاج الدين الشيرازى عوضاً عن نضر الدين بن الشيرجى ،

ولبس أقبجاشد الدواوين في باب الوزير فتمس الدين سنقر الأعسر ، وياشر الأمير عز الدين أبيك
الدويدار النجيبى ولاية البر ، بعد ما جعل من أمراء الطبليخانة ، ودرس الشيخ كمال الدين بن الزملكاني
بأم الصالح عوضاً عن جلال الدين القزويني يوم الأحد الحادى والعشرين من شعبان ، وفي هذا
اليوم ولّى قضاء الحنفية فتمس الدين بن الصفي الحريري عوضاً عن حسام الدين الرومي ، فقد يوم المعركة
في ثمانى رمضان ، ورفعت الستائر عن القلعة في ثالث رمضان . وفي مستهل رمضان جلس الأمير
سيف الدين سلاار بدار العدل في الميدان الأخضر وعنده القضاة والأمراء يوم السبت ، وفي السبت
الآخر خلع على عز الدين القلانسي خلمة سنية وجعل ولده عماد الدين شاهداً في انخراة . وفي هذا
اليوم رجع سلاار بالساكر إلى مصر وانصرفت المساكر الشامية إلى مواضعها وبلدانها . وفي يوم
الاثنين عاشر رمضان درس على بن الصفي بن أبي القاسم البصراوي الحنفى بالمدينة المقدمية .

وفي شوال فيها عرفت جماعة ممن كان يلوذ بالنتر ويؤذى المسلمين ، وشنق منهم طائفة وسحر آخرون
وكحل بعضهم وقطعت ألسن وجرت أمور كثيرة . وفي منتصف شوال درس بالدولمية قاضى القضاة
جمال الدين الزرعى نائب الحكم عوضاً عن جمال الدين بن الباجريقى ، وفي يوم الجمعة العشرين منه
ركب نائب السلطنة جمال الدين آقوش الأقرم في جيش دمشق إلى جبال الجرد وكسروان ، وخرج
الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه خلق كثير من المتطوعة والحوارة لقتال أهل تلك الناحية ، بسبب
فساد دينهم وعقائدهم وكفرهم وضلالهم ، وما كانوا عاملوا به العساكر لما كسروا التتر وهربوا حين اجتازوا
ببلادهم ، وثبوا عليهم ونهبهم واخذوا أسلحتهم وخبولهم ، وقتلوا كثيراً منهم ، فلما وصلوا إلى بلادهم
جاء رؤساؤهم إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستتابهم وبين لكثير منهم الصواب وحصل بذلك
خير كثير ، واقتصر كبير على أولئك المفسدين ، والتزموا برد ما كانوا أخذوه من أموال الجيش ،
وقرر عليهم أموالا كثيرة يحملونها إلى بيت المال ، وأقطعت أراضيهم وضياعهم ، ولم يكونوا قبل
ذلك يدخلون في طاعة الجند ولا يلتزمون أحكام الملة ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله . وعاد نائب السلطنة يوم الأحد ثالث عشر ذى القعدة وتلقاه الناس بالشموع إلى
طريق بعلبك وسط النهار . وفي يوم الأربعاء سادس عشره نودي في البلد أن يعلق الناس الأسلحة
بالدكاكين ، وأن يتعلم الناس الرمي فعملت الاماجات في أماكن كثيرة من البلد ، وعلقت الأسلحة
بالأسواق ، ورسم قاضى القضاة بعمل الاماجات في المدارس ، وأن يتعلم الفقهاء الرمي ويستعدوا لقتال
العدو إن حضر ، وبالله المستعان .

وفي الحادى والعشرين من ذى القعدة استعرض نائب السلطنة أهل الأسواق بين يديه وجعل
على كل سوق مقدماً وحوله أهل سوقه ، وفي الخميس رابع هشرينه عرضت الأشراف مع قهبيهم نظام

الملك الحسيني بالعدد والتجمل الحسن، وكان يوماً مشهوداً. ومما كان من الحوادث في هذه السنة أن جدد إمام راتب عند رأس قبر زكريا، وهو الفقيه شرف الدين أبو بكر الحموي، وحضر عنده يوم عاشوراء القاضي إمام الدين الشافعي، وحسام الدين الحنفي وجماعة، ولم تطل مدته إلا شهوراً ثم عاد الحموي إلى بلده وبطلت هذه الوظيفة إلى الآن والله الحمد.

ومن توفي فيها من الأعيان القاضي حسام الدين أبو الفضائل

الحسن بن القاضي تاج الدين أبي الفاخر أحمد بن الحسن أنوشروان الرازي الحنفي، ولي قضاء ملطية مدة عشرين سنة، ثم قدم دمشق فولبها مدة، ثم انتقل إلى مصر فولبها مدة، وولده جلال الدين بالشام ثم صار إلى الشام فعاد إلى الحكم بها، ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلمية خرج معهم ففقد من الصف ولم يدر ما خبره، وقد قارب السبعين، وكان فاضلاً بارعاً رئيساً، له نظم حسن، ومولده بأقسيس من بلاد الروم في الحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة فقد يوم الأربعاء الرابع والعشرين من ربيع الأول منها، وقد قتل يومئذ عدة من مشاهير الأمراء ثم ولي بعده القضاء شمس الدين الحريري.

القاضي الإمام العالي

إمام الدين أبو المعالى عمر بن القاضي سعد الدين أبي القاسم عبد الرحمن بن الشيخ إمام الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن محمد القزويني الشافعي، قدم دمشق هو وأخوه جلال الدين فقرر في مدارس، ثم انتزع إمام الدين قضاء القضاة بدمشق من بدر الدين بن جماعة كما تقدم في سنة سبع وسبعين، وناب عنه أخوه، وكان جميل الأخلاق كثير الإحسان رئيساً، قليل الأذى، ولما أزم قدوم التتار سافر إلى مصر، فلما وصل إليها لم يبق بها سوى أسبوع وتوفي ودفن بالقرب من قبعة الشافعي عن ست وأربعين سنة، وصار المنصب إلى بدر الدين بن جماعة، مضافاً إلى ما ييسره من الخطابة وغيرها، ودرس أخوه بعده بالأمنية.

المسند المعمر الرحلة

شرف الدين أحمد بن هبة الله بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن حساكر الدمشقي، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، وسمع الحديث وروى، توفي خامس عشر جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة. الخطيب الإمام العالم

موفق الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن الفضل النهرواني القضاعي الحموي، خطيب حجة، ثم خطب بدمشق عوضاً عن الفاروق، ودرس بالنزالية ثم هزل بابن جماعة، وعاد إلى بلده، ثم قدم دمشق عام قازان فأت بها.

الصدر شمس الدين

محمد بن سليمان بن حاييل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم ، وكان من أعيان الناس وأكثرهم مروءة ، ودرس بالعصرونية ، توفي وقد جاوز الثمانين ، كان من الكتاب المشهورين المشكورين ، وهو والد الصدر علاء الدين بن غانم .

الشيخ جمال الدين أبو محمد

عبد الرحيم بن عمر بن عثمان الباسجري الشافعي ، أقام مدة بالموصل يشتغل ويفق ، ثم قدم دمشق عام تارزان فمات بها ، وكان قد أقام بها مدة كذلك ، ودرس بالتدجية والدولية ، وناب في الخطابة ودرس بالغزالية نيابة عن الشمس الأيكي ، وكان قليل الكلام مجموفا عن الناس ، وهو والد الشمس محمد المنسوب إلى الزندقة والانحلال ، وله أتباع ينسبون إلى ما ينسب إليه ، ويكفون على ما كان يمكنف عليه ، وقد حدث جمال الدين المذكور بمجامع الأصول عن بعض أصحاب مصنفات ابن الأثير ، وله نظم ونثر حسن ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة سبع مائة من الهجرة النبوية

استهلت والخليفة والسلطان ونواب البلاد والحكام بهام المذكورون في القى قبلها ، غير الشافعي والحنفي ، ولما كان ثالث المحرم جلس المستخرج لاستخلاص أجرة أربعة أشهر عن جبيع أملاك الناس وأوقافهم بدمشق ، فهرب أكثر الناس من البلد ، وجرت خبطة قوية وشق ذلك على الناس جدا . وفي مستهل صفر وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام ، وأنهم عازمون على دخول مصر ، فانزعج الناس لذلك ، وازدادوا ضعفا على ضعفهم ، وطاشت عقولهم وألباهم ، وشرع الناس في الحرب إلى بلاد مصر والكرك والشوبك والحصون المنيعة ، فبلغت الحارة إلى مصر خمسمائة وبيع الجمل بألف والحمار بخمسمائة ، وبيعت الأمتعة والثياب والمغلات بأرخص الأثمان ، وجلس الشيخ تقي الدين ابن تيمية في ثاني صفر بمجلسه في الجامع وحرص الناس على القتال ، وساق لهم الآيات والاحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الاسراع في الفرار ، ورغب في إنفاق الاموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في أجرة الحرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيرا ، وأوجب جهاد التتر حتما في هذه الكرة ، وتابع المجالس في ذلك ، ونودي في البلاد لا يسافر أحد إلا بمرسوم وورقة فتوقف الناس عن السير وسكن جاشهم ، وتحدث الناس بخروج السلطان من القاهرة بالمساكرو دقت البشائر لخروجه ، لكن كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق كبيت ابن مصري وبيت ابن فضل الله وابن منجنا وابن سويد وابن الزملكاني وابن جماعة .

وفي أول وبيع الآخر قوى الاربعاء بأمر التتر ، وجاء الخبر بأنهم قد وصلوا إلى البيرة ونودي

في البلد أن تخرج العامة مع المسكر ، وجاء مرسوم النائب من المرج بذلك ، فاستعرضوا في أثناء الشهر فمرض نحو خمسة آلاف من العامة بالعدسة والاسلحة على قدر طاقتهم ، وقت الخطيب ابن جماعة في الصلوات كلها ، واتبه أئمة المساجد ، وأشاع المرجفون بأن التترقد وصلوا إلى حلب وأن نائب حلب تنهزم إلى حماة ، ونودي في البلد بتطبيب قلوب الناس وإقبالهم على معاشهم ، وأن السلطان والمساكر واصله ، وأبطل ديوان المستخرج وأقيموه ، ولكن كانوا قد استخرجوا أكثر مما أمروا به وبقيت بواقي على الناس الذين قد اختفوا ففى عما بقى ، ولم يرد ما سلف ، لاجرم أن عواقب هذه الافعال خسروا ، وأن أصحابها لا يفلحون ، ثم جاءت الاخبار بأن سلطان مصر رجع عائداً إلى مصر بعد أن خرج منها قاصداً الشام ، فكثرت الخوف واشتد الحال ، وكثرت الامطار جداً ، وصار بالطرقات من الاحوال والسيول ما يحول بين المرء وبين ما يريد من الانتشار في الأرض والذهاب فيها ، فانا لله وإنا إليه راجعون.

وخرج كثير من الناس خفافاً وثقالاً يتحملون بأهلهم وأولادهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وجعلوا يمدلون الصغار في الوحل الشديد والمشفة على الدواب والرقاب ، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء فلا حول ولا قوة إلا بالله . واستهل جمادى الاولى والناس على خطبة صعبة من الخوف ، وتأخر السلطان واقترب العدو ، وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى في مستهل هذا الشهر وكان يوم السبت إلى نائب الشام في المرج فثبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم ووعدهم النصر والظفر على الأعداء ، وتلا قوله تعالى [ومن عاقب بمنزل ما عوقب به ثم بنى عليه لينصره الله إن الله لعفو غفور] وبات عند المسكر ليلة الاحد ثم عاد إلى دمشق وقد سأله النائب والامراء أن يركب على البريد إلى مصر يستحث السلطان على المجيء فساق وراء السلطان ، وكان السلطان قد وصل إلى الساحل فلم يدرکه إلا وقد دخل القاهرة وتفاطر الحال ، ولكنه استحثهم على تجهيز المساكر إلى الشام إن كان لهم به حاجة ، وقال لهم فيما قال : إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته أقننا له سلطاناً يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن ، ولم يزل بهم حتى جردت المساكر إلى الشام ، ثم قال لهم : لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهل وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلطينه وم رعايكم وأنتم مسؤولون عنهم ، وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام ، فلما تواصلت المساكر إلى الشام فرح الناس فرحاً شديداً بعد أن كانوا قد يتسوا من أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، ثم قويت الأراجيف بوصول التتر ، وتحقق عود السلطان إلى مصر ، وفنادى ابن النحاس متولى البلد في الناس من قدر على السفر فلا يمتد بدمشق ، فتصايح النساء والولدان ، ودهق الناس

ذلة عظيمة وخدمة ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، وغدت الاسواق وتيقنوا أن لا ناصر لهم إلا الله عز وجل ، وأن نائب الشام لما كان فيه قوة مع السلطان عام أول لم يقو على النقاء جيش التنفك كيف به الآن وقد عزم على الحرب ؟ ويقولون : ما بقي أهل دمشق إلا طعمة العدو ، ودخل كثير من الناس إلى البرارى والقفار والمفر بأهاليهم من الكبار والصغار ، ونودي في الناس من كانت نيته الجهاد فليلحق بالجيش فقد اقترب وصول التتر ، ولم يبق بدمشق من أكابرها إلا القليل ، وسافر ابن جماعة والحريرى وابن مصرى وابن منجا ، وقد سبقهم بيوتهم إلى مصر ، وجاءت الاخبار بوصول التتر إلى سرقين وخرج الشيخ زين الدين الفارقي والشيخ إبراهيم الرقي وابن قوام وشرف الدين بن تيمية وابن خبابة إلى نائب السلطنة الافرم فقتلوا عزمه على ملاقاته العدو ، واجتمعوا بمهنا أمير العرب لغرضه على قتال العدو فأجابهم بالسمع والطاعة ، وقويت نياتهم على ذلك ، وخرج طلب سلا من دمشق إلى ناحية المرج ، واستعدوا للحرب والقتال بنيات صادقة .

ورجع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في السابع والعشرين من جمادى الأولى على البريد ، وأقام بقلمة مصر ثمانية أيام يحثهم على الجهاد والخروج إلى العدو ، وقد اجتمع بالسلطان والوزير وأعيان الدولة فأجابوه إلى الخروج ، وقد غلت الاسعار بدمشق جبلا ، حتى بيع خاروفان بخمسمائة درهم ، واشتد الحال ، ثم جاءت الاخبار بأن ملك التتار قد خاض الفرات راجعا معه ذلك لضعف جيشه وقلة عددهم ، فطابت النفوس لذلك وسكن الناس ، وعادوا إلى منازلهم منشرفين آمنين مستبشرين . ولما جاءت الاخبار بدمم وصول التتار إلى الشام في جمادى الآخرة تراجعت أنفس الناس إليهم وعاد نائب السلطنة إلى دمشق ، وكان مخيا في المرج من مدة أربعة أشهر متتابعة ، وهو من أعظم الرباط ، وتراجع الناس إلى أوطانهم : وكان الشيخ زين الدين الفارقي قد درس بالناصرية لفية مدرستها كال الدين بن الشريشى بالكرك هاربا ، ثم عاد إليها في رمضان ، وفي أواخر الشهر درس ابن الزكي بالدولية عوضا عن جمال الدين الزرعى لفبيته . وفي يوم الاثنين قرئت شروط الذمة على أهل القمة وألزموا بها واتفقت الكلمة على عزلهم عن الجهاد ، وأخذوا بالصغار ، ونودي بذلك في البلد وألزم النصارى بالعمائم الزرق ، واليهود بالصفر ، والسامرة بالحر ، فحصل بذلك خير كثير وتميزوا عن المسلمين ، وفي طائر رمضان جاء المرسوم بالمشاركة بين أرجواش والأمير سيف الدين أقبغا في نيابة القلعة ، وأن يركب كل واحد منهما يوما ، ويكون الآخر بالقلعة يوما ، فامتنع أرجواش من ذلك . وفي شوال درس بالاقبالية الشيخ شهاب الدين بن المجدد عوضا عن علاء الدين القنوى بحكم إقامته بالقاهرة ، وفي يوم الجمعة الثالث عشر من ذى القعدة عزل فحمس الدين بن الحريرى عن قضاء الحنفية بالقاضى جلال الدين بن حسام الدين على قاعدته وقاعدة أبيه ، وذلك باتفاق من

الوزير فتمس الدين سنقر الأعسر ونائب السلطان الأفرم . وفيها وصلت رسول ملك التتار إلى دمشق ، فأنزلوا بالقلمة ثم ساروا إلى مصر .

ومن توفي فيها من الأعيان : الشيخ حسن الكردي

المقيم بالشاغور في بستان له يأكل من غلته ويطعم من ورده عليه ، وكان يزار ، فلما احتضر اغتسل وأخذ من شعره واستقبل القبلة وركع ركعات ، ثم توفي رحمه الله يوم الاثنين الرابع . جمادي الأولى ، وقد جاوز المائة سنة .

الطواشي صفي الدين جوهر التتليسي

المحدث ، اعتنى بسماع الحديث وتحصيل الأجزاء . وكان حسن الخلق صالحاً لبن الجانب رجلاً حامياً زكياً ، ووقف أجزاءه التي ملكها على المحدثين

الأمير عز الدين

محمد بن أبي الهيجاء بن محمد الهيدباني الأربلي متولى دمشق ، كان لديه فضائل كثيرة في التواريخ والشعر وربما جمع شيئاً في ذلك ، وكان يسكن بدرب شعور فعرف به ، فيقال درب ابن أبي الهيجاء ، وهو أول منزل نزلناه حين قدمنا دمشق في سنة ست وسبع مائة ، ختم الله لي بخير في عافية آمين ، توفي ابن أبي الهيجاء في طريق مصر وله ثمانون سنة ، وكان مشكور السيرة حسن المخاضرة .

الأمير جمال الدين آقوش الشريفي

والى الولاية بالبلاد القبلية ، توفي في شوال وكانت له هبة وسطوة وحرمة .

ثم دخلت سنة إحدى وسبع مائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، والأمير سيف الدين سلار بالشام ، ونائب دمشق الأفرم ، وفي أولها عزل الأمير قطلبك عن نيابة البلاد الساحلية وتولاها الأمير سيف الدين استدر ، وعزل عن وزارة مصر فتمس الدين الأعسر ، وتولى سيف الدين أقجبا المنصوري نيابة غزة ، وجعل عوضه بالقلمة الأمير سيف الدين بهادر السيجري ، وهو من الرحبة . وفي صفر رجعت رسول ملك التتار من مصر إلى دمشق فتلقاهم نائب السلطنة والجيش والعامه ، وفي نصف صفر ولي تدريس النورية الشيخ صدر الدين علي البهراوى الخنفي عوضاً عن الشيخ ولي الدين السمرقندي وإنما كان وليها ستة أيام ودرس بها أربعة دروس بعد بني الصدير سليمان ، توفي وكان من كبار الصالحين ، يصلي كل يوم مائة ركعة ، وفي يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول جلس قاضي القضاة وخطيب الخطباء بدر الدين بن جماعة بالخانقاه الشمساطية شيخ الشيوخ بها عن طلب الصوفية له بذلك ، ورغبهم فيه ، وذلك بعد وفاة الشيخ يوسف بن حمويه الحموي ، وفرت الصوفية به

وجلسوا حوله ، ولم يجتمع هذه المناصب لغيره قبله ، ولا بلغنا أنها اجتمعت إلى أحد بعده إلى زماننا هذا : القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ . وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول قتل الفتح أحمد بن النقي بالديار المصرية ، حكم فيه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي بما ثبت عنده من تنقيصه للشرعية واستهزائه بالآيات المحكمات ، ومعارضة المشتمات بعضها ببعض ، يذكر عنه أنه كان يحمل المحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك ، لمن كان يجتمع فيه من الفسقة من الترك وغيرهم من الجبهة ، هذا وقد كان له فضيلة وله اشتغال وهيئة جميلة في الظاهر ، وبزته ولبسته جيدة ، ولما أوقف عند شباك دار الحديث السكلمية بين القصرين استغاث بالقاضي تقي الدين بن دقيق العيد فقال : ما تعرف مني ؟ فقال : أعرف منك الفضيلة ، ولكن حكك إلى القاضي زين الدين ، فأمر القاضي للوالى أن يضرب عنقه ، فضرِبَ عنقه وطيف برأسه في البلد ، ونودى عليه هذا جزاء من طعن في الله ورسوله قال البرزالي في تاريخه : وفي وسط شهر ربيع الأول ورد كتاب من بلاد حماة من جهة قاضيها يخبر فيه أنه وقع في هذه الأيام ببارين من عمل حماة برد كبار على صور حيوانات مختلفة شتى ، سبع وحيات وعقارب وطيور وممّز ونساء ، ورجال في أوساطهم حوائص ، وأن ذلك ثبت بحضور عند قاضي الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماة . وفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر شنق الشيخ على الحويرالي بواب الظاهرية على بابها ، وذلك أنه اعترف بقتل الشيخ زين الدين السمرقندي . وفي النصف منه حضر القاضي بدر الدين بن جماعة تدريس الناصرية الجوانية عوضاً عن كمال الدين ابن الشريشي ، وذلك أنه ثبت محضر أنها لقاضي الشافعية بدمشق ، فانتزعها من يد ابن الشريشي . وفي يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الاولى قدم الصدر علاء الدين بن شرف الدين بن القلانسي على أهله من التبر بعد أسر سنتين وأياماً وقد حبس مدة ثم لطف الله به وتلطف حتى تخلص منهم ورجع إلى أهله ، وفرحوا به .

وفي سادس جمادى الآخرة قدم البريد من القاهرة وأخبر بوفاة أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله العباسي ، وأن ولده ولي الخلافة من بعده ، وهو أبو الربيع سليمان ، وأقب بالمستكنفي بالله ، وأنه حضر جنازته الناس كلهم مشاة ، ودفن بالقرب من الست نفيسة ، وله أربعون سنة في الخلافة ، وقدم مع البريد تقليد بالقضاء لشمس الدين الحريري الحنفي ، ونظر الدواوين لشرف الدين بن مزهر ، واستمرت الخاتونية الجوانية بيد القاضي جلال الدين بن حسام الدين باذن نائب السلطنة . وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب للخليفة المستكنفي بالله وترحم على والده بمجامع دمشق ، وأعيدت الناصرية إلى ابن الشريشي وعزل عنها ابن جماعة ودرس بها يوم الاربعاء الرابع عشر من جمادى الآخرة وفي شوال قدم إلى الشام جراد عظيم أكل الزرع والثمار وجرّد الاشجار حتى

صارت مثل المعصى ، ولم يعهد مثل هذا ، وفى هذا الشهر عقد مجلس لليهود اغتياصرة وألزموا بأداء الجزية أسوة أمثالهم من اليهود ، فأحضروا كتاباً معهم يزعمون أنه من رسول الله (س) بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مقتعل لما فيه من الألفاظ الركيكة ، والتواريخ المحبطة ، واللعن الفاحش ، وحاقتهم عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبين لهم خطأهم وكذبهم ، وأنه موزور مكذوب ، فأنابوا إلى أداء الجزية ، وخافوا من أن تستعاد منهم الشئون الماضية . قلت : وقد قففت أنا على هذا الكتاب فرأيت فيه شهادة سعد بن معاذ عام خير ، وقد توفى سعد قبل ذلك بنحو من سنتين ، وفيه : وكتب على بن طالب وهذا الحن لا يصدر عن أمير المؤمنين على ، لأن علم النحر إنما أسند إليه من طريق أبى الاسود الدؤلى عنه ، وقد جمعت فيه جزءاً مفرداً وذكر ما جرى فيه أيام القاضى الماوردى ، وكتاب أصحابنا فى ذلك العصر ، وقد ذكره فى الحاروى وصاحب الشامل فى كتابه وغير واحد ، وبيّنوا خطأه والله الحمد والمنة .

وفى هذا الشهر ثار جماعة من الحسدة على الشيخ تقي الدين بن تيمية وشكوا منه أنه يقبم الحدود ويعزرو ويحلق رؤس الصبيان ، وتسكلم هو أيضاً فيمن يشكونه ذلك ، وبين خطأهم ، ثم سكنت الأمور . وفى ذى القعدة ضربت البشائر بقلعة دمشق أياماً بسبب فتح أماكن من بلاد سيس عنوة ، وفتحها المسلمون والله الحمد . وفيه قدم عز الدين بن ميسر على نظير الدواوين عوضاً عن ابن مزهر . وفى يوم الثلاثاء رابع ذى الحجة حضر عبد السيد بن المهذب ديان اليهود إلى دار العدل ومعه أولاده فأسلوا كلهم ، فأكرمهم نائب السلطنة وأمر أن يركب بخلة وخلفه الدباب تضرب والبوقات إلى داره ، وعمل ليلتشد ختمة عظيمة حضرها القضاة والعلماء ، وأسلم على يديه جماعة كبيرة من اليهود ، وخرجوا يوم العيد كلهم يكبرون مع المسلمين ، وأكرمهم الناس إكراماً زائداً . وقدمت رسل ملك التتار فى سابع عشر ذى الحجة فنزلوا بالقلمة وسافروا إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام و بعد مسيرهم بيومين مات أوجواس ، وبعد موته بيومين قدم الجيش من بلاد سيس وقد فتحوا جانباً منها ، فخرج نائب السلطنة والجيش لتلقيهم ، وخرج الناس للفرجة على العادة ، وفرحوا بقدومهم ونصرهم .

ومن توفى فيها من الاعيان أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله

أبو العباس أحمد بن المسترشد بالله الهاشمى العباسى البغدادى المصرى ، بويع بالخلافة بالدولة الظاهرية فى أول سنة إحدى وستين وستائة ، فاستكمل أربعين سنة فى الخلافة ، وتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه وقت صلاة العصر بسوق الخليل ، وحضر جنازته الأعيان والدولة كلهم مشاة . وكان قد عهد بالخلافة إلى ولده المذكور أبى الربيع سليمان .

خلافة المستكفي بالله

أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي

لما عهد إليه كتب تقليده بذلك وقرأ بمحاضرة السلطان والدولة يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية ، وسارت بذلك البريدية إلى جميع البلاد الاسلامية

وتوفى فيها : الأمير عز الدين

أبيك بن عبد الله النجيبى الدويدار والى دمشق ، وأحد أمراء الطبلخانة بها ، وكان مشكور السيرة ، ولم تطل مدته ، ودفن بقاسيون ، توفى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول .

الشيخ الأمام العالم شرف الدين أبو الحسن

على بن الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد اليوناني البعلبكي وكان أكبر من أخيه الشيخ قطب الدين بن الشيخ الفقيه ، ولد شرف الدين سنة إحدى وعشرين وستمائة فأسمعه أبوه الكثير ، واشتغل وتفقه ، وكان عابداً عاملاً كثير الخشوع ، دخل عليه إنسان وهو بخزانة الكتب فجعل يضربه بعصا في رأسه ثم يسكين فبقى متمرضاً أياماً ، ثم توفى إلى رحمة الله يوم الخميس حادى عشر رمضان ببعلبك ، ودفن بباب بطحا ، وتأسف الناس عليه لعلمه وعمله وحفظه الأحاديث وتودده إلى الناس وتواضعه وحسن صمته ومروءته تغمد الله برحمته .

الصدر ضياء الدين

أحمد بن الحسين بن شيخ السلاية ، والد القاضى قطب الدين موسى الذى تولى فيما بعد نظار الجيش بالشام وبمصر أيضاً ، توفى يوم الثلاثاء عشرين ذى القعدة ودفن بقاسيون ، وعمل عزاءه بالراحية الأمير الكبير الم رابط المجاهد

علم الدين أرجواش بن عبد الله المنصورى ، نائب القلعة بالشام ، كان ذا هيبه وهمة وشهامة وقصد صالح ، قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين لما ملكت التتار الشام أيام قازان ، وعصت عليهم القلعة ومنعها الله منهم على يدى هذا الرجل ، فانه التزم أن لا يسلمها إليهم مادام بها عين تطرف واقتدت بها بقية القلاع الشامية ، وكانت وفاته بالقلعة ليلة السبت الثانى والعشرين من ذى الحجة وأخرج منها ضحوة يوم السبت فصلى عليه وحضر نائب السلطنة فن دونه جنازته ، ثم حمل إلى سفح قاسيون ودفن بتربته رحمه الله .

الأبرقوهي المسند المعمر المصري

هو الشيخ الجليل المسند الرحلة ، بقية السلف شهاب الدين أبوالمعالى أحمد بن إسحاق بن محمد ابن المؤيد بن على بن إسماعيل بن أبي طالب ، الأبرقوهي الممداني ثم المصري ، ولد بأبرقوه من بلاد شيراز في رجب أو شعبان سنة خمس عشرة وستمائة ، وسمع الكثير من الحديث على المشايخ الكثيرين ، وخرجت له مشيخات ، وكان شيخا حسنا لطيفا مطيقا ، توفي بمكة بعد خروج الحجيج بأربعة أيام رحمه الله . وفيها توفي :

صاحب مكة

الشریف أبو نبي محمد بن الأمير أبي سعد حسن بن على بن قتادة الحنفى صاحب مكة منذ أربعين سنة ، وكان حليما وقورا ذا رأى وسياسة وعقل ومروءة . وفيها ولد كاتبه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى المصرى الشافعى عفا الله عنه ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعمائة من الهجرة

استهلت والحكام المذكورون في التي قبلها ، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر فتحت جزيرة أرواد بالقرب من أنطرسوس ، وكانت من أرض الأماكن على أهل السواحل ، فجهزها المراكب من الديار المصرية في البحر وأردفها جيوش طرابلس ، ففتحت والله الحمد نصف النهار ، وقتلوا من أهلها قريبا من ألفين ، وأسروا قريبا من خمسمائة ، وكان فتحها من تمام فتح السواحل ، وأراح الله المسلمين من شر أهلها . وفي يوم الخميس السابع عشر من شهر صفر وصل البريد إلى دمشق فأخبر بوفاة قاضى القضاة ابن دقيق العيد ، ومعه كتاب من السلطان إلى قاضى القضاة ابن جماعة ، فيه تعظيم له واحترام وإكرام يستدعيه إلى قربه ليباشر وظيفة القضاء بمصر على عادته قهريا لذلك ، ولما خرج خرج معه نائب السلطنة الأفرم وأهل الحل والعقد ، وأعيان الناس ليودعوه ، وستأى ترجمة ابن دقيق العيد في الوفيات ، ولما وصل ابن جماعة إلى مصر أكرمه السلطان إكراما زائدا ، وخلع عليه خلة صوف وبفسلة تساوى ثلاثة آلاف درهم ، وباشر الحكم بمصر يوم السبت رابع ربيع الأول ، ووصلت رسل التنار في أواخر ربيع الأول قاصدين بلاد مصر ، وباشر شرف الدين الفزارى مشيخة دار الحديث الظاهرية يوم الخميس ثامن ربيع الآخر عوضا عن شرف الدين الناسخ ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا إمام الفارسي ، توفي بها عن سبعين سنة ، وكان فيه بر ومعرفة وأخلاق حسنة ، رحمه الله .

وذكر الشيخ شرف الدين المذكور درسا مفيدا وحضر عنده جماعة من الأعيان ، وفي يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى خلع على قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى بقضاء الشام عوضا عن

ابن جماعة ، وعلى الفارقي بالخطابة ، وعلى الأمير ركن الدين بيبرس العلوي بشد الدوار بن وهشام الناس ، وحضر نائب السلطنة والأعيان المقصورة لسباع الخطبة ، وقرئ تقليد ابن مصرى بعد الصلاة ثم جلس في الشباك السكالي وقرئ تقليده مرة ثانية ، وفي جمادى الأولى وقع بيد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن الشيخ تقي الدين بن تيمية والقاضي شمس الدين بن الحريري وجماعة من الأمراء والخواص الذين بباب السلطنة يناصحون التتر ويكاتبوهم ، ويريدون تولية قبض على الشام وأن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني يعلمهم بأحوال الأمير جمال الدين الأفرم ، وكذلك كمال الدين بن المطار ، فلما وقف عليه نائب السلطنة عرف أن هذا مقتمل ، فحفص عن راضعه فإذا هو فقير كان مجاوراً بالبيت الذي كان مجاور محراب الصحابة ، يقال له اليمفوري ، وآخر معه يقال له أحمد الغناري ، وكاتبا معروفين بالشر والفضول ، ووجد معهما مسودة هذا الكتاب ، فتعقق نائب السلطنة ذلك فز را تمزيراً خفيفاً ، ثم وسطا بعد ذلك وقطعت يد الكاتب الذي كتب لها هذا الكتاب ، وهو التاج المناديل . وفي أواخر جمادى الأولى انتقل الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري إلى نياية القلعة عوضاً عن أرجواش .

عجيبة من عجائب البحر

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه : قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخرة ظهرت دابة من البحر عجيبية الخلقة من بحر النيل إلى أرض المنوفية ، بين بلاد منية مسعود واصطباري والراهب ، وهذه صفتها : لونها لون الجاموس بلا شعر ، وآذانها كأذان الجمل ، وعيناها وفرجها مثل الناقة ، ينفخ فرجها ذنب طوله شبر ونصف كذنب السمكة ، رقبته مثل غلظ التنين المحشوتين ، وفها وشفتها مثل الكربال ، ولها أربعة أنياب اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، طول كل واحد دون الشبر في عرض أصبعين ، وفي فها ثمان وأربعون ضرساً وسن مثل بيادق الشطرنج ، وطول يديها من باطنها إلى الأرض شبران ونصف ومن ركبتيها إلى حافرها مثل بطن الثعبان ، أصفر مجعد ، ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافر مثل أظافر الجمل ، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف ، وطولها من فها إلى ذنبها خمسة عشر قدماً وفي بطنها ثلاثة كروش ، ولحها أحمر وزفر مثل السمك ، وطعمه كالحم الجمل ، وغلظه أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف ، وحمل جلدها على خمسة جمال في مقدار ساعة من قله على جمل بعد جمل وأحضره إلى بين يدي السلطان بالقلمة وحشوه تبناً وأقاموه بين يديه والله أعلم .

وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتر على دخول بلاد الشام ، فانزعج الناس لذلك واشتد خوفهم جداً ، وقتت الخطيب في الصلوات وقرئ البخاري ، وشرع الناس في الجمل إلى الديار المصرية

والكرك والحصون المنيعه ، وتأخر بجي العساكر المصرية عن إبانها فاشتد لذلك الخوف . وفي شهر رجب باشر نجم الدين بن أبي الطيب نظر الخزانة عوضاً عن أمين الدين سليمان ، وفي يوم السبت ثالث شعبان باشر مشيخة الشيوخ بعد ابن جماعة القاضي ناصر الدين عبد السلام ، وكان جمال الدين الزرعي يسد الوظيفة إلى هذا التاريخ . وفي يوم السبت عاشر شعبان ضربت البشائر بالقلعة وعلى أبواب الأمراء بخروج السلطان بالعساكر من مصر لمناجزة التتار المخدولين ، وفي هذا اليوم بعينه كانت وقعة غرض وذلك أنه التقى جماعة من أمراء الاسلام فيهم استدرو بهادر أخى وكجكن رغرلو العادلى ، وكل منهم سيف من سيوف الدين فى ألف وخمسمائة فارس ، وكان التتار فى سبعة آلاف فاقتلوا وصبر المسلمون صبراً جيداً ، فنصرهم الله وخذل التتار ، فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، ولوا عند ذلك مدبرين ، وغنم المسلمون منهم غنائم ، وعادوا سالمين لم يفقد منهم إلا القليل ممن أكرمه الله بالشهادة ، ووقعت البطاقة بذلك ، ثم قدمت الأسارى يوم الخميس نصف شعبان ، وكان يوم خميس النصارى .

أوائل وقعة شمشجب

وفى ثامن عشر قدمت طائفة كبيرة من جيش المصريين فيهم الامير . كن الدين بيسهرس الجاشنكير ، والامير حسام الدين لاجين المروف بالاستادار المنصورى ، والامير سيف الدين كراى المنصورى ، ثم قدمت بعدهم طائفة أخرى فيهم بدر الدين أمير سلاح وأيبك الخزندار ققويت القلوب واطمان كثير من الناس ، ولكن الناس فى جفل عظيم من بلاد حلب وحماة وحمص وتلك النواحي وتقهقر الجيش الحلبى والحوى إلى حمص ، ثم خافوا أن يدهمهم التتار فجاءوا قتلوا المرج يوم الاحد خامس شعبان ، ووصل التتار إلى حمص وبملك وعاثوا فى تلك الاراضى فسادا ، وقلق الناس قلقاً عظيماً ، وخافوا خوفاً شديداً ، واختبئ البلد لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش ، وقال الناس لاطاعة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتار لكثرتهم ، وإتمام سيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة . وتحدث الناس بالاراجيف فاجتمع الامراء يوم الاحد المذكور بالميدان وتحالفوا على لقاء العدو ، وشجعوا أنفسهم ، ونودى بالبلدان لا يرحل أحد منه ، فسكن الناس وجلس القضاة بالجامع وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال ، وتوجه الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى العسكر الواصل من حماة فاجتمع بهم فى القطيعة فأعلمهم بما تحالف عليه الامراء والناس من لقاء العدو ، فأجابوا إلى ذلك وحلفوا معهم ، وكان الشيخ تقي الدين بن تيمية يحلف للامراء والناس إنكم فى هذه الكرة منصورون ، فيقول له الامراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً . وكان يتأول فى ذلك أشياء من كتاب الله منها قوله تعالى [ومن بنى عليه لينصرته الله] .

وقد تكلم الناس فى كيفية قتال هؤلاء التتار من أى قبيل هو ، فانهم يظهرون الاسلام وليسوا

بغاة على الامام، فانهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه . فقال الشيخ تقي الدين : هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية ، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما ، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بأقامة الحق من المسلمين ، ويمعبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم ، وهم متلبسون بما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة ، فتفطن العلماء والناس لذلك ، وكان يقول للناس : إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني ، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم والله الحمد .

ولما كان يوم الرابع والعشرين من شعبان خرجت العساكر الشامية نغيمت على الجسورة من ناحية الكسوة ، ومعهم القضاة ، فصار الناس فيهم فر يقين فر يقى يقولون إنما ساروا ليختاروا موضعاً للقتال فان المرج فيه مياه كثيرة فلا يستطيعون معها القتال ، وقال فر يقى : إنما ساروا لتلك الجبهة ليهربوا وليلحقوا بالسلطان . فلما كانت ليلة الخميس ساروا إلى ناحية الكسوة فقويت غلظون الناس في هربهم ، وقد وصلت التتار إلى قارة ، وقيل إنهم وصلوا إلى القطيعة ، فانزعج الناس لذلك شديداً ولم يبق حول القرى والحواضر أحد ، وامتلات القلعة والبلد وازدحمت المنازل والطرقات ، واضطرب الناس وخرج الشيخ تقي الدين بن تيمية صبيحة يوم الخميس من الشهر المذكور من باب النصر بمشقة كبيرة ، وصحبته جماعة ليشهد القتال بنفسه ومن معه ، فظنوا أنه إنما خرج هاربا فحصل اللوم من بعض الناس وقالوا أنت منعنا من الجغل وها أنت هارب من البلد ؟ فلم يرد عليهم وبقي البلد ليس فيه حاكم ، وجاس الاصوص والحرافيش فيه وفي بساتين الناس يخربون وينتهبون ما قدروا عليه ، ويقطعون المشمش قبل أوانه والبقلاء والقمح وسائر الخضراوات ، وحيل بين الناس وبين خبر الجيش ، وانقطعت الطارق إلى الكسوة وظهرت الوحشة على البلد والحواضر ، وليس للناس شغل غير الصعود إلى المساكن ينظرون يمينا وشمالا ، وإلى ناحية الكسوة فتارة يقولون : رأينا غيرة فيخافون أن تكون من التتر ، ويتعجبون من الجيش مع كثرتهم وجودة عدتهم وعددهم ، أين ذهبوا ؟ فلا يدرون ما فعل الله بهم ، فانقطعت الآمال وألح الناس في الدعاء والابتهال وفي الصلوات وفي كل حال ، وذلك يوم الخميس التاسع والعشرين من شعبان ، وكان الناس في خوف ورعب لا يعبر عنه ، لكن كان الفرج من ذلك قريبا ، ولكن أكثرهم لا يفتاحون ، كما جاء في حديث أبي رزين « محب ربك من قنوط عباده وقرب غيره . ينظر إليكم أزلين قطعين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب » (١) .

فلما كان آخر هذا اليوم وصل الأمير نغر الدين إياس المرقبي أحد أمراء دمشق ، فبشر الناس بخير ، هو أن السلطان قد وصل وقت اجتمعت العساكر المصرية والشامية ، وقد أرسلني أكشف هل طرق

(١) في سنن ابن ماجه في كتاب السنة « ضحك ربنا الخ » والأزل : شدة القنوط .

البلد أحد من التتر، فوجد الأمر كما يحجب لم يطرقتا أحد منهم، وذلك أن التتار هرجوا من دمشق إلى ناحية المساكر المصرية، ولم يشتغلوا بالبلد، وقد قالوا إن غلبنا فإن البلد لنا، وإن غلبنا فلا حاجة لنا به، ونودي بالبلد في تطليب الخواطر، وأن السلطان قد وصل، فاطمان الناس وسكنت قلوبهم، وأثبت الشهر ليلة الجمعة القاضى تقي الدين الحنبلى، فإن السماء كانت مغيمة فعلقت القناديل وصليت التراويح واستبشر الناس بشهر رمضان وبركته، وأصبح الناس يوم الجمعة في هم شديد وخوف أكيد، لأنهم لا يعلمون ما خبر الناس. فبينما هم كذلك إذ جاء الأمير سيف الدين غرلو العادل فاجتمع بنائب القلعة ثم عاد سرعاً إلى العسكر، ولم يدر أحد ما أخبر به، ووقع الناس في الارتاجيف والخلوص

صفة وقعة شقحب

أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من الخوف وضيق الأمر، فأرأوا من المآذن سواداً وغبرة من ناحية العسكر والمدو، فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد، وطامع النساء والصغار على الأسطحة وكشفوا رؤوسهم وضج البلد ضجة عظيمة، ووقع في ذلك الوقت مطر عظيم غزير، ثم سكن الناس، فلما كان بعد الظهر قرئت بطاقة بالجامع تتضمن أن في الساعة الثانية من نهار السبت هذا اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر، وفيها طلب الدعاء من الناس والأمر بحفظ القلعة. والتحرز على الأسوار فدعا الناس في المآذن والبلد، وانقضى النهار وكان يوماً مزججاً هائلاً، وأصبح الناس يوم الأحد يتحدثون بكسر التتر، وخرج الناس إلى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شئ من المكاسب، ومعهم رؤس من رؤس التتر، وصارت كسرة التتر تقوى وتزايد قليلاً قليلاً حتى انضمت جهة، ولكن للناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة التتر لا يصدقون، فلما كان بعد الظهر قرئ كتاب السلطان إلى متولى القلعة يخبر فيه بإجتماع الجيش ظهر يوم السبت بشقحب وبالكسوة، ثم جاءت بطاقة بعد العصر من نائب السلطان جمال الدين آقوش الأفرم إلى نائب القلعة مضمونها أن الوقعة كانت من مصر يوم السبت إلى الساعة الثانية من يوم الأحد، وأن السيف كان يعمل في رقاب التتر ليلاً ونهاراً وأنهم هربوا وفرروا واعتصموا بالجبال والتلال، وأنه لم يسلم منهم إلا القليل، فأمسى الناس وقد استقرت خواطرهم وتباشروا لهذا الفتح العظيم والنصر المبارك، ودقت البشائر بالقلعة من أول النهار المذكور، ونودي بعد الظهر بإخراج الجفال من القلعة لأجل نزول السلطان بها، وشرعوا في الخروج. وفي يوم الاثنين رابع الشهر رجع الناس من الكسوة إلى دمشق فبشروا الناس بالنصر. وفيه دخل الشيخ تقي الدين بن تيمية البلد ومعه أصحابه من الجهاد، ففرح الناس به ودعوا له وهنؤه بما يسر الله على يده من الخير، وذلك أنه ندبه العسكر الشامى أن يسير إلى السلطان يستحثه على

السير إلى دمشق فسار إليه فغنه على المجي* إلى دمشق بعد أن كاد يرجع إلى مصر ، فجاء هو وإياه جميعاً فسأله السلطان أن يقف معه في معركة القتال ، فقال له الشيخ : السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ، ونحن من جيش الشام لا نقف إلا معهم ، وحرص السلطان على القتال وبشره بالنصر وجعل يحاف بالله الذي لا إله إلا هو إنكم منصورون عليهم في هذه المرة ، فيقول له الأمراء : قل إن شاء الله ، فيقول إن شاء الله تحقيقاً لا تملئتما . وأفق الناس بالفطر مدة قتالهم وأفطر هو أيضاً ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم لينتقوا على القتال أفضل فيأكل الناس هو كان يتأول في الشاميين قوله (س) : « إنكم ملاقوا المدوغدا ، والفطر أقوى لكم » فمزم عليهم في الفطر عام الفتح كما في حديث أبي سعيد الخدري . وكان الخليفة أبو الربيع سليمان في صحبة السلطان ، ولما اصطفت المساكر والنجم القتال ثبت السلطان ثباتاً عظيماً ، وأمر بجواده فقيده حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، منهم الأمير حسام الدين لاجين الرومي أستاذ دار السلطان ، وثمانية من الأمراء المتقدمين معه ، وصلاح الدين بن الملك السعيد الكامل بن السعيد بن الصالح إسماعيل ، وخلق من كبار الأمراء ، ثم نزل النصر على المسلمين قريب العصر يومئذ ، واستنظر المسلمون عليهم ولله الحمد والمنة . فلما جاء الليل لجأ النتر إلى اقتحام التلول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون بحرسونهم من الحرب ، وبرهونهم عن قوس واحدة إلى وقت الفجر ، فقتلوا منهم ما لا يعلم عدده إلا الله عز وجل ، وجعلوا يمحيطون بهم في الجبال فتضرب أعناقهم ، ثم اقتحم منهم جماعة الهزيمة فنجاه منهم قليل ، ثم كانوا يتساقطون في الأودية والمهاالك ، ثم بعد ذلك غرق منهم جماعة في الفرات بسبب الظلام ، وكشف الله بذلك عن المسلمين غمة عظيمة شديدة ، ولله الحمد والمنة .

ودخل السلطان إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رمضان وبين يديه الخليفة ، وزينت البلد ، وفرح كل واحد من أهل الجمعة والسبت والأحد^(١) ، فنزل السلطان في القصر الأبلق والميدان ، ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخلع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ، واستقرت الخواطر ، وذهب اليأس وطابت قلوب الناس ، وعزل السلطان ابن النحاس عن ولاية المدينة وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدغدى أمير علم ، وعزل صادم الدين إبراهيم وإلى الخصاص عن ولاية البر وجعل مكانه الأمير حسام الدين لاجين الصغير ، ثم عاد السلطان إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء ثالث شوال بعد أن صام رمضان وعيد بدمشق .

وطلب الصوفية من نائب دمشق الأقرم أن يولي عليهم مشيخة الشيوخ للشيخ صفي الدين

(١) يعني من المسلمين واليهود والنصارى .

الهندي ، فأذن له في المباشرة يوم الجمعة سادس شوال عوضاً عن ناصر الدين بن عبد السلام ، ودخل السلطان القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال ، وكان يوماً مشهوداً ، وزينت القاهرة .

وفيها جاءت زلزلة عظيمة يوم الخميس بكرة الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وكان جمهورها بالديار المصرية ، تلاطمت بسببها البحار فكسرت المراكب وتهدمت الدور ومات خلق كثير لا يملهم إلا الله ، وشقت الحيطان ولم ير مثلاً في هذه الأعمار ، وكان منها بالشام طائفة لكن كان ذلك أخف من سائر البلاد غيرها .

وفي ذي الحجة بإشراف الشيخ أبو الوليد بن الحاج الأشبيلي المالكي إمام محراب المالكية بجامع دمشق بعد وفاة الشيخ فحمس الدين محمد الصنهاجي .

ومن توفي فيها من الأعيان ابن دقيق العيد

الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري ، ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينسج من أرض الحجاز ، بمعظم الكثير ورحل في طلب الحديث وخرج وصنف فيه إسناداً ومتناً مصنفات عديدة ، فريدة مفيدة ، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه ، وفاق أقرانه ورحل إليه الطلبة ودرس في أماكن كثيرة ، ثم ولي قضاء الديار المصرية في سنة خمس وتسعين وستمائة ، ومشيخة دار الحديث الكاملية ، وقد اجتمع به الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فقال له تقي الدين بن دقيق العيد لما رأى تلك العلوم منه : ما أظن بقي يخاف منك ، وكان وقوراً قليل الكلام غزير الفوائد كثير العلوم في ديانة ونزاهة ، وله شعر رائق ، توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر ، وصلى عليه يوم الجمعة المذكور بسوق الخليل وحضر جنازته نائب السلطنة والأشراف ، ودفن بالقرافة الصغرى رحمه الله .

الشيخ برهان الدين الاسكندري

إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم ، بمعظم الحديث وكان ديناً فاضلاً ، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة ، وتوفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين شوال عن خمس وستين سنة . وبعد شهر بسواء كانت وفاة الصدر جمال الدين بن العطار

كاتب الدرج منذ أربعين سنة . أبو العباس أحمد بن أبي الفتح .

محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن فتيان الشيباني ، كان من خيار الناس وأحسنهم قية ، ودفن بقرية لهم تحت الكهف بسفح قاسيون ، وتأسف الناس عليه لاحسانه إليهم رحمه الله .

الملك العادل زين الدين كتبغا

توفي بجماعة نائباً عليها بعد صرخد يوم الجمعة يوم عيد الاضحى ونقل إلى تربته بسفح قاسيون

غربي الرباط الناصري ، يقال لها المادلية ، وهي تربة مليحة ذات شبائيك وبوابة ومأذنة ، وله عليها أوقف دارة على وظائف من قراءة وأذان وإمامة وغير ذلك ، وكان من كبار الامراء المنصورية ، وقد ملك البلاد بعد مقتل الاشرف خليل بن المنصور ، ثم انتزع الملك منه لاجين وجلس في قلعة دمشق ، ثم تحول إلى مصر وقد كان بها إلى أن قتل لاجين وأخذ الملك الناصر بن قلاوون ، فاستنابه بحماة حتى كانت وفاته كما ذكرنا ، وكان من خيار الملوك وأعداهم وأكثرهم برأ ، وكان من خيار الامراء والنواب رحمه الله .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبع مائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي صفر تولى الشيخ كمال الدين بن الشريشي نظارة الجامع الأموي وخاع عليه وباشره مباشرة مشكورة ، وسأوى بين الناس وعزل نفسه في رجب منها . وفي شهر صفر تولى الشيخ فحمس الدين الذهبي خطابة كفر بطنا وأظم بها . ولما تولى الشيخ زين الدين الفارقي في هذه السنة كان نائب السلطنة في نواحي البلقاء يكشف بعض الامور ، فلما قدم تسكاهوا معه في وظائف الفارق فمدين الخطابة لشرف الدين الفزاري ، وعين الشامية البرانية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وذلك بإشارة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأخذ منه الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني ورسم بكتابة التواقيع بذلك ، وباشر الشيخ شرف الدين الامامة والخطابة ، وفرح الناس به لحسن قراءته وطيب صوته وجودة سيرته ، فلما كان بكرة يوم الاثنين ثاني عشر من ربيع الأول وصل البريد من مصر بحبة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وقد سبقه برسوم السلطان له بجميع جهات الفارقي مضافا إلى ما بيده من التدريس ، فاجتمع بنائب السلطنة بالقصر ، وخرج من عنده إلى الجامع ففتح له باب دار الخطابة فترها وجاءه الناس يهنئونه ، وحضر عنده القراء والمؤذنون ، وصلى بالناس العصر وباشر الامامة يومين فأظهر الناس التألم من صلاته وخطابته ، وسعوا فيه إلى نائب السلطنة فمنعه من الخطابة وأقره على التدريس ودار الحديث ، وجاء توقيع سلطاني للشيخ شرف الدين الفزاري بالخطابة ، فخطب يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى ، وخاع عليه بطارحة وفرح الناس به ، وأخذ الشيخ كمال الدين بن الزملكاني تدريس الشامية البرانية من يد ابن الوكيل ، وباشرها في مستهل جمادى الأولى واستقرت دار الحديث بيد ابن الوكيل مع مدرسته الأوليتين ، وأظنهما المنراوية والشامية الجوانية .

ووصل البريد في ثاني عشر جمادى الأولى بإعادة السنجري إلى نيابة القلعة وتولية نائبها الأمير سيف الدين الجوكندرائي نيابة حمص عوضاً عن عز الدين الحموي ، توفي . وفي يوم السبت ثاني عشر رمضان قدمت ثلاثة آلاف فارس من مصر وأضيف إليها ألفان من دمشق وساروا وأخذوا

معه نائيب حمص الجو كندرائي ووصلوا إلى حماة فصحبهم نائيبها الأمير سيف الدين قبيق ، وجاء إليهم استنصر نائيب طرابلس ، والضاف إليهم قراسنقر نائيب حلب وانفصلوا كلهم عنها وافترقوا فرقتين فرقة سارت محبة فيجق إلى ناحية ملطية ، وقلمة الروم ، والفرقة الأخرى محبة قراسنقر حتى دخلوا الدربندات وحاصر وائل حمدون فقتلوه عنوة في ثالث ذي القعدة بعد حصار طويل ، فدفعت البشائر بدمشق لذلك ، ووقع مع صاحب سيس على أن يكون للمسلمين من نهر جيهان إلى حلب وبلاد ما وراء النهر إلى ناحيتهم لهم ، وأن يجعلوا حمل سنتين ، ووقعت الهدنة على ذلك ، وذلك بعد أن قتل خاق من أمراء الارمن ورؤسائهم ، وعادت العساكر إلى دمشق مؤيدين منصورين ، ثم توجهت العساكر المصرية محبة مقدمهم أمير سلاح إلى مصر .

وفي أواخر السنة كان موت قازان وتولية أخيه خربندا . وهو ملك التتار قازان واسمه محمود بن أرغون بن أبناء وذلك في رابع عشر شوال أو حادى عشره أو ثالث عشره ، بالقرب من همدان ونقل إلى تربته بدير بن بكان يسمى الشام ، ويقال إنه مات مسموماً ، وقام في الملك بعده أخوه خربندا محمد بن أرغون ، ولقبوه الملك غياث الدين ، وخطب له على منابر العراق وخراسان وتلك البلاد .

وحج في هذه السنة الأمير سيف الدين سلار نائيب مصر وفي محبته أربعون أميراً ، وجميع أولاد الأمراء ، وحج معهم وزير مصر الأمير عز الدين البغدادى ، وتولى مكانه بالبركة ناصر الدين محمد الشينى ، وخرج سلار في أبهة عظيمة جسدآ ، وأمير ركب المصر بين الحاج إياق الحسامى ، وترك الشيخ صفى الدين مشيخة الشيوخ فولها القضاى عبد الكريم بن قاضى القضاة محبى الدين ابن الزكى ، وحضر الخانقاه يوم الجمعة الحادى عشر من ذى القعدة وحضر عنده ابن صصرى وعز الدين القلاندى ، والصاحب ابن ميسر ، والمحاسب وجماعة .

وفي ذى القعدة وصل من التتر مقدم كبير قد هرب منهم إلى بلاد الاسلام وهو الأمير بدر الدين جنكى بن البابا ، وفي محبته نحو من عشرة ، فحضروا الجمعة فى الجامع ، وتوجهوا إلى مصر ، فأكرم وأعطى إمرة ألف ، وكان مقامه ببلاد آمد ، وكان يناصح السلطان ويكاتبه ويطلعه على عورات التتر ، فلهمنا عظم شأنه فى الدولة الناصرية .
ومن توفى فيها من الأعيان ملك التتر قازان .

الشيخ القدوة العابد أبو إسحاق

أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن معالى بن محمد بن عبد الكريم الرقى الخنبلى ، كان أصله من بلاد الشرق ، ومولده بالرقفة فى سنة سبع وأربعين وستائة ، واشتغل وحصل وسمع شيثامن

الحديث ، وقدم دمشق فسكن بالمأذنة الشرقية في أسفلهما بأهله إلى جانب الطهارة بالجامع ، وكان معظماً عند الخاص والعام ، فصيح العبارة كثير العبادة ، خشن الميث حسن المجالسة لطيف الكلام كثير التلاوة ، قوى التوجه من أفراد العالم ، عارفاً بالفسير والحديث والفقه والأصولين ، وله مصنفات وخطب ، وله شعر حسن ، توفي بمنزله ليلة الجمعة خامس عشر المحرم وصلى عليه عقيب الجمعة ونقل إلى تربة الشيخ أبي عمر بالسفح ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي هذا الشهر توفي الأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأقرم ودفن بترته بميدان الحصا عند النهر .
والشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام
عرف بابن الحلبى ، كان من خيار الناس يتردد إلى عكا أياماً حين ما كانت في أيدي الفرنج ، في فكك أسارى المسلمين ، جزاء الله خيراً وعنه من النار وأدخله الجنة برحمته .

الخطيب ضياء الدين

أبو محمد عبد الرحمن بن الخطيب جمال الدين أبي الفرج عبد الوهاب بن هبلى بن أحمد بن عقيل السلمى خطيب بعباك نخوآ من ستين سنة ، هو وأوالده ، ولد سنة أربع عشرة وستائة وسمع الكثير وتفرد عن القزوينى ، وكان رجلاً جيداً حسن القراءة من كبار المدول ، توفي ليلة الاثنين ثالث صفر ، ودفن بباب سطحا . الشيخ زين الدين الفاروقى

عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر^(١) بن الحسن ، أبو محمد الفاروقى شيخ الشافعية ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث الكثير ، واشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفق مدة طويلة ، وكانت له همة وشهامة وصرامة ، وكان يبشر الأوقاف جيداً ، وهو الذى عمر دار الحديث بعد خرابها بيد قازان ، وقد باشرها سبعة وعشرين سنة من بعد النواوى إلى حين وفاته ، وكانت معه الشامية البرانية وخطابة الجامع الأموى تسعة أشهر ، باشر به الخطابة قبل وفاته ، وقد انتقل إلى دار الخطابة وتوفي بها يوم الجمعة بعد العصر ، وصلى عليه ضحوة السبت ، صلى عليه ابن مصرى عند باب الخطابة و بسوق الخليل قاضى الحنفية شمس الدين بن الحريرى ، وعند جامع الصالحية قاضى الحنابلة تقي الدين سليمان ، ودفن بترته بأهله شملى تربة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وباشر بعده الخطابة شرف الدين الغزاري ومشيخة دار الحديث ابن الوكيل ، والشامية البرانية ابن الزملى وكان قد تقدم ذلك .

الأمير الكبير عز الدين أبيك الحموي

ناب بدمشق مدة ثم عزل عنها إلى صرخند ، ثم نقل قبل موته بشهر إلى نيابة حمص ، وتوفي بها يوم العشرين من ربيع الآخر ، ونقل إلى تربة بالسفح غربى زاوية ابن قوام ، وإليه ينسب التحام بمسجد القصب الذى يقال له حمام الحموى ، عمره في أيام نيابته .

(١) فى الشذرات فيروز . وذكر أنها عند الدرر الكامنة .

الوزير فتح الدين

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صقر القرشي الخزومي ابن القيسراني ، كان شيخاً جليلاً أديباً شاعراً مجوداً من بيت رياسة ووزارة ، ولي وزارة دمشق مدة ثم أقام بمصر موقماً مدة ، وكان له اعتناء بهلوم الحديث وسماحه ، وله مصنف في أسماء الصحابة الذين خرج لهم في الصحيحين ، وأورد شيئاً من أحاديثهم في مجلدتين كبيرين موقوفين بالمدرسة الناصرية بدمشق ، وكان له مذاكرة جيدة محررة باللفظ والمعنى ، وقد خرج عنه الحافظ الهميطي ، وهو آخر من توفي من شيوخه ، توفي بالقاهرة في يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الآخر ، وأصلهم من قيسارية الشام . وكان جده موفق الدين أبو البقاء خالد وزيراً لنور الدين الشهيد ، وكان من الكتاب المجيدين المتقنين ، له كتابة جيدة محررة جيداً ، توفي في أيام صلاح الدين سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، وأبوه محمد بن نصر بن صقر ولد بمكة قبل أخذ الفرنج لهاسنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، فلما أخذت بمدا السبعين وأربعمائة انتقل أهلهم إلى حلب . وكانوا بها ، وكان شاعراً مطبقاً له ديوان مشهور ، وكان له معرفة جيدة بالنجوم وعلم الهيئة وغير ذلك .

ترجمة والد ابن كثير مولف هذا التاريخ

وفيها توفي الوالد وهو الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير بن ضوبن كثير بن ضوبن درع القرشي من بني حصة ، وهم ينتسبون إلى الشرف وأبائهم نسب ، وقف على بعضها شيخنا المزي فأنجبه ذلك وأنجبه به ، فصار يكتب في نسبي بسبب ذلك : القرشي ، من قرية يقال لها الشركون غرب بصرى ، بينها وبين أذرع ، ولد بها في حدود سنة أربعين وثمانمائة ، واشتغل بالعلم عند أخواله بني عقبة ببصرى ، فقرأ البداية في مذهب أبي حنيفة ، وحفظ جمل الزجلجي ، وعنى بالنحو والعربية واللغة ، وحفظ أشعار العرب حتى كان يقول الشعر الجيد الفائق الرائق في المدح والمرائي وقليل من الهجاء ، وقرر بمدارس بصرى ، نزل الناقة شمالى البلد حيث يزار ، وهو المبرك المشهور عند الناس والله أعلم بصحة ذلك : ثم انتقل إلى خطابة القرية شرق بصرى وتمذهب للشافعي ، وأخذ عن النواوي والشيخ تقي الدين الغزاري ، وكان يكرمه ويحترمه فيما أخبرني شيخنا العلامة ابن الزمكشاني ، فأقام بها نحواً من ثلثي عشرة سنة ، ثم تحول إلى خطابة مجيدل القرية التي منها الوالدة ، فأقام بها مدة طويلة في خير وكفاية وتلاوة كثيرة ، وكان بخطيب جيداً ، وله مقول عند الناس ، وللكلامه وقع لديانته وفصاحته وحلاوته ، وكان يؤثر الأقامة في البلاد لما يرى فيها من الرفق ووجود الحلال له ولعِياله ، وقد ولد له عدة أولاد من الوالدة ومن أخرى قبلها ، أكبرهم إسماعيل ثم يونس وإدريس ، ثم من الوالدة عبد الوهاب وعبد العزيز ومحمد وأخوات عدة ، ثم أنا أصغرهم ، وسميت

باسم الأخ إسماعيل لأنه كان قد قدم دمشق فاشتغل بها بعد أن حفظ القرآن على والده وقرأ مقدمة في النحو ، وحفظ التنبية وشرحه على العلامة تاج الدين الفزاري وحصل المنتخب في أصول الفقه ، قاله لى شيخنا ابن الزمكشاني ، ثم إنه سقط من سطح الشامية البرانية فكسرت أياها ومات ، فوجد الوالد عليه وجداً كثيراً ورثاه بأبيات كثيرة ، فلما ولدت له أنا بعد ذلك سمانى باسمه ، فأكبر أولاده إسماعيل وآخرهم وأصغرهم إسماعيل ، فرحم الله من سلف وختم بخير لمن بقى ، توفي والدى فى شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة ، فى قرية مجيدل القرية ، ودفن بمقبرتها الشمالية عند الزيتون وكنيت إذ ذاك صغيراً ابن ثلاث سنين أو نحوها لأدركه إلا كالحلم ، ثم تحولنا من بعده فى سنة سبع وسبعمائة إلى دمشق بحبة كمال الدين عبد الوهاب ، وقد كان لنا شقيقاً ، وبنا رفيقاً شوقاً ، وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمسين ، فاشتغلت على يديه فى العلم ، فيسر الله تعالى منه مايسر ، وسهل منه مايسر والله أعلم .

وقد قال شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي فى معجمه فيما أخبرنى عنه شمس الدين محمد بن سعد المقدسى مخرجه له ، ومن خط المحدث شمس الدين بن سعد هذا نقلت ، وكذلك وقتت على خط الحافظ البرزالي مثله فى السفينة الثانية من السفن الكبار : قال عمر بن كثير القرشى خطيب القرية وهى قرية من أعمال بصرى رجل فاضل له نظم جيد ويحفظ كثيراً من الفزولة وهمة وقوة . كتبت عنه من شعره بحضور شيخنا تاج الدين الفزاري . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعمائة بمجيدل القرية من عمل بصرى ، أنشدنا الخطيب شهاب الدين أبو حفص عمر بن كثير القرشى خطيب القرية بها لنفسه فى منتصف شعبان من سنة سبع وثمانين وسبعمائة :

نأى النوم عن جفنى فبت مسهداً * أخوا كلف حلف الصباية موجداً
سمير القريا والنجوم مدلساً * فن ولهى خلت الكواكب رعداً
طربحاً على فرش الصباية والامسى * فسا ضركم لو كنتم لى عودا
تقلبنى أيدى الغرام بلوعة * أرى النار من تلقائها لى أبردا
ومزق صبرى بعد جيران حاجز * سمير غرام بات فى القلب وقدا
فأطرت دعى لمل زفيره * يسلى فزادته الدوع توقدا
فبت بلسل نابى ولا أرى * على النأى من بعد الاحبة صعداً
فيمالك من ليل تباعد فجيه * على إلى أن خلته قد تخلدا
غراماً ووجداً لا يجد أقله * بأهيف معسول المرافش أغيدا
له طلعة كالبدر زان جمالسا * بطرقة حالك اللون أسودا

يهزُّ من القدر الرشيق متقفاً * ويشهرُ من جفنيه سيفاً مهندا
وفي ورد خديده وآس عذاره * وضوء ثنياه فنيته تجلدا
غدا كلُّ حسن دونه متقاصرا * وأضحى له ربُّ الجمال موحدا
إذا مارنا واهتزَّ عند لقائهم * سبائك، فلم تملك لساناً ولا يدا
وتسجدُ إجلالاً له وكرامةً * وتقيمُ قدأُسميت في الحسن أوحدا
وربُّ أخى كفى تأمل حسنه * فأسلم من إجلاله وتشهدا
وأنكر عيسى والصليب ومرمياً * وأصبح يهوى بعد بُغض محمد
أيا كمة الحسن التي طاف حولها * فوادي، أما للصدِّ عندك من فدا
فَتمت بطيخ من خيالك طاري * وقد كنت لأرضى بوصولك سرمد
قد شغني شوق تجاوز حده * وحسبك من شوق تجاوز واعتدا
سألتك إلا ما مرت بحيننا * بفضلك يارب الملاحق والثدا
لمل جفوني أن تغيض دموعها * ويسكن قلب مذ هجرت فما هدا
غالطت بهجراني ولو كنت صابياً * لما صدك الواشون عني ولا الهدا

وعندها ثلاثة وعشرون بيتاً والله يغفر له ما صنم من الشعر^(١)

ثم دخلت سنة أربع وسبع مائة

استمات والخليفة والسلطان والحكام والمباشر من المذكورين في التي قبلها ، وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول حضرت الدروس والوظائف التي أنشأها الأمير بيبرس الجاشنكير المصوري بجامع الحاكم بعد أن جدد من خرابه بالزلزلة التي طرأت على دياره مصر في آخر سنة ثنتين وسبع مائة ، وجعل القضاة الأربعة هم المدرسين لهذا المذهب ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أنير الدين أبو حيان ، وشيخ القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي ، وشيخ إفاضة العلوم الشيخ علاء الدين القنوي. وفي جمادى الآخرة باشر الأمير ركن الدين بيبرس الحجوبية مع الأمير سيف الدين بكتمر ، وصاروا حاجبين كبيرين في دمشق . وفي رجب أحضر إلى الشيخ آق الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقاً كبيراً متسعاً جداً يسمى المجاهد إبراهيم القطان ، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق فتناهيه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئاً وأمر بمحاق رأسه ، وكان ذا شعر ، وقلم أظفاره وكانوا طوالاً جدياً ، وحف شاربه المسبل على فيه الخفاف للسنه ، واستنابه من كلام الفحش وأكل ما يغير العقل من الحشيشة ومالا يجوز من المحرمات وغيرها . وبعده استعضر الشيخ محمد الخباز البلاسي فاستنابه أيضاً عن كل

(١) زيادة من نسخة أخرى.

الحرمات ومخالطة أهل الذمة ، وكتب عليه مكتوباً أن لا يتكلم في تعبير المنامات ولا في غير هاتين
علم له به . وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ وأمر أصحابه ومعهم
حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلو ط تزار وينذر لها ، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك
بها ، فزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيماً ، [وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة ، وكذلك
بكلامه بابن عربي وأتباعه ، فحسد على ذلك وعودى ، ومع هذا لم تأخذه في الله لومة لائم ، ولا بالى ،
ولم يصلوا إليه بمكروه ، وأكثر ما نالوا منه الحبس مع أنه لم ينقطع في بحث لا يحصر ولا بالشام ،
ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وإنما أخذوه وحبسوه بالجاء كسياتى ، وإلى الله إياب الخلق وعليه
حسابهم] ^(١) . وفي رجب جالس قاضى القضاة نجم الدين بن مصرى بالمدرسة العادلية الكبيرة
وعملت النخوت بعد ما جددت عمارة المدرسة ، ولم يكن أحد يحكم بها بعد وقعة قازان بسبب خرابها ،
وجاء المرسوم للشيخ برهان الدين الفزارى بوكالة بيت المال فلم يقبل ، وللشيخ كمال الدين بن
الزملكاتى بنظر الخزانة قبل وخام عليه بطرحة ، وحضر بها يوم الجمعة ، وهاتان الوظيفتان كانتا
مع نجم الدين بن أبى الطيب توفى إلى رحمة الله . وفى شعبان سعى جماعة في تبطيل الوقيد ليلة
النصف وأخذوا خطوط العلماء فى ذلك ، وتكلموا مع نائب السلطنة فلم يتفق ذلك ، بل أشعلوا
وصليت صلاة ليلة النصف أيضاً . وفى خامس رمضان وصل الشيخ كمال الدين بن الشرىشى من
مصر بوكالة بيت المال ، ولبس الخلعة سابغ رمضان ، وحضر عند ابن مصرى بالشباك السكالى .
وفى سابغ شوال عزل وزير مصر ناصر الدين بن الشيخى وقطع إقطاعه ورسم عليه وعوقب إلى أن
مات فى ذى القعدة ، وتولى الوزارة سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء وخام عليه . وفى يوم الخميس
الثانى والعشرين من ذى القعدة حكم قاضى القضاة جمال الدين الزواوى بقتل الشمس محمد بن جمال
الدين بن عبد الرحمن الباجرى ، وإراقة دمه وإن تاب وإن أسلم ، بعد إثبات محضر عليه يتضمن
كفر الباجرى الذى المذكور ، وكان ممن شهد فيه عليه الشيخ محمد الدين التونسى النحوى الشافعى ،
فهرب الباجرى إلى بلاد الشرق فكث بها مدة سنين ثم جاء بعد موت الحاكم المذكور كسياتى .
وفى ذى القعدة كان نائب السلطنة فى الصيد فقصد فى الليل طائفة من الأعراب فقاتلهم
الأمراء فقتلوا من العرب نحو النصف ، وتوغل فى العرب أمير يقال له سيف الدين بها در تمر احتقاراً
بالعرب ، فضربه واحد منهم برمح فقتله ، فكرت الأمراء عليهم فقتلوا منهم خلقاً أيضاً ، وأخذوا
واحداً منهم زعموا أنه هو الذى قتله فصلب تحت القلعة ، ودفن الأمير المذكور بقبر الست . وفى ذى
القعدة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة من العلماء فى الفتاوى الصادرة من الشيخ

علاء الدين بن العطار شيخ دار الحديث النورية والقوصية ، وأنها مخالفة لمذهب الشافعي ، وفيها تحبيط كثير ، فتوهم من ذلك وراح إلى الحنفى فحقن دمه وأبقاه على وظائفه ، ثم بلغ ذلك نائب السلطنة فأنكر على المسكرين عليه ، ورسم عليهم ثم اصطلمحوا ، ورسم نائب السلطنة أن لا تشار الفتن بين الفقهاء . وفي مستهل ذى الحجة ركب الشيخ اتقى الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبل الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان فاستقنابوا خلقاً منهم وألزمهم بشرائع الاسلام ورجع مؤيداً منصوراً .
ومن توفى فيها من الاعيان .

الشيخ تاج الدين بن شمس الدين بن الرفاعي

شيخ الأحمدية بأم عبيدة من مدة مديدة ، وعنه تكتب إجازات الفقراء ، ودفن هناك عند سافه بالبطائح الصدر نجم الدين بن عمر
ابن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن أبي الكتائب بن محمد بن أبي الطيب ، وكيل بيت المال وناظر الخزانة ، وقد ولى في وقت نظر المارستان النورى وغير ذلك ، وكان مشكور السيرة رجلاً جيداً ، وقد سمع الحديث وروى أيضاً ، توفى ليلة الثلاثاء الخامس عشر من جمادى الآخرة ، ودفن بترتهم بباب الصغير .

ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة

استهلت والخليفة المستنكى والسلطان الملك الناصر ، والمباشر من المذكورين فيما مضى ، وجاء الظاهر أن جماعة من التتر كنوا لجيش حلب وقتلوا منهم خلقاً من الأعيان وغيرهم ، وكثر النوح ببلاذحاب بسبب ذلك . وفي مستهل المحرم حكم جلال الدين القزوينى أخو قاضى القضاة إمام الدين نيابة عن ابن مصرى ، وفي ثانيه خرج نائب السلطنة بن لقي من الجيوش الشامية ، وقد كان تقدم بين يديه طائفة من الجيش مع ابن تيمية فى ثانى المحرم ، فساروا إلى بلاد الجرد والرفض والتيامنة فخرج نائب السلطنة الأفرم بنفسه بعد خروج الشيخ لغزوم ، فنصرهم الله عليهم وأبادوا خلقاً كثيراً منهم ومن فرقهم الضالة ، ووطنوا أراضى كثيرة من صنع بلادهم ، وعاد نائب السلطنة إلى دمشق فى محبته الشيخ ابن تيمية والجيش ، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير ، وأبان الشيخ علماً وشجاعة فى هذه الغزوة ، وقد امتلأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً . وفى مستهل جمادى الأولى قدم القاضى أمين الدين أبو بكر ابن القاضى وجيه الدين عبد العظيم بن الرافى المصرى من القاهرة على نظر الدواوين بدمشق ، عوضاً عن عز الدين بن مبشر .

ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة

وفي يوم السبت فاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأباقي وحضر الشيخ تقي الدين بن تيمية فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم ، وأن يسلم لهم حالهم ، فقال لهم الشيخ : هذا ما يمكن . ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة ، قولاً وفعلًا ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه . فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعتهم ، فقال الشيخ تلك أحوال شيطانية باطلة ، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان ، ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولاً إلى الحمام وليفسل جسده غسلًا جيدًا ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقًا ، ولو فرض أن أحدًا من أهل البدع دخل النار بعد أن يقتل فإن ذلك لا يبدل على صلاحه ولا على كرامته ، بل حاله من أحوال الدجاجلة الخالفة للشرية إذا كان صاحبها على السنة ، فما الظن بخلاف ذلك ، فابتدر شيخ المنيع الشيخ صالح وقال : نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر ليست تنفق عند الشرع ، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة ، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد ، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم ، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه . وصنف الشيخ جزءاً في طريقة الأحمدية ، وبين فيه أحوالهم ومسالكتهم وتخلياتهم ، ومافى طريقهم من مقبول ومردود بالكتاب ، وأظهر الله السنة على يديه وأخذ بدعتهم والله الحمد والمنة .

وفي العشر الأوسط من هذا الشهر خلع على جلال الدين بن معبد وعز الدين خطاب ، وسيف الدين بكتدر مملوك بكتاش الحسامي بالامرة ولبس التشاريف ، وركبوا بها وسلموا لهم جبل الجرود والكسروان والبقاع . وفي يوم الخميس ثالث رجب خرج الناس للاستسقاء إلى سطح المزة ونصبوا هناك منسباً وخرج نائب السلطنة وجميع الناس من القضاة والعلماء والفقراء ، وكان مشهداً هائلاً وخطبة عظيمة بليغة ، فاستسقوا فلم يسقوا يومهم ذلك .

أول المجالس الثلاثة للشيخ الاسلام ابن تيمية

وفي يوم الاثنين ثامن رجب حضر القضاة والعلماء وفيهم الشيخ تقي الدين بن تيمية عند نائب السلطنة بالقصر وقرئت عقيدة الشيخ تقي الدين الواسطية ، وحصل بحث في أمان منها ، وأخرت مواضع إلى المجلس الثاني ، فاجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثاني عشر الشهر المذكور وحضر الشيخ صفى الدين الهندي ، وتكلم مع الشيخ تقي الدين كلاماً كثيراً ، ولكن ساقيته لاطمت بحجراً ، ثم اصطلموا على أن يكون الشيخ كالدين بن الزمكاني هو الذي يحاققه من غير مسامحة ، فتناظروا في

ذلك ، وشكر النابيس من فضائل الشيخ كمال الدين بن الزملى كاتى وجوده ذهنه وحسن بجنه حيث قاوم ابن تيمية فى البحث ، وتسكلم معه ، ثم انفصل الحال على قبول العقيدة ، وعاد الشيخ إلى منزله معظما مكرما ، وبلغنى أن العامة حملوا له الشمع من باب النصر إلى القضاة على جارى عادتهم فى أمثال هذه الأشياء ، وكان الحامل على هذه الاجتماعات كتاب ورد من السلطان فى ذلك ، كان الباعث على إرساله قاضى المالكية ابن مخلوف ، والشيخ نصر المنبجى شيخ الجامشنيك وغيرهم من أعدائه ، وذلك أن الشيخ تقى الدين بن تيمية كان يتكلم فى المنبجى وينسبه إلى اعتقاد ابن عربى وكان للشيخ تقى الدين من الفقهاء جماعة يحسدونه لتقدمه عند الدولة ، وانفراده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطاعة الناس له ومحبتهم له وكثرة أتباعه وقيامه فى الحق ، وعلمه وعمله ، ثم وقع بدمشق خبط كثير وتشويش بسبب غيبة نائب السلطنة ، وطلب القاضى جماعة من أصحاب الشيخ وعزر بعضهم ثم اتفق أن الشيخ جمال الدين المازى الحافظ قرأ فصلا بالرد على الجمعية من كتاب أفسال العباد للبخارى تحت قبة النسر بعد قراءة ميعاد البخارى بسبب الاستسقاء ، فغضب بعض الفقهاء الحاضرين وشكاه إلى القاضى الشافعى ابن مصرى ، وكان عدو الشيخ فسجن المازى ، فبلغ الشيخ تقى الدين فتألم لذلك وذهب إلى السجن فأخرجته منه بنفسه ، وراح إلى القصر فوجد القاضى هناك ، فتناولوا بسبب الشيخ جمال الدين المازى ، فخاف ابن مصرى لا بد أن يعيده إلى السجن وإلا عزل نفسه فأمر النائب بإعادته تطييبا لقلب القاضى فحبسه عنده فى القوصية أياما ثم أطلقه . ولما قدم نائب السلطنة ذكر له الشيخ تقى الدين ماجرى فى حقه وحق أصحابه فى غيبته ، فتألم النائب لذلك ونادى فى البلد أن لا يتكلم أحد فى العقائد ، ومن عاد إلى تلك حل ماله ودمه ورتبت داره وحانوته ، فسكنت الأمور . وقد رأيت فصلا من كلام الشيخ تقى الدين فى كيفية ما وقع فى هذه المجالس الثلاثة من المناظرات . ثم عقد المجلس الثالث فى يوم سابع شعبان بالقصر واجتمع الجماعة على الرضى بالعقيدة المذكورة وفى هذا اليوم عزل ابن مصرى نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من بعض الحاضرين فى المجلس المذكور ، وهو من الشيخ كمال الدين بن الزملى كاتى ، ثم جاء كتاب السلطان فى السادس والعشرين من شعبان فيه إعادة ابن مصرى إلى القضاء ، وذلك بأشارة المنبجى ، وفى الكتاب إنا كنا معكمنا بعقد مجلس للشيخ تقى الدين بن تيمية ، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس ، وأنه على مذهب السلف وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه ، ثم جاء كتاب آخر فى خامس رمضان يوم الاثنين وفيه الكشف عن ما كان وقع للشيخ تقى الدين بن تيمية فى أيام جازان ، والقاضى إمام الدين القزوينى وأن يحمل هو والقاضى ابن مصرى إلى مصر ، فتوجها على البريد نحو مصر ، وخرج مع الشيخ خلق من أصحابه وبكرا وخافوا عليه من أعدائه ، وأشار عليه نائب السلطنة ابن الأقرم بترك الذهاب

إلى مصر، وقال له أنا كاتب السلطان في ذلك وأصلح القضايا، فأمنع الشيخ من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة، ومصلح كثيرة، فلما توجه لمصر ازدحم الناس لوداعه ورويته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة، فيما بين دمشق والكسوة، وهم فيما بين بك وحزين ومتفرج ومنزه ومزاحم متغافل فيه. فلما كان يوم السبت دخل الشيخ تقي الدين غزوة فعمل في جامعها مجلساً عظيماً، ثم دخلاً معاً إلى القاهرة والقلوب معه وبه متعلقة، فدخل مصر يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان، وقيل إنهما دخلا يوم الخميس، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة عقد للشيخ مجلس بالقلعة اجتمع فيه القضاة وأكابر الدولة وأراد أن يتكلم على عادته فلم يتمكن من البحث والكلام، وانتدب له الشمس ابن عدنان خصماً احتساباً، وأدعى عليه عند ابن مخلوف المالكي أنه يقول إن الله فوق العرش حقيقة، وأن الله يتكلم بحرف وصوت، فسأله القاضي جوابه فأخذ الشيخ في حمد الله والثناء عليه، فقيل له أجب ماجئنا بك لتخطب، فقال: ومن الحاكم في؟ فقيل له القاضي المالكي. فقال له الشيخ كيف تحكم في وأنت خصمي، فغضب غضباً شديداً وانزعج وأقيم مرسماً عليه وحبس في برج أياماً ثم نقل منه ليلة العيد إلى الحبس المعروف بالجلب، هو وأخوه شرف الدين عبد الله وزين الدين عبد الرحمن.

وأما ابن مصرى فإنه جدد له توقيع بالقضاء بأشارة المنبجي شيخ الجاشنكير حاكم مصر، وعاد إلى دمشق يوم الجمعة سادس ذي القعدة والقلوب له ما قنة، والنفوس منه نائرة، وقرى تقليده بالجامع وبعده قرى. كتاب فيه الخط على الشيخ تقي الدين ومخالفته في العقيدة، وأن ينادى بذلك في البلاد الشامية، وألزم أهل مذهبه بمخالفته، وكذلك وقع بمصر، قام عليه جاشنكير وشيخه نصر المنبجي، وساعدهم جماعة كثيرة من الفقهاء والعقراء، ووجرت قنن كثيرة منشورة، ونمود بالله من الفتن، وحصل للحنابلة بالديار المصرية إهانة عظيمة كثيرة، وذلك أن قاضيه كان قليل العلم مزجي البضاعة، وهو شرف الدين الحرائي، فلذلك نال أصحابهم ما نالهم، وصارت حالهم حالهم، وفي شهر رمضان جاء كتاب من مقدم الخدام بالحرم النبوي يستأذن السلطان في بيع طائفة من قناديل الحرم النبوي لينفق ذلك ببناء مأذنة عند باب السلام الذي عند المطهرة، فرسم له بذلك، وكان في جلة القناديل قنديلان من ذهب زنتهما ألف دينار، فباع ذلك وشرع في بنائها وولى سراج الدين عمر قضاءها مع الخطابة نشق ذلك على الروافض.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ذي القعدة وصل البريد من مصر بتولية القضاء لشمس الدين محمد بن إبراهيم بن داود الأذري الحنفي قضاء الحنفية عوضاً [عن شمس الدين ابن الحسيني معز ولا بتولية الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين الفزاري خطابة دمشق عوضاً] ^(١). عن عمه

(١) سقط من المصرية.

الشيخ شرف الدين توفى إلى رحمة الله ، وخلف عليهما بذلك وباشرا في يوم الجمعة ثالث عشر الشهر وخطب الشيخ برهان الدين خطبة حسنة حضرها الناس والأعيان ، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة وأثر بقاءه على تدريس البادرائية حين بلغه أنها طلبت لنؤخذ منه ، فبقي منصب الخطابة شاغراً ونائب الخطيب يصلي بالناس ويخطب ، ودخل عيد الأضحى وليس للناس خطيب ، وقد كاتب نائب السلطنة في ذلك فجاء المرسوم بالزامه بذلك ، وفيه : لعلمنا بأهليته وكفايته واستمراره على ما بيده من تدريس البادرائية ، فباشرها القيسى جمال الدين ابن الرحبي ، سعى في البادرائية فأخذها وباشرها في صفر من السنة الآتية بتوقيع سلطاني ، فعزل الفزاري نفسه عن الخطابة ولزم بيته ، فراسله نائب السلطنة بذلك ، فصمم على العزل وأنه لا يعود إليها أبداً ، وذكر أنه عجز عنها ، فلما تحقق نائب السلطنة ذلك أعاد إليه مدرسته وكتب له بها توقيعاً بالعشر الأول من ذي الحجة وخلف على شمس الدين بن الخطيب بنظر الخزانة عوضاً عن ابن الزمكاني . وحج بالناس الأمير شرف الدين حسن بن حيدر .
ومن توفى فيها من الأعيان .

الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين الرحبي

ابن سابق بن الشيخ يونس القيسى ودفن بزوايتهم التي بالشرق الشامي بدمشق غربي الوراقاة والعزمية يوم الثلاثاء سابع المحرم .
الملك الواحد
ابن الملك تقي الدين شادي بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي ، توفي بجبل الجرد في آخر نهار الأرباء ثاني صفر ، وله من العمر سبع وخمسون سنة فنقل إلى تربتهم بالسفح ، وكان من خيار الملوك والدولة ، معظماً عند الملوك والأمراء ، وكان يحفظ القرآن وله معرفة بعلم ، ولديه فضائل .
الصدر علاء الدين

علي بن معالي الانصاري الحرائي الحاسب ، يعرف بابن الزريز ، وكان فاضلاً بارعاً في صناعة الحساب انتفع به جماعة ، توفي في آخر هذه السنة فجأة ودفن بقاسيون ، وقد أخذت الحساب عن الحاضري عن علاء الدين الطيوري عنه .

الخطيب شرف الدين أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، الشيخ الامام العلامة أخو العلامة شيخ الشافعية تاج الدين عبد الرحمن ، ولد سنة ثلاثين وستمائة الحديث الكثير ، وانتفع على المشايخ في ذلك العصر كابن الصلاح وابن السعوى وغيرهما ، وتفق وأفق وناظر وبرع وساد أقرانه ، وكان أستاذاً في

العربية واللغة والقراءات وإيراد الأحاديث النبوية ، والتردد إلى المشايخ للقراءة عليهم ، وكان فصيح العبارة حلوا المحاضرة ، لامتثل مجالسته ، وقد درس بالطيبة ، وبالرباط الناصري مدة ، ثم تحول عنه إلى خطابة جامع جراح ، ثم انتقل إلى خطابة جامع دمشق بعد الفارق في سنة ثلاث ولم يزل به حتى توفي يوم الأربعاء عشية التاسع من شوال ، عن خمس وسبعين سنة ، وصلى عليه صبيحة يوم الخميس على باب الخطابة ، ودفن عند أبيه وأخيه بباب الصغير رحمهم الله ، وولى الخطابة ابن أخيه

شيخنا العلامة برهان الدين الحافظ الكبير الدمياطي

وهو الشيخ الامام العالم الحافظ شيخ الحديث شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي ، حامل لواء هذا الفن - أعنى صناعة الحديث وعلم اللغة - في زمانه مع كبر السن والقدر ، وعلو الاسناد وكثرة الرواية ، وجودة الدراية ، وحسن التأليف وانتشار التصانيف ، وتردد الطلبة إليه من سائر الآفاق ، ومولده في آخر سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد كان أول سماعه في سنة ثنتين وثلاثين بالاسكندرية ، سمع الكثير على المشايخ ورحل وطاف وحصل وجمع فأوعى ، ولاسكن مامنع ولا يخل ، بل بذل وصنف ونشر العلم ، وولى المناصب بالديار المصرية ، وانتفع الناس به كثيراً ، وجمع معجماً لمشايعه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق وديار مصر يزيدون على ألف وثلثمائة شيخ ، وهو مجلدان ، وله الأربعمائة المتبانية الاسناد وغيرها وله كتاب في الصلاة الوسطى مفيد جداً ، ومصنف في صيام ستة أيام من شوال أفاد فيه وأجاد ، وجمع ما لم يسبق إليه ، وله كتاب الذكر والتسبيح عقيب الصلوات ، وكتاب التسلية في الاعتباط بنواب من يقدم من الافراط ، وغير ذلك من الفوائد الحسان ، ولم يزل في إسماع الحديث إلى أن أدر كته وفاته وهو صائم في مجلس الاملاء غشى عليه فحمل إلى منزله فمات من ساعته يوم الاحد عاشر ذي القعدة بالقاهرة ، ودفن من التند بمقابر باب النصر وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله تعالى

ثم دخلت سنة ست وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكرون في التي قبلها والشيخ تقي الدين بن تيمية مسجون بالجب من قلعة الجبل ، وفي يوم الأربعاء جاء البريد بتولية الخطابة للشيخ فتمس الدين إمام الكلاسة وذلك في ربيع الأول ، وهى بذلك فأظهر التكره لذلك والضعف عنه ، ولم يحصل له مباشرة لغيبية نائب السلطنة في الصيد ، فلما حضر أذن له فبأشهر يوم الجمعة العشرين من الشهر ، فأول صلاة صلاها الصبح يوم الجمعة ، ثم خلع عليه وخطب بها يومئذ ، وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ربيع الأول بإشراف نيابة الحكم عن القاضي نجم الدين أحمد بن عبد المحسن بن حسن المعروف بالمشقي عوضاً عن تاج الدين بن صالح بن تامر بن خان الجعبرى ، وكان معمرًا قديماً المهجرة كثير الفضائل ، ديناً

ورعاً، جيد المباشرة، وكان قد ولي الحكم في سنة سبع وخسين وستائة، فلما ولي ابن مصري كره نيابته. وفي يوم الأحد العشرين من ربيع الآخر قدم البريد من القاهرة ومعه تجديد توقيع للقاضي شمس الدين الأزرقى الحنفى، فظن الناس أنه بولاية القضاء لابن الحريرى فذهبوا ليهنئوه مع البريد إلى الظاهرية، واجتمع الناس لقراءة التقليد على العادة فشرع الشيخ علم الدين البرزالى في قراءته فلما وصل إلى الاسم تبين له أنه ليس له وأنه للأزرقى، فبطل القارئ وقم الناس مع البريدى إلى الأزرقى، وحصلت كسرة وخدة على الحريرى والحاضرين. ووصل مع البريدى أيضاً كتاب فيه طلب الشيخ كمال الدين بن الزملى إلى القاهرة، فتوهم من ذلك وخاف أصحابه عليه بسبب اقتسابه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية، فتلفظ به نائب السلطنة، ودارى عنه حتى أعفى من الحضور إلى مصر، والله الحمد.

وفي يوم الخميس ناسع جمادى الأولى دخل الشيخ ابن براق إلى دمشق وبصحبه مائة فقير كلهم يحملون ذقونهم وموفرى شواربهم عكس ما وردت به السنة، وعلى رؤسهم قرون لبابيد. ومعهم أجراس وكعاب وجواكين خشب، فتزلوا بالمنيب وحضروا الجمعة برواق الحنابلة، ثم توجهوا نحو القدس فزاروا، ثم استأذنوا في الدخول إلى الديار المصرية فلم يؤذن لهم، فعادوا إلى دمشق فصاروا بها رمضان ثم انشعروا راجعين إلى بلاد الشرق، إذ لم يجدوا بدمشق قبولا، وقد كان شيخهم براق روميان من بعض قرى دوقات من أبناء الأربدين، وقد كانت له منزلة عند قازان زمكانة، وذلك أنه سيطر عليه نمرأ فزجره فهرب منه وتركه، فغضى عنده وأعطاه في يوم واحد ثلاثين ألفاً ففرقها كلها فأحبه، ومن طريقة أصحابه أنهم لا يقطعون لهم صلاة، ومن ترك صلاة ضربوه أربعين جلدة، وكان يزعم أن طريقه الذى سلكه إنما سلكه ليخرب على نفسه، ويرى أنه زى المسخرة، وأن هذا هو الذى يليق بالدنيا، والمتصود إنما هو الباطن والقلب وعامرة ذلك، ونحن إنما نفهم بالظاهر، والله أعلم بالسرائر.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة حضر مدرس النجيبية بهاء الدين يوسف بن كمال الدين أحمد بن عبد العزيز العجمى الحلبي، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين الطومى توفى، وحضر عنده ابن مصري وجماعة من الفضلاء، وفي هذه السنة صليت صلاة الرغائب في النصف بجماع دمشق بعد أن كانت قد أبطلها ابن تيمية منذ أربع سنين، ولما كانت ليلة النصف حضر الحاجب ركن الدين بيبرس الملائى ومنع الناس من الوصول إلى الجامع ليلتشد، وغلقت أبوابه فبات كثير من الناس في الطرقات وحصل للناس أذى كثير، وإنما أراد صيانة الجامع من اللغو والرفث والتخليط. وفي سابع عشر رمضان حكم القاضي تقي الدين الحنبلى بمحقن دم عبد الباجر يتي، وأثبت عنده محضرا

بعداوة ما بينه وبين اليهود الستة الذين شهدوا عليه عند المالكي ، حين حكم باراقة دمه ، ومن شهد بهذه العداوة ناصر الدين بن عبد السلام ؛ زين الدين بن الشريف عدنان ، وقطب الدين بن شيخ السلامة وغيرهم . وفيها باشر جمال الدين بن الزمكاكي نذر ديوان ملك الأمراء عوضا عن شهاب الدين الحنفي ، وذلك في آخر رمضان ، وخال عليه بطيلسان وخلعة ، وحضر بها دار العدل . وفي ليلة عيد الفطر أحضر الأمير سيف الدين سلالر نائب مصر القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء فاقضاة الشافعي والمالكي والحنفي ، والفقهاء الباجي والجزري والنراوي ، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين بن تيمية من المجلس ، فاشتراط بعض الحاضرين عليه شروطا بذلك ، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض العقيدة وأرسلوا إليه ليحضر لينكلموا معه في ذلك ، فامتنع من الحضور وصمم ، وتكررت الرسل إليه ست مرات ، فصمم على عدم الحضور ، ولم يلتفت إليهم ولم يعدم شيئا ، فطال عليهم المجلس فنفرقوا وانصرفوا غير مأجورين .

وفي يوم الأربعاء ثاني شوال أذن نائب السلطنة الأفرم للقاضي جلال الدين القزويني أن يصلي بالناس ويخطب بجامع دمشق عوضا عن الشيخ شمس الدين إمام الكلاسة توفي ، فصلى الظهر يومئذ وخطب الجمعة واستمر بالامامة والخطابة حتى وصل توقيعه بذلك من القاهرة ، وفي مستهل ذي القعدة حضر نائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان وشكرت خطبته . وفي مستهل ذي القعدة كل بناء الجامع الذي ابتناه وعمره الأمير جمال الدين نائب السلطنة الأفرم عند الرباط الناصري بالصالحية ، ورتب فيه خطيبا يخطب يوم الجمعة وهو القاضي شمس الدين محمد بن العز الحنفي ، وحضر نائب السلطنة والقضاة وشكرت خطبة الخطيب به ، ومد صاحب شهاب الدين الحنفي سمطا بعد الصلاة بالجامع المذكور وهو الذي كان الساعي في عمارته ، والمستحث عليها ، فجاء في غاية الاتقان والحسن ، تقبل الله منهم .

وفي ثالث ذي القعدة استناب ابن صصرى القاضي صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل الجعبري خطيب داريا في الحكم عوضا عن جلال الدين القزويني ، بسبب اشتغاله بالخطابة عن الحكم ، وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من ذي القعدة قدم قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفي الدين الحنفي البصرأوي إلى دمشق من القاهرة متوليا قضاء الحنفية عوضا عن الأزرعي ، مع ما بيده من تدريس النورية والمقدمية وخرج الناس لتلقيه وهنؤه ، وحكم بالنورية وقرىء تقليده بالمقصورة السكندرية في الزاوية الشرقية ، من جامع بني أمية . وفي ذي الحجة ولي الأمير عز الدين بن صبرة على البلاد القبلية وإلى الولاة ، عوضا عن الأمير جمال الدين آقوش الرسنسي ، بحكم ولايته شد الدواوين بدمشق ، وجاء كتاب من السلطان بولاية وكتابه للرئيس

عز الدين بن حمزة القلانسي عوضا عن ابن عمه شرف الدين ، فكره ذلك .

وفي اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة أخبر نائب السلطنة بوصول كتاب من الشيخ تقي الدين من الحبس الذي يقال له الجب فأرسل في طلبه فجىء به قفريء على الناس فجعل يشكر الشيخ ويثني عليه وعلى علمه وديانته وشجاعته وزهده ، وقال ما رأيت مثله ، وإذا هو كتاب مشتمل على ما هو عليه في السجن من التوجه إلى الله ، وأنه لم يقبل من أحد شيئا لا من النفقات السلطانية ولا من الكسوة ولا من الادارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشيء من ذلك .

وفي هذا الشهر يوم الخميس السابع والعشرين منه طلب أخوا الشيخ تقي الدين شرف الدين وزين الدين من الحبس إلى مجلس نائب السلطان سلا ، وحضر ابن مخلوف المالكي وطال بينهم كلام كثير فظهر شرف الدين بالحجة على القاضي المالكي بالنقل والدليل والمعرفة ، وخطأه في مواضع ادعى فيها دعاوى باطلة ، وكان الكلام في مسألة العرش ومسألة الكلام ، وفي مسألة النزول .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين ذى الحجة وصل على البريد من مصر نصر الدين محمد بن الشيخ نغر الدين بن أخى قاضى القضاة البصرأوى ، وزوج ابنته على الحسبة بدمشق عوضا عن جمال الدين يوسف الجمعى وخلع عليه بطيلسان ولبس الخلعة ودار بها في البلد في مستهل سنة سبع وسبعمائة ، وفي هذه السنة عمر في حرم مكة بنحو مائة ألف . وحج بالناس من الشام الأمير ركن الدين بيبرس المجنون .

ومن توفى فيها من الأعيان : القاضي تاج الدين

صالح بن أحمد بن خامد بن على الجمعدى الشافعى نائب الحكم بدمشق ومفيد الناصرية ، كان ثقة دينا عدلا مرضيا زاهدا ، حكم من سنة سبع وخمسين وستمائة ، له فضائل وعلوم ، وكان حسن الشكل والمهيئة ، توفى في ربيع الاول عن ست وسبعمائة سنة ، ودفن بالسفح وناب في الحكم بعده نجم الدين الدمشقى .

الشيخ ضياء الدين الطوسي

أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن على الشافعى مدرس النجيبية شارح الحاوى ، ومختصر ابن الحاجب كان شيخا فاضلا بارعا ، وأعاد في الناصرية أيضا ، توفى يوم الأربعاء بعد مرجعه من الحام تاسع عشر من جمادى الاولى ، وصلى عليه يوم الخميس ظاهر باب النصر ، وحضر نائب السلطنة وجماعة من الأمراء والأعيان ، ودفن بالصوفية ، ودرس بعده بالدرسة بهاء الدين بن المعجمى .

الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن سعد الطيبي

المعروف بابن السوابلى ، والسوابل الطاسات . كان موطئا ببلاد الشرق جدا ، كان تاجرا كبيرا توفى في هذا الشهر المذكور .

الشيخ الجليل سيف الدين الرجيجي

ابن سابق بن هلال بن يونس شيخ الينوسية بمقامهم ، صلى عليه سادس رجب بالجامع ثم أعيد إلى داره التي سكنها داخل باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة فدفن بها ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان والقضاة والأمراء ، وكانت له حرمة كبيرة عند الدولة وعند طائفته ، وكان ضخم الهامة جداً مخلوق الشعر ، وخلف أموالاً وأولاداً .

الأمير فارس الدين الروادي

توفي في العشر الأخير من رمضان ، وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بأيام وهو يقول له : أنت مغفور لك ، أو نحو هذا ، وهو من أمراء حسام الدين لاجين .

الشيخ العابد خطيب دمشق شمس الدين

شمس الدين محمد بن الشيخ أحمد بن عثمان الخلاطي إمام الكلاسة ، كان شيخنا حسناً بهي المنظر كثير العبادة ، عليه سكون ووقار ، باشر إمامة الكلاسة قريباً من أربعين سنة ثم طلب إلى أن يكون خطيباً بدمشق بالجامع من غير سؤال منه ولا طلب ، فباشرها سنة أشهر ونصف أحسن مباشرة ، وكان حسن الصوت طيب النعمة عارفاً بصناعة الموسيقى ، مع ديانة وعبادة ، وقد سمع الحديث توفي فجأة بدار الخطابة يوم الأربعاء ثامن شوال عن ثلثين وستين سنة ، وصلى عليه بالجامع وقد امتلأ بالناس ، ثم صلى عليه بسوق الخليل وحضر نائب السلطنة والأمراء والعامة ، وقد غلقت الأسواق ثم حمل إلى سفح قاسيون رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وسبع مائة

استهلت والحكام المذكورون في التي قبلها ، والشيخ تقي الدين بن تيمية معتقل في قلعة الجبل بصر ، وفي أوائل المحرم أظهر السلطان الملك الناصر الغضب على الأمير ابن سلا والجاشنكير وامتنع من الملامة وأغلق القلعة وقحصن فيها ، ولزم الأميران بيوتهما ، واجتمع عليهما جماعة من الأمراء وحوصرت القلعة وجرت خبطة عظيمة ، وغلقت الأسواق ، ثم راسلوا السلطان فتأطعت الأمور وسكنت الشرور على دخن ، وتنافر قلوب ، وقوى الأميران أكثر عما كانا قبل ذلك وركب السلطان وقع الصالح على دخن . وفي المحرم وقعت الحرب بين التتار وبين أهل كيلان ، وذلك أن ملك التتار طلب منهم أن يجلبوا في بلادهم طريقاً إلى عسكره فامتنعوا من ذلك ، فأرسل ملك التتار خربنداً جيشاً كبيراً من المقاتلة ، أربعين ألفاً مع قطلو شاه وهشمرين ألفاً مع جوبان ، فأمهلهم أهل كيلان حتى توسطوا ببلادهم ، ثم أرسلوا عليهم خليجاً من البحر ورموم بالنفط ففرق كثير منهم واحترق آخرون ، وقتلوا بأيديهم طائفة كثيرة ، فلم يقاتل منهم إلا القليل ، وكان فيمن

قتل أمير التتر الكبير قطلو شاه ، فاشتد غضب خر بندا على أهل كيلان ، ولكنه فرح بقتل قطلو شاه فانه كان يريد قتل خر بندا فكفى أمره عنهم ، ثم قتل بعده بولاي . ثم إن ملك التتر أرسل الشيخ براق الذي قدم الشام فيما تقدم إلى أهل كيلان يبالغهم عنه رسالة فقتلوه وأراحوا الناس منه ، وبلادهم من أحصن البلاد وأطيبها لاستطلاع ، وهم أهل سنو أكثرهم حنابلة لا يستطيع مبتدع أن يسكن بين أظهرهم .

وفي يوم الجمعة رابع عشر صفر اجتمع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بالشيخ تقي الدين ابن تيمية في دار الأوحدي من قلعة الجبل ، وطال بينهما الكلام ثم تفرقا قبل الصلاة ، والشيخ تقي الدين مصمم على عدم الخروج من السجن ، فلما كان يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأول جاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب إلى السجن بنفسه وأقسم على الشيخ تقي الدين ليخرجن إليه ، فلما خرج أقدم عليه ليأتين معه إلى دارسلار ، فاجتمع به بعض الفقهاء بدارسلار وجرت بينهم بحث كثيرة ، ثم فرقت بينهم الصلاة ، ثم اجتمعوا إلى المغرب وبات الشيخ تقي الدين عند سلار ، ثم اجتمعوا يوم الأحد بمرسوم السلطان جميع النهار ، ولم يحضر أحد من القضاة بل اجتمع من الفقهاء خلق كثير ، أكثر من كل يوم ، منهم الفقيه نجم الدين بن رفع وعلاء الدين التاجي ، ونفر الدين بن بنت أبي سعد ، وعز الدين التراوي ، وشمس الدين بن عدنان وجماعة من الفقهاء وطلبوا القضاة فاعتذروا بأعذار ، بعضهم بالمرض ، وبعضهم بغيره ، لم يبق منهم إلا ابن تيمية منطوي عليه من العلوم والادلة ، وأن أحداً من الحاضرين لا يطيقه ، فقبل عندهم نائب السلطنة ولم يكلفهم الحضور بعد أن رسم السلطان بحضورهم أو بفصل المجلس على خير ، وبات الشيخ عند نائب السلطنة وجاء الأمير حسام الدين مهنا يريد أن يستصحب الشيخ تقي الدين معه إلى دمشق ، فأشار سلار بأقامة الشيخ بمصر عنده ليرى الناس فضله وعلمه ، وينتفع الناس به ويستغلوا عليه . وكتب الشيخ كتاباً إلى الشام يتضمن ماوقع له من الأمور . قال البرزالي : وفي شوال منها شكى الصوفية بالقاهرة على الشيخ تقي الدين وكلوه في ابن عربي وغيره إلى الدولة ، فردوا الأمر في ذلك إلى القاضي الشافعي ، فمقد له مجلس وادعى عليه ابن عطاء بأشياء فلم يثبت عليه منها شيء ، لكنه قال لا يستغاث إلا بالله ، لا يستغاث بالنبي استغاثته بمعنى العبارة ، ولكن يتوسل به ويتشفع به إلى الله ^(١) فبعض الحاضرين قال ليس عليه في هذا شيء ، ورأى القاضي بدر الدين بن جماعة أن هذا فيه قلة أدب ، فحضرت رسالة إلى القاضي أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة ، فقال القاضي قد قلت له ما يقال لمثله ، ثم إن الدولة خيروه بين أشياء إما أن يسير إلى دمشق أو الاسكندرية بشروط أو الحبس ، فاختار الحبس فدخل عليه جماعة في السفر إلى دمشق ملتزمين ما شرط ، فأجاب أصحابه إلى ما اختاروا جبراً لخواطرم ، فركب خيل

(د) البروف في كتب ابن تيمية وترجمته لابن عبد الهادي : أنه لا يجوز هذا . فليحذر .

البريد ليلة الثامن عشر من شوال ثم أرسلوا خلفه من القدر بر يد آخر ، فردوه وحضر عند القاضي القضاة ابن جماعة وعنده جماعة من الفقهاء ، فقال له بعضهم : إن الدولة ماترضى إلا بالحبس ، فقال القاضي وفيه مصلحة له ، واستناب شمس الدين التونسي المالكي وأذن له أن يحكم عليه بالحبس فامتنع وقال : ما ثبت عليه شيء ، فأذن لنور الدين الزواوي المالكي فتعير ، فلما رأى الشيخ توقفهم في حبسه قال أنا أخصي إلى الحبس وأتبع مائة تنضيه المصلحة ، فقال نور الدين الزواوي : يكون في موضع يصلح لمثله قبل له الدولة ماترضى إلا بحسب الحبس ، فأرسل إلى حبس القضاة في المكان الذي كان فيه تقي الدين ابن بنت الأعرح حين سجن ، وأذن له أن يكون عنده من يخدمه ، وكان ذلك كله بإشارة نصر المنججي لوجهته في الدولة ، فانه كان قد استحوذ على عقل الجاشنكير الذي تسلطن فيما بعد ، وغيره من الدولة ، والساطان مقهور معه ، واستمر الشيخ في الحبس يستعنى ويقصده الناس ويزرونه ، وتأتبه الفتاوى المشككة التي لا يستطيعها الفقهاء من الأمراء وأعيان الناس ، فيكتب عليها بما يحبر العقول من الكتاب والسنة . ثم عقد للشيخ مجلس بالمصالحية بعد ذلك كله ، ونزل الشيخ بالهارة بدار ابن شقير ، وأكب الناس على الاجتماع به ليلا ونهاراً . وفي سادس رجب باشر الشيخ كمال الدين بن الزملاكاني نظر ديوان المارستان عوضاً عن يوسف المعجمي توفي ، وكان محققاً به مشق مدة فأنجزها منه نجم الدين بن البصراوي قبل هذا بستة أشهر ، وكان المعجمي موصوفاً بالامانة . وفي ليلة النصف من شعبان أبطلت صلاة ليلة النصف لكونها بدعة وصين الجامع من الغوغاء والرعاغ ، وحصل بذلك خير كثير والله الحمد والمنة .

وفي رمضان قدم الصدر نجم الدين البصراوي معه توقييع بنظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين الخطيرى مضافاً إلى ما بيده من الحسبة ، ووقع في أواخر رمضان مطر قوى شديد ، وكان الناس لهم مدة لم يطرأوا ، فاستبشروا بذلك ، ورخصت الأسفار ، ولم يمكن الناس الخروج إلى المصلى من كثرة المطر ، فصاروا بالجامع ، وحضر نائب السلطنة فصلى بالنصورة ، وخرج الحمل ، وأمير الحج عاتد سيف الدين بلبان البدرى التتري . وفيها حج القاضي شرف الدين البارزى من حماة . وفي ذى الحجة وقع حريق عظيم بالقرب من الظاهرية مبدؤه من الفرن تيجاهها الذي يقال له فرن العوتية ، ثم لطف الله وكف شرها وشررها .

قلت : وفي هذه السنة كان قدومنا من بصرى إلى دمشق بعد وفاة الوالد ، وكان أول ما سكننا بدرب سمور الذي يقال له درب ابن أبي الهيجاء بالصاغة المتيقة عند الطاررين ، ونسأل الله حسن العاقبة والخاتمة آمين .

وممن توفى فيها من الأعيان الأمير ركن الدين يبرس

المعجمي الصالحى ، المعروف بالجلالى ، كان رأس الجدارية فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب وأمره الملك الظاهر . كان من أكبر الدولة كثير الاموال ، توفى بالرملة لأنه كان فى قسم إقطاعه فى نصف جمادى الأولى ، ونقل إلى القدس فدفن به .

الشيخ صالح الأحمدى الرفاعى

شيخ المنيب ، كان النتر يكرمونه لما قدوا دمشق ، ولما جاء قطوش شاه نائب النتر نزل عنده ، وهو الذى قال للشيخ تقي الدين بن تيمية بالهصر : نحن ما ينفق حالنا إلا عند النتر ، وأما عند الشرع فلا . ثم دخلت سنة ثمان وسبع مائة

استسلمت والحكام المذكورون فى التى قبلها ، والشيخ تقي الدين قد أخرج من الحبس ، والناس قد عكفوا عليه زيارة وتعلما وإستفتاء وغير ذلك . وفى مستهل ربيع الأول أفرج عن الأمير نجم الدين خضر بن الملك الظاهر ، فأخرج من البرج وسكن دار الأفرم بالقاهرة ، ثم كانت وفاته فى خامس رجب من هذه السنة . وفى أواخر جمادى الأولى تولى نظر ديوان ملك الأمراء زين الدين الشريف ابن عدنان عوضا عن ابن الزملكاني ، ثم أضيف إليه نظر الجوامع أيضا عوضا عن ابن الخطايرى ، وتولى نجم الدين بن الدمشقي نظر الأيتام عوضا عن نجم الدين بن هلال . وفى رمضان عزل الصاحب أمين الدين الرفاعي عن نظر الدواوين بدمشق وسافر إلى مصر . وفيها عزل كمال الدين ابن الشريشى نفسه عن وكالة بيت المال وصمم على الاستمرار على العزل وعرض عليه العود فلم يقبل ، وحملت إليه الخلة لما خلع على المباشر فلم يلبسها ، واستمر معزولا إلى يوم عاشوراء من السنة الآتية ، فجدد تقليده وخلع عليه فى الدولة الجديدة .

وفيها خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية قاصدا الحج ، وذلك فى السادس والعشرين من رمضان ، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردم ، ولما اجتاز بالكرك عدل إليها فنصب له الجسر ، فلما توسطه كسر به فسلم من كان أمامه وقفز به الفرس فسلم ، وسقط من كان وراءه وكانوا خمسين فأت منهم أربعة وتمشتم أكثرهم فى الوادى الذى تحت الجسر ، وبقي نائب الكرك الأمير جمال الدين آقوش خجلا يتوهم أن يكون هذا يظنه السلطان عن قصد ، وكان قد عمل لسلطان ضيافة غرم عليها أربعة عشر ألفا لم يقع الموقع لاشتغال السلطان بهم وما جرى له ولا صحابه ثم خلع على النائب وأذن له فى الانصراف إلى مصر فسافر ، واشتغل السلطان بتدبير المملكة فى الكرك وحدها ، وكان يحضر دار العدل ويباشر الأمور بنفسه ، وقدمت عليه زوجته من مصر ، فذكرت له ما كانوا فيه من ضيق الحال وقلة النفقات .

ذكر سلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير بشيخ^(١) المنبجي، عدو ابن تيمية لما استقر الملك الناصر بالكرك وعزم على الإقامة بها كتب كتاباً إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ على قضاة الشام وبيع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير في السلطنة في الثالث والعشرين من شوال يوم السبت بعد العصر ، بدار الأمير سيف الدين سلاله ، اجتمع بها أعيان الدولة من الأمراء وغيرهم وبايعوه وخطبوه بالملك المظفر ، وركب إلى القلعة ومشوا بين يديه ، وجلس على سرير المملكة بالقلعة ، ودقت البشائر وسارت البريدية بذلك إلى سائر البلدان . وفي مستهل ذي القعدة وصل الأمير عز الدين البغدادى إلى دمشق فاجتمع بنائب السلطنة والقضاة والأمراء والأعيان بالقصر الابلق فقرأ عليهم كتاب الناصر إلى أهل مصر ، وأنه قد نزل عن الملك وأعرض عنه ، فأثبتته القضاة وامتنع الحنبلى من إثباته وقال : ليس أحد يترك الملك مختاراً ، ولولا أنه مضطهد بما تركه ، فمزل وأقيم غيره ، واستحلهم لسلطان الملك المظفر ، وكتبت الدلالة على القلعة ، وألقاه على محال المملكة ، ودقت البشائر وزينت البلدة ، ولما قرئ كتاب الملك الناصر على الأمراء بالقصر ، وفيه : إني قد صحبت الناس عشر سنين ثم اخترت المقام بالكرك ، تباكي جماعة من الأمراء وبايعوا كالمكرهين ، وتولى مكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأمير سيف الدين بن على ، ومكان ترعى سيف الدين بنخاص ، ومكان بنخاص الأمير جمال الدين آقوش الذى كان نائب الكرك ، وخطب المظفر يوم الجمعة على المنابر بدمشق وغيرها ، وحضر نائب السلطنة الأفرم والقضاة ، وجاءت الخلع وتقليد نائب السلطنة في تاسع عشر ذي القعدة ، وقرأ تقليد النائب كاتب السر القاضي محيى الدين بن فضل الله بالقصر بحضور الأمراء ، وعليهم الخلع كلهم . وركب المظفر بالخلعة السوداء الخلفية ، والعمامة المدورة والدولة بين يديه عليهم الخلع يوم السبت سابع ذي القعدة ، والصاحب ضياء الدين النسائى حامل تقليد السلطان من جهة الخليفة فى كيس أطلس أسود ، وأوله : إله من سليمان وإله بسم الله الرحمن الرحيم ، ويقال إنه خلع فى القاهرة قريب ألف خلعة ومائتى خلعة ، وكان يوماً مشهوداً ، وفرح بنفسه أياماً يسيرة ، وكذا شيخه المنبجي ، ثم أزال الله عنهما نعمته سريراً . وفيها خطب ابن جماعة بالقلعة وباشر الشيخ علاء الدين القونوى تدريس الشريعة .

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ الصالح عثمان الحلبوني

أصله من صعيد مصر ، فأقام مدة بقرية حلبون وغيرها من تلك الناحية ، ومكث مدة لا يأتى كل الخبز ، واجتمع عليه جماعة من المريدين وتوفى بقرية برارة فى أواخر المحرم ، ودفن بها وحضر جنازته نائب الشام والقضاة وجماعة من الأعيان .

(١) كذا فى الأصل . ولعلها « بسى » أو نحوها .

الشيخ الصالح

أبو الحسن علي بن محمد بن كثير الحراني الحنبلي إمام مسجد عطية ، ويعرف بابن المقرئ روى الحديث وكان فقيهاً بدارس الخنابلة. ولد بجران سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وتوفي بدمشق في العشر الأخير من رمضان ، ودفن بسفح قاسيون ، وتوفي قبله الشيخ زين الدين الحراني بغزة ، وعمل عزاءه بدمشق رحمهما الله .

السيد الشريف زين الدين

أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان الحسيني تقيب الأشراف ، كان فاضلاً بارعاً فصيحاً متكلماً ، يعرف طريقة الاعتزال ويباحث الامامية ، وينظر على ذلك بمحضرة القضاة وغيرهم ، وقد باشر قبل وفاته بقليل نظر الجامع ونظر ديوان الأفرم ، توفي يوم الخامس من ذي القعدة عن خمس وخمسين سنة ، ودفن بقرية باب الصغير .

الشيخ الجليل ظهير الدين

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الفضل بن منعة البغدادي ، شيخ الحرم الشريف بمكة بعد عمه عفيف الدين منصور بن منعة ، وقد سمع الحديث وأقام ببغداد مدة طويلة ، ثم سار إلى مكة ، بعد وفاة عمه ، فتولى مشيخة الحرم إلى أن توفي .

ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة

استهانت وخليفة الوقت المستنكي أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسلطان البلاد الملك الظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وثأب به بمصر الأمير سيف الدين سلاار ، وبالشام آقوش الأفرم ، وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها . وفي ليلة سابع صفر توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية من القاهرة إلى الاسكندرية محبة أمير مقدم ، فأدخله دار السلطان وأنزله في برج منها فسيح متسع الأكفاف ، فكان الناس يدخلون عليه ويستقلون في سائر العلوم ، ثم كان بعد ذلك بمحضر الجمات ويعمل المواعيد على عادته في الجامع ، وكان دخوله إلى الاسكندرية يوم الأحد ، وبعد عشرة أيام وصل خبره إلى دمشق فحصل عليه تألم وخافوا عليه غائلة الجاشنكير وشيخه المنبجي ، فتضاعف له الداء ، وذلك أنهم لم يمكنوا أحداً من أصحابه أن يخرج معه إلى الاسكندرية ، فضاقت له الصدور ، وذلك أنه تمكن منه عدوه نصر المنبجي . وكان سبب غداوته له أن الشيخ تقي الدين كان ينال من الجاشنكير ومن شيخه نصر المنبجي ، ويقول : زالت أيامه وانتهت رياسته ، وقرب انقضاء أجله ، ويتكلم فيما وفي ابن عربي وأتباعه ، فأرادوا أن يسيره إلى الاسكندرية كهيئة المنفى لعل أحداً من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة ، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقرابته وانتفاها به واشتغالا عليه ، وحذروا كرامة له . وجاء كتاب من أخيه يقول فيه : إن الأخ الكريم قد نزل بالنفر المحروس على نية الرباط ، فان أعداء الله قصدوا بذلك أمورا يكيدونه بها ويكيدون الاسلام وأهله ،

وكانت تلك كرامة في حقنا ، وظنوا أن ذلك يؤدي إلى هلاك الشيخ فانقلب عليهم مقاصدم الخبيثة وانهمكمت من كل الوجوه ، وأصبحوا وأمسوا ومازالوا عند الله وعند الناس العارفين بسود الوجوه يثة طهرون حسرات ونداما على ما فعلوا ، وانقلب أهل الثغر أجمعين إلى الأخمة بلين عليه مكرمين له وفي كل وقت ينشر من كتب الله وسنة رسوله ما تقر به أعين المؤمنين ، وذلك شجى في حلوق الأعداء وانفق أنه وجد بالاسكندرية إبليس قد باض فيها وفرخ وأضل بها فرق السبئية والعربية فزق الله بقدمه عليهم شملهم ، وشقت جموعهم شذر مذر ، وهتك أستارهم وفضحهم ، واستتاب جماعة كثيرة منهم ، وتوب رئيسا من رؤسائهم واستقر عند طامة المؤمنين وخواصهم من أمير وقاض وفتية ، ومفتى وشيخ وجماعة المجتهدين ، إلا من شذ من الأغمار الجبال ، مع الفلة والصغار - محبة الشيخ وتمطيحه وقبول كلامه والرجوع إلى أمره ونهيه ، فمات كلمة الله بها على أعداء الله ورسوله ، ولعنوا سرا وجهراً وباطناً وظاهراً ، في مجامع الناس بأسمائهم الخاصة بهم ، وصار ذلك عند نصر المنجى المقيم المقعد ، ونزل به من الخوف والذل مالا يعبر عنه ، وذكر كلاماً كثيراً .

والمقصود أن الشيخ آق الدين أقام بنشر الاسكندرية ثمانية أشهر مقبلاً ببرج متسع مليح نظيف له شبا كان أحدهما إلى جهة البحر والآخر إلى جهة المدينة ، وكان يدخل عليه من شاء ، ويتردد إليه الأتباع والأعيان والعقهاء ، يقرؤن عليه ويستفيدون منه ، وهو في أطيب عيش وأشرح صدر .

وفي آخر ربيع الأول عزل الشيخ كال الدين بن الزملكاني عن نظار المارستان بسبب انتمائه إلى ابن تيمية بإشارة المنجى ، وباشره شمس الدين عبد القادر بن الخطيرى . وفي يوم الثلاثاء ثالث ربيع الآخر ولي قضاء الحنابلة بمصر الشيخ الامام الحافظ سعد الدين أبو محمود مسعود بن أحمد ابن مسعود بن زين الدين الحارثي ، شيخ الحديث بمصر ، بعد وفاة القاضي شرف الدين أبي محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي . وفي جمادى الأولى برزت المراسيم السلطانية المظفرية إلى البلاد السواحلية بإبطال الخور وتخريب الحانات وانفى أهلها ، ففعل ذلك وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً . وفي مستهل جمادى الآخرة وصل بريد بتولية قضاء الحنابلة بمدينة شق لاشيخ شهاب الدين أحمد بن شريف الدين حسن بن الحافظ جمال الدين أبي موسى عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدمى ، عوضاً عن التقي سليمان بن حمزة بسبب تكلمه في نزول الملك الناصر عن الملك ، وأنه إنما نزل عنه مظهرها بذلك ، ليس بمختار ، وقد صدق فيما قال . وفي عشرين جمادى الآخرة وصل البريد بولاية شد الدواوين للأمر سيف الدين بكتمر الحاجب ، عوضاً عن الرستمى فلم يقبل ، وبنظر الخزانة للأمر عز الدين أحمد بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود المعروف بابن القلانسي ، فباشرها وعزل عنها البصراوي محتسب البلد . وفي هذا الشهر باشرقاض القضاء ابن جماعة مشيخة سميد السعداء

بالقاهرة بطلب الصوفية له ، ورضوا منه بالحضور عندهم في الجمعة مرة واحدة ، وعزل عنها الشيخ كريم الدين الايكي ، لأنه عزل منها الشهود ، فثاروا عليه وكتبوا في حقه محاضر بأشياء قاذحة في الدين ، فرسم بصرفه عنهم ، وعومل بتغاير ما كان يعامل به الناس ، ومن جملة ذلك قيامه على شيخ الاسلام ابن تيمية وافتراؤه عليه الكذب ، مع جهله وقلة ورعه ، فعجل الله له هذا الخزي على يدي أصحابه وأصدقائه جزاء وفاقا .

وفي شهر رجب كثرت الخوف بدشق وانتقل الناس من ظاهرها إلى داخلها ، وسبب ذلك أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ركب من السكرك قاصداً دمشق يطلب عوده إلى الملك ، وقد ملأه جماعة من الأمراء وكاتبوه في الباطن وناصحوه ، وقفز إليه جماعة من أمراء المصريين ، وتحدث الناس بسر نائب دمشق الأفرم إلى القاهرة ، وأن يكون مع الجمل النفير ، فاضطرب الناس ولم تفتح أبواب البلد إلى ارتفاع النهار ، وتخبطت الأمور ، فاجتمع القضاة وكثير من الأمراء بالقصر وجددوا البيعة للملك المظفر ، وفي آخر نهار السبت غلقت أبواب البلد بعد العصر وازدحم الناس بواب النصر وحصل لهم تعب عظيم ، وازدحم البلد بأهل القرى وكثير الناس بالبلد ، وجاء البريد بوصول الملك الناصر إلى الحان ، فارتعج نائب الشام لذلك وأظهر أنه يريد قتاله ومنعه من دخول البلد ، وقفز إليه الأميران ركن الدين بيبرس المجنون ، وبيبرس العلوي ، وركب إليه الأمير سيف الدين بكنتر حاجب الحجاب يشير عليه بالرجوع ، ويخبره بأنه لا طاقة له بقتال المصريين ، ولحقه الأمير سيف الدين بها درا يشير عليه بمثل ذلك ، ثم عاد إلى دمشق يوم الثلاثاء خامس رجب وأخبر أن السلطان الملك الناصر قد عاد إلى السكرك ، فسكن الناس ورجع نائب السلطنة إلى القصر ، وتراجع بعض الناس إلى مساكنهم ، واستقروا بها .

صفة عود الملك الناصر

محمد بن الملك المنصور قلاوون إلى الملك وواصل دولة المظفر الجاشنكير
بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه نصر المنبجي الاتحادي الحلوي

لما كان ثالث عشر شعبان جاء الخبر بقدم الملك الناصر إلى دمشق ، فساق إليه الأميران سيف الدين قطلو بك والحاج بهادر إلى السكرك ، وحضاه على الجي . إليها ، واضطرب نائب دمشق وركب في جماعة من أتباعه على المهن في سادس عشر شعبان معه ابن صبح صاحب شقيف أربون ، وهيئت بدمشق أبهة السلطنة والاقامات اللاتقة به ، والمصائب والكوسات ، وركب من السكرك في أبهة عظيمة ، وأرسل الأمان إلى الأفرم ، ودعاه المؤذنون في المأذنة ليلة الاثنين سابع عشر شعبان ، وصبح بالدعاء والسروور بدكره ، ونودي في الناس بالأمان ، وأن يفتحوا دكاكينهم

ويأمنوا في أوطانهم ، وشرح الناس في الزينة ودقت البشائر ونام الناس في الاسطحة ليلة الثلاثاء ليتفرجوا على السلطان حين يدخل البلد ، وخرج القضاة ، والامراء والأعيان لتلقيه .

قال كاتبه ابن كثير : وكنت فيمن شاهد دخوله يوم الثلاثاء وسط النهار في أبهة عظيمة وبسط له من عند المصلى وعليه أبهة الملك وبسطت الشقاق الحار تحت أقدام فرسه ، كلما جاوز شقة طويت من ورائه ، والجهد على رأسه والامراء الساجدة عن يمينه وشماله ، وبين يديه ، والناس يدعون له ويضجون بذلك ضجيجا عاليا ، وكان يوماً مشهوداً . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وكان على السلطان يومئذ عمامة بيضاء ، وكاؤنة حمراء ، وكان الذي حمل الفاشية على رأس السلطان الحاج بهادر وعليه خلعة معظمة مذهبة بفر وفاقم . ولما وصل إلى القلعة نصب له الجسر ونزل إليه نائبها الأمير سيف الدين السنجري ، فقبل الأرض بين يديه ، فأشار إليه إلى الآن لا أنزل ههنا ، وسار بفرسه إلى جهة الفصر الأتلق والامراء بين يديه ، فخطب له يوم الجمعة .

وفي بكرة يوم السبت الثاني والعشرين من الشهر وصل الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب دمشق مطعماً السلطان ، فقبل الأرض بين يديه ، فترجل له السلطان وأكرمه وأذن له في مباشرة النيابة على عادته ، وفرح الناس بطاعة الأفرم له ، ووصل إليه أيضاً الأمير سيف الدين قبجق نائب حماة ، والأمير سيف الدين استدمر نائب طرابلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من شعبان ، وخرج الناس لتلقيهما ، وتلقاهما السلطان كما تلقى الأفرم . وفي هذا اليوم رسم السلطان بتقليد قضاء الخنابلة وعوده إلى أتق الدين سليمان ، وهنأه الناس وجاء إلى السلطان إلى القصر فسلم عليه ومضى إلى الجوزية فحكم بها ثلاثة أشهر ، وأقيمت الجمعة الثانية بالميدان وحضر السلطان والقضاة إلى جانبه ، وأكابر الامراء والدولة ، وكثير من العامة . وفي هذا اليوم وصل إلى السلطان الأمير قراستغر المنصوري نائب حلب وخرج دهليز السلطان يوم الخميس رابع رمضان ومعه القضاة والقراء وقت العصر ، وأقيمت الجمعة خامس رمضان بالميدان أيضاً ، ثم خرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء تاسع رمضان ، وفي صحبته ابن صصري وصدر الدين الحنفي قاضي العساكر ، والخطيب جلال الدين ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، والموقعون وديوان الجيش وجيش الشام بكامله قد اجتمعوا عليه من سائر مملكته وأقاليمه بنوا به وأمرائه ، فلما انتهى السلطان إلى غزة دخلها في أبهة عظيمة ، وتلقاه الأمير سيف الدين بهادر هو وجماعته من أمراء المصريين ، فأخبروه أن الملك المظفر قد خلع نفسه من المملكة ، ثم تواتر قدوم الامراء من مصر إلى السلطان وأخبروه بذلك ، فطابت قلوب الشاميين واستقبلوا بذلك ودقت البشائر وتأخر يحيى البريد بصورة الناصري .

وافترق في يوم هذا العيد أنه خرج نائب الخطيب الشيخ تقي الدين الجزري المعروف بالقضاي في السناجق إلى المصلى على العادة ، واستناب في البلد الشيخ جود الدين النونسي ، فلما وصلوا إلى المصلى وجدا خطيب المصلى قد شرع في الصلاة فنصبت السناجق في محن المصلى وصلى بينهما تقي الدين القضاي ثم خطب ، وكذلك فعل ابن حسان داخل المصلى ، فمقد فيه صلاتان وخطبتان يومئذ ، ولم يترفق مثل هذا فيما نعلم .

وكان دخول السلطان الملك الناصر إلى قلعة الجبل آخر يوم عيد الفطر من هذه السنة ، ورسم لسائر أن يسافر إلى الشوبك ، واستناب بمصر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار الذي كان نائب صند ، وبالشام الأمير قراستقر المنصوري ، وذلك في العشرين من شوال ، واستوزر الصباح نضر الدين الخليلي بعدها بيومين ، وباشتر القاضي نضر الدين كاتب الممالك نظار الجيوش بمصر بعد بهاء الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن المظفر الحلبي ، توفي ليلة الجمعة عاشر شوال ، وكان من صدور المصريين وأعيان الكبار ، وقدرى شيئا من الحديث ، وصرف الأمير جمال الدين آقوش الأفرم إلى نيابة صرخند وقدم إلى دمشق الأمير زين الدين كتبغا رأس نوبة الجسدارية شد الدواوين ، وأستاذ دار الاستادارية عوضا عن سيف الدين أقجبا ، وتغيرت الدولة واقتبلت قلعة عظيمة .

قال الشيخ علم الدين البرزالي : ولما دخل السلطان إلى مصر يوم عيد الفطر لم يكن له دأب إلا طلب الشيخ تقي الدين بن تيمية من الاسكندرية معززا مكرما مبعجلا ، فوجه إليه في ثاني يوم من شوال بعد وصوله بيوم أو يومين ، فقدم الشيخ تقي الدين على السلطان في يوم ثامن الشهر وخرج مع الشيخ خماق من الاسكندرية بدعوته ، واجتمع بالسلطان يوم الجمعة فأكرمه وتلقاه ومشى إليه في مجاس حفل ، فيه قضاة المصريين والشاميين ، وأصلح بينه وبينهم ، ونزل الشيخ إلى القاهرة وسكن بالقرب من مشهد الحسين ، والناس يترددون إليه ، والامراء والجند وكثير من الفقهاء والقضاة منهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع منه ، فقال أنا حالات كل من أذاق .

قلت : وقد أخبرني القاضي جمال الدين بن القلانسي بتفاصيل هذا المجلس وما وقع فيه من تعظيمه وإكرامه مما حصل له من الشكر والمدح من السلطان والحاضرين من الأمراء ، وكذلك أخبرني بذلك قاضي القضاة منصور الدين الحنفي ، ولكن أخبار ابن القلانسي أكثر تفصيلا ، وذلك أنه كان إذ ذاك قاضي المساكر ، وكلاهما كان حاضرا هذا المجلس ، ذكر لي أن السلطان لما قدم عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية نهض قائما للشيخ أول مارآه ، ومشى له إلى طرف الأيوان واعتنقا هناك هنية ، ثم أخذ معه ساعة إلى طبقة فيها شباك إلى بستان فجلسا ساعة يتحدثان ، ثم جاء ويد الشيخ في يد السلطان ، فجلس السلطان وعن يمينه ابن جماعة قاضي مصر ، وعن يساره ابن

الخليلي الوزير، وتحت ابن مصري، ثم صدر الدين على الحنفي، وجلس الشيخ تقي الدين بين يدي السلطان على طرف طراحته، وتكلم الوزير في إعادة أهمل الذمة إلى لبس العمام البيض بالعلماء، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مائة ألف في كل سنة، زيادة على الحالية، فسكت الناس وكان فيهم قضاة مصر والشام وكبار العلماء من أهل مصر والشام من جملتهم ابن الزملكاني. قال ابن القلاسي: وأنا في مجلس السلطان إلى جنب ابن الزملكاني، فلم يتكلم أحد من العلماء ولا من القضاة، فقال لهم السلطان: ما تقولون؟ يستفتيهم في ذلك، فلم يتكلم أحد، فغضب الشيخ تقي الدين على ركبتيه وتكلم مع السلطان في ذلك بكلام غليظ ورد على الوزير ما قاله ردا عنيفا، وجعل يرفع صوته والسلطان يتسلافاه ويسكته بترقي وتودة وتوقير. وبالف الشيخ في الكلام وقال مالا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا يقرئ منه، وبالغ في التشفيغ على من يوافق في ذلك. وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذا ذكر الله عليك إذ رد ملكك إليك، وكبت عدوك وانصرك على أعدائك فذكر أن الجاشنكير هو الذي جدد عليهم ذلك، فقال: والذي فعله الجاشنكير كان من مراسيمك لأنه إنما كان نائبا لك، فأعجب السلطان ذلك واستمر بهم على ذلك، وجرت فصول يطول ذكرها. وقد كان السلطان أعلم بالشيخ من جميع الحاضرين، ودينه وزينته وقيامه بالحق وشجاعته، وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير، وأنهم قاموا عليك وآذك أنت أيضا، وأخذ يحثه بذلك على أن يقتله في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سمعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدا منهم بسوء، وقال له: إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له إنهم قد آذك وأرادوا قتلك مرارا، فقال الشيخ من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

قال وكان قاضي المالكية ابن مخلوف يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية حرصنا عليه فلم نقدر عليه وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا، ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة وعاد إلى بث العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه ورحلوا إليه يشتغلون عليه ويستفتونه ويحييهم بالكتابة والقول، وجاء العقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه فقال: قد جعلت السك في حل، وبعث الشيخ كتابا إلى أهله يذكر ما هو فيه من نعم الله وخبره الكثير، ويطلب منهم جملة من كتب

العلم اتى له ويستعينوا على ذلك بجمال الدين المزي ، فانه يدري كيف يستخرج له ما يريد من الكتب التى أشار إليها ، وقال فى هذا الكتاب : والحق كل ماله فى علو وازدياد وانتصار ، والباطل فى انخفاض وسفول واضلال ، وقد أذل الله رقاب الخصوم ، وطلب أكابرهم من السلم ما يطول وصفه ، وقد اشترطنا عليهم من الشروط ما فيه عز الاسلام والسنة ، وما فيه قمع الباطل والبدعة ، وقد دخلوا تحت ذلك كله وامتنعنا من قبول ذلك منهم ، حتى يظهر إلى الفعل ، فلم نثق لهم بقول ولا عهد ، ولم نجيبهم إلى مطلوبهم حتى يصير المشروط معمولاً ، والمذكور مفعولاً ، ويظهر من عز الاسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التى تمحو سيئاتهم ، وذكر كلاماً طويلاً يتضمن ما جرى له مع السلطان فى قمع اليهود والنصارى وذلمهم ، وتركهم على ما هم عليه من الذلة والصغار والله سبحانه أعلم .

وفى شوال أمسك السلطان جماعة من الأمراء قريبا من عشرين أميرا ، وفى سادس عشر شوال وقع بين أهل حوران من قيس وبين قتل منهم مقتلة عظيمة جدا ، قتل من الفريقين نحو من ألف نفس بالقرب من السوداء ، وهم يسومونها السويداء ، ووقعة السويداء ، وكانت الكسرة على بن فهر برا من قيس حتى دخل كثير منهم إلى دمشق فى أسوأ حال وأضعفه ، وهربت قيس خوفاً من الدولة ، وبقيت القرى خالية والزروع سائبة . فانا لله وإنا اليه راجعون .

وفى يوم الأربعاء سادس القعدة قدم الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائباً على حلب فنزل القصر ومعه جماعة من أمراء المصريين ، ثم سافر إلى حلب بمن معه من الأمراء والأجناد واجتاز الأمير سيف الدين بهادر بدمشق ذاهباً إلى طرابلس نائباً والفتوحات السواحلية عوضاً عن الأمير سيف الدين استدرم ، ووصل جماعة ممن كان قد سافر مع السلطان إلى مصر فى ذى القعدة منهم قاضى قضاة الحنفية صدر الدين ، وعجى الدين بن فضل الله وغيرهما ، فقامت وجلست يوماً إلى القاضى صدر الدين الحنفى بعد مجيئه من مصر فقال لى أحب ابن تيمية ؟ قلت : نعم ، فقال لى وهو يضحك : والله لقد أحببت شيئاً مليحاً ، وذكر لى قريبا عما ذكر ابن القلانسى ، لكن سياق ابن القلانسى آثم .

مقتل الجاشنكيرى

كان قد فر الخبيث فى جماعة من أصحابه ، فلما خرج الأمير سيف الدين قر استقر المنصورى من مصر متوجهاً إلى نياية الشام عوضاً عن الأفرم ، فلما كان بغزة فى سابع ذى القعدة ضرب حلقة لأجل الصيد ، فوقع فى وسطها الجاشنكيرى فى ثلاثمائة من أصحابه فأحيط بهم وتفرق عنه أصحابه فأمسكوه ورجعهم قر استدرم ريس الدين بهادر على المعجن ، فلما كان بالخطارة تلقاهم استدرم فقتل منهم

ورجعا إلى مسكرهم ، ودخل به استنصر على السلطان فمات به ولامه ، وكان آخر العهد به ، قتل ودفن بالقرافة ولم ينهه شيخه المنبجي ولا أهواله ، بل قتل شر قتلة ودخل قراستردشقي يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذي القعدة فنزل بالقصر ، وكان في صحبته ابن مصري وابن الزمكاني وابن القلانسي وعلاء الدين بن غانم وخاق من الامراء المصريين والشاميين ، وكان الخطيب جلال الدين القزويني قد وصل قباهم يوم الخميس الثاني والعشرين من الشهر ، وخطب يوم الجمعة على عادته ، فلما كان يوم الجمعة الأخرى وهو التاسع والعشرون من الشهر خطب بمجامع دمشق القاضى بدر الدين محمد بن عثمان بن يوسف بن حداد الحنبل عن إذن نائب السلطنة ، وقرأ تقليده على المنبر بعد الصلاة بحضور القضاة والاكابر والأعيان ، وخلع عليه عقير . ذلك خلمة سنية ، واستمر يباشر الامامة والخطابة اثنين وأربعين يوما ، ثم أعيد الخطيب جلال الدين بمرسوم سلطاني وباشر يوم الخميس ثاني عشر المحرم من السنة الألفية .

وفي ذي الحجة درس كل الدين بن الشيرازي بالمدرسة الشامية البرانية ، انتزعها من يد الشيخ كل الدين بن الزمكاني ، وذلك أن استنصر ساعده على ذلك . وفيها أظهر ملك التتر خر بندا الراض في بلاده ، وأمر الخطباء أولا أن لا يذكر وا في خطبتهم إلا على بن أبي طالب رضى الله عنه وأهل بيته ، ولما وصل خطيب بلاد الازج إلى هذا الموضع من خطبته بكى بكاء شديدا وبكى الناس معه ونزل ولم يتمكن من إتمام الخطبة ، فأقيم من أتمها عنه وصلى بالناس وظهر على الناس بتلك البلاد من أهل السنة أهل البدعة فانالله وإنا إليه راجعون . ولم ينجح فيها أحد من أهل الشام بسبب تحييط الدولة وكثرة الاختلاف «ومن توفي فيها من الاعيان»

الخطيب ناصر الدين أبو الهدى

أحمد بن الخطيب بدر الدين يحيى بن الشيخ عز الدين بن عبد السلام خطيب العقبة بداره بها وقد باشر انظار الجامع الاموى وغير ذلك ، توفي يوم الاربعاء النصف من المحرم ، وصلى عليه بمجامع العقبة ، ودفن عند والده بباب الصغير ، وقد روى الحديث وباشر الخطابة بعد والده بدر الدين وحضر عنده نائب السلطنة والقضاة والأعيان .

قاضي الحنابلة بمصر

شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن أبي بكر الحارثي ولد بمران سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، وسمع الحديث وقدم مصر فباشر انظار الخزانة وتدريس الصالحية ثم أضيف إليه القضاء ، وكان مشكور السيرة كثير المسكارم توفي ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الاول دفن بالقرافة ، وولى بعده سعد الدين الحارثي كما تقدم .

الشيخ نجم الدين

أيوب بن سليمان بن مظفر المصري المعروف بمؤذن النجيب ، كان رئيس المؤذنين بجامع دمشق ونقيب الخطباء ، وكان حسن الشكل رفيع الصوت ، واستمر بذلك نحو من خمسين سنة إلى أن توفي في مستهل جمادى الأولى . وفي هذا الشهر توفي .

الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري

تولى الوزارة بمصر مع شد الدواوين معاً ، وبأشر شد الدواوين بالشام مرات ، وله دار وبستان بدمشق مشهوران به ، وكان فيه نهضة وله همة عالية وأموال كثيرة ، توفي بمصر .

الأمير جمال الدين آقوش بن عبد الله الرسمي

شاد الدواوين بدمشق ، وكان قبل ذلك والى الولاية بالجهة القبلية بعد الشريفي ، وكانت له سطوة توفي يوم الأحد تاسع عشر جمادى الأولى ودفن ضحوة بالقبة التي بناها تجمه قبة الشيخ رسلان ، وكان فيه كفاية وخبرة . وبأشر بمده شد الدواوين أقبجا . وفي شعبان أو في رجب توفي .

التاج ابن سعيد الدولة

وكان مسلمانيا وكان سفير الدولة ، وكانت له مكانة عند الجاشنكير بسبب محبته لنصر المنبجي شيخ الجاشنكير ، وقد عرضت عليه الوزارة فلم يقبل ، ولما توفي تولى وظيفته ابن أخته كريم الدين الكبير .

الشيخ شهاب الدين

أحمد بن محمد بن أبي المكرم بن نصر الاصمغاني رئيس المؤذنين بالجامع الأموي ، ولد سنة اثنتين وستائة ، وسمع الحديث وبأشر وظيفة الأذان من سنة خمس وأربعين إلى أن توفي ليلة الثلاثاء خامس ذي القعدة ، وكان رجلاً جيداً والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة

استهات وخليفة لوقت المستنكى بالله أبو الربيع سليمان العباسي ، وساطان البلاد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، والشيخ آق الدين بن تيمية مقيم بمصر معظماً مكرماً ، ونائب مصر الأمير سيف الدين بكتمر أمير خزندار ، وقضاته هم المذكورون في التي قبلها ، سوى الخنيلي فإنه سعد الدين الحارثي ، والوزير بمصر نغر الدين الخليلي ، وناظر الجيوش نغر الدين كاتب الممالك ، ونائب الشام قرا سنقر المنصوري ، وقضاة دمشق هم ، ونائب حاب قبجق ، ونائب طرابلس الحاج بهادر والأفهم بصرخد .

وفي محرم منها بأشر الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدرين وكيل بيت المال إمام مسجد هشام تدر يس الشامية الجوانية ، والشيخ صدر الدين سليمان بن موسى الكردي تدر يس العذراوية ، كلاهما

انتهزها من ابن الوكيل بسبب إقامته بهمر، وكان قد وفد إلى المظفر فألزمه روائب لانتهاه إلى المنبجى، ثم عاد بتوقيع ساطع إلى مدرسته، فأقام بهما شهراً أو سبعة وعشرين يوماً، ثم استعادها منه ورجعها إلى المدرسين الأولين: الأمين سالم، والصدر الكردى، ورجع الخطيب جلال الدين إلى الخطابة في سابع عشر الحرم، وعزل عنها البدر بن الحداد، وباشر صاحب قمس الدين نظر الجامع والأمرى والأوقاف قاطبة يوم الاثنين، ثم خلع عليه وأضيف إليه شرف الدين بن مصرى في نظر الجامع، وكان نازله مستقلاً به قبلهما. وفي يوم عاشوراء قدم استد مر إلى دمشق متولياً نيابة حماة، وسافر إليها بعد سبعة أيام.

وفي الحرم باشر بدر الدين بن الحداد نظر المارستان عوضاً عن قمس الدين بن الخطيرى ووقعت منازعة بين صدر الدين بن المرحل وبين الصدر سليمان الكردى بسبب المنزوعة، وكتبوا إلى الوكيل محضراً يتضمن من التبايع والنضاج والكفريات على ابن الوكيل، فبادر ابن الوكيل إلى القاضى اتقى الدين سليمان الحنبلى، فحكم بإسلامه وحسن دمه، وحكم بإسقاط التعزير عنه والحكم بمداخلة واستحقاقه إلى المناصب. وكانت هذه هبة من الحنبلى، ولكن خرجت عنه المدرستان المنزوعة سليمان الكردى، والشامية الجوانية الأمين سالم، ولم يبق معه سوى دار الحديث الاشرفية. وفي ليلة الاثنين السابع من صفر وصل النجم محمد بن عثمان البعراوى من معمر متولياً الوزارة بالشام، ومعه توقيع بالحسبة لاختيه نضر الدين سليمان، فباشرا المنصبين بالجامع، ونزلا بدرب سفون الذى يقال له درب ابن أبى الهيجاء، ثم انتقل الوزير إلى دار الاعسر عند باب البريد، واستمر نظر الخزانة لعز الدين أحمد بن القلانسى أخى الشيخ جلال الدين.

وفي ربيع الأول باشر القاضى جمال الدين الزرعى قضاء القضاة بهمر عوضاً عن ابن جماعة، وكان قد أخذ منه قبيل ذلك فى ذى الحجة مشيخة الشيوخ، وأعيدت إلى الكرم الايبكى، وأخذت منه الخطابة أيضاً. وجاء البريد إلى الشام بطالب القاضى قمس الدين بن الحريرى لقضاء الديار المصرية، فسار فى العشرين من ربيع الأول وخرج معه جماعة لتوديعه، فلما قدم على السلطان أكرمه وعظمه وولاه قضاء الحنفية وتدرىس الناصرية والصلحية، وجامع الحاكم، وعزل عن ذلك القاضى قمس الدين السروجى فبكث أياماً ثم مات.

وفي نصف هذا الشهر مسك من دمشق سبعة أمراء ومن القاهرة أربعة عشر أميراً. وفى ربيع الآخر أهتم السلطان بطالب الأمير سيف الدين سلاخ فحضر هو بنفسه إليه فمات ثم استخلص منه أمواله وحواصله فى مدة شهر، ثم قتل بعد ذلك فوجد معه من الأموال والحيوان والألاك والأسلحة والماليك والبغال والحمير أيضاً والرابع شيئاً كثيراً، وأما الجواهر والذهب والفضة فشئ لا يحسد

ولا يوصف في كثرته ، وحاصل الأمر أنه قد استأثر لنفسه طائفة كبيرة من بيت المال وأموال المسلمين تجرى إليه ، ويقال إنه كان مع ذلك كثير العطاء كريماً محبباً إلى الدولة والرعية والله أعلم .

وقد باشر نيابة السلطنة بمصر من سنة ثمان وتسعين إلى أن قتل يوم الأربعاء رابع عشرين هذا الشهر ، ودفن بترتبه ليلة الخميس بالقرافة ، سادحاً الله . وفي ربيع الآخر درس القاضي شمس الدين بن المعز الحنفي بالظاهرية عوضاً عن شمس الدين الحريري ، وحضر عنده خاله الصدر على قاضي قضاة الحنفية وبقية القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر كان الأمير سيف الدين استدمر قد قدم دمشق لبعض أشغاله ، وكان له حنو على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فاستنجز له مرسوماً بنظر دار الحديث وتدرّس العندراوية ، فلم يباشر ذلك حتى سافر استدمر ، فانفق أنه وقته له بعد يومين كائنة بدار ابن درباس بالصالحية ، وذكر أنه وجد عنده شيء من المذكرات ، واجتمع عليه جماعة من أهل الصالحية مع الخبالة وغيرهم ، وبلغ ذلك نائب السلطنة فكان فيهم ، فورد الجواب بمنزله عن المناصب الدينية ، فخرجت عنه دار الحديث الأشرفية وبقى بدمشق وليس بيده وظيفة لذلك ، فلما كان في آخر رمضان سافر إلى حلب فقرر له نائبا استدمر شيئاً على الجامع ، ثم ولاء تدرّساً هناك وأحسن إليه ، وكان الأمير استدمر قد انتقل إلى نيابة حلب في جمادى الآخرة عوضاً عن سيف الدين قبجق توفى ، وباشر مملكة حماة بعده الأمير عماد الدين إسماعيل بن الأفضل على بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وانتقل جمال الدين آقوش الأفرم من صرخند إلى نيابة طرابلس عوضاً عن الحاج بهادر . وفي يوم الخميس سادس عشر شعبان باشر الشيخ كال الدين ابن الزملكاني مشيخة دار الحديث الأشرفية عوضاً عن ابن الوكيل ، وأخذ في التفسير والحديث والفقه ، فذكر من ذلك دروساً حسنة ، ثم لم يستمر بها سوى خمسة عشر يوماً حتى انتزع عمامته كال الدين ابن الشريشي فباشرها يوم الأحد ثالث شهر رمضان . وفي شعبان رسم قرانقر نائب الشام بتوسعة المقصورة ، فأخرت سدة المؤذنين إلى الركنين المؤخرين تحت قبة النسر ، ومنعت الجنائز من دخول الجامع أياماً ثم أذن في دخولهم .

وفي خامس رمضان نخر الدين إلياس الذي كان نائباً في قلعة الروم إلى دمشق شاد الدواوين عوضاً عن زين الدين كتبغا المنصوري . وفي شوال باشر الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي مشيخة الشيوخ بالديار المصرية عوضاً عن الشيخ كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الايكي توفى ، وكان له تحرير وهمة ، وخاض على القونوي خلعة سنوية ، وحضر سعيد السعداء بها . وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة خلع على الصاحب عز الدين القلانسي خلعة الوزراء بالشام عوضاً عن النجم البصراوي بحكم إقطاعه إمرة عشرة وإعراضه عن الوزارة . وفي يوم الاربعاء سادس عشر ذي القعدة

عاد الشيخ كمال الدين بن الزملكاني إلى تدرّيس الشامية البهرانية . وفي هذا اليوم لبس تقي الدين ابن صاحب قمميس الدين بن السلموس خلمة النظر على الجامع الأموى ، ومسك الأمير سيف الدين استندمر نائب حلب في ثاني ذى الحجة ودخل إلى مصر ، وكذلك مسك نائب البيرة سيف الدين ضرغام بعده بليال .

ومن توفى فيها من الأعيان .

قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس

أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجي الحنفي ، شارح الهداية ، كان بارعا في علوم شتى ، وولى الحكم بمصر مدة وعزل قبل موته بأيام ، توفى يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر ودفن بقرب الشافعي وله اعتراضات على الشيخ تقي الدين بن تيمية في علم الكلام ، أضحك فيها على نفسه ، وقد رد عليه الشيخ تقي الدين في مجلدات ، وأبطل حجته * وفيها توفى سلاسل مقتولا كما تقدم .

الصاحب امين الدولة

أبو بكر بن الوجيه عبد العظيم بن يوسف المعروف بابن الرقاق * والحاج بهادر نائب طرابلس مات بها والأمير سيف الدين قهوجي نائب حلب مات بها ودفن بقرية بمصر ، ثاني جمادى الآخرة وكان شهيدا شجاعا ، وقد ولى نيابة دمشق في أيام لاجين ، ثم قفز إلى التتر خوفا من لاجين ، ثم جاء مع التتر . وكان على يديه فرج المسلمين كما ذكرنا عام قازان ، ثم تنقلت به الأحوال إلى أن مات بحلب ، ثم ولها بعده استندمر ومات أيضا في آخر السنة .

وفيها توفى . الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيمكي

شيخ الشيوخ بمصر ، كان له صلة بالأمراء ، وقد عزل مرة عن المشيخة بابن جماعة ، توفى ليلة السبت سابع شوال بمخاتقاء سميد السعداء ، وتولاهما بعده الشيخ علاء الدين القونوي كما تقدم .

الفقيه عز الدين عبد الجليل

النراوى الشافعي ، كان فاضلا بارعا ، وقد صحب سلاسل نائب مصر وارتفع في الدنيا بسببه .

ابن الرفعة

هو الامام العلامة نجم الدين أحمد بن محمد شارح التلبيه ، وله غير ذلك ، وكان فقها فاضلا وإماما في علوم كثيرة رحمهم الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبع مائة

استهات والحكام هم المذكورون في التي قبلها غير الوزير بمصر فانه عزل وتولى سيف الدين بكتمر وزيراً ، والنجم البهرراوى عزل أيضا بعز الدين القلانسي ، وقد انتقل الأقرم إلى نيابة

طرابلس بإشارة ابن تيمية على السلطان بذلك ، ونائب حماة الملك المؤيد عماد الدين على قاعدة أسلافه ، وقد مات نائب حلب استدر وهي شاغرة عن نائب فيها ، وأرغون الدوادار الناصري قد وصل إلى دمشق لتسفير قراستقر منها إلى حلب وإحضار سيف الدين كراى إلى نيابة دمشق ، وغالب العساكر بحلب والأعراب محدة بأطراف البلاد ، ونفج قراستقر المنصوري من دمشق في ثالث المحرم في جميع حواصله وحاشيته وأتباعه ، وخرج الجيش لتوديعه ، وسارمه أرغون لتقريبه بحلب وجاء المرسوم إلى نائب القلعة الأمير سيف الدين بهادر السنجرى أن يتكلم في أمور دمشق إلى أن يأتيه نائب ، فحضر عنده الوزير والموقنون وباشر النيابة ، وقويت شوكته وقويت شوكة الوزير إلى أن ولي ولايات عديدة منها لابن أخيه عماد الدين نظر الأسرار ، واستمر في يده ، وقدم نائب السلطنة سيف الدين كراى المنصوري إلى دمشق نائباً عليها . وفي يوم الخميس الحادى عشرين من المحرم خرج الناس لتلقيه وأوقدوا الشموع ، وأعيدت مقصورة الخطابة إلى مكانها رابع عشرين المحرم ، وانفج الناس ولبس النجم البصراوى خلة الامرة يوم الخميس ثالث عشر صفر على قاعدة الوزراء بالطارحة ، وركب مع المتقدمين السكبار وهو أمير عشرة باقطاع يضاهى إقطاع كبار الطبليخانات .

وفي يوم الاربعاء سابع عشر ربيع الأول جلس القضاة الاربعة بالجامع لانفاذ أمر الشهود بسبب تزوير وقع من بعضهم ، فاطلع عليه نائب السلطنة ففضب وأمر بذلك ، فلم يكن منه كبير شئ ، ولم يتغير حال . وفي هذا اليوم ولي الشريف نقيب الأشراف أمين الدين جعفر بن محمد بن محيى الدين عدنان نظر الدواوين عوضاً عن شهاب الدين الواسطى ، وأعيد تقى الدين بن الزكى إلى مشيخة الشيوخ . وفيه ولي ابن جماعة تدريس الناصريه بالقاهرة ، وضياء الدين النسائى تدريس الشافى ، والميماد العام بجامع طولون ، ونظر الاحباس أيضاً . وولى الوزارة بمصر أمين الملك أبو سعيد عوضاً عن سيف الدين بكتمر الحاجب في ربيع الآخر . وفي هذا الشهر احتيط على الوزير عز الدين ابن القلانسى بدمشق ، ورسم عليه مدة شهرين ، وكان نائب السلطنة كثير الحنق عليه ، ثم أفرج عنه وأعيد بدر الدين بن جماعة إلى الحكم بديار مصر في حادى عشر ربيع الآخر ، مع تدريس دار الحديث الكاملية ، وجامع طولون والصالحية والناصرية ، وجعل له إقبال كثير من السلطان ، واستقر جمال الدين الزرعى على قضاء العسكر وتدريس جامع الحاكم ، ورسم له أن يجلس مع القضاة بين الحنفى والحنبلى بدار العدل عند السلطان .

وفي مستهل جمادى الأولى أشهد القاضى نجم الدين الدمشقى نائب ابن مصرى على نفسه بالحكم ببطلان البيع فى الملك الذى اشتراه ابن القلانسى من تركة المنصورى فى الرمثا والثوجة والفصالية ليكون بدون ثمن المثل ، ونفذه بقية الحكام ، وأحضر ابن القلانسى إلى دار السعادة وادعى عليه بربيع

ذلك ، ورسم عليه بها ، ثم حكم قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي بصحة هذا البيع وبنقض ما حكم به دمشق ، ثم نفذ بقية الأحكام ما حكم به الحنبلي . وفي هذا الشهر قرر على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس لكل فارس خمسمائة درهم ، وضربت على الأملاك والأوقاف ، فتألم الناس من ذلك تألماً عظيماً وسعى إلى الخطيب جلال الدين فسمى إلى القضاة واجتمع الناس بكرة يوم الاثنين ثالث عشر الشهر واحتفلوا بالاجتماع وأخرجوا معهم المصحف العثماني والأثر النبوي والسناجق الخليفة ، وقفوا في الموكب فلما رأهم كراى تغيط عليهم وشتم القاضي والخطيب ، وضرب محمد الدين التونسي ورسم عليهم ثم أطلقهم بضمان وكفالة ، فتألم الناس من ذلك كثيراً ، فلم يمهله الله إلا عشرة أيام نجاءه الأمر فجاءه فغزل وحبس ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ويقال إن الشيخ تقي الدين بلغه ذلك الخبر عن أهل الشام فأخبر السلطان بذلك فبعث من فوره فسكه شرمسكة ، وصفة مسكه أن تقدم الأمير سيف الدين أرغون الدوادار قنزل في القصر ، فلما كان يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى خلع على الأمير سيف الدين كراى خلعاً سنية ، فلبسها وقبل العتبة ، وحضر الموكب ومد السباط ، فقيده بحضرة الأمراء وحمل على البريد إلى الكرك بحجة غرلو المعالي ، وبيبرس الجنون . وخرج عز الدين القلانسي من الترسيم من دار السعادة ، فصلى في الجامع الظهر ثم عاد إلى داره وقد أوقدت له الشموع ودعا له الناس ، ثم رجع إلى دار الحديث الأشرفية فجلس فيها نحو من عشرين يوماً ، حتى قدم الأمير جمال الدين نائب الكرك .

وفي هذا الشهر مسك نائب صفت الأمير سيف الدين بكشمر أمير خزندار ، وعوض عنه بالكرك بيبرس الدوادار المنصوري ، ومسك نائب غزة ، وعوض عنه بالجلالى ، فاجتمع في حبس الكرك استمير نائب حلب ، وبكشمر نائب مصر ، وكراى نائب دمشق ، وقطلوبك نائب صفت ، وقلطمنز نائب غزة وبنحاص . وقدم جمال الدين آقوش المنصوري الذى كان نائب الكرك على نيابة دمشق إليها في يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الآخر ، وتلقاه الناس وأشعلت له الشموع ، وفي صحبته الخطيرى لتقريره فى النيابة ، وقد باشر نيابة الكرك من سنة تسعين وسبعمائة إلى سنة تسع وسبعمائة وله بها آثار حسنة ، وخرج عز الدين بن القلانسي لتلقى النائب . وقرأ يوم الجمعة كتاب السلطان على السدة بحضرة النائب والقضاة والاهيان ، وفيه الأمر بالاحسان إلى الرعية وإطلاق البوابى التى كانت قد فرضت عليهم أيام كراى ، فكثرت الأدعية للسلطان وفرح الناس . وفي يوم الاثنين التاسع عشر خلع على الأمير سيف الدين بهادر اص نيابة صفت قبل العتبة وسار إليها يوم الثلاثاء ، وفيه لبس الصدر بدر الدين بن أبى الفوارس خلعاً نظار الدواوين به دمشق ، مشاركاً للشرىف ابن عدنان وبعد ذلك بيومين قدم تقليد عز الدين بن القلانسي وكالة السلطان على ما كان عليه ، وأنه أعفى

عن الوزارة لكرامته لذلك .

وفي رجب باشر ابن الساموس نظر الأوقاف عوضاً عن شمس الدين عدنان . وفي شعبان ركب نائب السلطنة بنفسه إلى أبواب السجون فأطلق المحبوسين بنفسه، فتضاعفت له الأدعية في الأسواق وغيرها . وفي هذا اليوم قدم صاحب عز الدين بن القلانسي من مصر فاجتمع بالتائب وخلع عليه ومعه كتاب يتضمن احترامه وإكرامه واستمراره على وكالة السلطان ، ونظر الخالص والانكار لما ثبت عليه بدمشق ، وأن السلطان لم يعلم بذلك ولا وكل فيه ، وكان المساعد له على ذلك كريم الدين ناظر الخالص السلطاني ، والأمير سيف الدين أرغون الدودار . وفي شعبان منع ابن مصري الشهود والمقاد من جهته ، وامتنع ذيرهم أيضاً وردم المالكي . وفي رمضان جاء البريد بتولية زين الدين كتبنا المنصوري حجوبة الحجاب ، والأمير بدر الدين ملتوبات الترماني شدة الدواوين عوضاً عن طوغان ، وخلع عليه ما معاً ، وفيها ركب بهادر السنجري نائب قلعة دمشق على البريد إلى مصر وتولاه سيف الدين بلبان البدرى ، ثم عاد السنجري في آخر النهار على نيابة البيرة ، فسار إليها وجاء الظهير بأنه قد احتبط على جماعة من قصاد المسلمين ببغداد، فقتل منهم ابن العقاب وابن البدر، وخلص عبيدة وجاء سالماً . وخرج المحل في شوال وأمر الحاج الأمير علاء الدين طيغنا أخوها دراص .

وفي آخر ذي القعدة جاء الظهير بأن الأمير قرا سنقر رجع من طريق الحجاز بعد أن وصل إلى بركة زيرا ، وأنه لحق بمنها بن عيسى فاستجار به خائفاً على نفسه ومعه جماعة من خواصه ، ثم سار من هناك إلى التتر بعد ذلك كله ، وصحبه الأقرم والزر دكش . وفي العشرين من ذي القعدة وصل الأمير سيف الدين أرغون في خمسة آلاف إلى دمشق وتوجهوا إلى ناحية حمص ، وتلك النواحي . وفي سابع ذي الحجة وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشي من مصر مستمراً على وكرالته ومعه توقيع بقضاء العسكر الشامي ، وخلع عليه في يوم عرفة . وفي هذا اليوم وصلت ثلاثة آلاف عليهم سيف الدين ملى من الديار المصرية فتوجهوا وراء أصحابهم إلى البلاد الشمالية . وفي آخر الشهر وصل شهاب الدين السكاشاني من القاهرة ومعه توقيع بشيخة الشيوخ ، فنزل في الخانات وأبشرها بحضرة القضاة والأعيان ، وانفصل ابن الزكي عنها . وفيه باشر الصدر علاء الدين بن تاج الدين بن الأثير كتابة السر بمصر ، وعزل عنها شرف الدين بن فضل الله ، إلى كتابة السر بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، واستمر محيي الدين على كتابة الدست بمولوم أيضاً والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الرئيس بدر الدين

محمد بن رئيس الأطباء أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان الأنصاري ، من سلالة سمد ابن معاذ السويدي ، من سويداء حوران ، متبع الحديث وبرع في الطب ، توفي في ربيع الأول

بيستانه بقرب الشبلية ، ودفن في تربة له في قبة فيها عن سنتين سنة .

الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر الأريلي

شيخ الحلبية بمجامع بني أمية ، كان صالحا مباركا فيه خير كثير ، كان كثير العبادة وإيجاد الراحة للفقراء ، وكانت جنازته حافلة جدا ، صلى عليه بالجامع بعد ظهر يوم السبت التاسع عشر من رجب ودفن بالصوفية وله سبع وثمانون سنة ، وروى شيئا من الحديث وخرجت له مشيخة حضرها الأكابر رحمه الله .

الشيخ ناصر الدين يحيى بن إبراهيم

ابن محمد بن عبد العزيز العثماني ، خادما المصحف العثماني نحواً من ثلاثين سنة ، وصلى عليه بعد الجمعة سابع رمضان ودفن بالصوفية ، وكان لثائب السلطنة الأقرم فيه اعتقاد ووصله منه افتقاد ، وبلغ خمسا وستين سنة .

الشيخ الصالح الجليل القدوة

أبو عبد الله محمد بن الشيخ القدوة إبراهيم بن الشيخ عبد الله الأموي ، توفي في العشرين من رمضان بسفح قاسيون ، وحضر الأمراء والقضاة والصدور جنازته وصلى عليه بالجامع المظفرى ، ثم دفن عند والده وغلقت يومئذ سوق الصالحية له ، وكانت له وجاهة عند الناس وشفاعة مقبولة ، وكان عنده فضيلة وفيه تودد ، وجمع أجزاء في أخبار جيدة ، وسمع الحديث وقارب السبعين رحمه الله .

ابن الوحيد الكاتب

هو الصدر شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف الزرعى المعروف بابن الوحيد ، كان موقعا بالفاخرة وله معرفة بالإنشاء وبلغ الغاية في الكتابة في زمانه ، وانتفع الناس به ، وكان فاضلا مقدما شجاعا ، توفي بالمارستان المنه وروى بمصر سادس عشر شوال .

الأمير ناصر الدين

محمد بن عماد الدين حسن بن الناسفي أحد أمراء الطبليخانات ، وهو حاكم البندق ، ولى ذلك بعد سيف الدين بلبان ، توفي في العشرين الآخر من رمضان .

التميمي الداري

توفي يوم عيد الفطر ودفن بالترافة الصغرى ، وقد رلى الوزارة بمصر ، وكان خبيرا كافيا ، مات ممزولا ، وقد سمع الحديث وسمع عليه بعض الطلبة .

وفى ذى القعدة جاء الخبر إلى دمشق بوفاة الأمير الكبير استدمر وبنخاص في السجن بقلمه

القاضي الامام العلامة الحافظ الكرك .

سمو الدين مسعود الحارثي الحنبلي الحاكم بمصر ، سمع الحديث ، وجمع وخرج وصنف ، وكانت

له يد طولى في هذه الصناعة والأسانيد والمتون ، وشرح قطعة من سنن أبي داود فأجاد وأفاد ، وحسن الاسناد ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وفي خامس الحرم توجه الأمير عز الدين ازدمر الزردكاش وأميران معه إلى الأفوم ، وساروا بأجمعهم حتى لحقوا بقراسنقر وهو عند مهنا ، وكانوا السلطان وكانوا كالستجيرين من الرمضاء بالنار ، وجاء البريد في صفر بالاخطياط على حواصل الأفوم وقراسنقر والزردكاش وجميع ما يتعلق بهم ، وقطع خبز مهنا وجعل مكانه في الامرة أخاه محمداً ، وعادت المساكين محبة أرغون من البلاد الشمالية ، وقد حصل عند الناس من قراسنقر وأصحابه هم وغم وحزن ، وقدم سودى من مصر على نيابة حلب فاجتاز بدمشق فخرج الناس والجيش لتلقيه ، وحضر السماط وقرى المنشور بطالب جمال الدين نائب دمشق إلى مصر ، فركب من ساعته على البريد إلى مصر وتكلم في نيابته لغيبة لاجين . وطالب في هذا اليوم قطب الدين موسى شيخ السلامة ناظر الجيش إلى مصر ، فركب في آخر النهار إليها فتولى بها نظر الجيش عوضا عن نجر الدين الكاتب كاتب الممالك بحكم عزله ومصادرته وأخذ أهواله الكثيرة منه ، في عاشر ربيع الأول . وفي الحادى عشر منه باشر الحكم للحنابلة بمصر القاضي آقى الدين أحمد بن المعز عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى ، وهو ابن بنت الشيخ شمس الدين بن الهاد أول قضاة الحنابلة ، وقدم الأمير سيف الدين تمر على نيابة طرابلس عوضا عن الأفوم بحكم هربه إلى التتر . وفي ربيع الآخر مسك ببيرس الملاى نائب حمص وبيرس الجنون وطوغان وجماعة آخرون من الأمراء سنة في نهار واحد وسيروا إلى الكرك مقتلين بها . وفيه مسك نائب مصر الأمير ركن الدين ببيرس الدوادار المنصوري ، وولى بعده أرغون الدوادار ، ومسك نائب الشام جمال الدين نائب الكرك وشمس الدين سنقر السكالى حاجب الحجاب بمصر ، وخسة أمراء آخرون وحبسوا كلهم بقلعة الكرك ، في برج هناك . وفيه وقع حريق داخل باب السلامة احترق فيه دور كثيرة منها دار ابن أبي الفوارس ، ودار الشريف التبانى .

نيابة تنكز على الشام

في يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر دخل الأمير سيف الدين تنكز بن عبد الله المالكى الناصرى نائباً على دمشق بعد مسك نائب الكرك ومعه جملة من ممالك السلطان منهم الحاج ارقطاي على حيز ببيرس الملاى ، وخرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيراً ، ونزل بدار السعادة ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ، وكان ذلك اليوم يوم الرابع والعشرين من آب ، وحضر يوم الجمعة الخطبة بالمقصورة وأشعلت له الشموع في طريقه ، وجاء توقيع لابن مصرى بإعادة

قضاء العسكر إليه ، وأن ينظر الأوقاف فلا يشاركه أحد في الاستئابة في البلاد الشامية على عادة من تقدمه من قضاة الشافعية ، وجاء مرسوم السمسار الدين أبي طالب بن حميد بنظر الجيش عوضاً عن ابن شيخ السلاية بحكم إقامته بمصر ، ثم بعد أيام وصل الصدر معين الدين هبة الله بن خشيش ناظر الجيش وجعل ابن حميد بوظيفة ابن البدر ، وسافر ابن البدر على نظر جيش طرابلس ، وتولى أرغون نيابة مصر وعاد نغر الدين كاتب الممالك إلى وظيفته مع استمرار قطب الدين بن شبيخ السلاية مباشراً معه .

وفي هذا الشهر قام الشيخ محمد بن قوام ومعه جماعة من الصالحين على ابن زهرة المغربي الذي كان يتكلم بالكلاسة وكتبوا عليه محضراً يتضمن استنائه بالمصحف ، وأنه يتكلم في أهل العلم ، فأحضر إلى دار العدل فاستسلم وحقن دمه وعزز تعزيراً بليغاً عتيقاً وطيف به في البلد باطنه وظاهره ، وهو مكشوف الرأس ووجهه متلوب وظهره مضروب ، ينادى عليه هذا جزاء من يتكلم في العلم بغير معرفة ، ثم حبس وأطلق فهرب إلى القاهرة ، ثم عاد على البريد في شعبان ورجع إلى ما كان عليه . وفيها قدم بهادر أص من نيابة صغد إلى دمشق وهناك الناس ، وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق أن لا يولى أحد جمال ولا برشوة فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية ، وإلى ولاية غير الأهل ، فقرأه ابن الزملاكي على السدة وبلغه عنه ابن حبيب المؤذن ، وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله .

وفي رجب وشعبان حصل للناس خوف بدمشق بسبب أن التتر قد تحرروا للعجمي إلى الشام ، فانزعج الناس من ذلك وخافوا ، وتجهل كثير منهم إلى البلد ، وازدحموا في الأبواب ، وذلك في شهر رمضان وكثرت الأراجيف بأنهم قد وصلوا إلى الرحبة ، وكذلك جرى واشتهر بأن ذلك بأشارة قراسنقر وذويه فأنه أعلم . وفي رمضان جاء كتاب السلطان أن من قتل لاجئاً أحد عليه ، بل يتبع القتال حتى يقتله منه بمحكم الشرع الشريف ، فقرأه ابن الزملاكي على السدة بمحضرة نائب السلطنة ابن تنكز وسببه ابن تيمية ، هو أمر بذلك وبالكتاب الأول قبله . وفي أول رمضان وصل التتر إلى الرحبة فحاصروها عشرين يوماً وقاتلهم نائبها الأمير بدر الدين موسى الأزدي خمسة أيام قتالا عظيماً ، ومنعهم منها فأشار رشيد الدولة بأن ينزلوا إلى خدمة السلطان خربندا ويهدوا له هدية ويطلبون منه العفو ، فنزل القاضي نجم الدين إسماعيل وأهدوا له خمسة رؤس خيل ، وعشرة أباليج سكر ، فقبل ذلك ورجع إلى بلاده ، وكانت بلاد حلب وحماة وحمص قد أجلا منها وخرب أكثرها ثم رجعوا إليها لما عاقبوا رجوع التتر عن الرحبة ، وطابت الاخبار وسكنت النفوس ودقت البشائر وتركت الأئمة قنوت ، وخطب الخطيب يوم العيد وذكر الناس بهذه النعمة . وكان سبب رجوع التتر قلة العلف

وغلاء الأسعار وموت كثير منهم ، وأشار على سلطانهم بالرجوع الرشيد وجوبان .

وفي ثامن شوال دقت البشائر بدمشق بسبب خروج السلطان من مصر لأجل سلافة التتر ، وخرج الركب في نصف شوال وأميرهم حسام الدين لاجين الصغير ، الذي كان والى البر ، وقدمت العساكر المصرية أرسالا ، وكان قدوم السلطان ودخوله دمشق ثالث عشرين شوال ، واحتفل الناس لدخوله ونزل القلعة وزينت البلد وضربت البشائر ، ثم انتقل بعد لبثته إلى القصر وصلى الجمعة بالجامع بالمقصورة وخام على الخطيب ، وجلس في دار العدل يوم الاثنين ، وقدم وزيره أمين الملك يوم الثلاثاء عشرين الشهر ، وقدم محبة السلطان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية إلى دمشق يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة وكانت غيبته عنها سبع سنين ، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه ، وخرج خاق كثير لتلقيه وسروا بقدومه وعافيته ورؤيته ، واستبشروا به حتى خرج خلق من النساء أيضاً لرؤيته ، وقد كان السلطان محبة معه من مصر فخرج معه بنية الغزاة ، فلما تحقق عدم الغزاة وأن التتر رجعوا إلى بلادهم فارق الجيش من غزة وزار القدس وأقام به أياما ، ثم سافر على عجولون وبلاد السواد وزرع ، ووصل دمشق في أول يوم من ذي القعدة ، فدخلها فوجد السلطان قد توجه إلى الحجاز الشريف في أربعين أميراً من خواصه يوم الخميس ثاني ذي القعدة ، ثم إن الشيخ بعد وصوله إلى دمشق واستقار به لم يزل ملازماً لاشتغال الناس في سائر العلوم ونشر العلم وتصنيف الكتب وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المعاول والاجتهاد في الاحكام الشرعية في بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده من موافقة أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم وبخلاف المشهور في مذاهبهم ، وله اختيارات كثيرة مجلدات عديدة أفتى فيها بما أدى إليه اجتهاده ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والسلف .

فلما سار السلطان إلى الحج قرق العساكر والجيش بالشام وترك أرغون بدمشق . وفي يوم الجمعة لبس الشيخ كمال الدين الزمركاني خامة ووكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشي ، وحضر بها الشباك وتسكّم وزير السلطان في البلد ، وطلب أموالاً كثيرة وصادر وضرب بالمقارع وأهان جماعة من الرؤساء منهم ابن فضل الله محيي الدين . وفيه عين شهاب الدين بن جهيل لتدريس الصلاحية بالقدس عوضاً عن نجم الدين داود السكردى توفى ، وقد كان مدرسا بها من نحو ثلاثين سنة ، فسافر ابن جهيل إلى القدس بعد عيد الأضحى .

وفيها مات ملك القفقاق المسمى طغتاى خان ، وكان له في الملك ثلاث وعشرون سنة ، وكان عمره ثماناً وثلاثين سنة ، وكان شهماً شجاعاً على دين التتر في عبادة الاصنام والكواكب ، يعظم الجسمة والحكام والأطباء ويكرم المسلمين أكثر من جميع العوائف ، كان جيشه هائلاً لا يحسّر

أحد على قتاله لكثرة جيشه وقوتهم وعددهم ، ويقال إنه جرد مرة تجر يده من كل عشرة من جيشه واحداً فبلغت التجربة مائتي ألف وخمسين ألفاً ، توفي في رمضان منها وقام في الملك من بعده ابن أخيه أربك خان ، وكان مسلماً فأظهر دين الاسلام ببلاده ، وقتل خلقاً من أمراء الكفرة وعلت الشرائع الحمديّة على سائر الشرائع هناك والله الحمد والمنة على الاسلام والسنة .

ومن توفي فيها من الأعيان الملك المنصور صاحب ماردین

وهو نجم الدين أبو الفتح غازي بن الملك المظفر قرارسلان بن الملك السعيد نجم الدين غازي بن الملك المنصور ناصر الدين ارتق بن غازي بن المنى بن تمر تاش بن غازي بن أرتق الأرتقي أمصحاب ماردین من عدة سنين ، كان شيخاً حسناً مهيباً كامل الخلقة بديناً صميحاً إذا ركب يكون خلفه محفة . خوفاً من أن يسه لغوب فيركب فيها ، توفي في تاسع ربيع الآخر ودفن بمدرسته تحت القلعة ، وقد بلغ من العمر فوق السبعين ، ومكث في الملك قريباً من عشرين سنة ، وقام من بعده في الملك ولده العادل فكث سبعة عشر يوماً ، ثم ملك أخوه المنصور . وفيها مات الأمير سيف الدين قتلوه بك الشينخي

كان من أمراء دمشق الكبار . الشيخ الصالح

نور الدين أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بن محمد بن هارون بن علي بن حميد الشمليي دمشق ، قارئ الحديث بالقاهرة ومسندها ، روى عن ابن الزبيدي وابن الليثي وجعفر الحمدي وابن الشيرازي وخناق ، وقد خرج له الامام العلامة تقي الدين السبكي مشيخة ، وكان رجلاً صالحاً توفي بكرة الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر ، وكانت جنازته حافلة .

الأمير الكبير الملك المظفر

شهاب الدين غازي بن الملك الناصر داود بن المعظم ، سمع الحديث . وكان رجلاً متواضعاً توفي بمصر ثاني عشر رجب ، ودفن بالقاهرة . قاضي القضاة

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن خازم الازرعي الحنفي ، كان فاضلاً درس وأفتى وولى قضاء الحنفية بدمشق سنة ثم عزل واستمر على تدريس الشبلية مدة ثم سافر إلى مصر فأقام بسميد السعداء خمسة أيام وتوفي يوم الاربعاء ثاني عشرين رجب الله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبع مائة

استهلّت والحكام هم هم ، والسلطان في الحجاز لم يقدم بعد ، وقد قدم الأمير سيف الدين نجم ليس يوم السبت مستهل الحرم من الحجاز وأخبر بسلامة السلطان وأنه فارقه من المدينة النبوية ، أنه قد قارب البلاد ، فدقت البشائر فرحاً بسلامته ، ثم جاء البريد فأخبر بدخوله إلى الكرك ثاني

المحرم يوم الأحد ، فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشر المحرم دخل دمشق وقد خرج الناس لتلقيه على
 العادة ، وقد رأيته مرجعه من هذه الحجة على شفته ورقة قد ألصقها عليها ، فنزل بالقصر وصى الجمعة
 رابع عشر المحرم بمقهورة الخطابة ، وكذلك الجمعة التي تليها ، ولعب في الميدان بالكرة يوم السبت
 النصف من المحرم ، وولى نظر الدواوين للصاحب شمس الدين غبريال يوم الاحد حادى عشر المحرم
 وشد الدواوين لفخر الدين إياس الاعسرى عوضا عن القرماني ، وسافر القرماني إلى نيابة الرحبة
 وخلع عليهما وعلى وزيره ، وخلع على ابن صهرى وعلى الفخر كاتب الممالك ، وكان مع السلطان
 في الحج ، وولى شرف الدين بن صهرى حجابة الديوان وباشرف الدين ابن شيخ السلامة نظر
 الجامع ، وباشرف بهاء الدين بن سليم نظر الاوقاف ، والمنكور رضى شدا الاوقاف . وتوجه السلطان راجعا إلى
 الديار المصرية بكرة الخميس السابع والعشرين من المحرم ، وتقدمت الجيوش بين يديه ومعه . وفي
 أواخر صفر اجتاز على البريد في الرسالة إلى منها الشيخ صدر الدين الوكيل وموسى بن مهنا والامير
 علاء الدين الطنبغا فاجتمعوا به في تدمر ثم عاد الطنبغا وابن الوكيل إلى القاهرة .

وفي جمادى الآخرة ملك أمين الملك وجماعة من السكبار معه وصودروا بأموال كثيرة ، وأقيم
 عوضه بدر الدين بن التركمانى الذى كان والى الخزانة . وفي رجب كملت أربعة مناجيق واحد لقلعة
 دمشق وثلاثة تحمل إلى السرك ، ورمى بثنين على باب الميدان وحضر نائب السلطنة تنكز والعمامة
 وفي شبان تكمل حفر النهر الذى عمله سودى نائب حلب بها ، كان طوله من نهر الساجور إلى نهر
 قويق أربعين ألف ذراع في عرض ذراعين وعمق ذراعين ، وغرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وعمل
 بالعدل ولم يظالم فيه أحدا . وفي يوم السبت ثامن شوال خرج الركب من دمشق وأميره سيف الدين
 بلباى التتري ، وحج صاحب حماة في هذه السنة وخلق من الروم والفرباء . وفي يوم السبت السادس
 والعشرين من ذى الحجة وصل القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة من مصر على نظر
 الجيوش الشامية كما كان قبل ذلك ، وراح معين الدين بن الخشيش إلى مصر في رمضان صحبة
 الصاحب شمس الدين بن غبريال وبعد وصول ناظر الجيوش بيومين وصلت البشائر بمقتضى إزالة
 الاقطاعات لما رآه السلطان بعد نظره في ذلك أربعة أشهر .

ومن توفى فيها من الالهيان .

الشيخ الامام المحدث

فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان بن أبي بكر بن محمد بن داود التوزي بمكة يوم الاحد
 حادى ربيع الآخر ، وقد سمع الكثير ، وأجازه خلق يزيدون على ألف شيخ ، وقرأ الكتب السكبار
 وغيرها ، وقرأ صحيح البخارى أكثر من ثلاثين مرة رحمه الله :

عز الدين محمد بن العدل

شهاب الدين أحمد بن عمر بن إلياس الزهاوي ، كان يباشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكان من أخصاء أمين الملك ، فلما مسك بمصر أرسل إلى هذا وهو معتقل بالعدراوية ليحضر على البريد فرض فمات بالمدرسة العدراوية ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة ، وله من العمر خمس وثلاثون سنة ، وكان قد سمع من ابن طبرزد الكندي ، ودفن من الغد بباب الصغير ، وترك من بعده ولدين ذكرين جمال الدين محمد ، وعز الدين .

الشيخ الكبير المقرئ

شمس الدين المقصاي ، هو أبو بكر بن عمر بن السبع الجزري المعروف بالمقصاي نائب الخطيب وكان يقرئ الناس بالقراءات السبع وغيرها من الشواذ ، وله إلمام بالنحو ، وفيه ورع واجتهاد ، توفي ليلة السبت حادي عشرين جمادى الآخرة ودفن من الغد بسفح قاسيون فجهاه الرباط الناصري ، وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة

استلمت والحكام هم في التي قبلها إلا الوزير أمين الملك فمكانه بدر الدين التركماني . وفي رابع المحرم عاد صاحب شمس الدين غبريال من مصر على نظر الدواوين وتلقاه أصحابه . وفي عاشر المحرم يوم الجمعة قرئ كتاب السلطان على السدة بحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء يتضمن بإطلاق البواقي من سنة ثمان وتسعين وستمائة إلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، فنضاعت الادعية للسلطان وكان القارئ جمال الدين بن القلانسي ومبلغه صدر الدين بن صبيح المؤذن ، ثم قرئ في الجمعة الأخرى مرسوم آخر فيه الإفراج عن المسجونين وأن لا يؤخذ من كل واحد إلا نصف درهم ، ومرسوم آخر فيه إطلاق السخر في المنصب وغيره عن الملاحين ، قرأه ابن الزملكاني وبلغه عنه أمين الدين محمد بن مؤذن النجبي . وفي المحرم استحضرت السلطان إلى بين يديه الفقيه نور الدين على البكري وهم بقتله شفع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام في الفتوى والعلم ، وكان قد هرب لما طلب من جهة الشيخ تقي الدين بن تيمية فهرب واختفى ، وشفع فيه أيضا ، ثم لما ظفر به السلطان الآن وأراد قتله شفع فيه الأمراء فنفاه ومنعه من الكلام والفتوى ، وذلك لاجترأه وتسرعه على التكفير والقتل والجهل الحامل له على هذا وغيره . وفي يوم الجمعة مستهل صفر قرأ ابن الزملكاني كتابا سلطانيا على السدة بحضرة نائب السلطان القاضي وفيه الأمر بإبطال ضان القواسير وضمان النبيذ وغير ذلك ، فدعا الناس للسلطان . وفي أواخر ربيع الأول اجتمع القضاة بالجامع للنظر في أمر الشهود ونهزم من الجلوس في المساجد ، وأن لا يكون أحد منهم في مركزين ، وأن لا يتولوا

ثبت الكتب ولا يأخذوا أجرا على أداء الشهادة وأن لا يفتابوا أحدا وأن يقتاصموا في المديشة ثم جلسوا مرة ثانية لذلك وتواعدوا ثلاثة فلم ينفق اجتماعهم ، ولم يقطع أحد من مركزه .

وفي يوم الاربعاء الخامس والعشرين منه عقد مجلس في دار ابن صصرى لبدر الدين بن بضيان وأنكر عليه شئ من القراءات فالتمز بترك الاقراء بالسكلية ثم استأذن بعد أيام في الاقراء فأذن له مجلس بين الظاهر والعصر بالجامع وصارت له حلقة على العادة . وفي منتصف رجب توفي نائب حبيب الامير سيف الدين سودى ودفن بترته وولى مكانه علاء الدين الطنينا الصالحى الحاجب بمصر ، قبل هذه النياحة . وفي تاسع شعبان خلع على الشريف شرف الدين عدنان بنفاة الاشراف بعد والده أمين الدين جعفر توفي في الشهر الماضى .

وفي خامس شوال دفن الملك شمس الدين دوباج بن ملكشاه بن رستم صاحب كيلان بترته المشهورة بسفح قاسيون ، وكان قد قصد الحج في هذا العام ، فلما كان بفيغاب أدركنته منيته يوم السبت سادس عشرين رمضان فحمل إلى دمشق وصلى عليه ودفن في هذه التربة واشترت له وتمت وجاءت حسنة وهى مشهورة عند المسكارية شرق الجامع المظفرى ، وكان له في مملكة كيلان خمسة وعشرون سنة ، وعمر أربع وخمسين سنة ، وأوصى أن يحج عنه جماعة ففعل ذلك وخرج الركب في ثالث شوال وأميره سيف الدين سنقر الابراهيى وقاضيه محيى الدين قاضى الزبداني . وفي يوم الخميس سابع ذى القعدة قدم القاضى بدر الدين بن الحداد من القاهرة متوليا حسبة دمشق فخلع عليه عوضا عن فخر الدين سامان البهراوى ، عزل فسافر سرىا إلى البرية ليشتري خيلا للسلطان يقدمها رشوة على المنصب المذكور ، فاتفق موته في البرية في سابع عشر الشهر المذكور ، وحمل إلى بصرى ودفن بها عند أجداده في ثامن ذى القعدة ، وكان شابا حسنا كريم الاخلاق حسن الشكل . وفي أواخره مسك نائب صند بلبان طوباي المنصورى وسجن وتولى مكانه سيف الدين بلباسى البدرى . وفي سادس ذى الحجة تولى ولاية البر الامير علاء الدين على بن محمود بن معبد البعلبكي عوضا عن شرف الدين عيسى بن البركاسى ، وفي يوم عيد الاضحى وصل الامير علاء الدين بن صبيح من مصر وقد أفرج عنه فسلم عليه الامراء . وفي هذا الشهر أعيد أمين الملك إلى نظر النظار بمصر وخلع على الصاحب بهاء الدين النسائى بنظر الخزانة عوضا عن سعد الدين حسن بن الانقاصى . وفيه وردت البريدية بأمر السامان للجوش الشامية بالمسير إلى حلب وأن يكون مقدم العساكر كلها تنكز نائب الشام ، وقدم من مصر ستة آلاف مقاتل عليهم الامير سيف الدين بكنتمر الابوبكرى ، وفيهم تجليس وبدر الدين الوزبرى ، وكثلى وابن طيبرس وشاطى وابن سلاو وغيرهم ، فتقدموا إلى البلاد الحلبية بين يدي نائب الشام تنكز

ومن توفى فيها من الأعيان سودي نائب حلب في رجب
ودفن بتربته ، وهو الذى كان السبب فى إجراء نهر إليها ، غرم عليه ثلثمائة ألف درهم ، وكان
مشكور السيرة حميد الطريقة رحمه الله . وفى شعبان توفى
الصاحب شرف الدين
يعقوب بن مزهر و كان باراً بأهله وقرابته رحمه الله .

والشيخ رشيد أبو الفداء اسماعيل
أبو محمد القرشى الحنفى المعروف بابن المعلم ، كان من أعلام الفقهاء والمفتيين ، ولديه علوم شتى
وفوائد وفرائد ، وعند زهد وانقطاع عن الناس ، وقد درس بالبلخية مدة ثم تركها لولده وسار إلى
مصر فأقام بها ، وعرض عليه قضاء دمشق فلم يقبل ، وقد جاوز السبعين من العمر ، توفى سحر يوم
الأربعاء خامس رجب ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى . وفى شوال توفى . .
الشيخ سليمان التركمانى

المولود الذى كان يجلس على مصطبة بالمبنيين ، وكان قبل ذلك مقبياً بطهارة باب البريد ، وكان
لا يتعاشى من النجاسات ولا يتقبها ، ولا يصلى الصلوات ولا يأتئها ، وكان بعض الناس من المميج
له فيه عقيدة قاسدة المميج الرطاح الذين هم أتباع كل ناعق من الموليين والمجانين ، ويزعمون أنه
يكاشف وأنه رجل صالح ، ودفن بباب الصنوبر فى يوم كثير التلج .
وفى يوم عرفة توفيت .

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة

أم زينب فاطمة بنت عباس بن أبى الفتح بن محمد البغدادي بظاهر القاهرة ، وشهدها خلق
كثير ، وكانت من الملمات الفاضلات ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحدية
فى مواخاتهم للسوء والمردان ، وتنكر أحوالهم وأصول أهل البدع وغيرهم ، وتفعل من ذلك ما لا تقدر
عليه الرجال ، وقد كانت تھضر مجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية فاستفادت منه ذلك وغيره ،
وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم ، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر
كثيراً من الملقى أو أكثره ، وأنه كان يستعملها من كثرة مسائلها وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها ،
وهى التى ختمت نساء كثيرى القرآن ، منهن أم زوجتى عائشة بنت صديق ، زوجة الشيخ جمال الدين
المزى ، وهى التى أقرأت ابنتها زوجتى أمة الرقيم زينب رحمته الله وأكرمهن برحمته وجنته آمين .

ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبع مائة

استهلت والحكام فى البلاد المذكورون فى التى قبلها .

فتح ملطية

في يوم الاثنين مستهل المحرم خرج سيف الدين تنكز في الجيوش قاصداً ملطية وخرجت الاطلاب على راياتها وأبرزوا ما عندهم من العدد وآلات الحرب ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج مع الجيش ابن صصرى لأنه قاضى العساكر وقاضى قضاة الشامية ، فساروا حتى دخلوا حلب في الحادى عشر من الشهر ، ومنها وصلوا في السادس عشر إلى بلاد الروم إلى ملطية ، فشرعوا في محاصرتها في الحادى والعشرين من المحرم ، وقد حصنت ومنعت وغلقت أبوابها ، فلما رأوا كثرة الجيش نزل متولياً وقاضياً وطلبوا الأمان فأمنوا المسلمين ودخلوها ، فقتلوا من الأرمن خلقاً ومن النصارى وأسروا ذرية كثيرة ، وتعدى ذلك إلى بعض المسلمين وغنموا شيئاً كثيراً ، وأخذت أموال كثير من المسلمين ورجعوا عنها بعد ثلاثة أيام يوم الأربعاء رابع عشر من المحرم إلى عين ناب إلى مرج دابق ، وزينت دمشق ودقت البشائر . وفي أول صفر رحل نائب ملطية متوجهاً إلى السلطان . وفي نصف الشهر وصل قاضيا الشريف شمس الدين ومعه خلق من المسلمين من أهلها ، وفي بكرة نهار الجمعة سادس عشر ربيع الأول دخل تنكز دمشق وفي خدمته الجيوش الشامية والمصرية ، وخرج الناس الفرجة عليهم على العادة ، وأقام المصريون قليلاً ثم رحلوا إلى القاهرة . وقد كانت ملطية إقطاعاً للجوبان أطلقها له ملك التتر فاستناب بها رجلاً كردياً فتمدى وأساء وظلم ، وكان أهلها السلطان الناصر وأحبوا أن يكونوا من رعيته ، فلما ساروا إليها وأخذوها وقلعوا ما فعلوا فيها جاءها بعد ذلك الجوبان فمهرها ورد إليها خلقاً من الأرمن وغيرهم .

وفي التاسع عشر من هذا الشهر وصل إلينا الظهير بسك بكنتمر الحاجب وأيدغدى شقير وغيرهما وكان ذلك يوم الخميس مستهل هذا الشهر ، وذلك أنهم اتفقوا على السلطان فبلغته الخبر فسكهم واحتيط على أموالهم وحواصلهم ، وظهر لبكنتمر أموال كثيرة وأمتعة وأخشاب وحواصل كثيرة وقدم مجلس من القاهرة فاجتاز بدمشق إلى ناحية طرابلس ثم قدم سريراً ومعه الامير سيف الدين عمير نائب طرابلس تحت الحوطة ، ومسك بدمشق الامير سيف الدين بهادر آص المنصورى فحمل الاول إلى القاهرة ، وجعل مكانه في نيابة طرابلس كسنای ، وحمل الثانى وحزن الناس عليه ودعوا له . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من ربيع الآخر قدم عز الدين بن مبشر دمشق محتسباً وناظر الأوقاف وأنصرف ابن الحداد عن الحسبة ، وبهاء الدين عن نظار الأوقاف . وفي ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وقع حريق قبالة مسجد الشهابى داخل باب الصغير ، احترق فيه دكاكين ودور وأموال وأمتعة . وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة درس قاضى ملطية الشريف شمس الدين بالمدرسة الخاتونية البرانية عوضاً عن قاضى القضاة الحنفى البصرى ، وحضر عنده الأعيان ، وهو

رجل له فضيلة وخلق حسن ، كان قاضياً بملطية وخطيباً بها نحواً من عشرين سنة .
وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة أعيد ابن الحداد إلى الحسبة واستمر ابن مبشر ناظر
الأوقاف . وفي يوم الأربعاء تاسع جمادى الآخرة درس ابن مصرى بالاتبكية عوضاً عن الشيخ صفى
الدين الهندى . وفي يوم الأربعاء الآخر حضر ابن الزملى كاتى درس الظاهرية الجوانية عوضاً عن
الهندى أيضاً بحكم وفاته كما ستأتى ترجمته . وفي أواخر رجب أخرج الأمير آقوش نائب الكرك من
سجن القاهرة وأعيد إلى الإمرة . وفي شعبان توجه خمسة آلاف من بلاد حلب فأغاروا على بلاد
آمد ، وفتحوا بلدانا كثيرة ، وقتلوا وسبوا وعادوا سالمين ، وخسوا ماسبوا فبلغ سهم الخس أربعة آلاف
رأس وكسور . وفي أواخر رمضان وصل قرا سنقر المنصورى إلى بغداد ومعه زوجته الخاتون بنت
أبغا ملك التتر ، وجاء فى خدمته خربندا وأستاذته فى الفارة على أطراف بلاد المسلمين فلم يأذن له ،
ووثب عليه رجل فداوى من جهة صاحب مصر فلم يقدر عليه وقتل الفداوى . وفي يوم الأربعاء
سادس عشر رمضان درس بالمعادية الصغيرة الفقيه الامام نضر الدين محمد بن على المصرى المعروف
بابن كاتب قطلو بك ، بمقتضى نزول مدرستها كمال الدين بن الزملى كاتى له عنها ، وحضر عنده
القضاة والأعيان والخطيب وابن الزملى كاتى أيضاً . وفي هذا الشهر كملت عمارة القيسارية المعروفة
بالدهشة عند الوراقين واللبادين وسكنها التجار ، فتميزت بذلك أوقاف الجامع ، وذلك بمباشرة صاحب
شمس الدين . وفي ثامن شوال قتل أحمد الزوسى شهيد عليه بالمظالم من ترك الواجبات واستحلل
الجرمات واستهانته وتنقيصه بالكتاب والسنة ، فحكم المالكي بإراقة دمه وإن أسلم ، فاعتقل ثم قتل .
وفي هذا اليوم كان خروج الركب الشامى وأميره سيف الدين طقتمر وقاضيه قاضى ملطية . وحج فيه
قاضى حماة وحلب وماردين ومحيى الدين كاتب ملك الامراء تنكز وصهره نضر الدين المصرى .
ومن توفى فيها من الأعيان :

شرف الدين أبو عبد الله

محمد بن العدل حماد الدين محمد بن أبي الفضل محمد بن أبي الفتوح نصر الله بن المظفر بن أسعد
ابن حمزة بن أسد بن على بن محمد النيمى الدمشقى ابن القلانسى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة
وباشر بنظر الخصاص . وقد شهد قبل ذلك فى القيمة ثم تركها ، وقد ترك أولاداً وأولاداً ، توفى ليلة
السبت ثمانى عشر صفر ودفن بقاسيون .

الشيخ صفى الدين الهندى

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن محمد الاموى الشافى المتكلم ، ولد بالهند سنة أربع وأربعين
وسمائه ، واشتغل على جده لاه ، وكان فاضلاً ، وخرج من دهل فى رجب سنة سبع وستين فخرج

وجاور بمكة أشهراً ثم دخل اليمن فأعطاه ملكها المظفر أربعمائة دينار ، ثم دخل مصر فأقام بها أربع سنين ، ثم سافر إلى الروم على طريق أنطاكية فأقام إحدى عشرة سنة بقونية وبسيواس وخسا وبقيسارية سنة ، واجتمع بالقاضي سراج الدين فأكرمه ، ثم قدم إلى دمشق في سنة خمس وثمانين فأقام بها واستوطنها ودرس بالرواحية والدولعية والظاهرية والاتبكية وصنف في الأصول والكلام ، وتصدى للاشتغال والافتاء ، ووقف كتبه بدار الحديث الأشرفية ، وكان فيه بروسلة ، توفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر من صفر ودفن بمقابر الصوفية ، ولم يكن معه وقت موته سوى الظاهرية وبها مات ، فدرس بعده فيها ابن الزملكاني ، وأخذ ابن مصري الاتبكية.

القاضي المستند المعمر الرحلة

توفي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي الحاكم بدمشق ولد في نصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وسمع الحديث الكثير وقرأ بنفسه وتفقه وبرع ، وولى الحكم وحدث ، وكان من خيار الناس وأحسنهم خلقاً وأكثرهم مروءة ، توفي فجأة بعد مرجعه من البلد وحكمه بالجوزية ، فلما صار إلى منزله بالدير تغيرت حاله ومات عقيب صلاة المغرب ليلة الاثنين حادي عشر من ذي القعدة ، ودفن من القصد بقرية جده ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري

كان مقدماً في طائفته ، مات أبوه وعمره سنتان ، توفي في قرية لسرى جنادى الأولى .

الحاكم الفاضل البارع

بهاء الدين عبد السيد بن المهذب إسحاق بن يحيى الطيب الكحال المتشرف بالاسلام ، ثم قرأ القرآن جميعه لأنه أسلم على بصيرة ، وأسلم على يديه خلق كثير من قومه وغيرهم ، وكان مباركا على نفسه وعليهم ، وكان قبل ذلك ديان اليهود ، فهداه الله تعالى ، وتوفي يوم الاحد سادس جنادى الآخرة ودفن من يومه بسفح قاسيون ، أسلم على يدى شيخ الاسلام ابن تيمية لما بين له بطلان دينهم ومأم عليه وما بدلوه من كتابهم وحرفوه من الحكم عن مواضعه رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة

استهانت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها غير الحنبلي بدمشق فإنه توفي في السنة الماضية . وفي الحرم تكلمت تفرقة المثالات السلطانية بمصر بمقتضى إزالة الاجناد ، وعرض الجيش على السلطان ، وأبطال السلطان المكس بسائر البلاد القبلية والشامية . وفيه وقعت فتنة بين الحنابلة والشافعية بسبب العقائد ، وترافعوا إلى دمشق لحضروا بدار السعادة عند نائب السلطنة تنكر

فأصلح بينهم ، وانفصل الحال على خير من غير محاققة ولا تشويش على أحد من الفريقين ، وذلك يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم . وفى يوم الأحد سادس عشر صفر قرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزرع الحنبلى ، بقضاء الحنابلة والنظر بأوراقهم عوضا عن تقي الدين سليمان بحكم وفاته رحمه الله ، وتاريخ التقليد من سادس ذى الحجة ، وقرئ بالجامع الأموى بحضور القضاة والصاحب والاعيان ، ثم مشوا معه وعليه الخلمعة إلى دار السعادة فسلم على النائب وراح إلى الصالحية ، ثم نزل من الغد إلى الجوزية فحكم بها على عادة من تقدمه ، واستتاب بعد أيام الشيخ شرف الدين بن الحافظ . وفى يوم الاثنين سابع صفر وصل الشيخ كمال الدين بن الشريشى من مصر على البريد ومعه توقيع بمود الوكالة إليه ، فخلع عليه وسلم على النائب والخلمعة عليه . وفى هذا الشهر مسك الوزير عز الدين بن القلانسى واعتقل بالمندراوية وصودر بثمانين ألفا ثم أطلق له ما كان أخذ منه وانفصل من ديوان نظر الخاص . وفى ربيع الآخر وصل من مصر فضل ابن عيسى وأجرى له ولابن أخيه موسى بن مهنا إقطاعات صيدا ، وذلك بسبب دخول مهنا إلى بلاد النهر واجتماعهم بملكهم خر بنداً .

وفى يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن مصرى مشيخة الشيوخ بالسيساطية بسؤال الصوفية وطلبهم له من فائب السلطنة ، فحضرها وحضر عنده الأعيان فى هذا اليوم عوضا عن الشريف شهاب الدين أبى القاسم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحيم بن عبد الكريم ابن محمد بن على بن الحسن بن الحسين بن يحيى بن موسى بن جعفر الصادق ، وهو الكاشغرى ، توفى عن ثلاث وستين سنة ودفن بالصوفية . وفى جمادى الآخرة باشر بهاء الدين إبراهيم بن جمال الدين يحيى الحنفى المعروف بابن عليه وهو ناظر ديوان النائب بالشام نظر الدواوين عوضا عن شمس الدين محمد ابن عبد القادر الخطايرى الحاسب الكاسب توفى ، وقد كان مباشراً عدة من الجهات الكبار ، مثل نظر الخزانة ونظر الجامع ونظر المارستان وذير ذلك ، واستمر نظر المارستان من يومئذ بأيدي ديوان نائب السلطنة من كان ، وصارت عادة مستمرة . وفى رجب نزل صاحب حصن الأمير شهاب الدين قرطاي إلى نياحة طرابلس عوضا عن الأمير سيف الدين التركستانى بحكم وفاته ، وولى الأمير سيف الدين إرقطاي نياحة حصن ، وتولى نياحة الكرك سيف الدين طقطاي الناصرى عوضا عن سيف الدين تيبغا .

وفى يوم الأربعاء عاشر رجب درس بالنجيبية القاضي شمس الدين الدمشقى عوضا عن بهاء الدين يوسف بن جمال الدين أحمد بن الظاهرى المجهى الحلبي ، سبط الصاحب كمال الدين بن المديم ، توفى ودفن عند خاله ووالده بتربة المديم . وفى آخر شعبان وصل القاضي شمس الدين

ابن عز الدين يحيى الحراني أخو قاضي قضاة الخنازرة بمصر شرف الدين عبيد الغني ، إلى دمشق متوليا نظر الأوقاف بها عوضا عن صاحب عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن مبشر ، توفي في مستهل رجب بدمشق ، وقد باشر نظر الدواوين بها وبمصر ، والحسبة وبالسكندرية وغير ذلك ، ولم يكن يقي معه في آخر وقت سوى نظر الأوقاف بدمشق ، وقد قارب الثمانين ودفن بقاسيون .

وفي آخر شوال خرج الركب الشامي وأميرهم سيف الدين أرغون السلحدار الناصري الساكن عند دار الطراز بدمشق ، وحج من مصر سيف الدين الدوادار وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقد زار القدس الشريف في هذه السنة بعد وفاة ولده الخطيب جمال الدين عبد الله ، وكان قد رأس وعظم شأنه . وفي ذي القعدة سار الأمير سيف الدين تنكز إلى زيارة القدس فغاب عشرين يوما ، وفيه وصل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى دمشق من مصر وقد كان معتسلا في السجن فأطلق وأكرم وولى نيابة صفد فسار إليها بعد ما قضى أشغاله بدمشق ، ونقل القاضي حسام الدين القزويني من قضاء صفد إلى قضاء طرابلس ، وأعيدت ولاية قضاء صفد إلى قاضي دمشق فولى فيها ابن صهرى شرف الدين الهاوندي ، وكان متوليا طرابلس قبل ذلك ، ووصل مع بكتمر الحاجب الطواشي ظهير الدين مختار المعروف بالزرعي ، متوليا الخزانة بالقلمة عوضا عن الطواشي ظهير الدين مختار البلستين توفي .

وفي هذا الشهر أعقبت القعدة وصالت الأخبار بموت ملك التتر بندا محمد بن أرغون بن أبنا ابن هولاكوتان ، ملك العراق وخراسان وعراق المعجم والروم وأذربيجان والبلاذ الأرمينية وديار بكر . توفي في السابع والعشرين من رمضان ودفن بربطه بالمدينة التي أنشأها ، التي يقال لها السلطانية وقد جاوز الثلاثين من العمر ، وكان موصوفا بالكرم ومحبا للهو واللعب والهازل ، وأظهر الرفض ، أنام سنة على السنة ثم تحول إلى الرفض أقام شعائره في بلاده وحظي عنده الشيخ جمال الدين بن مطهر الحلي ، تلميذ نصير الدين الطوسي ، وأقطعه عدة بلاد ، ولم يزل على هذا المذهب الفاسد إلى أن مات في هذه السنة ، وقد جرت في أيامه فتن كبار ومصابب عظام ، فأراح الله منه العباد والبلاد ، وقام في الملك بعده والده أبو سعيد وله إحدى عشرة سنة ، ومدير الجيوش والممالك له الأمير جوبان ، واستمر في الوزارة على شاه التتريزي ، وأخذ أهل دولته بالمصادرة وقتل الأعيان ممن اتهمهم بقتل أبيه مسدوما ، ولعب كثير من الناس به في أول دولته ثم عدل إلى العدل وإقامة السنة ، فأمر بإقامة الخطبة بالتراضي عن الشيخين أولا ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم ، ففرح الناس بذلك وسكنت بذلك الفتن والشرور والقتال الذي كان بين أهل تلك البلاد وبهراة وأصبهان وبغداد وإربل وسواه وغير ذلك ، وكان صاحب مكة الأمير خيصة بن أبي نبي الحسني ، قد قصد ملك التتر بندا

لينصره على أهل مكة فساعدته الروافض هناك وجهزوا معه جيشا كثيفا من خراسان ، فلما مات خربندا بطل ذلك بالكلي ، وعاد خبيصة خائبا خاسئا . وفي صحبته أمير من كبار الروافض من النتر يقال له الدلقندي ، وقد جمع الخبيصة أموالا كثيرة ليقيم بها الرضا في بلاد الحجاز ، فوقع بهما الأمير محمد بن عيسى أخوهما ، وقد كان في بلاد النتر أيضا ومعه جماعة من العرب ، فقهرهما ومن كان معهما ، ونهب ما كان معهما من الأموال وحضرت الرجال ، وبلغت أخبار ذلك إلى الدولة الإسلامية فرضى عنه الملك الناصر وأهل دولته ، وغسل ذلك ذنبه عنده ، فاستدعى به السلطان إلى حضرته فحضر سامعا مطبعا ، فأكرمه نائب الشام ، فلما وصل إلى السلطان أكرمه أيضا ، ثم إنه استنقى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكذلك أرسل إليه السلطان يسأله عن الأموال التي أخذت من الدلقندي ، فأذنتهم أنها تصرف في المصالح التي يعود نفسها على المسلمين ، لأنها كانت منسوبة لاسناد الحق ونصرة أهل البدعة على السنة . ومن توفى فيها من الأعيان :

عز الدين الميشر ، والشهاب الكاشغري شيخ الشيوخ واليهام العجمي مدرس التجريبية . وفيها قتل خطيب المزة قتله رجل جبلي ضربه مناس اللحام في رأسه في السوق فبقى أياما ومات ، وأخذ القاتل فشنق في السوق الذي قتل فيه ، وذلك يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر ، ودفن هناك وقد جاوز الستين .

الشرف صالح بن محمد بن عربشاه
ابن أبي بكر الهمداني ، مات في جمادى الآخرة ودفن بقابر النيرب ، وكان مشهوراً بطيب القراءة وحسن السيرة ، وقد سمع الحديث وروى جزءاً .

ابن عرفصاحب التذكرة الكندية

الشيخ الامام المقرئ المحدث النحوي الأديب علاء الدين علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر ابن زيد بن هبة الله الكندي الاسكندراني ، ثم الدمشقي ، سمع الحديث على أزید من مائتي شيخ وقدرأ القراءات السبع ، وحصل علوماً جيدة ، ونظم الشعر الحسن الرائق الغائق ، وجمع كتباً في نحو من خمسين مجلداً ، فيه علوم جمة أكثرها أدبيات سماها التذكرة الكندية ، وقفها بالسميساطية وكتب حسناً وحسب جيداً ، وخدم في عدة خدم ، وولى مشيخة دار الحديث النفيسية في مدة عشر سنين وقرأ صحيح البخاري مرات عديدة ، وأسمع الحديث ، وكان يلوذ بشيخ الاسلام ابن تيمية ، وتوفي ببستان عند قبة المسجد ليلة الاربعاء سابع عشر رجب ، ودفن بالمزة عن ست وسبعين سنة .

الطواشي ظهير الدين محتار

البكندى الخزنदार بالقلمة وأحد أمراء الطباخانات بدمشق ، كان زكياً خبيراً فاضلاً ، يحفظ القرآن ويؤديه بصوت طيب ، ووقف مكتبة للايتام على باب قلعة دمشق ، ورتب لهم الكسوة

والجامكية ، وكان يمنحهم بنفسه ويفرح بهم ، وعمل تربة خارج باب الجابية ووقف عليها القريتين وبنى عندها مسجداً حسناً ووقفه بإمام وهي من أوائل ما عمل من القرب بذلك الخط ، ودفن بها في يوم الخميس عاشر شعبان رحمه الله ، وكان حسن الشكل والاخلاق ، عليه سكينه ووقار وهيبة وله وجاهة في الدولة ساعده الله . وولى بعده الخزانة بمهيه ظهير الدين مختار الزرعي .

الأمير بدر الدين

محمد بن الوزير ، كان من الامراء المقدمين ، ولديه فضيلة ومعرفة وخبرة ، وقد ناب عن السلطان بدار العدل مرة بمصر ، وكان حليج الميسرة ، وتكلم في الأوقاف وفيما يتعلق بالقضاة والمدرسين ، ثم نقل إلى دمشق فأت بها في سادس عشر شعبان ، ودفن بميدان الحمى فوق خان النجبي ، وخلف تركة عظيمة .

الشيخة الصالحة

سنت الوزراء بنت عمر بن أسعد بن المنجا ، راوية صحيح البخاري وغيره ، جازت التسعين سنة ، وكانت من الصالحات ، توفيت ليلة الخميس ثامن عشر شعبان ودفنت بقريةهم فوق جامع المظفرى بقاسيون .

القاضي محب الدين

أبو الحسن ابن قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، استنابه أبوه في أيامه وزوجه بأبنة الحاكم بأمر الله ، ودرس بالهارة ورأس بعد أبيه ، وكانت وفاته يوم الاثنين قاسع عشر رمضان ، وقد قارب الستين ، ودفن عند أبيه بالقرافة .

الشيخة الصالحة

سنت المنعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحارثية ، والدة الشيخ تقي الدين بن تيمية عمرت فوق السبعين سنة ، ولم ترزق بنتاً قط ، توفيت يوم الأربعاء بعام العشرين من شوال ودفنت بالصوفية وحضر جنازتها خلق كثير وجم غفير رحمه الله .

الشيخ نجم الدين موسى بن علي بن محمد

الجيلي ثم الدمشقي ، السكاتب الفاضل المعروف بابن البصيص ، شيخ صناعة الكتابة في زمانه لاسيما في المزوج والمثلث ، وقد أقام يكتب الناس خمسين سنة ، وأما من كتب عليه أتابه الله . وكان شيخاً حسناً بهي المنظر يشعر جيداً ، توفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة ودفن بمقابر الباب الصغير وله خمس وستون سنة .

الشيخ تقي الدين الموصللي

أبو بكر بن أبي الكرم شيخ القراءة عند محراب الصعابة ، وشيخ ميعاد ابن عامر مدة طويلة وقد انتفع الناس به نحو من خمسين سنة في التلحين والقراءات ، وختم خلقاً كثيراً ، وكان يقصد لذلك ويجمع تصديقات يقولها الصبيان ليألى ختمهم ، وقد سمع الحديث وكان خيراً ديناً ، توفي

ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد المقرئ

أبو عبد الله محمد بن الخطيب سلامة بن سالم بن الحسن بن يذوب الماليني ، أحد الصلحاء المشهورين بجامع دمشق ، مرمع الحديث وأقرأ الناس نحواً من خمسين سنة ، وكان يفصح الأولاد في الحروف الصعبة ، وكان مبتلى في فقه يحمل طاسة تحت فمه من كثرة ما يسيل منه من الريال وغيره وقد جاوز الثمانين بأربع سنين ، توفي بالمدرسة الصارمية يوم الأحد ثاني عشر ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير بالقرب من القندلاوى ، وحضر جنازته خلق كثير جداً نحواً من عشرة آلاف رحمه الله تعالى .

الشيخ الصدر بن الوكيل

هو العلامة أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام ، فقهى المسالين زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد المعروف بابن المرحل و بابن الوكيل شيخ الشافعية في زمانه ، وأشهرهم في وقته بالفضيلة وكثرة الاشتغال والمطالعة والتحصيل والافتنان بالعلوم العديدة ، وقد أجاد معرفة المذهب والأصليين ، ولم يكن بالنحو بذلك القوى ، وكان يقع منه اللحن الكثير ، مع أنه قرأ منه الفصل للزمخشري ، وكانت له محفوظات كثيرة ، ولدى شوال سنة خمس وستين وستائة ، وسمع الحديث على المشايخ من ذلك مسند أحمد على ابن علان ، والكتب الستة ، وقرأ عليه قطعة كبيرة من صحيح مسلم بدار الحديث عن الأمير الأربلى والعاصرى والمزى ، وكان يتكلم على الحديث بكلام مجموع من علوم كثيرة ، من الطب والفلسفة وعلم الكلام ، وليس ذلك بعلم ، وعلوم الأوائل ، وكان يكثر من ذلك ، وكان يقول الشعر جيداً ، وله ديوان مجموع مشتمل على أشياء لطيفة ، وكان له أصحاب يحسدونه ويحبونه ، وآخرون يحسدونه ويبغضونه ، وكانوا يتكلمون فيه بأشياء ويرمونه بالعظام ، وقد كان مسرفاً على نفسه قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش ، وكان ينصب العداوة للشيخ ابن تيمية وينظره في كثير من الحافل والمجالس ، وكان يعترف للشيخ تقي الدين بالعلوم الباهرة ويثني عليه ، ولكنه كان يحاف عن مذهبه وناحيته وهواه ، وينافح عن طائفته . وقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية يثني عليه وعلى علومه وقضائمه ويشهد له بالإسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة ، وكان يقول : كان مخطئاً على نفسه متبعاً لمراد الشيطان منه ، يميل إلى الشهوة والمخاضرة ، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممن يحسدونه ويتكلم فيه هذا أو ما هو في معناه . وقد درس بعدة مدارس بمصر والشام ، ودرس بدمشق بالشاميتين والعندراوية ودار الحديث الأشرفية وولى في وقت الخطابة أياماً يسيرة كما تقدم ، ثم قام الخلق عليه وأخرجوها من يده ، ولم يرق منبرها ، ثم خالط نائب السلطنة الأفرم فجرت له أمور لا يمكن ذكرها ولا يحسن من القبايح

ثم آل به الحال على أن هزم على الانتقال من دمشق إلى حلب لاستحوازه على قلب نائبها ، فأقام بها ودرس ، ثم تردد في الرسالة بين السلطان ومناصبه أوفون والطنبغا ، ثم استقر به المنزل بمصر ودرس فيها بمشهد الحسين إلى أن توفي بها بكرة نهار الأربعاء رابع عشر من ذي الحجة بداره قريباً من جامع الحسبك ، ودفن من يومه قريباً من الشيخ محمد بن أبي جرة بقرية القضاى فاطم الجليش بالقرافة ، ولما بلغت وفاته دمشق صلى عليه بجامعها صلاة الغائب بعد الجمعة ثالث المحرم من السنة الآتية ، ورواه جماعة منهم ابن غاتم علاء الدين ، والفججاذى والصدى ، لانهم كانوا من عشرته .

وفي يوم عرفة توفي الشيخ حماد الدين اسماعيل الفوعى

وكيل قجلايس ، وهو الذى بنى له الباشورة على باب الصغير بالبرانية الغربية ، وكانت فيه نهضة وكفاية ، وكان من بيت الرفض ، اتفق أنه استحضره نائب السلطنة فضر به بين يديه ، وقام النائب إليه بنفسه فجعل يضر به بالمهايزى وجهه فراح من بين يديه وهو تالف فأت فى يوم عرفة ، ودفن من يومه بسفح قاسيون وله دار ظاهر باب الفراديس .

ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبع مائة

استهلت والحكام المذكورون فى التى قبلها . وفى صفر شرع فى حجارة الجامع الذى أنشأه ملك الامراء تشكر نائب الشام ظاهر باب النعير تجاه حكر السماق ، على نهر بانياس بدمشق ، وتردد القضاة والمعلماء فى تعمر بركلته ، فاستقر الحال فى أمرها على ما قاله الشيخ تقي الدين بن تيمية فى يوم الأحد الخامس والعشرين منه ، وشرعوا فى بنائه بأمر السلطان ، ومساعدته لنائبه فى ذلك . وفى صفر هذا جاء سيل عظيم بمدينة بعلبك أهلك خلقاً كثيراً من الناس ، وخرب دوراً وعمائر كثيرة ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع وعشرين صفر .

وما خص ذلك أنه قبل ذلك جاءهم زلزال عظيم معهم برد ومطر ، فسالت الأودية ، ثم جاءهم بعده سيل هائل خسف من سور البلد من جهة الشمال شرق مقيدار أربعين ذراعاً ، مع أن سمك الحائط خمسة أذرع ، وحمل برجاً صحيحاً ومعه من جانبيه مدينتين ، فجعله كما هو حتى مر فخر فى الأرض نحو خمسمائة ذراع سعة ثلاثين ذراعاً ، وحمل السيل ذلك إلى غربى البلد ، لا يمر على شئ إلا أتلفه ، ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فأتلف ما يزيد على ثلثها ، ودخل الجامع فارتفع فيه على قامة ونصف ، ثم قوى على حائطه الغربى فأخر به وأتلف جميع ما فيه الحواصل والكتب والمصاحف وأتلف شيئاً كثيراً من رباغ الجامع ، وهلك تحت الهدم خلق كثير من الرجال والنساء والأطفال ، فاننا لله وإنا إليه راجعون . وفرق فى الجامع الشيخ على بن محمد بن الشيخ على الحريرى هو وجهاة معه من الفقهاء ، ويقال كان من جملة من هلك فى هذه السكينة من أهل بعلبك مائة وأربعة وأربعون

نفسا سوى الغرباء ، وجملة الدور التي خربها والحوانيت التي أتلغها نحو من ستمائة دار وحانوت ، وجملة البساتين التي جرف أشجارها عشرون بستانا ، ومن الطواحين ثمانية سوى الجامع والأميئية وأما الأماكن التي دخلها وأتلف ما فيها ولم تخرب فكثير جداً .

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة عظيمة لم يسمع بمثله من مسدد ، وغرق بلادا كثيرة ، وهلك فيها ناس كثير أيضا ، وغرق منية الديرج فهلك للناس فيها شيء كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي مستهل ربيع الآخر منها أغار جيش حلب على مدينة أمدقنيها وسبوا وعادوا سالمين . وفي يوم السبت التاسع وعشرين منه قدم قاضي المالكية إلى الشام من مصر وهو الامام السلامة نحر الدين أبو العباس أحمد بن سلامة بن أحمد بن أحمد بن سلامة الاسكندري المالكي ، على قضاء دمشق عوضا عن قاضيه ، القاضي جمال الدين الزاوي لضعفه واشتداد مرضه ، فالتقاء القضاة والأعيان ، وقرىء تقليده بالجامع ثاني يوم وصوله ، وهو مؤرخ بثاني عشر الشهر ، وقدم نائبه الفقيه نور الدين السخاوي درس بالجامع في جمادى الأولى ، وحضر عنده الاعيان ، وشكرت فضائله وعلومه ونزاهته وصرامته وديانته ، و بعد ذلك بتسعة أيام توفي الزاوي المعزول ، وقد باشر القضاء بدمشق ثلاثين سنة . وفيها أفرج عن الامير سيف الدين بهادر آص من سجن الكرك وحل إلى القاهرة وأكرمه السلطان ، وكان سجنه بها مطاوعة لاشارة نائب الشام بسبب ما كان وقع بينهما بعلطية . وخرج المحفل في يوم الخميس التاسع شوال ، وأمير الحج سيف الدين كجكني المنصوري . وعن حج قاضي القضاة نجم الدين ابن مصري وابن أخيه شرف الدين وكال الدين بن الشيرازي والقاضي جلال الدين الحنفي والشيخ شرف الدين بن تيمية وخلق . وفي سادس هذا الشهر درس بالجارضية القاضي جلال الدين محمد بن الشيخ كال الدين الشر يشني بعد وفاة الشيخ شرف الدين بن أبي سلام ، وحضر عنده الاعيان . وفي التاسع عشر منه درس ابن الزملاكني بالهنداوية عوضا عن ابن سلام ، وفيه درس الشيخ شرف الدين بن تيمية بالحنبلية عن إذن أخيه له بذلك بعد وفاة أخيهما لأمه بدر الدين قاسم بن محمد ابن خالد ، ثم سافر الشيخ شرف الدين إلى الحج ، وحضر الشيخ آق الدين الدرس بنفسه ، وحضر عنده خلق كثير من الاعيان وغيرهم حتى عاد أخوه ، وبعد عوده أيضا ، وجاءت الأخبار بأنه قد أبطلت الخنور والقواش كلها من بلاد السواحل وطرابلس وغيرها ، ووضعت مكوس كثيرة عن الناس هنالك ، و بنيت بقرى النصرية في كل قرية مسجد والله الحمد والمنة .

وفي بكرة نهار الثلاثاء الثامن والعشرين من شوال وصل الشيخ الامام العلامة شيخ السكناج شهاب الدين محمود بن ساجان الساماني إلى البزيرة من مصر إلى دمشق متوليا كتابة السربها ، عوضا عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله توفي إلى رحمة الله . وفي ذى القعدة يوم الأحد درس

بالصمصامية التي جددت للملكية وقد وقف عليها الصاحب فشمس الدين غبريال درسا ، ودرس بها فقهاء ، وعين تدرسها لنائب الحكم الفقيه نور الدين علي بن عبد البصير المالكي ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، ومن حضر عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان يمرره من اسكندرية ، وفيه درس بالدخورية الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد الكحال ، ورتب في رئاسة الطب عوضا عن أمين الدين سليمان الطيب ، بمرسوم نائب السلطنة تنكز ، واختاره لذلك . وافق أنه في هذا الشهر يجمع جماعة من التجار بمادين وانضاف إليهم خلق من الجنال من الغلا قاصدين بلاد الشام ، حتى إذا كانوا بمرحلتين من رأس العين لحقهم ستون فارسا من النصارى قتلوا عليهم بالشباب وقتلوا عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى صبيانهم نحو سبعين صبيا ، فقالوا من يقتل هؤلاء ؟ فقال واحد منهم : أنا بشرط أن تنفوني بال من الغنيمة ، فقتلوا كلهم عن آخرهم ، وكان جملة من قتل من التجار ستائة ، ومن الجفلان ثلثائة من المسلمين ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وردوا بهم خمس صهاريج هناك حتى امتلأت بهم رحمتهم الله ، ولم يسلم من الجميع سوى رجل واحد تركاني ، هرب وجاء إلى رأس العين فأخبر الناس بما رأى وشاهد من هذا الأمر الفظيع المؤلم الوجيع ، فاجتهد متسلم ديار بكر سويلى في طلب أولئك النصارى حتى أهلكهم عن آخرهم ، ولم يبق منهم سوى رجلين ، لا جمع الله بهم شملا ولا بهم مرحبا ولا أهلا ، أمين يارب العالمين .

صفة خروج المهدي الضال بأرض جبلة

وفي هذه السنة خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل معوه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله ، وفارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والارض ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وفارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد ، وخرج يكفر المسلمين ، وأن النصيرية على الحق ، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال ، وعين لكل إنسان منهم مقدمة ألف ، وبلادا كثيرة ونيابات ، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها ، وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي ، ولا حجاب إلا محمد ، ولا باب إلا سلمان . وسبوا الشيخين ، وصاح أهل البلد وإسلاماه ، واساطافاه ، وأميراه ، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجذ ، وجعلوا يكونون يتضرعون إلى الله عز وجل ، فجمع هذا الضال تلك الأموال قسمها على أصحابه وأتباعه فحببهم الله أجمعين . وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر للمسكنة البلاد كلها . ونادى في تلك البلاد إن المقامحة بالمشرك لا غير ليرغب فيه ، وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خارات ، وكانوا يقولون إن أسروهم من المسلمين : قل لا إله إلا علي ، واسجد لملك المهدي ، الذي يحيى ويميت حتى يحقن دمك ، ويكتب لك فرمان ، وتجهزوا وعملوا أمرا عظيما جدا ، فجرت إليهم العساكر

فهرموم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وجا فقيرا ، وقتل المردى أضلهم وهو يكون يوم القيامة مقبدهم إلى عذاب السمير ، كما قال تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم و يقبض كل شيطان مريدا ، كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السمير . ذلك بما قدمت يدك) الآية وفيها حج الأمير حسام الدين مهنا وولده سليمان في سنة آلاف ، وأخوه محمد بن عيسى في أربعة آلاف ، ولم يجتمع مهنا بأحد من المصريين ولا الشاميين ، وقد كان في المصريين قعجيس وغيره والله أعلم .

الشيخ الصالح

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله المنتزه ، كان فاضلا ، وكتب حسنا ، نسخ النبية والعمدة وغير ذلك ، وكان الناس ينفذون به ويقابلون عليه ذلك ويصححون عليه ، ويجلسون إليه عند صندوق كان له في الجامع ، توفي ليلة الاثنين سادس محرم ودفن بالصوفية ، وقد سمحت عليه في العمدة وغيره .

الشيخ شهاب الدين الرومي

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن المراغي ، درس بالعيلة ، وأم بحراب الحنفية بصودتهم الغربية إذ كان محرابهم هناك ، وتولى مشيخة اخطونية ، وكان يوم بنائب السلطان الاقفرم ، وكان يقرأ حسنا بصوت ملبح ، وكانت له مكانة عنده ، وربما راح إليه الاقفرم ماشيا حتى يدخل عليه زاويته التي أنشأها بالشرق الشمالي على الميدان الكبير ، ولما توفي بالمحرم ودفن بالصوفية قام ولداه عماد الدين وشرف الدين بوظائفه .

الشيخ الصالح العدل

فخر الدين عثمان بن أبي الوفا بن نعمة الله الأعزازي ، كان ذا ثروة من المال كثير المروءة والبلاوة أدى الأمانة في ستين ألف دينار وجواهر لا يعلم بها إلا الله عز وجل ، بعد مائة صاحبها مجردا في الفزاة وهو عز الدين الجراحي نائب غزة ، أودعه إياها فأداها إلى أهلها أنابه الله ، ولهذا لما مات يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر حضر جنازته خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى ، حتى قيل إنهم لم يجتمعوا في مثلها قبل ذلك ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

قاضي القضاة

جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن يوسف الزواوي قاضي المالكية بدمشق ، من سنة سبع وثمانين وستمائة ، قدم مصر من المغرب واشتغل بها وأخذ عن مشايخها منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم قدم دمشق قاضيا في سنة سبع وثمانين وستمائة ، وكان مولده تقريرا في سنة تسع وعشرين وستائة . وأقام شعار مذهب مالك وعمر الصمصامية في أيامه وجدد عمارة النورية ، وحدث

إصحيح مسلم وموطأ مالك عن يحيى بن يحيى عن مالك ، وكتاب الشفا للقاضي عياض ، وهزل قبل وفاته بعشرين يوماً عن القضاء ، وهذا من خبره حيث لم يمت قاضياً ، توفي بالمدرسة الصمصامية يوم الخميس التاسع من جمادى الآخرة ، وصلى عليه بعد الجمعة ودفن بقابر باب الصغير تجاه مسجد التاريخ ، وحضر الناس جنازته وأثنوا عليه خيراً ، وقد جاوز الثمانين كلاًك رحمه الله . ولم يبلغ إلى سبعة عشر من عمره على مقتضى مذهبه أيضاً .

القاضي الصدر الرئيس

رئيس الكتاب شرف الدين أبو محمد عبد الوهاب بن جمال الدين فضل الله بن الحلبي القرشي العدوي المديري ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة وسمع الحديث وخدم وارتفعت منزلته حتى كتب الانشاء بمصر ، ثم نقل إلى كتابة السر بدمشق إلى أن توفي في ثامن رمضان ، ودفن بقاسيون ، وقد قارب التسعين ، وهو منجم بحواسه وقواه ، وكانت له عقيدة حسنة في العلماء ولا سيما في ابن تيمية وفق الصالحاء رحمه الله . وقد رثاه الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ، وعلاء الدين بن غانم وجمال الدين بن نباتة .

الفقيه الامام العالم المناظر

شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن الامام كمال الدين علي بن إسحاق بن سلام الدمشقي الشافعي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل ودرس بالجارودية والمناوذة ، وأعاد الظاهرية وأفتى بدار العدل ، وكان واسع الصدر كثير المهمة كريم النفس مشكوراً في فهمه وخطه وحفظه ونصاحته ومناظرته ، توفي في رابع عشرين رمضان وترك أولاداً وديناراً كثيراً ، فوفته عنه زوجته بنت زوزان تقبل الله منها وأحسن إليها .

الصاحب انيس الملوك

بدر الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الأربلي ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، واشتغل بالأدب فحصل على جانب جيد منه وارتزق عند الملوك به . فن رقيق شعره ما أورده الشيخ علم الدين في ترجمته قوله :

ومدامةً خمر تشبه خذ من • أهوى ودمي يسقى بها قرا

أهز على من ممي ومن بصري ^(١)

وقوله في مغنية

وهز بزة هيفاء فاعمة الصبا • طوح العناقر مريضة الأجفان

غنت ومانس قوامها فكانها ال • ورفاء تسجع فوق حصن البان

(١) بياض بالنسخ التركية والمصرية .

الصدر الرئيس شرف الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم

ابن شرف الدين عبد الرحمن بن أمين الدين سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صغرى ، ذهب إلى الحجاز الشريف ، فلما كانوا يبردى اعتراه مرض ولم يزل به حتى مات ، توفي بمكة وهو محرم ملب ، فشهد الناس جنازته وغبطوه بهذه الموتة ، وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار سابع ذى الحجة ودفن ضحى يوم السبت بمقبرة بباب الحجون رحمه الله تعالى وأكرم مثواه.

ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبع مائة

الخليفة والسلطان هماهما ، وكذلك النواب والقضاة سوى المالكي بدمشق فانه العلامة نفي الدين ابن سلامة بعد القاضي جمال الدين الزواوى رحمه الله . ووصلت الأخبار في الحرم من بلاد الجزيرة وبلاد الشرق سنجان والموصل وماردين وتلك النواحي بغلاء عظيم وفناء شديد ، وقلة الأمطار ، وخوف التتار ، وعدم الأقوات وغلاء الأسمار ، وقلة التفتقات ، وزوال النعم ، وحلول النقم ، بحيث إنهم أكلوا ما وجدوه من الجمادات والحيوانات والميتات ، وباعوا حتى أولادهم وأهاليهم ، فبيس الولد بخمسين درهما وأقل من ذلك ، حتى إن كثيرا كانوا لا يشترون من أولاد المسلمين ، وكانت المرأة تصرح بأنها نصرانية ليشتري منها ولدها لتنتفع بشئ منه ويحصل له من يطعمه فيعيش ، وتأمين عليه من الهلاك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ووقعت أحوال صعبة يطول ذكرها ، وتلبو الأسباع عن وصفها ، وقد ترحلت منهم فرقة قريب الأربعمائة إلى ناحية مراغة فسقط عليهم تلج أهلهم عن آخرهم ، وصحبت طائفة منهم فرقة من التتار ، فلما انتهوا إلى عقبة صعدوا التتار ثم منوم أن يصعدوها لثلاث تكلفوا بهم فأتوا عن آخرهم ، فلاحول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم .

وفي بكرة الاثنين السابع من صفر قدم القاضي كريم الدين عبد الكريم بن العلم هبة الله وكيل الخالص الساطاني بالبلاد جميعها ، قدم إلى دمشق فنزل بدار السعادة وأقام بها أربعة أيام وأمر ببناء جامع القبيبات ، الذي يقال له جامع كريم الدين ، وراح لزيارة بيت المقدس ، وتصدق بصدقات كثيرة وافرة ، وشرع ببناء جامع بعد سفره . وفي ثاني صفر جاءت ريح شديدة ببلاد طرابلس على ذوق تركان فأهلكتهم كثيرا من الأمتعة ، وقتلت أميراً منهم يقال له طرالى وزوجته وابنتيه وابنى ابنتيه وجاريته وأحد عشر نفساً ، وقتلت جمالا كثيرة وغيرها ، وكسرت الأمتعة والأثاث وكانت ترفع البير في الهواء مقدار عشرة أرماع ثم تلقيه مقطعا ، ثم سقط بعد ذلك مطر شديد وبرد عظيم بحيث أتلف زروعا كثيرة في قرى عديدة نحو من أربعمائة وعشرين قرية ، حتى إنها لا ترد بدارها . وفي صفر أخرج الأمير سيف الدين طغاي الحاصل إلى نيابة صفت فأقيم بها شهرين مسك ، والصاحب أمين الدين إلى نظر الأوقاف بطرابلس على معلوم وافر . قال الشيخ علم الدين

وفي يوم الخميس منتصف ربيع الأول اجتمع قاضي القضاة شمس الدين بن مسلم بالشيخ الامام العلامة تقي الدين بن تيمية وأشار عليه في ترك الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق ، فقبل الشيخ نصيحته وأجاب إلى ما أشار به ، رعاية لخاطره وخواطر الجماعة المفتيين ، ثم ورد البريد في مستهل جمادى الأولى بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين من الافتاء في مسألة الحلف بالطلاق وانهقد بذلك مجلس ، وانفصل الحال على ما رسم به السلطان ، ونودي به في البلد ، وكان قبل قدوم المرسوم قد اجتمع بالفاضل ابن مسلم الحنبلي جماعة من المفتيين الكبار ، وقالوا له أن ينصح الشيخ في ترك الافتاء في مسألة الطلاق ، فعلم الشيخ نصيحته ، وأنه إنما قصد بذلك ترك ثوران فتنة وشر . وفي عاشره جاء البريد إلى صفت بمسك سيف الدين طغاي ، وتولية بدر الدين القرمانى نيابة حمص .

وفي هذا الشهر كان مقتل رشيد الدولة فضل الله بن أبي الخير بن علي الحمداني ، كان أصله يهوديا عطاراً ، فتقدم بالطب وشملته السعادة حتى كان عند خربندا الجزء الذي لا يتجزأ ، وعلمت رتبته وكنيته ، وتولى مناصب الوزراء وحصل له من الأموال والاملاك والسعادة مالا يحصى ولا يوصف وكان قد أظهر الاسلام ، وكانت لديه فضائل جمّة ، وقد فسر القرآن وصنف كتباً كثيرة ، وكان له أولاد وثروة عظيمة ، وبلغ الثمانين من العمر ، وكانت له يد جيدة يوم الرحبة ، فانه صانع عن المسلمين وأتقن القضية في رجوع ملك التتار عن البلاد الشامية ، سنة ثلثي عشرة كما تقدم ، وكان ينصح الاسلام ، ولكن قد نال منه خاف كثير من الناس واتهموه على الدين وتكلموا في تفسيره هذا ، ولا شك أنه كان مخبطاً مخاطماً ، وليس لديه علم نافع ، ولا عمل صالح . ولما تولى أبو سعيد المملوك عزله وبقى مدة خالاً ثم استدعاه جوبان وقال له أنت سقيت السلطان خربندا سما ؟ فقال له : أنا كنت في غاية الحفاقة والذلة ، فحضرت في أيامه وأيام أبيه في غاية العظمة والعزة ، فكيف أعمد إلى سقيه والحالة هذه ؟ فأحضرت الأطباء فذكروا صورة مرض خربندا وصفته ، وأن الرشيد أشار باسمه لما عنده في بطنه من الحواصل ، فانطلق بطنه نحواً من سبعين مجلساً ، فأت بذلك على وجه أنه أخطأ في الطب . فقال : فأنت إذا قتلتني ، فقتله وولده إبراهيم واحتبط على حواصله وأمواله ، فبلغت شيئاً كثيراً ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل جزء منها إلى بلدة ، ونودي على رأسه بتبريز هذا رأس البرهودي الذي بدل كلام الله لعنه الله ، ثم أحرقت جثته ، وكان القائم عليه على شاه .

وفي هذا الشهر - أعنى جمادى الأولى - تولى قضاء المالكية بمصر تقي الدين الاخنائي عوضاً عن زين الدين بن مخلوف توفي عن أربع وثمانين سنة ، وله في الحكم ثلاث وثلاثون سنة . وفي يوم الخميس عاشر رجب ابس صلاح الدين يوسف بن الملك الأوحى خلعاً الامرة بمرسوم السلطان ،

وفي آخر رجب جاء سيل عظيم بظاهر حمص خرب شيئا كثيرا ، وجاء إلى البلد لينخلها فنعمه الخندق . وفي شعبان تكامل بناء الجامع الذي عمره تنكز ظاهر باب النصر ، وأقيمت الجمعة فيه عاشر شعبان ، وخطب فيه الشيخ نجم الدين علي بن داود بن يحيى الحنفي المروف بالقججزي ، من مشاهير الفضلاء ذوي الفنون المتعددة ، وحضر نائب السلطنة والقضاة والأعيان والقراء والمشدون وكان يوماً مشهوداً . وفي يوم الجمعة التي يليها خطب بمجامع القبيبات الذي أنشأه كريم الدين وكيل السلطان ، وحضر فيه القضاة والأعيان ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحراتي الأسدي الحنبلي ، وهو من الصالحين الكبار ، ذوي الزهادة والعبادة والانسك والتوجه وطيب الصوت وحسن السميت . وفي حادي عشر رمضان خرج الشيخ شمس الدين ابن النقيب إلى حمص حاكماً بها مطلوباً مولى مرغوباً فيه ، وخرج الناس لتوديعه .

وفي هذا الشهر حصل سيل عظيم بسمية ومثله بالشوبك ، وخرج الحمل في شوال وأمير الركب الأمير علاء الدين بن معبد وإلى البر ، وقاضيه زين الدين ابن قاضي الخليل الحاكم بحلب . ومن حجب في هذه السنة من الأعيان : الشيخ برهان الدين الفزاري وكال الدين ابن الشريشي وولده وبدر الدين ابن المطار . وفي الحادي والعشرين من ذي الحجة انتقل الأمير نضر الدين إياس الأسدي من شد الدواوين بدمشق إلى طرابلس أميراً . وفي يوم الجمعة السابع عشر ذي الحجة أقيمت الجمعة في الجامع الذي أنشأه صاحب شمس الدين غدير يال فاخر الدواوين بدمشق خارج باب شرق ، إلى جانب ضراب بن الأزور بالقرب من حلة القباطية ، وخطب فيه الشيخ شمس الدين محمد بن التدمري المعروف بالنيرباني ، وهو من كبار الصالحين ذوي العبادة والزهادة ، وهو من أصحاب شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضره صاحب المذكور وجماعة من القضاة والأعيان .

وفي يوم الاثنين والعشرين من ذي الحجة باشر الشيخ شمس الدين محمد بن عثمان الذهبي المحدث الحافظ بقرية أم الصالح عرضاً عن كال الدين بن الشريشي توفي بطريق المعجاز في شوال ، وقد كان له في مشيخته ثلاث وثلاثون سنة ، وحضر عند الذهبي جماعة من القضاة . وفي يوم الثلاثاء صبيحة هذا الدرس أحضر الفقيه زين الدين بن عبيدان الحنبلي من بعلبك وحرق على منام رآه زعم أنه رآه بين النائم واليقظان ، وفيه تمليط وتخييط وكلام كثير لا يصدر عن مستقيم المزاج ، كان كتبه بخطه وبمنه إلى بعض أصحابه ، فاستلمه القاضي الشافعي وسقن دمه وعزره ، وتودى عليه في البلد ومنع من التزوي وعزود الأنكحة ، ثم أطلق . وفي يوم الاربعاء بكرة باشر بدر الدين محمد بن بضهان شيخنا الاقواء بقرية أم الصالح عرضاً عن الشيخ محمد الدين التواني توفي ، وحضر عنده الأعيان الفضلاء ، وقد حضرته يومئذ ، وقبل ذلك باشر مشيخة الاقواء بالاشرفية عرضاً عنه أيضا الشيخ

محمد بن خروف الموصلي . وفي يوم الخميس ثالث عشر من ذي الحجة باشر الشيخ الامام العلامة الحافظ الحجة شيخنا ومفيدنا أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف المزي مشيخة دار الحديث الاشرقية عوضا عن كمال الدين بن الشريشي ، ولم يحضر عنده كبير أحد ، لما تقي نفوس بعض الناس من ولايته لذلك ، مع أنه لم يتولها أحدا قبله أحق بها منه ، ولا أحفظ منه ، وماعليه منهم ؟ إذ لم يحضروا عنده فانه لا يوحشه إلا حضورهم عنده ، وبعدم عنه أنس والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الصالح العابد الناسك

الورع الزاهد القدوة بقية السلف وقدة الخلف أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح عمر بن السيد القدوة الناسك الكبير العارف أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام الباسي ، ولد سنة خمسين وستمائة ببالس ، ومعه من أصحاب ابن طبرزد ، وكان شيخنا جليلا بشوش الوجه حسن السميت ، مقصدا لسلك أحد كثير ، الوار عليه سبيل العبادة والخير ، وكان يوم قازان في جملة من كان مع الشيخ تقي الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان ، فحكى عن كلام شيخ الاسلام تقي الدين لقازان وشجاعته وجراته عليه ، وأنه قال لقرجانه قل للقان : أنت تزعم أنك مسلم ومك ، وذنون وقاضي وإمام وشيخ على ما بلغنا ففزعونا وبانت بلادنا على ماذا ؟ وأبوك وجدك هلاكو كنا كافرين وما غزوا بلاد الاسلام ، بل عاهدوا قومنا ، وأنت عاهدت ففدرت وقتت فما وفيت . قال وجرت له مع قازان وقطلو شاه وبولاي أمور ونوب ، قام ابن تيمية فيها كلها لله ، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل . قال وقرب إلى الجماعة طامعا فأكلوا منه إلا ابن تيمية فقل له ألا تأكل ؟ فقال : كيف آكل من طعامكم وكما نهيتهم من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ، قال ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه « اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد ، وإن كان إنما قام رياء ومهمة وطلب الدنيا ولنكون كلمته هي العليا وليذل الاسلام وأهله فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره » قال وقازان يؤمن على دعائه ، ويرفع يديه . قال فجعلنا جميع ثيابنا خوفا من أن تنلوت بدمه إذا أمر بقتله . قال فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة نجم الدين ابن صصري وغيره : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ، فقال : وأنا والله لا أصحبكم . قال فانطلقنا عسبة وتأخره في خاصة نفسه ومعه جماعة من أصحابه ، فقسامت به الخواقين والأمرأ من أصحاب قازان فأنوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر إلى دمشق ، وينظرون إليه ، قال والله ما وصل إلى دمشق إلا في نحو ثلثمائة فارس في ركابه ، وبكنت أنا من جملة من كان معه ، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر فشاحوم عن آخرهم ، هذا الكلام أو نحوه ، وقد سمعت هذه الحكاية من جماعة غيره ، وقد تقدم ذلك . توفي الشيخ محمد بن قوام ليلة الاثنين

الثاني والعشرين من صفر بالزاوية المعروفة بهم غربى الصالحية والناصرية والعادلية ، وصلى عليه بها ودفن بها وحضر جنازته ودفنه خلق كثير وجم غفير ، وكان في جملة الجمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، لأنه كان يحبه كثيرا ، ولم يكن للشيخ محمد مرتب على الدولة ولا غيرهم ، ولا لزاويته مرتب ولا وقف ، وقد عرض عليه ذلك غير مرة فلم يقبل ، وكان يزار ، وكان لديه علم وفضائل جمّة ، وكان فهمه صحيحا ، وكانت له معرفة تامة ، وكان حسن العقيدة وطويته صحيحة محبا للحديث وآثار السلف ، كثير التلاوة والجمعية على الله عز وجل ، وقد صنف جزءا فيه أخبار جيدة ، رحمه الله وبلى ثراه بوابل الرحمة آمين .

الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر المعجيد

تقى الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ أحمد بن تمام بن حسان البلي ثم الصالحى الحنبلى ، أخو الشيخ محمد بن تمام ، ولد سنة خمس وثلاثين وستمائة وسمع الحديث ، وصحب الفضلاء ، وكان حسن الشكل والخلق ، طيب النفس مليح الجاورة والمجالسة ، كثير المفاخرة ، أقام مدة بالحجاز واجتمع بابن سبعين وبالتقى الحوراني ، وأخذ النحو عن ابن مالك وابنه بدر الدين وصحبه مدة ، وقد صحبه الشهاب محمود مدة خمسين سنة ، وكان يثنى عليه بالزهد والفراغ من الدنيا ، توفي ليلة السبت الثالث من ربيع الآخر ودفن بالسفح ، وقد أورد الشيخ علم الدين البر زالى فى ترجمته قطعة من شعره :

أَسْكَانَ الْمَاهِرِ مِنْ فَوَادَى * لَسْتُ فِي خَافَتِهِ مِنْهُ سَكُونُ
أَكْرُرُ فِيكُمْ أَبَدًا حَدِيثِي * فَيَحِلُّو وَالْحَدِيثُ لَهُ شَجُونُ
وَأَنْظُمُهُ حَقِيقًا مِنْ دُمُوعِي * فَتَنْثَرُهُ الْمَاجِرُ وَالْجَفُونُ
وَأَبْتَكِرُ الْمَعَانِي فِي هَوَاكُمُ * وَفِيكُمْ كُلُّ قَافِيَةٍ تَهُونُ
وَاسْتَلُّ عَنْكُمْ الْبِكَاءَ سِرًّا * وَسِرُّ هَوَاكُمُ سِرُّ مَصُونُ
وَأَغْتَبِقُ النَّسِيمَ لِأَنِّ فِيهِ * شِمَائِلَ مِنْ مَعَاطِفِكُمْ تَبِينُ
فَكُمُ لِي فِي مَحَبَّتِكُمْ غَرَامٌ * وَكُمُ لِي فِي الْغَرَامِ بِكُمْ فَنُونُ؟

قاضي القضاة زين الدين

على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النوبرى المالكي الحاكم بالديار المصرية ، سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل وحصل ، وولى الحكم بعد ابن شاش سنة خمس وثمانين ، وطالت أيامه إلى هذا العام ، وكان فزير المروءة والاحتمال والاحسان إلى الفقهاء والشهود ، ومن يقصده ، توفي ليلة الأربعاء بعام حادى عشر جمادى الآخرة ودفن بسفح المقطم بمصر ، وتولى الحكم بعده بمصر تقي الدين الاخضائى المالكي .

الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء

المقرى الصيت المشهور المعروف بابن شعلان ، وكان رجلاً جيداً في شهود المساهرة ، ويقصد للفتات لصيت صوته ، توفي يوم الجمعة وهو كمل ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن بسفح قاسيون الشيخ الامام العالم الزاهد

أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي جعفر أحمد بن خلف بن إبراهيم ابن أبي عيسى بن الحاج النجيبى القرطبي ثم الاشبيلي ، ولد بأشبيلية سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وقد كان أهله بيت العلم والخطابة والقضاء بمدينة قرطبة ، فلما أخذها الفرنج انتقلوا إلى إشبيلية وتممعت أموالهم وكتبهم ، وصادر ابن الأحمر جده القاضي بعشرين ألف دينار ، ومات أبوه وجده في سنة إحدى وأربعين وستمائة ، ونشأ يتيماً ثم حج وأقبل إلى الشام فاستقام بدمشق من سنة أربع وثمانين ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وكتب بيده نحواً من مائة مجلد ، إعانة لولديه أبي عمرو وأبي عبد الله على الاشتغال ، ثم كانت وفاته بالمدرسة الصلاحية يوم الجمعة وقت الأذان ثامن عشر رجب ، وصلى عليه بعد العصر ودفن عند القندلاوى ، بباب الصغير بدمشق ، وحضر جنازته خلق كثير .

الشيخ كمال الدين ابن الشريشي

أحمد ابن الامام العلامة جمال الدين بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن سحمان البكرى الوايل الشريشى ، كان أبوه مالكيًا كما تقدم ، واشتغل هو في مذهب الشافعى فبرع وحصل علوماً كثيرة ، وكان خبيراً بالكتابة مع ذلك ، وسمع الحديث وكتب الطباقي بنفسه ، وأفق ودرس وناظر وياشر بعدة مدارس ومناصب كبار ، أول ما ياشر مشيخة دار الحديث بقربة أم الصالح بعد والده من سنة خمس وثمانين وستمائة إلى أن توفي ، وناب في الحكم عن ابن جماعة . ثم ترك ذلك وولى وكالة بيت المال وقضاء العسكر ونظر الجامع صرات ، ودرس بالشامية البرانية ودرس بالناصرية عشرين سنة ، ثم انتزعها من يده ابن جماعة وزين الدين الفارقي ، فاستعادها منها وياشر مشيخة الرباط الناصرى بقاسيون مدة ، ومشيخة دار الحديث الأشرفية ثمان سنين ، وكان مشكور السيرة فيما يولى من الجهات كلها ، وقد عزم في هذه السنة على الحج فخرج بأهله فأدركته منيته بالحسا في سلخ شوال من هذه السنة ، ودفن هناك رحمه الله ، وتولى بعده الوكالة جمال الدين بن القلانسي ، ودرس بالناصرية كمال الدين بن الشيرازي ، ودار الحديث الأشرفية الحافظ جمال الدين المزى ، وبأم الصالح الشيخ شمس الدين الذهبي ، وبالرباط الناصرى ولده جمال الدين .

الشهاب المقرى

أحمد بن أبي بكر بن أحمد البغدادي نقيب الأشراف المتعممين ، كان عنده فضائل جمة نثراً

ونظماً مما يناسب الوقائع وما يحضر فيه من التهاى والتمازى ، ويعرف الموصى والشعبذة ، وضرب الرمل ، ويحضر المجالس المشتملة على اللهو والمسكر والعب والبسط ، ثم انقطع عن ذلك كله لكبر سنه وهو مما يقال فيه وفي أمثاله :

ذهبتُ عن توبتِ سائلاً * وجدتها توبةً إفاًس

وكان مولده بدمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتوفى ليلة السبت خامس ذى القعدة ودفن بمقابر باب الصغير فى قبر أعده لنفسه عن خمس وثمانين سنة ، ساءحه الله .

قاضي القضاة فخر الدين

أبو العباس أحمد بن تاج الدين أبي الخير سلامة بن زين الدين أبي العباس أحمد بن سلام الاسكندري المالكي ، ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وبرع فى علوم كثيرة ، وولى نيابة الحكم فى الاسكندرية فحدث سيرته وديانته وصرامته ، ثم قدم على قضاء الشام للمالكية فى السنة الماضية فبأمرها أحسن مباشرة سنة ونصف ، إلى أن توفى بالصمصامية بكوة الأربعاء مستهل ذى الحجة ، ودفن إلى جانب القنطرة لاوى بباب الصغير ، وحضر جنازته خلق كثير ، وشكروه الناس وأثنوا عليه رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعائة

استهلت والحكام هم المذكورون فى التى قبلها ، وفى ليلة مستهل محرم هبت ريح شديدة بدمشق سقط بسببها شئ من الجدران ، واقتلعت أشجاراً كثيرة . وفى يوم الثلاثاء سادس عشر من المحرم خضع على جمال الدين بن القلانسي بوكالة بيت المال عوضاً عن ابن الشريشى ، وفى يوم الأربعاء الخامس من صفر درس بالناصرية الجوانية ابن صصرى عوضاً عن ابن الشريشى أيضاً ، وحضر عنده الناس على المادة . وفى عاشره بأمر شد الدواوين جمال الدين أقوش الرحى عوضاً عن فخر الدين إياس ، وكان أقوش متولى دمشق من سنة سبع وسبعائة ، وولى مكانه الأمير علم الدين طرقة السالكين بالعقبة ، وفى هذا اليوم نودى بالبلد بصوم الناس لأجل الخروج إلى الاستسقاء ، وشرع فى قراءة البخارى ونهى الناس ودعوا عقيب الصلوات وبعد الخطب ، وابتلوا إلى الله فى الاستسقاء ، فلما كان يوم السبت منتصف صفر ، وكان سابع نيسان ، خرج أهل البلد برمتهم إلى عند مسجد القدم ، وخرج نائب السلطنة والأمراء مشاة يبتكون ويتضرعون ، واجتمع الناس هنالك وكان مشهداً عظيماً ، وخطب بالناس القاضي صدر الدين سليمان الجعفرى وأمن الناس على دعائه ، فلما أصبح الناس من اليوم الثانى جاءهم الغيث بإذن الله ورحته وأرقته لا يهولهم ولا يقوتهم ، ففرح الناس فرحاً شديداً وعم البلاد كلها والله الحمد والمنة ، وحده لا شريك له . وفى أواخر الشهر شرعوا بإصلاح رخام الجامع وترميمه وحلى أبوابه وتحسين ما فيه . وفى رابع عشر ربيع الآخر درس بالناصرية

الجوانية ابن الشيرازي بتوقيع سلاطاني ، وأخذها من ابن مصري وباشرها إلى أن مات . وفي يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى باشر ابن شبيب السلامة نضر الدين أخو ناطر الجيش الحسبة بدمشق عوضا عن ابن الحداد ، وباشر ابن الحداد ناطر الجامع بدلا عن ابن شيخ السلامة ، وخلع على كل منهما .

وفي بكرة الثلاثاء خامس جمادى الآخرة قدم من مصر إلى دمشق قاضي القضاة شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر بن الشيخ زكي الدين ظافر الحمداني المالكي ، على قضاء المالكية بالشام ، عوضا عن ابن سلامة توفي ، وكان بينهما ستة أشهر ، ولكن تقليد هذا مؤرخ بأخر ربيع الأول ، ولبس الخلعة وقرئ تقليده بالجامع . وفي هذا الشهر درس بالخانوية البرانية القاضي بدر الدين بن توبة الحنفي ، وهرده خمس وعشرون سنة ، عوضا عن القاضي شمس الدين محمد قاضي ملطية توفي . وفي يوم السبت خامس رمضان وصل إلى دمشق سيل عظيم أئلف شيتنا كثيرا ، وارتفع حتى دخل من باب الفرج ، ووصل إلى العقبة ، وانزعج الناس له ، وانتقلوا من أماكنهم ، ولم تطل مدته لأن أصله كان مطرا وقع بأرض وابل السوق والحسبية . وفي هذا اليوم باشر طرقتي شد الدواوين بد موت جمال الدين الرحبي ، وباشر ولاية المدينة صارم الدين الجوكندار ، وخلع عليهما . ولما كان يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان اجتمع القضاة وأعيان الفقهاء عند نائب السلطنة بدار السادة وقرئ عليهم كتاب من السلطان يتضمن منع الشيخ تقي الدين بن تيمية من الفتيا بمسألة الخلائق ، وانفصل المجلس على تأكيد المنع من ذلك . وفي يوم الجمعة تاسع شوال خطب القاضي صدر الدين الهاراني عوضا عن بدر الدين ابن ناصر الدين بن عبد السلام ، بجامع جراح ، وكان فيه خطيبا قبله فتولاه بدر الدين حسن المقراني واستمر ولعه في خطابة داريا التي كانت بيد أبيه من بعده . وفي يوم السبت عشره خرج الركب وأميرهم عز الدين أيك المتصوري أمير علم ، وحجج فيها صدر الدين قاضي القضاة الحنفي ، وبرهان الدين بن عبد الحق ، وشرف الدين بن تيمية ، ونجم الدين الدمشقي وهو قاضي الركب ، ورضي الدين المنطبي ، وشمس الدين بن الزريز خطيب جامع القبيبات ، وعبد الله بن رشيق المالكي وغيرهم . وفيها حج سلطان الاسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون ومعه جمع كثير من الامراء ، ووكيله كريم الدين ونضر الدين كاتب الماليك ، وكاتب السر ابن الأثير ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وصاحب حمة الملك حماد الدين ، والصاحب فشمس الدين غبريال ، في خدمة السلطان وكان في خدمته خلق كثير من الأعيان .

وفيها كانت وقعة عظيمة بين التتار بسبب أن ملكهم أبا سعيد كان قد ضاق ذرعا بجهولان وعجز عن مسكها ، فانتدب له جماعة من الامراء عن أمره ، منهم أبو يحيى خال أبيه ، ودقاق وقرشي وغيرهم

من أكابر الدولة ، وأرادوا كبس جوبان فهرب وجاء إلى السلطان فأنهى إليه ما كان منهم ، وفي صحبته الوزير على شاه ، ولم يزل بالسلطان حتى رضى عن جوبان وأمد به جيش كثيف ، وركب السلطان معه أيضا والتقوا مع أولئك فكسروهم وأسروهم ، وتحكم فيهم جوبان فقتل منهم إلى آخر هذه السنة نحواً من أربعين أميراً .

ومن توفى فيها من الأعيان : الشيخ المقرئ شهاب الدين

أبو عبد الله الحسن بن سليمان بن خزارة بن بدر الكفرى الحنفى ، ولد تقرىباً في سنة سبع وثلاثين وستائة : وسمع الحديث وقرأ بنفسه كتاب الترمذى ، وقرأ القراءات وتفردها مدة يشغل الناس عليه ، وجمع عليه السبع أ كثر من عشرين طالبا ، وكان يعرف النحو والأدب وفنونا كثيرة وكانت مجالسته حسنة ، وله فوائد كثيرة ، درس بالطرخانية أ كثر من أربعين سنة ، وناب في الحكم عن الأذرى مدة ولايته ، وكان خيرا مباركا أضر في آخر عمره ، وانقطع في بيته ، مواظبا على التلاوة والذكر وإقراء القرآن إلى أن توفى ثالث عشر جمادى الأولى ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بجامع دمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

وفي هذا الشهر جاء الخبر بموت :

الشيخ الامام تاج الدين

عبد الرحمن بن محمد بن أبى حامد التبريزى الشافعى المعروف بالأفضلى ، بعد رجوعه من الحج ببغداد في العشر الأول من صفر ، وكان صالحا فقيها مباركا ، وكان ينكر على رشيد الدولة ويحط عليه ، ولما قتل قال كان قتله أنفع من قتل مائة ألف نصرانى ، وكان رشيد الدولة يريد أن يترضاه فلم يقبل ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، ولما توفى دفن بتربة الشونيزى ، وكان قد قارب الستين رحمه الله .

محيى الدين محمد بن مفضل بن فضل الله المصري

كاتب ملك الأمراء ، ومستوفى الأوقاف ، كان مشكورا لسيرة محبها للعلماء والصلحاء ، فيه كرم وخدمة كثيرة للناس ، توفى في رابع عشر من جمادى الأولى ودفن بتربة ابن هلال بسفح قاسيون وله ست وأربعون سنة ، وبأشر بعده في وظيفته أمين الدين بن النحاس .

الأمير الكبير غرلو بن عبد الله العادلي

كان من أكابر الدولة ومن الامراء المتقدمين الألو ، وقد ناب بدمشق عن أستاذه الملك المادل كتبنا نحواً من ثلاثة أشهر في سنة خمس وسبعين وستائة ، وأول سنة ست وتسعين ، واستمر أميراً كبيرا إلى أن توفى في سابع جمادى الأولى يوم الخميس ودفن بترته بشمالى جامع المظفرى بقاسيون ، وكان شهما شجاعا فاصحا للإسلام وأهله ، مات في عشر الستين .

الامير جمال الدين أقوش

الرحبي المنصوري ، والى دمشق مدة طويلة ، كان أصله من قرى إربل ، وكان نصرانيا فسبى وبيع من نائب الرحبة ، ثم انتقل إلى الملك المنصور فأعتقه وأمره ، وتولى الولاية بدمشق فحوا من إحدى عشرة سنة ثم انتقل إلى شد الدواوين مدة أربعة أشهر ، وكان محبوا إلى العامة مدة ولايته .

الخطيب صلاح الدين

يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن المعتزل الحوى ، له تصانيف وفوائد ، وكان خطيب جامع السوق الأسفل بحماة ، وسمع من ابن طبرزد ، توفي في جمادى الآخرة .

العلامة فخر الدين أبو عمرو

عثمان بن علي بن يحيى بن هبة الله بن إبراهيم بن المسلم بن علي الأنصارى الشافعى المعروف بابن بنت أبي سعد المصرى ، سمع الحديث وكان من بقايا العلماء ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وولى مكانه في ميعاد جامع طولون الشيخ علاء الدين القونوى شيخ الشيوخ ، وفي ميعاد الجامع الأزهر شمس الدين بن علان ، كانت وفاته ليلة الأحد الرابع والعشرين من جمادى الآخرة ، ودفن بمصر وله من العمر سبعون سنة .

الشيخ الصالح العابد

أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر الكبجى ، له زاوية بالحسينية يزار فيها ولا يخرج منها إلا إلى الجمعة ، سمع الحديث ، توفي يوم الثلاثاء بعد العصر السادس والعشرين من جمادى الآخرة ودفن من الغد بزاويته المذكورة رحمه الله .

الشيخ الصالح المعمر الرحلة

عيسى بن عبد الرحمن بن معالى بن أحمد بن إسماعيل بن عطف بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسى الصالح الطاعم ، راوى صحيح البخارى وغيره ، وقد سمع الكثير من مشايخ عدة وتوجه الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه توفى ليلة السبت رابع عشر ذى الحجة ، وصلى عليه بعد الظهر فى اليوم المذكور بالجامع المظفرى ، ودفن بالساحة بالقرب من تربة المولدين ، وله أربع وسبعون سنة رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد المذكورون فى التى قبلها ، وكان السلطان فى هذه السنة فى الحج ، وعاد إلى القاهرة يوم السبت ثانى عشر المحرم ، ودقت البشائر ، ورجع صاحب شمس الدين على طريق الشام وصحبته الأمير ناصر الدين الخازندار ، وعاد صاحب حماة مع السلطان إلى القاهرة ، وأنعم عليه السلطان ولقب بالملك المؤيد ، ورسم أن يخطب له على منابرها وأعمالها ، وأن يخطب بالمقام العالى

المولوى السلطانى الملكى المؤيدى ، على ما كان عليه عهد المنصور .

وفىها عمر ابن المرجانى شهاب الدين مسجد الخليف وأنفق عليه نحواً من عشرين ألفاً . وفى المحرم استقال أمين الدين من نظر طرابلس وأقام بالقدس . وفى آخر صفر باشر نيابة الحكم المالكي القاضى فحمس الدين محمد بن أحمد القفصى ، وكان قد قدم مع قاضى القضاة شرف الدين من مصر . وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ربيع الأول ضربت عنق شخص يقال له عبد الله الرومى وكان غلاماً ملبس التجار ، وكان قد لزم الجامع ، ثم ادعى النبوة واستنقبت فلم يرجع فضربت عنقه وكان أشقر أزرق العينين جاهلاً ، وكان قد خالطه شيطان حسن له ذلك ، واضطرب عقله فى نفس الأمر وهو فى نفسه شيطان إنسى . وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الآخر عقد عقد السلطان على المرأة التى قدمت من بلاد القبحاق ، وهى من بنات الملوك ، وخلع على القاضى بدر الدين ابن جماعة وكتب السر وكرّم الدين وجماعة الأمراء ، ووصلت العساكر فى هذا الشهر إلى بلاد سيس وغرق فى بحر جاهان من عساكر طرابلس نحو من ألف فارس ، وجاءت مراسيم السلطان فى هذا اليوم إلى الشام فى الاحتياط على أخبار آل مهنا وإخراجهم من بلاد الاسلام ، وذلك لغضب السلطان عليهم لعدم قدوم والدهم مهنا على السلطان . وفى يوم الأربعاء رابع عشرين جمادى الأولى درس بالركنية الشيخ محيى الدين الأسمر الحنفى وأخذت منه الجهورية لشمس الدين البرقى الاعرج ، وتدرّس جامع القلعة لمهنا الدين بن محيى الدين الطرسوسى ، الذى ولى قضاء الحنفية بعد هذا ، وأخذ من البرقى إمامة مسجد نور الدين له بمحارة اليهود ، ولمهنا الدين بن الكيال ، وإمامة الربوة الشيخ محمد الصبيحى . وفى جمادى الآخرة اجتمعت الجيوش الاسلامية بأرض حجاب نحواً من عشرين ألفاً ، عليهم كلهم نائب حلب الطنبقا وفيهم نائب طرابلس شهاب الدين قرطبة ، فدخلوا بلاد الأرمن من اسكندرونة ففتحوا النعزم ثم تل حمدان ثم خاضوا جاهان ففرق منهم جماعة ثم سلم الله من وصلوا إلى سيس فحاصروها وضيقوا على أهلها وأحرقوا دار الملك التى فى البلد ، وقطعوا أشجار البساتين وساقوا الابتقار والجواميس والاغنام وكذلك فعلوا بطرسوس ، وخرّبوا الضياع والأماكن وأحرقوا الزروع ثم رجعوا فحاصروا النهر المذكور فلم يفرق منهم أحد ، وأخرجوا بعد رجوعهم مهنا وأولاده من بلادهم وساقوا خلفه إلى غانة وحديثة ثم بلغ الجيوش موت صاحب سيس وقيام ولده من بعده ، فشنوا الغارات على بلاده وتابعوها وغنموا وأسروا إلا فى المرة الرابعة فانه قتل منهم جماعة .

وفى هذه السنة كانت وقعة عظيمة ببلاد المغرب بين المسلمين والفرنجة فنصر الله المسلمين على أعدائهم فقتلوا منهم خمسين ألفاً وأسروا خمسة آلاف ، وكان فى جملة القتلى خمسة وعشرين ملكاً

من ملوك الافرنج ، وغنموا شيئا كثيرا من الأموال ، يقال كان من جملة ما غنموا سبعون قطاراً من الذهب والفضة ، وإنما كان جيش الاسلام يومئذ ألفين وخمسمائة فارس غير الرماة ، ولم يقتل منهم سوى إحدى عشر قتيلًا ، وهذا من غريب ما وقع وعجيب ما سمع . وفي يوم الخميس ثاني عشرين رجب عقد مجلس بدار السعادة للشيخ تقي الدين بن تيمية بمحضرة نائب السلطنة ، وحضر فيه القضاة والمفتيون من المذاهب ، وحضر الشيخ وعاتبوه على العود إلى الافتاء بمسألة الطلاق ثم حبس في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة إحدى وعشرين كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وبعد ذلك بأربعة أيام أضيف شد الأوتاف إلى الأمير علاء الدين بن معبد إلى ما بيده من ولاية البر وعزل بدر الدين المنكورسي عن الشام .

وفي آخر شعبان مسك الأمير علاء الدين الجاولي نائب غزة وحمل إلى الاسكندرية لأنه اتهم أنه يريد الدخول إلى دار الدين ، واحتيط على حواصله وأمواله ، وكان له برو وإحسان وأوقف ، وقد بنى بغزة جامعا حسنا مليحا . وفي هذا الشهر أراق ملك التتر أبو سعيد الخور وأبطل الخانات ، وأظهر العدل والاحسان إلى الرعايا ، وذلك أنه أصابهم برد عظيم وجاءهم سيل هائل فلجؤا إلى الله عز وجل ، وابتلوا إليه فسلموا فتابوا وأنابوا وعملوا الخير عقيب ذلك . وفي العشر الأول من شوال جرى الماء بالنهر الكريبي الذي اشتراه كريم الدين بخمسة وأربعين ألفا وأجراه في جدول إلى جامعه بالتبليات فماش به الناس ، وحصل به أنس إلى أهل تلك الناحية ، ونصبت عليه الأشجار والبساتين ، وعمل حوض كبير فجاء الجامع من الغرب يشرب منه الناس والدواب ، وهو حوض كبير وعمل مطهرة ، وحصل بذلك نفع كثير ، ورفق زائد أنابه الله . وخرج الركب في حادي عشر شوال وأميره الملك صلاح الدين بن الأوحده ، وفيه زين الدين كتبغا الحاجب ، وكال الدين الزملكاني والقاضي شمس الدين بن المعز ، وقاضي حماة شرف الدين البازري ، وقطب الدين ابن شيخ السلامية وبدر الدين بن الخطار ، وعلاء الدين بن غانم ، ونور الدين السخاوي ، وهو قاضي الركب . ومن المصريين قاضي الحنفية ابن الحريري ، وقاضي الخنابلة ومجد الدين حرمي والشرف عيسى المالكي ، وهو قاضي الركب . وفيه كلمت عمارة الحمام الذي عمره الجيبيغا غربي دار الطعم ودخله الناس .

وفي أواخر ذي الحجة وصل إلى دمشق من عند ملك التتر الخواجه مجد الدين إسماعيل بن محمد ابن ياقوت السلامي ، وفي صحبتته هدايا وتحف لصاحب مصر من ملك التتر ، وأشهر أنه إنما جاء ليصلح بين المسلمين والتتر ، فقتله الجنود والدولة ، ونزل بدار السعادة يوما واحداً ، ثم سار إلى مصر . وفيها وقف الناس بعرفات موقفا عظيما لم يهد مثله ، أنه من جميع أقطار الأرض ، وكان مع

المراقبين محامل كثيرة منها محمل قوم ما عليه من الذهب واللائي بألف ألف دينار مصرية ، وهذا أمر عجيب .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ إبراهيم الدهستاني
وكان قد أسن وعمر ، وكان يذكر أن عمره حين أخذت التتر بغداد أربعين سنة ، وكان يحضر الجمعة هو وأصحابه تحت قبة النسر ، إلى أن توفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الآخر بزاويته التي عند سوق الخليل بدمشق ، ودفن بها وله من العمر مائة وأربع سنين ، كما قال ، فافهم أعلم .
الشيخ محمد بن محمود بن علي
الشحام المقرئ شيخ ميعاد ابن عامر ، كان شيخاً حسناً بهياً ، واطلباً على تلاوة القرآن إلى أن توفي في ليلة توفي الدهستاني المذكور أو قبله بليلة رحمه الله .

الشيخ شمس الدين ابن الصائغ اللغوي

هو أبو عبد الله محمد بن حسين بن سباع بن أبي بكر الجذامي المصري الأصل ، ثم انتقل إلى دمشق ، ولد تقريباً سنة خمس وأربعين وستمائة بمصر ، وسمع الحديث وكان أديباً فاضلاً بارعاً بالنظم والنثر ، وعلم العروض والبديع والنحو واللغة ، وقد اختصر صحاح الجوهري ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وله قصيدة ثائية تشتمل على ألفي بيت فأكثر ، ذكر فيها العلوم والصنائع ، وكان حسن الأخلاق لطيف المحاور والمخاضرة ، وكان يسكن بين درب الحبالين والفراش عند بستان القط توفي بداره يوم الاثنين ثالث شعبان ودفن بباب الصغير .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

استهات وحكام البلاد هم المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها فتح حمام الزيت الذي في رأس درب الحجر ، جدد عمارته رجل ساوى بمد ما كان قد درس ودر من زمان الخوارزمية من نحو ثمانين سنة ، وهو حمام جيد متسع . وفي سادس المحرم وصلت هدية من ملك التتار أبي سعيد إلى السلطان صناديق وتحف ودقيق . وفي يوم عاشوراء خرج الشيخ تقي الدين بن تيمية من القلعة بمرسوم السلطان وتوجه إلى داره ، وكانت مدة إقامته خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً رحمه الله . وفي رابع ربيع الآخر وصل إلى دمشق القاضي كريم الدين وكيل السلطان فنزل بدار السعادة وقدم قاضي القضاة تقي الدين من عوض الحاكم الخليلي بمصر وهو ناظر الخزانة أيضاً ، فنزل بالعدالية الكبيرة التي لاشافية ، فأقام بها أياماً ، ثم توجه إلى مصر : جاء في بعض أشغال السلطان وزار القدس . وفي هذا الشهر كان السلطان قد حفر بركة قريياً من الميدان وكان في جوارها كنيسة فأمر الوالي بهدمها ، فلما هدمت تسلط الحرافيش وغيرهم على الكنائس بمصر يهدمون ما قدروا عليه ،

فانزعج السلطان لذلك وسأل القضاة ماذا يجب على من تعاملت ذلك منهم ؟ فقالوا يمزر ، فأخرج جماعة من السجون ممن وجب عليه قتل فقطع وصلب وحرّم وحزم وعاقب ، موها أنه إنما عاقب من تعاملت تخريب ذلك ، فسكن الناس وأمنت النصارى وظهروا بعد ما كانوا قد اختفوا أياما . وفيه نارت الحرامية ببغداد ونهبوا سوق الثلاثاء وقت الظهر ، فنار الناس وزاهم وقتلوا منهم قريبا من مائة وأسروا آخرين .

قال الشيخ علم الدين البرزالي ومن خطه نقلت : وفي يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى خرج القضاة والأعيان والمفتيون إلى القابون ووقفوا على قبلة الجامع الذي أمر ببناؤه القاضي كريم الدين وكيل السلطان بالمكان المذكور ، وحرروا قبلته واقفوا على أن تكون مثل قبلة جامع دمشق . وفيه وقعت مراجعة من الأمير جوبان أحد المقدمين الكبار بدمشق ، وبين نائب السلطنة تنكز ، فسك جوبان ورفع إلى القلعة ليلتان ، ثم حول إلى القاهرة فموتب في ذلك ، ثم أعطى خبزاً يليق به . وذكر علم الدين أن في هذا اليوم وقع حريق عظيم في القاهرة في الدور الحسنة والأماكن المليحة المرتفعة ، وبعض المساجد ، وحصل للناس مشقة عظيمة من ذلك ، وقتلوا في الصلوات ثم كشفوا عن القضية فإذا هو من قبل النصارى بسبب ما كان أحرق من كنائسهم وهدم ، قتل السلطان بعضهم وألزم النصارى أن يلبسوا الزرقاء على رؤسهم وثيابهم كلها ، وأن يحموا الاجراس في الحمامات ، وأن لا يستخدموا في شيء من الجهات ، فسكن الأمر وبطل الحريق .

وفي جمادى الآخرة خرب ملك التتار أبو سعيد البازار وزوج الخواطى وأراق الخور وعاقب في ذلك أشد العقوبة ، وفرح المسلمون بذلك ودعوا له رحمه الله وسأحه . وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة أقيمت الجمعة بجامع القصب وخطب به الشيخ على المناخلى . وفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة فتح الحمام الذي أنشأ تنكز نجاه جامعه ، وأكرى في كل يوم بأربعين درهما لحسنه وكثرة ضوئه ورخامه . وفي يوم السبت تاسع عشر رجب خربت كنيسة القرائيين التي نجاه حارة اليهود بعد إثبات كونها محدثة وجامت المراسيم السلطانية بذلك . وفي أواخر رجب نفدت الهدايا من السلطان إلى أبي سعيد ملك التتار ، صحبة الخواجا مجد الدين السلامي ، وفيها خمسون جملا وخيول وحمار عتاني . وفي منتصف رمضان أقيمت الجمعة بالجامع الكريمي بالقابون وشهدها يومئذ القضاة والصاحب وجماعة من الأعيان . قال الشيخ علم الدين : وقدم دمشق الشيخ قوام الدين أمير كاتب ابن الأمير العميد عمر الاكفاني القازاني ، مدرس مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، في أول رمضان ، وقد حج في هذه السنة وتوجه إلى مصر وأقام بها شهراً ثم مر بدمشق متوجهاً إلى بغداد فنزل بالحنافية الحنفية ، وهو ذو فنون وبحت وأدب وفقه . وخرج الركب الشامي يوم الاثنين عاشر

شوال وأميره شمس الدين حمزة التركاني ، وقاضيه نجم الدين الدمشقي . وفيها حج تنكز نائب الشام وفي صحبته جماعة من أهله ، وقدم من مصر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب لينوب عنه إلى أن يرجع ، فترل بالنجيبية البرانية .

وعن حج فيها الخطيب جلال الدين القزويني وعز الدين حمزة بن القلانسي ، وابن العز شمس الدين الحنفي ، وجلال الدين بن حسام الدين الحنفي ، وبهاء الدين بن علي ، وعلم الدين البرزالي ودرس ابن جماعة بزواية الشافعي يوم الأربعاء ثامن عشر شوال عوضا عن شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصاري لسوء تصرفه ، وخلع على ابن جماعة ، وحضر عنده من الأعيان والعامّة ما نشأ به جمعية الجمعة وأشعلت له شموع كثيرة وفرح الناس بزوال المعزول .

قال البرزالي ومن خطه نقلت : وفي يوم الأحد سادس عشر شوال ذكر الدرس الامام العلامة تقي الدين السبكي المحدث بالمدرسة الهكارية عوضا عن ابن الانصاري أيضا ، وحضر عنده جماعة منهم القونوي ، وروى في الدرس حديث المتبايعين بالخيار ، عن قاضي القضاة ابن جماعة وفي شوال عزل علاء الدين بن معبد عن ولاية البروشد الاوقاف ، وتولى ولاية الولاية بالبلاد القبلية بمحوران عوضا عن يكتنر لسفره إلى الحجاز ، وباشراخوه بدر الدين شد الاوقاف ، والامير علم الدين الطرقيش ولاية البر مع شد الدواوين ، وتوجه ابن الانصاري إلى حلب متوليا وكالة بيت المال عوضا عن ناصر الدين أخى شرف الدين يعقوب ناظر حلب ، بحكم ولاية التاج المذكور نظر الكرك .

وفي يوم عيد الفطر ركب الامير تيمرتاش بن جوبان نائب أبي سميح على بلاد الروم في قيسارية في جيش كثيف من التتار والتركمان ، ودخل بلاد سويس فقتل وسبي وحرقت وخرّب ، وكان قد أرسل لنائب حلب الطنبغا ليجهز له جيوشا ليكونون عوناً له على ذلك ، فلم يمكنه ذلك بغير مرسوم السلطان .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الصالح المقرئ

بقية السلف عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله بن عبد الواحد بن علي القرشي الخزومي الدلاصي شيخ الحرم بمكة ، أقام فيه أزيد من ستين سنة ، يقرئ الناس القرآن احتساباً ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الرابع عشر من محرم بمكة ، وله أزيد من تسعين سنة رحمه الله .

الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله

محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمداني ، أبوه الصالح المعروف بالسكاكيني ، ولد سنة خمس وثلاثين وستائة بالصالحية ، وقرأ بالروايات ، واشتغل في مقدمة في النحو ، ونظم قويا ومع الحديث ، وخرج له الفخر ابن البعلبكي جزءاً عن شيوخه ، ثم دخل في التشيع فقرأ على أبي صالح الحلبي شيخ

الشيعة ، وصحب عدنان وقرأ عليه أولاده ، وطلبه أمير المدينة النبوية الأمير منصور بن حماد فأقام عنده نحواً من سبع سنين ، ثم عاد إلى دمشق وقد ضُرب وقتل سممه ، وله سؤال في الخبر أجابه به الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكل فيه عنه غيره ، وظهر له بعد موته كتاب فيه انتصار لليهود وأهل الأديان الفاسدة ففسله تقي الدين السبكي لما قدم دمشق قاضياً ، وكان بخطه ، ولما مات لم يشهد جنازته القاضي شمس الدين ابن مسلم . توفي يوم الجمعة سادس عشر صفر ، ودفن بسفح قاسيون ، وقتل ابنه قياز على قنذه أمهات المؤمنين عائشة وغيرها رضى الله عنهن وقبح قاذفهن .

وفي يوم الجمعة مستهل رمضان صلى بدمشق على غائبين وهم الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد الأصبهاني ، توفي بمكة ، وعلى جماعة توفوا بالمدينة النبوية منهم عبد الله بن أبي القاسم بن فرحون مدرس المالكية بها ، والشيخ يحيى الكردي ، والشيخ حسن المغربي السقا .

الشيخ الإمام العالم علاء الدين

على بن سميد بن سالم الأنصاري ، إمام مشهور على من جامع دمشق ، كان يشوش الوجه متواضعا حسن الصوت بالقراءة ملازماً لأفراء الكتاب العزيز بالجامع ، وكان يؤم نائب السلطنة ولده العلامة ، بهاء الدين محمد بن علي مدرس الأمينية ، ومختسب دمشق . توفي ليلة الاثنين رابع رمضان ودفن بسفح قاسيون .
الأمير حاجب الحجاب

زين الدين كتبغا المنصوري ، حاجب دمشق ، كان من خيار الأمراء وأكثرهم برّاً للفقراء ، يحب الختم والموايد والمواليد ، وسماع الحديث ، ويلزم أهله ويحسن إليهم ، وكان ملازماً لشيخنا أبي العباس ابن تيمية كثيراً ، وكان يحج ويتصدق ، توفي يوم الجمعة آخر النهار ثامن عشر شوال ، ودفن من الغد بترتبه قبلى القبيبات ، وشهده خلق كثير وأثنوا عليه رحمه الله .

والشيخ بهاء الدين ابن المقدسي والشيخ سعد الدين أبي زكريا يحيى المقدسي ، والد الشيخ شمس الدين محمد بن سعد المحدث المشهور . وسيف الدين الناسخ المنادي على الكتب . والشيخ أحمد الحرام المقرئ على الجنائز ، وكان يكرّر على التنبيه ، ويسأل عن أشياء منها ما هو حسن ومنها ما ليس بحسن .

ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبع مائة

استهلت وأرباب الولايات هم المذكورون في التي قبلها ، سوى وإلى البر بدمشق فانه علم الدين طرقي ، وقد صرف ابن معبد إلى ولاية حوران لشهامته وصرامته وديانته وأمانته . وفي الحرم حصلت زلزلة عظيمة بدمشق ، وفي الله شرها ، وقدم تنكز من الحجاز ليلة الثلاثاء حادي عشر الحرم ، وكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر ، وقدم ليلاً لئلا يتكلف أحد لقدمه ، وسافر نائب الغيبة عنه قبله بيومين

ثلاثا يكلفه بهدية ولا غيرها ، وقدم مغلطاي عبد الواحد الجحدار أحد الأمراء بمصر بخمسة سنية من السلطان لتسكن فلبسها وقبل العتبة على العادة ، وفي يوم الأربعاء السادس صفر درس الشيخ نجم الدين القفجاري بالظاهرية للحنيفة ، وهو خطيب جامع تسكن ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، ودرس في قوله تعالى [إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها] وذلك بعد وفاة القاضي شمس الدين بن العز الحنفي ، توفي مرجعه من الحجاز ، وتولى بعده نيابة القضاء عماد الدين الطرسوسي ، وهو زوج ابنته ، وكان ينوب عنه في حال غيبته ، فاستمر بعده ، ثم ولي الحكم بعده ، مستنبيه فيها . وفيه قدم الخوارزمي حاجبا عوضاً عن كتبها ، وفي ربيع الأول قدم إلى دمشق الشيخ قوام الدين مسعود بن الشيخ برهان الدين محمد بن الشيخ شرف الدين محمد السكرماني الحنفي ، فنزل بالقصعين وتردد إليه الطلبة ودخل إلى نائب السلطنة واجتمع به وهو شاب مولده سنة إحدى وسبعين وقد اجتمعت به ، وكان عنده مشاركة في الفروع والأصول ودعواه أوسع من محصله ، وكانت لأبيه وجده مصنفات ، ثم صار بعد مدة إلى مصر ومات بها كما سيأتي .

وفي ربيع الأول تكامل فتح إياس ومعاملتها وانزعاعها من أيدي الأرمين ، وأخذ البرج الأطلس وبينه وبينها في البحر رمية ونصف ، فأخذ المسلمون بأذن الله وخربوه ، وكانت أبوابه مطلية بالحديد والرصاص ، وعرض سورته ثلاثة عشر ذراعاً بالنجار ، وغنم المسلمون غنائم كثيرة جداً ، وحاصروا كواره فقوى عليهم الحر والذباب ، فرسم السلطان إمودهم ، فخرقوا ما كان معهم من المجانيق وأخذوا حديداتها وأقبلوا سالمين غانمين ، وكان معهم خلق كثير من المتطوعين . وفي يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى كمل بسط داخل الجامع فأتسع على الناس ، ولكن حصل حرج بحمل الأمتعة على خلاف العادة ، فان الناس كانوا يمدون بسط الرواق ويخرجون من باب البرادة ، ومن شاء استمر يمشي إلى الباب الآخر بتعليمه ، ولم يكن ممنوعاً سوى المقصورة لا يمكن أحد الدخول إليها بالمداست ، بخلاف باقي الرواق ، فأمر نائب السلطنة بتشكيل بسطه بإشارة ناظره ابن مراحل . وفي جمادى الآخرة رجعت العساكر من بلاد سييس ومقدمهم أقوش نائب الكرك . وفي آخر رجب باشر القاضي محي الدين بن إسماعيل بن جهيل نيابة الحكم عن ابن صصري عوضاً عن الداراني الجعفري ، واستغنى الداراني بخطبة جامع العقبية عنها . وفي ثالث رجب ركب نائب السلطنة إلى خدمة السلطان فأكرمه وخلع عليه ، وعاد في أول شعبان ففرح به الناس . وفي رجب مكث عمارة الحمام الذي بناه الأمير علاء الدين بن صبيح جوار داره شمالي الشامية البرانية . وفي يوم الاثنين تاسع شعبان عقد الأمير سيف الدين أبو بكر بن أرضون نائب السلطنة عقده على ابنسة الناصر ، وختن في هذا اليوم جماعة من أولاد الأمراء بين يديه ، ومد سباطاً عظيماً ، ونثرت

الفضة على رؤس المطهرين ، وكان يوما مشهوداً ، ورسم السلطان في هذا اليوم وضع المكس عن المأكولات بمكة ، وعوض صاحبها عن ذلك باقطاع في بلد الصعيد .

وفي أواخر رمضان كانت عمارة الحمام الذي بناه بهاء الدين بن عليم برفاق الماجية من قاسيون بالقرب من سكنه ، وانتفع به أهل تلك الناحية ومن جاورهم . وخرج الركب الشامي يوم الخميس ثامن شوال وأميره سيف الدين بلبلطى نائب الرحبة ، وكان سكنه داخل باب الجابية بدرب ابن صبرة ، وقاضيه شمس الدين بن النقيب قاضى حصص .

ومن توفى فيها من الاعيان القاضي شمس الدين بن العز الحنفى

أبو عبد الله محمد بن الشيخ شرف الدين أبي البركات محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز صالح بن أبي العز بن وهيب بن عطاء بن جبير بن كابت بن وهيب الأذرى الحنفى ، أحد مشايخ الحنفية وأتتهم وفضلاتهم في فنون من العلوم متعددة ، حكم نيابة نحواً من عشرين سنة ، وكان سديد الأحكام محمود السيرة جسد الطريقة كرم الأخلاق ، كثير البر والصلة والاحسان إلى أصحابه وغيرهم ، وخطب في جامع الأفرم مدة ، وهو أول من خطب به ، ودرس بالمعظمية والبنمورية والقليجية والظاهرية ، وكان ناظر أوقافها ، وأذن للناس بالافتاء ، وكان كبيراً معظماً مهيباً ، توفى بعد مرجعه من الحج بأيام قلائل ، يوم الخميس سابع المحرم ، وصلى عليه يومئذ بعد الظهر بجامع الأفرم ودفن عند المعظمية عند أقراره ، وكانت جنازته حافلة ، وشهد له الناس بالخير وغبطوه لهذه الموتة رحمه الله . ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين الفقهجazy ، وفي المعظمية والقليجية والخطابة بالأفرم ابنه علاء الدين ، وباشر بعده نيابة الحكم القاضي حماد الدين الطرسوسى ، مدرس القلعة .

الشيخ الامام العالم أبو إسحاق

بقية السلف رضى الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكي الشافعى ، إمام المقام أكثر من خمسين سنة ، جمع الحديث من شيوخ بلاده والواردين إليها ولم يكن له رحلة ، وكان يفتى الناس من مدة طويلة ، ويذكر أنه اختصر شرح السنة للبغوى توفى يوم السبت بعد الظهر ثامن ربيع الأول بمكة ، ودفن من القد ، وكان من أئمة المشايخ .

شيخنا العلامة الزاهد ركن الدين

بقية السلف ركن الدين أبو يحيى زكريا بن يوسف بن سليمان بن حماد البجلي الشافعى ، نائب الخطابة ، ومدرس الطيبة والأسدية ، وله حلقة للاشتغال بالجامع ، بحضورها عنده الطلبة ، كان يشتغل في الفرائض وغيرها ، مواظباً على ذلك ، توفى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الأولى عن سبعين سنة ، ودفن قريباً من شيخه تاج الدين الغزاري رحمه الله .

نصير الدين

أبو محمد عبد الله بن وجيه الدين أبي عبد الله علي بن محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد بن معالي ابن محمد بن أبي بكر الرعي التغلبي الشكري أحد صدور دمشق ، قدم أبوه قبله إليها وعظم في أيام الظاهر وقبله ، وكان مولده في حدود خمسين وستائة ، ولهم الأموال الكثيرة والنعمة الباذخة ، توفي يوم الخميس عشرين رجب ، ودفن بقريةهم بسفح قاسيون رحمه الله . وفي يوم الأحد حادى عشر شوال توفي . شمس الدين محمد بن المغربي

التاجر السفار ، باني خان الصنمين الذي على جادة الطريق للسبيل رحمه الله وتقبل منه ، وهو في أحسن الأماكن وأنعمها .

الشيخ الجليل نجم الدين

نجم الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن إسماعيل القرشي المعروف بابن عنقود المصري ، كانت له وجهة وإقدام على الدولة ، توفي بكرة الجمعة ثالث عشرين شوال ، ودفن بزاويته ، وقام بعده فيها ابن أخيه . شمس الدين محمد بن الحسن

ابن الشيخ الفقيه محيي الدين أبو الهدى أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي شامة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستائة فأنعمه أبوه على المشايخ وقرأ القرآن واشتغل بالفقه وكان ينسخ ويكثر النلاوة ويحضر المدارس والسبع الكبير ، توفي في سابع عشرين شوال ، ودفن عند والده بمقابر باب الفرائس . الشيخ العابد جلال الدين

جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن زين الدين محمد بن أحمد بن محمود بن محمد العقيلي المعروف بابن القلانسي ، ولد سنة أربع وخمسين وستائة ، وسمع على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، ورواه غير مرة ، وسمع على غيره أيضاً ، واشتغل بصناعة الكتابة والانشاء ثم انقطع وترك ذلك كله وأقبل على العبادة والزهادة ، وبقي له الأمراء بمصر زاوية وترددوا إليه ، وكان فيه بشاشة وفصاحة ، وكان ثقيل السمع ، ثم انتقل إلى القدس وقدم دمشق مرة فاجتمع به الناس وأكرموه ، وحدث بها ثم عاد إلى القدس وتوفي بها ليلة الأحد ثالث ذي القعدة ، ودفن بمقابر مامل رحمه الله ، وهو خال المختسب عز الدين بن القلانسي ، وهذا خال الصاحب تقي الدين بن مراحل .

الشيخ الامام قطب الدين

محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السبلعي المصري ، اختصر الروضة وصنف كتاب التمجيز ودرس بالفاضلية وقاب في الحكم بمصر ، وكان من أعيان الفقهاء ، توفي يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة من سبعين سنة ، وحضر بعده تدريس الفاضلية ضياء الدين المنادي ، نائب الحكم بالقاهرة

وحضر عنده ابن جماعة ، والاعيان والله أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

استهلت بيوم الأحد في كانون الأسم، والحكام هم المذكورون في التي قبلها، غير أن وإلى البر بدمشق هو الأمير علاء الدين علي بن الحسن المرواني ، باشرها في صفر من السنة الماضية . وفي صفر من هذه السنة باشر ولاية المدينة الأمير شهاب الدين بن برق عوضاً عن صارم الدين الجوكنداري وفي صفر عوف القاضي كريم الدين وكيل السلطان من مرض كان قد أصابه ، فزيت القاهرة وأشملت الشموع وجمع الفقراء بالمارستان المنصوري ليأخذوا من صدقته ، فأت بهم من الزحام في سلخ ربيع الأول ، ودرس الامام العلامة المحدث تقي الدين السبكي الشافعي بالمنصورية بالقاهرة عوضاً عن القاضي جمال الدين الزرعي ، بمقتضى انتقاله إلى دمشق ، وحضر عنده علاء الدين شيخ الشيوخ القونوي الشافعي عوضاً عن النجم ابن مصري ، في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى ، فزل العادلية وقد قدم على القضاة ومشيخة الشيوخ وقضاء العساكر وتدريس العادلية والغزالية والانابكية . وفي يوم الأحد مسك القاضي كريم الدين بن عبد الكريم بن هبة الله بن الشديد وكيل السلطان وكان قد بلغ من المنزلة والمسكنة عند السلطان ما لم يصل إليه غيره من الوزراء الكبار ، واحتيط على أمواله وحواصله ، ورسم عليه عند نائب السلطنة ، ثم رسم له أن يكون بترته التي بالقرافة ، ثم نفى إلى الشوبك وأتم عليه بشيء من المال ، ثم أذن له بالإقامة بالقدس الشريف برباطه . ومسك ابن أخيه كريم الدين الصغير ناظر الدواوين ، وأخذت أمواله وحبس في البرج ، وفرح العامة بذلك ودعوا للسلطان بسبب مسكهما ، ثم أخرج إلى صفت . وطلب من القدس أمين الملك عبد الله فولى الوزارة بمصر ، وخلع عليه عوداً على يده ، وفرح العامة بذلك وأشملوا له الشموع ، وطلب صاحب بدر الدين غبريال من دمشق فركب ومعه أموال كثيرة ، ثم خول أموال كريم الدين الكبير ، وعاد إلى دمشق مكرماً ، وقدم القاضي معين الدين بن الحشيشي على نظر الجيوش الشامية عوضاً عن القطب بن شيخ السلامة عزل عنها ، ورسم عليه في المنزلة نحواً من عشرين يوماً ثم أذن له في الانصراف إلى منزله بمصر وفا عنها .

وفي جمادى الأولى عزل طرقيش عن شد الدواوين وتولاها الأمير بكنتمر . وفي ثاني جمادى الآخرة باشر ابن جهيل نيابة الحكم عن الزرعي ، وكان قد باشر قبلها بأيام نظر الايتام عوضاً عن ابن هلال . وفي شعبان أعيد الطرقيش إلى الشد وسافر بكنتمر إلى نيابة الاسكندرية ، وكان بها إلى أن توفي . وفي رمضان قدم جماعة من حجاج الشرق وفيهم بنت الملك أبنان هولاكو ، وأخت أرغون وعمه قازان وخر بندا ، فأكرمت وأنزلت بالقصر الأتلي ، وأجريت عليها الاقامات والنفقات

إلى أوان الحج، وخرج الركب يوم الاثنين ثامن شوال وأميره قطلجا الابو بكرى، الذى بالقصاعين وقاضى الركب شمس الدين قاضى القضاة ابن مسلم الحنبلى، وحج معهم جمال الدين المزى، وعماد الدين ابن الشيرجى، وأمين الدين الروافى، ونغر الدين البعلبكي، وجماعة، وفوض الكلام فى ذلك إلى شرف الدين بن سعد الدين بن نجيج. كذا أخبرنى شهاب الدين الظاهرى. ومن المصريين قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة وولده عز الدين ونغر الدين كاتب الماليك، وشمس الدين الحارثى، وشهاب الدين الأذرى، وعلاء الدين الفارسى.

وفى شوال باشر تقي الدين السبكى مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة بهدوى الدين المنادى ويقال له عبد العظيم بن الحافظ شرف الدين الديماطى، ثم انتزعت من السبكى لفتح الدين بن سيد الناس اليعمرى، باشرها فى ذى القعدة. وفى يوم الخميس مستهل ذى الحجة خاب على قطب الدين بن شيوخ السلامة وأعيد إلى نظر الجيش مصاحباً لمعين الدين بن الحشيشى، ثم بعد مدة مديدة استقل قطب الدين بالنظر وحده وعزل ابن حشيش.

ومن توفى فيها من الاعيان الامام المؤرخ كمال الدين القوطى أبو الفضل عبد الرزاق أحمد بن محمد بن أحمد بن القوطى عمر بن أبى المعالى الشيبانى البغدادى، المعروف بابن القوطى، وهو جده لأمه، ولد سنة اثنتين وأربعين وستمائة ببغداد، وأسر فى واقعة التتار ثم تخلص من الأسر، فكان مشارفاً على الكتب بالمستنصرية، وقد صنف تاريخاً فى خمس وخمسين مجلداً، وآخر فى نحو عشرين، وله مصنفات كثيرة، وشعر حسن، وقد سمع الحسن من محبى الدين بن الجوزى، توفى ثالث المحرم ودفن بالشونيزية.

قاضي القضاة نجم الدين بن صصري

أبو العباس أحمد بن العدل عماد الدين بن محمد بن العدل أمين الدين سالم بن الحافظ المحدث بهاء الدين أبى المواهب بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن صصرى النغلبى الرابى الشافعى قاضى القضاة بالشام، ولد فى ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل وحصل وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلصان وفيات الأعيان، وسمعها عليه، وتقى بالشيخ تاج الدين الفزارى، ودلى أخيه شرف الدين فى النحو، وكان له يد فى الانشاء وحسن العبارة، ودرس بالمعادية الصغيرة سنة ثنتين وثمانين، وبالأمية سنة تسعين، وبالفزالية سنة أربع وتسعين، وتولى قضاء العساكر فى دولة العادل كتبها، ثم تولى قضاء الشام سنة ثنتين وسبعائة، بعد ابن جماعة حين طالب لقضاء مصر، بعد ابن ذوق العيد. ثم أضيف إليه مشيخة الشيوخ مع تدريس المعادية والفزالية والاتبكية، وكها مناصب دنيوية

انسلمخ منها وانسلخت منه ، ومضى عنها وتركها لغيره ، وأكبر أمنيته بعد وفاته أنه لم يكن تولاها
وهي متاع قليل من حبيب مفارق ، وقد كان رئيساً محمّداً وقوراً كريماً جميل الاخلاق ، معظماً
عند السلطان والدولة ، توفي فجأة ببستانه بالسهم ليلة الخميس سادس عشر ربيع الأول وصلى عليه
بالجامع المظفرى ، وحضر جنازته نائب السلطنة والقضاة والأمراء والاعيان ، وكانت جنازته حافلة
ودفن بقريةهم عند الركنية . **علاء الدين علي بن محمد**

ابن عثمان بن أحمد بن أبي المنى بن محمد بن نخلة الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ثمان وخمسين وسبعمائة
وقرأ الحرر ، ولزم الشيخ زين الدين الفارقي ودرس بالدولعية والركنية ، وناظر بيت المال ، وابتنى
داراً حسنة إلى جانب الركنية ، ومات وتركها في ربيع الأول ، ودرس بعده بالدولعية القاضي
جمال الدين ابن جملة ، وبالركنية القاضي ركن الدين الخراساني .

وفي ربيع الاول قتل . **الشيخ ضياء الدين**

عبد الله الزر بندي النحوي : كان قد اضطرب عقله فسافر من دمشق إلى القاهرة فأشار شيخ
الشيوخ القنوي فأودع بالمراستان فلم يوافق ثم دخل إلى القلعة وبيده سيف مسلول فقتل نصرانياً ،
فحمل إلى السلطان وظنوه جاسوساً فأمر بشنقه فشنق ، وكنت ممن اشتغل عليه في النحو .

الشيخ الصالح المقرئ الفاضل

شهاب الدين أحمد بن الطبيب ابن عبيد الله الحلبي العزيزى الفوارسي المعروف بابن الحلبي ،
ممع من خطيب مرداو ابن عبد الدائم ، واشتغل وحصل وأقرأ الناس ، وكانت وفاته في ربيع الاول
عن ثمان وسبعين سنة ، ودفن بالسفح .

شهاب الدين أحمد بن محمد

ابن قطنية الذرعى التاجر المشهور بكثرة الاموال والبضائع والمتاجر . حبل بلغت زكاة ماله في
سنة قازان خمسة وعشرين ألف دينار ، وتوفي في ربيع الآخر من هذه السنة ، ودفن بقريةه التي
بباب بستانه المسمى بالمرقع عند نورا ، في طريق القابون ، وهي تربة هائلة : وكانت له أملاك .

القاضي الامام جمال الدين

أبو بكر بن عباس بن عبد الله الخابوري ، قاضي بعلبك ، وأكبر أصحاب الشيخ تاج الدين
الفزارى ، قدم من بعلبك ليلتقى بالقاضي الذرعى فمات بالمدرسة البادرانية ليلة السبت سابع جمادى
الاولى ودفن بقاسيون ، وله من العمر سبعون سنة أضغاث حلم .

الشيخ المعمر المسن جمال الدين

عمر بن الياس بن الرشيد بعلبكي التساجر ، ولد سنة ثنتين وسبعمائة وتوفي في ثاني عشر

جمادى الأولى عن مائة وعشرين سنة ، ودفن بمطحار رحمه الله .

الشيخ الامام المحدث صفى الدين

صفى الدين أبو الثناء محمود بن أبي بكر بن محمد الحسنى بن يحيى بن الحسين الارموى ، الصوفى ، ولد سنة ست وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير ورحل وطلب وكتب الكثير ، وذيل على النهاية لابن الأثير ، وكان قد قرأ التنبيه واشتغل فى اللغة فحصل منها طرफاً جيداً ، ثم اضطرب عقله فى سنة سبع وسبعين وغلبت عليه السوداء ، وكان يفوق منها فى بعض الاحيان فيسأله كرم صحيحاً ثم يعترضه المرض المذكور ، ولم يزل كذلك حتى توفى فى جمادى الآخرة من هذه السنة فى المارستان النورى ، ودفن بباب الصغير .

الخاتون المصونة

خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل ابن العادل بن أبي بكر بن أيوب بن شاذى بدارها . وتعرف بدار كافور ، كانت رئيسة محترمة ، ولم تتزوج قط ، وليس فى طبقها من بنى أيوب غيرها فى هذا الحين ، توفيت يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان ، ودفنت بتربة أم الصالح رحمهما الله .

شيخنا الجليل المعمر الرحلة بهاء الدين

بهاء الدين أبو القاسم ابن الشيخ بدر الدين أبي غالب المظفر بن نجم الدين بن أبي الثناء محمود ابن الامام تاج الأمان أبي الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر الدمشقى الطبيب المعمر ، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمع حضوراً وسماعاً على الكثير من المشايخ ، وقد خرج له الحافظ علم الدين البرزالي مشيخة سمعناها عليه فى سنة وفاته ، وكذلك خرج له الحافظ صلاح الدين العلافى عوالى من حديثه ، وكتب له الحديث المفيد ناصر الدين بن طغر بك مشيخة فى سبع مجلدات تشتمل على خمسمائة وسبعين شيخاً ، سماعاً وإجازة ، وقرئت عليه فسمعها الحافظ وغيرهم . قال البرزالي : وقد قرأت عليه ثلاثاً وعشرين مجلداً بمخزف المكررات . ومن الأجزاء خمسمائة وخمسين جزءاً بالمكررات . قال : وكان قد اشتغل بالطب ، وكان يعالج الناس بغير أجره ، وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والحكايات والأشعار ، وله نظم ، وخدم من عدة جهات الكتابة ، ثم ترك ذلك ولزم بيته وإسماع الحديث ، وتفرد فى آخر عمره فى أشياء كثيرة ، وكان سهلاً فى التسميع ، ووقف آخر عمره داره دار حديث ، وخص الحافظ البرزالي والمزى بشيء من بره ، وكانت وفاته يوم الاثنين وقت الظهر خامس وعشرين شعبان ، ودفن بقاسيون رحمه الله .

الوزير ثم الأمير نجم الدين

محمد بن الشيخ نجر الدين عثمان بن أبي القاسم البصرى الحنفى ، درس ببصرى بعهد عمه القاضي صدر الدين الحنفى ، ثم ولى الحسبة بدمشق ونظر الخزانة ، ثم ولى الوزارة ، ثم سأل الإقالة

منها فموض بامرية عشرة عنها باقطاع هائل ، وعمول في ذلك معاملة الوزراء في حرمة ولبسته ، حتى كانت وفاته ببصري يوم الخميس ثامن عشرين شعبان ، ودفن هناك ، وكان كريماً عديداً وهاباً ، نهبا كثير الصدقة والاحسان إلى الناس ، ترك أموالاً وأولاداً ثم تفانوا كلهم بعده وتفرقت أمواله ، ونكحت نساؤه وسكنت منازلهم .

الأمير صارم الدين بن قراسنقر الجوكندار

مشد الخالص ، ثم دلي بدمشق ولاية ثم عزل عنها قبل موته بسنة أشهر ، توفي ناسع رمضان ودفن بترننه المشرفة المبيضة شرق مسجد التاريخ كان قد أعدها لنفسه .

الشيخ أحمد الأعقف الحريري

شهاب الدين أحمد بن حامد بن سعيد التنوخي الحريري ، ولد سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، واشتغل في صباه على الشيخ تاج الدين الفزاري في التنبيه ، ثم صحب الحريرية وخدمهم ولزم مصاحبة الشيخ نجم الدين بن إسرائيل ، وسمع الحديث ، وحج غير مرة ، وكان مليح الشكل كثير التودد إلى الناس ، حسن الأخلاق ، توفي يوم الأحد ثالث عشرين رمضان بزايته بالمزة ، ودفن بمقبرة المزة ، وكانت جنازته حافلة .

وفي يوم الجمعة ثامن عشرين رمضان صلى بدمشق على غائب وهو الشيخ هارون المقدسي توفي بملبك في العشر الأخير من رمضان ، وكان صالحاً مشهوراً عند الفقهاء . وفي يوم الخميس ثالث ذي القعدة توفي .

الشيخ المقري أبو عبدالله

محمد بن إبراهيم بن يوسف بن عصر الأنصاري القصري ثم السبكي بالقدس ، ودفن بما ملئ ، وكانت له جنازة حافلة حضرها كريم الدين والناس مشاة ، ولد سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، وكان شيخاً مهيباً أحراراً من الحناء ، اجتمعت به وبجئت معه في هذه السنة حين زرت القدس الشريف ، وهي أول زيارة زرت ، وكان مالكي المذهب ، قد قرأ الموطأ في ثمانية أشهر ، وأخذ النحو عن أبي الربيع شارح المجلد للزجاجي من طريق شريح .

شيخنا الأصيل شمس الدين

شمس الدين أبو نصر بن محمد بن عماد الدين أبي الفضل محمد بن شمس الدين أبي نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن جميل الشيرازي ، مولده في شوال سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وسمع الكثير وأسمع وأفاد في عليته شيخنا المزي نعمده الله برحمته ، قرأ عليه عدة أجزاء بنفسه أنابه الله ، وكان شيخاً حسن خيراً مباركاً متواضعاً ، يذهب الربعات والمصاحف ، له في ذلك يد طولى ، ولم يتدنس بشيء من الولايات ، ولا تدنس بشيء من وظائف المدارس ولا الشهادات ، إلى أن توفي

في يوم عرفة ببستانه من المرة ، وصلى عليه بجامعها ودفن بتربتها رحمه الله .

الشيخ العابد أبو بكر

أبو بكر بن أيوب بن سعد الدرعي الحنبلي ، قديم الجوزية ، كان رجلاً صالحاً متعبداً قليل التكلف ، وكان فاضلاً ، وقد جمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيدى العامرى ، توفى فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذى الحجة بالمدرسة الجوزية ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع ، ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة ، وأثنى عليه الناس خيراً رحمه الله ، وهو والد العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية صاحب المصنفات الكثيرة النافعة الشكافية .

الأمير علاء الدين بن شرف الدين

محمد بن إسماعيل بن معبد البعلبكي أحد أمراء الطبلخانات ، كان والده تاجراً ببعلبك فنشأ ولده هذا واتصل بالدولة ، وعلت منزلته ، حتى أعطى طبلخانة وياشر ولاية البريد بدمشق مع شد الأوقاف ثم صرف إلى ولاية الولاية بحوران ، فاعترضه مرض ، وكان سبط البدن عياله ، فسأل أن يقال فأجيب فأقام ببستانه بالمزة إلى أن توفى في خامس عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه هناك ، ودفن بقبرة المرة ، وكان من خيار الأمراء وأحسنهم ، مع ديانة وخير سامحه الله . وفى هذا اليوم توفى .

الفقيه الناسك شرف الدين الحراني

شرف الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعد الله بن عبد الواحد بن سعد الله بن عبد القاهر ابن عبد الواحد بن عمر الحراني ، المعروف بابن النجيب ، توفى في وادي بنى سالم ، فحمل إلى المدينة ففصل وصلى عليه في الروضة ودفن بالبقيع شرقي قبر عقيل ، فقبضه الناس في هذه المرة وهذا القبر ، رحمه الله ، وكان ممن غبطه الشيخ شمس الدين بن مسلم قاضي الحنابلة ، فأت به ودفن عنده وذلك بعد ثلاث سنين رحهما الله . وجاء يوم حضر جنازة الشيخ شرف الدين عبد المذكور شرف الدين بن أبي العز الحنفي قبل ذلك بجمعة ، مرجعه من الحج بعد انفصاله عن مكة بمرحلتين فقبض الميت المذكور بتلك الموتة فرزق مثلها بالمدينة ، وقد كان شرف الدين بن نجيب هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين بن تيمية ، وكان معه في مواطن كبار صعبة لا يستطيع الاقدام عليها إلا الأبطال الغلص الخواص ، وسجن معه ، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه ، ينال فيه الأذى وأذى بسببه مرات ، وكما له في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه ، وقد كان هذا الرجل في نفسه وعند الناس جيداً مشكور السيرة جيد العقل والفهم ، عظيم الديانة والزهد ، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتة عقيب الحج ، وصلى عليه بروضة مسجد رسول الله (ص) ، ودفن بالبقيع ببيع الفرقد بالمدينة النبوية ، نفتم له بصالح عمله ، وقد كان كثير من السلف يتمنى أن يموت عقيب

عمل صالح يعمله ، وكانت له جنازة حافلة رحمه الله تعالى ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة

استلمت والحكام المذكورون في التقي قبلها : الخليفة المستنكفي بالله أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله العباسي ، وسامطان البلاد الملك الناصر ، ونائبه بمصر سيف الدين أرغون ووزيره أمين الملك ، وقضاته بمصر المذكورون في التقي قبلها ، ونائبه بالشام تنكز ، وقضاة الشام الشافعي جمال الدين الذرعي ، والحنفي الصدر على البصري ، والمالكي شرف الدين الحمداني ، والحنبلي شمس الدين بن مسلم ، وخطيب الجامع الأموي جلال الدين القزويني ، ووكيل بيت المال جمال الدين ابن القلانسي ، ومحتسب البلد نضر الدين بن شيخ السلامة ، وناظر الدواوين شمس الدين غبريال ومشد الدواوين دلم الدين طرقيشي ، وناظر الجيش قطب الدين بن شيخ السلامة ، ومعين الدين ابن الخشيش ، وكاتب السر شهاب الدين محمود ، ونقيب الأشراف شرف الدين بن عدنان ، وناظر الجامع بدر الدين بن الحداد ، وناظر الخزانة عز الدين بن القلانسي ، وإلى البرعلاء الدين ابن المرواني ، وإلى دمشق شهاب الدين برقي .

وفي خامس عشر ربيع الأول باشر عز الدين بن القلانسي الحسبة عوضا عن ابن شيخ السلامة مع نظر الخزانة ، وفي هذا الشهر حمل كريم الدين وكيل السلطان من القدس إلى الديار المصرية فاعتقل ثم أخذت منه أموال وذخائر كثيرة ، ثم أتى إلى الصعيد وأجرى عليه نفقات سلطانية له ولمن معه من عياله ، وطلب كريم الدين الصغير وصودر بأموال جمعة . وفي يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الآخر قرئ كتاب السلطان بالقاهرة من الجامع الأموي بحضور نائب السلطنة والقضاة ، يتضمن إطلاق مكس الغلة بالشام الحر وس جميعه ، فكثرت الأدعية للسلطان ، وقدم البريد إلى نائب الشام يوم الجمعة خامس عشرين ربيع الآخر بعزل قاضي الشافعية الذرعي ، فبلغه ذلك فامتنع بنفسه من الحكم ، وأقام بالمادلية بعد العزل خمسة عشر يوما ثم انتقل منها إلى الاتابكية ، واستمرت بيده مشيخة الشيوخ وتدريس الاتابكية ، واستدعى نائب السلطان شيخنا الامام الزاهد برهان الدين الغزاري ، فعرض عليه القضاء فامتنع ، فألح عليه بكل ممكن فأبى وخرج من عنده فأرسل في أثره الأعيان إلى مدرسته فدخلوا عليه بكل حيلة فامتنع من قبول الولاية . وصمم أشد التهميم ، جزاه الله خيرا عن مروءته ، فلما كان يوم الجمعة جاء البريد فأخبر بتوليته قضاء الشام ، وفي هذا اليوم خلع على تقي الدين سليمان بن مراحيل بنظر الجامع عوضا عن بدر الدين ابن الحداد توفي ، وأخذ من ابن مراحيل نظر المارستان الصغير لبدر الدين بن العطار ، وخسف القمر ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة بعد المشاء ، فصلى الخطيب صلاة الكسوف بأربع

سور: ق ، واقتربت ، والواقعة ، والقيامة ، ثم صلى العشاء ثم خطب بعدها ثم أصبح فصلى بالناس الصبح ثم ركب على البربد إلى مصر فرزق من السلطان فتولاد وولاه بعد أيام القضاء ثم كر راجعا إلى الشام فدخل دمشق في خامس رجب على القضاء مع الخطابة وتدريس المعادلية والغزالية ، فباشر ذلك كله ، وأخذت منه الأمانة فدرس فيها جمال الدين بن القلانسي ، مع وكالة بيت المال ، وأضيف إليه قضاء المساكر وخطوب بتقاضى القضاة جلال الدين القزويني .

وفيها قدم ملك التبرور إلى القاهرة بسبب الحاج في خامس عشرين رجب ، فنزل بالقرافة ومعه من المغاربة والخدم نحو من عشرين ألفا ، ومعهم ذهب كثير بحيث إنه نزل سعر الذهب درهمين في كل منقار ، ويقال له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر ، وهو شاب جميل الصورة ، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين ، ويذكر أن تحت يده أربعة وعشرين ملكا ، كل ملك تحت يده خلق وعساكر ، ولما دخل قلعة الجبل ليسلم على السلطان أمر بتقبيل الأرض فامتنع من ذلك ، فأكرمه السلطان ، ولم يمكن من الجلوس أيضاً حتى خرج من بين يدي السلطان وأحضر له حصان أشهب بزناى أطلس أصفر ، وهيت له هجن وآلات كثيرة تليق به ، وأرسل هو إلى السلطان أيضا بهدايا كثيرة من جلته أر بعون ألف دينار ، وإلى النائب بنحو عشرة آلاف دينار ، وتحف كثيرة . وفي شعبان ورمضان زاد النيل بمصر زيادة عظيمة ، لم ير مثلها من نحو مائة سنة أو يزيد منها ، ومكث على الأراضي نحو ثلاثة أشهر ونصف ، وغرق أقصبا كثيرة ، ولكن كان نفعه أعظم من ضرره . وفي يوم الخميس ثامن عشر شعبان استناب القاضي جلال الدين القزويني نائبين في الحكم ، وهما يوسف بن إبراهيم بن جملة المحجبي الصالحى ، وقد ولي القضاء فيما بعد ذلك كما سيأتى ، ومحمد بن على بن إبراهيم المصرى ، وحكما يومئذ ، ومن الغد جاء البريد ومعه تقليد قضاء حلب للشيخ كال الدين بن الزملكاني ، فاستدعاه نائب السلطنة وفأوضه في ذلك فامتنع ، فراجعه النائب ثم راجع السلطان فجاء البريد في ثاني عشر رمضان بامضاء الولاية فشرع للنائب ببلاد حلب ، وتماهى في ذلك حتى كان خروجه إليها في بكرة يوم الخميس رابع عشر شوال ، ودخل حلب يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال فأكرم إكراماً زائداً ، ودرس بها وألقى علوماً أكبر من تلك البلاد ، وحصل لهم الشرف بفنونه وفوائده ، وحصل لأهل الشام الأسف على دروسه الأنيقة الفائقة ، وما أحسن ما قال الشاعر وهو شمس الدين محمد الحنطاف في قصيدة له مطولة أولها قوله :

أَسِفْتُ لِفَقْدِكَ جَانِّ الْفَيْحَاءِ * وَتَبَاشَّرْتُ بِقُدُومِكَ الشَّهْبَاءِ

وفي ثاني عشر رمضان عزل أمين الملك عن وزارة مصر وأضيفت الوزارة إلى الأمير علاء الدين منغلطاي الجمالى ، أستاذ دار السلطان . وفي أواخر رمضان طلب صاحب شمس الدين غبريال إلى

القاهرة فولى بها نظر الدواوين عوضاً عن كريم الدين الصغير ، وقدم كريم الدين المذكور إلى دمشق في شوال ، فنزل بدار العدل من القضاة . وولى سيف الدين قد يدار ولاية مصر ، وهوشم سفاك للدماء ، فأراق الخور وأحرق الحشيشة وأمسك الشطار ، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر ، وكان هذا الرجل ملازماً لابن تيمية مدة مقامه بمصر .

وفي رمضان قدم إلى مصر الشيخ نجم الدين عبد الرحيم بن الشعام الموصل من بلاد السلطان أربك ، وعنده فنون من علم الطب وغيره ، ومعه كتاب بالوصية به فأعطى تدريس الظاهرية البرانية نزل له عنها جمال الدين بن القلانسي ، فباشرها في مستهل ذي الحجة ، ثم درس بالجارضية . ثم خرج الركب في تاسع شوال وأميره كوكنجيار المحمدي ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن خرج إلى الحج برهان الدين الغزاري ، وشهاب الدين قرطاي المصري نائب طرابلس ، وضاروحا وشهري وغيرهم . وفي نصف شوال زاد السلطان في عدة الفقهاء بمدرسته الناصرية ، كان فيها من كل مذهب ثلاثون ثلاثون ، فزادهم إلى أربعة وخمسين من كل مذهب ، وزادهم في الجوامك أيضاً . وفي الثالث والعشرين منه وجد كريم الدين الكبير وكيل السلطان قد شق نفسه داخل خزانه له قد أغلقها عليه من داخل : ربط حلقة في حبل وكان تحت رجله قفص فدفع القفص برجله فساق في مدينة أسوان ، وستأني ترجمته .

وفي سابع عشر ذي القعدة زينت دمشق بسبب عافية السلطان من مرض كان قد أشفى منه على الموت ، وفي ذي القعدة درس جمال الدين بن القلانسي بالظاهرية الجوانية عوضاً عن ابن الزمليكاني ، سافر على قضاء حلب ، وحضر عنده القاضي التزويني ، وجاء كتاب صادق من بغداد إلى المولى شمس بن حسان يذكر فيه أن الأمير جوبان أعطى الأمير محمد حسينا قدحاً فيه خمر ليشر به ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، فألح عليه وأقسم فأبى أشد الإباء ، فقال له إن لم تشربها وإلا كافئك أن تحمل ثلاثين تومانا ، فقال نعم أحمل ولا أشر بها ، فكتب عليه حجة بذلك ، وخرج من عنده إلى أمير آخر يقال له بكتي ، فاستقرض منه ذلك المال ثلاثين تومانا فأبى أن يقرضه إلا بربح عشرة توامين ، فاتفقا على ذلك ، فبعث بكتي إلى جوبان يقول له : المال الذي طلبته من حسينا عندى فان رحمت حملته إلى الخزانة الشريفة ، وإن رحمت نفرقه على الجيش . فأرسل جوبان إلى محمد حسينا فأحضره عنده فقال له : نزن أربعين تومانا ولا تشرب قدحاً من خمر ؟ قال نعم ، فأعجبه ذلك منه ومزق الحجة المكتوبة عليه ، وحطى عنده وحكمه في أموره كلها ، وولاه ولايات كتابه ، وحصل لجوبان إقلاع ورجوع عن كثير مما كان يتماطاه ، رحم الله حسينا .

وفي هذه السنة كانت فتنة بأصبهان قتل بسببها ألف من أهلها ، واستمرت الحرب بينهم

شهوراً . وفيها كان غلاء مفرط بدمشق ، بلغت الفرارة مائتين وعشرين ، وقلت الاقوات . ولولا أن الله أقام للناس من يحمل لهم الغلة من مصر لاشتد الغلاء وزاد أضعاف ذلك ، فكان مات أكثر الناس ، واستمر ذلك مدة شهور من هذه السنة ، وإلى أثناء سنة خمس وعشرين ، حتى قدمت الغلات ورخصت الأسعار والله الحمد والمنة .

ومن توفى فيها من الأعيان : توفى في مستهل المحرم

بدر الدين بن ممدوح بن أحمد الحنفي

قاضى قلعة الروم بالحجاز الشريف ، وقد كان عبداً صالحاً ، حج مرات عديدة ، وربما أحرم من قلعة الروم أو حرم بيت المقدس ، وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب ، وعلى شرف الدين بن العز وعلى شرف الدين بن نجيب توفوا في أقل من نصف شهر كلهم بطريق الحجاز بعد فراغهم من الحج وذلك أنهم غبطوا ابن نجيب صاحب الشيخ اتقى الدين ابن تيمية بتلك الموتة كما تقدم ، فرزقوها فأتوا عقيب علمهم الصالح بعد الحج .

الحجة الكبيرة خوندابنت مكية

زوجة الملك الناصر ، وقد كانت زوجة أخيه الملك الأشرف ثم هجرها الناصر وأخرجها من القلعة ، وكانت جنازتها حافلة ، ودفنت بترتها التي أنشأتها .

الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش

ويقال له الابداد ويعرف بالمولد ، كان يقرئ الناس بالجامع نحواً من أربعين سنة ، وقد قرأت عليه شيئاً من القراءات ، وكان يعلم الصغار عقد الراء والحروف المتقنة كالراء ونحوها ، وكان منقلبا من الدنيا لا يقتنى شيئاً ، وليس له بيت ولا خزانة ، إنما كان يأكل في السوق وينام في الجامع ، توفى في مستهل صفر وقد جاوز السبعين ، ودفن في باب الفاراديس رحمه الله . وفي هذا اليوم توفى بمصر .

الشيخ أيوب السعودي

وقد قارب المائة ، أدرك الشيخ أبا السعود وكانت جنازته مشهودة . ودفن بتره شيخه بالقرافة وكتب عنه قاضى القضاة اتقى الدين السبكي في حياته ، وذكر الشيخ أبو بكر الرحبي أنه لم ير مثل جنازته بالقاهرة منذ سكنها رحمه الله .

الشيخ الامام الزاهد نور الدين

أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي ، له تصانيف ، وقرأ مسند الشافعي على وزيرة بنت المنجا ، ثم إنه أقام بمصر ، وقد كان في جملة من ينسك على شيخ الاسلام ابن تيمية ، أراد بعض الدولة قتله فهرب واختفى عنده كما تقدم لما كان ابن تيمية مقيماً بمصر ، وما مثاله بالإمثال ساقية

ضميفة كدرة لاطمت بحراً عظيماً صافياً ، أو رملة أرادت زوال جبل ، وقد أضحك العقلاء عليه ، وقد أراد السلطان قتله فشفع فيه بعض الأمراء ، ثم أنكر مرة شيئاً على الدولة فنفى من القاهرة إلى بلبة يقال لها ديروط ، فكان بها حتى توفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهورة غير مشهودة ، وكان شيخه ينسب عليه إنكاره على ابن تيمية ، ويقول له أنت لانحس أن تتكلم .

الشيخ محمد الباجر بقى

الذى تنسب إليه الفرقة الصالة الباجر بقية ، والمشهور عنهم إنكار الصانع جل جلاله ، وتقدس أسأوه ، وقد كان والده جمال الدين بن عبد الرحيم بن عمر الموصلى رجلاً صالحاً من علماء الشافعية ودرس في أما كن بدمشق ، ونشأ ولده هذا بين الفقهاء واشتغل ببعض شئ ثم أقبل على السلوك ولازم جماعة يعتقدونه بيزورونه ويرزقونه ممن هو على طريقه ، وآخرين لا يفهمونه ، ثم حكم القاضي المالكي بآراقة دمه فهرب إلى الشرق ، ثم إنه أثبت عداوة بينه وبين الشهود فحكم الخنبل بمحتم دمه فأقام بالقابون مدة سنين حتى كانت وفاته ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر ، ودفن بالقرب من مغارة الدم بسفح قاسيون في قبة في أعلى ذيل الجبل تحت المغارة ، وله من العمر ستون سنة .

شيخنا القاضي أبو زكريا

محمى الدين أبو زكريا محمى بن الفاضل جمال الدين إسحاق بن خليل بن فارس الشيباني الشافعى اشتغل على النواوى ولازم ابن المقدسى ، وولى الحكم بزرع وغيرها ، ثم قام بدمشق يشتغل في الجامع ، ودرس في الصارمية وأعاد في مدارس عدة إلى أن توفي في سلخ ربيع الآخر ودفن بقاسيون وقد قارب الثمانين رحمه الله ، وسمع كثيراً وخرج له الذهبى شيئاً وصحبه عليه الدارقطنى وغيره .

الفقيه الكبير الصدر الامام العالم الخطيب بالجامع

بدر الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن يوسف بن محمد بن الحداد الآمدى الخنبل ، سمع الحديث واشتغل وحفظ المحرر في مذهب أحمد وبرع على ابن حمدان وشرحه عليه في مدة سنين وقد كان ابن حمدان يثني عليه كثيراً وعلى ذهنه وذكائه ، ثم اشتغل بالكتابة ولزم خدمة الأمير قرا سنقر بجلب ، فولاه نظر الأوقاف وخطابة حلب بجامعها الأعظم ، ثم لما صار إلى دمشق ولأه خطابة الأموى فاستمر خطيباً فيها اثنتين وأربعين يوماً ، ثم أعيد إليها جلال الدين القزوينى ، ثم ولى نظر المارستان والحسبة ونظر الجامع الأموى ، وعين لقضاء الحنابلة في وقت ، ثم توفي ليلة الاربعاء سابع جمادى الآخرة ، ودفن بباب الصغير رحمه الله .

الكاتب المفيد قطب الدين

أحمد بن مفضل بن فضل الله المصرى ، أخو محمى الدين كاتب تسكز ، والد الصاحب علم الدين

كان خبيراً بالكتابة وقد ولى استيفاء الأوقاف بعد أخيه ، وكان أسن من أخيه ، وهو الذى علمه صناعة الكتابة وغيرها ، توفى ليلة الاثنين ثانى رجب وعمل عزاءه بالشيمساطية ، وكان مباشر أوقافها .
الأمير الكبير ملك العرب

محمد بن عيسى بن مهنا أخو مهنا ، توفى بسلامية يوم السبت سابع رجب ، وقد جاوز الستين كان مليح الشكل حسن السيرة عاملاً عارفاً رحمه الله .

وفى هذا الشهر وصل الخبر إلى دمشق بموت .

الوزير الكبير علي شاه بن أبي بكر التبريزي

وزير أبي سعيد بعد قتل سعد الدين الساوى ، وكان شيخاً جليلاً فيه دين وخير ، وحمل إلى تبريز فدفن بها فى الشهر الماضى رحمه الله .

الأمير سيف الدين بكتمر

والى الولاية صاحب الأوقاف فى بلدان شتى : من ذلك مدرسة بالصلب ، وله درس بمدرسة أبي عمر وغير ذلك ، توفى بالاسكندرية ، وهو نائبها خامس رمضان رحمه الله .

شرف الدين أبو عبد الله

محمد ابن الشيخ الامام العلامة زين الدين بن المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الحنبلى ، أخو قاضى القضاة علاء الدين ، مع الحديث ودرس وأفتى ، وصحب الشيخ تقى الدين بن تيمية ، وكان فيه دين ومودة وكرم وقضاء حقوق كثيرة ، توفى ليلة الاثنين رابع شوال ، وكان مولده فى سنة خمس وسبعين وستائة ، ودفن بقرية بهم بالصالحية .

الشيخ حسن الكردي المولود

كان يخاطب النجاسات والقاذورات ، ويمشي حافياً ، وربما تكلم بشيء من الهذيان التى تشبه علم المغيبات ، وللناس فيه اعتقاد كما هو المعروف من أهل العمى والضلالات ، مات فى شوال .

كريم الدين الذى كان وكيل السلطات

عبد الكريم بن العلم هبة الله المسلماني ، حصل له من الأموال والتقدم والمساكنة الخطيرة عند السلطان ما لم يحصل لغيره فى دولة الأتراك ، وقد وقف الجامعين بدمشق أحدهما جامع القبيبات والحوض الكبير الذى تجاه باب الجامع ، واشترى له نهر ماء بخمسين ألفاً ، فانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، وجدوا رفقاً . والثانى الجامع الذى بالقابون . وله صدقات كثيرة تقبل الله منه وعفا عنه ، وقد مسك فى آخر عمره ثم صودر ونفى إلى الشوبك ، ثم إلى القدس ، ثم الصميد فنفق نفسه كما قيل بمسامته بمدينة أسوان ، وذلك فى الثالث والعشرين من شوال ، وقد كان حسن الشكل تام القامة ،

ووجد له بعد موته ذخائر كثيرة ساعده الله .

الشيخ الامام العالم علاء الدين

على بن ابراهيم بن داود بن سليمان بن المطار ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس الفوسية بالجامع ، ولد يوم عيد الفطر سنة أربع وخمسين وستائة ، وجمع الحديث واشتغل على الشيخ محي الدين النواوى ولازمه حتى كان يقال له مختصر النواوى ، وله مصنفات وفوائد وجاميع وتخاريج ، وباشر مشيخة النورية من سنة أربع وتسعين إلى هذه السنة ، مدة ثلاثين سنة ، توفي يوم الاثنين منها مستهل ذى الحجة فولى بعده النورية علم الدين البرزالي ، وتولى الفوسية شهاب الدين بن حرز الله وصلى عليه بالجامع ودفن بقاسيون رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعماية

استهلت وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها ، وأولها يوم الأربعاء . وفي خامس صفر منها قدم إلى دمشق الشيخ فحمس الدين محمود الأصهباني بعد مرجعه من الحج وزيارة القدس الشريف وهو رجل فاضل له مصنفات منها شرح مختصر ابن الحاجب ، وشرح الجويد وغير ذلك ، ثم إنه شرح الحاجبية أيضاً وجمع له تفسيراً بعد صيرورته إلى مصر ، ولما قدم إلى دمشق أكرم واشتغل عليه الطلبة ، وكان حظياً عند القاضي جلال الدين القزويني ، ثم إنه ترك الكل وصار يتردد إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وجمع عليه من مصنفاته وردة على أهل الكلام ، ولازمه مدة فلما مات الشيخ تقي الدين تحول إلى مصر وجمع التفسير .

وفي ربيع الأول جرد السلطان تيمور يدة نحو خمسة آلاف إلى اليمن لخروج عمه عليه ، ومحبتهم خلق كثير من الحجاج ، منهم الشيخ نضر الدين النويري . وفيها منع شهاب الدين بن مري البعلبكي من الكلام على الناس بمصر ، على طريقة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وعززه القاضي المالكي بسبب الاستنفاته ، وحضر المذكورين يدى السلطان وأثنى عليه جماعة من الأمراء ، ثم سفر إلى الشام بأهله فنزل ببلاد الخليل ، ثم انتزع إلى بلاد الشرق وأقام بسنجان وماردين ومعاملتهما بتكلم ويعظ الناس إلى أن مات رحمه الله كما سنده .

وفي ربيع الآخر عاد نائب الشام من مصر وقد أكرمه السلطان والأمراء . وفي جادى الأولى وقع بمصر مطر لم يسمع بمثله بحيث زاد النيل بسببه أربع أصابع ، وتغير أياماً . وفيه زادت دجلة ببغداد حتى غرقت ماحول بغداد وانحصر الناس بها ستة أيام لم تفتح أبوابها ، وبقيت مثل السفينة في وسط البحر ، وغرق خلق كثير من الفلاحين وغيرهم ، وتلف للناس مالا يملئه إلا الله ، وودع أهل البلاد بعضهم بعضاً ، ولبأوا إلى الله تعالى وحلوا المصاحف على رؤسهم في شدة الشوق في أنفسهم

حقى القضاة والأعيان ، وكان وقتاً عجيباً ، ثم لطف الله بهم ففيض الماء وتناقص ، وتراجع الناس إلى ما كانوا عليه من أمورهم الجائرة وغير الجائزة ، وذكر بعضهم أنه غرق بالجانب الغربي نحو من ستة آلاف وسبائة بيت ، وإلى عشرة سنين لا يرجع ما غرق .

وفي أوائل جمادى الآخرة فتح السلطان خاتمه سريافوس التي أنشأها وساق إليها خليجاً وبني عندها محلة ، وحضر السلطان بها ومعه القضاة والأعيان والأمراء وغيرهم ، ووليها مجد الدين الأقصرائي ، وعمل السلطان بها وليمة كبيرة ، وسمع على قاضي القضاة ابن جماعة عشرين حديثاً بقرأة ولده عز الدين بمحضرة الدولة منهم أرغون النائب ، وشيخ الشيوخ القنوي وغيرهم ، وخلع على القاري عز الدين وأثنوا عليه ثناء زائداً ، وأجلس مكرماً ، وخلع أيضاً على والده ابن جماعة وعلى المالكي وشيخ الشيوخ ، وعلى مجد الدين الأقصرائي شيخ الخاتمة المذكورة وغيرهم . وفي يوم الأربعاء رابع عشر رجب درس بقبة المنصورية في الحديث الشيخ زين الدين بن الكتاني الدمشقي ، بإشارة نائب الكرك وأرغون ، وحضر عنده الناس ، وكان قفيها جيداً ، وأما الحديث فليس من فنه ولا من شغله .

وفي أواخر رجب قدم الشيخ زين الدين بن عبد الله بن المرحل من مصر على تدريس الشامية البرانية ، وكانت بيد ابن الزمليكانى فانتقل إلى قضاء حلب ، فدرس بها في خامس شعبان وحضر القاضي الشافعي وجماعة . وفي سلخ رجب قدم القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة من مصر ومعه ولده ، وفي صحبته الشيخ جمال الدين الديماطي وجماعة من الطلبة بسبب سماع الحديث ، قرأ بنفسه قرأ الناس له واعتنوا بأمره ، وسمعتهم وقرأته شيئاً كثيراً ، ففهم الله بما قرؤوا وبما سمعوا ، ونفع بهم . وفي يوم الأربعاء ثاني عشر شوال درس الشيخ خمس الدين بن الأصماني ، بالرواحية بعد ذهاب ابن الزمليكانى إلى حلب ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان فيهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وجرى يومئذ بحث في العام إذا خص ، وفي الاستثناء بعد النفي ووقع انتشار وطال الكلام في ذلك المجلس ، وتكلم الشيخ تقي الدين كلاماً أبهت الحاضرين ، وتأخر ثبوت عيد الفطر إلى قريب الظهر يوم العيد ، فلما ثبت دقت البشار وصى الخطيب العيد من الفد بالجامع ، ولم يخرج الناس إلى المصلى ، وتغضب الناس على المؤذنين وسجن بعضهم . وخرج الركب في عاشره وأميره صلاح الدين ابن أبيك الطويل ، وفي الركب صلاح الدين بن أوحى ، والمنكوسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهر . وفي سابع عشره درس بالرباط الناصري بقاسيون حسام الدين التزوينى الذى كان قاضى طرابلس ، قاضيه بها جمال الدين بن الشريشى إلى تدريس المسروية ، وكان قد جاء توقيعه بالعندراوية والظاهرية فوق في طريقه قاضى القضاة جمال الدين ونائبه ابن جملة

والفخر المصري ، وعقد له ولكمال الدين ابن الشيرازي مجلسا ، ومعه توقيع بالشامية البرانية ، فمطل الامر عليهما لانهما لم يظهرهما استحقاقهما في ذلك المجلس ، فصارت المدرستان العنواوية والشامية لابن المرحل كما ذكرنا ، وعظم التزويين بالمسروورية قفايضا منها لابن الشريشفي إلى الرباط الناصري ، فدرس به في هذا اليوم وحضر عنده القاضي جلال الدين ، ودرس بمعه ابن الشريشفي بالمسروورية وحضر عنده الناس أيضا . وفيه عادت التجربة اليمنية وقد فقد منهم خلق كثير من الفلمان وغيرهم ، فحبس مقدمهم الكبير ركن الدين بيبس لسوء سيرته فيهم .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ إبراهيم الصباح

وهو إبراهيم بن منير البعلبكي ، كان مشهوراً بالصلاح مقبياً بالمأذنة الشرقية ، توفي ليلة الأربعاء مستهل المحرم ودفن بالبواب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، حمله الناس على رؤس الأصابع ، وكان ملازماً لمجلس الشيخ تقي الدين بن تيمية .

إبراهيم الموله

الذي يقال له القميني لأقامته بالقمامين خارج باب شرقي ، وربما كاشف بعض العوام ، ومع هذا لم يكن من أهل الصلاة ، رقد استنابه الشيخ تقي الدين بن تيمية وضر به على ترك الصلوات والمخالطة القاذورات ، وجمع النساء والرجال حوله في الأماكن النجسة . توفي كهلا في هذا الشهر .

الشيخ عفيف الدين

محمد بن عمر بن عثمان بن عمر الصقلي ثم الدمشقي ، إمام مسجد الرأس ، آخر من حدث عن ابن الصلاح ببعض سنن البيهقي ، ممننا عليه شيئا منها ، توفي في صفر .

الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك

عبد الله بن موسى بن أحمد الجزري ، الذي كان مقبياً^(١) أبي بكر من جامع دمشق ، كان من الصالحين الكبار مباركا خيراً ، عليه سكينه ووقار ، وكانت له مطالعة كثيرة ، وله فهم جيد وعقل جيد ، وكان من الملازمين لمجالس الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وكان ينقل من كلامه أشياء كثيرة ويفهمها يعجز عنها كبار الفقهاء . توفي يوم الاثنين سادس عشر من صفر ، وصلى عليه بالجامع ودفن بباب الصغير وكانت جنازته حافلة بمحمودة .

الشيخ الصالح الكبير المعمر

الرجل الصالح تقي الدين ابن الصائغ المقرئ المصري ، الشافعي ، آخر من بقي من مشايخ القراء وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي ، توفي في صفر ودفن بالقرافة وكانت جنازته حافلة ، قارب التسعين ولم يبق له منها سوى سنة واحدة ، وقد قرأ عليه غير واحد

(١) بياض بالأصل ولعله « بحراب » أو « بخولة » أو نحو هذا .

وهو من طال عمره وحسن عمله الشيخ الامام صدر الدين

أبو زكريا يحيى بن علي بن تمام بن موسى الانصاري السبكي الشافعي ، جمع الحديث وبرع في الأصول والفقه ، ودرس بالسيفية وياشرها بعمده ابن أخيه تقي الدين السبكي الذي تولى قضاء الشام فيما بعد .
الشهاب محمود هو الصدر الكبير الشيخ الامام العالم العلامة شيخ صناعة الانشاء الذي لم يكن بعد القاضي الفاضل مثله في صنعة الانشاء ، وله خصائص ليست للفاضل من كثرة النظم والقصائد المطولة الحسنة البليغة ، فهو شهاب الدين أبو الثنا محمود بن سلمان بن فهد الحلبي ثم الدهشقي ، ولد سنة أربع وأربعين وستمائة بحلب ، وسمع الحديث وعنى بالغة والأدب والشعر وكان كثير الفضائل بارعا في علم الانشاء نظما ونثرا ، وله في ذلك كتب ومصنفات حسنة فائقة ، وقد مكث في ديوان الانشاء نحو اثنى عشر سنة ، ثم ولي كتابة السر بدمشق نحواً من ثمان سنين إلى أن توفي ليلة السبت ثاني عشر من شعبان في منزله قرب باب النطفانيين وهي دار القاضي الفاضل وصلى عليه بالجامع ودفن بترربة له أنشأها بالقرب من اليعمورية وقد جاوز الثمانين رحمه الله .

شيخنا عفيف الدين الأمدى

عفيف الدين إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل الأمدى ثم الدهشقي الحنفي شيخ دار الحديث الظاهرية ، ولد في حدود الأربعين وستمائة ، وسمع الحديث على جماعة كثيرين ، منهم يوسف بن خليل ومحمد الدين بن تيمية ، وكان شيخا حسنا بهي المنظر سهل الاسماع يحب الرواية ولديه فضيلة ، توفي ليلة الاثنين ثاني عشر من رمضان ، ودفن بقاسيون ، وهو والد نضر الدين ناظر الجيوش والجامع . وقبله بيوم توفي الصدر معين الدين يوسف بن زغيب الرحبي أحد كبار التجار الأمناء . وفي رمضان توفي ... البدر العوام

وهو محمد بن علي البابا الحلبي ، وكان فرداً في العوم ، وطيب الأخلاق ، انتفع به جماعة من التجار في بحر اليمن كان معهم ففرق بهم المركب ، فاجأوا إلى صخرة في البحر ، وكانوا ثلاثة عشر ، ثم إنه غطس فاستخرج لهم أموالاً من قرار البحر بعد أن أنفلسوا وكادوا أن يهلكوا ، وكان فيه ديانة وصيانة ، وقد قرأ القرآن وحج عشر مرات ، وعاش ثماناً وثمانين سنة رحمه الله ، وكان يسمع الشيخ تقي الدين بن تيمية كثيراً . وفيه توفي .

الشهاب أحمد بن عثمان الامشاطي

الأديب في الأزجال والموشحات والموايا والدوبيت والبلاليق ، وكان أستاذاً أهل هذه الصناعة مات في عشر الستين .
القاضي الامام العالم الزاهد
صدر الدين سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح بن خصيب الجعفري الشافعي المعروف بخطيب

داريا ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستائة ، بقرية بسرا من عمل السواد ، وقدم مع والده قراً بالصالحية القرآن على الشيخ نصر بن عبيد ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ محي الدين النوروى ، والشيخ تاج الدين الفزارى ، وتولى خطابة داريا وأعاد بالناصرية ، وتولى نيابة القضاء لابن مصرى مدة ، وكان منزهداً لا يقنع بمحام ولا كتمان ولا غيره ، ولم يغير ما اعتاده في البر ، وكان متواضعاً ، وهو الذى استسقى بالناس في سنة تسع عشرة فسةوا كما ذكرنا ، وكان يذكر له نسباً إلى جعفر الطيار ، بينه وبينه عشرة آباء ، ثم ولى خطابة المقبية فترك نيابة الحكم وقال هذه تكفى إلى أن توفى ليلة الخميس ثامن ذى القعدة ، ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته مشهورة رحمه الله ، وتولى بمده الخطابة ولده شهاب الدين .

أحمد بن صبيح المؤذن

الرئيس بالمعوس بمجامع دمشق مع البرهان بدر الدين أبو عبد الله محمد بن صبيح بن عبد الله التفليسى . ولأم القرى المؤذن ، كان من أحسن الناس صوتاً في زمانه ، وأطيبهم نفقة ، ولد سنة ثنتين وخسين وستائة تقريباً ، وسمع الحديث في سنة سبع وخسين ، ومن سمع عليه ابن عبد الدائم وغيره من المشايخ ، وحديث وكان رجلاً حسناً ، أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسى ، امرأة نحر الدين الكرخى ، وباشر مشاركة الجامع وقراءة المصحف ، وأذن عند نائب السلطنة مدة ، وتوفى في ذى الحجة بالطواويس ، وصلى عليه بمجامع المقبية ، ودفن بمقابر باب الفرديس .

خطاب باني خان خطاب

الذى بين الكسوة وغباغب . الأمير الكبير عز الدين خطاب بن محمود بن دقش العراقى ، كان شيخاً كبيراً له ثروة من المال كبيرة ، وأملاك وأموال ، وله هام بحكر السباق ، وقد عمر الخانات المشهور به بعد موته إلى ناحية الكتف المصرى ، مما إلى غباغب ، وهو برج الصفر ، وقد حصل الكثير من المسافرين به رفق ، توفى ليلة سبع عشرة ربيع الآخر ودفن بقرشته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى . وفي ذى القعدة منها توفى رجل آخر اسمه :

ركن الدين خطاب بن الصاحب كمال الدين

أحمد ابن أخت ابن خطاب الرومى السيوسى ، له خانقاه ببلده بسواس ، عليها أوقاف كثيرة وبر وصدة ، توفى وهو ذاهب إلى الحجاز الشريف بالسرك ، ودفن بالقرب من جعفر وأصحابه بمقبرة رحمه الله . وفي العشر الأخير من ذى القعدة توفى

بدر الدين أبو عبد الله

محمد بن كمال الدين أحمد بن أبى الفتح بن أبى الوحش أسد بن سلامة بن سليمان بن فتیان

الشيبي المروف بابن المطار ، ولد سنة سبعين [وستمائة] ، وسمع الحديث الكثير ، وكتب الخط المنسوب واشتغل بالتنبيه ونظم الشعر ، وولى كتابة الدرج ، ثم نظر الجيش ونظر الأشراف ، وكانت له حظوة في أيام الأفرم ، ثم حصل له خمول قليل ، وكان مقرباً منعماً له ثروة ورياسة وتواضع وحسن سيرة ، ودفن بسفح قاسيون بترتهم رحمه الله .

القاضي محيي الدين

أبو محمد بن الحسن بن محمد بن عمار بن فتوح الحارثي ، قاضي الزبداني مدة طويلة ، ثم ولى قضاء الكرك وبها مات في العشرين من ذى الحجة ، وكان مولده سنة خمس وأربعين وستمائة ، وقد سمع الحديث واشتغل ، وكان حسن الأخلاق متواضعاً ، وهو والد الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني مدرس الظاهرية رحمه الله .

ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبع مائة

استهانت والحكام المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب سردمشق شهاب الدين محمود فانه توفي ، وولى المنصب من بعده ولده الصدر شمس الدين . وفيها تحول التجار في قماش النساء الخيط من الدهشة التي لاجتماع إلى دهشة سوق على . وفي يوم الأربعاء بعاء ثامن الحرم بأثر مشيخة الحديث الظاهرية الشيخ شهاب الدين بن جهيل بعد وفاة المذنب إسحاق وترك تدريس الصلاحية بالقدس الشريف ، واختار دمشق ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي أولها فتح الحام الذي بناه الأمير سيف الدين جوبان بجوار داره بالقرب من دار الجالقي ، وله بابان أحدهما إلى جهة مسجد الوزير ، وحصل به نفع . وفي يوم الاثنين ثاني صفر قدم الصاحب غبريال من مصر على البريد متولياً نظر الدواوين بدمشق على عادته ، وانفصل عنها الكريم الصغير ، وفرح الناس به . وفي يوم الثلاثاء حادى عشرين ربيع الأول بكرة ضربت عنق ناصر بن الشرف أبي الفضل بن إسماعيل بن الهيثق بسوق الخيل على كفره واستهانت واستهتاره بآيات الله ، وصحبته الزنادقة كالنجم بن خلكان ، والشمس محمد الباجري ، وابن المعمار البغدادي ، وكل فيهم انحلال وزندقة مشهور بها بين الناس . قال الشيخ علم الدين البرزالي : وربما زاد هذا المذكور المضروب العنق عليهم بالكفر والتلاعب بدين الاسلام ، والاستهانة بالنبوة والقرآن . قال وحضر قتله العلماء والأكابر وأعيان الدولة . قال : وكان هذا الرجل في أول أمره قد حفظ التنبيه ، وكان يقرأ في الختم بصوت حسن ، وعنده نباهة وفهم ، وكان منزلاً في المدارس والقرب ، ثم إنه انسلخ من ذلك جميعه ، وكان قتله عزاً للاسلام وذلاً للزنادقة وأهل البدع .

قلت : وقد شهدت قتله ، وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية حاضراً يومئذ ، وقد أناه وقرعه

على ما كان يصدر منه قبل قتله ، ثم ضربت عنقه وأنا شاهد ذلك .

وفي شهر ربيع الأول رسم في إخراج السكالب من مدينة دمشق فجعلوا في الخندق من جهة باب الصغير من ناحية باب شرقي ، المذكور على حدة والاثاث على حدة ، وأزم أصحاب الدكاكين بذلك ، وشددوا في أمرهم أياماً . وفي ربيع الأول ولي الشيخ علاء الدين المقدسي معيد البادرانية مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف ، وسافر إليها . وفي جمادى الآخرة عزل قرطاي عن ولاية طرابلس ووليها طينال وأقر قرطاي على خبز القرماني بدمشق بحكم سجن القرماني بقلعة دمشق .

قال البرزالي : وفي يوم الاثنين عند العصر سادس عشر شعبان اعتقل الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين بن تيمية بقلعة دمشق ، حضر إليه من جهة نائب السلطنة تنكز مشدا الاوقاف وابن الخطيرى أحد الحجاب بدمشق ، وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بذلك ، وأحضرا معهما مراكباً ليركبهما ، وأظهر السرور والفرح بذلك ، وقال أنا كنت منتظراً لذلك ، وهذا فيه خير كثير ومصالحة كبيرة ، وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأُخليت له قاعة وأُجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها ، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه باذن السلطان ، ورسم له ما يقوم بكفايته . قال البرزالي : وفي يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرئ بجوامع دمشق الكتاب السلطاني الوارد باعتقاله ومنعه من الغنما ، وهذه الواقعة سببها فتيا وجدت بخطه في السفر وإعمال المطى إلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقبور الصالحين . قال : وفي يوم الأربعاء عاشر شعبان أمر قاضي القضاة الشافعي في حبس جماعة من أصحاب الشيخ تقي الدين في سجن الحكم ، وذلك بمرسوم نائب السلطنة وإذنه له فيسه ، فيما تقتضيه الشريعة في أمرهم ، وعز ر جماعة منهم على دواب ونودي عليهم ثم أُنزلوا ، سوى شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فانه حبس بالقلعة ، وسكنت القضية . قال وفي أول رمضان وصلت الأخبار إلى دمشق أنه أُجريت عين ماء إلى مكة شرفها الله وانفع الناس بها انتفاعاً عظيماً ، وهذه العين تعرف قديماً بعين باذان ، أُجراها جوبان من بلاد بعيدة حتى دخلت إلى نفس مكة ، ووصلت إلى عند الصفا وباب إبراهيم ، واستقى الناس منها فقيرهم وغنيهم وضعيفهم وشريفيهم ، كلهم فيها سواء ، وارتفق أهل مكة بذلك رفقاً كثيراً والله الحمد والمنة . وكانوا قد شرعوا في حفرها وتجديدها في أوائل هذه السنة إلى العشر الآخر من جمادى الأولى ، واتفق أن في هذه السنة كانت الآبار التي بمكة قد يبست وقل ماؤها ، وقل ماء زمزم أيضاً ، فلو أن الله تعالى لطف بالناس بإجراء هذه القناة لنزع عن مكة أهلها ، أو هلك كثير مما يقيم بها . وأما الحجيج في أيام الموسم فحصل لهم بها رفق عظيم زائد عن الوصف ، كما شاهدنا ذلك في سنة إحدى وثلاثين عام حججنا . وجاء كتاب السلطان إلى نائبه بمكة بإخراج الزيديين من المسجد الحرام ، وأن لا يكون

لهم فيه إمام ولا مجتمع ، ففعل ذلك .

وفي يوم الثلاثاء رابع شعبان درس بالشامية الجوانية شهاب الدين أحمد بن جهل ، وحضر عنده القاضي القزويني الشافعي وجماعة عوضاً عن الشيخ أمين الدين سالم بن أبي الدر إمام مسجد ابن هشام توفي ، ثم بعد أيام جاء توقيع بولاية القاضي الشافعي فباشرها في عشرين رمضان . وفي عاشر شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين جوبان ، وحج عاتق القاضي قتمس الدين بن مسلم قاضي قضاة الحنابلة ، و بدر الدين ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ومعه نحف وهدايا وأمور تتملق بالأمر سيف الدين أرغون نائب مصر ، فانه حج في هذه السنة ومعه أولاده وزوجته بنت السلطان ، وحج نغر الدين ابن شيخ السلامة ، وصدر الدين المالكي ، ونغر الدين البمليكي وغيره . وفي يوم الاربعاء عاشر القعدة درس بالحنبلية برهان الدين أحمد بن هلال الزرعي الحنبلي ، بدلا عن شيخ الاسلام ابن تيمية ، وحضر عنده القاضي الشافعي وجماعة من الفقهاء وشق ذلك على كثير من أصحاب الشيخ تقي الدين ، وكان ابن الخطيرى الحاجب قد دخل على الشيخ تقي الدين قبل هذا اليوم فاجتمع به وسأله عن أشياء بأمر نائب السلطنة . ثم يوم الخميس دخل القاضي جمال الدين بن جملة وناصر الدين مشد الأوقاف ، وسألاه عن مضمون قوله في مسألة الزيارة ، فكتب ذلك في درج وكتب تحته قاضي الشافعية بدمشق : قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب على خط ابن تيمية إلى أن قال : وإنما المزمع زيارة قبر النبي (ص) ، وقبور الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصية بالاجماع مقطوعا [بها] ، فانظر الآن هذا التحريف على شيخ الاسلام ، فان جوابه على هذه المسألة ليس فيه منع زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وإنما فيه ذكر قولين في شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور ، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى ، والشيخ لم يمنع الزيارة الحالية عن شد رحل ، بل يستحبها ويندب إليها ، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك ، ولم يتعرض إلى هذه الزيارة في هذه الوجهة في الفتيا ، ولا قال إنها معصية ، ولا حكى الاجماع على المنع منها ، ولا هو جاهل قول الرسول « زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » والله سبحانه لا يخفى عليه شيء ، ولا يخفى عليه خافية ، [وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون] .

وفي يوم الأحد رابع القعدة فتحت المدرسة المحمية نجاة الشامية الجوانية ، ودرس بها محي الدين الطرابلسي قاضي هكار ، وتلقب بأبي رباح ، وحضر عنده القاضي الشافعي . وفي ذى القعدة سافر القاضي جمال الدين الزرعي من الاتابكية إلى مصر ، ونزل عن تدريسها لمحبي الدين بن جهل . وفي ثاني عشر ذى الحجة درس بالنجيبية ابن قاضي الزبداني عوضاً عن الدمشقي نائب الحكم مات بالمدرسة المذكورة .

ومن توفى فيها من الأعيان ابن المطهر الشيعي جمال الدين

أبو منصور حسن بن يوسف بن مطهر الحلبي العراقي الشيعي ، شيخ الروافض بتلك النواحي ، وله التصانيف الكثيرة ، يقال تزيد على مائة وعشرين مجلدا ، وعدتها خمسة وخمسون مصنفا ، في الفقه والنحو والأصول والفلسفة والرفض وغير ذلك من كبار وصفاءه وأشهرها بين الطلبة شرح ابن الحاجب في أصول الفقه ، وليس بذلك الفائت ، ورأيت له مجلدين في أصول الفقه على طريقة المحصول والأحكام ، فلا بأس بها فانها مشتملة على نقل كثير وتوجيه جيد ، وله كتاب منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة ، خبط فيه في المعقول والمنقول ، ولم يدر كيف يتوجه ، إذ خرج عن الاستقامة . وقد انتدب في الرد عليه الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية في مجلدات أتى فيها بما يهر العقول من الأشياء المليحة الحسنة ، وهو كتاب حافل . ولد ابن المطهر الذي لم تطهر خلأته ولم يتطهر من دنس الرفض ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وتوفي ليلة الجمعة عشرين محرم من هذه السنة ، وكان اشتغاله ببغداد وغيرها من البلاد ، واشتغل على نصير الطوسي ، وعلى غيره ، ولما ترفض الملك خر بشدا حظى عنده ابن المطهر رساد جدا وأقطعه بلادا كثيرة .

الشمس الكاتب

محمد بن أسد الحراني المعروف بالنجار ، كان يجلس ليكتب الناس عليه بالمدرسة القليجية ، توفي في ربيع الآخر ودفن بباب الصغير .

العز حسن بن أحمد بن زفر

الأربلي ثم الدهشقي ، كان يعرف طرفا صالحا من النحو والحديث والتاريخ ، وكان مقبا ببويرة حمد صوفيا بها ، وكان حسن المجالسة أثنى عليه البرزالي في نقله وحسن معرفته ، مات بالمراستان الصغير في جمادى الآخرة ودفن بباب الصغير عن ثلاث وستين سنة .

الشيخ الامام امين الدين سالم بن أبي الدر

عبد الرحمن بن عبد الله الدمشقي الشافعي مدرس الشامية الجوانية ، أخذها من ابن الوكيل قهراً وهو إمام مسجد ابن هشام ، ومحدث الكرسي به ، كان مولده في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، اشتغل وحصل وأثنى عليه النووي وغيره ، وأعاد وأفتى ودرس ، وكان خبيراً بالمحاكمات ، وكان فيه مروءة وعصبية لمن يقصده ، توفي في شعبان ودفن بباب الصغير .

الشيخ حماد

وهو الشيخ الصالح العابد الزاهد حماد الحلبي القنطان ، كان كثير التلاوة والصلوات ، موافقاً على إقامة بجامع التوبة بالمقبية بالزاوية الغربية الشامية ، يقرأ القرآن ويكثر الصيام ويتردد الناس

إلى زيارته ، مات وقد جاوز السبعين سنة على هذا القدم ، توفي ليلة الاثنين عشرين شعبان ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

الشيخ قطب الدين اليونيني

وهو الشيخ الامام العالم بقية السلف ، قطب الدين أبو الفتح موسى ابن الشيخ الفقيه الحافظ الكبير شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البعلبكي اليونيني الحنبلي ، ولد سنة أربعين وستمائة بدار الفضل بدمشق ، وسمع الكثير وأخضره والده المشايخ واستجازله وبحث واختصر مرآة الزمان للسيط ، وذيل عليها ذيلًا حسنًا مرتبًا أفاد فيه وأجاد بعبارة حسنة سهلة ، بالانصاف وستر ، وأتى فيه بأشياء حسنة وأشياء فائقة راقية ، وكان كثير التلاوة حسن الهيئة متقللاً في ملبسه ومأكله ، توفي ليلة الخميس ثالث عشر شوال ودفن بباب سطحا عند أخيه الشيخ شرف الدين رحمهما الله . قاضي القضاة ابن مسلم

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالح الحنبلي ، ولد سنة ستين وستمائة ، ومات أبوه - وكان من الصالحين - سنة ثمان وستين ، فنشأ يتيمًا فقيرًا لا مال له ، ثم اشتغل وحصل وسمع الكثير وانتصب للأفادة والاشتغال ، فطار ذكره ، فلما مات النقي سليمان سنة خمس عشرة ولى قضاء الحنابلة ، فباشره أتم مباشرة ، وخرجت له تخريج كثيرة ، فلما كانت هذه السنة خرج للحج فرض في الطريق فورد المدينة النبوية على ساكنها رسول الله أفضل الصلاة والسلام ، يوم الاثنين الثالث والعشرين من ذي القعدة فزار قبر رسول الله (ص) ، وصلى في مسجده وكان بالاشواق إلى ذلك ، وكان قد تمتى ذلك لما مات ابن نجيب ، فمات في عشية ذلك اليوم يوم الثلاثاء ، وصلى عليه في مسجد رسول الله (ص) ، بالروضة ، ودفن بالبقيع إلى جانب قبر شرف الدين ابن نجيب ، الذي كان قد غبطه بموته هناك سنة حج هو وهو قبل هذه الحجة شرق قبر عقيل رحمهما الله ، وولى بعده القضاء عز الدين بن النقي سليمان .

القاضي نجم الدين

أحمد بن عبد المحسن بن حسن بن معالي الدمشقي الشافعي ، ولد سنة تسع وأربعين واشتغل على تاج الدين الفزاري وحصل وبرع وولى الاعادة ثم الحكم بالقدس ، ثم عاد إلى دمشق فدرس بالتجيبية ، وثاب في الحكم عن ابن صصري مدة ، توفي بالتجيبية المذكورة يوم الأحد ثامن عشرين ذي القعدة ، وصلى عليه العصر بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

ابن قاضي شعبة

الشيخ الامام العالم شيخ الطلبة ومفيدهم كمال الدين أبو محمد عبد الوهاب بن ذؤيب الاسدي

الشهبي الشافعي ، ولد بحوران في سنة ثلاث وخمسين وستمائة ، وقدم دمشق واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، ولازمه وانتفع به ، وأعاد بحلقته ، وتخرج به ، وكذلك لازم أخاه الشيخ شرف الدين ، وأخذ عنه النحو والقلة ، وكان بارعا في الفقه والنحو ، له حلقة يشتغل فيها تجاه محراب الحنابلة ، وكان يعتكف جميع شهر رمضان ، ولم يتزوج قط ، وكان حسن الهيئة والشيبة ، حسن العيش والمالبس متقللا من الدنيا ، له معلوم يقوم بكفائته من إعادات وقفاها وتصدير بالجامع ، ولم يدرس قط ولا أفتى ، مع أنه كان ممن يصلح أن يأذن في الافتاء ، ولكنه كان يتورع عن ذلك ، وقد جمع الكثير : مع المسند للامام أحمد وغير ذلك ، توفي بالمدرسة الجاهدية - وبها كانت إقامته - ليلة الثلاثاء حادى عشرين ذى الحجة ، وصلى عليه بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقابر باب الصغير . وفيها كانت وفاة :

الشرف يعقوب بن فارس الجعبري

التاجر بفرجة ابن عمود ، وكان يحفظ القرآن ويؤم بمسجد النصب ، ويصحب الشيخ تقي الدين ابن تيمية والقاضي نجم الدين الدمشقي ، وقد حصل أموالا وأملاكا وثروة ، وهو والد صاحبنا الشيخ الفقيه المفضل المحصل الزكي بدر الدين محمد ، خال الولد عمر إن شاء الله . وفيها توفي :

الحلاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي

كانت له أموال كثيرة ودائرة ومكارم وبر وصدقات ، ولكنه انكسر في آخر عمره ، وكاد أن ينكشف فخره الله بالوفاة رحمه الله .

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة

استملت بيوم الجمعة والحكام الخليفة والسلطان والنواب والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها سوى الحنبلي كما تقدم ، وفي العشر من المحرم دخل مصر أرغون نائب مصر فسك في حادى عشر وحبس ، ثم أطلق أياما وبثه السلطان إلى نائب حلب فاجتاز بدمشق بكرة الجمعة ثاني عشرين المحرم ، فأنزله نائب السلطنة بداره المجاورة لجامعه ، فبات بها ثم سافر إلى حلب ، وقد كان قبله بيوم قد سافر من دمشق الجاي الدوادار إلى مصر ، وصحبته نائب حلب علاء الدين الطنبغا معز ولا عنها إلى حجويبة الحجاب بمصر . وفي يوم الجمعة التاسع عشر ربيع الأول قرى تقليد قاضي الحنابلة عز الدين محمد بن التقي سليمان بن حمزة المقدسي ، عوضا عن ابن مسلم بمقصورة الخطابة بمقصرة القضاة والأعيان ، وحكم وقرى قبل ذلك بالصالحية . وفي أواخر هذا الشهر وصل البريد بتولية ابن النقيب الحاكم بمعهن قضاء القضاة بطرابلس ، ونقل الذي بها إلى حمص نائبا عن قاضي دمشق ، وهو ناصر بن محمود الزرعي .

وفي سادس عشر ربيع الآخر عاد تنكز من مصر إلى الشام ، وقد حصل له تكريم من السلطان . وفي ربيع الأول حصلت زلزلة بالشام وفي الله شرها . وفي يوم الخميس مستهل جمادى الاولى باشر نيابة الحنبلي القاضى برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده جماعة من القضاة . وفي يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة جاء البريد بطلب القاضى القزوينى الشافعى إلى مصر ، فدخلها فى مستهل رجب ، نفّاع عليه بقضاء قضاء مصر مع تدريس الناصرية والصالحية ودار الحديث السكلمية ، عوضا عن بدر الدين بن جماعة لأجل كبر سنه ، وضعف نفسه ، وضرر عينيه ، فجهروا خاطره فرتب له ألف درهم وعشرة أراذب قح في الشهر ، مع تدريس زاوية الشافعى ، وأرسل ولده بدر الدين إلى دمشق خطيباً بالأموى ، وعلى تدريس الشامية البرانية ، على قاعده والده جلال الدين القزوينى فى ذلك ، نفّاع عليه فى أواخر رجب ثامن عشر من وحضر عنده الأعيان .

وفي رجب كان عرس الأمير سيف الدين قوصون الساقى الناصرى ، على بنت السلطان ، وكان وقتا مشهودا ، خلع على الأمراء والأكابر . وفى صبيحة هذه الليلة عقد عقد الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير بكتمر الساقى ، على بنت تنكز نائب الشام ، وكان السلطان وكيل أبيها تنكز والماعد ابن الحريرى . وخلع عليه وأدخلت فى ذى الحجة من هذه السنة فى كلفة كثيرة .

وفي رجب جرت فتنة كبيرة بالاسكندرية فى سابع رجب ، وذلك أن رجلا من المسلمين قد تخاصم هو ورجل من الفرنج ، على باب البحر ، فضرب أحدهما الآخر بمل ، فرفع الأمر إلى الوالى فأمر بفتح باب البلد بعد العصر ، فقال له الناس : إن لنا أموالا وعبيدا ظاهرا البلد ، وقد أغلقت الباب قبل وقت . ففتح فخرج الناس فى زحمة عظيمة ، فقتل منهم نحو عشرة ونهبت عمامت و ثياب وغير ذلك ، وكان ذلك ليلة الجمعة ، فلما أصبح الناس ذهبوا إلى دار الوالى فأحرقوها وثلاث دور لبعض الظلمة ، وجرت أحوال صعبة ، ونهبت أموال ، وكسرت العامة باب سجن الوالى فخرج منه من فيه ، فبلغ نائب السلطنة فاعتقد النائب أنه السجن الذى فيه الأمراء ، فأمر بوضع السيف فى البلد وتخريبه ، ثم إن الخبر بلغ السلطان فأرسل الوزير طيغا الجلالى سرىما فضرب وصادر ، وضرب القاضى ونائبه وهزم ، وأهان خلقا من الأكابر وصادرهم بأموال كثيرة جسداً ، وعزل المتولى ثم أعيد ، ثم تولى القضاء بهاء الدين علم الدين الأحنافى الشافعى الذى تولى دمشق فيما بعد ، وعزل قضاة الاسكندرية المسالكى ونائباه ، وضمت السلاسل فى أعناقهم وأهينوا ، وضرب ابن السنى غير مرة .

وفي يوم السبت عشرين شعبان وصل إلى دمشق قاضى قضاء حلب ابن الزملكائى على البريد فأقام بدمشق أربعة أيام ثم سار إلى مصر ليتولى قضاء قضاء الشام بحضرة السلطان ، فانفق موته

قبل وصوله إلى القاهرة (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مه مريب) . وفي يوم الجمعة سادس عشرين شعبان باشر صدر الدين المالكي مشيخة الشيوخ مضافا إلى قضاء قضاء المالكية ، وحضر الناس عنده ، وقرىء تقليده بذلك بعد انفصال الزرعى عنها إلى مصر . وفي نصف رمضان وصل قاضى الحنفية بدمشق لقضاء القضاء عماد الدين أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى ، الذى كان نائباً لقاضى القضاء صدر الدين على البصروى ، فغلفه بعده بالمنصب ، وقرىء تقليده بالجامع ، وخلع عليه وباشر الحكم ، واستناب القاضى عماد الدين ابن العز ، ودرس بالضرورة مع القضاء ، وشكرت سيرته .

وفي رمضان قدم جماعة من الأسارى مع تجار الفرنج فأنزلوا بالمدرسة العادلية الكبيرة واستفكوا من ديوان الاسرى بنحو من ستين ألفاً ، وكثرت الأدعية لمن كان السبب فى ذلك . وفى ثامن شوال خرج الركب الشامى إلى الحجاز وأميره سيف الدين بالبان الحممدى ، وقاضيه بدر الدين محمد بن محمد قاضى حران . وفى شوال وصل تقليد قضاء الشافعية بدمشق لبدر الدين ابن قاضى القضاء ابن عز الدين بن الصائغ والجماعة معه ، فامتنع من ذلك أشد الامتناع ، وصمم ، وألح عليه الدولة فلم يقبل وكثير بكاءه وتغير مزاجه واغتياظ ، فلما أصر على ذلك راجع تنكر السلطان فى ذلك ، فلما كان شهر ذى القعدة اشتهر تولية علاء الدين على بن إسماعيل القونوى قضاء الشام ، فسار إليها من مصر وزار القدس ودخل دمشق يوم الاثنين سابع عشرين ذى القعدة ، فاجتمع بنائب السلطنة ولبس الخلعة وركب مع الحجاب والدولة إلى العادلية ، وقرىء تقليده بها وحكم بها على العادة ، وفرح الناس به وبحسن سمته وطيب لفظه وصلاحه شأله وتودده ، وولى بعده مشيخة الشيوخ بمصر محمد الدين الأقصرائى الصوفى شيخ سرياقوس .

وفى يوم السبت ثالث عشرين ذى القعدة لبس القاضى محيى الدين بن فضل الله الخلعة بكتابة السر عوضاً عن ابن الشهاب محمود ، واستمر ولده شرف الدين فى كتابة الدست . وفى هذه السنة تولى قضاء حلب عوضاً عن ابن الزملكاني القاضى فخر الدين البازرى . وفى العشر الأول من ذى الحجة كمل ترخيم الجامع الاموى أعنى حائطه الشمالى وجاء تنكز حتى نظر إليه فأعجبه ذلك ، وشكر ناظره تقي الدين بن مراجيل . وفى يوم الاضحى جاء سيل عظيم إلى مدينة بلبيس فهرب أهلها منها وتعللت الصلاة والاضاحى فيها ، ولم ير مثله من مدة بسنين متطاولة ، وخرب شيئاً كثيراً من حواضرها وبساتينها فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفى فيها من الأعيان الأمير ابو يحيى

زكريا بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد أبى حفص الهنتائى الجياني^(١) المقربى ، أمير بلاد المغرب .

(١) وفى شذرات الذهب « اللحياني » .

ولد بتونس قبل سنة خمسين وستائة ، وقرأ الفقه والعربية ، وكان ملوك تونس تعظمه وتكرمه ، لأنه من بيت الملك والامرة والوزارة . ثم بايعه أهل تونس على الملك في سنة إحدى عشرة وسبعائة ، وكان شجاعاً مقداماً ، وهو أول من أبطل ذكر ابن التورث من الخطبة ، مع أن جده أبا حفص الهنتاتي كان من أخص أصحاب ابن التورث . توفي في الحرم من هذه السنة بمدينة الاسكندرية رحمه الله .

الشيخ الصالح ضياء الدين

ضياء الدين أبو الفدا إسماعيل بن رضى الدين أبي الفضل المسلم بن الحسن بن نصر الدمشقي ، المعروف بابن الحوى ، كان هو وأبوه وجده من الكتاب المشهورين المشكورين ، وكان هو كثير التلاوة والصلاة والصيام والبر والصدقة والاحسان إلى الفقراء والأغنياء . ولد سنة خمس وثلاثين وستائة وسمع الحديث الكثير وخرج له البر زالى مشيخة سمعناها عليه ، وكان من صدور أهل دمشق ، توفي يوم الجمعة رابع عشر صفر ، وصلى عليه ضحوة يوم السبت ، ودفن بباب الصغير ، وحج وجاور وأقام بالقدس مدة . مات وله ثنتان وسبعون سنة رحمه الله ، وقد ذكر والده أنه حين ولد له فتح المصحف يتفأل فاذا قوله [الحمد لله الذى وهب لى على الكبير إسماعيل وإسحاق] فسماه إسماعيل . ثم ولد له آخر فسماه إسحاق ، وهذا من الاتفاق الحسن رحمهم الله تعالى .

الشيخ علي المحارفي

علي بن أحمد بن هوس الهلالي ، أصل جده من قرية إيل البسوق ، وأقام والده بالقدس ، وحج هو مرة وجاور بمكة سنة ثم حج ، وكان رجلاً صالحاً مشهوراً ، ويسرف بالمحارفي ، لأنه كان يحرف الازقة ويصلح الرصفان لله تعالى ، وكان يكثر التهليل والذكر جرة ، وكان عليه هيبة ووقار ، ويتكلم كلاماً فيه تخويف وتحذير من النار ، وعواقب الردى ، وكان مسالماً لجالس ابن تيمية ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث عشرين ربيع الاول ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بالسفح ، وكانت جنازته حافلة جداً رحمه الله .

الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن السلطان الملك الصالح إسماعيل أبي الجيش ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب أحد أكابر الامراء وأبناء الملوك ، كان من محاسن البلد ذكاه وفطنة وحسن عشرة ولطافة كلام ، بحيث يسرد كثيراً من الكلام بمنزلة الأمثال من قوة ذهنه وحداقة فمه ، وكان رئيساً من أجواد الناس ، توفي عشية الاربعاء عشرين جمادى الاولى وصلى عليه ظهر الخميس بصحن الجامع تحت النسر ، ثم أرادوا دفنه عند جده لأنه الملك الكامل فلم يتيسر ذلك فدفن بتربة أم الصالح سابعه الله ، وكان له سمع كثير سمعنا عليه منه ، وكان يحفظ تاريخاً جيداً ،

وقام ولده الأمير صلاح الدين مكانه في إمرة الطبلخانة ، وجعل أخوه في عشرته ولبس الخلع السلطانية بذلك .

الشيخ الإمام نجم الدين

أحمد بن محمد بن أبي الحزم القرشي الخزومي التولي ، كان من أعيان الشافعية ، وشرح الوسيط وشرح الحاجبية في مجلدين ، ودرس وحكم بمصر ، وكان محتسباً بها أيضاً ، وكان مشكراً للسيرة فيها ، وقد تولى بمسند الحكم نجم الدين بن عقيل ، والحسبة ناصر الدين بن قار السبقوق ، توفي في رجب وقد جاوز الثمانين ، ودفن بالقرافة رحمه الله .

الشيخ الصالح أبو القاسم

عبد الرحمن بن موسى بن خلف الخزاعي ، أحد مشاهير الصالحين بمصر ، توفي بالروضة وحمل إلى شاطئ النيل ، وصلى عليه وحمل على الرأس والأصابع ، ودفن عند ابن أبي حمزة ، وقد قارب الثمانين ، وكان ممن يقصد إلى الزيارة رحمه الله .

القاضي عز الدين

عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكاري الشافعي ، قاضي الحلة ، كان من خيار القضاة ، وله تصنيف على حديث الجوامع في رمضان ، يقال إنه استنبط فيه ألف حكم . توفي في رمضان ، وقد كان حصل كتباً جيدة منها التهذيب لشيخنا المزني .

الشيخ كمال الدين بن الزملكاني

شيخ الشافعية بالشام وغيرها ، انتهت إليه رئاسة المذهب تدريجاً وإفتاء ومناظرة ، ويقال في نسبه السماكي نسبة إلى أبي دجانة سماك بن خرشة والله أعلم . ولد ليلة الاثنين ثامن شوال سنة ست وستين وستمائة ، وسمع الكثير واشتغل على الشيخ تاج الدين الغزاري ، وفي الأصول على القاضي بهاء الدين بن الزكي ، وفي النحو على بدر الدين بن ملك وغيرهم ، وبرع وحصل وساد أقرانه من أهل مذهبه ، وحاز قصب السبق عليهم بذهنه الوفاة في تحصيل العلم الذي أسهره ومنعه الرقاد وعبارته التي هي أشبه من كل شيء معتاد ، وخطه الذي هو أنضر من أزاهير الوهاد ، وقد درس بعدة مدارس بدمشق ، وبأشهر عدة جهات كبار ، كنظر الخزانة ونظر المارستان النوري وديوان الملك السعيد ، ووكالة بيت المال . وله تعاليق مفيدة واختيارات حميدة سديدة ، ومناظرات سعيدة . وما علقه قطعة كبيرة من شرح المنهاج للزوي ، ومجلد في الرد على الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسألة الطلاق وغير ذلك ، وأما دروسه في المحافل فلم أسمع أحداً من الناس درس أحسن منها ولا أحلى من عبارته ، وحسن تقريره ، وجودة احترازاته ، وصحة ذهنه وقوة قريحته وحسن لفظه ، وقد

درس بالشامية البرانية والمذراوية والظاهرية الجوانية والرواحية والمسروورية ، فكان يعطى كل واحدة منهم حقها بحيث كان يكاد ينسخ بكل واحد من تلك الدروس ما قبله من حسنه وفصاحته ، ولا يهيله تعداد الدروس وكثرة الفقهاء والفضلاء ، بل كلما كان الجمع أكثر والفضلاء أكبر كان الدرس أنفصر وأبهر وأحل وأنصح وأفصح . ثم لما انتقل إلى قضاء حلب ومعه من المدارس العديدة عامله معاملة مثلها ، وأوسع بالفضيلة جميع أهلها ، ومعه من الملوم ما لم يسمعهوا ولم يآؤم . ثم طلب إلى الديار المصرية ليولى الشامية دار السنة النبوية فعاجلته المنية قبل وصوله إليها ، فرض وهو سائر على البريد تسعة أيام ، ثم عقب المرض بحرق الحمام فقبضه هاذم اللذات ، وحال بينه وبين سائر الشهوات والارادات ، والأعمال بالنيات . ومن كانت هجرته إلى دنيا يعيها أواراة يتزوجها فهجرتة إلى ما هاجر إليه ، وكان من نيته الخبيثة إذا رجع إلى الشام متوليا أن يؤذى شيخ الاسلام ابن تيمية فدعا عليه فلم يبلغ أمه ومراده ، فتوفى فى سحر يوم الاربعاء سادس عشر شهر رمضان بمدينة بليس ، وحمل إلى القاهرة ودفن بالقرافة ليلة الخميس جوار قبة الشافعى تفعدهما الله برحمته .

الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع الأموي

الحاج علي بن فرج بن أبي الفضل الكتاني ، كان أبوه من خيار المؤذنين ، فيه صلاح ودين وله قبول عند الناس ، وكان حسن الصوت جهوره ، وفيه تودد وخدم وكرم ، وحج غير مرة وسمع من أبي عمر وغيره ، توفى ليلة الأربعاء ثالث القعدة وصلى عليه غدوة ، ودفن بباب الصغير . وفى ذى القعدة توفى الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيجي التونسي وأجلس أخوه يوسف مكانه بالزاوية .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبع مائة

فى ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن تيمية قدس الله روحه كما سنأتى ترجمة وفاته فى الوفيات إن شاء الله تعالى .

استهلت هذه السنة وحكام البلاد المذكورين فى التى قبلها سوى نائب مصر وقاضى حلب . وفى يوم الأربعاء ثانى المحرم درس بمحلة صاحب حصص الشيخ الحافظ صلاح الدين الملاقى ، نزل له منها شيخنا الحافظ المزى ، وحضر عنده الفقهاء والقضاة والاعيان ، وذ كر درساً حسناً مفيداً . وفى يوم الجمعة رابع المحرم حضر فأذى القضاة علاء الدين القونوى وشيخة الشيوخ بالسماطية عوضاً عن القاضى المالكي شرف الدين ، وحضر عنده الفقهاء والصوفية على العادة . وفى يوم الأحد ثامن عشر صفر درس بالمسروورية قى الدين عبدالرحمن بن الشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن جمال الدين بن الشرشيفي بحكم انتقاله إلى قضاء حصص ، وحضر الناس عنده وترحموا على والده .

وفي يوم الأحد خامس عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير الكبير صاحب بلاد الروم تمرناش ابن جوبان ، قاصدا إلى مصر ، فخرج نائب السلطنة والجيش إلى تلقيه ، وهو شاب حسن الصورة تام الشكل مليح الوجه . ولما انتهى إلى السلطان بمصر أكرمه وأعطاه مقدمة ألف ، وفرق أصحابه على الأتراء وأكرموا إكراما زائدا ، وكان سبب قدومه إلى مصر أن صاحب العراق الملك أبا سعيد كان قد قتل أخاه جواجارمشتق في شوال من السنة الماضية ، فهم والده جوبان بمحاربة السلطان أبي سعيد فلم يتمكن من ذلك ، وكان جوبان إذ ذاك مدبر الممالك ، فخاف تمرناش هذا عند ذلك من السلطان ففر هاربا بدمه إلى السلطان الناصر بمصر .

وفي ربيع الأول توجه نائب الشام سيف الدين تنكز إلى الديار المصرية لزيارة السلطان فأكرمه واحترمه واشترى في هذه السفرة دار الفلوس التي بالقرب من البرورين والجوزية ، وهي شرقها ، وقد كان سوق البرورية اليوم يسمى سوق القمح ، فاشترى هذه الدار وعمرها دارا هائلة ليس بدمشق دار أحسن منها ، ومماها دار الذهب ، وهدم حمام سويد تلقاها وجمعه دار قرآن وحديث في غاية الحسن أيضا ، ووقف عليها أما كن ورتب فيها المشايخ والطلبة كما سيأتي تفصيله في موضعه ، واجتاز برجوعه من مصر بالقدس الشريف وزاره وأمر ببناء حمام به ، وبناء دار حديث أيضا به ، وخانقاه كما يأتي بيانه . وفي آخر ربيع الأول وصلت القنطرة إلى القدس التي أمر بعمارها وتجديدها سيف الدين تنكز قطبها ، تقام بعمارها مع ولاية تلك النواحي ، وفرج المسلمون بها ودخلت حتى إلى شط المسجد الأقصى ، وعمل به بركة هائلة ، وهي مرخة ما بين الصخرة والأقصى ، وكان ابتداء عملها من شوال من السنة الماضية . وفي هذه المدة عمر سقوف شرافات المسجد الحرام ولوانه ، وعمرت بمكة طهارة مما يلي باب بني شيبه .

قال البرزالي : وفي هذا الشهر كملت عمارة الحمام الذي يسوق باب توما ، وله بابان . وفي ربيع الآخر نقض الترخيم الذي بمحاطط جامع دمشق القبلي من جهة الغرب مما يلي باب الزيادة ، فوجدوا المحاطط متجافيا تخيف من أمره ، وحضر تنكز بنفسه ومعه العصاة وأرباب الخبرة ، فاتفق رأيهم على نقضه وإصلاحه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين ربيع الآخر وكتب نائب السلطنة إلى السلطان يعلمه بذلك ويستأذنه في عمارته ، فجاء المرسوم بالأذن بذلك ، فشرع في نقضه يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى ، وشرعوا في عمارته يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ، وعمل محراب فيها بين الزيادة ومقصورة الخطابة يضاف محراب الصحابة ، ثم جسدوا ولازموا في عمارته ، وتبرع كثير من الناس بالعمل فيه من سائر الناس ، فكان يعمل فيه كل يوم أزيد من مائة رجل ، حتى كملت عمارة الجدار وأعيدت طائفاته وسقوفه في العشرين من رجب وذلك بهمة تقي الدين بن مراح

وهذا من العجب فانه نقض الجدار وما يسامته من السقف ، وأعيد في مدة لا يتخيل إلى أحد أن عمله يفرغ فيها يقارب هذه المدة جزماً ، وساعدهم على سرعة الاعادة حجارة وجدوها في أساس الصومعة الغربية التي عند الغزالية ، وقد كان في كل زاوية من هذا المعبد صومعة كما في الغربية والشرقية القبلتين منه فأبيدت الشماليين قديماً ولم يبق منهما من مدة ألوف من السنين سوى أس هذه المأذنة الغربية الشمالية ، فكانت من أكبر العون على إعادة هذا الجدار سريعاً . ومن العجب أن ناظر الجامع ابن مراحيل لم ينقص أحداً من أرباب المرتبات على الجامع شيئاً مع هذه العماره .

وفي ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بالقرايين واتصل بالماحين ، واحتترقت القيسارية والمسجد الذي هناك ، وهلك للناس شيء كثير من الغرا والجوخ والأقشة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة عاشره بعد الصلاة صلى على القاضي شمس الدين بن الحريري قاضي قضاة الحنفية بمصر ، وصلى عليه صلاة الغائب بدمشق . وفي هذا اليوم قدم البريد يطلب برهان الدين بن عبد الحق الحنفي إلى مصر ليلى القضاء بها بعد ابن الحريري ، ونخرج مسافراً إليها ، ودخل مصر في خامس عشر من جمادى الأولى ، واجتمع بالسلطان فولاه القضاء وأكرمه وخلع عليه وأعطاه بئلة بزناري ، وحكم بالمدرسة الصالحية بمحضرة القضاة والحجاب ، ورسم له بجميع جهات ابن الحريري .

وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عنده الشيخ تقي الدين بن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم ، ومنع من الكتب والمطالعة ، وحملت كتبه في مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالعادلية الكبيرة . قال البرزالي : وكانت نحو ستين مجلداً ، وأربع عشرة ربطة كرايس ، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوا بينها ، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقي ابن الاخنائي المالكي في مسألة الزيارة فرد عليه الشيخ تقي الدين واستجمل وأعلمه أنه قليل البضاعة في العلم ، فطلع الاخنائي إلى السلطان وشكاه ، فرسم السلطان عند ذلك باخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان ، كما ذكرنا . وفي أواخره رسم لملأه الدين بن القلانسي في الدست ، مكان أخيه جمال الدين توقيراً لخطره عن المباشرة ، وأن يكون معلومه على قضاء المسامر والوكالة ، وخلع عليها بذلك .

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر من رجب رسم للأئمة الثلاثة الحنفي والمالكي والحنبلي بالصلاة في الحائط القبلي من الأموي ، فعين المحراب الجديد الذي بين الزيادة والمقصورة للامام الحنفي ، وعين محراب الصحابة للمالكي وعين محراب مقصورة الخضر الذي كان يصلي فيه المالكي للحنبلي ، وعوض إمام محراب الصحابة بالكلاسة ، وكان قبل ذلك في حال العماره قد بلغ محراب الحنفية من المقصورة

المعروفة بهم ، ومحاربا الخنابلة من خلفهم في الرواق الثالث الغربي وكانا بين الأعمدة ، فنقلت تلك المحاريب ، وعوضوا بالمحاريب المستقرة بالحائط القبلي واستقر الأمر كذلك .

وفي العشرين من شعبان مسك الأمير تمش بن جوبان الذي أتى هاربا إلى السلطان الناصر بمصر وجماعة من أصحابه ، وحبسوا بقلعة مصر ، فلما كان ثاني شوال أظهر موته ، يقال إنه قتله السلطان وأرسل رأسه إلى أبي سعيد صاحب العراق ابن خر بندا ملك النصار .

وفي يوم الاثنين ثاني شوال خرج الركب الشامي وأميره نغر الدين عثمان بن شمس الدين لؤي الحلبي أحد أمراء دمشق ، وقاضيه قاضي قضاة الخنابلة عز الدين بن النقي سليمان . وعن حج الأمير حسام الدين الشبقدار ، والأمير قبجق والأمير حسام الدين بن النعجي وتقي الدين بن السلموس وبدر الدين بن الصائغ وأبنا جهيل والفخر المصري ، والشيخ علم الدين البرزالي ، وشهاب الدين الطاهري . وقبل ذلك بيوم حكم القاضي المنفلوطي الذي كان حاكما ببلدك بدمشق نيابة عن شيخه قاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وكان مشكور السيرة ، تألم أهل بلدك لفقده ، فحكم بدمشق عوضا عن القونوي بسبب عزمه على الحج ، ثم لما رجع الفخر من الحج عاد إلى الحكم واستمر المنفلوطي يحكم أيضاً ، فصاروا ثلاث نواب : ابن جملة والفخر المصري والمنفلوطي . وسافر ابن الحشيش في ثاني عشرين شوال إلى القاهرة لينوب عن القاضي نغر الدين كاتب المالكة إلى حين رجوعه من الحج ، فلما وصل ولي حجابة ديوان الجيش ، واستمر هناك ، واستقل قطب الدين ابن شيخ السلامة بنظر الجيش بدمشق على عادته .

وفي شوال خلع على أمين الملك بالديار المصرية وولي نظر الدواوين فباشره شهرا ويومين وعزل عنه .

وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن تيمية

قال الشيخ علم الدين البرزالي في تاريخه : وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة توفي الشيخ الامام العالم العلامة الفقيه الحافظ الزاهد العابد المجاهد القدرة شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن شيخنا الامام العلامة المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم ابن الشيخ الامام شيخ الاسلام أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخطر بن محمد ابن الخطر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، بقلعة دمشق بالقاعة التي كان محبوسا بها ، وحضر جمع كثير إلى القلعة ، وأذن لهم في الدخول عليه ، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرأوا القرآن وتبركوا برويته وتقبيله ، ثم انصرفوا ، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن واقتصروا على من يغسله ، فلما فرغ من غسله أخرج ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع

وامتلأ الجامع أيضاً وصحنه والسكلاسة وباب البريد وباب الساعات إلى باب اللبادين والفواردة ، وحضرت
الجنائزة في الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك ووضعت في الجامع ، والجند قد احتاطوا بها يحفظونها
من الناس من شدة الزحام ، وصلى عليه أولاً بالقلمة ، تقدم في الصلاة عليه أولاً الشيخ محمد بن تمام ،
ثم صلى عليه بالجامع الأموي عقيب صلاة الظهر ، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره ، ثم
تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها ، ثم حل بعد أن صلى عليه على
الرؤس والأصابع ، وخرج النعش به من باب البريد واشتد الزحام وعلت الأصوات بالبكاء والنعيب
والترحم عليه والثناء والدعاء له ، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم ، وذهبت النعال
من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديل وعمائم لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنائزة ، وصار
النعش على الرؤس تارة يتقدم وتارة يتأخر ، وتارة يقف حتى تمر الناس ، وخرج الناس من الجامع
من أبوابه كلها وهي شديدة الزحام ، كل باب أشد زحمة من الآخر ، ثم خرج الناس من أبواب
البلد جميعها من شدة الزحام فيها ، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة : باب الفرج الذي
أخرجت منه الجنائزة ، وباب الفراديس ، وباب النصر ، وباب الجابية . وعظم الأمر بسوق
الخليل وتضاعف الخلق وكثر الناس ، ووضعت الجنائزة هناك وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين
عبد الرحمن ، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبد
الله رحمهما الله ، وكان دفنه قبل العصر بيسير ، وذلك من كثرة من يأتي ويصلي عليه من أهل
البساتين وأهل الفوعة وأهل القرى وغيرهم ، وأغلق الناس حوائطهم ولم يتخلف عن الحضور إلا
من هو عاجز عن الحضور ، مع الترحم والدعاء له ، وأنه لو قدر ما تخلف ، وحضر نساء كثيرات بحيث
حزن بخمسة عشر ألف امرأة ، غير اللاتي كن على الأسطحة وغيرهن ، الجميع يترحن ويبكين
عليه فيما قيل . وأما الرجال فحزروا بستين ألفاً إلى مائة ألف إلى أكثر من ذلك إلى مائتي ألف
وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله ، واقتسم جماعة بقية الصدر الذي غسل به ، ودفع في
الخليط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً ، وقيل إن الطاقية
التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهماً . وحصل في الجنائزة ضجيج وبكاء كثير ، وتضرع
وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد ، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلاً ونهاراً يبيتون
هنا وهناك ويصيحون ، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة ، ورثاه جماعة بقصائد جيدة .

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بمران سنة إحدى وستين وستمائة ، وقدم مع والده وأهله
إلى دمشق وهو صغير ، فسمع الحديث من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبدان والشيخ شمس
بن الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي ، والشيخ جمال الدين بن الصيرفي ، ومجد الدين

ابن عساكر والشيخ جمال الدين البغدادي ، والتجيب بن المقداد ، وابن أبي الخليل ، وابن علان وابن أبي بكر اليهودي والسكال عبد الرحيم والفخر على وابن شيبان والشرف بن القواس ، وزينب بنت مكي ، وخلق كثير معهم منهم الحديث ، وقرأ بنفسه الكثير وطلب الحديث وكتب الطباق والاثبات ولازم السماع بنفسه مدة سنين ، وقل أن سمع شيئاً إلا حفظه ، ثم اشتغل بالعلوم ، وكان ذكياً كثير المحفوظ فصار إماماً في التفسير وما يتعلق به عارفاً بالفقهاء فيقال إنه كان أعرف بفقهاء المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره ، وكان عالماً باختلاف العلماء ، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة ، وغير ذلك من العلوم العقلية والعقلية ، وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن منه ، ورواه عارفاً به متقناً له ، وأما الحديث فكان جامل رأيته حافظاً له مبرزاً بين صحيحه وسقيه ، عارفاً برجاله متضلماً من ذلك ، وله تصانيف كثيرة وتمايلق مفيدة في الأصول والفروع ، كل منها جملة وبيضت وكتبت عنه وقرئت عليه أو بعضها ، وجملة كبيرة لم يكملها ، وجملة كلها ولم تبيض إلى الآن . وأثنى عليه وعلى علومه وفوائده جماعة من علماء عصره ، مثل القاضي الخواري ، وابن دقيق العيد ، وابن النحاس ، والقاضي الخنفي قاضي قضاة مصر ابن الحريري وابن الزملكاني وغيرهم ، ووجدت بخط ابن الزملكاني أنه قال : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، وأن له اليد الطولى في حسن التصنيف وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتدوين ، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات :

ماذا يقول الواصفون لهُ وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة الله قاهرة هربيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وهذا الشناء عليه ، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة ، وكان يني وبينه مودة وصحبة من الصغر ، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة ، وله فضائل كثيرة ، وأسماء مصنفاته وسيرته وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة وحبه مرات وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع ، وهذا الكتاب . ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز ، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوماً ولما وصلنا إلى تبوك ، وحصل التأسف لفقد روحه الله تعالى . هذا لفظه في هذا الموضع من تاريخه . ثم ذكر الشيخ دلم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبي بكر بن أبي داود وعقلها ، وجنازة الامام أحمد ببغداد وشهرتها ، وقال الامام أبو عثمان الصابوني : سمعت أبا عبد الرحمن السيوقي يقول : حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبي الحسن الدارقطني فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول سمعت عبداً لله بن أحمد بن حنبل يقول سمعت أبي يقول : قولوا لاهل البدع بيننا وبينكم الجنائز ، قال ولا شك أن جنازة أحمد بن

حنبل كانت هائلة عظيمة ، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك ، وتعليمهم له ، وأن الدولة كانت تحبه ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله توفى ببلدة دمشق ، وأهلها لا يشرون أهل بغداد حينئذ كثرة ، ولكنهم اجتمعوا لجنائزته اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر ، وديوان حاصر لما بلغوا هذه الكثرة التي اجتمعوها في جنازته ، وانتبوا إليها . هذا مع أن الرجل مات بالقلمة محبوبا من جهة السلطان ، وكثير من الفقهاء والقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة ، مما ينفر منها طباع أهل الأديان ، فضلا عن أهل الاسلام . وهذه كانت جنازته .

قال : وقد اتفق موته في سحر ليلة الاثنين المذكور ، فذكر ذلك مؤذن القلمة على المنسارة بها وتكلم به الحراس على الأبرجة ، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم ، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلمة من كل مكان أمكنهم الحجي منه ، حتى من الفوطة والمروج ، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا ، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة ، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد في بعض الأماكن ، فحارت الدولة ماذا يصنعون ، وجاء الصاحب شمس الدين غير يال نائب القلمة فمزاء فيه ، وجلس عنده ، وفتح باب القلمة لمن يدخل من الخواص والاصحاب والاجباب ، فاجتمع عند الشيخ في قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة وغيرهم من أهل البلد والصلحية ، فجلسوا عنده ويكونون يثنون * على مثل ليلي يقتل المرء نفسه * وكانت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني رحمه الله ، وكشفت عن وجه الشيخ ونظرت إليه وقبلته ، وعلى رأسه علامة بعنق مفروزة وقد علاه الشيب أكثر مما طارفتاه . وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلمة ثمانين ختمة وشرعا في الحادية والثمانين ، فانهينسا فيها إلى آخر اقتربت الساعة [إن المنتقن في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر] فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الطيران عبد الله بن الحب وعبد الله الزرعي الضرب . وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدأ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن وأنا حاضر أسمع وأرى .

ثم شرعوا في غسل الشيخ وخرجت إلى مسجد هناك ولم يدعوا عنده إلا من ساعد في غسله ، منهم شيخنا الحافظ المزني وجماعة من كبار الصالحين الأخيار ، أهل العلم والإيمان ، فما فرغ منه حتى امتلأت القلمة وضج الناس بالبكاء والثناء والدعاء والترحم ، ثم ساروا به إلى الجامع فسلكوا طريق المادية على المادية الكبيرة ، ثم عطفوا على ثلاث الناطقانيين ، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هسمت لتصلح ، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموي ، والخلق فيه بين يدي الجنازة وخلفها وعن يمينها وشمالها مالا يحصى عدتهم - إلا الله تعالى ، فصرخ صارخ وصاح صائح هكذا

تكون جنازته أئمة السنة فتباكي الناس وضجوا عند سماع هذا الصياح ووضع الشيخ في موضع الجنازة مما يلي المقصورة ، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف ، بل مرصوحين رصا لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جوامع وبرى الأزقة والاسواق ، وذلك قبل أذان الظهر بقليل ، وجاء الناس من كل مكان ، ونوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون في هذا اليوم لا لى ولا لشرب ، وكثر الناس كثرة لا تحمد ولا توصف ، فلما فرغ من أذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة ، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لفتية الخطيب بمصرفلى عليه إماما ، وهو الشيخ علاء الدين الخراط ، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع والبلد كما ذكرنا ، واجتمعوا بسوق الخليل ، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى في الجامع إلى مقابر الصوفية ، والناس في بكاء وتهليل في مخافتة كل واحد بنفسه ، وفي ثناء وتأسف ، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يكيين ويدعين ويقلن هذا العالم .

وبالجملة كان يوما مشهودا لم يهد مثله بدمشق إلا أن يكون في زمن بنى أمية حين كان الناس كثيرين ، وكانت دار الخلافة ، ثم دفن عند أخيه قريبا من أذان العصر على التحديد ، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة ، وتقريب ذلك أنه عبارة عن أمكنة الحضور من أهل البلد وحواضره ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والجدرات ، وما علمت أحداً من أهل العلم إلا النفر اليسير تخلف عن الحضور في جنازته ، وهم ثلاثة أنفس : وم ابن جملة ، والصدر ، والقفجارى ، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعداته فاختفوا من الناس خوفاً على أنفسهم ، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس ، وتردد شيخنا الامام العلامة برهان الدين الفزارى إلى قبره في الايام الثلاثة وكذلك جماعة من علماء الشافعية ، وكان برهان الدين الفزارى يأتي راكبا على حماره وعليه الجلالة والوقار رحمه الله .

وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة ، ورئى بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جدا . وقد أفردت له تراجم كثيرة ، وصنف في ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم ، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة في ذكر مناقبه وفضائله وشجاعته وكرمه ونصحه وزهادته وعبادته وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة وصفاته الكبار والصغار ، التي احتوت على غالب العلوم ومفرداته في الاختيارات التي نصرها بالكتاب والسنة وأقربها .

وبالجملة كان رحمه الله من كبار العلماء ومن يخطى ويصيب ولكن خطؤه بالنسبة إلى صوابه كمنطة في بحر جلى ، وخطؤه أيضا مغفور له كما في صحيح البخارى : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله

أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، فهو مأجور . وقال الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر .

وفي سادس عشرين ذى القعدة نقل تنكير حواصله وأمواله من دار الذهب داخل باب الفرداس إلى الدار التي أنشأها ، وتعرف بدار فلوس ، فسميت دار الذهب ، وعزل خزنداره ناصر الدين محمد ابن عيسى ، وولى مكانه مملوكه أباجى . وفي ثاني عشرين القعدة جاء إلى مدينة عجلون سيل عظيم من أول النهار إلى وقت العصر ، فهدم من جامعها وأسواقها ورباعها ودورها شيئاً كثيراً ، وغرق سبعة نفر ، وهلك للناس شيء كثير من الأموال والغلات والامتعة والمواشى ما يقارب قيمته ألف ألف درهم والله أعلم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة ألزم القاضي الشافعى الشيخ علاء الدين القونوى جماعة اليهود بسائر المراکز أن يرسلوا في عمامهم العذبات لينميزوا بذلك عن عوام الناس ، ففعلوا ذلك أياماً ثم تضرروا من ذلك فأرخص لهم في تركها ، ومنهم من استعربها . وفي يوم الثلاثاء عشرين ذى الحجة أفرج عن الشيخ الامام العالم العلامة أبى عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية ، وكان معتقلاً بالقلمة أيضاً ، من بعد اعتقال الشيخ تقي الدين بأيام من شعبان سنة ست وعشرين إلى هذا الحين ، وجاء الخبر بأن السلطان أفرج عن الجوالى والامير فرج بن قراسنقر ، ولاجين المنصورى ، وأحضروا بعد العيد بين يديه ، وخلع عليهم . وفيه وصل الخبر بموت الأمير الكبير جوبان نائب السلطان أبى سعيد على تلك البلاد ، و وفاة قرا سنقر المنصورى أيضاً كلاهما في ذى القعدة من هذه السنة ، وجوبان هذا هو الذى ساق القناة الواصلة إلى المسجد الحرام ، وقد غرم عليها أموالاً جزيلة كثيرة ، وله تربة بالمدينة النبوية ، ومدرسة مشهورة ، وله آثار حسنة ، وكان جيد الاسلام له همة عالية وقد دبر المالك في أيام أبى سعيد مدة طويلة على السداد ، ثم أراد أبو سعيد مسكه فتخلص من ذلك كما ذكرنا ، ثم إن أباً سعيد قتل ابنه خواجا رمش في السنة الماضية فقتل ابنه الآخر تمرناش هارباً إلى سلطان مصر ، فأواه شهراً ثم ترددت الرسل بين الملكين في قتله فقتله صاحب مصر فبقي وأرسل برأسه إليه ، ثم توفى أبوه بعده بقليل ، والله أعلم بالسراير .

وأما قراسنقر المنصورى فهو من جملة كبار أمراء مصر والشام ، وكان من جملة من قتل الاشرف خليل بن المنصور كما تقدم ، ثم ولى نيابة مصر مدة ، ثم صار إلى نيابة دمشق ثم إلى نيابة حلب ، ثم فر إلى التتر هو والانرم والزركاى فأواهم ملك التتار خر بنداً وأكرمهم وأقطعهم بلاداً كثيرة ، وتزوج قراسنقر بنت هولاكو ثم كانت وفاته بمرأغة بلده التي كان حاكماً بها في هذه السنة ، وله نحو تسعين سنة والله أعلم .

ومن توفي فيها من الاعيان شيخ الاسلام العلامة تقي الدين ابن تيمية كما تقدم ذكر ذلك في الحوادث وسنفرده له ترجمة على حدة إن شاء الله تعالى .

الشريف العالم عز الدين

عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الحسن الملوى الحسينى العراقى الاسكندري الشافعى ، سمع الكثير وحفظ الوجيز فى الفقه ، والايضاح فى النحو ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا وبلغ تسعين سنة وعقله وعلمه وذهنه ثابت متيقظ ، ولد سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وتوفى يوم الجمعة خامس الحرم ، ودفن بالاسكندرية بين المادى رحمه الله

الشمس محمد بن عيسى التكريدى

كانت فيه شهامة وحزامة ، وكان يكون بين يدى الشيخ تقي الدين بن تيمية كالمنفذ لما يأمر به وينهى عنه . ورسله الأمراء وغيرهم فى الأمور المهمة ، وله معرفة وفهم بتبليغ رسالته على أتم الوجوه توفى فى الخامس من صفر بالنبشيات ودفن عند الجامع الكرى رحمه الله تعالى .

الشيخ أبو بكر الصالحى

أبو بكر بن شرف بن محسن بن معن بن عمان الصالحى ، ولد سنة ثلاث وخمسين وستائة ، وسمع الكثير سمح الشيخ تقي الدين بن تيمية والمزى ، وكان ممن يحب الشيخ تقي الدين ، وكان معهما كالخادم لهما ، وكان فقيراً ذا عيال يتداول من الزكاة والصدقات ما يقيم بأوده ، وأقام فى آخر عمره بمحض ، وكان فصيحاً مغوياً ، له تأليفات وتصانيف فى الأصول وغيرها ، وكان له عبادة وفيه خير وصالح ، وكان ينسكح على الناس بعد صلاة الجمعة إلى العصر من حفظه ، وقد اجتمعت به مرة سمح شيخنا المزى - بن قدم من محض فكان قوى العبارة فصيحاً متوسطاً بالعلم ، له ميل إلى التصوف والكلام فى الأحوال والأعمال والقلوب وغير ذلك ، وكان يكثر ذكر الشيخ تقي الدين بن تيمية . توفى بمحض فى الثانى والعشرين من صفر من هذه السنة ، وقد كان الشيخ بمحض الناس على الاحسان إليه ، وكان يعطيه ويرفده .

ابن الدواليبى البغدادى

الشيخ الصالح العالم العابد الرحلة المسند المعمر عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الحسن ابن أبى الحسين بن عبد الغفار البغدادى الأرجى الحنبلى المعروف بابن الدواليبى ، شيخ دار الحديث المستنصرية ، ولد فى ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وستائة . وسمع الكثير ، وله إجازات عالية ، واشتغل بحفظ الخرق ، وكان فاضلاً فى النحو وغيره ، وله شرح حسن ، وكان رجلاً صالحاً جواداً للتسعين . صار رحلة العراق ، وتوفى يوم الخميس رابع جمادى الأولى ودفن بمقبرة الامام أحمد مقابر الشهداء .

رحمه الله ، وقد أجازني فيمن أجاز من مشايخ بغداد والله الحمد .

قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي عمرو عثمان بن أبي الحسن عبد الوهاب الأنصاري الحنفي ، ولد سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الحديث واشتغل وقرأ الهداية ، وكان فقيهاً جيداً ، ودرس بأماكن كثيرة بدمشق ، ثم ولي القضاء بها ، ثم خطب إلى قضاء الديار المصرية فاستمر بها مدة طويلة محفوظ العرض ، لا يقبل من أحد هدية ولا تأخذه في الحكم لومة لائم ، وكان يقول إن لم يكن ابن تيمية شيخ الإسلام فن ؟ وقال لبعض أصحابه : أحب الشيخ تقي الدين ؟ قال : نعم ، قال : والله لقد أحببت شيئاً ملبحاً . توفي رحمه الله يوم السبت رابع جمادى الآخرة ودفن بالقرافة ، وكان قد عين لمنصبه القاضي برهان الدين بن عبد الحق ففقدت وصيته بذلك ، وأرسل إليه إلى دمشق فأحضر فباشر الحكم بعده وجميع جهاته . الشيخ الامام العالم المقرئ

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الامام تقي الدين محمد بن جبارة بن سبب الولى بن جبارة المقدسى المرداوى الحنبلى ، شارح الشاطبية ، ولد سنة تسع وأربعين وستائة ، وسمع الكثير وعنى بفن القراءة فبرز فيه ، وانتفع الناس به ، وقد أقام بمصر مدة واشتغل بها على الفزارى فى أصول الفقه ، وتوفى بالقدس رابع رجب رحمه الله ، كان يمد من الصالحه الاخيار ، سمع عن خطيب مردا وغيره . ابن العاقولى البغدادي

الشيخ الامام العلامة جمال الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن نائب الواسطى العاقولى ثم البغدادي الشافعى ، مدرس المستنصرية مدة طويلة نحواً من أربعين سنة ، وباشر نظر الأوقاف وعين لقضاء القضاة فى وقت . ولد ليلة الأحد عاشر رجب سنة ثمان وثلاثين وستائة ، وسمع الحديث وبرع واشتغل وأفتى من سنة سبع وخمسين إلى أن مات ، وذلك مدة إحدى وسبعين سنة ، وهذا شئ غريب جداً ، وكان قوى النفس له وجهة فى الدولة ، فكلم كشف كربة عن الناس بسعيه وقصده ، توفي ليلة الأربعاء رابع عشرين شوال ، وقد جاوز التسعين سنة ، ودفن بداره ، وكان قد وقفها على شيخ وعشرة صبيان يسمعون القرآن ويحفظونه ، ووقف عليها أملاكه كلها . تقبل الله منه ورحمه ، ودرس بعده بالمستنصرية قاضى القضاة قطب الدين .

الشيخ الصالح شمس الدين الاسلامي

شمس الدين محمد بن داود بن محمد بن ساب ، السلامى البغدادي ، أحد ذوى اليسار ، وله برنام بأهل العلم ، ولا سيما أصحاب الشيخ تقي الدين ، وقد وقف كتباً كثيرة ، وحجج مرات ، وتوفى ليلة الاحد رابع عشرين ذى القعدة بعد وفاة الشيخ تقي الدين بأربعة أيام ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ودفن

بباب الصغير رحمه الله وأكرم مثواه . وفي هذه الليلة توفيت والدة مريم بنت فرج بن علي من قرية كان الوالد خطيبها ، وهي مجيدل القرية سنة ثلاث وسبعين وستمائة ، وصلى عليها بعد الجمعة ودفنت بالصوفية شرقي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله تعالى .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

استهات والخليفة والحكام هم المباشرون في التي قبلها ، غير أن قطب الدين ابن شيخ الإسلاميه اشتغل بنظر الجيش . وفي المحرم طلب القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب سر دمشق وولده شهاب الدين ، وشرف الدين بن قمس الدين بن الشهاب محمود إلى مصر على الليرة ، فباشر القاضي الصدر الكبير محي الدين المذكور كتابة السربها عوضاً عن علاء الدين بن الأثير لمرض اعترأ ، وأقام عنده ولده شهاب الدين ، وأقبل شرف الدين الشهاب محمود إلى دمشق على كتابة السر عوضاً عن ابن فضل الله . وفيه ذهب ناصر الدين مشد الأوقاف ناظرآ على القدس والخليل ، فممر هنالك عمارات كثيرة الملك الأمراء تنكز ، وفتح في الأقصى شباكين عن بين الحراب وشماله وجاء الأمير نجم الدين داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن الزبيق من شد الدواوين بمص إلى شدها بدمشق . وفي الحادي والعشرين من صفر كسل ترخيم الحائط القبلي من جامع دمشق وبسط الجامع جميعه ، وصلى الناس الجمعة به من الغد ، وفتح باب الزيادة ، وكان له أياماً مف ذلك في مباشرة تقي الدين بن مراجل .

وفي ربيع الآخر قدم من مصر أولاد الأمير شمس الدين قراسنقر إلى دمشق فسكنوا في دار أبيهم داخل باب الفردائس ، في دهليز المقدمة ، وأعيدت عليهم أملاكهم الخلفة عن أبيهم ، وكانت تحت الحوطة ، فلما مات في تلك البلاد أفرج عنها أو أكثرها . وفي يوم الجمعة آخر شهر ربيع الآخر أنزل الأمير جوبان وولده من قلعة المدينة النبوية وهما ميتان مصبران في توأبتهما ، فصلى عليهما بالمسجد النبوي ، ثم دفنا بالبقيع عن مرسوم السلطان ، وكان مراد جوبان أن يدفن في مدرسته فلم يمكن من ذلك .

وفي هذا اليوم صلى بالمدينة النبوية على الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وعلى القاضي نجم الدين البالى المصرى صلاة الغائب . وفي يوم الاثنين منتصف جمادى الآخرة درس القاضي شهاب الدين أحمد بن جهيل بالمدرسة البادرانية عوضاً عن شيخنا برهان الدين الفزاري توفى إلى رحمة الله تعالى ، وأخذ مشيخة دار الحديث منه الحافظ شمس الدين الذهبي ، وحضرها في يوم الأربعاء سابع عشره ، ونزل عن خطابة بطنا للشيخ جمال الدين المسلاى المالكي ، فخطب بها يوم الجمعة تاسع عشره . وفي أواخر هذا الشهر قدم نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون إلى دمشق

قاصدا باب السلطان ، فتلقاء نائب دمشق وأنزله بداره التي عند جامعه ، ثم سار نحو مصر فغاب
نحواً من أربعين يوماً ، ثم عاد راجعاً إلى نيابة حلب . وفي عاشر رجب طلب الصاحب نقي الدين
ابن عمر بن الوزير شمس الدين بن السلخوس إلى مصر فولى نظراً للدواوين بها حتى مات عن قريب .
وخرج الركب يوم السبت تاسع شوال وأهله سيف الدين باطلي ، وقاضيه شهاب الدين القيمري
وفي الحجاج زوجة ملك الأمراء تنكز ، وفي خدمتها العلوأشي شبل الدولة وصدر الدين المالكي ،
وصلاح الدين ابن أخي الصاحب نقي الدين توبة ، وأخوه شرف الدين ، والشيخ علي المغربي ،
والشيخ عبد الله الضرير وجماعة .

وفي بكرة الأربعاء ثالث شوال جاس القاضي ضياء الدين علي بن سليم بن زبيبة للحكم بالعادية
الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة القونوي ، وعوضاً عن الفخر المصري بحكم نزوله عن ذلك
وإعراضه عنه تاسع عشر رمضان من هذه السنة . وفي يوم الجمعة سادس ذي القعدة بعد أذان
الجمعة صعد إلى منبر جامع الحاكم بمصر شخص من ممالك الجالولي يقال له أرسى ، فادعى أنه المهدي
وسمع سجعات يسيرة على رأي الكهان ، فأنزل في شريعة ، وذلك قبل حضور الخطيب بالجامع
المذكور . وفي ذي القعدة وما قبله وما بعده من أواخر هذه السنة وأوائل الأخرى وسمعت الطرقات
والأسواق داخل دمشق وخارجها ، مثل سوق السلاح والرصيف والسوق الكبير وباب البريد ومسجد
القصص إلى الزنجيلية ، وخارج باب الجابية إلى مسجد الدبان ، وغير ذلك من الأماكن التي كانت
تضيق عن سلوك الناس ، وذلك بأمر تنكز ، وأمر بإصلاح القنوات ، واستراح الناس من ترتيش
الماء عليهم بالنجاسات . ثم في العشر الأخير من ذي الحجة رسم بقتل الكلاب فقتل منهم شيء
كثير جداً ، ثم جمعوا خارج باب الصغير مما يلي باب كيسان في الخندق ، وفرق بين الذكور منهم
والإناث لموتوا سريعاً ، ولا يتوالدوا ، وكانت الجيف والميتات تنقل إليهم فاستراح الناس من النجاسة
من الماء والكلاب ، وتوسعت لهم الطرقات .

وفي يوم الجمعة ثاني عشر ذي الحجة حضر شيخنا الشيوخ بالسماطية قاضي القضاة شرف الدين
المالكي بعد وفاة قاضي القضاة القونوي الشافعي ، وقرأ تقليده بالسبحة بها وحضره الأعيان وأعيد
إلى ما كان عليه .

ومن توفي فيها من الأعيان

الامام العالم نجم الدين

نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي ، شارح
التنبيه ، ولد سنة ستين وسبعمائة ، وسمع الحديث واشتغل بالفقه وغيره من فنون العلم ، فبرع فيها

ولازم ابن دقيق العيد وناب عنه في الحكم ، ودرس بالمغربية والطبرسية وجامع مصر ، وكان مشهوراً بالفضيلة والديانة وملازمة الاشتغال . توفي ليلة الخميس رابع عشر المحرم ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة ، رحمه الله .

الأمير سيف الدين قطلوبك التشنكير الرومي

كان من أكابر الأمراء وولى الحجوبية في وقت ، وهو الذي عمر القنطرة بالقدس ، توفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول ودفن بقرية شمال باب الفرديس ، وهي مشهورة حسنة ، وحضر جنازته بسوق الخيل النائب والأمراء . محدث اليمن

شرف الدين أحمد بن فقيه زبيد أبي الحسين بن منصور الشماخي المصنعي ، روى عن المكين وغيرهم ، وبلغت شيوخه خمسمائة أو أزيد ، وكان رحلة تلك البلاد ومفيدها الخير ، وكان فاضلاً في صناعة الحديث والفقه وغير ذلك ، توفي في ربيع الأول من هذه السنة .

نجيم الدين أبو الحسن

علي بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الواحد أبو محمد بن المسلم أحد رؤساء دمشق المشهورين ، له بيت كبير ونسب عريق ، ورياسة باذخة وكرم زائد ، باشر فطر الأيتام مدة ، وجمع الكثير وحدث ، وكانت لديه فضائل وفوائد ، وله الثروة الكثيرة ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة ، ومات يوم الاثنين ضحوة خامس ربيع الآخر ، وصلى عليه بعد الظهر بالأمرى ، ودفن بسفح قاسيون بقرية أعدها لنفسه ، وقبران عنده ، وكتب على قبره (قل يا عبادي الذين أمرتكم على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) الآية ، وسمنا عليه الموطأ وغيره .

الأمير بكتمر الحاجب

صاحب الحمام المشهور خارج باب النصر في طريق مقابر الصوفية من ناحية الميدان ، كانت وفاته بالقاهرة في عشرين ربيع الآخر ، ودفن بديره التي أنشأها إلى جانب داره هناك .

الشيخ شرف الدين عيسى بن محمد ابن قراجا بن سليمان

السهر وردى الصوفى الواعظ ، له شعر ومعرفة بالألحان والأنغام ، ومن شعره قوله :
بشراك يا سعدُ هذا الحى قد بانا * فخلها سييطل الابل والبانا (١)
منازل ما وردنا طيب منزلها * حتى شربنا كؤوس الموت أحياناً
متناغماً وشوقاً في المسير لها * فنذوا في نسيم القرب أحياناً

توفي في ربيع الآخر .

(١) كذا في الأصل . وليحرر .

شيخنا العلامة برهان الدين انفزاري

هو الشيخ الامام العالم العلامة شيخ المذهب وعلمه ومفيد أهله ، شيخ الاسلام مفتي الفرق بقية السلف برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العلامة تاج الدين أبي محمد عبد الرحمن ابن الشيخ الامام المقرئ المفتي برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن سباع بن ضياء انفزاري المصري الشافعي ، ولد في ربيع الأول سنة ستين وستمائة ، وسمع الحديث واشتغل على أبيه وأعاد في حلقته وبرع وساد أقرانه ، وسائر أهل زمانه من أهل مذهبه في دراية المذهب ونقله وتجسده ، ثم كان في منصب أبيه في الندر يس بالبادرائية ، وأشغل الطلبة بالجامع الأموي فانتفع به المسلمون ، وقد عرضت عليه المناصب السكبار فأبأها ، فن ذلك أنه باشر الخطابة بمسند عمه العلامة شرف الدين مدة ثم تركها وعاد إلى البادرائية ، وعرض عليه قضاء قضاء الشام بعد ابن مصري وألح نائب الشام عليه بنفسه وأعوانه من الدولة فلم يقبل ، وصمم وامتنع أشد الامتناع ، وكان مقبلاً على شأنه عارفاً بزمانه مستغفراً أوقاته في الاشتغال والعبادة ليلاً ونهاراً ، كثير المطالعة وإسراع الحديث ، وقد سمعنا عليه صحيح مسلم وغيره ، وكان يدرس بالمدرسة المذكورة ، وله تعليقات كثيرة على التلخيص ، فيه من الفوائد ما ليس يوجد في غيره ، وله تعليق على مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، وله مصنفات في غير ذلك كبار . وبالجملة فلم أر شافعيًا من مشايخنا مثله ، وكان حسن الشكل عليه البهاء والجلالة والوقار ، حسن الأخلاق ، فيه حدة ثم يعود قريباً ، وكرمه زائد وإحسانه إلى الطلبة كثير ، وكان لا يقنئ شيئاً ويعرف مرتبه وجامعية مدرسته في مصالحه ، وقد درس بالبادرائية من سنة سبعين وستمائة إلى عامه هذا ، توفي بكرة يوم الجمعة مسابح جمادى الأولى بالمدرسة المذكورة ، وصلى عليه عقب الجمعة بالجامع وحملت جنازته على الرأس وأطراف الأنامل ، وكانت حافلة ، ودفن عند أبيه وعمه وذويه بباب الصغير رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم الزاهد الورع

محمد الدين إسماعيل الحارثي الحنبلي ، ولد سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقرأ القراءات وسمع الحديث في دمشق حين انتقل مع أهله إليها سنة إحدى وسبعين ، واشتغل على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، ولازمه وانتفع به ، وبرع في الفقه وصحة النقل وكثرة الصحة عمالاً يعنيه ، ولم يزل مواظباً على جهاته ووظائفه لا يتفزع عنها إلا من عذر شرعي ، إلى أن توفي ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى ودفن بباب الصغير رحمه الله تعالى . وفي هذا الحين توفي .

الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الله

الذي كان فاضلاً للدواوين بحجاب ، ثم انتقل إلى نظرها بطرابلس . توفي بجماعة ، وكان محباً للعلماء وأهل الخير ، وفيه كرم وإحسان ، وهو والد القاضي ناصر الدين كاتب السر بدمشق ، وقاضي المسامر

الحلبية ومشيخة الشيوخ بالمساطبة، ومدرس الأسدية بحلب، والناصرية والشامية الجوانية بدمشق.

هبة الله بن حلم الدين مسعود بن أبي المعالي عبد الله بن أبي الفضل ابن الخشيش الكاتب وناظر الجيش بمصر في بعض الأحيان، ثم بدمشق مدة طويلة مستقلاً ومشاركاً لقطب الدين ابن شيخ السلامية، وكان خبيراً بذلك يحفظه على ذهنه، وكانت له يد جيدة في العربية والأدب والحساب وله نظم جيدة، وفيه تودد وتواضع. توفي بمصر في نصف جمادى الآخرة ودفن بقرية الفخر كاتب الماليك.

قاضي القضاة علاء الدين القونوي

علاء الدين القونوي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي التبريزي الشافعي، ولد بمدينة قونية في سنة ثمان وستين وستمائة تقريباً واشتغل هناك، وقدم دمشق سنة ثلاث وتسعين، وهو معدود من الفضلاء فازداد بها اشتغالا، وسمع الحديث وتصدر للاشتغال بحجائها ودرس بالاقبالية ثم سافر إلى مصر فدرس بها في عدة مدارس كبار، وولى مشيخة الشيوخ بها ودمشق، ولم يزل يشتغل بها وينفع الطلبة إلى أن قدم دمشق قاضياً عليها في سنة سبع وعشرين، وله تصانيف في الفقه وغيره، وكان يحرز علوماً كثيرة منها النحو والتصريف والأصلا والفقه، وله معرفة جيدة بكشاف الزخشرى، وفهم الحديث، وفيه إنصاف كثير وأوصاف حسنة، وتعميم لأهل العلم، وخرجت له مشيخة سمعناها عليه. وكان يتواضع لشيخنا المزي كثيراً، توفي ببستانه بالسهم يوم سبت بعد العصر رابع عشر ذي القعدة، وصلى عليه من الغد، ودفن بسفح قاسيون سامحه الله.

الأمير حسام الدين لاجين المنصور الحسامي

ويعرف بلادين الصغير، ولى البر بدمشق مدة، ثم نيابة غزة ثم نيابة البيرة، وبها مات في ذي القعدة، ودفن هناك، وكان ابتنى تربة لزوجه ظاهر باب شرقي فلم يتفق دفنه بها [وماتت بدمشق نفس بأى أرض تموت].

الصاحب عز الدين أبو يعلى

حمزة بن مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن عز الدين أبي غالب المظفر ابن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي بن أسعد بن العميد أبي يعلى بن حمزة بن أسعد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي، أحد رؤساء دمشق الكبير، ولد سنة تسع وأربعين وستمائة، وسمع الحديث من جماعة، ورواه وسمعنا عليه، وله رياسة باذخة وأصالة كثيرة وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا ولم يزل منه صناعة للوظائف إلى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة عشرة كما تقدم ثم عزل، وقد صودر في بعض الأحيان، وكانت له مكازم على الخواص والكبار، وله إحسان إلى الفقراء والمحتاجين. ولم يزل معظماً وجهاً عند الدولة من النواب والملوك والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه

ليلة السبت سادس الحجة ، وصلى عليه من الغد ودفن بقر بته بسفح قاسيون ، وله في الصالحية رباط حسن بمأذنة ، وفيه دار حديث وبر وصديقة رحمه الله .
ثم دخلت سنة ثلاثون وسبعمائة .

استلمت بالأرباء والحكم بالبلاط المذكورون بالتي قبلها سوى الشافعي فانه توفي وولى مكانه في رابع المحرم منها علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السبكي الاخنائي الشافعي وقدم دمشق في الرابع والمشرين منه محبة نائب السلطنة تنكز ، وقد زار القدس وحضر معه تدريس التنكزية التي أنشأها بها . ولما قدم دمشق نزل بالمعادية الكبيرة على العادة ، ودرس بها وبالغزالية ، واستمر بفيابة المنفلوطي ، ثم استناب زين الدين بن المرحل ، وفي صفر باشر شرف الدين محمود بن الخطايري شد الاوقاف وانفصل عنها نجم الدين بن الزبيق إلى ولاية نابلس . وفي ربيع الآخر شرع بترخيم الجانب الشرقي من الأموي نسبة الجانب الغربي ، وشاور ابن مارجل النائب والقاضي على جمع الفصوص من سائر الجامع في الحائط القبل ، فرسما له بذلك . وفي يوم الجمعة أقيمت الجمعة في إيوان الشافعية بالمدرسة الصالحية بمصر ، وكان الذي أنشأ ذلك الأمير جمال الدين نائب الكرك ، بعد أن استفتى العلماء في ذلك . وفي ربيع الآخر تولى القضاء بحلب فمس الدين بن النقيب عوضا عن نقر الدين بن البازري ، توفي ، وولى فمس الدين بن مجد البعلبكي قضاء طرابلس عوضا عن ابن النقيب . وفي آخر جمادى الأولى باشر نيابة الحكم عن الاخنائي محيي الدين بن جميل عوضا عن المنفلوطي توفي .

وفي هذا الشهر وقف الأمير الوزير علاء الدين منغلطاي الناصري مدرسة على الخفية وفيها صوفية أيضا ، ودرس بها القاضي علاء الدين بن التركاني ، وسكنها الفقهاء . وفي جمادى الآخرة رينت البلاد المصرية والشامية ودقت البشار بسبب عافية السلطان من وقعة انصعدت منها يده ، وخلع على الأمراء والأطباء بمصر ، وأطلقت الحبوس . وفي جمادى الآخرة قدم على السلطان رسل من الفرنج يطلبون منه بعض البلاد الساحلية فقال لهم : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، ثم سيرهم إلى بلادهم خاسئين .

وفي يوم الأحد سادس رجب حضر الدرس الذي أنشأه القاضي نقر الدين كاتب المالك على الخفية بمحراهم بجامع دمشق ، ودرس به الشيخ شهاب الدين ابن قاضي الحصين ، أخو قاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق بالديار المصرية ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وانصرفوا من عنده إلى عند ابن أخيه صلاح الدين بلجوهري ، درس بها عوضا عن حموه فمس الدين ابن الزكي نزل له عندها . وفي آخر رجب خطب بالجامع الذي أنشأه الأمير سيف الدين الماشي الحاجب ظاهر القاهرة

بالإمام ، وخطب بالجامع الذي أنشأه قوصون بين جامع طولون والصلحية ، يوم الجمعة حادى عشر
رمضان وحضر السلطان وأعيان الأمراء الخطبة ، خطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى
الثانى ، وخاع عليه خلمة سنية ، واستقل فى خطابته بدر الدين بن شكرى .

وخرج الركب الشامى يوم السبت حادى عشر شوال وأمير سيف الدين المرساوى صهر بلبان
البيرى ، وقاضيه شهاب الدين ابن المجد عبد الله مدرس الاقبالية ، ثم تولى قضاء القضاة كاسيانى ،
ومن حجج فى هذه السنة رضى الدين بن المنطقى ، والشمس الأردبيلى شيخ الجارضية وصفى الدين
ابن الحريرى ، وثمس الدين ابن خطيب بيردز ، والشيخ محمد النيربانى وغيرهم ، فلما قضا
مناسكهم رجعوا إلى مكة لطواف الوداع ، فبينما هم فى سماع الخطبة إذ سمعوا جلبة الخيل من بنى حسن
وعبيدهم ، قد سطعوا على الناس فى المسجد الحرام ، فنار إلى قتالهم الأتراك فاقتتلوا فقتل أمير من
الطليخان بمصر ، يقال له سيف الدين جخدار وابنه خليل ، ومملوك له ، وأمير عشيرة يقال له
البايجى ، وجماعة من الرجال والنساء ونهبت أموال كثيرة ، ووقعت خبطة عظيمة فى المسجد ،
وتهارب الناس إلى منازلهم بأبيار الزاهر ، وما كادوا يصلون إليها ما أكلت الجمعة إلا بعد جهد ،
فأنا لله وإنا إليه راجعون . واجتمعت الأمراء كلهم على الرجعة إلى مكة للاخذ بالنار منهم ، ثم كروا
راجعين وتبعهم العبيد حتى وصلوا إلى مخيم الحجيج ، وكادوا يهبطون الناس عامة جهرة ، وصار أهل
البيت فى آخر الزمان يصدون الناس عن المسجد الحرام ، وبنو الأتراك هم الذين ينصرون الاسلام
وأهلهم ويكفون الأذى عنهم بأنفسهم وأموالهم ، كما قال تعالى [إن أولياؤه إلا المتقون]

ومن توفى فيها من الأعيان علاء الدين ابن الأثير

كاتب السرب بمصر ، على بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأمير الحلبي الاصل ، ثم المصرى ، كانت
له حرمة ووجاهة وأموال وثروة ومكانة عند السلطان ، حتى ضربه الفالج فى آخر عمره فانزل عن
الوظيفة وباشرها ابن فضل الله فى حياته .

الوزير العالم أبو القاسم

محمد بن محمد بن سهل بن محمد بن سهل الأزدى النرغاطى الأندلسى ، من بيت الرياسة والحشمة
ببلاد المغرب ، قدم علينا إلى دمشق فى جمادى الأولى سنة أربع وعشرين ، وهو بمزم الحج ،
سمعت بقراءته صحيح مسلم فى تسعة مجالس على الشيخ نجم الدين بن العسقلانى . قراءة صحيحة ،
ثم كانت وفاته فى القاهرة فى ثمانى عشرين المحرم ، وكانت له فضائل كثيرة فى الفقه والنحو والتاريخ
والأصول ، وكان على الهمة شريف النفس محترماً ببلاده جناباً ، بحيث إنه يولى الملوك ويعزله ، ولم
يل هو مباشرة شئ ولا أهل بيته ، وإنما كان يلقب بالوزير مجازاً .

شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العابد شرف الدين أبي الحسن بن حسين بن غيلان البعلبكي الخنبل ، إمام مسجد السلاطين بدار البطيخ العتيقة ، جمع الحديث وأسمعه ، وكان يقرأ القرآن طرق النهار ، وعليه ختمت القرآن في سنة أحد عشر وسبعمائة ، وكان من الصالحين الكبار ، والعباد الاخيار ، توفي يوم السبت سادس صفر وصلى عليه بالجوامع ودفن بباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة .

وفي هذا الشهر - أعني صفر - كانت وفاة والي القاهرة القديدار وله آثار غريبة ومشهورة .

بها درآص الأمير الكبير

رأس ميمنة الشام ، سيف الدين بها درآص المنصوري أكبر أمراء دمشق ، ومن طال عمره في الحشمة والثروة ، وهو ممن اجتمعت فيه الآيات الكريمة (زين للناس حب الشهوات من النساء) الآية ، وقد كان محببا إلى العامة ، وله بر وصدقة وإحسان ، توفي ليلة الثلاثاء ودفن بقربته خارج باب الجابية ، وهي مشهورة أيضاً .

الحجار ابن الشحنة

الشيخ الكبير المسند المعمر الرحلة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن ابن علي بن بيان الديرمقرئي ثم الصالح الحجار المعروف بابن الشحنة ، جمع البخاري على الزبيدي سنة ثلاثين وسبعمائة بقاسيون ، وإنما ظهر سماعه سنة ست وسبعمائة ففرح بذلك المحدثون وأكثروا السماع عليه ، فقرأ البخاري عليه نحواً من ستين مرة وغيره ، وسمعنا عليه بدار الحديث الاشرفية في أيام الشتويات نحواً من خمسمائة جزءاً بالأجازات والسماع ، وسماعه من الزبيدي وابن القتي ، وله إجازة من بغداد فيها مائة وثمانية وثلاثون شيخاً من العوالي المسنين ، وقد مكث مدة مقدم الحجار بن نحواً من خمس وعشرين سنة ، ثم كان يخطط في آخر عمره ، واستقرت عليه جامكته لما اشتغل بالسماع الحديث ، وقد سمع عليه السلطان الملك الناصر ، وسمع عليه وألبسه الخلع بيده ، وسمع عليه من أهل الديار المصرية والشامية أمم لا يحصون كثرة ، وانتفع الناس بذلك ، وكان شيخاً حسن الهيئة المنظر سليم الصدر معتماً بحواسه وقواه ، فانه عاش مائة سنة محققاً ، وزاد عليها ، لأنه سمع البخاري من الزبيدي في سنة ثلاثين وسبعمائة وأسمعه هو في سنة ثلاثين وسبعمائة في ناسع صفر بجماع دمشق ، وسمعنا عليه يومئذ والله الحمد ، ويقال إنه أدرك موت المعظم عيسى بن العادل لما توفي ، والناس يسمعونهم يقولون مات المعظم ، وقد كانت وفاة المعظم في سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وتوفي الحجار يوم الاثنين خامس عشر من صفر من هذه السنة ، وصلى عليه بالمقابر يوم الثلاثاء ودفن بقربة له عند زاوية الدومي ، بجوار جامع الافرم . وكانت جنازته حافلة رحمه الله .

الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن

أبي نصر المحصل المعروف بابن الشام، اشتغل ببلده ثم سافر وأقام بمدينة سراى من مملكة إربل، ثم قدم دمشق في سنة أربع وعشرين فدرس بالظاهرية البرانية ثم بالجوارضية، وأضيف إليه مشيخة رباط القصر، ثم نزل عن ذلك لزواج ابنته نور الدين الأردبيل، توفي في ربيع الأول وكان يعرف طرفاً من الفقه والطب.

الشيخ إبراهيم الهدمة

أصله كردى من بلاد المشرق، فقدم الشام، وأقام بين القدس والخليل، في أرض كانت موانا فأحيائها وغرسها وزرع فيها أنواعاً، وكان يقصد للزيارة، ويحكي الناس عنه كرامات صالحة، وقد بلغ مائة سنة، وتزوج في آخر عمره ورزق أولاداً صالحين، توفي في جمادى الآخرة رحمه الله الست صاحبة التربة بباب الخواصين الخوذة المقلعة المحجة المحترمة:

سقيته بنت الأمير سيف الدين

كركاى المنصوري، زوجة نائب الشام تنكر، توفيت بدار الذهب وصلى عليها بالجامع ثالث رجب، ودفنت بالتربة التي أمرت بإنشائها بباب الخواصين، وفيها مسجد وإلى جانبها رباط للنساء ومكتب للإيتام. وفيها صدقات وبر وصلات، وقرأ عليها، كل ذلك أمرت به، وكانت قد حجت في العام الماضي رحمه الله. قاضي قضاء طرابلس

شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد الشافعي، اشتغل ببلده وبرع في فنون كثيرة، وأقام بدمشق مدة يدرس بالقوصية والجامع، ويؤم بعمدة أم الصالح، ثم انتقل إلى قضاء طرابلس فأقام بها أربعة أشهر، ثم توفي في سادس رمضان وتولاهما بعده ولده تقي الدين وهو أحد الفضلاء المشهورين، ولم تطل مدته حتى عزل عنها وأخرج منها.

الشيخ الصالح

عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف بن أبي القاسم الحوراني، شيخ طائفتهم وإليه مرجع زوايتهم بحوران، كان عنده تفقه بعض شيء، وزهادة ويزار، وله أصحاب يخدمونه، وبلغ السبعين سنة، وخرج لتوديع بعض أهله إلى ناحية الكرك من ناحية الحجاز فأدركه الموت هناك، فمات في أول ذي القعدة.

الشيخ حسن بن علي

ابن أحمد الانصارى الضرب كان بفرد عين أولاً، ثم عى جملة، وكان يقرأ القرآن ويكثر التلاوة ثم انتقل إلى المنارة الشرقية، وكان يحضر الساعات ويستمع ويتواجد، ولكثير من الناس فيه اعتقاد على ذلك، ولجوارته في الجامع وكثرة تلاوته وصلاته والله يسامحه، توفي يوم السبت في العشر

الأول من ذى الحجة بالمأذنة الشرقية ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

محبي الدين أبو الشاء محمود

ابن الصدر شرف الدين القلانسي ، توفي في ذى الحجة ببستانه ، ودفن بترتهم بسفح قاسيون وهو جد الصدر جلال الدين بن القلانسي ، وأخيه علاء ، وهم ثلاثهم رؤساء .

الشاب الرئيس

صلاح الدين يوسف بن القاضي قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة ، ناظر الجيش أبوه ، نشأ هذا الشاب في نعمة وحشمة وترفه وعشرة واجتماع بالأصحاب ، توفي يوم السبت تاسع عشرين ذى الحجة فاستراح من حشمته وعشترته إن لم تكن وبالا عليه ، ودفن بترتهم تجاه الناصرية بالسفح ، وتأسف عليه أبواه ومعارفه وأصحابه سامحه الله .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة

استهلت والحكام هم المذكورون في التي قبلها ، وقد ذكرنا ما كان من عبيد مكة إلى الحجاج ، وأنه قتل من المصريين أميران ، فلما بلغ الخبر السلطان عظم عليه ذلك ، وامتنع من الاكل على السباط فبا يقال أياما ، ثم جرد ستمائة فارس وقيل ألفا ، والاول أصبح ، وأرسل إلى الشام أن يجرد مقدما آخر ، فجرد الأمير سيف الدين الجلي بن العادلي . وخرج من دمشق يوم دخلها الركب في سادس عشرين المحرم ، وأمر أن يسير إلى إيلة ليجتمع مع المصريين ، وأن يسيرا جميعا إلى الحجاز .

وفي يوم الأربعاء تاسع صفر وصل نهر الساجور إلى مدينة حلب ، وخرج نائب حلب أرغون ومعه الأمراء مشاة إليه في تهليل وتكبير وتحميد ، يتلقون هذا النهر ، ولم يكن أحد من العالي ولا غيرهم أن يتكلم بغير ذكر الله تعالى ، وفرح الناس بوصولهم فرحا شديدا ، وكانوا قد وسعوا في تحصيله من أما كن بعيدة احتاجوا فيها إلى نقب الجبال ، وفيها صخور ضخام وعقدوا له قناطر على الأودية ، وما وصل إلا بعد جهد جهيد ، وأمر شديد ، فله الحمد وحده لا شريك له . وحين رجع نائب حلب أرغون مرض مرضا شديدا ومات رحمه الله .

وفي سابع صفر وسع تنكز الطرقات بالشام ظاهر باب الجابية ، وخرب كل ما يضييق الطرقات . وفي ثاني ربيع الأول لبس علاء الدين القلانسي خلمة سفية لمباشرة نظر الدواوين ديوان ملك الأمراء ، وديوان نظر المارستان ، عوضا عن ابن العادل ، ورجع ابن العادل إلى حجابة الديوان الكبير . وفي يوم ثاني ربيع الأول لبس حماد الدين ابن الشيرازي خلمة نظر الأموى عوضا عن ابن مراحل عزل عنه لا إلى بدل عنه ، وباشر جمال الدين بن القويصرة نظر الأسرى بدلا عن ابن الشيرازي . وفي يوم الخميس آخر ربيع الأول لبس القاضي شرف الدين بن عبد الله بن شرف الدين

حسن ابن الحافظ أبي موسى عبد الله ابن الحافظ عبد الغنى المقدسى خلعاً قضاء الحنابلة عوضاً عن عز الدين بن النقي سليمان ، توفي رحمه الله ، وركب من دار السعادة إلى الجامع ، فقرأ تقليده تحت النسر بمحضرة القضاة والأعيان ، ثم ذهب إلى الجوزية لحكم بها ، ثم إلى الصالحية وهو لا يس الخلع ، واستناب يومئذ ابن أخيه النقي عبد الله بن شهاب الدين أحمد . وفي سابع ربيع الآخر اجتاز الأمير علاء الدين الطنبغا بدمشق وهو ذاهب إلى بلاد حلب نائباً عليها ، عوضاً عن أرغون توفي إلى رحمة الله ، وقد تلقاه النائب والجيش . وفي مشهل جمادى الأولى حضر الأمير الشريف رميشة بن أبي نعي إلى مكة ، فقرأ تقليده بامر مكة من جهة السلطان ، صحبة التجربة ، وخلع عليه وباعه الأمراء المجردون من مصر والشام داخل النكبة ، وقد كان وصول التجار يد إلى مكة في سابع ربيع الأول ، فأقاموا بباب المعلى ، وحصل لهم خير كثير من الصلاة والطواف ، وكانت الأسعار رخيصة معهم .

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر خلع على القاضي عز الدين بن بدر الدين بن جماعة بوكالة السلطان ونظر جامع طولون ونظر الناصرية ، وهناك الناس عوضاً عن التاج ابن إسحاق عبد الوهاب ، توفي ودفن بالقرافة . وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الاخواني تدريس الصارمية وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي ، وحضرها في رجب وحضر عنده الناس خدمة لأبيه ، وفي حادى عشر من جمادى الآخرة رجعت التجربة من الحجاز صحبة الأمير سيف الدين الحلى إفا ، وكانت غيبتهم خمسة أشهر وأياماً وأقاموا بمكة شهراً واحداً ويوماً واحداً وحصل للعرب منهم رعب شديد ، وخوف أكيد ، وعزلوا عن مكة عطية ولولا أخاه رميشة وصلوا وطافوا واعتبروا ، ومنهم من أقام هناك ليحج . وفي ثاني رجب خلع على ابن أبي الطيب بنظر ديوان بيت المال عوضاً عن ابن الصاين توفي .

وفي أوائل شعبان حصل بدمشق هواء شديد مزعج كسر كثيراً من الأشجار والأغصان ، وألقى بعض الحيطان والجدران ، وسكن بعد ساعة بأذن الله ، فلما كان يوم تاسعه سقط برد كبار مقدار بيض الحمام ، وكسر بعض جامات الحمام . وفي شهر شعبان هذا خطب بالمدرسة المعزية على شاطئ النيل أنشأها الأمير سيف الدين طغر دمر ، أمير مجلس الناصري ، وكان الخطيب عز الدين عبد الرحيم بن الفرات الحنفي . وفي نصف رمضان قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم الملعي ابن الفاكهاني المالكي ، نزل عند القاضي الشافعي ، وسمع عليه شيئاً من مصنفاته ، وبخرج إلى الحج عامئذ مع الشاميين ، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق . وفي هذا الشهر وطى سوق الخليل وركبت فيه حصبات كثيرة ، وعمل فيه نحو من أربع مائة ألفاً حتى ساووه وأصاحوه ، وقد كان

قبل ذلك يكون فيه مياه كثيرة ، وملقات . وفيه أصلح سوق الدقيق داخل باب الجابية إلى الثابتية وسقف عليه السقوف .

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال وأميره عز الدين أيبك ، أمير علم ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . ومن حج فيه شهاب الدين بن جهيل وأبو النسر وابن جملة والفخر المصري والصدر المالكي وشرف الدين الكفوي الحنفي ، والبهاء ابن إمام المشهد وجمال الدين الأعمالي ناظر الأيتام ، وشمس الدين الكردي ، ونفر الدين البعلبكي ، ومجد الدين ابن أبي المجد ، وشمس الدين ابن قيم الجوزية ، وشمس الدين ابن خطيب بيرة ، وشرف الدين قاسم العجلوني ، وتاج الدين ابن الفاكهي والشيخ عمر السلاوي ، وكتابه إسماعيل ابن كثير ، وآخرون من سائر المذاهب ، حتى كان الشيخ بدر الدين يقول : اجتمع في ركبنا هذا أربعائة فقيه وأربع مدارس وخانقاه ، ودار حديث ، وقد كان معنا من المفتين ثلاثة عشر نفساً ، وكان في المصريين جماعة من الفقهاء منهم قاضي المالكية تقي الدين الأخنائي ، ونفر الدين النويري ، وشمس الدين ابن الحارثي ، ومجد الدين الأقصري ، وشيخ الشيوخ الشيخ محمد المرشدي . وفي ركب العراق الشيخ أحمد السروجي أشد وكان من المشاهير . وفي الشاميين الشيخ علي الواسطي محبة ابن المرجاني ، وأمير المصريين مناهل الجالي الذي كان وزيراً في وقت ، وكان إذ ذاك مريضاً ، ومررنا بعين تبوك وقد أصلحت في هذه السنة ، وصينت من دوس الجمال والجمالين ، وصار ماؤها في غاية الحسن والصفاء والطيب ، وكانت وقفة الجملة ومطارنا بالعواف ، وكانت سنة مرخصة آمنة .

وفي نصف ذي الحجة رجع تنكز من ناحية قلعة جعبر ، وكان في خدمته أكثر الجيش الشامي ، وأظهر أبهة عظيمة في تلك النواحي . وفي سادس عشر ذي الحجة وصل توقيع القاضي علاء الدين بن القلانسي بجميع جهات أخيه جمال الدين بحكم وفاته مضافاً إلى جهاته ، فاجتمع له من المناصب الكبار ما لم يجتمع لغيره من الرؤساء في هذه الأعصار ، فمن ذلك : وكالة بيت المال ، وقضاء المسكر وكتابة الدست ، ووكالة ملك الأمراء ، ونظر البيمارستان ، ونظر الحرمين ، ونظر ديوان السعيد ، وتدريس الأئمة والظاهرية والعصرانية وغير ذلك انتهى .

ومن توفي فيها من الأعيان قاضي القضاة عز الدين المقدسي

عز الدين أبو عبد الله بن محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي الحنبلي ، ولد سنة خمس وستين وستائة ، وسمع الحديث واشتغل على والده واستنابه في أيام ولايته ، فلما ولي ابن مسلم لزم بيته بمحض درس الجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجليل ويأوى إلى بيته ، فلما توفي ابن مسلم ولي قضاء الحنابلة بعده فحوّاه من أربع سنين ، وكان فيه

تواضع وتودد وقضاء لحوائج الناس ، وكانت وفاته يوم الأربعاء تاسع صفر ، وكان يوماً مطيراً ، ومع هذا شهد الناس جنازته ، ودفن بقبرتهم رحمهم الله ، وولى بعده نائبه شرف الدين ابن الحافظ ، وقد قارب الثمانين . وفي نصف صفر توفى

الأمير سيف الدين قجليس

سيف النعمة ، وقد كان ممتع على الحجاز ووزيره بالقدس الشريف .

وفي منتصف صفر توفى الأمير الكبير سيف الدين أرغون بن عبد الله الدويدار الناصري ، وقد عمل [على] نيابة مصر مدة طويلة ، ثم غضب عليه السلطان فأرسله إلى نيابة حلب ، فمكث بها مدة ثم توفى بها في سابع عشر ربيع الأول ، ودفن بقبرة اشتراها بحلب ، وقد كان عنده فهم وفقه ، وفيه ديانة واتباع للشيعة ، وقد جمع البخاري على الحجاز وكتبه جميعه بخطه ، وأذن له بعض العلماء في الافتاء ، وكان يميل إلى الشيخ آقاي الدين ابن تيمية وهو بمصر ، توفى ولم يكمل الخمسين سنة ، وكان يكره اللهو رحمه الله . ولما خرج يلتقي نهر الساجور خرج في ذل ومسكنة ، وخرج معه الأمراء كذلك مشاة في تكبير وتهليل وتحميد ، ومنع المغاني ومن اللهو واللعب في ذلك رحمه الله .

القاضي ضياء الدين

أبو الحسن علي بن سليم بن ربيع بن سلیمان الأزرعي الشافعي ، تنقل في ولاية الأفضية مدارس كثيرة ، مدة ستين سنة ، وحكم بطرابلس ومجولون وزرع وغيرها ، وحكم بدمشق نيابة عن القونوي نحواً من شهر ، وكان عنده فضيلة وله نظم كثير . نظم التنبية في نحو ست عشرة ألف بيت ، وتصحيحها في ألف وثلاثمائة بيت ، وله مدائح ومواليا وأزجال وغيرها ذلك ، ثم كانت وفاته بالرملة يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول عن خمس وعشرين سنة رحمه الله ، وله عدة أولاد منهم عبد الرزاق أحد الفضلاء ، وهو ممن جمع بين علمي الشريعة والطبيعة .

أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربي

تلك في وقت بلاد قابس ثم أعلم عليه جماعة فأنزعوها منه فقصده مصر فأقام بها وأقطع أقطاعاً ، وكان يركب مع الجندي في زى المغاربة متقلداً سيفاً ، وكان حسن الهيئة باظب على الخدمة إلى أن توفى في جمادى الأولى .

الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس

أحمد بن قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي الشافعي ، مدرس الحسامة ونائب الحكم بمصر ، وأعاد في أماكن كثيرة ، وتفقه على والده ، توفى في جمادى الآخرة وتولى الحسامة بعده ناصر الدين التبريزي .

الصدر الكبير تاج الدين السكاري

المعروف بابن الرهايلي ، كان أكبر تجار دمشق السكارية وبمصر ، توفي في جمادى الآخرة ،
سنة ١٠٠٠ خلف مائة ألف دينار غير البضائع والأثاث والأموال .

الإمام العلامة فنحس الدين

عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن المارداني التركاني الحنفي شرح نفاذ الدين هذا الجامع
وألقاه دروساً في مائة كراس ، توفي في رجب وله إحدى وسبعون سنة ، كان شجاعاً عالماً فاضلاً ، وقوراً
فصيحا حسن المفاكهة ، وله نظم حسن . وولي بعده المنصورية ولده تاج الدين .
تقي الدين عمر ابن الوزير شمس الدين

محمد بن عثمان بن السلوس ، كان صغيراً لما مات أبوه تحت العقوبة ، ثم نشأ في الخدم ثم طلبه
السلطان في آخر وقت فولاه نظار الدواوين بمصر ، فبأشره يوما واحدا وحضر بين يدي السلطان
يوم الخميس ، ثم خرج من عنده وقد اضطرب حاله فما وصل إلى منزله إلا في محنة ، ومات بكرة
يوم السبت سادس عشر من ذي القعدة ، وصلى عليه بجامع عمرو بن العاص ، ودفن عند والده بالقرافة
وكانت جنازته حافلة .

جمال الدين أبو العباس

أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبي الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة بن أسد بن
علي بن محمد التميمي الدمشقي ابن القلانسي ، قاضي العساكر ووكيل بيت المال ومدرس الامينية وغيرها
حفظ التنبيه ثم المحرر للرافعي ، وكان يستحضره ، واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري ، وتقدم
لطالب العلم والرياسة ، وبأشر جهات كباراً ، ودرس بأماكن وتفرد في وقته بالرياسة والبيت والمنصب
الدينية والدينية ، وكان فيه تواضع وحسن سمع وتودد وإحسان وبر بأهل العلم والفقراء والصلحين
وهو ممن أذن له في الافشاء وكتب إنشاء ذلك وأنا حاضر على البديهة فأفاد وأجاد ، وأحسن التعبير
وعظم في عيني . توفي يوم الاثنين ثامن عشر من ذي القعدة ، ودفن بترتهم بالسفح ، وقد سمع
الحديث على جماعة من المشايخ وخرج له فخر الدين البعلبكي مشيخة سمعناها عليه رحمه الله .

ثم دخلت سنة اثنتي وثلاثين وسبع مائة

استلمت وحكام البلاد هم هم ، وفي أولها فتحت القيسارية التي كانت مسبك الفولاذ جوابها
الصغير حولها تنكز قيسارية ببركة . وفي يوم الاربعاء ذكر الدرس بالأمينية والظاهرية علاء الدين بن
القلانسي عوضاً عن أخيه جمال الدين ، وذكر ابن أخيه أمين الدين محمد بن جمال الدين الدرس في
المصرونية ، تركها له عمه ، وحضر عندها جماعة من الأعيان . وفي تاسع المحرم جاء إلى حمص سيل
عظيم غرق بسببه خلق كثير وجم غفير ، وهلك للناس أشياء كثيرة . ومن مات فيه نحو مائتي

امراة بمجام النائب ، كن مجتمعات على عروس أو عروسين فلهن جميعا .

وفي صفر أمر تنكز ببيضاى الجدران المقابلة لسوق الخليل إلى باب الفرديس ، وأمر بتجديد خان الظاهر ، ففرم عليه نحواً من سبعين ألفا . وفي هذا الشهر وصل تابوت لاجين الصغير من البيرة فدفن بترته خارج باب شرقى . وفي تاسع ربيع الآخر حضر الدرس بالقبازية عماد الدين الطرسوسى الحنفى عوضا عن الشيخ رضى الدين المنطيقى ، وفى ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفى أول ربيع الآخر خلع على الملك الأفضل على بن الملك المؤيد صاحب حماة وولاه السلطان الملك الناصر مكان أبيه بحكم وفاته ، وركب بمصر بالعصائب والسبابة والفاشية أمامه . وفى نصف هذا الشهر سافر الشيخ شمس الدين الأصفهاني شارح المختصر ومدرس الرواحية إلى الديار المصرية على خيل البريد وفارق دمشق وأهلها واستوطن القاهرة .

وفي يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة خطب بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين آل ملك واستقر فيه خطيبا نور الدين على بن شبيب الحنبلى . وفيه أرسل السلطان جماعة من الأمراء إلى الصعيد فأحاطوا على ستمائة رجل ممن كان يقطع الطريق فأتلف بعضهم . وفى جمادى الآخرة تولى شد الدواوين بدمشق نور الدين ابن الخشاب عوضا عن الطوقشى . وفى يوم الاربعاء حادى عشر رجب خلع على قاضى القضاة علاء الدين بن الشيخ زين الدين بن المنجا بقضاء الخناينة عوضاً عن شرف الدين بن الحافظ ، وقرئ تقليده بالجامع ، وحضر القضاة والأعيان . وفى اليوم الثانى استناب برهان الدين الزرعى . وفى رجب باشر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق نظار الجيوش بمصر عوضاً عن نغر الدين كاتب المالك توفى ، وباتمر النشو مكانه فى نظار الخلاء ، وخام عليه بطرحة ، فلما كان فى شعبان عزل هو وأخوه العلم ناظر الدواوين وصودروا وضربوا ضرباً عظيماً ، وتولى نظار الجيش المسكين بن قروينة ، ونظر الدواوين أخوه شمس الدين بن قروينة .

وفى شعبان كان عرس أنوك ، ويقال كان اسمه محمد بن السلطان الملك الناصر ، على بنت الأمير سيف الدين بكتمر الساقى ، وكان جهازها بألف ألف دينار ، وذبح فى هذا العرس من الاغنام والدجاج والاوز والخليل والبقر نحو من عشرين ألفا ، وحملت حلوى بنحو ثمانية عشر ألف قنطار ، وحمل له من الشمع ثلاثة آلاف قنطار ، قاله الشيخ أبو بكر ، وكان هذا العرس ليلة الجمعة حادى عشر شعبان وفى شعبان هذا حول القاضى محى الدين بن فضل الله من كتابة السر بمصر إلى كتابة السر بالشام ، ونقل شرف بن شمس الدين بن الشهاب محمود إلى كتابة السر بمصر ، وأقيمت الجمعة بالشامية البرانية فى خامس عشر شعبان ، وحضرها القضاة والأمراء ، وخطب بها الشيخ زين الدين هبة . والنور المغربى وذلك بإشارة الأمير حسام الدين اليشمقدار الحاجب بالشام ، ثم خطب عنه كمال الدين بن الزكى ، وفه

أمر نائب السلطنة بقبض البيوت من سوق الخليل إلى ميدان الحصاء، ففعل ذلك . وفيه زادت الفرات زيادة عظيمة لم يسمع بمثلا ، واستمرت نحو من اثني عشر يوماً فأتلقت بالرحبة أموالاً كثيرة ، وكسرت الجسر الذي عند دير بسر ، وغلت الاسعار هناك فشرعوا في إصلاح الجسر ، ثم انكسرت مرة ثانية .

وفي يوم السبت تاسع شوال خرج الركب الشامي وأميره سيف الدين أوزان ، وقاضيه جمال الدين ابن الشريشي ، وهو قاضي حمص الآن ، وحجج السلطان في هذه السنة وصحبته قاضي القضاة القزويني وعز الدين بن جماعة ، وموفق الدين الحنبلي ، وسبعون أميراً . وفي ليلة الخميس حادى عشرين شوال رسم على صاحب عز الدين غبريال بالمدرسة النجيبية الجوانية ، وصور وأخذت منه أموال كثيرة ، وأفرج عنه في المحرم من السنة الآتية .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد بن محمد

ابن سلطان القرامذي ، أحد المشاهير بالعبادة والزهادة وملازمة الجامع الأموي ، وكثرة التلاوة والذكر ، وله أصحاب يجلسون إليه ، ولمع هذا ثروة وأملاك ، توفي في مسهل المحرم عن خمس أوست وثمانين سنة ، ودفن بباب الصغير ، وكان قد سمع الحديث واشتغل بالعلم ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة إلى أن مات .
الملك المؤيد صاحب حماة

عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين - علي بن الملك المظفر آق الدين محمود بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر آق الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كانت له فضائل كثيرة في علوم متعددة من الفقه والحديث والطب وغير ذلك ، وله مصنفات عديدة ، منها تاريخ حافل في مجلدين كبيرين ، وله نظم الحاوي وغير ذلك ، وكان يحب العلماء ويشار بهم في فنون كثيرة . وكان من فضلاء بني أيوب ، ولي ملك حماة من سنة إحدى وعشرين إلى هذا الحين ، وكان الملك الناصر يكرمه ويعظمه ، وولي بعده ولده الأفضل علي ، توفي في سحر يوم الخميس ثامن عشرين المحرم ، ودفن ضحوة عند والديه بظاهر حماة .

القاضي الإمام تاج الدين السعدي

تاج الدين أبو القاسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي بن عوض بن سنان بن عبد الله السعدي القتيبي الشافعي ، سمع الكثير وخرج لنفسه مجعاً في ثلاث مجلدات ، وقرأ بنفسه الكثير ، وكتب الخط الجيد ، وكان متقناً عارفاً بهذا الفن ، يقال إنه كتب بخطه نحواً من خمسمائة مجلد ، وقد كان شافعيًا مفتياً ، ومع هذا ناب في وقت عن القاضي الحنبلي ، وولى مشيخة الحديث بالمدرسة الصاحبية ، وتوفي

بمصر في مستهل ربيع الأول عن ثنتين وثمانين سنة ، رحمه الله .

الشيخ رضي الدين بن سليمان

المنطقي الحنفي ، أصله من أب كرم ، من بلاد قونية ، وأقام بمحاة ثم بدمشق . ودرس بالقيمازية ، وكان فاضلاً في المنطق والجدل ، واشتغل عليه جماعة في ذلك ، وبلغ من العمر ستاً وثمانين سنة ، وخرج سبع مرات ، توفي ليلة الجمعة سادس عشر من ربيع الأول ، وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية وفي ربيع الأول توفي : الامام علاء الدين طيها

ودفن بترته بالصالحية . وكذلك الأمير سيف الدين زبلاق ، ودفن بترته أيضاً .

قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد

عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغني المتقسي الحنبلي ، ولد سنة ست وأربعين وستائة ، وباشير نيابة ابن مسلم مدة ، ثم ولي القضاء في السنة الماضية ، ثم كانت وفاته فجأة في مستهل جمادى الأولى ليلة الخميس ، ودفن من الغد بترته الشيخ أبي عمر .

الشيخ ياقوت الحبشي

الشاذلي الاسكندراني ، بلغ الثمانين ، وكان له أتباع ، وأصحاب منهم شمس الدين ابن اللبان العقبة الشافعي ، وكان يعظمه ويطريه وينسب إليه مبالغات الله أعلم بصحتها وكذبها ، توفي في جمادى وكانت جنازته حافلة جداً .

النقيب ناصح الدين

محمد بن عبد الرحيم بن قاسم بن إسماعيل الدمشقي ، نقيب المتعممين ، تلهذ أولاً للشهاب المقرئ ثم كان بعده في المحافل العزاء والهناء ، وكان يعرف هذا الفن جيداً ، وكان كثير الطلب من الناس ، ويطلبه الناس لذلك ، ومع هذا مات وعليه ديون كثيرة ، توفي في أواخر رجب .

القاضي فخر الدين كاتب المماليك

وهو محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بمصر ، أصله قبلي فأسلم وحسن إسلامه ، وكانت له أوقاف كثيرة ، وبر وإحسان إلى أهل العلم ، وكان صدراً معظماً ، حصل له من السلطان حظ وافر ، وقد جاوز السبعين وإليه تنسب الفخرية بالقدس الشريف ، توفي في نصف رجب واحتيط على أمواله وأملاكه بعد وفاته رحمه الله .

الأمير سيف الدين الجبائي الدويدار الملكي الناصري

كان قهبا حنفياً فاضلاً ، كتب بخطه أربعة وحصل كتباً كثيرة معتبرة ، وكان كثير الاحسان إلى أهل العلم ، توفي في سلخ رجب رحمه الله .

الطبيب الماهر الحاذق الفاضل

أمين الدين سليمان بن داود بن ساجان ، كان رئيس الأطباء بدمشق ومدرسهم مدة ، ثم عزل
تجمل الدين بن الشهاب السكحال مدة قبل موته لأمر تعصب عليه فيه نائب السلطنة ، توفي يوم
السبت سادس عشرين شوال ودفن بالقبيبات .

الشيخ الامام العالم المقرئ شيخ القراء

برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري ، ثم الخليلي الشافعي ،
صاحب المصنفات الكثيرة في القراءات وغيرها ، ولد سنة أربعين وستمائة بقلعة جعبر ، واشتغل
ببغداد ، ثم قدم دمشق وأقام ببلا الخليل نحو أربعين سنة يقرئ الناس ، وشرح الشاطبية وسمع
الحديث ، وكانت له إجازة من يوسف بن خليل الحافظ ، وصنف بالعربية والعروض والقراءات
نظماً ونثراً ، وكان من المشايخ المشهورين بالفضائل والرياسة والخير والديانة والعفة والصيانة ، توفي
يوم الأحد خامس شهر رمضان ، ودفن ببلا الخليل تحت الزيتون ، وله ثلثان وتسعون سنة رحمه
الله .

قاضي القضاة علم الدين

أبو عبد الله محمد بن القاضي شمس الدين أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمه الأحناء السعدي
المصري الشافعي الحاكم بدمشق وأعمالها ، كان عفيفاً نهما ذكياً سار العبارة محباً للفضائل ، معظماً لأهلها
كثيراً لاسماع - حديث في العادلية الكبيرة ، توفي يوم الجمعة ثالث عشر ذي القعدة ودفن بسفح
قاسيون عند ذبحته تجاه تربة العادل كتبها من ناحية الجبل .

قطب الدين موسى

ابن أحمد بن الحسين بن شيخ السامية ناظر الجيوش الشامية ، كانت له ثروة وأموال كثيرة ،
وله فضائل وإفضال وكرم وإحسان إلى أهل الخير ، وكان مقصداً في المهمات ، توفي يوم الثلاثاء ثاني
الحجة وقد جاوز السبعين ، ودفن بترته تجاه الناصرية بقاسيون ، وهو والد الشيخ الامام العلامة
عز الدين حمزة مدرس الحنبلية .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء والحكام المذكورون في التي قبلها ، وليس للشافعية قاض ، وقاضي
الحنفية عماد الدين الطرسوسي ، وقاضي المالكية شرف الدين المهداني ، ، وقاضي الحنابلة علاء الدين
ابن المنجا ، وكاتب السر محيي الدين بن فضل الله ، وناظر الجامع عماد الدين بن الشيرازي .
وفي ثاني المحرم قدم البشير بسلامة السلطان من الحجاز وباقتراب وصوله إلى البلاد ، فقدت
النشأة وزيفت البلد . وأخبر البشير ب وفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى وولده شهاب الدين

أحمد وهما راجعان في الطريق ، بعد أن حجا قريبا من مصر : الوالد أولا ، ثم من بعده أبوه بثلاثة أيام بميون القصب ، ثم نقلا إلى تربتهما بالقرافة ، ووجد لبكتمر من الأموال والجواهر واللاكي والقماش والأمتعة والحواصل شيء كثير ، لا يكاد ينحصر ولا ينضب ، وأفرج عن الصاحب فشمس الدين غبريال في المحرم ، وطلب في صفر إلى مصر فتوجه على خيل البريد ، واحتيط على أهله بعمدسيه وأخذت منهم أموال كثيرة لبيت المال .

وفي أواخر صفر قدم الصاحب أمين الملك على نظر الدواوين بدمشق عوضا عن غبريال ، وبعده بأربعة أيام قدم القاضي نضر الدين بن الحلبي على نظر الجيش بدمشق قطب الدين ابن شيخ السلامية . وفي نصف ربيع الأول لبس ابن جملة خلع القضاء للشافعية بدمشق بدار السعادة ، ثم جاء إلى الجامع وهي عليه ، وذهب إلى العادلية وقرأ تعليمه بها بمحضرة الأعيان ، ودرس بالعادلية والغزالية يوم الأثر بعاء ثاني عشر الشهر المذكور . وفي يوم الاثنين رابع عشر ربه حضر ابن أخيه جمال الدين محمود إعادة القيصرية نزل له عنها ، ثم استنابه بعد ذلك في المجلس ، وخرج إلى العادلية فحكم بها ، ثم لم يستمر بعد ذلك ، عزل عن النيابة بيومه ، واستقناب بعده جمال الدين إبراهيم بن شمس الدين محمد بن يوسف الحساباني ، وله همة وعنده نزاهة وخبرة بالأحكام .

وفي ربيع الأول ولي شهاب قرطاي نيابة طراباس وعزل عنها طبلان إلى نيابة غزة وتولى نائب غزة حصص ، وحمل للذي جاء بتقاليدهم مائة ألف درهم منهم ، وفي ربيع الآخر أعيد القاضي محي الدين بن فضل الله وولده إلى كتابة سر مصر ، ورجع شرف الدين ابن الشهاب محمود إلى كتابة سر الشام كما كان . وفي منتصف هذا الشهر ولي نقابة الأشراف عماد الدين موسى الحسيني عوضا عن أخيه شرف الدين عدنان توفي في الشهر الماضي ودفن بترتهم عند مسجد الدبان . وفيه درس الفخر المصري بالدولعية عوضا عن ابن جملة بحكم ولايته القضاء . وفي خامس عشر رجب درس بالبادرائية القاضي علاء الدين علي بن شريف ويعرف بابن الوحيد ، عوضا عن ابن جبهل توفي في الشهر الماضي ، وحضر عنده القضاء والأعيان ، وكنت إذ ذاك بالقدس أنا والشيخ فشمس الدين ابن عبد الهادي وآخرون ، وفيه رسم السلطان الملك الناصر بالمنع من رمي البندق ، وأن لا تباع قسيها ولا تعمل ، وذلك لافساد رماة البندق أولاد الناس ، وأن الغالب على من تعاناه اللواط والفسق وقلة الدين ، ونودي بذلك في البلاد المصرية والشامية .

قال البرزالي : وفي نصف شعبان أمر السلطان بتسليم المنجمين إلى والي القاهرة فضر بوا وحبسوا لافسادهم حال النساء ، فأت منهم أربعة تحت العقوبة ، ثلاثة من المسلمين ونصراني ، وكتب إلى بذلك الشيخ أبو بكر الرحبي . وفي أول رمضان وصل البريد بتولية الأمير فخر الدين ابن

الشمس أولو ولاية البر بدمشق بعد وفاة شهاب الدين بن المرواني ، ووصل كتاب من مكة إلى دمشق في رمضان يذكر فيه أنها وقعت صواعق ببلاد الحجاز قتلت جماعة متفرقين في أماكن شتى ، وأمطار كثيرة جداً ، وجاء البريد في رابع رمضان بتولية القاضي محيي الدين بن جميل قضاء طرابلس فذهب إليها ، ودرس ابن المجد عبد الله بالرواحية عوضاً عن الأصهباني بحكم إقامته بمصر . وفي آخر رمضان أفرج عن صاحب علاء الدين وأخيه شمس الدين موسى بن التاج إسحاق بعد سجنهما سنة ونصفاً .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس عاشر شوال وأميره بدر الدين بن مقبد وقاضيه علاء الدين ابن منصور مدرس الحنفية بالقدس بمدرسة تنكز ، وفي الحجاج صدر الدين المالكي ، وشهاب الدين الظاهري ، ومحيي الدين ابن الأعتف وآخرون . وفي يوم الأحد ثالث عشره درس بالانابكية ابن جملة عوضاً عن ابن جميل تولى قضاء طرابلس ، وفي يوم الأحد عشرينه حكم القاضي شمس الدين محمد بن كامل التدمري ، الذي كان في خطابة الخليل بدمشق نيابة عن ابن جملة ، وفرح الناس بدينه وفضيلته .

وفي ذى القعدة مسك تنكز دوا داره ناصر الدين محمد ، وكان عنده مكانة عظيمة جداً ، وضربه بين يديه ضرباً مبرحاً ، واستخلص منه أموالاً كثيرة ، ثم حبسه بالقلعة ثم نفاه إلى القدس ، وضرب جماعة من أصحابه منهم علاء الدين بن مقلد . اجب العرب ، وقطع لسانه مرتين ، ومات وتغيرت الدولة وجاءت دولة أخرى مقدمها عنده حمزة الذي كان سميره وعشيرته في هذه المدة الأخيرة ، وانزاحت النعمة عن الدوا دار ناصر الدين وذويه ومن يليه .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ركب على الكعبة باب حديد أرسله السلطان مرصما من السبط الأحمر كأنه آبنوس ، مراكب عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون ألفاً وثلثمائة وكسره ، وقلع الباب العتيق ، وهو من خشب الساج ، وعليه صفائح تسلمها بنو شيبية ، وكان زنتها ستين رطلاً فباعوها كل درهم بدرهمين ، لأجل التبرك . وهذا خطأ وهو ربا . وكان ينبغي أن يبيعوها بالذهب لثلاثين رطلاً بذلك . وترك خشب الباب العتيق داخل الكعبة ، وعليه اسم صاحب اليمن في الفردتين ، واجدة عليها : اللهم يا ولي يا علي اغفر ليوسف بن عمر بن علي .

ومن توفي فيها من الأعيان :

الشيخ العالم تقي الدين محمود علي

ابن محمود بن مقبل الدقوقي أبو الشفاء البغدادي محدث بغداد منذ خمسين سنة ، يقرأ لهم الحديث وقد ولي مشيخة الحديث بالمستنصرية ، وكان ضابطاً محصلاً بارعاً ، وكان يعظ ويتكلم في الأعزية

والأهنية ، وكان فرداً في زمانه وبلاده رحمه الله ، توفي في المحرم وله قريب السبعين سنة ، وشهد جنازته خلق كثير ، ودفن بتربة الامام أحمد ، ولم يخاف درهما واحداً ، وله قصيدتان رثا بهما الشيخ تقي الدين ابن تيمية كتب بهما إلى الشيخ الحافظ البرزالي رحمه الله تعالى .

الشيخ الامام العالم عن القضاة

نفر الدين أبو محمد عبد الواحد بن منصور بن محمد بن المنير المالكي الاسكندري ، أحد الفضلاء المشهورين ، له تفسير في ست مجلدات ، وقصائد في رسول الله (ص) ، حسنة ، وله في كان وكان ، وقد سمع الكثير وروى ، توفي في جماد الأولى عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن بالاسكندرية رحمه الله .

ابن جماعة قاضي القضاة

العالم شيخ الاسلام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الامام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم ابن سعد الله ابن جماعة بن حازم بن صخر الكنتاني الحموي الأصل ، ولد ليلة السبت رابع ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وستمائة بمحاذة ، وسمع الحديث واشتغل بالعلم ، وحصل علوماً متعددة ، وتقدم وساد أقرانه ، وباشر تدريس القيصرية ، ثم ولي الحكم والخطابة بالقدس الشريف ، ثم نقل منه إلى قضاء مصر في الأيام الأشرفية ، ثم باشر تدريس كبارها في ذلك الوقت ، ثم ولي قضاء الشام وجمع له معه الخطابة ومشايخة الشيوخ وتدريس المعادلية وغيرها مدة طويلة ، كل هذا مع الرياسة والديانة والصيانة والورع ، وكف الأذى ، وله التصانيف الفائقة النافعة ، وجمع له خطبا كان يخطب بها في طيب صوت فيها وفي قراءته في المحراب وغيره ، ثم نقل إلى قضاء الديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلم يزل حاكماً بها إلى أن أضر وكبر وضعفت أحواله ، فاستقال فأقيل وتولى مكانه القزويني ، وبقيت معه بعض الجهات ورتبت له الرواتب الكثيرة الدارة إلى أن توفي ليلة الاثنين بعد عشاء الآخرة نحادى عشرين جمادى الأولى ، وقد أكل أرهما وتسعين سنة وشهراً وأياماً ، وصلى عليه من الغد قبل الظهر بالجامع الناصري بمصر ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة هائلة رحمه الله .

الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محي الدين يحيى بن تاج الدين بن إسماعيل بن طاهر بن نصر الله بن جهل الحلبى الأصل ثم الدمشقي الشافعي ، كان من أعيان الفقهاء ، ولد سنة سبعين وستمائة واشتغل بالعلم ولزم المشايخ ولازم الشيخ الصدي بن الوكيل ، ودرس بالصلاحية بالقدس ، ثم تركها وتحول إلى دمشق فباشر مشيخة دار الحديث الظاهرية مدة ، ثم ولي مشيخة البادرائية فترك الظاهرية وأقام بتدريس البادرائية إلى أن مات ، ولم يأخذ معلوماً من واحدة منهما ، توفي يوم الخميس بعد العصر تاسع جمادى الآخرة وصلى عليه بعد الصلاة ودفن بالصوفية ، وكانت جنازته حافلة .

تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب

منسل الموتى في سنة ستين وستمائة ، يقال إنه غسل ستين ألف ميت ، وتوفي في رجب وقد جاوز الثمانين .

الشيخ فخر الدين أبو محمد

عبد الله بن محمد بن عبد العظيم ابن السقطي الشافعي ، كان مباشراً شهادة الخزانة ، وناب في الحكم عند باب النصر ودفن بالقرافة الإمام الفاضل مجموع الفضائل

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب البكري ، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان لطيف المأني ناسخاً مطبقاً يكتب في اليوم ثلاث كراريس ، وكتب البخاري ثمانى مرات ويقال به ويجلده ويبيع النسخة من ذلك بألف ونحوه ، وقد جمع تاريخاً في ثلاثين مجلداً ، وكان يفسخه ويبيعه أيضاً بأزيد من ألف ، وذكر أن له كتاباً سماه منتهى الأرب في علم الأدب في ثلاثين مجلداً أيضاً ، وبالجملة كان نادراً في وقته ، توفي يوم الجمعة عشرين رمضان رحمه الله .

الشيخ الصالح الزاهد الناسك

الكثير الحج على بن الحسن بن أحمد الواسطي المشهور بالخير والصلاح ، وكثرة العبادة والتلاوة والحج ، يقال إنه حج أزيد من أربعين حجة ، وكانت عليه مهابة ولديه فضيلة ، توفي وهو محرم يوم الثلاثاء ثامن عشرين ذى القعدة ، وقد قارب الثمانين رحمه الله .

الأمير عز الدين إبراهيم بن عبد الرحمن

ابن أحمد ابن القواس ، كان مباشراً الشد في بعض الجهات السلطانية ، وله دار حسنة بالمقبة الصغيرة ، فلما جاءت الوفاة أوصى أن تبجل مدرسة ، ووقف عليها أوقافاً ، وجعل تدرّسها للشيخ عماد الدين الكردي الشافعي ، توفي يوم الأربعاء عشرين الحجة .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبع مائة

استهل بيوم الأحد وحكام البلاد المذكورون في التي قبلها . وفي يوم الجمعة ثاني ربيع الأول أقيمت الجمعة بالخانوية البرانية ، وخطب بها شمس الدين النجار المؤذن المؤقت بالأموى ، وترك خطابة جامع القابون . وفي مستهل هذا الشهر سافر الأمير شمس الدين محمد التدمري إلى القدس حاملاً به ، وعزل عن نيابة الحكم بدمشق . وفي ثالثه قدم من مصر زين الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة بخطابة القدس ، فخلع عليه من دمشق ثم سافر إليها . وفي آخر ربيع الأول باشر الأمير ناصر الدين بن بكتاش الحسامي شد الأوقاف عوضاً عن شرف الدين محمود بن الخطمري ، سافر بأهله إلى مصر أميراً نيابة بها عن أخيه بدر الدين مسعود ، وعزل القاضي علاء الدين ابن القلانسي ، وسائر الدواوين والمباشرين الذين في باب ملك الأمراء تنكروا وصودروا بمائتي ألف

درهم ، واستدعى من غرة ناظرها جمال الدين يوسف صهر السفي المستوفى ، فباشر نظر ديوان النائب ونظر المارستان النورى أيضا على العادة .

وفى شهر ربيع الأول أمر تنكز باصلاح باب توما فشرع فيه فرفع بابه عشرة أذرع، وجددت حجارتها وحديدته فى أسرع وقت ، وفى هذا الوقت حصل بدمشق سيل خرب بعض الجدران ثم تناقص ، وفى أوائل ربيع الآخر قدم من مصر جمال الدين آقوش نائب السكر مجتازاً إلى طرابلس نائبها عوضاً عن قرطاً ، وفى جمادى الأولى طلب القاضى شهاب الدين ابن المجدد بالله إلى دار السعادة فولى وكالة بيت المال عوضاً عن ابن القلانسى ، ووصل تقليده من مصر بذلك ، وهنأه الناس . وفيه طلب الامير نجم الدين ابن الزبيق من ولاية نابلس فولى شد الدواوين بدمشق ، وقد شغل منصبه شهراً بعد ابن الخشاب . وفى رمضان خطب الشيخ بدر الدين أبو اليسر ابن الصائغ بالقدس عوضاً عن زين الدين ابن جماعة لاعراضه عنها واختياره العود إلى بلده .

قضية القاضى ابن جملة

لما كان فى العشر الأخير من رمضان وقع بين القاضى ابن جملة وبين الشيخ الظهير شيخ ملك الأمراء - وكان هو السفير فى تولية ابن جملة القضاء - وقوع بينهما منافسة ومحاكمة فى أمور كانت بينه وبين الدواوير المتقدم ذكره ناصر الدين ، فحلف كل واحد منهما على خلاف ما حلف به الآخر عليه ، وتفاضلا من دار السعادة فى المسجد ، فلما رجع القاضى إلى منزله بالعادية أرسل إليه الشيخ الظهير ليحكم فيه بما فيه المصلحة ، وذلك عن مرسوم النائب ، وكأنه كان خديعة فى الباطن واطهاراً للنصرة القاضى عليه فى الظاهر ، فبدر به القاضى بأذى الرأى فزره بين يديه ، ثم خرج من عنده فتسله أعوان ابن جملة فطأوا به البلد على حمار يوم الأربعاء سابع عشرين رمضان ، وضربوه ضرباً عنيفاً ، وفادوا عليه : هذا جزاء من يكذب ويفتات على الشرع ، فتألم الناس له لكونه فى الصيام . وفى العشر الأخير من رمضان ، ويوم سبع وعشرين ، وهو شيخ كبير صائم ، يقال : إنه ضرب يومئذ ألفين ومائة وإحدى وسبعين درة والله أعلم ، فما أمسى حتى استفتى على القاضى المذكور وداروا على المشايخ بسبب ذلك عن مرسوم النائب ، فلما كان يوم تاسع عشرين رمضان عقد نائب السلطنة بين يديه بدار السعادة مجلساً حافلاً بالقضاة وأعيان المفتين من سائر المذاهب ، وأحضر ابن جملة قاضى الشافعية والمجلس قد احتفل بأهله ، ولم يأذنوا لابن جملة فى الجلوس ، بل قام قائماً ثم أجلس بعد ساعة جيدة فى طرف الحلقة ، إلى جانب الحفة التى فيها الشيخ الظهير ، وادعى عليه عند بقية القضاة أنه حكم فيه لنفسه ، واعتدى عليه فى العقوبة ، وأفاض الحاضرون فى ذلك ، وانتشر الكلام وفهموا من نفس النائب الخطأ على ابن جملة ، والميل عنه بعد أن كان إليه ، فما انفصل المجلس حتى حكم القاضى

شرف الدين المالكي بنفسه وعزله وسجنه ، فانفض المجلس على ذلك ، و رسم على ابن جملة بالمندراوية ثم نقل إلى القلعة جزاء وفاقا والحمد لله وحده ، وكان له في القضاء سنة ونصف إلا أياما ، وكان يباشر الأحكام جيدا ، وكذا الأوقاف المتعلقة به ، وفيه نزاهة وتمييز الأوقاف بين الفقهاء والفقراء ، وفيه صرامة وشهامة وإقدام ، ولكنه أخطأ في هذه الواقعة ، وتعدى فيها فآل أمره إلى هذا .

وخرج الركب يوم الاثنين عاشر شوال وأميره الجي بغا وقاضيه مجد الدين ابن حيان المصري وفي يوم الاثنين رابع عشرينه درس بالاقبالية الحنفية نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان بن محمد الأصماني ابن العمري الحبلي ، ويعرف بابن الحنبلي ، وكان فاضلا دينيا متقشفا كثير الوسوسة في الماء جدا ، وأما المدرس مكانه وهو نجم الدين بن الحنفي فانه ابن خمس عشرة سنة ، وهو في النباهة والفهم ، وحسن الاشتغال والشكل والوقار ، بحيث غبط الحاضرون كلهم أباه على ذلك ، ولهذا آل أمره أن تولى قضاء القضاة في حياة أبيه ، نزل له عنه وحدت سيرته وأحكامه .

وفي هذا الشهر أثبت محضر في حق صاحب شمس الدين غبريال المتوفى هذه السنة أنه كان يشتري أملاكا من بيت المال ويوقفها ويتصرف فيها تصرف الملاك لنفسه ، وشهد بذلك كمال الدين الشيرازي وابن أخيه عماد الدين وعلاء الدين القلانسي وابن خاله عماد الدين القلانسي ، وعز الدين ابن المنجا ، وأبقى الدين ابن مراحل ، وكمال الدين بن النويرية ، وأثبت على القاضي برهان الدين الزرعي الحنبلي ونفذه بقية القضاة ، وامتنع المحتسب عز الدين ابن القلانسي من الشهادة فرسم عليه بالمندراوية قريبا من شهر ، ثم أفرج عنه وعزل عن الحسبة ، واستمر على نظر الخزانة .

وفي يوم الأحد ثامن عشر من ذي القعدة حملت خاتمة القضاء إلى الشيخ شهاب الدين ابن الحجد وكيل بيت المال يومئذ ، فلبسها وركب إلى دار السعادة وقرىه تقليده بمحضرة نائب السلطنة والقضاة ثم رجع إلى مدرسته الاقبالية فقرأ بها أيضا وحكم بين خصمين ، وكتب على أوراق السائلين ، ودرس بالعادلية والغزالية والانا بكيتين مع تدريس الاقبالية عوضا عن ابن جملة . وفي يوم الجمعة حضر الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وفي صحبته صاحب حمة الأفضل ، فتلقاها تنكز وأكرمها ، وصايا الجمعة عند النائب ثم توجهوا إلى مصر ، فتلقاها أعيان الأمراء وأكرم السلطان مهنا بن عيسى وأطلق له أموالا جزيلة كثيرة ، من الذهب والفضة والتماش ، وأقطعه عدة قرى ورسم له بالود إلى أهله ، وفرح الناس بذلك ، قالوا وكان جميع ما أنعم به عليه السلطان قيمة مائة ألف دينار ، وخلع عليه وعلى أصحابه مائة وسبعين خلة .

وفي يوم الأحد سادس الجمعة حضر درس الرواحية الفخر المصري عوضا عن قاضي القضاة

ابن المجد وحضر عنده القضاة الأربعة وأعيان الفضلاء . وفي يوم عرفة خلع على نجم الدين بن أبي الطيب بوكالة بيت المال ، عوضا عن ابن المجد ، وعلى عماد الدين ابن الشيرازي بالحسبة عوضا عن عز الدين ابن القلانسي وخرج الثلاثة من دار السعادة بالطرحات .
ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ الأجل التاجر بدر الدين

بدر الدين أوأؤ بن عبد الله عتيق النقيب شجاع الدين إدريس ، وكان رجلا حسنا يتجرف في الجوخ ، مات فجأة عصر يوم الخميس خامس محرم ، وخلف أولادا وثروة ، ودفن بباب الصغير ، وله بر وصدقة ومعروف ، وسبع بمسجد ابن هشام .

الصدر امين الدين

محمد بن نغر الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف ابن أبي العيش الأنصاري الدمشقي باني المسجد المشهور بالزبوة ، على حافة بردى ، والطهارة الحجابة إلى جانبه ، والسوق الذي هناك ، وله بجامع الزهر بميماد . ولد سنة ثمان وخمسين وستائة ، وسمع البخاري وحدث به ، وكان من أكابر النجار ذوي اليسار ، توفي بكرة الجمعة سادس المحرم ودفن بقرية بقاسيون رحمه الله .

الخطيب الأمام العالم

عماد الدين أبو حفص عمر الخطيب ، ظهير الدين عبد الرحيم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر ابن عبد الله بن الحسن القرشي الزهري النابلسي ، خطيب القدس ، وقاضي نابلس مدة طويلة ، ثم جمع له بين خطابة القدس وقضاها ، وله اشتغال وفيه فضيلة ، وشرح صحيح مسلم في مجلدات ، وكان سريع الحفظ سريع الكتابة ، توفي ليلة الثلاثاء عاشر المحرم ودفن بميماد رحمه الله .

الصدر شمس الدين

محمد بن إسماعيل بن حماد الناجر بقرية الشرب ، كتب المنسوب وانتفع به الناس ، وولى النجار لأمانته وديانته ، وكانت له معرفة ومطالعة في الكتب ، توفي ناسع صفر عن نحو ستين سنة . ودفن بقاسيون رحمه الله . جمال الدين قاضي القضاة الزرعي

هو أبو الربيع سليمان ابن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الأذري الشامي ولد سنة خمس وأربعين وستائة بأذرع ، واشتغل بدمشق لحصل ، وناب في الحكم بزرع مدة فصر بالزري لذلك ، وإنما هو من أذرع وأصله من بلاد المغرب ، ثم ناب بدمشق ثم انتقل إلى مصر فتاب في الحكم بها ، ثم استقل بولاية القضاء بها نحواً من سنة ، ولى قضاء الشام مدة مع مشيخة الشيوخ نحواً من سنة ، ثم عزل وبقى على مشيخة الشيوخ نحواً من سنة مع تدريس الانابكية ، ثم تحول إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر ، ثم توفي بها يوم الأحد سادس صفر وقد قارب

السبعين رحمه الله، وقد خرج له البرزالي مشيخة سمعناها عليه وهو بدمشق عن اثنين وعشرين شيخا.
 الشيخ الأمام العالم الزاهد

زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكي الحنبلي، أحد فضلاء الحنابلة،
 ومن صنف في الحديث والفقه والتصوف وأعمال القلوب وغير ذلك، كان فاضلا له أعمال كثيرة،
 وقد وقعت له كائنة في أيام الظاهر أنه أصيب في عقله أو زوال فكره، أو قد عمل على الرياضة
 فاحترق بطنه من الجوع، فرأى خيالات لاحقة لها فاعتقد أنها أمر خارجي، وإنما هو خيال فكري
 فاسد. وكانت وفاته في نصف صفر ببعبك، ودفن بباب سطاخا لم يكمل الستين، وصلى عليه بدمشق صلاة
 الغائب، وعلى القاضي الزرعى معا. الأمير شهاب الدين
 نائب طرابلس له أوقاف وصداقات، وبر وصلات، توفي بطرابلس يوم الجمعة ثامن عشر صفر
 ودفن هناك رحمه الله.

الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر الاسعدي الموقت

كان فاضلا في صناعة الميقات وعلم الاضطراب وما جرى مجراه، بارعا في ذلك، غير أنه لا ينفع
 به لسوء أخلاقه وشراستها، ثم إنه ضف بصرف سقط من قياسارية بحسب عشية السبت عاشر ربيع
 الأول، ودفن بباب الصنير. الأمير سيف الدين بلبات

طرفا بن عبد الله الناصري، كان من المتقدمين بدمشق، وجرت له فصول يطول ذكرها، ثم
 توفي بداره عند مأذنة فيروز ليلة الأربعاء حادي عشرين ربيع الأول، ودفن بقرية اتخذها
 إلى جانب داره، ووقف عليها مقربين، وبني عندها مسجدا بأمام ومؤذن.

شمس الدين محمد بن يحيى بن محمد بن قاضي حران

ناظر الأوقاف بدمشق، مات ليلة التي مات فيها الذي قبله، ودفن بقاسيون، وتولى مكانه
 عماد الدين الشيرازي. الشيخ الامام ذو الفنون

تاج الدين أبو حفص عمر بن حلى بن سالم بن عبد الله النخعي الاسكندراني، المعروف بابن
 الناكاني، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك، وبرع
 وتقدم بمعرفة النحو وغيره، وله مصنفات في أشياء متفرقة، قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين
 وسبعمائة في أيام الاخنائي، فأنزله في دار السعادة ومعهما عليه ومعه، وحج من دمشق عامئذ وسمع
 عليه في الطريق، ورجع إلى بلاده، توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى، وصلى عليه بدمشق
 حين بلغهم خبر موته. الشيخ الصالح العابد الناسك امين

أمين الدين أمين بن محمد، وكان يذكر أن اسمه محمد بن محمد إلى سبع عشر نفسا كلهم اسمه

محمد ، وقد جاور بالمدينة مدة سنين إلى أن توفي ليلة الخميس ثامن ربيع الأول ، ودفن بالبقيع وصلى عليه بدمشق صلاة الغائب . الشيخ نجم الدين القبانى المحوى

عبد الرحمن بن الحسن بن يحيى الأحمى القبانى ، قرية من قرى أشمون الملقبة ، أقام بمحبة فى زاوية بزار ويلتزم دعاؤه ، وكان عابداً ورعاً زاهداً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر . حسن الطريقة إلى أن توفي بها آخر نهار الاثنين رابع عشر رجب ، عن ست وستين سنة ، وكانت جنازته حافلة هائلة جداً ، ودفن شمالى حماة ، وكان عنده فضيلة ، واشتغل على مذهب الامام أحمد بن حنبل وله كلام حسن يؤثر عنه . رحمه الله . الشيخ فتح الدين بن سيد الناس

الحافظ الدامة البار ، فتح الدين بن أبي الفتح محمد بن الامام أبي عمرو محمد بن الامام الحافظ الخطيب أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الرضى اليعمرى الاندلسى الاشبيللى ثم العمري ، ولد فى العشر الأول من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وسمع الكثير وأجاز له الرواية عنهم جماعات من المشايخ ، ودخل دمشق سنة تسعين فسمع من السكندى وغيره ، واشتغل بالعلم فبرع وساد أقرانه فى علوم شتى من الحديث والفقه والنحو من العربية ، وعلم السير والتواريخ وغير ذلك من الفنون ، وقد جمع سيرة حسنة فى مجلدين ، وشرح قطعة حسنة من أول جامع الترمذى ، رأيت منها مجلداً بخطه الحسن ، وقد حرر وحيدراً وأفاد وأجاد ، ولم يسلم من بعض الانتقاد ، وله الشعر الرائق النائق ، والنثر الموافق ، والبلاغة الناعمة ، وحسن التصنيف والتصنيف ، وجودة البديهة ، وحسن الطوية ، وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآى والأخبار والآثار والافتناء بالآثار النبوية ، ويذكر عنه سوء أدب فى أشياء أخر^(١) سأل الله فيها ، وله مدائح فى رسول الله (ص) ، حسان ، وكان شيخ الحديث بالظاهرية بمصر ، وخطب بجامع الخندق ، ولم يكن فى مصر فى مجوده مثله فى حفظ الأسانيد والمتون والمال والفقه والملح والأشعار والحكايات ، توفي فجأة يوم السبت حادى عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن عند ابن أبي جرة رحمه الله . القاضي محمد الدين بن حرمي

ابن قاسم بن يوسف العامرى الفاقوسى الشافعى ، وكيل بيت المال ، ومدرس الشافعى وغيره ، كانت له همة ونهضة ، وعلمت سنه وهو مع ذلك يحفظ ويشغل ويشغل ، ويلقى الدروس من حفظه إلى أن توفي ثانى ذى الحجة ، وولى تدريس الشافعى بعده شمس الدين ابن الفلاح ، والقبطية بهاء الدين ابن عتيل ، والوكلة نجم الدين الاسعدى المحتسب ، وهو كان وكيل بيت الظاهر .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

استهلت وحكام البلاد المذكورون فى التى قبلها ، وناظر الجامع عز الدين ابن المنجا ، والمحتسب

(١) فى الشذرات « ويذكر عنه شئون أخر » .

عماد الدين الشيرازي وغيرهم . وفي مستهل المحرم يوم الخميس درس بأم الصالح الشيخ خطيب تبرور عوضاً عن قاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي سادس المحرم رجع مهنا بن عيسى من عند السلطان فتلقيه النائب والجيش ، وعاد إلى أهله في عز وعافية . وفيه أمر السلطان بعمارة جامع القلعة وتوسيعه ، وعمارة جامع مصر العتيق . وقدم إلى دمشق القاضي جمال الدين محمد بن عماد الدين ابن الأثير كاتب سر بها عوضاً عن ابن الشهاب محمود . ووقع في هذا الشهر والذي بعده موت كثير في الناس بالخانوق .

وفي ربيع الأول ملك الأمير نجم الدين بن الزبيق مشد الدواوين ، وصودرو بيعت خيوله وحواصله ، وتولاه بعده سيف الدين عمر مملوك بكتمر الحاجب ، وهو مشد انزكاة . وفيه كملت عمارة حمام الأمير شمس الدين حمزة الذي تمكن عند تنسكز بعد ناصر الدين الدوادار ، ثم وقعت الشناعة عليه بسبب ظله في عمارة هذا الحمام فقباله النائب على ذلك واتصف للناس منه ، وضربه بين يديه وضربه بالبنديق بيده في وجهه ، وسائر جسده ، ثم أودعه القلعة ثم نقله إلى بحيرة طبرية ففرقه فيها ، وعزل الأمير جمال الدين نائب السرك عن نيابة طراباس حسب سؤاله في ذلك ، وراح إليها طيفال وقدم نائب السرك إلى دمشق وقد رسم له بالقامة في سلخد ، فلما تلقاه نائب السلطنة والجيش نزل في دار السمادة وأخذ سيفه بها ونقل إلى القلعة ، ثم نقل إلى صفت ثم إلى الاسكندرية ، ثم كان آخر العهد به . وفي جمادى الأولى احتيط على دار الأمير بكتمر الحاجب الحسامي بالقاهرة ، ونبشت وأخذ منه أشياء كثيرة جداً ، وكان جد أولاده نائب السرك المذكور . وفي يوم السبت ناسع جمادى الآخرة باشر حسام الدين أبو بكر ابن الأمير عز الدين أيك التجيبي شد الأوقاف عوضاً عن ابن بكتناش ، اعتقل ، وخلع على المتولى وهناه الناس . وفي منتصف هذا الشهر عمق الستر الجديد على خزانة المصحف العثماني ، وهو من خز طوله ثمانية أذرع وعرضه أربعة أذرع ونصف ، غرم عليه أربعة آلاف وخمسمائة ، وعمل في مدة سنة ونصف .

وخرج الركب الشامي يوم الخميس ناسع شوال وأميره علاء الدين المرسى ، وقاضيه شهاب الدين الظاهري . وفيه رجع جيش حلب إليها وكانوا عشرة آلاف سوى من تبعهم من التركان ، وكانوا في بلاد أذنة وطرسوس وإياس ، وقد خربوا وقتلوا خلقاً كثيراً ، ولم يعدم منهم سوى رجل واحد غرق بنهر جاهدان ، ولكن كان قتل الكفار من كان عندهم من المسلمين نحواً من ألف رجل ، يوم عيد الفطر فأنشأ الله وإنا إليه راجعون .

وفيه وقع حريق عظيم بمحكمة فاحترق منه أسواق كثيرة ، وأمسلاك وأوقاف ، وهلكت أموال لا تحصى ، وكذلك احترق أكثر مدينة إنطاكية ، فتألم المسلمون لذلك . وفي ذى الحجة خرب المسجد

الذى كان فى الطريق بين باب النصر وبين باب الجابية ، عن حكم القضاة بأمر نائب السلطنة ، وبقي غريبه مسجد حسن أحسن وأنفع من الأول .

وتوفى فيها من الأعيان الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين بجامع دمشق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد الوائى ، ولد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث ، وروى ، وكان حسن الصوت والشكل ، محبباً إلى العوام ، توفى يوم الخميس سادس صفر ودفن بباب الصغير ، وقام من بعده فى الرئاسة ولده أمين الدين محمد الوائى المحدث المفيد ، وتوفى بعده ببضع وأربعين يوماً رحمهما الله .

الكاتب المطبق المجود المحرر

بهاء الدين محمود ابن خطيب بعلبك محيى الدين محمد بن عبد الرحيم بن عبد الوهاب السلمى ، ولد سنة ثمان وثمانين وستمائة ، واعتنى بهذه الصناعة فبرع فيها ، وتقدم على أهل زمانه فاطبة فى المنسوخ وبقيّة الأقسام ، وكان حسن الشكل طيب الأخلاق ، طيب الصوت حسن التودد ، توفى فى سلخ ربيع الأول ودفن بترية الشيخ أبى عمر رحمه الله .

علامه الدين السنجاري

واقف دار القرآن عند باب الناطقانيين شمالى الأوى بدمشق ، على بن إسماعيل بن محمود كان أحد التجار الصديق الأخيار ، ذوى اليسار المسارعين إلى الخيرات ، توفى بالقاهرة ليلة الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودفن عند قبر القاضي شمس الدين بن الحريرى .

العدل نجم الدين التاجر

عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الرحمن الرحيم بنى التربة المشهورة بالمر ، وقد جعل لها مسجداً ووقف عليها أوقافاً إدارة ، وصدقات هناك ، وكان من أخيار أبناء جنسه ، عدل مرضى عند جميع الحكام ، وترك أولاداً وأموالاً جمة ، وداراً هائلة ، وبساتين بالمر ، وكانت وفاته يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة ودفن بتريته المذكورة بالمر رحمه الله .

الشيخ الامام الحافظ قطب الدين

أبو محمد عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم بن على بن عبد الحق بن عبد الصمد بن عبد النور الحلبي الأصل ثم المصرى ، أحد مشاهير الحديثين بها ، والقائم بحفظ الحديث وروايته وتدوينه وشرحه والى الكلام عليه ، ولد سنة أربع وستين وستمائة بحلب ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الحديث وقرأ الشاطبية والآلفية ، وبرع فى فن الحديث ، وكان حنفى المذهب وكتب كثيراً وصنف شرحاً لكثير البخارى ، وجميع تاريخاً لمصر ولم يكملها ، وتكلم على السيرة

التي جمعها الحافظ عبد الغنى وخرج لنفسه أربعين حديثاً متباينة الاسناد ، وكان حسن الأخلاق مطرحاً للكلفة طاهر اللسان كثير المطالعة والاشتغال ، إلى أن توفي يوم الأحد سلخ رجب ، ودفن من الغد مستهل شعبان عند خاله نصر المنبجي ، وخلف تسمية أولاد رحمه الله .

القاضي الامام زين الدين أبو محمد

عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف السبكي ، قاضي الحلة ، والده العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، سمع من ابن الانماطي وابن خطيب المزة ، وحدث وتوفي ناسع شعبان ، وتبعته زوجته فاصرية بنت القاضي جمال الدين إبراهيم بن الحسين السبكي ، ودفنت بالقرافة ، وقد سمعت من ابن الصابوني شيتاً من سنن النسائي ، وكذلك ابنتها محمديّة ، وقد توفيت قبلها .

تاج الدين علي بن إبراهيم

ابن عبد الكريم المصري ، ويعرف بكاتب قطلبك ، وهو والد العلامة فخر الدين شيخ الشافعية ومدرسهم في عدة مدارس ، ووالده هذا لم يزل في الخدمة والكتابة إلى أن توفي عنده بالمادلية الصغيرة ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان ، وصلى عليه من الغد بالجامع ، ودفن بباب الصغير .

الشيخ الصالح عبد الكافي

ويعرف بمبيد ابن أبي الرجال بن حسين بن سلطان بن خليفة المنيني ، ويعرف بابن أبي الازرق ، مولده في سنة أربع وأربعين وسبعمائة بقرينته من بلاد بعلبك ، ثم أقام بقرية منين ، وكان مشهوراً بالصالح وقرئ عليه شيء من الحديث وجاوز التسعين .

الشيخ محمد بن عبد الحق

ابن شعبان بن علي الأنصاري ، المعروف بالسياح ، له زاوية بسفح قاسيون بالوادي الشمالي مشهورة به ، وكان قد بلغ التسعين ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكانت له معرفة بالأمور وعنده بعض مكاشفة ، وهو رجل حسن ، توفي أواخر شوال من هدم السنة .

الأمير سلطان العرب

حسام الدين مهنا بن عيسى بن مهنا ، أمير العرب بالشام ، وهم يزعمون أنهم من سلالة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، من ذرية الولد الذي جاء من العباسية أخت الرشيد فاته أعلم .

وقد كان كبير القدر محترماً عند الملوك كاهم ، بالشام ومصر والعراق ، وكان ديناً خيراً متحيزاً للحق ، وخلف أولاداً وورثة وأموالاً كثيرة ، وقد بلغ سناً عالية ، وكان يحب الشيخ تقي الدين بن تيمية حباً زائداً ، هو وذريته وعربه ، وله عندهم منزلة وحرمة وإكرام ، يسمعون قوله ويمثلونه ، وهو الذي نهام أن يغير بعضهم على بعض ، وعرفهم أن ذلك حرام ، وله في ذلك مصنف جليل ،

وكانت وفاة منها هذا ببلاد سلمية في ثامن عشر ذى القعدة ، ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ الزاهد فضل العجلوني

فضل بن عيسى بن قنديل العجلوني الحنبلي المقيم بالسمايرية ، أصله من بلاد حبراحي ، كان متقلداً من الدنيا يلبس ثياباً طويلاً وعمامة هائلة ، وهي بأرخص الأثمان ، وكان يعرف تعبيرا رويها ويقصد لذلك ، وكان لا يقبل من أحد شيئا ، وقد عرضت عليه وظائف بمجوامك كثيرة فلم يقبلها ، بل رضى بالرعيه الهني من العيش الخشن إلى أن توفي في ذى الحجة ، وله نحو تسعين سنة ، ودفن بالقرب من قبر الشيخ نقي الدين بن تيمية رحمهما الله ، وكانت جنازته حافلة جدا .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبع مائة

استهلت بيوم الجمعة والحكام هم المذكورون في التي قبلها . وفي أول يوم منها ركب تنكرز إلى قلعة جعبر ومعه الجيش والتناجيق فغابوا شهراً وخمسة أيام وعادوا سالمين . وفي ثامن صفر فتحت الخانقاه التي أنشأها سيف الدين قوصون الناصري خارج باب القرافة ، وتولى مشيختها الشيخ فمس الدين الأصهباني المتكلم . وفي عاشر صفر خرج ابن جملة من السجن بالقلعة وجاءت الأخبار بموت ملك التتار أبي سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولا كوت بن تولى بن جنكزخان ، في يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر بدار السلطنة بقراباغ ، وهي منزلم في الشتاء ، ثم نقل إلى تربته بمدينة التي أنشأها قريبا من السلطانية مدينة أبيه ، وقد كان من خيار ملوك التتار وأحسنهم طريقة وأثبتهم على السنة وأقومهم بها ، وقد عز أهل السنة بزمانه وذلك لرافضة ، بخلاف دولة أبيه ، ثم من بعده لم يبق التتار قائمة ، بل اختلفوا فتفرقوا شذر منذر إلى زماننا هذا ، وكان القائم من بعده بالأمر ارتكأون من ذرية أبغا ، ولم يستمر له الأمر إلا قليلا .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى درس بالناصرية الجوانية بدر الدين الأردبيلي عوضا عن نكال الدين ابن الشيرازي توفي ، وحضر عنده القضاة . وفيه درس بالظاهرية البرانية الشيخ الامام المقرئ سيف الدين أبو بكر الحريري عوضا عن بدر الدين الأردبيلي ، تركها لما حصلت له الناصرية الجوانية ، وبعده بيوم درس بالنجيبية كاتبه إسماعيل ابن كثير عوضا عن الشيخ جمال الدين ابن قاضي الزبداني تركها حين تعين له تدريس الظاهرية الجوانية ، وحضر عنده القضاة والاعيان وكان درسا حافلا أننى عليه الحاضرون وتمعجبا من جمعه وترقيته ، وكان ذلك في تفسير قوله تعالى [إنما يخشى الله من عباده العلماء] وانساق الكلام إلى مسألة ربا الفضل . وفي يوم الأحد رابع عشره ذكر الدرس بالظاهرية المذكورة ابن قاضي الزبداني عوضا عن علاه الدين ابن القلانسي توفي ، وحضر عنده القضاة والاعيان ، وكان يوما مطيرا .

وفي أول جمادى الآخرة وقع غلاء شديد بديار مصر واشتد ذلك إلى شهر رمضان، ونوجه خلق كثير في رجب إلى مكة فحوّأ من ألفين وخمسمائة، منهم عز الدين ابن جماعة، ونفر الدين النويري وحسن السلاحي، وأبو الفتح السلاحي، وخالق. وفي رجب كملت عمارة جسر باب الفرج وعمل عليه بأسورة ورسم باستمرار فتحه إلى بعد العشاء الآخرة كبقية سائر الأبواب، وكان قبيل ذلك يغلق من المغرب. وفي سابع رجب أقيمت الجمعة بالجامع الذي أنشأه نجم الدين ابن خيلخان تجاه باب كيسان من القبلة، وخطب فيه الشيخ الامام العلامة ثمس الدين ابن قيم الجوزية. وفي ثاني شعبان باشر كتابة السر بدمشق القاضي علم الدين محمد بن قطب الدين أحمد بن مفضل، عوضاً عن كمال الدين ابن الأثير، عزل وراح إلى مصر. وفي يوم الأربعاء رابع رمضان ذكر الدرس بالأمينية الشيخ بهاء الدين ابن إمام المشهد عوضاً عن علاء الدين بن القلانسي. وفي العشرين منه خلع على الصدر نجم الدين بن أبي الطيب بنظر الخزانة مضافاً إلى ما بيده من وكالة بيت المال، بعد وفاة ابن القلانسي بشهور.

وخرج الركب الشامي يوم الاثنين ثامن شوال، أميره قطاودمر الخليلي. ومن حج فيه قاضي طرابلس محيي الدين بن جليل، والتمنزي المصري، وابن قاضي الزبداني، وابن العز الحنفي، وابن غانم والسخاوي وابن قيم الجوزية، وناصر الدين بن البربويه الحنفي، وجماعة الأخبار بوقعة جرت بين التتار قتل فيها خلق كثير منهم، وانتصر على باشا وسلطانته الذي كان قد أقامه، وهو موسى كاؤون على أرباكاؤون وأصحابه، فقتل هو ووزيره ابن رشيد الدولة، وجرت خطوب كثيرة طويلة، وضربت البشار بدمشق.

وفي ذي القعدة خلع على ناظر الجامع الشيخ عز الدين بن المنجا بسبب إكالة البطائن في الرواق الشمالي والغربي والشرقي، ولم يكن قبل ذلك له بطائن. وفي يوم الأربعاء سابع الحجة ذكر الدرس بالشبلية القاضي نجم الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين الطرسومي الحنفي، وهو ابن سبع عشرة سنة، وحضر عنده القضاة والأعيان، وشكروا من فضله ونباهته، وفرحوا لأبيه فيه. وفيها عزل ابن النقيب عن قضاء حلب وولها ابن خطيب جسرين، وولى الحسبة بالقاهرة ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد خطيب بيت الأبار، خلع عليه السلطان. وفي ذي القعدة رسم السلطان باعتقال الخليفة المستكنفي وأهله، وأن يمنعوا من الاجتماع، فأل أمرهم كما كان أيام الظاهر والمنصور.

ومن توفي فيها من الأعيان. السلطان أبو سعيد ابن خربندا
وكان آخر من اجتمع شمل التتار عليه، ثم تفرقوا من بعده.

الشيخ البندنجي

شمس الدين علي بن محمد بن ممدود بن عيسى البندنجي الصوفي، قدم علينا من بغداد شيخاً

كبيراً راوياً لأشياء كثيرة ، فيها صحيح مسلم والترمذى وغير ذلك ، وعنده فوائد ، ولد سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وكان والده محدثاً فأنشده أشياء كثيرة على مشايخ عدة ، وكان موته بدمشق ربيع المحرم .

قاضي قضاة بغداد

قطب الدين أبو الفضائل محمد بن عمر بن الفضل التبريزي الشافعي المعروف بالأحوس ، سمع شيئاً من الحديث واشتغل بالفتنة والأصول والمنطق والعربية والمعاني والبيان ، وكان بارعاً في فنون كثيرة ودرس بالمستنصرية بمسند الماتولي . وفي مدارس كبار ، وكان حسن الخلق كثير الخير على الفقراء والضعفاء ، متواضعاً يكتب حسناً أيضاً ، توفي في آخر المحرم ودفن بترربة له عند داره ببغداد رحمه الله .

الأمير صارم الدين

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أبي الزهر ، المعروف بالمغزال ، كانت له مطالعة وعنده شيء من التاريخ ، ويحاضر جيداً ، ولما توفي يوم الجمعة وقت الصلاة السادس والعشرين من المحرم دفن بترربة له عند حمام العديم .

الأمير علاء الدين مغلطاي الخازن

نائب القلعة وصاحب التربة تجاه الجامع المظفرى من الغرب ، كان رجلاً جيداً ، له أوقاف وبر صدقات ، توفي يوم الجمعة بكرة عاشر صفر ، ودفن بتربته المذكورة .

القاضي كمال الدين

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي ، ولد سنة سبعين ، وسمع الحديث وفتنه على الشيخ تاج الدين الفزاري ، والشيخ زين الدين الفارقي ، وحفظ مختصر المزني ودرس في وقت بالبادرائية ، وفي وقت بالشامية البرانية ، ثم ولي تدريس الناصرية الجوانية مدة سنين إلى حين وفاته ، وكان صدراً كبيراً ، ذكر لقضاء قضاة دمشق غير مرة ، وكان حسن المباشرة والشكل ، توفي في ثالث صفر ودفن بتربته بسفح قاسيون رحمه الله .

الأمير ناصر الدين

محمد بن الملك المسعود جلال الدين عبد الله بن الملك الصالح إسماعيل بن العادل ، كان شيخاً مسناً قد اعتنى بصحيح البخاري يختصره ، وله فهم جيد ولديه فضيلة ، وكان يسكن المزة وبها توفي ليلة السبت خامس عشرين صفر ، وله أربع وسبعون سنة ، ودفن بتربته بالمزة رحمه الله .

علاء الدين

علي بن شرف الدين محمد بن القلانسي قاضي المسكر ووكيل بيت المال ، وموقع النخست ، ومدرس الأمينية والظاهرية وغير ذلك من المناصب ، ثم سلبها كلها سوى التدريس ، وبقي معزولاً إلى حين أن توفي بكرة السبت خامس وعشرين صفر ، ودفن بتربته .

عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين

محمد بن أحمد بن محمود العقيلي ، و يعرف بابن القلانسي ، محتسب دمشق و ناظر الخزانة ، كان محمود المباشرة ، ثم عزل عن الحسبة واستمر بالخزانة إلى أن توفي يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى ودفن بقاسيون .

الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف بن أحمد الحمصي

ثم الدمشقي مؤذن البربرة خساً وأربعين سنة ، وله ديوان شعر و تعاليق وأشياء كثيرة مما ينكر أمرها ، وكان محولاً في دينه ، توفي في جمادى الأولى أيضاً .

الأمير شهاب الدين بن برق

متولى دمشق ، شهد جنازته خاق كثير ، توفي ثاني شعبان ودفن بالصالحية وأُنفى عليه الناس .

الأمير فخر الدين ابن الشمس لؤلؤ

متولى البر ، كان مشكوراً أيضاً ، توفي رابع شعبان ، وكان شيخاً كبيراً ، توفي ببستانه ببیت لميا ودفن بتر يتم هناك وترك ذرية كثيرة رحمه الله .

عماد الدين إسماعيل

ابن شرف الدين محمد بن الوزير فتح الدين عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد بن صغير بن القيسرائي ، أحب كتاب الدست ، وكان من خيار الناس ، محبباً إلى الفقراء والصالحين ، وفيه مروءة كثيرة ، وكتب بمصر ثم صار إلى حلب كاتباً بها ، ثم انتقل إلى دمشق فأقام بها إلى أن مات ليلة الأحد ثالث عشر القعدة ، وصلى عليه من الفسح بمجامع دمشق ، ودفن بالصوفية عن خمس وستين سنة ، وقد سمع شيئاً من الحديث على الأبرقوهي وغيره .

وفي ذى القعدة توفي شهاب الدين ابن القديسة الحدث بطريق الحجاز الشريف . وفي ذى الحجة توفي الشمس محمد المؤذن المعروف بالنجار و يعرف بالبقى ، وكان يشكك وينشد في المحافل والله سبحانه أعلم . ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبع مائة

استهل يوم الجمعة والخليفة المستنفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ونائب الشام تشكز بن عبد الله الناصري ، والقضاة والمباشرون هم المذكورون في التي قبلها ، سوى كاتب السرفانة علم الدين بن القهاب ، ووالى البر الأمير بدر الدين بن قطربك ابن ششنيكير ، ووالى المدينة حسام الدين طرقتاي الجوكنداري .

وفي أول يوم منها يوم الجمعة وصالت الأخبار بأن على باشا كسر جيشه ، وقيل إنه قتل ، ووصات كتب الحجاج في الثاني والعشرين من المحرم تعرف مشقة كثيرة حصلت للحجاج من

موت الجلال وإلقاء الأحمال ومشى كثير من النساء والرجال ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله على كل حال .

وفي آخر المحرم قدم إلى دمشق القاضي حسام الدين حسن بن محمد الغورى قاضى بغداد ، وكان والوزير نجم الدين محمود بن علي بن شروان الكردي ، وشرف الدين عثمان بن حسن البلدى فأقاموا ثلاثة أيام ثم توجهوا إلى مصر فحصل لهم قبول تام من السلطان ، فاستقضى الأول على الحنفية كما سيأتى ، واستوزر الثانى وأمر الثالث . وفي يوم عاشوراء أحضر شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين بن اللبان الفقيه الشافعى إلى مجلس الحكم الجلالى ، وحضر معه شهاب الدين بن فضل الله محمد الدين الأنصارى شيخ الشيوخ ، وشهاب الدين الأصهبانى ، فادعى عليه بأشياء منكورة من الحلول والاتحاد والغلو فى القرمطة وغير ذلك ، فأقر ببيعها لحكم عليه بمحقن دمه ثم توسط فى أمره وأبقيت عليه جهاته ، ومنع من الكلام على الناس ، وقام فى صفه جماعة من الأمراء والأعيان . وفي صفر احترق بقصر حجاج حريق عظيم أتلف دورا ودكاكين عديدة .

وفي ربيع الأول ولد للسلطان ولد فدفقت البشائر وزينت البلاد أياما . وفي منتصف ربيع الآخر أمر الأمير صارم الدين إبراهيم الحاجب الساسن تجاه جامع كريم الدين طبلخاناه ، وهو من كبار أصحاب الشيخ تقي الدين رحمه الله ، وله مقاصد حسنة صالحة ، وهو فى نفسه رجل جيد . وفيه أفرج عن الخليفة المستكنى وأطلق من البرج فى حادى عشرين ربيع الآخر ولزم بيته . وفي يوم الجمعة عشرين جمادى الآخرة أقيمت الجمعة فى جامعين بمصر ، أحدهما أنشأه الأمير عز الدين أيمن بن عبد الله الخطيرى ، ومات بعد ذلك بائى عشر يوما رحمه الله ، والثانى أنشأته امرأة يقال لها الست حدق دادة السلطان الناصر عند قنطرة السباع . وفي شعبان سافر القاضي شهاب الدين أحمد بن شرف بن منصور النائب فى الحكم بدمشق إلى قضاء طرابلس ، وناب بعده الشيخ شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي . وفيه خلع على عز الدين بن جماعة بوكالة بيت المال بمصر ، وعلى ضياء الدين ابن خطيب بيت الأبار بالحسبة بالقاهرة ، مع ما ييسده من نظر الأوقاف وغيره . وفيه أمر الأمير ناظر القدس بطبلخاناه ثم عاد إلى القدس .

وفي عاشر رمضان قدمت من مصر مقدمتان ألفتان إلى دمشق سائرة إلى بلاد سيبس ، وفيهم علاء الدين ، فاجتمع به أهل العلم وهو من أفاضل الحنفية ، وله مصنفات فى الحديث وغيره . وخرج الركب الشامى يوم الاثنين عاشر شوال وأسيره بهادر قبجق ، وقاضيه محيى الدين الطرابلسى مدرس الحمصية ، وفي الركب تقي الدين شيخ الشيوخ وعماذ الدين ابن الشيرازى ، ونجم الدين الطرسوسى ، وجمال الدين المرداوى ، وصاحبه شمس الدين ابن مفتح ، والعصير المالكى

والشرف ابن القيسراني ، والشيخ خالد المقيم عند دار الطعم ، وجمال الدين بن الشهاب محمود .
وفى ذي القعدة وصلت الأخبار بأن الجيش تسلموا من بلاد سيدي سبع قلاع ، وحصل لهم
خير كثير والله الحمد ، وفرح المسلمون بذلك . وفيه كانت وقعة هائلة بين التتار انتصر فيها الشيخ
وذووه . وفيها نفى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليفة وأهله وذويه ، وكانوا قريبا من
مائة نفس إلى بلاد قوص ، ورتب لهم هناك ما يقوم بمصالحهم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ علاء الدين بن غانم
أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي ^(١) أحد الكبار المشهورين بالفضائل
وحسن الترتيل ، وكثرة الأدب والأشعار والمروءة النامة ، مولده سنة إحدى وخسين وستائة ،
وسمع الحديث الكثير ، وحفظ القرآن والتنبية ، وياشر الجهات ، وقصده الناس في الامور المهمات
وكان كثير الاحسان إلى الخاص والعالم . توفي مرجعه من الحج في منزلة تبوك يوم الخميس ثالث عشر
الحرم ، ودفن هناك رحمه الله ، ثم تبعه أخوه شهاب الدين أحمد في شهر رمضان ، وكان أصغر منه
سنا بسنة ، وكان فاضلا أيضا بارعا كثير الدعاة .

الشرف محمود الحريري

المؤذن بالجامع الأموي ، بنى حماما بالنيرب ، ومات في آخر الحرم .

الشيخ الصالح العابد

ناصر الدين بن الشيخ إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الجعزي ثم المصري ،
ولد سنة خمسين وستائة بقلمه جعبر ، وسمع صحيح مسلم وغيره ، وكان يتكلم على الناس ويعظمهم
ويستحضر أشياء كثيرة من التفسير وغيره ، وكان فيه صلاح وعبادة ، توفي في الرابع والعشرين
من الحرم ، ودفن بزاويتهم عند والده خارج باب النصر .

الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفي

أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن يوسف بن قاضي الحنفيين ويعرف بابن عبد الحق الحنفي ،
شيخ المذهب ومدرس الحنفية وغيرها ، وكان بارعا فاضلا دينيا ، توفي في ربيع الأول .

الشيخ عماد الدين

إبراهيم بن علي بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقدسي النابلسي الحنبلي الامام العالم
العابد شيخ الحنابلة بها وفتيهم من مدة طويلة ، توفي في ربيع الاول .

الشيخ الامام العابد الناسك

عبد الدين عبد الله بن أحمد بن الحب عبد الله بن أحمد بن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد بن

(١) في شذرات الذهب . « المثنى » .

عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسى الحنبلى ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكتب الطباق وانتفع الناس به ، وكانت له مجالس وعظ من الكتاب والسنة فى الجامع الأموى وغيره ، وله صوت طيب بالقراءة جداً ، وعليه روح وسكينة ووقار ، وكانت مواعيده مفيدة ينتفع بها الناس ، وكان شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية يحبه ويحب قراءته ، توفى يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، وكانت جنازته حافلة ، ودفن بقاسيون وشهد الناس له بخير ، رحمه الله تعالى ، وباتم خمساً وخمسين سنة .

المحدث البارع المحصل المفيد المخرج المجيد

ناصر الدين محمد بن طغرل بن عبد الله الصيرفى أبوه ، الخوارزمى الأصل ، سمع الكثير وقرأ بنفسه ، وكان سريع القراءة ، وقرأ الكتب الكبار والصغار ، وجمع وخرج شيئاً كثيراً ، وكان بارعاً فى هذا الشأن ، رحل فأدركته منيته بحمأة يوم السبت ثمانى ربيع الأول ، ودفن من القند بمقابر طيبة رحمه الله .

شيخنا الامام العالم العابد

شمس الدين أبو محمد عبد الله بن العفيف محمد بن الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة المقدسى النابلسى الحنبلى ، إمام مسجد الحنابلة بها ، ولد سنة سبع وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وكان كثير العبادة حسن الصوت ، عليه البهاء والوقار وحسن الشكل والسمت ، قرأت عليه عام ثلاث وثلاثين وسبعمائة مرجعنا من القدس كثيراً من الأجزاء والفوائد ، وهو والد صاحبنا الشيخ جمال الدين يوسف أحد مفتية الحنابلة وغيرهم ، والمشهورين بالخير والصلاح ، توفى يوم الخميس ثمانى عشر ربيع الآخر ودفن هناك رحمه الله .

الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد

إبراهيم الأرشدى المقيم بمنية مرشد ، يقصده الناس للزيارة ، ويضيف الناس على حسب مراتبهم وينفق نفقات كثيرة جداً ، ولم يكن يأخذ من أحد شيئاً فيما يبدو للناس ، والله أعلم بحاله ، وأصله من قرية دهروط ، وأقام بالقاهرة مدة واشتغل بها ، ويقال إنه قرأ التنبيه فى الفقه ، ثم انقطع بمنية مرشد واشتهر أمره فى الناس وحج مرات ، وكان إذا دخل القاهرة يزدهم عليه الناس ، ثم كانت وفاته يوم الخميس ثامن رمضان ودفن بزاويته ، وصلى عليه بالقاهرة ودمشق وغيرها .

الامير اسد الدين

عبد القادر بن المغيث عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن العادل ، ولد سنة ثنتين وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان يأتى كل سنة من مصر إلى دمشق ويكرم أهل الحديث ، ولم يبق من بعده من بنى أيوب أعلا سنامنه ، توفى بالرملة فى سلخ رمضان رحمه الله .

الشيخ الصالح الفاضل

حسن بن إبراهيم بن حسن الحاكى الحكرى إمام مسجد هناك ، ومذكر الناس فى كل جمعة ،

ولديه فضائل ، وفي كلاله نفع كثير إلى أن توفي في العشرين من شوال ، ولم ير الناس مثل جنازته
بديار مصر رحمه الله تعالى . ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

استهلت بيوم الأربعاء والخليفة المستكني منفي ببلاد قوص ، ومعه أهله وذووه ، ومن يلوح به ،
وسلطان البلاد الملك الناصر محمد بن الملك المنصور ، ولانائب بديار مصر ولا وزير ، ونائبه بدمشق
تنكر ، وقضاة البلاد ونوابها ومباشروها المذكورون في التي قبلها . وفي ثالث ربيع الأول رسم
السلطان بقسفير على ومحمد ابني داود بن سليمان بن داود بن العاضد آخر خلفاء الفاطميين إلى الغيوم
يقيمون به . وفي يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الآخر عزل القاضي علم الدين بن القطب عن كتابة
السرو وضرب وصودر ، ونكسب بسبب القاضي نغر الدين المصري ، وعزل عن مدرسته الدولمية وأخذها
ابن جملة ، والعدالية الصغيرة بأمرها ابن النقيب ، ورسم عليه بالعدراوية مائة يوم ، وأخذ شيء من ماله .
وفي ليلة الأحد ثالث عشر من ربيع الأول بعد المغرب هبت ريح شديدة بمصر وأعقبها
رعد وبرق وبرد بقدر الجوز ، وهذا شيء لم يشاهدوا مثله من أعصار متطاولة ببلاد . وفي عاشر
جمادى الأولى استهل الغيث بمكة من أول الليل ، فلما انتصف الليل جاء سيل عظيم هائل لم ير مثله
من دهر طويل ، فغرب دورا كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جماعة وكسر أبواب المسجد ،
ودخل السكينة وارتفع فيها نحواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاه الشيخ عفيف الدين
الطبري . وفي سابع عشر من جمادى الأولى عزل القاضي جلال الدين عن قضاء مصر ، واتفق
وصول خبر موت قاضي الشام ابن المجد بعد أن عزل بيسير ، فولاه السلطان قضاء الشام فسار إليها
راجعا عوداً على بدء ، ثم عزل السلطان برهان الدين بن عبد الحق قاضي الحنفية ، وعزل قاضي
الحنابلة آق الدين ، ورسم على ولده صدر الدين بأداء دين الناس إليهم ، وكانت قريباً من ثلثمائة
ألف ، فلما كان يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة بعد سفر جلال الدين بخمسة أيام طلب السلطان
أعيان الفقهاء إلى بين يديه فسألهم عن من يصاح للقضاء بمصر فوقع الاختيار على القاضي عز الدين
ابن جماعة ، فولاه في الساعة الراهنة ، وولى قضاء الحنفية لحسام الدين حسن بن محمد الغوري قاضي
بغداد ، وخرجاً من بين يديه إلى المدرسة الصالحية ، وعلمهما الخلع ، ونزل عز الدين بن جماعة عن
دار الحديث السكلمية لصاحبه الشيخ عماد الدين الدمياطي ، فدرس فيها وأورد حديث «إنما الأعمال
بالنيات» . بسنده ، وتكلم عليه . وعزل أكثر نواب الحكم واستمر بعضهم ، واستمر بالنادي
الذي أشار بتوليته . ولما كان يوم خامس عشر من ربيع الثاني عزل قضاة الحنابلة الامام العالم موفق الدين
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسي عوضاً عن الميزول ، ولم يبق من القضاة سوى
الاثنائي المالكي .

وفي رمضان فتحت الصبائية التي أنشأها شمس الدين بن تقي الدين ابن الصباب الناجر دار قرآن ودار حديث ، وقد كانت خربة شنيعة قبل ذلك . وفي رمضان ياشر علاء الدين علي ابن القاضي محي الدين بن فضل الله كتابة السرب بمصر بعد وفاة أبيه كما سيأتي ترجمته ، وخام عليه وعلى أخيه بدر الدين ، ورسم لهما أن يحضرا مجلس السلطان ، وذهب أخوه شهاب الدين إلى الحج . وفي هذا الشهر سقط بالجانب الغربي من مصر بردكا لبيض وكالمان ، فأتلف شيئا كثيرا ، ذكر ذلك البرزالي ونقله من كتاب الشهاب الدمياطي . وفي ثالث عشرين رمضان درس بالقبلة المنصورية بشيخة الحديث شهاب الدين المسجدي عوضا عن زين الدين الكناني توفي ، فأورد حديثا من مسند الشافعي بروايته عن الجوالي بسنده ، ثم صرف عنها بالحجة بالشيخ أثير الدين أبي حيان ، فساق حديثا عن شيخه ابن الزبير ودعا للسلطان وحضر عنده القضاة والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ذى القعدة حضر تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة شمس الدين ابن النقيب عوضا عن القاضي جمال الدين ابن جملة توفي ، وحضر خلق كثير من الفقهاء والأعيان ، وكان مجلسا حافلا . وفي ثاني ذى الحجة درس بالمعادية الصغيرة تاج الدين عبد الرحيم ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني عوضا عن الشيخ شمس الدين بن النقيب بحكم ولايته الشامية البرانية ، وحضر عنده القضاة والأعيان . وفي هذا الشهر درس القاضي صدر الدين بن القاضي جلال الدين بالتابكية ، وأخوه الخطيب بدر الدين بالقرائية والمعادية نيابة عن أبيه . انتهى والله أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان :

الامير الكبير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى ابن التركماني
باني جامع المقياس بديار مصر في أيام وزارته بها ، ثم عزل أميرا إلى الشام ، ثم رجع إلى مصر إلى أن توفي بها في خامس ربيع الآخر ، وتوفي بالحسينية ، وكان مشكورا رحمه الله ، انتهى .
قاضي القضاة شهاب الدين

محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين بن علي الرازي الاربلي الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي ، قاضي الشافعية بدمشق ، ولد سنة ثلثتين وستين وستمائة ، واشتغل وبرع وحصل وأفنى سنة ثلاث وتسعين ، ودرس بالاقبالية ثم الرواحية وتربة أم الصالح ، وولى وكالة بيت المال ، ثم صار قاضي قضاة الشام إلى أن توفي بمسقط جمادى الأولى بالمدرسة المعادية ، ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله .

الشيخ الأمام العالم بن المرحل

زين الدين محمد بن عبد الله ابن الشيخ زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد بن المرحل مدرس الشامية البرانية والمعدراوية بدمشق ، وكان قبل ذلك بمشهد الحسين ، وكان فاضلا بارعا فيها

أصوليا مناظرا ، حسن الشكل طيب الأخلاق ، دينا صينا ، وفاب في وقت بدمشق عن علم الدين الأحنائي فحمدت سيرته ، وكانت وفاته ليلة الأثر بماء تاسع عشر رجب ، ودفن من الغد عند مسجد الديان في تربة لهم هناك ، وحضر جنازته القاضي جلال الدين ، وكان قد قدم من الديار المصرية له يومان فقط ، وقدم بعده القاضي برهان الدين عبد الحق بخمسة أيام ، هو وأهله وأولاده أيضا ، وباشر بعده تدريس الشامية البرانية قاضي القضاة جمال الدين ابن جملة ، ثم كانت وفاته بعده بشهور ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ذى القعدة . وهذه ترجمته في تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي :

قاضي القضاة جمال الدين الصالحى

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم بن جملة بن مسلم بن همام بن حسين بن يوسف الصالحى الشافعى المحمى والده ، بالمدرسة السرورية وصلى عليه عقيب الظهور يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة ، ودفن بسفح قاسيون ، ومولده في أوائل سنة ثنتين وثمانين وستمائة ، وسمع من ابن البخارى وغيره ، وحدث وكان رجلا فاضلا في فنون ، اشتغل وحصل وأفنى وأعاد ودرس ، وله فضائل جمّة ومباحث وفوائد وهمة عالية وحرمة وافرة ، وفيه تودد وإحسان وقضاء للعقوق ، وولى القضاء بدمشق نيابة واستقلالا ، ودرس بمدارس كبار ، ومات وهو مدرس الشامية البرانية ، وحضر جنازته خلق كثير من الأعيان رحمه الله .

شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن البارى

شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن قاضى القضاة نجم الدين عبيد الرحيم بن القاضى شمس الدين أبى الطاهر إبراهيم بن هبة الله بن مسلم بن هبة الله الجوهينى الحوى ، المعروف بابن البارزى قاضى القضاة بمحمة ، صاحب التصانيف الكثيرة المفيدة فى الفنون العديدة ، ولد فى خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الكثير وحصل فنونا كثيرة ، وصنف كتبها جمعا كثيرة ، وكان حسن الأخلاق كثير المحاضرة حسن الاعتقاد فى الصالحين ، وكان معظما عند الناس ، وأذن لجماعة من البلاد فى الافتاء ، وعمرى فى آخر عمره وهو يحكم مع ذلك مدة ، ثم نزل عن المنصب لحفيده نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم ، وهو فى ذلك لا يقطع نظره عن المنصب ، وكانت وفاته ليلة الأرباء العشرين من ذى القعدة بعد أن صلى المشاء والوتر ، فلم تفته فريضة ولا نافلة ، وصلى عليه من الغد ودفن بقبة تقيرين ، وله من العمر ثلاث وتسعون سنة .

الشيخ الامام العالم

شهاب الدين أحمد بن البرهان شيخ الحنفية بحلب ، شارح الجامع الكبير ، وكان رجلا صالحا منقطعاً عن الناس ، وانتفع الناس به ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثامن والعشرين من رجب ، وكانت

له معرفة بالعربية والقراءات ، ومشاركات في علوم آخر رحمه الله ، والله أعلم .

القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب السر

هو أبو المال محي بن فضل الله بن الحل بن ديجان بن خلف المدوي العمري ، ولد في حادي عشر شوال سنة خمس وأربعين وسبعمائة بالكرك ، وسمع الحديث وأجمعه ، وكان صدرا كبيرا معظما في الدولة في حياة أخيه شرف الدين وبسده ، وكتب السر بالشام وبالديار المصرية ، وكانت وفاته ليلة الأرباء تاسع رمضان بديار مصر ، ودفن من القند بالقرافة وتولى المنصب بعده ولده علاء الدين ، وهو أصغر أولاده الثلاثة المعينين لهذا المنصب .

الشيخ الإمام العلامة ابن الكتاني

زين الدين ابن الكتاني ، شيخ الشافعية بديار مصر ، وهو أبو حفص عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقي الأصل ، ولد بالقاهرة في حدود سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة ، واشتغل بدمشق ثم رحل إلى مصر واستوطنها وتولى بها بعض الأقضية بالحكر ، ثم نائب عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد فحمدت سيرته ، ودرس بمدارس كبار ، ولى مشيخة دار الحديث بالقبة المنصورية ، وكان بارعا فاضلا ، عنده فوائد كثيرة جدا ، غير أنه كان سيء الأخلاق منقبضا عن الناس ، لم يتزوج قط ، وكان حسن الشكل بهي المنظر ، يأكل الطيبات ويلبس ألقين من الثياب ، وله فوائد وفرائد وفرائد وزوائد على الروضة وغيرها ، وكان فيه استمثار لبعض العلماء فله يساعده ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء المنتصف من رمضان ، ودفن بالقرافة رحمه الله انتهى .

الشيخ الإمام العلامة ابن القويح

ركن الدين بن القويح ، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل الوسي الهاشمي الجعفري التونسي المالكي ، المعروف بابن القويح ، كان من أعيان الفضلاء وسادة الأذكياء ، ممن جمع الفنون الكثيرة والعلوم الأخرى والدينية الشرعية الطيبة ، وكان مدرسا بالنكود مري ، وله وظيفة في المارستان المنصوري ، وبها توفي في بكرة السابع عشر من ذي الحجة ، وترك مالا وأثانا ورثة بيت المال .

وهذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي شامة المقدسي ، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا ، وكان فراغني من الانتقاء من تاريخه في يوم الأرباء العشرين من جمادى الآخرة من سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها آمين . وإلى هنا انتهى ما كتبت من لدن خلق آدم إلى زماننا هذا والله الحمد والمنة . وما أحسن ما قال الحريري !

وإن تجده عيباً فسد الخلالا * فجلّ من لا عيب فيه وعلا

كتبه إسماعيل بن كثير بن صنو القرشي الشافعي عفا الله تعالى عنه آمين . (١)

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

استهلت وسلطان الاسلام والمسلمين بالديار المصرية وما والاها والديار الشامية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، ولا نائب له ولا وزير أيضا بمصر ، وقضاة مصر ، أما الشافعي فقاضي القضاة عز الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة ، وأما الحنفي فقاضي القضاة حسام الدين الغوري ، حسن بن محمد ، وأما المالكي فتقى الدين الأحنائي ، وأما الحنبلي ففوق الدين بن نجبا المقدسي ، ونائب الشام الأمير سيف الدين تنكز وقضاته جلال الدين القزويني الشافعي المعزول عن الديار المصرية ، والحنفي عماد الدين الطرسوسي ، والمالكي شرف الدين الهمداني ، والحنبلي علاء الدين بن المنجا التنوخي .

ومما حدث في هذه السنة إكمال دار الحديث السكريّة وباشرمشيخة الحديث بها الشيخ الامام الحافظ ورخ الاسلام محمد بن قيس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وقرر فيها ثلاثون محدثا لكل منهم جراية وجامكية كل شهر سبعة دراهم ونصف رطل خبز ، وقرر للشيخ ثلاثون رطل خبز ، وقرر فيها ثلاثون نفرا يقرؤون القرآن لكل عشرة شيخ ، ولكل واحد من القراء نظير ما للمحدثين ، ورتب لها إمام وقارئ حديث ونواب ، ولقارئ الحديث عشرون درهما وثمان أواق خبز ، وجاءت في غاية الحسن في شكلاتها وبنائها ، وهي نجاة دار الذهب التي أنشأها الواقف الأمير تنكز ، ووقف عليها عدة أماكن : منها سوق القشاشيين بباب الفرج ، طوله عشرون ذراعا شرقا وغربا ، سماه في كتاب الوقف ، وبندر زيردين ، ، وحمام بمحصر وهو الحمام القديم ، ووقف عليها حصصا في قرايا أخرى ، ولكنه تغلب على ماعدا القشاشيين ، وبندر زيردين ، وحمام حصص .

وفيها قدم القاضي تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي من الديار المصرية حاكما على دمشق وأعمالها ، وفرح الناس به ، ودخل الناس يسلمون عليه لعلمه وديانته وأمانته ، ونزل بالعادلية الكبيرة على عادة من تقدمه ، ودرس بالانزالية والاتبكية ، واستناب ابن عمه القاضي بهاء الدين أبو البقاء ، ثم استناب ابن عمه أبا الفتح ، وكانت ولايته الشام بعد وفاة قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني الشافعي ، على ما سيأتي بيانه في الوفيات من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان في المحرم سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

العلامة قاضي القضاة فخر الدين

عثمان بن الزين علي بن عثمان الحلبي ، ابن خطيب جسر بن الشافعي ، ولي قضاء حلب وكان

(١) كذا بسائر الأصول .

إماماً صنّف شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه ، وشرح البديع لابن الساعاتي ، وله فوائد غزيرة ومصنفات جليلة ، تولى حلب بعد عزل الشيخ ابن النقيب ، ثم طلبه السلطان فلت هو وولده السكّال وله بضع وسبعون سنة . ومن توفى فيها قاضي القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن

القرظوبني الشافعي ، قدم هو وأخوه أيام النتر من بلادهم إلى دمشق ، وهما فاضلان ، بعد التسعين وستائة فدرس إمام الدين في ثربة أم الصالح وأعاد جلال الدين بالبادرائية عند الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين شيخ الشافعية ، ثم تقلبت بهم الأحوال إلى أن ولي إمام الدين قضاء الشافعية بدمشق ، انتزع له من يد القاضي بدر الدين ابن جماعة ، ثم هرب سنة قازان إلى الفيلا المصرية مع الناس فأت هنالك ، وأعيد ابن جماعة إلى القضاء ، وخلت خطابة البلد سنة ثلاث وسبعائة ، فوليا جلال الدين المذكور ، ثم ولي القضاء بدمشق سنة خمس وعشرين مع الخطابة ، ثم انتقل إلى الديار المصرية سنة سبع وعشرين بعد أن هجر قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بسبب الضرر في عيذه فلما كان في سنة ثمان وثلاثين تعصب عليه السلطان الملك الناصر بسبب أمور يطول شرحها ، ونفاه إلى الشام ، واتفق موت قاضي القضاة شهاب الدين بن الحجد عبد الله كما تقدم ، فولاه السلطان قضاء الشام عوداً على بدء ، فاستناب ولده بدر الدين على نيابة القضاء الذي هو خطيب دمشق ، كانت وفاته في أواخر هذه السنة ، ودفن بالصوفية ، وكانت له يد طولى في المعاني والبيان ، ويفتي كثيراً ، وله مصنفات في المعاني مصنّف مشهور [اسمه للتأخيص] اختصر فيه المفتاح للسكّكي ، وكان مجموع الفضائل ، مات وكان عمره قريباً من السبعين أو جاوزها . ومن توفى فيها رابع الحجة يوم الأحد :

الشيخ الإمام الحافظ ابن البرزالي

علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن البرزالي مؤرخ الشام الشافعي ، ولد سنة وفاة الشيخ ابن أبي شامة سنة خمس وستين وستائة ، وقد كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين ، من حين وفاته ومولد البرزالي إلى أن توفى في هذه السنة ، وهو محرم ، ففسل وكفن ولم يستر رأسه ، وحمله الناس على نعشه وهم يبيكون حوله ، وكان يوماً مشهوداً ، وسمع الكثير أزيد من ألف شيخ ، وخرج له المحدث خمس الدين ابن سعد مشيخة لم يكملها ، وقرأ شيئاً كثيراً ، وأسمع شيئاً كثيراً ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن ، وهو مشكور عند القضاة ومشايخه أهل العلم ، صممت العلامة ابن تيمية يقول : نقل البرزالي نقر في حجر . وكان أصحابه من كل الطوائف يحبونه ويكرّمونه ، وكان له أولاد ماتوا قبله ، وكتبت أبنته فاطمة البخاري في ثلاثة عشر مجلداً فقابلها لها ، وكان يقرأ فيه لعلى الحافظ المزني تحت القبة ، حتى صارت نسختها أصلاً معتمداً يكتب منها الناس ، وكان شيخ حديث بالنورية

وفيها وقف كتبه بدار الحديث السفية ، و بدار الحديث القوصية وفي الجامع وغيره . وعلى كراسي الحديث ، وكان متواضعا محببا إلى الناس ، متوددا إليهم ، توفي عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .

المؤرخ شمس الدين

محمد بن إبراهيم الجوزي ، جمع تاريخا حافلا ، كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالمرى والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله ، وكان شيخا قد جاوز الثمانين ، ، وتقل سميه وضف خطه ، وهو والد الشيخ ناصر الدين محمد وأخوه محمد الدين .

ثم دخلت سنة أربعين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وساطان المسلمين الملك الناصر ، وولاته وقضاته المذكورن في التي قبلها إلا الشافعي بالشام فتوفي القزويني وتولى العلامة السبكي . ومما وقع من الحوادث العظيمة الهائلة أن جماعة من رؤس النصاري اجتمعوا في كنيسهم وجمعوا من بينهم مالا جز يلا فدفقوه إلى راهبين قدما عليهما من بلاد الروم ، يحسنان صنعة النفط ، اسم أحدهما ملاني والآخر عازر ، فملا كحطا من النفط ، وتطافنا حتى عملاه لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر من ذلك ، فوضعا في شقوق دكا كين التجار في سوق الرجال عند الدهشة في عدة دكا كين من آخر النهار ، بحيث لا يشعر أحد بهما ، وهما في زى المسلمين ، فلما كان في أثناء الليل لم يشعر الناس إلا بالنار قد عملت في تلك الدكا كين حتى تملقت في درابزينات المأذنة الشرقية المنجبة للسوق المذكور ، وأحترقت الدرابزينات ، وجاء نائب السلطنة تنكيز والأمراء أمراء الأنوف ، وصعدوا المنارة وهي تشمل نارا ، واحترسوا عن الجامع فلم ينله شيء من الحريق والله الحمد والمنة ، وأما المأذنة فانها تفجرت أحجارها واحترقت السقالات التي تدل السلام فهدمت وأعيد بناؤها بمحجارة جدد ، وهي المنارة الشرقية التي جاء في الحديث أنه ينزل عليها عيسى ابن مريم كما سيأتي الكلام عليه في نزول عيسى عليه السلام والبلد محاصر بالرجال . والمقصود أن النصاري بعد ليال عدوا إلى ناحية الجامع من المغرب إلى القيسارية بكاملها ، وبما فيها من الأقواس والعدد ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وأتطابشر شر النار إلى ما حول القيسارية من الدور والمساكن والمدارس ، واحترق جانب من المدرسة الأمينية إلى جانب المدرسة المذكورة وما كان مقصودهم الا وصول النار إلى معبد المسلمين ، فحال الله بينهم وبين ما يرومون ، وجاء نائب السلطنة والأمراء وحالوا بين الحريق والمسجد ، جزاهم الله خيرا . ولما تحقق نائب السلطنة أن هذا من فعلهم أمر بمسك رؤس النصاري فأمسك منهم نحو من ستين رجلا ، فأخذوا بالمصادرات والضرب والعقوبات وأنواع المثلات ، ثم بعد ذلك صلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد وجعلوا يتأوتون واحدا بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار حتى صاروا رمادا لعنهم الله ، انتهى .

والله أعلم . سبب مسك تنكز

لما كان يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة جاء الأمير طشتمر من صفد مسرعا وركب جيش دمشق ملبساً ، ودخل نائب السلطنة من قصره مسرعا إلى دار السعادة ، وجاء الجيش فوقفوا على باب النصر ، وكان أراد أن يلبس ويقابل فمذلوله في ذلك ، وقالوا : المصلحة الخروج إلى السلطان سامعا طيما ، فخرج بلا سلاح ، فلما برز إلى ظاهر البلد التف عليه الفخري وغيره ، وأخذوه وذهبوا به إلى ناحية السكوة ، فلما كان عند قبة يلبغا نزلوا وقيدوه وخصايه من قصره ، ثم ركب البريد وهو متيد وساروا به إلى السلطان ، فلما وصل أمر بمسيره إلى الاسكندرية ، وسألوا عن ودائمه فأقر ببعض ، ثم عوقب حتى أقر بالباقي ، ثم قتلوه ودفنوه بالاسكندرية ، ثم قتلوه إلى تربته بدمشق رحمه الله ، وقد جاوز الستين ، وكان عادلا مهيباً عفيف الفرج واليد ، والناس في أيامه في غاية الرخص والأمن والصيانة فرحه الله ، وبلى بالرحمة تراه .

وله أوقاف كثيرة من ذلك مرستان بصغد ، وجامع بنابلس ومجلون ، وجامع بدمشق ، ودار حديث بالقدس ودمشق ، ومدرسة وخانقاه بالقدس ، ورباط وسوق موقوف على المسجد الأقصى ، وفتح شباكا في المسجد . انتهى والله تعالى أعلم .
ومن توفي فيها من الأعيان : أمير المؤمنين المستكفي بالله

أبو الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله بن العباس أحمد بن أبي علي الحسن بن أبي بكر بن علي ابن أمير المؤمنين المسترشد بالله الهاشمي العباسي ، البغدادي الأصل والمولد ، مولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة أو في التي قبلها ، وقرأ واشتغل قليلا ، وعهد إليه أبوه بالأمر وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبعمائة ، وفوض جميع ما يتعلق به من الحل والمقد إلى السلطان الملك الناصر ، وسار إلى غزو والتتر فشهد مصاف شقحب ، ودخل دمشق في شعبان سنة اثنتين وسبعمائة وهو راكب مع السلطان ، وجميع كبراء الجيش مشاة ، ولما أعرض السلطان عن الأمر وانعزل بالكرك التمس الأمراء من المستكفي أن يسلطن من ينهض بالملك ، فقلد الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير وعقد له اللواء وألبسه خلمة السلطنة ، ثم عاد الناصر إلى مصر وعذر الخليفة في فعله ، ثم غضب عليه وسيره إلى قوص فتوفي في هذه السنة في قوص في مستهل شعبان .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

استهلت يوم الأربعاء ولسطان المسلمين الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بمصر هم المذكورون في التي قبلها ، وليس في دمشق نائب سلطنة ، وإنما الذي يسد الأمور الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالحص الأخصر ، الذي جاء بالقبض على الأمير سيف الدين تنكز ،

ثم جاء المرسوم بالرجوع إلى صغد فركب من آخر النهار وتوجه إلى بلده ، وحواسل الأمير تنكز تحت الخوطة كما هي .

وفي صبيحة يوم السبت رابع المحرم من السنة المذكورة قدم من الديار المصرية خمسة أمراء الأمير سيف الدين بشتك الناصري ومعه برصيف الحاجب ، وطاشار الدويدار وبنعراو بطا ، فنزل بشتك بالقصر الأباقي والميادين ، وليس معه من مماليكه إلا القليل ، وإنما جاء لتجديد البيعة إلى السلطان لما توجهوا من إمالة بعض الأمراء لنائب الشام المنفصل ، وللخوطة على حواصل الأمير سيف الدين تنكز المنفصل عن نيابة الشام ونجمتها للديار المصرية . وفي صبيحة يوم الاثنين سادسه دخل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق نائباً ، وتلقاه الناس وبشتك والأمراء المصريون ، ونزلوا إلى عتبته فقبلوا العتبة الشريفة ، ورجعوا معه إلى دار السعادة ، وفري تقليده . وفي يوم الاثنين ثالث عشره مسك من الأمراء المتقدمين أميران كبيران الجي ببا العادلي ، وطنبغا الحجى ، ورفعا إلى القلعة المنصورة واحتيط على حواصلهما . وفي يوم الثلاثاء تحملوا بيت ملك الأمراء سيف الدين تنكز وأهله وأولاده إلى الديار المصرية . وفي يوم الأربعاء خامس عشره ركب نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه الأمير سيف الدين بشتك الناصري والحاجة رقطية وسيف الدين قطلو ببا الفخرى وجماعة من الأمراء المتقدمين واجتمعوا بسوق الخليل واستدعوا بمملوكي الأمير سيف الدين تنكز وها جنائى وطفائى . فأمر بتوسيطهما فوسطاً وعلقا على الخشب وتودى عليهما : هذا جزاء من يجاسر على السلطان الناصر .

وفي يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من هذا الشهر كانت وفاة الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام بقلعة اسكندرية ، قيل مخنوقاً وقيل مسموماً وهو الأصح ، وقيل غير ذلك ، وتأسف الناس عليه كثيراً ، وطال حزنهم عليه ، وفي كل وقت يتذكرون ما كان منه من الهيبة والصيانة والغيرة على حريم المسلمين ومحارم الاسلام ، ومن إقامته على ذوى الحاجات وغيرهم ، ويشتد تأسفهم عليه رحمه الله . وقد أخبر القاضى أمين الدين ابن القلانسى رحمه الله شيخنا الحافظ العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله أن الأمير سيف الدين تنكز مسك يوم الثلاثاء ودخل مصر يوم الثلاثاء ودخل الاسكندرية يوم الثلاثاء وتوفي يوم الثلاثاء وصلى عليه بالاسكندرية ودفن بمقبرتها في الثالث والعشرين من المحرم بالقرب من قبر القبارى ، وكانت له جنازة جيدة .

وفي يوم الخميس سابع شهر صفر قدم الأمير سيف الدين طشتمر الذى مسك تنكز إلى دمشق فنزل بوطاة برزة بجيشه ومن معه ثم توجه إلى حلب المحروسة نائباً بها عوضاً عن الطنبغا المنفصل عنها وفي صبيحة يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول نودى فى البلد بجنازة الشيخ الصالح العابد

الناسك القدوة الشيخ محمد بن تمام توفى بالصالحية ، فذهب الناس إلى جنازته إلى الجامع المظفرى ، واجتمع الناس على صلاة الظهر فضايق الجامع المذكور عن أن يسمهم ، وصلى الناس فى الطرقات وأرجاء الصالحية ، وكان الجمع كثيرا جدا لم يشهد الناس جنازة بعد جنازة الشيخ تقي الدين بن تيمية مثلها ، لكثرة من حضرها من الناس رجالا ونساء ، وفيهم القضاة والأعيان والأمرء وجمهور الناس يقاربون عشرين ألفا ، وانتظر الناس نائب السلطنة فاشتغل بكتاب ورد عليه من الديار المصرية ، فصلى عليه الشيخ بعد صلاة الظهر بالجامع المظفرى ، ودفن عند أخيه فى تربة بين تربة الموفق وبين تربة الشيخ أبى عمر رحمهم الله وإيانا .

وفى أول شهر جمادى الأولى توفيت الشيخة العابدة الصالحة العالمة طارئة القرآن أم فاطمة عائشة بنت إبراهيم بن صديق زوجة شيخنا الحافظ جمال الدين المزي عشية يوم الثلاثاء مستهل هذا الشهر وصلى عليها بالجامع صبيحة يوم الأربعاء ودفنت بمقابر الصوفية غربى قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمهم الله . كانت عديمة النظير فى نساء زمانها لكثرة عبادتها وتلاوتها وإقراءها القرآن العظيم بفصاحة وبلاغة وأداء صحيح ، يميز كثير من الرجال عن تبحر يده ، وختمت نساء كثيرا ، وقرأ عليها من النساء خلق وانتفعن بها وبصلاحها ودينها وزهداها فى الدنيا ، وتقلها منها ، مع طول العمر بلغت ثمانين سنة أفقتها فى طاعة الله صلاة وتلاوة ، وكان الشيخ محسنا إليها طيعا ، لا يكاد يخالفها لحبه لها طبعها وشرعا فرحمها الله وقدر روحها ، ونور مضجعها بالرحمة آمين .

وفى يوم الأربعاء والعشرين منه درس بمدرسة الشيخ أبى عمر بسفح قاسيون الشيخ الامام فمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادى المقدسى الحنبلى ، فى التدريس البكتمرى عوضا عن القاضى برهان الدين الزرعى ، وحضر عنده المقداسة وكبار الحنابلة ، ولم يتمكن أهل المدينة من الحضور لكثرة المطر والوحل يومئذ . وتكامل عمارة المنارة الشرقية فى الجامع الاثوى فى العشر الأخير من رمضان ، واستحسن الناس بناءها وإيقانها ، وذكر بعضهم أنه لم يبن فى الاسلام منارة مثلها والله الحمد . ووقع لكثير من الناس فى غالب ظنونهم أنها المنارة البيضاء الشرقية التى ذكرت فى حديث النواس بن سمعان فى نزول عيسى ابن مريم على المنارة البيضاء فى شرقى دمشق ، فلعلى لفظ الحديث انقلب على بعض الرواة ، وإنما كان على المنارة الشرقية بدمشق ، وهذه المنارة مشهورة بالشرقية لمقابلتها أختها الغربية ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفى يوم الثلاثاء سلع شهر شوال عقد مجلس فى دار العدل بدار السعادة وحضرته يومئذ واجتمع القضاة والأعيان على المادة وأحضر يومئذ عثمان الدكاكى قبحه الله تعالى ، وادعى عليه بمظالم من القول لم يؤثر مثلها عن الحلّاج ولاعن ابن أبى الغدافر السلجقانى ، وقامت عليه البيعة بدعوى الآلهية

لعنه الله ، وأشياء آخر من التنقيص بالأنبيا ومخالطته أرباب الريب من الباجريقية وغيرهم من الاتحادية عليهم لعائن الله ، ووقع منه في المجلس من إساءة الأدب على القاضي الخنبلي وتضمن ذلك تكفيره من المملوكية أيضاً ، فادعى أن له دوافع وقوادح في بعض الشهود ، فرد إلى السجن مقيداً مغلولاً مقبوحاً ، أمكن الله منه بقوته وتأيبه ، ثم لما كان يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة أحضر عثمان الدكاكى المذكور إلى دار السعادة وأقيم إلى بين يدي الأمراء والقضاة وسئل عن القوادح في الشهود فمجز لم يقدر ، وهجز عن ذلك فتوجه عليه الحكم ، فستل القاضي المالكى الحكم عليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله ثم حكم بإراقه دمه وإن تاب ، فأخذ المذكور فغضرت رقبته بدمشق بسوق الخليل ، ونودي عليه : هذا جزاء من يكون على مذهب الاتحادية ، وكان يوماً مشهوداً بدار السعادة ، حضر خلق من الأعيان والمشايع ، وحضر شيخنا جمال الدين المزي الحافظ ، وشيخنا الحافظ تيمس الدين الذهبي ، وتسلما وحرصا في القضية جداً ، وشهدا بزندقة المذكور بالاستغاضة ، وكذا الشيخ زين الدين أخو الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وخرج القضاة الثلاثة المالكى والخنقى والخنبلي ، وم نغفوا حكمه في المجلس فغضروا قتل المذكور وكنت مباشراً لجميع ذلك من أوله إلى آخره .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى القعدة أفرج عن الأسيرين المقيبلين بالقلمة وهما طنبغا حجا والجي بغا ، وكذلك أفرج عن خزاندارية تنكز الذين تأخروا بالقلمة ، وفرح الناس بذلك . ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون

في صبيحة يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى الحجة قدم إلى دمشق الأمير سيف الدين قتلوقغا الفخرى نخرج نائب السلطنة وعامة الأمراء لتلقيه ، وكان قدومه على خيل البريد ، فأخبر بوفاة السلطان الملك الناصر ، كانت وفاته يوم الأربعاء آخره . وأنه صلى عليه ليلة الجمعة بعد العشاء ودفن مع أبيه الملك المنصور على ولده أنوك ، وكان قبل موته أخذ العهد لابنه سيف الدين أبي بكر ولقبه بالملك المنصور ، فلما دفن السلطان ليلة الجمعة حضره من الأمراء قليل ، وكان قد ولى عليه الأمير علم الدين الجاولى ، ورجل آخر منسوب إلى الصلاح يقال له الشيخ عمر بن محمد بن إبراهيم الجعبرى ، وشخص آخر من الجبارية ، ودفن كما ذكرنا ، ولم يحضر ولده ولى عهده دفنه ، ولم يخرج من القلمة ليلتشد عن مشورة الأمراء لئلا يتخطب الناس ، وصلى عليه القاضي عز الدين بن جماعة إماما ، والجاولى وأيدغش وأمير آخر والقاضى بهاء الدين بن حامد بن قاضى دمشق السبكى ، وجلس الملك المنصور سيف الدنيا والدين أبو المعالى أبو بكر على سرير المملكة . وفي صبيحة يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، بإيمه

الجيش المصرى ، وقدم الفخرى لأخذ البيعة من الشاميين ، ونزل بالقصر الألفى وبيع الناس للملك المنصور بن الناصر بن المنصور ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة بدمشق صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين منه ، وفرح الناس بالملك الجديد ، وترجوا على الملك ودسوا له وتأسنوا عليه رحمه الله . ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة

استهلت بيوم الأحد وسلمان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية وما والاها الملك المنصور سيف الدين أبو بكر بن الملك السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، وقائب الشام الأمير علاء الدين طنبغا وقضاة الشام ومصرهم المذكورون فى التى قبلها ، وكذا المباشرىون سوى الولاية شهر الله المحرم . ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله وفى هذا اليوم بيع بالخلافة أمير المؤمنين أبو القاسم أحمد بن المستكن بالله أبى الربيع سليمان المباسى وليس السواد وجلس مع الملك للمنصور على سرير المملكة ، وألبسه خلة سوداء أيضاً ، فجلسا وعليهما السواد ، وخطب الخليفة يومئذ خطبة بليغة فصيحة مشتملة على أشياء من المواقف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وخلع يومئذ على جماعة من الأمراء والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وكان أبو القاسم هذا قد عهد إليه أبوه بالخلافة ، ولكن لم يمكنه الناصر من ذلك ، وولى أباه إسحاق إبراهيم ابن أخى أبى الربيع ، ولقبه الواثق بالله ، وخطب له بالقاهرة جمعة واحدة فعزله المنصور وقرأها القاسم هذا ، وأمضى العهد ولقبه المستنصر بالله كما ذكرنا .

وفى يوم الأحد ثامن المحرم مسك الأمير سيف الدين بشنك الناصرى آخر النهار ، وكان قد كتب تقليده بولاية الشام وخام عليه بذلك وبرز قلعه ثم دخل على الملك المنصور ليودعه فرحب به وأجلسه وأحضر طعاماً وأكل ، وتأسف الملك على فراقه ، وقال : تنهب وتتركنى وحدى ، ثم قام لتوديعه وذهب بشنك من بين يديه ثمانى خطوات أو نحوها ، ثم تقدم إليه ثلاثة نفر قطع أحدهم سيفه من وسطه بسكين ، ووضع الآخر يده على فقه وكفه الآخر ، وقيدوه وذلك كله بمحضرة السلطان ، ثم غيب ولم يدر أحد إلى أين صار ، ثم قالوا للمالكة : اذهبوا أنتم فائتوا بمركب الأمير غداً ، فهو بائت عند السلطان . وأصبح السلطان وجلس على سرير المملكة وأمر بمسك جماعة من الأمراء وتسعة من الكبار ، واحتاطوا على حواصله وأمواله وأملاكه ، فيقال إنه وجد عنده من الذهب ألف ألف دينار ، وسبعمائة ألف دينار .

وفات شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى

تمرض أياماً يسيرة مرضاً لا يشنله عن شهود الجماعة ، وحضور الدروس ، وإسماع الحديث ، فلما كان يوم الجمعة حادى عشر صفر أجمع الحديث إلى قريب وقت الصلاة ، ثم دخل منزله لينوضاً

ويذهب للصلاة فاعترضه في باطنه منص عظيم ، ظن أنه قولنج ، وما كان إلا طاعون ، فلم يقدر على حضور الصلاة ، فلما فرغنا من الصلاة أخبرت بأنه منقطع ، فذهبت إليه فدخلت عليه فإذا هو يرتعد رعدة شديدة من قوة الألم الذي هو فيه ، فسألته عن حاله فجعل يكرر الحمد لله ، ثم أخبرني بما حصل له من المرض الشديد ، وصلى الظهر بنفسه ، ودخل إلى الطهارة وتوضأ على البركة ، وهو في قوة الوجع ثم اتصل به هذا الحال إلى الغد من يوم السبت ، فلما كان وقت الظهر لم أكن حاضره إذ ذاك ، لكن أخبرتنا بنته زينب زوجتي أنه لما أذن الظهر تنير ذهنه قليلا ، فقالت : يا أبة أذن الظهر ، فذكر الله وقال : أريد أن أصلي فتييم وصلي ثم اضطلع فجعل يقرأ آية الكرسي حتى جعل لا يفيض بها لسانه ثم قبضت روحه بين الصلاتين ، رحمه الله يوم السبت ثاني عشر صفر ، فلم يمكن تجهيزه تلك الليلة ، فلما كان من الغد يوم الأحد ثالث عشر صفر صبيحة ذلك اليوم ، غسل وكفن وصلى عليه بالجامع الأموي ، وحضر القضاة والأعيان وخلائق لا يحصون كثرة ، وخرج بجنازته من باب النصر ، وخرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين طنبغا ومعه ديوان السلطان ، والصاحب وكاتب السر وغيرهم من الأمراء ، فصلوا عليه خارج باب النصر ، أمهم عليه القاضي تقي الدين السبكي الشافعي ، وهو الذي صلى عليه بالجامع الأموي ، ثم ذهب به إلى مقابر الصوفية فدفن هناك إلى جانب زوجته المرأة الصالحة الحافظة لكتاب الله ، عائشة بنت إبراهيم بن صديق ، غربي قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله أجمعين .

كأنة غريبة جدا

قدم يوم الأربعاء الثلاثين من صفر أمير من الديار المصرية ومعه البيعة لأملاك الأشرف علاء الدين كحك بن الملك الناصر ، وذلك بعد عزل أخيه المنصور ، لما صدر عنه من الأفعال التي ذكر أنه تماطها من شرب المسكر وغشيان المنكرات ، وتعاطى ما لا يليق به ، ومعاشرة الخاصكية من المردان وغيرهم ، قتالاً على خلمه كبار الأمراء لما رأوا الأمر تنافس إلى الفساد المريض فأجسروا الخليفة الحاكم بأمر الله أبي الربيع سليمان فأثبت بين يديه ما نسب إلى الملك المنصور المذكور من الأمور غيبت خلمه وخلمه الأمراء الكبار وغيرهم ، واستبدلوا مكانه أخاه هذا المذكور ، وسيره إذ ذاك إلى قوص مضيقا عليه ومعه إخوة له ثلاثة ، وقيل أكثر ، وأجلسوا الملك الأشرف هذا على السرير ، وقاب له الأمير سيف الدين قوصون الناصري ، واستمرت الأمور على السداد وجاءت إلى الشام فبايعه الأمراء يوم الأربعاء المذكور ، وضربت البشائر عشية الخميس مستهل ربيع الأول وخطب له بدمشق يوم الجمعة بمحضرة نائب السلطنة والقضاة والأمراء .

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول حضر بدار الحديث الأشرفية قاضي القضاة تقي الدين السبكي عوضاً عن شيخنا الحافظ جمال الدين المزني ، ومشيخة دار الحديث النورية عوضاً عن

ابنه رحمه الله . وفي شهر جمادى الأولى اشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر قائم في نصرة ابن السلطان الأمير أحمد الذى بالكرك ، وأنه يستخدم لذلك ويجمع الجوع بالله أعلم . وفي العشر الثانى منه وصلت الجيوش محبة الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى إلى الكرك في طلب ابن السلطان الأمير أحمد . وفي هذا الشهر كثرت الكلام في أمر الأمير أحمد بن الناصر الذى بالكرك ، بسبب محاصرة الجيش الذى محبة الفخرى له ، واشتهر أن نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر قائم يجنب أولاد السلطان الذين أخرجوا من الديار المصرية إلى الصعيد ، وفي القيام بالمداومة عن الأمير أحمد ، ليصرف عنه الجيش ، وترك حصاره وعزم بالذهاب إلى الكرك لنصرة أحمد ابن أستاذه ، ونهيا له نائب الشام بدمشق ، وفادى في الجيش المنتفاه ومدافعتهم عما يريد من إقامة الفتنة وشق العصا ، واهتم الجند لذلك ، وتأهبوا واستعدوا ، ولحقهم في ذلك كافة كثيرة ، وانزعج الناس بسبب ذلك وتخوفوا أن تكون فتنة ، وحسبوا إن وقع قتال بينهم أن تقوم العشيرات في الجبال وحوران ، وتتعلل مصالح الزراعات وغير ذلك ، ثم قدم من حلب صاحب السلطان في الرسالة إلى نائب دمشق الأمير علاء الدين الطنبغا ومعه مشافهة ، فاستمع لها فبعث معه صاحب الميسرة أمان الساقى ، فذهب إلى حلب ثم رجعا في أواخر جمادى الآخرة وتوجها إلى الديار المصرية ، واشتهر أن الأمر على ما هو عليه حتى توافق على ما ذكر من رجوع أولاد الملك الناصر إلى مصر ، ما عدا المنصور ، وأن يخل عن محاصرة الكرك .

وفي العشر الأخير من جمادى الأولى توفي مظفر الدين موسى بن مهنا ملك العرب ودفن بتدمر وفي صبيحة يوم الثلاثاء ثانى جمادى الآخرة عند طلوع الشمس توفي الخطيب بدر الدين محمد بن القاضى جلال الدين القزوينى بدار الخطابة بعد رجوعه من الديار المصرية كما قدمنا ، فخطب جمعة واحدة وصلى بالناس إلى ليلة الجمعة الأخرى ثم مرض فخطب عنه أخوه تاج الدين عبد الرحيم على العادة ثلاثة جمع ، وهو مريض إلى أن توفي يومئذ ، وتأسف الناس عليه لحسن شكله وصباحة وجهه وحسن ملتقاه وتواضعه ، واجتمع الناس للصلاة عليه للظهر فآخر تجهيزه إلى العصر فصلى عليه بالجامع قاضى القضاة تقي الدين السبكي ، وخرج به الناس إلى الصوفية ، وكانت جنازته حافلة جدا ، فدفن عند أبيه بالقرب التي أنشأها الخطيب بدر الدين هناك رحمه الله .

وفي يوم الجمعة خامس الشهر بعد الصلاة خرج نائب السلطنة الأمير علاء الدين الطنبغا وجميع الجيش قاصدين للبلاد الحلبية للقبض على نائب حلب الأمير سيف الدين طشتمر ، لأجل ما أظهر من القيام مع ابن السلطان الأمير أحمد الذى في الكرك ، وخرج الناس في يوم شديد المطر كثير الوحل ، وكان يوما مشهودا عصيبا ، أحسن الله العاقبة . وأمر القاضى تقي الدين السبكي الخطيب

المؤذنين بزيادة أذكار على الذى كان سنه فيهم الخطيب بدر الدين من التسبيح والتحميد والتهليل الكثير ثلاثاً وثلاثين ، فزادهم السبكي قبل ذلك : أستغفر الله العظيم ثلاثاً ، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت إذا الجلجل والاكرام ، ثم أثبت ما في صحيح مسلم بعد صلاتي الصبح والمغرب : اللهم أجرنا من النار سبعاً ، أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاثاً ، وكانوا قبل تلك السنوات قد زادوا بعد التأذين الآية ليلة الجمعة والتسليم على رسول الله (ص)، يبتدئ الرئيس منفرداً ثم يبعد عليه الجماعة بطريقة حسنة ، وصار ذلك سبباً لاجتماع الناس في محبة الجامع لاستماع ذلك ، وكلما كان المبتدئ حسن الصوت كانت الجماعة أكثر اجتماعاً ، ولكن طال بسبب ذلك الفصل ، وتأخرت الصلاة عن أول وقتها . انتهى .

كائنة غربية جداً

وفي ليلة الأحد عشية السبت نزل الأمير سيف الدين قطلو بغا الفخرى بظاهر دمشق بين الجسورة وميدان الحصى بالاطلاب الذين جاءوا معه من البلاد المصرية لمحاصرة الكرك للقبض على ابن السلطان الأمير أحمد بن الناصر ، فمكثوا على الثنية محاصرين مضيقين عليه إلى أن توجه نائب الشام إلى حلب ، ومضت هذه الأيام المذكورة ، فما درى الناس إلا وقد جاء الفخرى وجوعه ، وقد بايعوا الأمير أحمد وسموه الناصر بن الناصر ، وخلعوا بيعة أخيه الملك الأشرف علاء الدين كجك واعتلوا بصفره ، وذكروا إن أتابكة الأمير سيف الدين قوصون الناصرى قد عدى على ابنى السلطان فقتلها خنقا ببلاد الصعيد : جهز إليهما من تولى ذلك ، وهما الملك المنصور أبو بكر ورمضان ، فتنكر الأمير بسبب ذلك ، وقالوا هذا يريد أن يجتاح هذا البيت ليتمكن هو من أخذ المملكة ، فحموا لذلك وبايعوا ابن أستاذهم وجاءوا في الذهاب خلف الجيش ليكونوا عوناً للأمير سيف الدين طشتمر نائب حلب ومن معه ، وقد كتبوا إلى الأمراء يستميلونهم إلى هذا ، ولما نزلوا بظاهر دمشق خرج إليهم من بدمشق من الأكارب والقضاة والمباشرين ، مثل والى البر ووالى المدينة وابن سمندار وغيرهم ، فلما كان الصبح خرج أهالى دمشق عن بكرة أبيهم ، على عادتهم في قدوم السلاطين ، ودخول الحجاج ، بل أكثر من ذلك من بعض الوجوه ، وخرج القضاة والصاحب والأعيان والولاة وغيرهم ، ودخل الأمير سيف الدين قطلو بغا في دست نيابة السلطنة التى فوضها إليه الملك الناصر الجديد وعن يمينه الشافعى ، وعن شماله الحنفى على العادة ، والجيش كله محدد به في الحديد ، والعقارات والبوقات والنشابة السلطانية والسناجق الخليفة والسلطانية تخفق ، والناس في الدعاء والثناء للفخرى ، وهم في غاية الاستبشار والفرح ، وربما قال بعض جهلة الناس من النائب الآخر الذى ذهب إلى حلب ، ودخلت الاطلاب بعده على ترتيبهم ، وكان يوماً مشهوداً ، فنزل شرق دمشق

قريباً من خان لاجين ، و بعث في هذا اليوم فرسماً على القضاة والصاحب ، وأخذ من أموال الأيتام
وفيرا خمسمائة ألف ، وعوضهم عن ذلك بقرية من بيت المال ، وكتب بذلك سجلات ، واستخدم
جيداً ، وانضاف إليه من الأمراء الذين كانوا قد تخلفوا بدمشق جماعة منهم عمر الساقى مقدم ، وابن
قراستقر وابن الكامل وابن المعظم وابن البلدى وغيرهم ، وبايع هؤلاء كلهم مع مباشرى دمشق ،
للملك الناصر بن الناصر ، وأقام الفخرى على خان لاجين ، وخرج المتمشون بالصنائع إلى عندهم
وضربت البشارة بالقلعة صبيحة يوم الثلاثاء سادس عشر الشهر ، ونودى بالبلد إن سلطانكم الملك
الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبكم سيف الدين قطلو بغا الفخرى ، وفرح كثير من
الناس بذلك ، وانضاف إليه نائب صفد وبايعه نائب بعلبك ، واستخدموا له رجالاً وجنداً ، ورجع
إليه الأمير سيف الدين سنجر الجقदार رأس المينة بدمشق ، وكان قد تأخر في السفر عن نائب
دمشق علاء الدين الطنبغا ، بسبب مرض عرض له ، فلما قدم الفخرى رجع إليه وبايع الناصر
ابن الناصر ، ثم كاتب نائب حماة تفر دمر الذى ناب بمصر للملك المنصور ، فأجابه إلى ذلك وقدم على
العسكر يوم السبت السابع والعشرين من الشهر المذكور ، في تجهل عظيم وخزائن كثيرة ، ونقل هائل .
وفي صبيحة يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر المذكور كسفت الشمس قبل الظهر ، وفي
صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من جمادى الآخرة ، قدم نائب غزة الأمير آق سنقر في جيش
غزة ، وهو قريب من ألفين ، فدخلوا دمشق وقت الفجر وغدوا إلى معسكر الفخرى ، فانضافوا إليهم
ففرحوا بهم كثيراً ، وصار في قريب من خمسة آلاف مقاتل أو يزيدون .

استهل شهر رجب الفرد والجماعة من أكابر التجار مطلوبون بسبب أموال طلبها منهم الفخرى ،
يقوى بها جيشه الذى معه ، ومبلغ ذلك الذى أرادته منهم ألف ألف درهم ، ومعه مرسوم الناصر بن
الناصر ببسبب أملاك الأمير سيف الدين قوصون ، إيتابك الملك الأشرف علاء الدين كجك ، ابن
الناصر التى بالشام ، بسبب إيتائه عن مبايعة أحمد بن الناصر ، فأشار على الفخرى من أشار بأن يباع
للتجار من أملاك الخصاص ، ويجمع مال قوصون من الخصاص ، فرسم بذلك ، وأن يباع للتجار قرية
دويه قوت بألف ألف وخمسمائة ألف ، ثم لطف الله وأفرج عنهم بعد ليلتين أو ثلاث ، وتعوضوا
عن ذلك بمواصل قوصون ، واستمر الفخرى بن معه ومن أضيف إليه من الأمراء والاجناد مقيمين
بثنية العقاب ، واستخدم من رجال البقاع جماعة كثيرة أكثر من ألف رايم ، وأميرهم يحفظ أفواه
الطارق ، وأزف قدوم الأمير علاء الدين طنبغا بن معه من عساكر دمشق ، وجمهور الحلبيين وطائفة
الطرابلسيين ، وتأهب هؤلاء لهم . فلما كان الحادى من الشهر اشهر أن الطنبغا وسل إلى القسطل
وبعث طلائسه فالتقت بطلائع الفخرى ، ولم يكن بينهم قتال والله الحمد والمنة وأرسل الفخرى إلى

القضاة ونوابهم وجماعة من الفقهاء تخرجوا ورجع الشافعي من أثناء الطريق ، فلما وصلوا أمرهم بالسمي بينه وبين الطنبغا في الصلح ، وأن يوافق الفخري في أمره ، وأن يبايع الناصر بن الناصر ، فأبى فردد إليه غير مرة ، وكل ذلك يمتنع عليهم ، فلما كان يوم الاثنين رابع عشرة عند العصر جاء يريد إلى متولى البلد عند العصر من جهة الفخري يأمره بفتح أبواب البلد ، فغلقت الأبواب ، وذلك لأن العساكر توجهوا وتواقفوا للقتال ، فافأ الله وإنا إليه راجعون .

وذلك أن الطنبغا لما علم أن جماعة قطلوبغا على ثلثة العقاب دار الذروة من ناحية المعصرة ، وجاء بالجيش من هناك ، فاستدار له الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري بجماعته إلى ناحيته ، ووقف له في طريقه ، وحال بينه وبين الوصول إلى البلد ، وانزعج الناس انزعاجاً عظيماً ، وغلقت القياسر والأسواق وخاف الناس بعضهم من بهض أن يكون نهب ، فركب متولى البلد الأمير ناصر الدين بن بكباشي ومعه أولاده ونوابه والرجالة ، فسار في البلد وسكن الناس ودعوا له ، فلما كان قريب المغرب ففتح لهم باب الجابية ليدخل من هو من أهل البلد ، فجرت في الباب على ما قيل زحمة عظيمة ، وتسخط الجند على الناس في هذه الليلة ، واتفق أنها ليلة الميلاد ، وبات المسلمون مهمومون بسبب العسكر واختلافهم فأصبحت أبواب البلد مغلقة في يوم الثلاثاء سوى باب الجابية ، والأمر على ما هو عليه ، فلما كان عشية هذا اليوم تقارب الجيشان واجتمع الطنبغا وأمرأؤه ، واتفق أمراء دمشق وجوهورم الذين هم معه على أن لا يقاتلوا مسلماً ولا يسلموا في وجهه الفخري وأصحابه سيما ، وكان قضاة الشام قد ذهبوا إليه ، راراً للصلح ، فبأبى عليهم إلا الاستمرار على ما هو عليه ، وقويت نفسه عليه انتهى . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

عجيبة من عجائب الدهر

فبات الناس متقابلين في هذه الليلة وليس بين الجيشين إلا مقدار ميلين أو ثلاثة ، وكانت ليلة مطيرة ، فما أصبح الصبح إلا وقد ذهب من جماعة الطنبغا إلى الفخري خلق كثير من أجناد الحلفاء ومن الأمراء والأعيان ، وطلعت الشمس وارتفعت قليلاً فنفذ الطنبغا القضاة وبعض الأمراء إلى الفخري يتهدده ويتوعده ويقوى نفسه عليه . فاسأروا عنه قليلاً لإساق العساكر من الميمنة والميسرة ومن القلب ، ومن كل جانب مقفرين إلى الفخري ، وذلك لما هم فيه من ضيق العيش وقلة ما بأيديهم من الأطعمة وعلف الدواب ، وكثرة ما معهم من الكاف ، فرأوا أن هذا حال يطول عليهم ، ومقتوا أمرهم غاية المقت ، وتطايبت قلوبهم وقلوب أولئك مع أهل البلد على كراهته لقوة نفسه فيها لا يجدى عليه ولا عليهم شيئاً ، فبايعوا على المخامرة عليه ، فلم يبق معه سوى حاشيته في أقل من ساعة واحدة ، فلما رأى الحال على هذه الصفة كراجماً هارباً من حيث جاء وصحبته

الأمير سيف الدين رقطة نائب طرابلس ، وأميران آخران ، والتقت المساكر والأمراء ، وجاءت البشارة إلى دمشق قبل الظهر ففرح الناس فرحا شديدا جدا ، الرجال والنساء والولدان ، حتى من لاثوبة له ، ودقت البشار بالقلعة المنصورة ، فأرسلوا في طلب من هرب ، وجلس الفخرى هناك بقية اليوم يحاف الأمر على أمره الذي جاء له ، فخلفوا له ، ودخل دمشق عشية يوم الخميس في أبهة عظيمة ، وحرمة وافرة ، فنزل القصر الأبقى ونزل الأمير تغردمير بالميدان الكبير ، ونزل حمارى بدار السعادة وأخرجوا الموساوى الذى كان معتقلا بالقلعة ، وجعلوه مشدا على حوطلات حواصل الطنبغا وكان قد تغضب الفخرى على جماعة من الأمراء منهم الأمير حسام الدين السمقدار ، أمير حاجب بسبب أنه صاحب لملاء الدين الطنبغا ، فلما وقع ما وقع هرب فيمن هرب ، ولكن لم يأت الفخرى ، بل دخل البلاد فتوسط في الأمر : لم يذهب مع ذلك ولا جاء مع هذا ، ثم إنه استدرك ما فاته فرجع من البار إلى الفخرى ، وقيل بل رسم عليه حين جاء وهو مهوم جدا ، ثم إنه أعطى مندبل الأمان ، وكان مهمم كاتب السر القاضى شهاب الدين بن فضل الله ، ثم أفرج عنهم ، ومنهم الأمير سيف الدين حفطية وكان شديد الخلق عليه ، فأطلقه من يومه وأعادته إلى الحجوبية ، وأظهر مكارم أخلاق عظيمة ، ورياسة كبيرة ، وكان للقاضى علاء الدين بن المنجى قاضى قضاة الحنابلة في هذه الكائنة سعى مشكور ، ومراجعة كبيرة للأمير علاء الدين الطنبغا ، حتى خيف عليه منه ، وخاطر بنفسه معه ، فأنجح الله مقصده وسلمه منه ، وكبت عدوه ولله الحمد والمنة .

وفي يوم السبت السادس والعشرين منه قلدا قضاء المساكر المنصورة الشيخ نغر الدين بن الصائغ عوضا عن القاضى الحنفى ، الذى كان مع النائب المنفصل ، وذلك أنهم تقدموا عليه إقناؤه الطنبغا بقتال الفخرى ، وفرح بولايته أصحاب الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله ، وذلك لأنه من أخص من صحبه قديما ، وأخذ عنه فوائد كثيرة وعلوها .

وفي يوم الأربعاء سابع رجب آخر النهار قدم الأمير قارى من عند الملك الناصر بن الناصر من الكرك وأخبره بما جرى من أمرهم وأمر الطنبغا ، وفرح بذلك وأخبر قارى بقدم السلطان ففرح الناس بذلك واستعدوا له بالآلات المملكة وكثرت مطالبته أبواب الأموال والنفعة بالجزية .

وفي مستهل رجب من هذه السنة ركب الفخرى في دست الثيابة بالموكب المنصور ، وهو أول دركه فيه ، وإلى جانبه قارى وعلى قارى خلة هائلة ، وكتر دعاء الناس للفخرى يومئذ ، وكان يوما مشهودا . وفي هذا اليوم خرج جماعة من المقدمين الألوف إلى الكرك بأخبار ابن السلطان بما جرى : منهم تغردمير وإقبغا عبيد الواحد وهو الساقى ، وميكلى بغا وغيرهم . وفي يوم السبت ثلثه استدعى الفخرى القاضى الشافعى وألح عليه في احضار الكتب في سلة الحكم التى كانت أخذت من

عند الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله من القلعة المنصورة في أيام جلال الدين التزويني ، فأحضرها القاضي بمد جهود مدافعة ، وخاف على نفسه منه ، فقبضها منه الفخري بالقصر وأذن له في الانصراف من عنده ، وهو متغضب عليه ، وربما هم بعزله لمانعته إياها ، وربما قال قائل هذه فيها كلام يتعلق بمسألة الزيارة ، فقال الفخري : كان الشيخ أعلم بالله وبرسوله منكم . واستبشر الفخري باحضارها إليه واستدعى بأخي الشيخ زين الدين عبد الرحمن ، وبالشيوخ شمس الدين عبد الرحمن بن قيم الجوزية وكان له سعى مشكور فيها ، فهنأها باحضاره المكتب ، وبيت الكتب تلك الليلة في خزائنه للتبرك وصلى به الشيخ زين الدين أخو الشيخ صلاة المغرب بالقصر ، وأكرمه الفخري إكراما زائدا لمحبتته الشيخ رحمه الله .

وفي يوم الأحد رابعه دقت البشار بالقلعة وفي باب الميدان لقدم بشير بالقبض على قوصون بالديار المصرية ، واجتمع الناس لذلك واستبشر كثير منهم بذلك ، وأقبل جماعة من الأمراء إلى الكرك لطاعة الناصر بن الناصر ، واجتمعوا مع الأمراء الشاميين عند الكرك ، وطلبوا منه أن ينزل إليهم فأبى وتوهم أن هذه الأمور كلها مكيدة ليقبضوه ويسلوه إلى قوصون ، وطلب منهم أن ينظر في أمره وردم إلى دمشق . وفي هذه الأيام وما قبلها وما بعدها أخذ الفخري من جماعة التجار بالأسواق وغيرها زكاة أموالهم سنة ، فتحصل من ذلك زيادة على مائة ألف وسبعة آلاف ، وصودر أهل الزمة بقریب من ذلك زيادة على الجزية التي أخذت منهم عن ثلاث سنين سلفا وتعميلا ، ثم نودي في البلد يوم الاثنين الحادي والعشرين من الشهر مناداة صادرة من الفخري برفع الظلمات والطلبات وإسقاط ما تبقى من الزكاة والمصادرة ، غير أنهم احتاطوا على جماعة من المشاة الكثيرين ليشتروا منهم بعض أملاك الخاص ، والبرهان من بشار الحنفى تحت المصادرة والمقوبة على طلب المال الذي وجده في ملية وجدها فيما ذكر عنه والله أعلم .

وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين منه بعد الصلاة دخل الأمراء الستة الذين توجهوا نحو الكرك لطلب السلطان أن يقدم إلى دمشق فأبى عليهم في هذا الشهر ، ووعدهم وقتا آخر فرجعوا ، وخرج الفخري لتلقيهم ، فاجتمعوا قبل جامع القبيبات الكرمي ، ودخلوا كلهم إلى دمشق في جمع كثير من الأتراك الأمراء والجنود ، وعليهم خدمة لعدم قدوم السلطان أيده الله . وفي يوم الأحد قدم البريد خلف قماري وغيره من الأمراء يطلبهم إلى الكرك ، واشتهر أن السلطان رأى النبي (ص) في المنام وهو يأمره بالنزول من الكرك وقبول المملكة ، فأنشراح الناس لذلك .

وتوفي الشيخ عمر بن أبي بكر بن اليثمي البسلي يوم الأربعاء التاسع والعشرين ، وكان رجلا صالحا كثير التلاوة والصلاة والصدقة ، وحضور مجالس الذكر والحديث ، له همة وصوله على الفقراء

المتشبهين بالصالحين وليسوا منهم ، معهم الحديث من الشيخ نغر الدين بن البخارى وغيره وقرأت عليه عن ابن البخارى مختصر المشيخة ، ولازم مجالس الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، وانتفع به ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفى شهر رمضان المعظم أوله يوم الجمعة ، كان قد نودى فى الجيش : آن الرحيل للنتقى السلطان فى سابع الشهر ، ثم تأخر ذلك إلى بعد العشر ، ثم جاء كتاب من السلطان بتأخر ذلك إلى بعد العيد وقدم فى عشر الشهر علاء الدين بن تقي الدين الحنفى ، ومعه ولاية من السلطان الناصر بنظر البيمارستان النورى ، ومشيغة الرتبة ومرتب على الجهات السلطانية ، وكان قد قدم قبله القاضى شهاب الدين بن البارزى بقضاء حصص من السلطان أيده الله تعالى ، وفرح الناس بذلك حيث تكلم السلطان فى المملكة وبأمر وأمر وولى ووقع والله الحمد . وفى يوم الأربعاء ثالث عشره دخل الأمير سيف الدين طشتمر الملقب بالخص الأخصر من البلاد الحلبية إلى دمشق الحروسية ، وتلقاه الفخرى والأمراء والجيش بكاله ، ودخل فى أبهة حسنة ودعاه الناس وفرحوا بقدومه بعد شتاته فى البلاد وهربه من بين يدي الطنبا حين قصده إلى حلب كما تقدم ذكره .

وفى يوم الخميس رابع عشره خرجت الجيوش من دمشق قاصدين إلى غزة لنظرة السلطان حين يخرج من الكرك السعيد ، فخرج يومئذ مقدمان : تغرمر واقبنا عبد الواحد فبرزا إلى الكسوة ، فلما كان يوم السبت خرج الفخرى ومعه طشتمر وجمهور الأمراء ، ولم يبق معه بدمشق إلا من احتيج لمقامهم لمهمات المملكة ، وخرج معه القضاة الأربعة ، وقاضى العساكر والموقعين والمصاحب وكاتب الجيش وخلق كثير .

وتوفى الشيخ الصالح العابد الناسك أحمد بن .. الملقب بالقصيدة ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان ، وصلى عليه بمجامع شكر ، ودفن بالصوفية قريبا من قبر الشيخ جمال الدين المزي ، فتمدها الله برحمته ، وكان فيه صلاح كثير ، ومواظبة على الصلاة فى جماعة ، وأمر بمعروف ونهى عن منكر مشكورا عند الناس بالخير ، وكان يكثر من خدمة المرضى بالمارستان وغيره ، وفيه إثارة وقناعة وتزهد كثير ، وله أحوال مشهورة رحمه الله وإيانا .

واشتهر فى أواخر الشهر المذكور أن السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد خرج من الكرك الحر وس محبة جماعة من العرب والأتراك قاصداً إلى الديار المصرية ، ثم تحرر خروجه منها فى يوم الاثنين ثامن عشر الشهر المذكور فدخل الديار المصرية بعد أيام ، هذا والجيش صامدون إليه ، فلما تحقق دخوله مصر حنوا فى السير إلى الديار المصرية ، وبعث يستعجزهم أيضا ، واشتهر أنه لم يجلس على سرير الملك حتى يقدم الأمراء الشاميون محبة نائبه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى ، ولهذا لم تدق

البشار بالفتاح الشامية ولا غيرها فيما باننا . وجاءت الكتب والأخبار من الديار المصرية بأن يوم الاثنين عاشر شوال كان إجلال السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد على سرير المملكة ، صعد هو والخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستنفي فوق المنبر ، وهما لابسان السواد ، والتضاضة تحتهما على درج المنبر بحسب منازلهم ، فطلب الخليفة ، وخلف الأشراف كجك وولى هذا الناصر ، وكان يوما مشهودا ، وأظهر ولايته لشتم نياية مصر ، والفخرى دمشق ، وأيد غمش حلب فآله أعلم ، ودقت البشار بدمشق ليلة الجمعة الحادى والعشرين من الشهر المذكور ، واستمرت إلى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة ، وزينت البلديوم الأحداث ثلاث عشرين منه ، واحتفل الناس بالزينة .

وفي يوم الخميس المذكور دخل الأمير سيف الدين الملك أحمد الرؤس المشهورة بمصر إلى دمشق في طلب نياية حماة حرسها الله تعالى ، فلما كان يوم الجمعة بعد الصلاة ورد البريد من الديار المصرية فأخبر أن طشتمر الحصن الأخضر مسك ، فتهجب الناس من هذه الكائنة كثيرا ، ونخرج من بدمشق من اعيان الأمراء أمير الحج وغيره وخيم بوطاة برزة وخرج إلى الحج أميراً فأخبره بذلك وأمره عن مرسوم السلطان أن ينوب بدمشق حتى يأتى المرسوم بما يعتمد أمير الحج فأجاب إلى ذلك ، وركب في الموكب يوم السبت السادس منه ، وأما الفخرى فإنه لما تنسم هذا الخبر وتحمقه وهو بالزعة فرقى طائفة من مماليكه قريب من ستين أو أكثر ، فاحترق وساق سوقا حثيثا وجاءه الطلب من ورائه من الديار المصرية في نحو من ألف فارس ، محبة الأميرين : الطنبغا الماردانى ، وبيلبغا النعناوى ، ففاتهما وسبق واعتزلوه له نائب غزة في جنده فلم يقدر عليه ، فسلطوا عليه العشيرات ينهبوه فلم يقدر وا عليه إلا فى شىء يسير ، وقتل منهم خلقا ، وقصد نحو صاحبه فيما يزعم الأمير سيف الدين إيدغش نائب حلب راجيا منه أن ينصره وأن يوافقه على ما قام بنفسه ، فلما وصل أكرمه وأنزله ، وبات عنده ، فلما أصبح قبض عليه وقيده ورده على البريد إلى الديار المصرية ، ومعه التراسيم من الأمراء وغيرهم .

ولما كان يوم الاثنين سلب ذى القعدة خرج السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن المنصور من الديار المصرية في طائفة من الجيش قاصداً إلى الكرك المحروس ، ومعه أموال جزيلة ، وحواصل وأشياء كثيرة ، فدخلها يوم الثلاثاء من ذى الحجة وصحبته طشتمرفى مخفة مرمضا ، والفخرى مقبداً ، فاعتقلا بالكرك المحروس ، وطلب السلطان آلات من أخشاب ونحوها وحدادين وصناع ونحوها لاصلاح مهمات بالكرك ، وطلب أشياء كثيرة من دمشق ، فحملت إليه ، ولما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ذى الحجة ورد الخبر بأن الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي النائب بصدد ركب في مماليكه وخدمه ومن أطاعه ، وخرج منها قاراً بنفسه من القبض

عليه ، وذ كر أن نائب غرة قصده ليقبض عليه بمرسوم السلطان ورد عليه من السكر ، فهرب الأحمدي بسبب ذلك ، ولما وصل الخبر إلى دمشق وليس بها نائب انزعج الأمراء لذلك ، واجتمعوا بدار السعادة ، وضربوا في ذلك مشورة ثم جردوا إلى ناحية بعلبك أميراً ليصدوه عن الذهاب إلى البرية . فلما أصبح الصباح من يوم الاثنين جاء الخبر بأنه في نواحي السكوة ، ولا مانع من خلاصه ، فركبوا كلهم ونادى المنادى : من تأخر من الجند عن هذا المفير شنىق ، واستوفوا في الخروج وقصدوا ناحية السكوة وبعثوا الرسل إليه ، فذكر اعتذاراً في خر وجه وتخلص منهم ، وذهب يوم ذلك ، ورجعوا وقد كانوا ملبسين في يوم حار ، وليس معهم من الأزواد ما يكتفيهم سوى يومهم ذلك ، فلما كانت ليلة الثلاثاء ركب الأمراء في طلبه من ناحية ثنية العقاب ، فرجعوا في اليوم الثاني وهو في محبتهم ، ونزل في القصور التي بناها تنكر رحمه الله ، في طريق داريا ، فأقام بها ، وأجرى عليه مرتباً كاملاً من الشير والغنم وما يحتاج إليه مثله ، ومعه مماليكه وخدمه ، فلما كان يوم الثلاثاء سادس المحرم ورد كتاب من جهة السلطان قرى على الأمراء بدار السعادة يتضمن إكرامه واحترامه والصفح عنه لتقدم خدمه على السلطان الملك الناصر وأنه الملك المنصور . ولما كان يوم الأربعاء سابع المحرم [جاء كتاب] إلى الأمير ركن الدين بيبرس نائب الغيبة ابن الحاجب ألمش بالقبض على الأحمدي ، فركب الجيش ملبسين يوم الخميس وأوكلوا بسوق الخيل وراسلوه . وقد ركب في مماليكه بالعدد وأظهر الامتناع . فتكأن جوابه أن لا أسمع ولا أطيع إلا لمن هو ملك الديار المصرية ، فأما من هو مقيم بالسكر ويصدر عنه ما يقاتل عنه من الأفاعيل التي قد سارت بها الركب ، فلا . فلما بلغ الأمراء هذا توقفوا في أمره وسكنوا ورجعوا إلى منازلهم ، ورجع هو إلى قصره .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبع مائة

استمرت هذه السنة المباركة ولساطان المسلمين الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وهو مقيم بالسكر ، قد حاز الحواصل السلطانية من قلعة الجبل إلى قلعة السكر ، ونائبه الديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلاوى ، الذى كان نائباً بغزة ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في السنة الماضية ، سوى القاضى الحنفى . وأما دمشق فليس لها نائب إلى حينئذ غير أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب كان استنابه الفخرى بدمشق نائب غيبته ، وهو الذى يسد الأمور مع الحاجب ألمش ، وتمر المهمندار ، والأمير سيف الدين الملقب بجلادة ، وإلى البر ، والأمير ناصر الدين ابن ركباس متولى البلد ، هؤلاء الذين يسدون الأشغال والأمر السلطانية ، والقضاة هم الذين ذكرناهم في السنة الخالية ، وخطيب البلد تاج الدين عبد الرحيم بن القاضى جلال الدين القزوينى ، وكاتب السمر القاضى شهاب الدين بن فضل الله .

واستهلت هذه السنة والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي نازل بقصر تنكز بطريق داريا ، وكتب السلطان واردة في كل وقت بالاحتياط عليه والقبض ، وأن يسلك ويرسل إلى الكرك ، هذا والأمراء يتوانون في أمره ويسوفون المراسيم ، وقتاً بعد وقت ، وحيناً بعد حين ، ويحلمهم على ذلك أن الأحمدي لا ذنب له ، ومتى مسكه تطارف إلى غيره ، مع أن السلطان يبلغهم عنه أحوال لانرضيهم من اللعب والاجتماع مع الأراذل والأطراف ببلد الكرك ، مع قتله الفخري وطشتمر قتلاً فظيماً ، وسلبه أهلها وسلبه لما على الحريم من الثياب والخلى ، وإخراجهم في أسوأ حال من الكرك ، وتقريبه النصاري وحضورهم عنده . فحمل الأمراء هذه الصفات على أن بعثوا أحدهم يكشف أمره ، فلم يصل إليه ، ورجع هارباً خائفاً ، فلما رجع وأخبر الأمراء انزعجوا وتشوشوا كثيراً ، واجتمعوا بسوق الخليل مراراً وضربوا مشورة بينهم ، فاتفقوا على أن يخلعوه ، فكتبوا إلى المصريين بذلك ، وأعلموا نائب حلب أيدغمش ونواب البلاد ، وبقوا متوهمين من هذا الحال كثيراً ومتردددين ، ومنهم من يصانع في الظاهر وليس معهم في الباطن ، وقالوا لا سمح له ولا طاعة حتى يرجع إلى الديار المصرية ، ويجلس على سرير المملكة ، وجاء كتابه إليهم يعيهم ويعنفهم في ذلك ، فلم يفد ، وركب الأحمدي في المراكب وركبوا عن يمينه وشماله وراحوا إليه إلى القصر ، فسلموا عليه وخدموه ، وتفاقم الأمر وعظم الخطب ، وحلوا هوما عظيمة خوفاً من أن يذهب إلى الديار المصرية فيلف عليه المصريون فيتلف الشاميين ، فحمل الناس همهم فأنه هو المسئول أن يحسن العاقبة . فلما كان يوم الاحد السادس والعشرين من المحرم ورد مقدم البريدية ومعه كتب المصريين بأنه لما بلغهم خبر الشاميين كان عندهم من أمر السلطان أضعاف ما حصل عند الشاميين ، فبادروا إلى ما كانوا عزموا عليه ، ولكن ترددوا خوفاً من الشاميين أن يخالفهم فيه ويتقدموا في محبة السلطان لقتالهم ، فلما اطمانوا من جهة الشاميين صمموا على عزيمتهم فغلبوا الناصر أحمد وملكوا عليهم أخاه الملك الصالح إسماعيل ابن الناصر محمد بن المنصور ، جعله الله مباركا على المسلمين ، وأجلسوه على السرير يوم الثلاثاء العشرين من المحرم المذكور ، وجاء كتابه مسلماً على أمراء الشام ومقدميه ، وجاءت كتب الأمراء على الأمراء بالسلام والأخبار بذلك ففرح المسلمون وأمراء الشام والخاصة والعامة بذلك فرحاً شديداً ، ودقت البشائر بالقلمسة المنصورة يومئذ ، ورسم بزوين البلد فزين الناس صبيحة الثلاثاء السابع والعشرين منه ، ولما كان يوم الجمعة سابع المحرم غلب بدمشق للملك الصالح حماد الدنيا والدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور .

وفي يوم الخميس سادس صفر درس بالصدرية صاحبنا الامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الذرعي إمام الجوزية ، وحضر عنده الشيخ عز الدين بن المنجا الذي نزل له عنها ، وجماعة من الفضلاء . وفي يوم الاثنين سادس عشر صفر دخل الأمير سيف الدين تغرمر من الديار

المصرية ، إلى دمشق ذاهبا إلى نيابة حلب الحروسة ، فنزل بالقابون .

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر صفر توفي الشيخ الامام العالم الزاهد عبد الله بن أبي الوليد المقرئ المالكي ، إمام المالكية ، هو وأخوه أبو عمرو ، بالجامع الأموي بحراب الصحابة . توفي ببستان بقية السحف ، وصلى عليه بالمصلى ودفن عند أبيه رحمه الله بمقابر باب الصغير ، وحضر جنازته الأعيان والفقهاء والقضاة ، وكان رجلا صالحا مجتمعا على ديانته وجلالته رحمه الله .

وفي يوم الخميس العشرين من صفر دخل الأمير ايدغمش نائب السلطنة بدمشق ودخل إليهم ناحية القابون قادمًا من حلب ، وتلقاه الجيش بكاله ، وعليه خلعة النياية ، واحتفل الناس له وأشعلوا الشموع ، وخرج أهل الذمة من اليهود والنصارى يدعون له ونعمهم الشموع ، وكان يوما مشهودًا ، وصلى يوم الجمعة بالمقصورة ، من الجامع الأموي ، ومعه الأمراء والقضاة ، وقرىء تقليده هناك على السدة وعليه خلعته ، ومعه الأمير سيف الدين ملكتم الرحولى ، وعليه خلعة أيضا .

وفي يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر دخل الأمير علم الدين الجاولى دمشق الحروسة ذاهبا إلى نيابة حماة الحروسة ، وتلقاه نائب السلطنة والأمراء إلى مسجد القدم ، وراح فنزل بالقابون ، وخرج القضاة والأعيان إليه ، وسمع عليه من مسند الشافعي فانه يرويه ، وله فيه علم ، ورتبه ترتيبا حسنا ورأيته ، وشرحه أيضا ، وله أوقاف على الشافعية وغيرهم .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين منه عقد مجلس بعد الصلاة بالشباك انكلى من مشهد عثمان بسبب القاضى نغر الدين المصرى ، وصدر الدين عبد الكريم ابن القاضى جلال الدين التزوينى ، بسبب العادلية الصغيرة ، فاتفق الحال على أن نزل صدر الدين عن تدريسها ، ونزل نغر الدين عن مائة وخمسين على الجامع . وفي يوم الأحد ساخ الشهر المذكور حضر القاضى نغر الدين المصرى ودرس بالمعادلية الصغيرة وحضر الناس عنده على العادة ، وأخذ فى قوله تعالى [هذه بضاعتنا ردت إلينا] وفى آخر شهر ربيع الأول جاء المرسوم من الديار المصرية بأن يخرج تجريدة من دمشق بصحبة الأمير حسام الدين السمقدار لحصار الكرك الذى تحصن فيه ابن السلطان أحمد ، واستحوذ على ما عنده من الأموال التى أخذها من الخزان من ديار مصر ، وبرز المنجنيق من القلعة إلى قبل جامع القبيبات ، فحصب هناك وخرج الناس للتفرج عليه ورعى به ومن نيتهم أن يستصحبوه معهم للحصار . وفى يوم الأربعاء الثانى ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين الطنبغا الماردانى من الديار المصرية على قائمته وعادته . وفى يوم الخميس عاشره دخل إلى دمشق الأميران الكبيران ركن الدين بيبرس الأحمدي من طرابلس ، وعلم الدين الجاولى من حماة سمحرا ، وحضرا الموكب ووقفا مكتنين لنائب السلطنة : الاحمدى من يمينه والجاولى عن يساره ، ونزلا ظاهرا البلد ، ثم بعد أيام يسيره توجه

الاحمدى إلى الديار المصرية على عادته وقاعدته رأس مشورة ، وتوجه الجاولى إلى غزة المحروسة نائباً عليها ، وكان الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير على إمرة الطلبة خانات بدمشق . وفى يوم الخميس رابع عشره خرجت التجريدة من دمشق سحراً إلى مدينة الكرك ، والأمير شهاب الدين بن صبح والى الولاية بحوران مشد المجانيق ، وخرج الأمير سيف الدين بهادر الشمس الملقب بجلاوة والى البر بدمشق إلى ولاية الولاية بحوران . وفى يوم الجمعة ثامن عشره وقع بين النائب والقاضى الشافى بسبب كتاب ورد من الديار المصرية فيه الوصاة بالقاضى السبكى المذكور ومعه التوقيع بالخطابة له مضافاً إلى القضاء وخلة من الديار المصرية ، فتغيط عليه النائب لأجل أولاد الجلال ، لأنهم عندهم عائلة كثيرة وهم قراء ، وقد نهاء عن السعى فى ذلك ، فتقدم إليه يومئذ أن لا يصلى عنده فى الشباك السكالى ، فنهض من هناك وصلى فى الغزالية .

وفى يوم الأحد العشرين منه دخل دمشق الأمير سيف الدين أريفا زوج ابنة السلطان الملك الناصر مجتازاً ذاهباً إلى طرابلس نائباً بها ، فى تجمل وأبهة ونجائب وجنائب ، وعدة وسرك كامل . وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه دخل الأمير بدر الدين ابن الخطيرى معز ولا عن نيابة غزة المحروسة فأصبح يوم الخميس فركب فى الموكب وسير مع نائب السلطنة ، ونزل فى داره وراح الناس للسلام عليه . وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر زينت البلدة لعافية السلطان الملك الصالح لمرض أصابه ، ثم شفى منه . وفى يوم الجمعة السادس عشر منه قبل العصر ورد البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تقي الدين السبكى إليها حاكماً بها ، فذهب الناس للسلام عليه ولتوديعه ، وذلك بعد ما أرجف الناس به كثيراً ، واشتهر أنه سينتقل له مجلس للدعوى عليه بما دفعه من مال الايتام إلى الطنبا وإلى الفخرى ، وكتبت فتوى عليه بذلك فى تفرجه ، وداروا بها على المفتين فلم يكتب لهم أحد فيها غير القاضى جلال الدين بن حسام الدين الحنفى ، رأيت خطه عليها وحده بعد الصلاة ، وستلت فى الافناء عليها فامتنعت ، لما فيها من التشويش على الحكم ، وفى أول مرسوم نائب السلطان أن يتأمل المفتون هذا السؤال ويفتوا بما يقتضيه حكم الشرع الشريف ، وكانوا له فى نية محبة ففرج الله عنه بطلبه إلى الديار المصرية ، فسار إليها محبة البريد ليلة الأحد ، وخرج الكبراء والأعيان لتوديعه ، وفى خدمته .

استهل جمادى الآخرة والتجريدة عمالة إلى الكرك والجيش المجردون من الحلقة قريب من ألف ويزيدون ، ولما كان يوم الثلاثاء رابعه بعد الظهر مات الأمير علاء الدين أيدغش نائب السلطنة بالشام المحروس فى دار وحده فى دار السعادة ، فدخلوا عليه وكشفوا أمره وأحصر واوخشوا أن يكون اعتراه سكتة ، ويقال إنه شفى فآله أعلم ، فانتظروا به إلى الغدا احتياطاً ، فلما أصبح الناس اجتمعوا

لصلاة عليه فصلى عليه خارج باب النصر حيث يصلى على الجنائز، وذهبوا به إلى نحو القبلة، ورام بعض أهل أن يدفن في تربة غبريال إلى جانب جامع القبيبات، فلم يمكن ذلك، فدفن قبل الجامع على حافة الطريق، ولم يتمياً دفنه إلا إلى بعد الظهر من يومئذ، وعملوا عنده ختمة ليلة الجمعة رحمه الله وسامحه.

واشتهر في أوائل هذا الشهر أن الحصار عمال على الكرك، وأن أهل الكرك خرجت طائفة منهم فقتل منهم خلق كثير، وقتل من الجيش واحد في الحصار، فقتل القاضي وجماعة ومعهم شيء من الجوهر، وتراضوا على أن يسلموا البلد، فلما أصبح أهل الحصن تحصنوا ونصبوا المجانيق واستعدوا فلما كان بعد أيام رموا منجنيق الجيش فكسروا السهم الذي له، وعجزوا عن نقله فخرقه برأى أمراء المتقدمين، وجرت أمور فظيعة، فآله يحسن العاقبة.

ثم وقعت في أواخر هذا الشهر بين الجيش وأهل الكرك وقعة أخرى، وذلك أن جماعة من رجال الكرك خرجوا إلى الجيش وروم بالنشاب ففرج الجيش لهم من الخيام ورجعوا مشاة ملبسين بالسلاح فقتلوا من أهل الكرك جماعة من النصارى وغيرهم، وجرح من العسكر خلق، وقتل واحد أو اثنين وأسر الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص، وقتل أمير العرب، وأسر آخرون فاعتقلوا بالكرك، وجرت أمور منكرة، ثم بعدها تعرض العسكر راجعين إلى بلادهم لم ينالوا مرادهم منها، وذلك أنهم رقبهم البرد الشديد وقلة الزاد، وحاصروا أولئك شديداً بلا فائدة فان البلد يريد متطاولة ومجانيق، ويشق على الجيش الإقامة هناك في كوانين، والمنجنيق الذي حملوه معهم كسر، فرجعوا لينأهبوا لذلك.

ولما كان في يوم الأربعاء الخامس والعشرين منه قدم من الديار المصرية على البريد القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتباً على السر عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين، ومعه كتاب بالاحتياط على حواصل أخيه شهاب الدين، وعلى حواصل القاضي عماد الدين ابن الشيرازي المحتسب، فاحتبط على أموالهما وأخرج من في ديارهما من الحرم، وضربت الأخشاب على الأبواب، ورسم على المحتسب بالمعذراوية، فسأل أن يحول إلى دار الحديث الأشرفية فحول إليها. وأما القاضي شهاب الدين، فكان قد خرج ليلتي الأمير سيف الدين تغرد مر الحوى، الذي جاء تقليده بلباية الشام بدمشق وكان يجلب، وجاء هذا الأمر وهو في أثناء الطريق، فرسم برجعته ليصادر هو والمحتسب، ولم يدرك الناس ما ذهبا.

وفي يوم الأحد ثامن شهر رجب آخر النهار رجع قاضي القضاء تقي الدين السبكي إلى دمشق على القضاء، ومعه تقليد بالخطابة أيضاً، وذهب الناس إليه للسلام عليه، ودخل نائب السلطنة

الأمير سيف الدين تغردمر الجوى بعد العصر الخامس عشر منه من حلب ، فتلقيه الأمراء إلى طريق القابون ، ودعاه الناس دهاء كثيراً ، وأحبوه لبغضهم النائب الذى كان قبله ، وهو علاء الدين أيدغمش سألوه الله تعالى ، فنزل بدار السعادة وحضر الموكب صبيحة يوم الاثنين ، واجتمع طائفة من العامة وسألوه أن لا يغير عليهم خطيبهم تاج الدين عبد الرحيم ابن جلال الدين ، فلم يلتفت إليهم ، بل عمل على تقليد القاضي تقي الدين السبكي الخطابة ولبس الخامة ، وأكثر العوام لماسمعوهم بذلك الفوضى ، وصاروا يجتمعون حلقة حلقة بعد الصلوات ، ويكثرون الفرح في ذلك ، لما منع ابن الجلال ، واستكن بقي هذا لم يباشر السبكي في المحراب ، واشتهر عن العوام كلام كثير ، وتوسعوا السبكي بالسفاهة عليه إن خهاب ، وضاق بذلك ذرعاً ، ونهوا عن ذلك فلم ينتهوا ، وقيل لهم ولكن كثير منهم : الراجب عليكم السمع والطاعة لأولى الأمر ، ولو أمر عليكم عبد حبشى . فلم يردوا ، فلما كان يوم الجمعة العشرين منه اشتهر بين العامة بأن القاضي نزل عن الخطابة لابن الجلال ، وفرح العوام بذلك وحشدوا في الجامع ، وجاء نائب السلطنة إلى آنه صورة والأمراء معه ، وخطب ابن الجلال على العادة ، وفرح الناس بذلك وأكثروا من التكلام والهرج ، ولما سلم عليهم الخطيب حين صعد رداً عليه رداً بليغاً ، وتسكفوا في ذلك وأظهروا بغضة القاضي السبكي ، وتجاهروا بذلك ، وأجمعوه كلاماً كثيراً ، ولما قضيت الصلاة قرىء تقليد النياحة على السدة ، وخرج الناس فرحاً بخطيبهم ، لكونه استمر عليهم ، واجتمعوا عليه يسلمون ويدعون له .

وفي يوم الأربعاء ثالث شعبان درس القاضي برهان الدين بن عبد الحق بالمدرسة المنراوية بموسم ساطقاً بتولينه وعزل القنجاى ، وعقد لهما مجلس يوم الثلاثاء بدار العدل ، فرجع جانب القاضي برهان الدين لحاجته وكونه لا وظيفة له .

وفي يوم الجمعة خامسه توفي الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد ابن الجزرى أحد المسنين المكثرين الصالحين ، مات عن خمس وتسعين سنة رحمه الله ، وصلى عليه يوم الجمعة بالجامع المظفرى ودفن بالرواحية . وفي يوم الأربعاء السابع عشر منه توفي الشيخ الامام العالم العابد الناسك الصالح الشيخ شمس الدين محمد بن الزبير خطيب الجامع الكريى بالقبيبات ، وصلى عليه بعد الظهر يومئذ بالجامع المذكور ، ودفن قبلى الجامع المذكور ، إلى جانب الطريق من الشرق رحمه الله .

واشتهر في أوائل رمضان أن مولوداً ولد له رأسان وأربع أيد ، وأحضر إلى بين يدي نائب السلطنة ، وذهب الناس للنظر إليه في محلة ظاهر باب الفرديس ، يقال لها حكي الوزير ، وكنت فيمن ذهب إليه في جماعة من الفقهاء يوم الخميس ثالث الشهر المذكور بعد العصر ، فأحضره أبوه - واسم أبيه سعادة - وهو رجل من أهل الجبل ، فنظرت إليه فاذا هما ولدان مستقلان ، فكل قد اشتبكت

أنفاذها ببعضهما ببعض ، وركب كل واحد منهما ودخل في الآخر والتحمت فصارت جثة واحدة
وهما ميتان ، فقالوا أحدهما ذكروا الآخر أني ، وهما ميتان حال رؤيتي إليهما . وقالوا إنه تأخر موت
أحدهما عن الآخر بيومين أو نحوها ، وكتب بذلك محضر جماعة من الشهود .

وفي هذا اليوم احتيط على أربعة من الأمراء وهم أبناء الكامل صلاح الدين محمد ، أمير
طبلخانات ، وغياث الدين محمد أمير عشرة ، وعلاء الدين علي ، وابن أبيك الطويل طبلخانات أيضا ،
وصلاح الدين خليل بن بلبان طرنا طبلخانات أيضا . وذلك بسبب أنهم اتهموا على مملأة الملك
أحمد بن الناصر الذي في السرك ، ومكاتبته ، والله أعلم بحالهم ، فقيدوا وحلوا إلى القلعة المنصورة
من باب اليسر مقابل باب دار السعادة الثلاث الطبلخانات والغياث من بابها الكبير وفرق بينهم
في الاماكن . وخرج المحمل يوم الخميس خامس عشره ولبس الخطيب ابن الجلال خلة استقرار
الخطابة في هذا اليوم ، وركب بها مع القضاة على عادة الخطباء .

وفي هذا الشهر نصب المنجنيق الكبير على باب الميدان الأخضر وطول أكتافه ثمانية عشر
ذراعا ، وطول سهمه سبعة وعشرون ذراعا ، وخرج الناس للفرجة عليه ، ورمى به في يوم السبت
حجرا زنته ستين رطلا ، فبلغ إلى مقابلة القصر من الميدان الكبير ، وذكر معلم المجانيق أنه ليس في
حصون الاسلام مثله ، وأنه عمله الحاج محمد الصالحى ليكون بالسرك ، فقدر الله أنه خرج ليحاصر به
السرك ، فله يحسن العاقبة . وفي أواخره أيضا مسك أربعة أمراء ، وهم أقبا عبد الواحد الذي كان
مباشرا الاستدارية للملك الناصر الكبير ، فصور في أيام ابنه المنصور ، وأخرج إلى الشام فتاب
بمهص فسار سيرة غير مرضية ، وذمه الناس وعزل عنها وأعطى تقدة ألف بدمشق ، وجعل رأس
الميمنة ، فلما كان في هذه الأيام اتهم بمملأة السلطان أحمد بن الناصر الذي بالسرك ، فسك وحل
إلى القلعة ومعه الأمير سيف الدين بلو ، والأمير سيف الدين سلامش ، وكلهم بطبلخانات فرفضوا
إلى القلعة المنصورة ، فله يحسن العاقبة .

وفي هذا الشهر خرج قضاء حصص عن نيابة دمشق بمرسوم سلطاني مجد للقاضي شهاب الدين
البارزى ، وذلك بعد مناقشة كثيرة وقعت بينه وبين قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وانتصر له
بعض الدولة ، واستخرج له المرسوم المذكور . وفيه أيضا أفرد قضاء القدس الشريف أيضا باسم
القاضي فحمس الدين بن سالم الذي كان مباشرها مسدة طويلة قبل ذلك نيابة ، ثم عزل عنها وبقي
مقيا ببلد غزة ، ثم أعيد إليها مستقلا بها في هذا الوقت . وفي هذا الشهر رجع القاضي شهاب الدين
ابن فضل الله من الديار المصرية ومعه توقيع بالمرتب الذي كان له أولا كل شهر ألف درهم ، وأقام
بماراته التي أنشأها بسنح قاسيوز شرقي الصالحية بقرب حمام النحاس .

وفي صبيحة مستهل ذى القعدة خرج المنجنيق قاصداً إلى الكرك على الجمال والمجل ، وصحبته الأمير صارم الدين إبراهيم المسبقي ، أمير حاجب ، كان في الدولة السكرية ، وهو المقدم عليه يحمله ويحفظه ويتولى تسييره بطلبه وأصحابه ، وتجهز الجيش للذهاب إلى الكرك ، وتأهبوا أتم الجهاز ، وبرزت أبقالم إلى ظاهر البلد وضربت الخيام فأنه يحسن العاقبة .

وفي يوم الاثنين رابعه توفي الطواشي شبل الدولة كافر السكرى ، ودفن صبيحة يوم الثلاثاء خامسة في تربته التي أنشأها قديما ظاهر باب الجابية تجاه تربة الطواشي ظهر الدين الخازن بالقلمة ، كان قبيل مسجد الدبان رحمه الله ، وكان قديما للصاحب تقي الدين توبة التكريتي ، ثم اشتراه تنكز بعد مدة طويلة من ابني أخيه صلاح الدين وشرف الدين ببلغ جيد وعوضهما إقطاعا بزيادة على ما كان بأيديهما ، وذلك رغبة في أمواله التي حصلها من أبواب السلطنة ، وقد تعصب عليه أستاذة تنكز رحمه الله في وقت وصوله وجرت عليه فصول ، ثم سلم بعد ذلك ، ولما مات ترك أموالا جزيلة وأوقافا رحمه الله . وخرجت التجريدة يوم الأربعاء سادسة والمقدم عليها الأمير بدر الدين بن الخطير ومعه مقدم آخر وهو الأمير علاء الدين بن قراسنقر .

وفي يوم السبت سابع هذا الشهر توفي الشاب الحسن شهاب الدين أحمد بن فرج المؤذن بأذنة العروس ، وكان شهيراً بحسن الصوت إذا حظوة عظيمة عند أهل البلد ، وكان رحمه الله كما في النفس وزيادة في حسن الصوت الرخيم المطرب ، وليس في القراء ولا في المؤذنين قريب منه ولا من يدانيه في وقته ، وكان في آخر وقته على طريقة حسنة ، وعمل صالح ، وانقطع عن الناس ، وإقبال على شأن نفسه فرحه الله ، وأكرم منواه ، وصلى عليه بعد الظاهر يومئذ ودفن عند أخيه بمقبرة الصوفية . وفي يوم الخميس خامس ذى الحجة توفي الشيخ بدر الدين بن نصبحان شيخ القراء السميع في البلد الشهير بذلك ، وصلى عليه بالجامع بعد الظاهر يومئذ ، ودفن بباب الفاراديس رحمه الله .

وفي يوم الأحد تاسعه وهو يوم عرفة حضر الأقراء بتربة أم الصالح عوضا عن الشيخ بدر الدين ابن نصبحان القاضي شهاب الدين أحمد بن النقيب البعلبكي ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء ، وبعض القضاة ، وكان حضوره بغنة ، وكان ممرضاً ، فألقى شيثان القراءات والأعراب عند قوله تعالى [ولا يحسبن الذين كفروا أنما نغلي لهم خيراً لأنفسهم] وفي أواخر هذا الشهر غلا السعر جدا ، وقل الخبز وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة ، وبيع خبز الشعير المخلوط بالزيوان والنقارة ، وبلغت الغرارة بمائة وستة وثمانين درهماً ، وتقلص السعر جداً حتى يبيع الخبز كل رطل بدرهم ، وفوق ذلك بيسير ، ودونه بحسب طيبه ورداءته ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وكثر السؤال وجاع العيال ، وضئف كثير من الأسباب والأحوال ، ولكن لطف الله عظيم فإن الناس مترقبون مغلا

هائلا لم يسمع بمثله من مدة سنين عديدة ، وقد اقترب أوانه ، وشرع كثير من البلاد في حصاد الشعير و بعض القمح مع كثرة الفول وبوادى التوت ، فلو لا ذلك لكان غير ذلك ، ولكن لطف الله بعباده ، وهو الحاكم المتصرف الفعال لما يريد لا إله إلا هو .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وساطان المسلمين الملك الناصر عماد الدنيا والدين إسماعيل ابن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين آقسنقر السلارى ، وقضاته هم هم المتقدم ذكرهم فى العام الماضى ، ونائبه بدمشق الأمير سيف الدين تغردمر الحوى ، وقضاته هم المتقدم ذكرهم ، وكذلك صاحب الخطيب وناظر الجامع والخزانة . ومشد الأوقاف وولاية المدينة .

استهلت والجيش المصرية والشامية محيطة بحصن السرك محاصرون وبيبانون فى أمره ، والمنجنيق منصوب وأنواع آلات الحصار كثيرة ، وقد رسم بتجريدة من مصر والشام أيضاً نخرج إليها . وفى يوم الخميس عاشر صفر دخلت التجريدة من السرك إلى دمشق واستمرت التجريدة الجديدة على السرك أثنان من مصر وألفان من الشام ، والمنجنيق منقوض موضوع عند الجيش خارج السرك ، والأمور متوقفة على ورد^(١) الحصار بعد رجوع الأحمدي إلى مصر .

وفى يوم السبت ثانى ربيع الأول توفى السيد الشريف عماد الدين الخشاب بالكوشك فى درب السيرجى جوار المدرسة العزية ، وصلى عليه ضحى بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان رجلاً شهراً كثير العبادة والمحبة للسنه وأهلها ، من واطب الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله وانتفع به ، وكان من جملة أنصاره وأعوانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو الذى بعثه إلى صيدنا ياع بعض القسيسين فلوث يده بالعندرة وضرب اللاحمة التى يعظمونها هناك ، وأهانها غاية الاهانة لقوة إيمانه وشجاعته رحمه الله وإيانا .

وفى يوم الخميس سابعه اجتمع صاحب ومشد الدواوين ووكيل بيت المال ، ومشد الأوقاف ومباشرو الجامع ومعهم العمالين بالقول والمعاول ، يحفرون إلى جانب السارية عند باب مشهد على تحت تلك الصخرة التى كانت هناك ، وذلك عن قول رجل جاهل ، زعم أن هناك مالا مدفوناً فشاؤروا نائب السلطنة فأمرهم بالحفر ، واجتمع الناس والعمامة فأمرهم فأخرجوا وأغلقت أبواب الجامع كلها لئلا يتمكنوا من الحفر ، ثم حفروا ثانياً وثالثاً فلم يجدوا شيئاً إلا التراب المحض ، واشتهر هذا الحفر فى البلد وقصده الناس للنظر إليه والتعجب من أمره ، وانفصل الحال على أن حبس هذا الزاعم لهذا الحال ، وطم الحفر كما كان .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الأول قدم قاضي حلب ناصر الدين بن الخشاب على البريد مجتازاً إلى دمشق فنزل بالعادية الكبيرة ، وأخبر أنه صلى على المحدث البارع الفاضل الحافظ فتمس الدين محمد بن علي بن أبيك السروجي المصري يوم الجمعة ثامن هذا الشهر بحلب رحمه الله ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة ، وكان قد أتمن طرطاً جيداً في علم الحديث ، وحفظ أسماء الرجال ، وجمع وخرج .

وفي مستهل ربيع الآخر وقع حريق عظيم بسفح قاسيون احترق به سوق الصالحية الذي بالقرب من جامع المظفرى ، وكانت جملة الدكاكين التي احترقت قريباً من مائة وعشرين دكاناً ، ولم يرحق من زمان أكبر منه ولا أعظم ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي يوم الجمعة سادسه رسم بأن يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مواذن البلد كما يذكر في مواذن الجامع ، ففعل ذلك . وفي يوم الثلاثاء عاشره طلب من القاضي تقي الدين السبكي قاضي قضاء الشافعية أن يقرض ديوان السلطان شيئاً من أموال الثياب التي تحت يده ، فامتنع من ذلك امتناعاً كثيراً ، فجاء شاد الدواوين وبعض حاشية نائب السلطنة فتمحوا مخزن الأيتام وأخذوا منه خمسين ألف درهم قهراً ، ودفعوها إلى بعض العرب عما كان تأخر له في الديوان السلطاني ، ووقع أمر كثير لم يعهد مثله .

وفي يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العلامة الناقد البارع في فنون العلوم فتمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بمحبوحة جنته ، مرض قريباً من ثلاثة أشهر بقرحة وحى سل ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال ، وتزايد ضعفه إلى أن توفي يومئذ قبل أذان العصر ، فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين . فصل على يوم الخميس بالجامع المظفرى وحضر جنازته قضاء البلد وأعيان الناس من العلماء والأمرأه والتجار والعامه ، وكانت جنازته حافلة مليحة ، عليها ضوء ونور ، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد رحمهما الله تعالى ، وكان مولده في رجب سنة خمس وسبعمائة فلم يبلغ الأربعين ، وحصل من العلوم مالا ييلغه الشيوخ الكبار ، وتفان في الحديث والنحو والتصرف والفقه والتفسير والأصول والتاريخ والقراءات وله مجاميع وتعليق مفيدة كثيرة ، وكان حافظاً جيداً لأسماء الرجال ، وطرق الحديث ، عارفاً بالجرح والتعديل ، بصيراً بعلم الحديث ، حسن الفهم له ، جيد المذاكره صحيح الذهن مستقيماً على طريقة السلف ، واتباع الكتاب والسنة ، مثابراً على فعل الطيرات .

وفي يوم الثلاثاء سابعه درس بمحراب الحنابلة صاحبنا الشيخ الامام العلامة شرف الدين بن

القاضي شرف الدين الحنبلي في حلقة الثلاثاء عوضاً عن القاضي تقي الدين بن الحافظ رحمه الله ، وحضر عنده القضاء والفضلاء ، وكان درساً حسناً أخذ في قوله تعالى . [إن الله يأمر بالعدل والإحسان] وخرج إلى مسألة تفضيل بعض الأولاد . وفي يوم الخميس ثاني شهر جمادى الأولى خرجت النجربة إلى الكرك مقدمان من الأمراء ، وهما الأمير شهاب الدين بن صبيح ، والأمير سيف الدين قلاوون ، في أبهة عظيمة وتجميل وجيوش وبقارات ، وإزعاج كثيرة .

وفي صبيحة يوم الاثنين الحادي والعشرين منه قتل بسوق الخيل حسن بن الشيخ السكاكيني على ما ظهر منه من الرافض الدال على الكفر المحض ، شهد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثيرة تدل على كفره ، وأنه رافض جلد ، فمن ذلك تكفير الشيخين رضى الله عنهما ، وقد فقه أمي المؤمنين عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، وزعم أن جبريل غلط فأوحى إلى محمد ، وإنما كان رسلاً إلى علي ، وغير ذلك من الأقوال الباطلة القبيحة قبحه الله ، وقد فعل . وكان والده الشيخ محمد السكاكيني يعرف مذهب الرافضة والشيعة جيداً ، وكانت له أسئلة على مذهب أهل الخير ، ونظم في ذلك قصيدة أجابه فيها شيخنا الإمام العلامة شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله ، وذكر غير واحد . من أصحاب الشيخ أن السكاكيني مامات حتى رجع عن مذهبه ، وصار إلى قول أهل السنة فإله أعلم . وأخبرت أن ولده حسناً هذا القبيح كان قد أراد قتل أبيه لما أظهر السنة .

وفي ليلة الاثنين خامس شهر رجب وصل بدن الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام كان إلى تر بته التي إلى جانب جامعة الذي أنشأه ظاهر باب النصر بدمشق ، نقل من الاسكندرية بعد ثلاث سنين ونصف أو أكثر ، بشفاعه ابنته زوجة الناصر عند ولده السلطان الملك الصالح ، فأذن في ذلك وأرادوا أن يدفن بمدرسته بالقدس الشريف ، فلم يمكن ، فحجى به إلى تر بته بدمشق وعملت له الختم وحضر القضاء والأعيان رحمه الله .

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شعبان المبارك توفي صاحبنا الأمير صلاح الدين يوسف التكريفي ابن أخي صاحب تقي الدين بن توبة الوزير ، بمنزله بالقصاعين ، وكان شاباً من أبناء الأربعين ، ذا ذكاء وفطنة وكلام وبصيرة جيدة ، وكان كثير الحجة إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية رحمه الله ، ولأصحابه خصوصاً ، ولكل من يراه من أهل العلم عموماً ، وكان فيه إيثار وإحسان ومحبة الفقراء والصالحين ، ودفن بتر بته بمسجد قاسيون رحمه الله ، وفي يوم السبت الخامس عشر منه جاءت زلزلة بدمشق لم يشعر بها كثير من الناس خلقتها والله الحمد والمنة ، ثم تواترت الأخبار بأنها شعنت في بلاد حلب شيئاً كثيراً من العمران حتى سقط بعض الأبراج بقلمة حلب ، وكثير من دورها ومساجدها ومشاهدها وجدرانها ، وأما في القلاع حولها فكثير جداً ، وذكروا أن مدينة منبج

لم يبق منها إلا القليل ، وأن عامة الساكنين بها هلكوا تحت الردم رحمهم الله :
وفي أواخر شهر شوال خرجت التجاريد إلى الكرك وهما أميران مقدمان الأمير علاء الدين
قراسنقر ، والأمير الحاج بيدمر ، واشتهر في هذه الأيام أن أمر الكرك قد ضعف وتفاقم عليهم الأمر
وضاقت الارزاق عندهم جداً ، ونزل منها جماعات من رؤسائها وخاصيكية الأمير أحمد بن الناصر
نخامرين عليه ، فسبروا من الصبح إلى قلاوون ومحبتهم مقدمون من الحلقة إلى الديار المصرية ،
وأخبروا أن الخواصل عند أحمد قد قلت جداً فأنه المستول أن يحسن العاقبة .

وفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة توفي القاضي الامام العلامة برهان الدين
ابن عبيد الحق شيخ الحنفية وقاضي القضاة بالديار المصرية مدة طويلة ، بعد ابن الحريري ، ثم عزل
وأقام بدمشق ودرس في أيام تغرمر بالندراوية لولده القاضي أمين الدين ، فذكر بها الدرس يوم
الاثنين قبل وفاة والده بثلاثة أيام ، وكان موت برهان الدين رحمه الله ببستانه من أراضي الارزة
بطريق الصالحية ، ودفن من الغد بسفح قاسيون بقبرة الشيخ أبي عمر رحمه الله ، وصلى عليه بالجامع
المظفرى ، وحضر جنازته القضاة والأعيان والأكابر رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمائة

استهل هذه السنة وسلطان الديار المصرية والديار الشامية وما يتعلق بذلك الملك الصالح بن
إسماعيل بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وقضاته بالديار المصرية والشامية
هم المذكورون في السنة المتقدمة ، ونائبه بمصر الحاج سيف الدين ووزيره المتقدم ذكره ، وناظر
الخاص القاضي مكين الدين ، وناظر الجيوش القاضي علم الدين ابن القطب ، والمحاسب المتقدم ،
وشاد الدواوين علم الدين الناصري ، وشاد الأوقاف الأمير حسام الدين النجيبى ، ووكيل بيت
المال القاضي علاء الدين شرنوخ ، وناظر الخزانة القاضي تقي الدين بن أبي الطيب ، وبقية المباشرين
والنظار المتقدم ذكرهم ، وكاتب البست القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتب السر ، والقاضي أمين
الدين ابن القلانسي والقاضي شهاب الدين بن القيسرائى ، والقاضي شرف الدين بن شمس الدين بن
الشهاب محمود ، والقاضي علاء الدين شرنوخ .

شهر الحرم أوله السبت استهل الحصار واقع بقلمة الكرك ، وأما البلد فأخذوا استنبيب فيه الأمير
سيف الدين قبله ، قدم إليها من الديار المصرية ، والتجاريد من الديار المصرية ومن دمشق محيطون
بالقلمة ، والناصر أحمد بن الناصر ممنوع من التسليم ، ومن الاجابة إلى الانابة . ومن الدخول في طاعة
أخيه ، وقد تفاقت الأمور وطالت الحروب ، وقتل خلق كثير بسبب ذلك ، من الجيوش ومن
أهل الكرك ، وقد توجهت القضية إلى خير إن شاء الله . وقبل ذلك بأيام يسيرة هرب من قلمة

الكرك الأمير سيف الدين أبو بكر بن بهادر آص الذي كان أمراً في أوائل حصار الكرك ، وجماعة من عماليك الناصر أحمد ، كان أنهم بهم بقتل الشهاب أحمد ، الذي كان يعتنى به ويحبه ، واستبشر الجيوش بنزول أبي بكر من عنده وسلامته من يده ، وجهر إلى الديار المصرية معظماً ، وهذا المجانيق الثلاثة سلطة على القلعة من البلد تضرب عليها ليلاً ونهاراً ، وتدمر في بنائها من داخل ، فإن سورها لا يؤثر فيه شيء بالسكية ، ثم ذكر أن الحصار فتر ولكن مع الاحتياط على أن لا يدخل إلى القلعة ميرة ولا شيء مما يستعينون به على المقام فيها ، فأنه المسؤول أن يحسن العاقبة . وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من صفر قدم البريد مسرعاً من الكرك فأخبر بفتح القلعة ، وأن بابها أحرق ، وأن جماعة الأمير أحمد بن الناصر استغاثوا بالأمان ، وخرج أحمد مقيداً وسير على البريد إلى الديار المصرية ، وذلك يوم الاثنين بعد الظهر الثالث والعشرين من هذا الشهر ، والله عاقبة الأمور وفي صبيحة يوم الجمعة رابع ربيع الأول دقت البشائر بالقلعة ، وزينت البلد عن مرسوم السلطان الملك الصالح سروراً بفتح البلد ، واجتمع الكلمة عليه ، واستمرت الزينة إلى يوم الاثنين سابعه ، فرسم برفعهما بعد الظهر فتشوش كثير من العوام ، وأرجف بعض الناس بأن أحمد قد ظهر أمره وبايعه الأمراء الذين هم عنده ، وليس لذلك حقيقة ، ودخلت الأطلاب من الكرك صبيحة يوم الأحد ثالث عشر ربيع الأول بالطباخانات والجيوش ، واشتهر بإعدام أحمد بن الناصر .

وفي يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول صلى بالجامع الأموى على الشيخ أمين الدين أبي حيان النحوى ، شيخ البلاد المصرية من مدة طويلة ، وكانت وفاته بمصر عن تسعين سنة وخمسة أشهر . ثم اشتهر في ربيع الآخر قتل السلطان أحمد وحز رأسه وقطع يديه ، ودفن جثته بالكرك ، وحمل رأسه إلى أخيه الملك الصالح إسماعيل ، وحضر بين يديه في الرابع والعشرين من هذا الشهر ، ففرح الناس بذلك ، ودخل الشيخ أحمد الزرى على السلطان الملك الصالح فطلب منه أشياء كثيرة من تبطيل المظالم ومكوسات وإطلاق طبائخانات للأمير ناصر الدين بن بكتاش ، وإطلاق أمراء محبوسين بقامة دمشق وغير ذلك ، فأجابته إلى جميع ذلك ، وكان جملة المراسيم التي أجيب فيها بضع وثلاثين مرسوماً ، فلما كان آخر شهر ربيع الآخر قدست المراسيم التي سأهاها الشيخ أحمد من الملك الصالح ، فأمضيت كلها ، أو كثير منها ، وأفرج عن صلاح الدين بن الملك الكامل ، والأمير سيف الدين بلو ، في يوم الخميس سابع هذا الشهر ، ثم روجع في كثير منها وتوقف حالها .

وفي هذا الشهر عملت منارة خارج باب الفرج وفتحت مدرسة كانت داراً قديمة فجعلت مدرسة لاحتفية ومسجداً ، وعملت طهارة عامة ، ومصلى للناس ، وكل ذلك منسوب إلى الأمير سيف الدين تقطم الخليلي أمير حاجب كان ، وهو الذى جدد الدار المعروفة به اليوم بالقصعين .

وفي ليلة الاثنين عاشر جمادى الآخرة توفى صاحبنا المحدث تقي الدين محمد بن عبد الدين سليمان الجعبري زوج بنت الشيخ جمال الدين المزي ، والد شرف الدين عبد الله ، وجمال الدين إبراهيم وغيرهم ، وكان فقيها بالمدارس ، وشاهداً تحت الساعات وغيرها ، وعنده فضيلة جيدة في قراءة الحديث وشيء من العربية ، وله نظم مستحسن ، اطلع يومين وبعض الثالث وتوفى في الليلة المذكورة في وسط الليل ، وكنت عنده وقت العشاء الآخرة ليلتشد ، وحدثني وضاحكني ، وكان خفيف الروح رحمه الله ، ثم توفى في بقية ليلته رحمه الله ، وكان أشهدني عليه بالتوبة من جميع ما يخطئ الله عز وجل ، وأنه عازم على ترك الشهود أيضاً رحمه الله ، صلى عليه ظهر يوم الاثنين ، ودفن بمقابر باب الصغير عند أبيه رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني عشرين شهر رجب خطب القاضي عماد الدين بن المز الحنفي بجامع تنكز خارج باب النصر عن نزول الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري له عن ذلك ، وأيضاً نائب السلطنة الأمير سيف الدين تغردمر وحضوره عنده في الجامع المذكور يومئذ .

وفي يوم الجمعة تاسع عشرين رجب توفى القاضي الامام العالم جلال الدين أبو العباس أحمد ابن قاضي القضاة حسام الدين الرومي الحنفي ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بمسجد دمشق ، وحضره القضاة والأتعيان ودفن بالمدرسة التي أنشأها إلى جانب الزردكاش قريباً من الخاتونية الجوانية ، وكان قد ولي قضاء قضاء الحنفية في أيام ولاية أبيه الديار المصرية ، وكان مولده سنة إحدى وخمسين وستائة ، وقدم الشام مع أبيه فأقاموا بها ، ثم لما ولي الملك المنصور لاجين ولي أباه قضاء الديار المصرية ، وولده هذا قضاء الشام ، ثم إنه عزل بعد ذلك واستمر على ثلاث مدارس من خيار مدارس الحنفية ثم حصل له صمم في آخر عمره ، وكان ممتعا بمجواسه سواء وقواه ، وكان يذاكر في العلم وغير ذلك . وفي يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان توفى الشيخ نجم الدين علي بن داود القفجاري خطيب جامع تنكز ، ومدرس الظاهرية ، وقد نزل عنها قبل وفاته بقليل للقاضي عماد الدين بن المز الحنفي ، وصلى عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الظهر يومئذ ، وعند باب النصر وعند جامع جراح ودفن بمقبرة ابن الشيرجي عند والده ، وحضره القضاة والأتعيان ، وكان أستاذاً في النحو وله علوم آخر ، لكن كان نهاية في النحو والتصريف .

وفي هذا اليوم توفى الشيخ الصالح العابد الناسك الشيخ عبد الله الضرير الزرعي ، وصلى عليه بعد الظهر بالجامع الأموي وباب النصر وعند مقابر الصوفية ، ودفن بها قريباً من الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله ، وكان كثير التسلاوة حسنهما ومحبهما ، كثير العبادة ، يقرأ الناس من دهر طويل ويقوم بهم العشر الأخير من رمضان ، في محراب الخنابلة بالجامع الأموي رحمه الله .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان المعظم توفي الشيخ الامام العالم العامل العابد الزاهد الورع أبو عمر بن أبي الوليد المالكي إمام محراب الصحابة الذي للمالكية ، وصلى عليه بعد الصلاة ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير ، وتأسف الناس عليه وعلى صلاحه وفتاويه النافعة الكثيرة ، ودفن إلى جانب قبر أبيه وأخيه ، إلى جانب قبر أبي الغندلاوي المالكي قريبا من مسجد التاريخ رحمه الله ، وأولى مكانه في المحراب ولده ، وهو طفل صغير ، فاستنصب له إلى حين صلاحيته ، جبره الله ورحم أباه .

وفي صبيحة ليلة الثلاثاء سادس رمضان وقع ثلج عظيم لم يمثله بدمشق من مدة طويلة ، وكان الناس محتاجين إلى مطر ، فله الحمد والمنة ، وتكاثف الثلج على الأسطحة ، وتراكم حتى أعيا الناس أمره ونفله عن الأسطحة إلى الأزقة يحمل ، ثم نودي بالأمر بإزالته من الطرقات فانه سدها وتعطلت معاش كثير من الناس ، فموض الله الضعفاء بعملهم في الثلج ، ولحق الناس كافة كبيرة وغرامة كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة الثالث والعشرين من رمضان صلى بالجامع الأموي على فائز وهو الأمير علاء الدين الجاوي ، وقد تقدم شيء من ترجمته رحمه الله .

وفي أول شوال يوم عيد الفطر وقع فيه ثلج عظيم بحيث لم يمكن الخطيب من الوصول إلى المصلى ، ولا خرج نائب السلطنة ، بل اجتمع الأمراء والقضاة بدار السعادة ، وحضر الخطيب فصلى بهم العيد بها ، وكثير من الناس صالوا العيد في البيوت .

وفي يوم الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة درس قاضي القضاة آق الدين السبكي الشافعي بالشامية البرانية عن الشيخ شمس الدين ابن النقيب رحمه الله ، وحضر عنده القضاة والأعيان والأمراء وخلق من الفضلاء ، وأخذ في قوله تعالى [قال رب اغفر لي وهد لي ملكا لا ينبي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب] وما بعدها . وفي ذي الحجة استنفذ في قتل كلاب البلاد فكتب جماعة من أهل البلد في ذلك ، فرسم باخراجهم يوم الجمعة من البلد الخامس والعشرين منه ، لكن إلى الخندق ظاهر باب الصغير ، وكان الأولى قتلهم بالكلية وإحراقهم لئلا تنتن الناس بريهم على ما أفتى به الامام مالك بن أنس من جواز قتل الكلاب ببلدة معينة للصالح ، إذا رأى الامام ذلك ، ولا يمارض ذلك النهى عن قتل الكلاب ، ولهذا كان عثمان بن عفان يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحما . ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبع مائة

استهل هذه السنة وسلطان المسلمين بالديار المصرية والشامية والحرمين والبلاد الحلبية وأعمال ذلك الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر بن المنصور ، وقضاته بالديار المصرية والشامية هم

المذكورون أيضا . وفي يوم الجمعة سادس عشر محرم كانت عمارة الجامع الذي بالمزة الفوقانية الذي جدهه وأنشأه الأمير بهاء الدين المرحاني ، الذي بنى والده مسجد الخيف ببنى وهو جامع حسن متسع فيه روح وانسراح ، تقبل الله من بانيه ، وعقدت فيه الجمعة بجمع كثير وجم غفير من أهل المزة ، ومن حضر من أهل البلد ، وكنت أنا الخطيب - يعني الشيخ حماد الدين المصنف تغمده الله برحمته - وهما الحمد والمنة . وقع كلام وبحث في اشتراط المحلل في المسابقة ، وكان سببه أن الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صنف فيه مصنفًا من قبل ذلك ، ونصر فيه ما ذهب إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك ، ثم صار يفتي به جماعة من الترك ولا يزوه إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فاعتقد من اعتقد أنه قوله وهو مخالف للأربعة ، فحصل عليه إنكار في ذلك ، وطلبه القاضي الشافعي ، وحصل كلام في ذلك ، وانفصل الحال على أن أظهر الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية الموافقة للجمهور .

وفاة الملك الصالح إسماعيل

في يوم الاربعاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة أظهر موت السلطان الملك الصالح حماد الدين إسماعيل ابن الناصر بن المنصور آخر النهار ، وكان قد عهد بالأمر إلى أخيه لأبويه الملك الكامل سيف الدين أبي الفتوح شعبان ، فجلس على سرير المملكة يوم الخميس رابعة ، وكان يوما مشهودًا ، ثم قدم الخبر إلى دمشق عشية الخميس ليلة الجمعة الثاني عشر منه ، وكان البريد قد انقطع عن الشام نحو عشرين يوما للشغل بمرض السلطان ، فقدم الأمير سيف الدين معزا للبيعة لذلك الكامل ، فركب عليه الجيش لتلقيه ، فلما كان صبيحة الجمعة أخذت البيعة من النائب والمقدمين وبقية الأمراء والجند للسلطان الملك الكامل بدار السعادة ، ودقت البشائر وزين البلد وخطب الخطباء يومئذ لذلك الكامل ، جعله الله وجها مباركا على المسلمين .

وفي صبيحة يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الآخر درس القاضي جمال الدين حسين ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي بالدرسة الشامية البرانية ، نزل له أبوه عنها ، واستخرج له مرسوما سلطانيا بذلك ، فحضر عنده القضاة والأعيان وجماعة من الأمراء والفقهاء ، وجلس بين أبيه والقاضي الحنفى ، وأخذ في الدرس في قوله تعالى . [ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين] الآيات . وتكلم الشريف محمد الدين المتكلم في الدرس بكلام فيه نكارة وبشاعة ، فشنع عليه الحاضرون ، فاستتيب بعدا قضاء الدرس وحكم بإسلامه ، وقد طالب إلى الديار المصرية نائب دمشق الأمير سيف الدين تغردمر وهو متمرص ، انقطع عن الجمعة بسبب المرض مرات ، والبريد يذهب إلى حلب لحبي نائبها الأمير سيف الدين يلبغا لنياحة دمشق ، وذكر أن الحاج أرقطيه تعيين لنياحة حلب . وفي يوم الجمعة رابع جمادى الأولى

خرجت أُنُقَال الأمير سيف الدين تغرد من النائب وخيوله وهجنه ومواليه وحواصله وطلبخاناته وأولاده في نجمل عظيم، وأبنة هائلة جداً، وخرجت الحافل والكحارات والحففات لفسائنه وبناته وأهله في هيئة محيية، هذا كله وهو بدار السعادة، فلما كان من وقت السحر في يوم السبت خامسه خرج الأمير سيف الدين تغرد من نفسه إلى السكوة في محفة لمرضه مصحوباً بالسلامة، فلما طلعت الشمس من يومئذ قدم من حلب أستاذ دار الأمير سيف الدين يلبغا البحنأوى فقسلم دار السعادة، وفرح الناس بهم، وذهب الناس لتهنئة والتودد إليهم.

ولما كان يوم السبت الثاني عشر من جمادى الأولى خرج الجيش بكامله لتلقى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا فدخل في نجمل عظيم، ثم جاء فنزل عند باب السر، وقبل العتبة على العادة ثم مشى إلى دار السعادة.

وفي عشية يوم الاثنين رابع عشره قطع نائب السلطنة بمن وجب قطعه في الحبس ثلاثة عشر رجلاً وأضاف إلى قطاع اليد قطع الرجل من كل منهم، لما بلغه أنه تكرر من جنائياتهم، وصلب ثلاثة بالمساير من وجب قتله، وفرح الناس بذلك لقومه المفسدين وأهل الشرور، والعيث والفساد.

وأشهر في العشر الأوسط من جمادى الآخرة وفاة الأمير سيف الدين تغرد من بعد وصوله إلى الديار المصرية بأيام، وكان ذلك ليلة الخميس مستهل هذا الشهر، وذكر أنه رسم على ولده وأستاذ داره، وطلب منهم مال جزيل، فآله أعلم.

وفي يوم الاثنين ثاني عشره توفي القاضي علاء الدين بن العز الحنفي نائب الحكم ببستانه بالصالحية ودفن بها، وذلك بعد عود المدرسة الظاهرية إليه، وأخذته إياها من عهد القاضي عماد الدين إسماعيل، كما قدمنا، ولم يدرس فيها إلا يوماً واحداً، وهو ممرض، ثم عاد إلى الصالحية قتماً به مرضه إلى أن مات رحمه الله.

وخرج الراكب إلى الحجاز الشريف يوم السبت حادى عشر شوال، وخرج ناس كثير من البلد، ووقع بهار عظيم جداً، وفرح الناس به من جهة أن المطر كان قليلاً جداً في شهر رمضان، وهو كانون الأصم، فلما وقع هذا استبشروا به وخافوا على الحجاج ضرره، ثم تداول المطر وتتابع والله الحمد والمنة، لكن ترحل الحجاج في أحوال كثيرة وزلق كثير، والله المسلم والمعين والحامى. ولما استقل الحجاج ذاهبين وقع عليهم مطر شديد بين الصبين فوقعهم أياماً بها، ثم تصاملوا إلى زرع فلم يصلوها إلا بعد جهد جهيد وأمر شديد، ورجع كثير منهم وأكثرهم، وذكروا أشياء عظيمة حصلت لهم من الشدة وقوة الأقطار وكثرة الأحوال، ومنهم من كان تقدم إلى أرض بصرى، فحصل لهم رفق بذلك والله المستعان. وقيل إن نساء كثيرة من الخدعات مشين حفاة فيما بين زرع والصبين

وبعد ذلك ، وكان أمير الحاج سيف الدين ملك آص وقاضيه شهاب الدين بن الشجرة الحاكم بمدينة بعلبك يومئذ والله المستعان ، انتهى .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين وسبع مائة

استلمت هذه السنة وسلطان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، وليس له بمصر نائب ، وقضاة مصرهم المذكورون في التي قبلها ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين يلبغا البحناوى ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، إلا أن قاضى القضاة عماد الدين بن إسماعيل الحنفى نزل عن القضاء لولده قاضى القضاة نجم الدين ، واستقل بالولاية وتدرى النورية ، وبقي والده على تدرى الريحانية . وفي يوم الجمعة السادس عشر من المحرم من هذه السنة توفى الشيخ آقى الدين الشيخ الصالح محمد ابن الشيخ محمد بن قوام بزوايتهم بالسفح ، وصلى عليه الجمعة بمجامع الأفرم ، ثم دفن بالزاوية وحضره القضاة والأعيان وخلق كثير ، وكان بينه وبين أخيه سنة أشهر وعشرون يوماً ، وهذا أشد من ذلك . وفتحت في أول السنة القيسارية التي أنشأها الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة ظاهر باب الفرج وضمت ضمناً بأهراً بنحو من سبعة آلاف كل شهر ، ودخلها قيسارية تجارة في وسطها بركة ومسجد ، وظهرها دكاكين وأعالها بيوت للسكن .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول عقد مجلس بمشهد عثمان للثور الخراساني ، وكان يقرأ القرآن في جامع تنكز ، ويعلم الناس أشياء من فرائض الوضوء والصلاة ، ادعى عليه فيه أنه تكلم في بعض الآثمة الأربعمة ، وأنه تكلم في شيء من العقائد ويطلق عبارة زائدة على ما ورد به الحديث ، وشهد عليه ببعض أشياء متعددة ، فاقضى الحال أن عزز في هذا اليوم ، وطيف به في البلد ، ثم رد إلى السجن معتقلاً . فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شفع فيه الأمير أحمد بن مهنا ملك العرب عند نائب السلطنة فاستحضره بين يديه وأطلقه إلى أهله وعياله ، ولما كان تاريخ يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى صلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين يلبغا البحناوى الناصري بمجامع تنكز ظاهر دمشق برا باب النصر ، وصلى عنده القاضي الشافعي والمالكي وكبار الأمراء ، ولما أقيمت الصلاة صلى وقعد بعض مماليكه عن الصلاة ومعه السلاح حراسة له ، ثم لما انصرف من الصلاة اجتمع بالأمراء المذكورين وتشاوروا طويلاً ، ثم نهض النائب إلى دار السعادة فلما كان آخر النهار برز بمخدمه ومماليكه وحشمه ووطاقه وسلاحه وحوامله ، ونزل قبلى مسجد القدم وخرج الجند والأمراء في آخر النهار وانزعج الناس ، وانفق طلوع القمر خاسفاً ، ثم خرج الجيش ملبساً تحت الثياب وعليه الترا كيس باللشباب والخيل والجنابات ، ولا يدري الناس ما الخبر ، وكان

سبب ذلك أن نائب السلطنة بلغه أن نائب صندقد ركب إليه ليقبض عليه ، فانزعج لذلك وقال : لا أموت إلا على ظهر أفراسي ، لا على فراشي ، وخرج الجند والأمراء خوفاً من أن يفوتهم بالفرار ، ففرزوا يمنة ويسرة ، فلم يذهب من تلك المنزلة بل استمر بها يعمل النياابة ويجتمع بالأمراء جماعة وفرادى ، ويستميلهم إلى ما هو فيه من الرأي ، وهو خلع الملك الكامل شعبان لأنه يكتر من مسك الأمراء بغير سبب ، ويفعل أفعالا لا تليق بمنزله ، وذكروا أموراً كثيرة ، وأن يولوا أخاه أمير حاجي بن الناصر لحسن شكلته وجبيل فعله ، ولم يزل يفتنهم في الذروة والغارب حتى أجابوه إلى ذلك ، ووافقوه عليه ، وسلموا له ما يدهيه ، وتابعوا على ما أشار إليه وبايعوه ، ثم شرع في البعث إلى نواب البلاد يستميلهم إلى ما مالا عليه الدهشقيون وكثير من المصريين ، وشرع أيضاً في التصرف في الأمور العامة السكائية ، وأخرج بعض من كان الملك الكامل اعتقله بالقلعة المنصورة ، ورد إليه إقطاعه بعد ما بعث الملك الكامل إلى من أقلعه ، فمشوره ، وعزل وولى وأخذ وأعطى ، وطلب التجار يوم الأثر بعاء ثامن عشرة لبيع عليهم خلال الحواصل السلطانية فيدفعوا أثمانها في الحال ، ثم يذهبوا فيتسلطوها من البلاد البرانية ، وحضر عنده القضاة على العادة والأمراء والسادة ، وهذا كله وهو يخيم بالسكان المذكور ، لا يحصره بلد ولا يحويه سور .

وفي يوم الخميس رابع جمادى الآخرة خرجت تجريدة نحو عشرة طلعية لتلقى من يقدم من الديار المصرية من الأمراء وغيرهم ، ببقاء الأمر على ما كان عليه ، فلم يصدقهم النائب ، وربما عاقب بعضهم ، ثم رفعهم إلى القلعة ، وأهل دمشق ما بين مصدق باختلاف المصريين وما بين قائل السلطان الكامل قائم الصورة مستمر على ما كان عليه ، والتجاريد المصرية واصله قريبا ، ولا بد من وقوع خبطة عظيمة . وتشوشت أذهان الناس وأحوالهم بسبب ذلك ، والله المستول أن يحسن العاقبة وحاصل القضية أن العامة ما بين تصديق وتكذيب ، ونائب السلطنة وخواصه من كبار الأمراء على ثقة من أنفسهم ، وأن الأمراء على خاف شديد في الديار المصرية بين السلطان الكامل وشعبان وبين أخيه أمير حاجي ، والجمهور مع أخيه أمير حاجي ، ثم جاءت الأخبار إلى النائب بأن التجاريد المصرية خرجت تقصد الشام ومن فيه من الجند لتوطد الأمر ، ثم إنه تراجع رئيس الأمراء في الليل إلى مصر واجتمعوا إلى إخوانهم ممن هو ممالى لهم على السلطان ، فاجتمعوا ودعوا إلى سلطنة أمير حاجي وضربت الطباخانات وصارت باقى النفوس متجاهرة على نية تأييده ، ونابذوا السلطان الكامل ، وعدوا عليه مساويه ، وقتل بعض الأمراء ، وفر الكامل وأنصاره فاحتيط عليه . وخرج أرفون العلاني زوج ابنته واستظهر أيضا أمير حاجي فأجلسوه على السرير ولقبوه بالملك المظفر ، وجاءت الأخبار إلى النائب بذلك ، فغضب بت البشائر عنده ، وبعث إلى نائب القلعة فامتنع من ضربها ، وكان قد

طلب إلى الوطاق فامتنع من الحضور، وأغلق باب القلعة، فانزعج الناس واختبئوا بالبلد، وتقلص وجود الخبير، وحصنت القلعة ودعوا لاسكامل بكرة وعشية على العادة، وأرجف العامة بالجيش على عادتهم في كثرة فصولهم، فحصل لبعضهم أذية. فلما كان يوم الاثنين ثامن الشهر قدم نائب حماة إلى دمشق مطيئاً لنائب السلطنة في تجميل وأبهة، ثم أجرى له عادة أمثاله.

وفي هذا اليوم وقعت بطاقة بقدوم الأمير سيف الدين بيفرا حاجب الحجاب بالديار المصرية لاجل البيعة للسلطان الملك المظفر، فدفعت البشارة بالوطاق، وأمر بتزيين البلد، فزين الناس وليسوا منشرحين، وأكثرهم يظن أن هذا مكر وخديعة، وأن التجاريد المصرية واصلة قريبا. وامتنع نائب القلعة من دق البشارة وبالغ في تحصيل القلعة، وغلق بابها، فلا يفتح إلا الخوخة البرانية والجوانية، وهذا الصنيع هو الذي يشوش خواطر العامة، يقولون: لو كان ثم شيء له محبة كان نائب القلعة يطاع على هذا قبل الوطاق. فلما كان يوم الثلاثاء بعد الزوال قدم الأمير سيف الدين بيفرا إلى الوطاق، وقد تلقوه وعظموه، ومعه تقليد النياحة من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا نائب السلطنة، وكتاب إلى الأمراء بالسلام. ففرحوا بذلك وبايعوه وانضمت السكامة والله الحمد. وركب بيفرا إلى القلعة فترجل وسلك سبيله ودخل إلى نائب القلعة فبايعه سرىعا ودقت البشارة في القلعة بعد المغرب، حين ملأه الخبير، وطابت أنفس الناس ثم أصبحت القلعة في الزينة وزادت الزينة في البلد وفرح الناس، فلما كان يوم الخميس حادى عشر الشهر دخل نائب السلطنة من الوطاق إلى البلد والأطلاب بين يديه في تجميل وطباخانات على عادة العرض، وقصد خرج أهل البلد إلى الفرجة، وخرج أهل الذمة بالتوارة، وأشعلت الشموع، وكان يوماً مشهوداً.

وقد صلى في شهر رمضان من هذه السنة بالشامية البرانية صبي عمره ست سنين، وقد رأيته وامتنعته فاذا هو بجيد الحفظ والأداء، وهذا من أغرب ما يكون. وفي العشر الأول من هذا الشهر فرغ من بناء الحمام الذي بناها نائب السلطنة بالقرب من الشاذلية في خان السلطان العتيق، وما حولها من الرباع والقرب وغير ذلك. وفي يوم الاحد حادى عشره اجتمع نائب السلطنة والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والدولة عند تل المستقين، من أجل أن نائب السلطنة قد عزم على بناء هذه البقعة جامعا بقدر جامع تنكيز. فاشتوروا هنالك، ثم انفصل الحال على أن يعمل، والله ولي التوفيق.

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة صلى على الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن تيمية، أخو الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى. وفي يوم السبت ثاني عشره توفي الشيخ على القطناني بقطنا، وكان قد اشتهر أمره في هذه السنين، وابته جماعة من الفلاحين والشباب المنتمين إلى طريقة أحمد ابن الرافعي، وعظم أمره وسار ذكره، وقصده الأكارل لزيارة مرات، وكان يقيم السماعات على عادة

أمثاله ، وله أصحاب يظهرون إشارة بالطلعة ، وأحوالا مفتعلة ، وهذا مما كان ينقم عليه بسببه ، فإنه إن لم يكن يعلم بحالهم لجاهل ، وإن كان يقرم على ذلك فهو مثلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفي أواخر هذا الشهر - أعنى ذى الحجة من العيد وما بعده - أهتم ملك الأسراء في بناء الجامع الذى بناه تحت القلعة وكان تل المستقين ، وهدم ما كان هناك من أبنية ، وعملت العجل وأخفت أحجار كثيرة من أرجاء البلد ، وأكثر ما أخذت الأحجار من الرحبة التى للمصريين ، من تحت المأذنة التى فى رأس دقبة الكتاب ، وتيسر منها أحجار كثيرة ، والأحجار أيضا من جبل قاسيون وحمل على الجمال وغيرها ، وكان سلخ هذه السنة - أعنى سنة سبع وأربعين وسبعمائة - قد بلغت غرارة القمع إلى مائتين فما دونها ، وربما بيعت بأكثر من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

استلمت هذه السنة وسلمان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك المظفر أمير حاجى ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين أرقطيه ، وقضاة مصر هم الذين كانوا فى الماضى بأعيانهم ، ونائبه بالشام المحروسة سيف الدين يلبغا الناصرى ، وقضاة الشام هم المذكورون فى التى قبلها بأعيانهم ، غير أن القاضى عماد الدين الحنفى نزل لولده قاضى القضاة نجم الدين ، فباشر فى حياة أبيه ، وحاجب الحجاب نحر الدين إياس .

واستلمت هذه السنة ونائب السلطنة فى حمة عالية فى عمارة الجامع الذى قد شرع فى بنائه غرى سوق الخليل ، بالمكان الذى كان يعرف بالتل المستقين .

وفى ثالث المحرم توفى قاضى القضاة شرف الدين محمد بن أبى بكر الهمداني المالكي ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بترتبه بميدان الحصا ، وتأسف الناس عليه لرياسته وديانته وأخلاقه وإحسانه إلى كثير من الناس رحمه الله .

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من المحرم وصل تقليد قضاء المالكية للقاضى جمال الدين المسلاتى الذى كان نائبا للقاضى شرف الدين قبله ، وخلع عليه من آخر النهار . وفى شهر ربيع الأول أخذوا لبناء الجامع المجدد بسوق الخليل ، أعمدة كثيرة من البلد ، فظاهر البلد يعلقون مافوقه من البناء ثم يأخذونه ويقومون بدله دطمة وأخذوا من درب الصيقل وأخذوا العمود الذى كان بسوق العلبين الذى فى تلك الدخلة على رأسه مثل الكرة فيها حديد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر أنه كان فيه طلسم لمسر بول الحيوان إذا داروا بالداية ينحل أراقبها ، فلما كان يوم الأحد السابع والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة قاموه من موضعه بعد ما كان له فى هذا الموضع نحواً من أربعة آلاف سنة والله أعلم . وقد رأيت فى هذا اليوم وهو ممدود فى سوق العلبيين على الأخشاب

ليجروه إلى الجامع المذكور من السوق الكبير ، ويخرجوا به من باب الجابية الكبير فلا إله إلا الله .
وفي أواخر شهر ربيع الآخر ارتفع بناء الجامع الذي أنشأه النائب وجفت العين التي كانت تحت
جداره حين أسسوه والله الحمد .

وفي سلخ ربيع الآخر وردت الأخبار من الديار المصرية بمسك جماعة من أعيان الأمراء
كالعجazy وآقسنقر الباصرى ، ومن اف لهما ، فتمرك الجند بالشام ووقعت خبطة ، ثم استهل شهر
جمادى الأولى والجند فى حركة شديدة ، ونائب السلطنة يستدعى الأمراء إلى دار السعادة بسبب
ما وقع بالديار المصرية وتعاهد هؤلاء على أن لا يؤذى أحد ، وأن يكونوا يداً واحدة ، وفى هذا [اليوم] تحول
ملك الأمراء من دار السعادة إلى القصر الأبقى واحترز لنفسه ، وكذلك حاشيته . وفى يوم الأربعاء
الرابع عشر منه قدم أمير من الديار المصرية على البريد معه كتاب من السلطان فيه التصريح بعزل
ملك الأمراء بلبغا نائب الشام ، فقرأ عليه بمحضرة الأمراء بالقصر الأبقى ، فتفهم لذلك وسامه ،
وفيه طلبه إلى الديار المصرية على البريد لىولى نيابة الديار المصرية ، والظاهر أن ذلك خديعة له ،
فأظهر الامتناع ، وأنه لا يذهب إلى الديار المصرية أبداً ، وقال : إن كان السلطان قد استكثر على
ولاية دمشق فيولقى أى البلاد شاء ، فأنا راض بها . ورد الجواب بذلك ، ولما أصبح من الغد وهو
يوم الخميس وهو خامس عشره ، ركب نخم قريبا من الجسورة فى الموضع الذى خيم فيه عام أول ، وفى
الشهر أيضا كما تقدم ، فبات ليلة الجمعة وأمر الأمراء بنصب الخيام هناك على عادتهم عام أول .

فلما كان يوم الجمعة سادس عشره بعد الصلاة ما شعر الناس إلا والأمراء قد اجتمعوا تحت
القلعة وأحضروا من القلعة منجفين سلطانيين أصفرين ، وضربوا الطبول حرباً ، فاجتمعوا كلهم
تحت السنجد الساطاني ، ولم يتأخر منهم سوى النائب وذويه كابنيه وإخوته وحاشيته ، والأمير
سيف الدين قلاوون أحد مقدمى الألوف وخبره أكبر أخبار الأمراء بعد النيابة ، فبعث إليه
الأمراء أن لهم إلى السمع والطاعة للسلطان ، فامتنع من ذلك وتكررت الرسل بينهم وبينه فلم يقبل ،
فساروا إليه فى الطبائخانات والبوقات ملبسين لأمة الحرب ، فلما انتهوا إليه وجدوه قد ركب خيوله
ملبساً واستعد للهرب ، فلما واجههم هرب هو ومن معه وفر وا فرار رجل واحد ، وساق الجند وراه فلم
يكتنفوا له غباراً ، وأقبل العسامة وتركبان القبيبات ، فانهمبوا ما بقى فى معسكره من الشعير والأغنام
والخيام ، حتى جمعوا يقطعون الخيام والأطناب قطعاً قطعاً ، فقدم له ولأصحابه من الأمتعة ما يساوى
ألف ألف درهم ، وانتدب لطلبه والمسير وراه الحاجب الكبير الذى قدم من الديار المصرية قريبا
شهاب الدين بن صبيح ، أحد مقدمى الألوف ، فسار على طريق الأشرفية ثم عدل إلى ناحية القريتين .
ولما كان يوم الأحد قدم الأمير نغز الدين إياس نائب صفد فيها فتلقاء الأمراء والمقدمين ، ثم

جاء فنزل القصر وركب من آخر النهار في الجحافل ، ولم يترك أحدا من الجند بمشقة إلا ركب معه وساق وراءه يلبغا فانبرا نهمو البرية ، فجمعت الأعراب يعترضونه من كل جانب ، وما زالوا يكفونه حتى سار نحو حماة ، ففرج نائبها وقد ضعف أمره جدا ، وكل هو ومن معه من كثرة السوق ومصاولة الأعداء من كل جانب ، فألقى بيده وأخذ سيفه وسيف من معه واعتقلوا بحماة ، وبعث بالسيف إلى الديار المصرية ، وجاء الخبير إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء رابع عشر هذا الشهر ، فضربت البشائر بالقلمة وعلى باب الميادين على العادة ، وأحدثت المساكر بحماة من كل جانب ينتظرون ما رسم به السلطان من شأنه ، وقام إياس بجيش دمشق على حمص ، وكذلك جيش طرابلس ، ثم دخلت المساكر رابعة إلى دمشق يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر ، وقدم يلبغا وهو مقيد على كدش هو وأبوه وحوله الأمراء الموكلون به ومن معه من الجنود ، فدخلوا به بعد عشاء الآخرة فاجتازوا به فم السبعة بعد ما غلقت الأسواق ، وطلعت السرج ، وغلقت الطاقات ، ثم مروا على الشيخ رسلان والباب الشرقي على باب الصغير ، ثم من عند مسجد الديان على المصلى ، واستمروا ذاهبين نحو الديار المصرية ، وتواترت البريدية من السلطان بإمره به في أمره وأصحابه الذين خرجوا معه من الاحتياط على حواصلهم وأموالهم وأملأهم وغدير ذلك ، وقدم البريد من الديار المصرية يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة فأخبر بقتل يلبغا فيما بين قاقون وغبرة ، وأخذت رؤسهما إلى السلطان وكذلك قتل بغبرة الأمراء الثلاثة الذين خرجوا من مصر وحاكم الوزير ابن سرد ابن البغدادى ، والدوادار طغتمير ويدير البدرى ، أحد المقدمين ، كان قد ندم عليه السلطان مائة يلبغا ، فأخرجهم من مصر مسلوبين جميع أموالهم وسيرهم إلى الشام ، فلما كانوا بغزة لحقهم البريد بقتلهم حيث وجدهم وكذلك رسم بقتل يلبغا حيث التقاه من الطريق ، فلما انفصل البريد من غزة التقى يلبغا في طريق وادى فحقة فخذه ثم احتز رأسه وذهب به إلى السلطان ، وقدم أميران من الديار المصرية بالحوطة على حواصل يلبغا وطواشى من بيت الملكة ، فتسلم مصاغا وجواهر نفيسة جدا ، ورسم ببيع أملاكه وما كان وقفه على الجامع الذى كان قد شرع بعمارتها بسوق الخليل ، وكان قد اشتهر أنه وقف عليه القيسارية التى كان أنشأها ظاهر باب الفرج ، والحمامين المتجاورين ظاهر باب الجابية غربى خان السلطان العتيق ، وخصصا قرايا أخرى كان قد استشهد على نفسه بذلك قبل ذلك فأنه أعلم . ثم طلب بقية أصحابه من حماة فحملوا إلى الديار المصرية وعدم خبرهم ، فلا يدري على أى صفة هلكوا . وفى صبيحة يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة دخل الأمير سيف الدين أرغون شاه دمشق المحروسة نائبا عليها ، وكان قدومه من حلب ، انفصل عنها وتوجه إليها الأمير نغر الدين إياس الحاجب ، فدخلها أرغون شاه في أمته وعليه خلعة وحمالة بطرفين ، وهو قريب الشكل

من تنكز رحمه الله فنزل دار السعادة وحكم بها ، وفيه صرامة وشهامة .

وفي يوم الخميس الثالث والعشرين منه صلى على الأمير قراسنقر بالجامع الأموى وظاهر باب النصر ، وحضر القضاة والأعيان والأمراء ، ودفن بقربته بميدان الحصا بالقرب من جامع الكريمي وعملت ليلة النصف على المائدة من إشعال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغلة ، كل رطل إلا وقية بدرم ، وهو متغير ، وسائر الأشياء غالية ، والزيت كل رطل بأربعة ونصف ، ومثله الشيرج والصابون والأرز والعنبر يس كل رطل بثلاثة ، وسائر الأطعمة على هذا النحو ، وليس شيء قريب الحال سوى اللحم بدرهمين وربيع ، ونحو ذلك ، وغالب أهل حوران يردون من الأماء كن البعيدة ويجلبون القمح للمؤنة والبدار من دمشق ، ويبيع عندهم القمح المنزول كل مد بأربعة دراهم ، وهم في جهد شديد ، والله هو المأمول المستول ، وإذا سافر أحد يشق عليه تحصيل الماء لنفسه ولقرمه ودابته ، لأن المياه التي في الدرب كلها نفقت ، وأما القدس فأشد حالاً وأبلغ في ذلك . ولما كان العشر الأخير من شعبان من هذا السنة من الله سبحانه وتعالى وله الحمد ، والمنة على عباده بارسال الفيتى المتدارك الذى أحياى البلاد والبلاء ، وتراجع الناس إلى أوطانهم لوجود الماء فى الأودية والغدران ، وامتلات بركة زرع بعد أن لم يكن فيها قطرة ، وجاءت بذلك البشارة إلى نائب السلطنة ، وذكر أن الماء عم البلاد كلها ، وأن الثلج على جبل بنى هلال كثير ، وأما الجبال التي حول دمشق فعليها تلوج كثير جداً ، وأطمانت القلوب وحصل فرج شديد والله الحمد والمنة ، وذلك فى آخر يوم بقى من تشرين الثانى .

وفى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من رمضان توفى الشيخ عز الدين محمد الحنبلى بالصالحية وهو خطيب الجامع المظفرى ، وكان من الصالحين المشهورين رحمه الله ، وكان كثير آيائهم فى الأموات بعد دقهم ، فلقنه الله حجتة وثبته بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

مقتل المظفر وتولية الناصر حسن بن الناصر

وفى العشر الأخير من رمضان جاء البريد من نائب غرة إلى نائب دمشق بقتل السلطان الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد ، وقع بينه وبين الأمراء فتحيزوا عنه إلى قبة النصر فخرج إليهم فى طائفة قليلة فقتل فى الحال وسحب إلى مقبرة هناك ، ويقال قطع قطعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولما كان يوم الجمعة آخر النهار ورد من الديار المصرية أمير للبيعة لأخيه السلطان الناصر حسن ابن السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فدقت البشارة فى القلعة المنصورة ، وزين البلد بكاله والله الحمد فى الساعة الراحنة من أمكن من الناس ، وما أصبح صباح يوم السبت إلا زين البلد بكاله والله الحمد على انتظام الكلمة ، واجتماع الألفة . وفى يوم الثلاثاء العشرين من شوال قدم الأمير نغراى الدين

إيما نائيب حلب محتاطا عليه ، فاجتمع بالنائب في دار السعادة ، ثم أدخل القلعة مضيقا عليه ، ويقال إنه قد فوض أمره إلى نائب دمشق ، فهما فعل فيه فقد أمضى له ، فأقام بالقلعة المنصورة نحواً من جمعة ، ثم أركب على البريد ليسار به إلى الديار المصرية ، فلم يدر ما فعل به .

وفي ليلة الاثنين ثالث شهر ذي القعدة توفي الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الاسلام وشيخ المحدين شمس الدين أبو عبدالله محمد بن عثمان الذهبي بترية أم الصالح وصلى عليه يوم الاثنين صلاة الظهر في جامع دمشق ودفن بباب الصغير ، وقد ختم به شيوخ الحديث وحفاظه رحمه الله .

وفي يوم الأحد سادس عشر ذي القعدة حضرت تربة أم الصالح رحم الله وأقفاها عوضاً عن الشيخ شمس الدين الذهبي ، وحضر جماعة من أعيان الفقهاء وبعض القضاة ، وكان درساً مشهوراً والله الحمد والمنة ، أوردت فيه حديث أحمد عن الشافعي عن مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله (ص) قال : « إنما نسمة المؤمن طائر معلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم يبعثه » وفي يوم الأربعاء تاسع عشره أمر نائيب السلطنة بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة فقطعوا إحدى عشر منهم ، ومهر عشر تسعيراً تمزيراً وتأديباً انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبع مائة

استلمت وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الناصر ناصر الدين حسن بن الملك المنصور ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا ، ووزيره منجك ، وقضاته عز الدين بن جماعة الشافعي وتقي الدين الاخنائي المالكي ، وعلاء الدين بن التركاني الحنفي ، وموفق الدين المقدسي الحنبلي ، وكاتب سره القاضي علاء الدين بن محيي الدين بن فضل الله العمري ، ونائب الشام الخروس بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وحاجب الحجاب الأمير طبردمر الاسماعيلي ، والقضاة بدمشق قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، وقاضي القضاة نجم الدين الحنفي ، وقاضي القضاة جلال الدين المسلاتي المالكي ، وقاضي القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلي ، وكاتب سره القاضي ناصر الدين الحلبي الشافعي ، وهو قاضي العساكر بحلب ، ومدرس الأسدية بها أيضاً ، مع إقامته بدمشق المحروسة ، وتواترت الأخبار بوقوع البلاء في أطراف البلاد ، فذكر عن بلاد القرم أمر هائل وموتان فيهم كثير ، ثم ذكر أنه انتقل إلى بلاد الفرنج حتى قيل إن أهل قبرص مات أكثرهم أو يقارب ذلك ، وكذلك وقع بغزة أمر عظيم ، وقد جاءت مطالعة نائب غرة إلى نائب دمشق أنه مات من يوم عاشوراء إلى مثله من شهر صفر نحو من بضعة عشر ألفاً ، وقرى البخاري في يوم الجمعة بعد الصلاة سابع ربيع الأول في هذه السنة ، وحضر القضاة وجماعة من الناس ، وقرأ ربيعة بعد ذلك المقرؤن ، ودعا الناس برفع الوباء عن البلاد ، وذلك أن الناس لما بلغهم من حلول هذا المرض

في السواحل وغيرها من أرجاء البلاد يتوهمون ويخافون وقوعه بمدينة دمشق ، حماها الله وسلمها مع أنه قد مات جماعة من أهلها بهذا الداء . وفي صبيحة يوم تاسعه اجتمع الناس بمحراب الصحابة وقرأوا متوزعين سورة نوح ثلاثة آلاف مرة وثلاثمائة وثلاثين مرة ، عن رؤيا رجل أنه رأى رسول الله (ص) ، أرشده إلى قراءة ذلك كذلك . وفي هذا الشهر أيضاً كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين وزاد الأموات كل يوم على المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم ، ولكنه بالنظر إلى كثرة أهل البلد قليل ، وقد توفي في هذه الأيام من هذا الشهر خلق كثير وجسم غفير ، ولا سيما من النساء ، فان الموت فيهن أكثر من الرجال بكثير كثير ، وشرع الخطيب في القنوت بسائر الصلوات والدعاء برفع الوباء من المغرب ليلة الجمعة سادس شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، وحصل للناس بذلك خضوع وخشوع وتقريع وإجابة ، وكثرت الأموات في هذا الشهر جداً ، وزادوا على المائتين في كل يوم ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وتضاعف عدد الموتى منهم ، وتعلقت مصالح الناس ، وتأخرت الموتى عن إخراجهم ، وزاد ضمان الموتى جداً فتضرر الناس ولا سيما الصماليك ، فانه يؤخذ على الميت شيء كثير جداً ، فرسم نائب السلطنة بإبطال ضمان الذنوش والمنسلين والحقالين ، ونودي بإبطال ذلك في يوم الاثنين سادس عشر ربيع الآخر ، ووقف نفوس كثيرة في أرجاء البلد واتسع الناس بذلك ، ولكن كثرت الموتى فالحمد المستعان .

وفي يوم الاثنين الثالث والعشرين منه نودي في البلد أن يصوم الناس ثلاثة أيام وأن يخرجوا في اليوم الرابع وهو يوم الجمعة إلى عند مسجد القدم يتضرعون إلى الله ويسألونه في رفع الوباء عنهم ، فصام أكثر الناس وقام الناس في الجامع وأحيوا الليل كما يفعلون في شهر رمضان ، فلما أصبح الناس يوم الجمعة السابع والعشرين منه خرج الناس يوم الجمعة من كل فج عريق ، واليهود والنصارى والسامرة ، والشيوخ والعجائز والصبيان ، والفقراء والأمرأ والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا هنالك يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار جداً ، وكان يوماً مشهوداً .

وفي يوم الخميس عاشر جمادى الأولى صلى الخطيب بعد صلاة الظهر على ستة عشر ميتاً جملة واحدة ، قهول الناس من ذلك وأندهروا ، وكان الوباء يومئذ كثيراً بما يقارب الثلاثمائة بالبلد وحواضره فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد صلاة على خمسة عشر ميتاً بجامع دمشق ، وصلى على إحدى عشر نفساً رحمهم الله .

وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين منه رسم نائب السلطنة بقتل الكلاب من البلد ، وقد كانت كثيرة بأرجاء البلد وربما ضرت الناس وقطعت عليهم الطرقات في أثناء الليل أما تنجيسها الأماكن

فكثير قد عم الابتلاء به وشق الاحتراز منه ، وقد جمعت جزءاً في الأحاديث الواردة في قتلهم ، واختلاف الأئمة في نسخ ذلك ، وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر في خطبته بذيح الحام و قتل الكلاب ونص مالك في رواية ابن وهب على جواز قتل كلاب بلدة بعينها ، إذا أذن الإمام في ذلك للمصلحة . وفي يوم الاثنين الثامن والعشرين منه توفي زين الدين عبد الرحمن بن شيخنا الحافظ المزي ، بدار الحديث النورية وهو شيخنا ، ودفن بمقابر الصوفية على والده . وفي منتصف شهر جمادى الآخرة توى الموت وتزايد بالله المستعان ، ومات خلّاق من الخاصة والعامة ممن نعرفهم وغيرهم رحمهم الله وأدخلهم جنّته ، وبالله المستعان . وكان يصلى في أكثر الأيام في الجامع على أزيد من مائة ميت فأنالله وإنا إليه راجعون . وبعض الموتى لا يؤتى بهم إلى الجامع ، وأما حول البلد وأرجائها فلا يعلم عدد من يموت بها إلا الله عز وجل رحمهم الله آمين .

وفي يوم الاثنين السابع والعشرين منه توفي الصدر شمس الدين بن الصباب التاجر السفاربانى المدرسة الصبائية ، التى هى دار قرآن بالقرب من الظاهرية ، وهى قبلى العادلية الكبيرة ، وكانت هذه البقعة برهة من الزمان خربة شنيعة ، فمرها هذا الرجل وجعلها دار قرآن ودار حديث للحنابلة ، ووقف هو وغيره عليها أوقافاً جيدة رحمه الله تعالى .

وفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب صلى بعد الجمعة بالجامع الأموى على غائب : على القاضي علاء الدين بن قاضى شهية ، ثم على على إحدى وأربعين نفساً جملة واحدة ، فلم يتسع داخل الجامع أصغرهم بل خرجوا ببعض الموتى إلى ظاهر باب السر ، وخرج الخطيب والنقيب فصل عليهم كلهم هناك ، وكان وقتاً مشهوداً ، وعبرة عظيمة ، فأنالله وإنا إليه راجعون .

وفي هذا اليوم توفي التاجر المسمى بافريدون الذى بنى المدرسة التى بظاهر باب الجابية نجاة تربة بهادرآص ، حائطها من حجارة ملونة ، وجعلها داراً للقرآن العظيم ووقف عليها أوقافاً جيدة ، وكان مشهوراً مشكوراً رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم السبت ثالث رجب صلى على الشيخ على المغربي أحد أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية بالجامع الافرمى بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح رحمه الله ، وكانت له عبادة وزهادة وتقشف وورع ولم يتول في هذه الدنيا وظيفة بالكلية ، ولم يكن له مال بل كان يأبى بشيء من الفئوح يستغنى قليلاً قليلاً ، وكان يعمى النصارى ، وترك زوجة وثلاثة أولاد رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع رجب صلى على القاضي زين الدين بن النجيج نائب القاضي الحنبلى ، بالجامع المظفرى ، ودفن بسفح قاسيون ، وكان مشكوراً في القضاء ، لديه فضائل كثيرة ، وديانة وعبادة ، وكان من أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكان قد وقع بينه وبين القاضي

الشافى مشاجرات بسبب أمور ، ثم اصطالحا فيما بعد ذلك .

وفى يوم الاثنين ثمانى عشره بعد أذان الظهر حصل بدمشق وما حولها ريح شديدة أثارت غبارا شديدا اصفر الجو منه ثم اسود حتى أظلمت الدنيا ، وبقى الناس فى ذلك نحواً من ربع ساعة يستجيرون الله ويستغفرون ويبيكون ، مع ما هم فيه من شدة الموت الذريع ، ورجا الناس أن هذا الحال يكون ختام مام فيه من الطاعون ، فلم يزد الأمر إلا شدة ، وبالله المستعان . وبلغ المصلى عليهم فى الجامع الأموى إلى نحو المائة وخمسين ، وأكثر من ذلك ، خارجاً عن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد ومن يموت من أهل الذمة ، وأما حواضر البلد وما حولها فأمر كثير ، يقال إنه بلغ ألفاً فى كثير من الأيام ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وصلى بعد الظهر من هذا اليوم بالجامع المظفرى على الشيخ إبراهيم بن الحب ، الذى كان يحدث فى الجامع الأموى وجامع تنكز ، وكان مجلسه كثير الجمع لصلاحه وحسن ما كان يؤديه من المواعيد النافعة ، ودفن بسفح قاسيون ، وكانت جنازته حافلة رحمه الله . وعملت المواعيد بالجامع الأموى ليلة سبيع وعشرين من رجب ، يقولون ليلة المعراج ، ولم يجتمع الناس فيه على العادة لكثرة من مات منهم ، ولشغل كثير من الناس بمرضاهم وموتاهم . واتفق فى هذه الليلة أنه تأخر جماعة من الناس فى الخليم ظاهر البلد ، فجاءوا ليدخلوا من باب النصر على عادتهم فى ذلك ، فكأنه اجتمع خلق منهم بين البابين فهلك كثير منهم كنعوماهلك الناس فى هذا الحين على الجنائز ، فانزعج نائب السلطنة نزع فوجد فأمم بجمعهم ، فلما أصبح الناس أمر بتسليمهم ثم عفا عنهم وضرب متولى البلد ضرباً شديداً ، وصبر نائبه فى الليل ، وصبر البواب بيباب النصر ، وأمر أن لا يمشی أحد بعد عشاء الآخرة ، ثم تسبح لهم فى ذلك .

واستهل شهر شعبان والفناء فى الناس كثير جداً ، وربما أنقذت البلد ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وتوفى الشيخ خمس الدين بن الصلاح مدرس القيدرية الكبيرة بالمطرزين ، يوم الخميس ثالث عشر شعبان وفى يوم الجمعة رابع عشر شعبان صلى بعد الصلاة على جماعة كثيرة ، منهم القاضي عماد الدين ابن الشيرازى ، محتسب البلد ، وكان من أكابر رؤساء دمشق ، وولى نظر الجامع مدة ، وفى بعض الأوقات نظر الأوقاف ، وجمع له فى وقت بينهما ودفن بسفح قاسيون .

وفى العشر الأخير من شهر شوال توفى الأمير قرايفادويدار النائب ، بداره غربى حكر السباق ، وقد أنشأ له إلى جانبها تربة ومسجداً ، وهو الذى أنشأ السويقة المجددة عند داره ، وعمل لها بابين شرقياً وغربياً ، وضمنت بقيمة كثيرة بسبب جاهه ، ، ثم بارت وهجرت لقلعة الحاجة إليها ، وحضر الأمراء والقضاة والأكابر جنازته ، ودفن بتربته هناك ، وترك أموالاً جزيلة وحواصل كثيرة جداً ، أخذته مخدومه نائب السلطنة .

وفي يوم الثلاثاء سابع شهر ذي القعدة توفى خطيب الجامع ، الخطيب تاج الدين عبد الرحيم ابن القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحيم القزويني ، بدار الخطابة ، مرض يومين وأصابه ما أصاب الناس من الطاعون ، وكذلك عامة أهل بيته من جواريه وأولاده ، وتبعه أخوه بعد يومين صدر الدين عبد الكريم ، وصلى على الخطيب تاج الدين بعد الظهر يومئذ عند باب الخطابة ودفن بترتهم بالصوفية عند أبيه وأخويه بدر الدين محمد ، وجمال الدين عبد الله رحمهم الله .

وفي يوم الخميس تأسسه اجتمع القضاة وكثير من الفقهاء المفتين عند نائب السلطنة بسبب الخطابة ، فطلب إلى المجلس الشيخ جمال الدين بن محمود بن جملة فولاد إياها نائب السلطنة ، وانزعرت من يده وظائف كان يباشرها ، ففرقت على الناس ، فولى القاضي بهاء الدين أبو البقاء تدريس الظاهرية البرانية ، وتوزع الناس بفيضة جهاته ، ولم يبق بيده سوى الخطابة ، وصلى بالناس يومئذ الظهر ، ثم خلع عليه في بكرة نهار الجمعة ، وصلى بالناس يومئذ وخطبهم على قاعدة الخطباء .

وفي يوم عرفة ، وكان يوم السبت ، توفى القاضي شهاب الدين بن فضل الله كاتب الأسرار الشريفة بالديار المصرية ، والبلاد الشامية ، ثم عزل عن ذلك ومات وليس يباشر شيئا من ذلك من رياسة وسعادة وأموال جزيلة ، وأملاك ومراتب كثيرة ، وعمر داراً هائلة بسفح قاسيون بالقرب من الركنية شرقيها ليس بالسفح مثلها ، وقد انتهت إليه رياسة الانشاء ، وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه ، وله مصنفات عديدة بعبارات سميدة ، وكان حسن المذاكرات سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الأخلاق ، يحب العلماء والفقراء ، ولم يجاوز الحسنيين ، توفى بدارهم داخل باب الفرديس ، وصلى عليه بالجامع الأموي ، ودفن بالسفح مع أبيه وأخيه بالقرب من اليعمورية سامحه الله وغفر له .

وفي هذا اليوم توفى الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي ، كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان أبصر بخط الشيخ منه ، إذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه أبو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة لا بأس به ، ديناً عابداً كثير التسلاوة حسن الصلاة ، له عيال وعليه ديون رحمه الله وغفر له آمين . ثم دخلت سنة خمسين وسبع مائة

استهل هذه السنة و سلطان البلاد المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك من البلاد الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائب الديار المصرية ومدير ممالكه والاتبالك سيف الدين يلبغا ، وقضاة الديار المصرية هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك أرباب الوظائف سوى الخطيب وسوى المحتسب .

وفي هذه السنة والله الحمد تقاصر أمر الطاعون جددا ونزل ديوان المواريث إلى العشرين وما حولها بعد أن بلغ الخسائة في أثناء سنة تسع وأربعين ، ثم تقدم ولكن لم يرتفع بالكلية ، فان في يوم الأربعاء رابع شهر المحرم توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن الثقة هو وابنه وأخوه في ساعة واحدة بهذا المرض ، وصلى عليهم جميعاً ، ودفنوا في قبر واحد رحمهم الله تعالى .

وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الامام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي ، مدرس العمادية كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح ، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن ، وخلق حسن ، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين ، رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي يوم الأربعاء ثالث صفر بانثر آقي الدين بن رافع المحدث مشيخة دار الحديث النورية ، وحضر عنده جماعة من الفضلاء والقضاة والأعيان ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة ارغون شاه

وفي ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول مسك نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان قد انتقل إلى القصر الأتليق بأهله ، فاشمر بوسط الليل إلا ونائب طرابلس الأمير سيف الدين ألبجي بن المظفرى الناصرى ، ركب إليه في طائفة من الأمراء الأتوف وغيرهم ، فأحاطوا به ودخل عليه من دخل وهو مع جواريه قائم ، فخرج إليهم فقبضوا عليه وقيدوه ورموا عليه ، وأصبح الناس أكثرهم لا يشعر بشيء مما وقع ، فتحديث الناس بذلك واجتمعت الأنراك إلى الأمير سيف الدين ألبجي بن المذكور ، ونزل بظاهر البلد ، واحتيط على حواصل أرغون شاه ، فبات عزباً وأصبح ذليلاً ، وأمسى علينا نائب السلطنة فأصبح وقد أحاط به الفقر والمسكنة فسبحان من يبيده الأمر مالك الملك [يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويمر من يشاء وينزل من يشاء] وهذا كما قال الله تعالى [أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله إلا القوم الخاسرون] ثم لما كان ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول أصبح مذبحاً فأثبت محضر بأنه ذبح نفسه فآله تعالى أعلم .

كائنة عجيبة غريبة جداً

ثم لما كان يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة خمسين وسبعائة وقع اختلاف بين جيش دمشق وبين الأمير سيف الدين ألبجي بن طرابلس ، الذى جاء فأمسك نائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصرى ، ليلة الخميس وقتله ليلة الجمعة كما تقدم ، وأقام بالميسدان

الأخضر يستنصم أمواله وحواسله، ويجمعها عنده، فأنكر عليه الأمراء الكبار، وأمروه أن يحمل الأموال إلى قلعة السلطان فلم يقبل منهم، فاتهموه في أمره، وشكروا في الكتاب على يده من الأمر بمسكه وقتله، وركبوا ملابسين تحت القلعة وأبواب الميادين، وركب هوق أصحابه وهم في دون المائة، وقائل يقول هم ما بين السبعين إلى الثمانين والتسعين، جعلوا يحملون على الجيش حل المستقلين، إنما يدافعهم مدافعة المتبرئين، وليس معهم مرسوم يقتلهم ولا قتالهم، فليذا ولي أكثرهم منزمن، فخرج جماعة من الجيش حتى بعض الأمراء المقسمين، وهو الأمير الكبير سيف الدين ألبى بن العادلى، قطعت يده اليمنى، وقد قارب القسمين، وقتل آخرون من أجناد الحلقة والمستنصمين، ثم انفصل الحال على أن أخذ ألبى بن المظفرى من خيول أرغون شاه المرتبطة في اسطبله ما أراد، ثم انصرف من ناحية المزة صافراً على عقبيه، ومعه الأموال التي جمعها من حواصل أرغون شاه، واستمر ذاهباً، ولم يتبعه أحد من الجيش، وصحبته الأمير نغر الدين إياس، الذي كان حاجباً، وثلب في حلب في العام الماضي، فذهبا بن معها إلى طرابلس، وكتب أمراء الشام إلى السلطان يملونه بما وقع، فجاء البريد بأنه ليس عند السلطان علم بما وقع بالسككية، وأن الكتاب الذي جاء على يديه مقتل، وجاء الأمر لأربعة آلاف من الجيش الشلبى أن يسيروا وراءه لمسكوه ثم أضيف نائب صند مقدم على الجميع، وخرجوا في العشر الأول من ربيع الآخر. وفي يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر خرجت المسكرة في طلب سيف الدين ألبى بن العادلى في المعركة وهو أحد أمراء الأتوف المقدمين، ولما كانت ليلة الخميس سابعه نودى بالبلد على من يقر بها من الأجناد أن لا يتأخر أحد عن الخروج بالقد، فأصبحوا في سرعة عظيمة واحتذيت في البلد نيابة عن النائب الراتب الأمير بدر الدين الخطير، فحكم بدار السعادة على عادة النواب. وفي ليلة السبت بين العشاءين سادس عشر دخل الجيش الذين خرجوا في طلب ألبى بن المظفرى، وهو معهم أسير ذليل حقير، وكذلك الفخر إياس الحاجب مأسور معهم، فأودعوا في القلعة مهانين من جسر باب النصر الذي تجاه دار السعادة، وذلك بحضور الأمير بدر الدين الخطير نائب القبية، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً، والله الحمد والمنة، فلما كان يوم الاثنين الثامن عشر منه خرجوا من القلعة إلى سوق الخليل فوسطا بمحضرة الجيش، وعلقت جثثهما على الخشب ليراهما الناس، فكثنا أياماً ثم أنزلنا فدنا بمقابر المسلمين.

وفي أوائل شهر جمادى الآخرة جاء الخطير بموت نائب حلب سيف الدين قطلبشاه فرح كثير من الناس بموته وذلك لسوء أعماله في مدينة حماة في زمن الطاعون، وذكر أنه كان يحتاط على التركة وإن كان فيها ولد ذكر أو غيره، ويأخذ من أموال الناس جبهة، حتى حصل له منها شيء كثير، ثم

نقل إلى حلب بعد نائبها الأمير سيف الدين أرقطيه الذي كان عين لنياية دمشق بعد موت أرغون شاه ، وخرج الناس لتلقيه فما هو إلا أن برز منزلة واحدة من حلب فأت بملك المنزلته ، فلما صار قتل شاه إلى حلب لم يبق بها إلا يسيراً حتى مات ، ولم يفتنع بملك الأموال التي جمعها لا في دنياه ولا في أخراه .

ولما كان يوم الخميس الحامدي عشر من جمادى الآخرة دخل الأمير سيف الدين أيتمش الناصري من الديار المصرية إلى دمشق نائباً عليها ، وبين يديه الجيش على العادة ، فقبل العتبة ولبس الحياصة والسيف ، وأعطى تقليده ومثوره هناك ، ثم وقف في الموكب على عادة النواب ، ورجع إلى دار السعادة وحكم ، وفرح الناس به ، وهو حسن الشكل تام الخلقة ، وكان الشام بلا نائب مستقل قريباً من شهرين ونصف . وفي يوم دخوله حبس أربعة أمراء من العائلات ، وهم القاضي وأولاد آل أبو بكر اعتقلهم في القلعة لمالأتهم ألجى بغا المظفرى ، على أرغون شاه نائب الشام .

وفي يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة حكم القاضي نجم الدين بن القاضي عماد الدين الطاروسى الحنفى ، وذلك بتوقيع سلطاني وخلة من الديار المصرية . وفي يوم الثلاثاء سادس عشر جمادى الآخرة حصل الصلح بين قاضى القضاة تقي الدين السبكى وبين الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية ، على يدى الأمير سيف الدين بن فضل ملك العرب ، في بستان قاضى القضاة ، وكان قد نغم عليه إكثاره من الفتيا بمسألة الطلاق .

وفي يوم الجمعة السادس والعشرين منه نقلت جثة الأمير سيف الدين أرغون شاه من مقابر الصوفية إلى تربته التي أنشأها تحت الطارمة ، وشرع في تركيب التربة والمسجد الذي قبلها ، وذلك أنه عاجلته المنية على يد ألجى بغا المظفرى قبل إتمامها ، وحين قتلوه ذبحوا ودفنوه ليلاً في مقابر الصوفية ، قريباً من قبر الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ثم حول إلى تربته في الليلة المذكورة ، وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أذن المؤذنون للفجر قبل الوقت بقریب من ساعة ، فصلى الناس في الجامع الأموى على عادتهم في ترتيب الأئمة ، ثم رأوا الوقت باقياً فأعاد الخطيب الفجر بعد صلاة الأئمة كلهم ، وأقيمت الصلاة ثانياً ، وهذا شيء لم يتفق مثله .

وفي يوم الخميس ثامن شهر شعبان توفي قاضى القضاة علاء الدين بن منجا الحنبلى بالمسارية ، وصلى عليه الظهر بالجامع الأموى ، ثم بظاهر باب النصر ، ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي يوم الاثنين رةضان بكرة النهار استدعى الشيخ جمال الدين المرادوى من الصالحية إلى دار السعادة ، وكان تقليد القضاء لمذهبه قد وصل إليه قبل ذلك بأيام ، فأحضرت الخلعة بين يدي النائب والقضاة الباقين ، وأريد على لبسها وتبول الولاية فامتنع ، فألحوا عليه فصمم وبالحق في الامتناع

وخرج وهو منضبط فراح إلى الصالحية فبالغ الناس في تعظيمه ، و في القضاة يوم ذلك في دار السمادة ، ثم بعثوا إليه بعد الظهور فحضر من الصالحية فلم يزالوا به حتى قبل ولبس الخلعة وخرج إلى الجامع ، فقرأ تقليده بعد العصر ، واجتمع معه القضاة وهنأه الناس ، وفرحوا به لديانته وصيانتة وفضيلته وأمانته . و بعد هذا اليوم بأيام حكم الفقيه ثمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي نيابة عن قاضي القضاة جمال الدين المرادوى المقدسى ، وابن مفلح زوج ابنته . وفي العشر الأخير من ذى القعدة حضر الفقيه الامام المحدث المفيد أمين الدين الابيجى المالكي مشيخة دار الحديث بالمدرسة الناصرية الجوانية ، نزل له عنها الصدر أمين الدين ابن الفسلانى ، وكيل بيت المال ، وحضر عنده الأكابر والأعيان . وفي أواخر هذه السنة تكامل بناء التربة التي تحت الطارمة المنسوبة إلى الأمير سيف الدين أرغون شاه ، الذي كان نائب السلطنة بدمشق ، وكذلك القبلى منها ، وصلى فيها الناس ، وكان قبل ذلك مسجدا صغيرا فعمره وكبره ، وجاء كأنه جامع تقبل الله منه انتهى .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبع مائة

استهلت وسلطان الشام ومصر الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ونائبه بمصر الأمير سيف الدين يلغا وأخوه سيف الدين منجك الوزير ، والمشارون جماعة من المقدمين بديار مصر ، وقصة مصر وكاتب السرم الذين كانوا في السنة الماضية ، ونائب الشام الأمير سيف الدين ارتيش الناصرى ، والقضاة هم القضاة سوى الحنبلي فانه الشيخ جمال الدين يوسف المرادوى ، وكاتب السر ، وشيخ الشيوخ تاج الدين ، وكاتب الدست هم المتقدمون ، وأضيف إليهم شرف الدين عبد الوهاب بن القاضي علاء الدين بن شمرون ، والمحاسب القاضي عماد الدين بن العزفور ، وشاد الأوقاف الشريف ، وناظر الجامع نضر الدين بن العفيف ، وخطيب البلد جمال الدين محمود ابن جملة رحمه الله .

وفي يوم السبت عاشر المحرم نودى بالبلد من جهة نائب السلطان عن كتاب جاءه من الديار المصرية أن لا تلبس النساء إلا كأم الطوال العرض ، ولا البرد الحرير ، ولا شيئا من اللباسات والثياب الثينة ، ولا الأقشة القصار ، وبلغنا أنهم بالديار المصرية شددوا في ذلك جدا ، حتى قيل منهم غرقوا بعض النساء بسبب ذلك فآله أعلم .

وجددت وأكملت في أول هذه السنة دار قرآن قبلى تربة امرأة تنكز ، بمحلة باب الخواصين حولها ، وكانت قاعة صورة مدرسة العاوشى صفي الدين عنب ، مولى ابن حمزة ، وهو أحد الكبار الأجواد ، تقبل الله منه . وفي يوم الأحد خامس شهر جمادى الأولى فتحت المدرسة الطيبانية التي كانت دارا للأمير سيف الدين طيبان بالقرب من الشامية الجوانية ، بينها وبين أم الصالح ، اشغرت

من ثلثة الذی وصی به ، وفتحت مدرسة وحول لها شبك إلى الطريق فی ضمتها القبلیة منها ، وحضر الدرس بها فی هذا الیوم الشیخ حماد الدین بن شرف الدین بن عم الشیخ کمال الدین بن الزملکائی بوصیة الواقف له بذلك ، وحضر عنده قاضی القضاة السبکی والمالکی وجماعة من الأعیان ، وأخذ فی قوله تعالى [ما یفتح الله للناس من رحمة فلا یسک لها] الآیة . واتفق فی لیلۃ الأحد السادس والعشرین من جمادی الأولى أنه لم یحضر أحد من المؤذنین علی السدة فی جامع دمشق وقت إقامة الصلاة للغرب سوى مؤذن واحد ، فانتظر من یتیم معه الصلاة فلم یجیء أحد غیره مقدار درجة أو أزید منها ، فأقام هو الصلاة وحده ، فلما أحرم الامام بالصلاة تلاحق المؤذنون فی أثناء الصلاة حتی یلنوا دون العشرة ، وهذا أمر غریب من عدة ثلاثین مؤذن أو أكثر ، لم یحضر سوى مؤذن واحد ، وقد أخبر خلقی من المشایخ أنهم لم یروا نظیر هذه الکائنة .

وفی یوم الاثنين سابع عشر جمادی الآخرة اجتمع القضاة بمشهد عثمان ، وكان الفاضل الخنبلی قد حکم فی دار المعتمد الملاصقة لمدرسة الشیخ أبی عمر یلیغا ، وكانت وقفا ، لتضاف إلى دار القرآن ، ووقف علیها أوقفان فقراء ، فمنعه الشافعی من ذلك ، من أجل أنه یؤول أمرها أن تكون دار حدیث ثم فتحوا بابا آخر وقالوا : هذه الدار لم یستهدم جمیعها ، وما حادف الحکم محلا ، لأن مذهب الامام أحمد أن الوقف یباع إذا استهدم بالکیلیة ، ولم یبق ما ینفع به ، فحکم القاضی الخنقی بائبائها وقفا كما كانت ، ونفذ الشافعی والمالکی ، وانفصل الحال علی ذلك ، وجرت أمور طویلة ، وأشیاء عجیبة .

وفی یوم الأربعاء السابع والعشرین من جمادی الآخرة أصبح بواب المدرسة المستجدة التي یقال لها الطیبانیة إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبوحا ، وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم یطاع علی فاعل ذلك ، وكان البواب رجلا صالحا مشكورا رحمه الله .

ترجمة الشیخ شمس الدین بن قییم الجوزریه

وفی لیلۃ الخمیس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفی صاحبنا الشیخ الامام العلامة شمس الدین محمد بن أبی بکر بن أبوب الزرعی ، إمام الجوزیة ، وابن قییمها ، وصلى علیه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الاموی ، ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغیر رحمه الله . ولد فی سنة إحدى وتسعین وستائة وسمع الحدیث واشتغل بالعلم ، وبرع فی علوم متعددة ، لا سیما علم التفسیر والحدیث والأصلین ، ولما عاد الشیخ اتقى الدین ابن تیمیة من الدیار المصریة فی سنة ثلثی عشرة وسبعائة لازمه إلى أن مات الشیخ فأخذ عنه علما جماعا ، مع ما ساف له من الاشتغال ، فصار فریدا فی بابہ فی فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب لیللا ونهارا ، وكثرة الابتغال . وكان حسن القراءة والخلق ، كثير التردد لا یحسد أحدا ولا یؤذیه ، ولا یستعیه ولا یحقد حل أحد ، وكنت من أمحب الناس له وأحب

الناس إليه ، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه ، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان ، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله ، وله من النصايف الكبار والصفارشي كثير ، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا ، واقتنى من الكتب مالا يتنبأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف ، وبالجملة كان قليل الصبر في مجموعته وأمواله ، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة ، ساعه الله ورحمه ، وقد كان متصديا للأفتاء بمسألة الطلاق التي اخارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره ، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصلحون من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه ، وكل له من العمر ستون سنة رحمه الله .

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد ، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله ، انتهى والله تعالى أعلم .

ومن المجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر ، أنه بطل الوقيد بجماع دمشق في ليلة النصف من شعبان ، فلم يزد في وقيدته فتدليل واحد على عادة لياليه في سائر السنة والله الحمد والمنة . وفرح أهل العلم بذلك ، وأهل الديانة ، وشكروا الله تعالى على تبطل هذه البدعة الشنعاء ، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد ، والاستيجار بالجامع الأموي ، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه ، وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيب بيض الله وجهه ، وقد كان مقيا في هذا الحين بالديار المصرية ، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وغيرهما في إبطال هذه البدعة ، فأفند الله ذلك والله الحمد والمنة . وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا ، ولم سعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم يبسر الله ذلك إلا في عامنا هذا ، والمسؤول من الله إطالة عمر هذا السلطان ، ليعلم الجبهة الذين استقر في أذهانهم إذا بطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت ، وكان هذا لاحقيقة له ولادليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال .

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة ، فبا يتعلق بالفتاوى والمدارس ، وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية ، وكان بيده نصف تدريس الناصحية

التي احبها بالصلحية ، والنصف الآخر للشيخ شرف الدين ابن القاضي شرف الدين الحنبلي شيخ الحنابلة بدمشق ، فاستنجز مرسوماً بالنصف الآخر ، وكانت بيده ولاية متقدمة من القاضي علاء الدين ابن المنجا الحنبلي ، فعارضه في ذلك قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي ، وولى فيها نائبه شمس الدين بن منلق ، ودرس بها قاضي القضاة في صدر هذا اليوم ، فدخل القضاة الثلاثة الباقيون ومعهم الشيخ شرف الدين المذكور إلى نائب السلطنة ، وأنشأوا إليه صورة الحال ، فرسم له بالتدريس ، فركب القضاة المذكورون وبعض الحجاب في خدمته إلى المدرسة المذكورة ، واجتمع الفضلاء والأعيان ، ودرس الشيخ شرف الدين المذكور ، وبث فضائل كثيرة ، وفرح الناس .

وفي شوال كان في جملة من توجه إلى الحج في هذا العام نائب الديار المصرية ومدير ممالكها الأمير سيف الدين يلبغا الناصري ، ومعه جماعة من الأمراء ، فلما استقل الناس ذاهبين نهض جماعة من الأمراء على أخيه الأمير سيف الدين منجك ، وهو وزير الملكة ، وأستاذ دار الاستاذارية ، وهو باب الخواص في دولتهم ، وإليه يرسل ذوا الحاجات بالذهب والهدايا ، فأمسكوه وجاءت البريدية إلى الشام في أواخر هذا الشهر بذلك ، وبعد أيام يسيرة وصل الأمير سيف الدين شينخون ، وهو من أكابر الدولة المصرية تحت الترسيم ، فأدخل إلى قلعة دمشق ، ثم أخذ منها بعد ليلة فذهب به إلى الاسكندرية فافقه أعلم . وجاء البريد بالاحتياط على ديوانه وديوان منجك بالشام وأيس من سلامتهما ، وكذلك وردت الأخبار بمسك يلبغا في أثناء الطريق ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، وقدم أمير من الديار المصرية غلب الأمراء بالطاعة إلى السلطان ، وكذلك سار إلى حلب فغلب من بها من الأمراء ثم عاد إلى دمشق ثم عاد راجعاً إلى الديار المصرية ، وحصل له من الأموال شيء كثير من التواب والأمراء .

وفي يوم الخميس العشرين من ذي القعدة مسك الأميران الكبيران الشاميان المقدمان شهاب الدين أحمد بن صبح ، وملك آص ، من دار السعادة بحضرة نائب السلطنة والأمراء ورفعوا إلى القلعة المنصورة ، سير بهما ماشيين من دار السعادة إلى باب القلعة من ناحية دار الحديث ، وقيدا وسجنا بها ، وجاء الخبر بأن السلطان استوزر بالديار المصرية القاضي علم الدين زينور ، وخلع عليه خلة سنية ، لم يسمع مثلها من أعصار متقدمة ، وبأشر وخلع على الأمراء والمقدمين ، وكذلك خلع على الأمير سيف الدين طسبغا وأعيد إلى مباشرة الدويديارية بالديار المصرية ، وجعل مقدما .

وفي أوائل شهر ذي الحجة اشترى أن نائب صند شهاب الدين أحمد بن مشد الشربخانات طلب إلى الديار المصرية فامتنع من إجابة الداعي ، ونقض العهد ، وحصن قلعتها ، وحصل فيها عدداً ومدا وادخر أشياء كثيرة بسبب الإقامة بها والامتناع فيها ، فجاءت البريدية إلى نائب دمشق بأن يركب هو

وجميع جيش دمشق إليه ، فتحجز الجيش لذلك وتأهبوا ، ثم خرجت الأطلاب على راياتها ، فلما برز منها بعض بدا لنائب السلطنة فردهم وكان له خبرة عظيمة ، ثم استقر الحال على مجريد أربعة مقدمين بأربعة آلاف إليه .

وفي يوم الخميس ثاني عشره وقعت كائنة غريبة بمعنى وذلك أنه اختلف الأمراء المصريون والشاميون مع صاحب اليمن الملك المجاهد ، فاقتتلوا قتالا شديدا قريبا من وادي محسر ، ثم انجلت الوقعة عن أسر صاحب اليمن الملك المجاهد فدخل مقيدا إلى مصر ، كذلك جاءت بها كتب الحجاج وم أخبروا بذلك . واشتهر في أواخر ذي الحجة أن نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون الكامل قد خرج منها بماليكة وأصحابه فرام الجيش الحلبي رده فلم يستطيعوا ذلك ، وجرح منهم جراحات كثيرة ، وقتل جماعة فانا لله وإنا إليه راجعون ، واستمر ذاهبا وكان في أمه فيها ذكر أن يتلقى سيف الدين يلغا في أثناء طريق الحجاز فيتقدم معه إلى دمشق ، وإن كان نائب دمشق قد اشتغل في حصار صفد أن يهجم عليها بفتة فيأخذها ، فلما سار بمن معه وأخذته القطاع من كل جانب ونهبت حواصله وبقي تجريدة في نفر يسير من ماليكة ، فاجتاز بحمالة لهر به نائبها فأبى عليه ، فلما اجتاز بمحصر وطن نفسه على المسير إلى السلطان بنفسه ، فقدم به نائب محصر وتلقاه بعض الحجاب وبعض مقدمين الأنوف ودخل يوم الجمعة بعد الصلاة سابع عشرين الشهر ، وهو في أبهة ، فنزل بدار السعادة في بعض قاعات الدويدارية انتهى .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

استهل هذه السنة وسلطان البلاد الشامية والديار المصرية والحرمين الشريفين وما يلحق بذلك من الأقاليم والبلدان ، الملك الناصر حسن بن السلطان الملك محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين بلغا الملقب بحارس الطير ، وهو عوضا عن الأمير سيف الدين بلغا أروش الذى راح إلى بلاد الحجاز ، ومعه جماعة من الأمراء بقصد الحج الشريف ، فعزله السلطان في غيبته وأمسك على شيخون واعتقله ، وأخذ متجك الوزير ، وهو أستاذ دار ومقدم ألف ، واصطفى أمواله ، واعتاض عنه وولى مكانه في الوزارة القاضي علم الدين ابن زينور ، واسترجع إلى وظيفة الدويدارية الأمير سيف الدين طسبغا الناصرى ، وكان أميراً بالشام مقبلا منذ عزل إلى أن أعيد في أواخر السنة كما تقدم . وأما كاتب السر بمصر وقضاها فهم المذكورون في التى قبلها .

واستهل هذه السنة ونائب صفد حصن القلعة وأعد فيها عدتها وما يلغى لها من الأطعمة والذخائر والعدد والرجال ، وقد نابذ المملكة وحارب ، وقد قصدته العساكر من كل جانب من الديار

المصرية ودمشق وطرابلس وغيرها ، والأخبار قد ضمنت عن يلبغا ومن معه ببلاد الحجاز ما يكون من أمره ، ونائب دمشق في احتراز وخوف من أن يأتي إلى بلاد الشام فيدهمها بمن معه ، والقلوب وجلّة من ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها ورد الخبر أن صاحب اليمن حجاج في هذه السنة فوقع بينه وبين صاحب مكة عجلان بسبب أنه أراد أن يولى عليها أخاه بعشة ، فاشتكى عجلان ذلك إلى أمراء المصريين وكبيرهم إذ ذاك الأمير سيف الدين برلار ومعهم طائفة كثيرة ، وقد أمسكوا أخاهم يلبغا وقيدوه ، فقوى رأسه عليهم واستخف بهم ، فصبوا حتى قضى الحجاج وفرغ الناس من المناسك ، فلما كان يوم النفر الأول يوم الخميس توافقوا هم وهو تقتل من العريقين خلق كثير ، والأكثر من اليمنيين ، وكانت الوقعة قريسة من وادي محسر ، وبقي الحجاج خائفين أن تكون الدائرة على الأتراك فتهب الأعراب أموالهم ورجلهم قتلهم ، ففرج الله ونصر الأتراك على أهل اليمن ولجأ الملك المجاهد إلى جبل فلم يمهضه من الأتراك ، بل أسروه ذليلاً حقيراً ، وأخذوه مقيداً أسيراً ، وجاءت عوام الناس إلى اليمنيين فتهبوا شيتنا كثيراً ، ولم يتركوا لهم جليلاً ولا حقيراً ، ولا قلباً ولا كنيراً ، واحتاط الأمراء على حواصل الملك وأمواله وأمتته وأفقاله ، وساروا بخيله وجماله ، وأدلو على صناديد من رحله ورجاله ، واستحضروا معهم طفلاً الذي كان حاصر المدينة النبوية في العام الماضي وقيدوه أيضاً ، وجعلوا الغل في عنقه ، واستاقوه كما يستاق الأسير في وثاقه مصعوباً بهمه وحنقه ، والشمر وا عن تلك البلاد إلى ديارهم راجعين ، وقد فعلوا فعلة تذكر بهنهم إلى حين .

ودخل الركب الشامي إلى دمشق يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الحرم على العادة المستمرة والقاعدة المستقرة . وفي هذا اليوم قدمت البريدية من تلقاء مدينة صغد مخبرة بأن الأمير شهاب الدين أحمد ابن مشهد الشمرنجي ، الذي كان قد تمرد بها وطني وبنى حتى استحوذ عليها وقطع سبيلها وقتل الفرسان والرجال ، وملأها أطعمة وأسلحة ، ومما يليكه ورجاله ، فعند ما تحقق مسك يلبغا أروش خضعت تلك النفوس ، وخدت ناره وسكن شراره وحر بشاره ، ووضح قراره ، وأتاب إلى التوبة والاتلاع ، ورغب إلى السلامة والخلاص ، وخشع ولات حين مناص ، وأرسل سيفه إلى السلطان ، ثم توجه بنفسه على البريد إلى حضرة الملك الناصر والله المسؤول أن يحسن عليه وأن يقبل بقلبه إليه . وفي يوم الأحد خامس صفر قدم من الديار المصرية الأمير سيف الدين أرغون السكامل معاداً إلى نيابة حلب ، وفي صحبته الأمير سيف الدين طشبقا الدوادار بالديار المصرية ، وهو زوج ابنة نائب الشام ، فنلقاه نائب الشام وأعيان الأمراء ، ونزل طشبقا الدوادار عند زوجته بدار منجى في محلة مسجد القصب التي كانت تعرف بدار حنين بن حنذر ، وقد جددت في السنة الماضية ، وتوجهها في الليلة الثانية من قدمها إلى حلب . وفي يوم الأربعاء رابع عشر ربيع الأول اجتمع

القضاة الثلاثة وطلبوا الحنبلى لينكلموا معه فيما يتعلق بدار المعتمد التى بجوار مدرسة الشيخ أبى عمر، التى حكم بنقض وقفها وهدم بابها وإضافتها إلى دار القرآن المذكورة ، وجاء مرسوم السلطان يوفق ذلك ، وكان القاضى الشافعى قد أراد منعه من ذلك ، فلما جاء مرسوم السلطان اجتمعوا لذلك ، فلم يحضر القاضى الحنبلى ، قال حتى يجىء نائب السلطنة .

ولما كان يوم الخميس خامس عشر ربيع الأول حضر القاضى حسين ولد قاضى القضاة تقي الدين السبكى عن أبيه مشيخة دار الحديث الأشرفية وقرأ عليه شيء كان قد خرج له بعض المحدثين ، وشاع فى البلد أنه نزل له عنها ، وتكلموا فى ذلك كلاماً كثيراً ، وانتشر القول فى ذلك ، وذكر بعضهم أنه نزل له عن النزالية والعدالية ، واستخلفه فى ذلك فآله أعلم .

وفى سحر ليلة الخميس خامس شهر جمادى الآخرة وقع حريق عظيم بالجوانيين فى السوق الكبير واحترقت دكاكين الفواخرة والمناجلين ، وفرجة الغرايل ، وإلى درب القلى ، ثم إلى قريب درب العميد ، وصارت تلك الناحية دكا بلقما ، فآله وأبناؤه راجعون . وجاء نائب السلطنة بعد الاذان إلى هناك ورسم بطنى النار ، وجاء المتولى والقاضى الشافعى والحجاب ، وشرع الناس فى طنى النار ولو تركوها لأحترقت شيئاً كثيراً ، ولم يفقد فيها بائناً أحد من الناس ، ولكن هلك للناس شيء كثير من المتاع والأثاث والأملأك وغير ذلك ، واحترق للجامع من الرباع فى هذا الحريق ما يساوى مائة ألف درهم . انتهى والله أعلم .

وفى يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى استسلم القاضى الحنبلى جماعة من اليهود كان قد صدر منهم نوع استهزاء بالاملام وأهله ، فانهم حملوا رجلاً منهم صفة ميت على نعش وهلاون كتهليل المسلمين أمام الميت ويقرأون (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فسمع بهم من بحارتهم من المسلمين ، فأخذوهم إلى ولى الامر نائب السلطنة فدفعهم إلى الحبلى ، فاقضى الحال استسلامهم فأسلم يومئذ منهم ثلاثة وتبع أحدهم ثلاثة أطفال ، وأسلم فى اليوم اسانى ثمانية آخرون فأخذهم المسلمون وطافوا بهم فى الأسواق يهلاون ويكبرون ، وأعطاهم أهل الأسواق شيئاً كثيراً وراحوا بهم إلى الجامع فصلاواتهم أخذوهم إلى دار السعادة فاستطلقوا لهم شيئاً ، ورجعوا وهم فى ضجيج وتهليل وتقديس ، وكان يوماً مشهوداً والله الحمد والمنة . انتهى والله أعلم

ملكسة السلطان الملك الصالح

صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاووناه الحى فى العشر الأوسط من شهر رجب الفرد ورت البريدية من الديار المصرية بعزل السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر بن قلاوون لاختلاف الأمراء عليه ، واجتماعهم على أخيه الملك

الصلح، وأمه صلحة بنت ملك الأمراء تنكز الذي كان نائب الشام مدة طويلة، وهو ابن أربع عشرة سنة، وجاءت الأمراء للحلف، فدقت البشائر وزين البلد على العادة، وقيل إن الملك الناصر حسن خنق ورجعت الأمراء الذين كانوا باسكندرية مثل شيخون ومنجك وغيرهما، وأرسلوا إلى يلبغا بجىء به من السرك، وكان مسجوناً بها من مرجعه من الحج، فلما عاد إلى الديار المصرية شفع في صاحب اليمن الملك المجاهد الذي كان مسجوناً في السرك فأخرج وعاد إلى الديار الحجازية. وأما الأمراء الذين كانوا من ناحية السلطان حين مسك معارضة أمير أخور وميكي بنسا الفخرى وغيرهما، فاحتيط عليهم وأرسلوا إلى الاسكندرية، وخطب للملك الصالح بجامع دمشق يوم الجمعة السابع عشر من شهر رجب وحضر نائب السلطنة والأمراء والقضاة للدعاء له بالانصاف على العادة. وفي أثناء العشر الأخير من رجب عزل نائب السلطنة سيف الدين أيتمش عن دمشق مطلوباً إلى الديار المصرية فسار إليها يوم الخميس. وفي يوم الاثنين حادى عشر شعبان قدم الأمير سيف الدين أرغون السكالي الذي كان نائباً على الديار الحلبية من هناك، فدخل دمشق في هذا اليوم في أبهة عظيمة، وخرج الأمراء والمقدمون وأرباب الوظائف لتلقيه إلى أثناء الطريق، منهم من وصل إلى حانب وحماة وحصص، وجرى في هذا اليوم عجائب لم تر من دهور، واستبشر الناس به لصرامته وشهامته وحدته، وما كان من لين الذي قبله ورخاوته، فنزل دار السعادة على العادة. وفي يوم السبت وقف في موكب هائل قيل إنه لم ير مثله من مدة طويلة، ولما سير إلى ناحية باب الفرج اشتكى إليه ثلاث نسوة على أمير كبير يقال له الطرخاين، فأمر بانزله عن فرسه فأنزل وأوقف معهن في الحكومة، واستمر بطلان الوقيد في الجامع الأموي في هذا العام أيضاً كالذي قبله، حسب مرسوم السلطان الناصر حسن رحمه الله، وفرح أهل الخير بذلك فرحاً شديداً، وهذا شيء لم يعهد مثله من نحو ثلثمائة سنة والله الحمد والمنة، ونودي في البلد في هذا اليوم والذي بعده عن النائب: من وجد جندياً سكراناً فلينزله عن فرسه وليأخذ ثيابه، ومن أحضره من الجنود إلى دار السعادة فله خبزه، وفرح الناس بذلك واختبر على الخازين والمصارين، ورخصت الأعتاب وجادت الأخبار واللحم بعد أن كان باع كل رطل أربعة ونصف، فصار بدرهمين ونصف، وأقل، وأصلحت المعاش من هبة النائب، وصار له حيت حسن، وذكر جميل في الناس بالعدل وجودة التصدي وحمّة الفهم وقوة العدل والادراك.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شعبان وصل الأمير أحمد بن شاد الشر بنحماه الذي كان قد عصى في صند، وكان من أمره ما كان، فاعتقل بالاسكندرية ثم أخرج في هذه الدولة وأعطى نيابة حماة فدخل دمشق في هذا اليوم سائراً إلى حماة، فركب مع النائب مع الموكب وسير عن يمينه ونزل في خدمته

إلى دار السعادة ، ورحل بين يديه . وفي يوم الخميس الحادى والعشرين منه دخل الأمير سيف الدين يلبغا الذى كان نائباً بالديار المصرية ، ثم مسك بالحجاز وأودع السكر ، ثم أخرج فى هذه الدولة وأعطى نيابة حاب ، فتلقاه نائب السلطنة وأنزل دار السعادة حين أضافه . ونزل وطاقة بوطاة برزة وضربت له خيمة بالميدان الأخضر . ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة

استهلت هذه السنة وساطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحرمين الشرقيين وما يتبع ذلك الملك الصالح صلاح الدين ، صالح بن السلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، والخليفة الذى يدعى له المتضد بأمر الله ، ونائب الديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، وقضاة مصر المذكورون فى التى قبلها ، والوزير القاضى ابن زنبور ، وأولو الأمر الذين يدبرون المملكة فلا تصدر الأمور إلا عن آرائهم لصغر السلطان المذكور جماعة من أعيانهم ثلاثة سيف الدين شيخون ، وطار وحر عيش ، ونائب دمشق الأمير سيف الدين أرغون السكالى ، وقضاةهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب البلاد الحلبية الأمير سيف الدين يلبغا أروش ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد بن مشد الشريخانة ، ووصل بعض الحجاج إلى دمشق فى تاسع الشهر - وهذا نادر - وأخبروا بموت المؤذن شمس الدين بن سعيد بعد منزلة العلامة فى المدايع . وفى ليلة الاثنين سادس عشر صفر فى هذه السنة وقع حريق عظيم عند باب جيرون شرقه فاحترق به دكان القضاة الكبيرة المزخرفة ومحولها ، واتسع اتساعاً عظيماً ، واتصل الحريق بالباب الأصغر من النحاس ، فبادر ديوان الجامع إليه فكشطوا ما عليه من النحاس ونقلوه من يومه إلى خزانة الحاصل ، بمصورة الحلبية ، بمشهد على ، ثم عدوا عليه يكسرون خشبه بالفؤس الحديد ، والسواعد الشداد ، وإذا هو من خشب الصنوبر الذى فى غاية ما يكون من القوة والثبات ، وتأسف الناس عليه لكونه كان من محاسن البلد ومآله . وله فى الوجود ما يذيف عن أربعة آلاف سنة . انتهى والله أعلم .

ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق

الذى كان هلاكه وذهابه وكسره فى هذه السنة ، وهو باب سر فى جامع دمشق لم يرباب أوسع ولا أعلى منه ، فيما يعرف من الابنية فى الدنيا ، وله علمان من نحاس أصفر بمسامير نحاس أصفر أيضاً بارزة ، من عجائب الدنيا ، ومحاسن دمشق ومآله ، وقد تم بناؤها . وقد ذكرته العرب فى أشعارها والناس وهو منسوب إلى ملك يقال له جيرون بن سعد بن عاد بن عوص بن آدم بن سام بن نوح ، وهو الذى بناه ، وكان بناؤه له قبل الخليل عليه السلام ، بل قبل نوح وهود أيضاً ، على ما ذكره الحافظ ابن عساكر فى تاريخه وغيره ، وكان فوقه حصن عظيم ، وقصر منيف ، ويقال بل هو منسوب إلى اسم المارد الذى بناه سليمان عليه السلام ، وكان اسم ذلك المارد جيرون ، والأول أظهر

وأشهر ، فعلى الأول يكون لهذا الباب من الممدد المتطاولة ما يقارب خمسة آلاف سنة ، ثم كان التجماف هذا الباب لا من تلقاء نفسه بل بالأيدى العاديه عليه ، بسبب ما ناله من شوط حريق اتصل إليه حريق وقع من جانبه في صبيحة ليلة الاثنين السادس عشر من صفر ، سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة فتبادر ديوان الجامعة ففرقوا شمله وقضوا ثمله ، وعروا جلده النحاس عن بدنه الذى هو من خشب الصنوبر ، الذى كان الصانع قد فرغ منه يومئذ ، وقد شاهدت النفوس تعمل فيه ولا تسكاد تحيل فيه إلا بمشقة ، فسبحان الذى خلق الذين بنوه أولاً ، ثم قدر أهل هذا الزمان على أن هدموه بعد هذه الممدد المتطاولة ، والآن المنداوله ، ولكن لعل كتاب ، ولا إله إلا رب العباد .

بيان تقدم مدة هذا الساب وزياتها على مدة أربعة آلاف سنة بل يقارب الخمسة

ذكر الحافظ ابن عساكر في أول تاريخه باب بناء دمشق بسنده عن القاضي يحيى بن حمزة الزبائى الحاكم بها في الزمن المتقدم ، وقد كان هذا القاضي من تلاميذ ابن عمر والأوزاعى ، قال . لما فتح عبد الله بن على دمشق بعد حصارها - يعنى وانتزعها من أيدي بنى أمية وسلمهم ملكهم - هدموا سور دمشق فوجدوا حجراً مكتوباً عليه باليونانية ، فجاء راهب فقرأه لهم ، فاذا هو مكتوب عليه : ويك أرم الجبابرة من راسك بسره قصه الله ، إذا وهى منك جبرون العربى باب البريد وتلك من خمسة أعين ينقض سورك على يديه ، بعد أربعة آلاف سنة تميشين رغماً ، فاذا وهى منك جبرون الشرقى أوئل لك من يعرض لك ، قال : فوجدنا الحسة أعين عبد الله بن على بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب ، عين بن عين بن عين بن عين بن عين ، فهذا يقتضى أنه كان بسورها سنينا إلى حين إخرابه على يد عبد الله بن على أربعة آلاف سنة ، وقد كان إخرابه له في سنة ثنتين وثلاثين ومائة كما ذكرنا في النار يخ السكبير ، فعلى هذا يكون لهذا الساب إلى يوم خرب من هذه السنة - أعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائة - أربعة آلاف وستمائة وإحدى وعشرين سنة ، والله أعلم . وقد ذكر ابن عساكر عن بعضهم أن نوحاً عليه السلام هو الذى أسس دمشق بعد حران وذلك بعد مضي الطوفان ، وقيل بناها دمسقس غلام ذى القرنين عن إشارته ، وقيل عاد الملقب بدمشيق وهو غلام الخليل ، وقيل غير ذلك من الأقوال ، وأظهرها أنهم بناء اليونان ، لأن محاريب معابدها كانت موجهة إلى القطب الشمالى ، ثم كان يدمم النصرارى فصلوا فيها إلى الشرق ، ثم كان فيها يدمم أجمعين أمة المسلمين فصلوا إلى السكبية المشرفة . وذكر ابن عساكر وغيره أن أبوابها كانت سبعة كل منها يتخذ عنده عيد لهيكل من الهياكل السبعة ، فباب القمر باب السلامة ، وكانوا يسمنونه باب الفرائيس الصغير ، ولطارد باب الفرائيس الكبير ، والمزهر باب توما ، وللشمس الباب الشرقى ، وللربيع باب الجابية ، وللشترى باب الجابية الصغير ، ولزحل باب كيسان .

وفي أوائل شهر رجب الفرداشتهر أن نائب حلب يلبيغا أروش اتفق مع نائب طرابلس بكلمش ، ونائب حلب أمير أحمد بن مشد الشر بخانة على الخروج عن طاعة السلطان حتى يسك شيخون وطار ، وهما عضدا الدولة بالديار المصرية ، وبعثوا إلى نائب دمشق وهو الأمير سيف الدين أرغون الكاملي فأبى عليهم ذلك ، وكاتب إلى الديار المصرية بما وقع من الأمر ، وانزعج الناس لذلك ، وخافوا من غائلة هذا الأمر ، وبالله المستعان . ولما كان يوم الاثنين ثامن الشهر جمع نائب السلطنة الأمراء عنده بالقصر الأباقي واستحلهم بيعة أخرى لنائب السلطنة الملك الصالح ، فخلعوا واتفقوا على السمع والطاعة والاستمرار على ذلك . وفي ليلة الاربعاء سابع عشر رجب جاءت الجبلية الذين جمعهم من البقاع لأجل حفظ ثنية العقاب من قدوم العساكر الحلبية ، ومن معهم من أهل طرابلس وحماة ، وكان هؤلاء الجبلية قريبا من أربعة آلاف ، فحصل بسببهم ضرر كثير على أهل برزة وما جاورهم من الثمار وغيرها .

وفي يوم السبت العشرين منه ركب نائب السلطنة سيف الدين أرغون ومعه الجيوش الدمشقية قاصدين ناحية الكسوة ليلا يقاتلون المسلمين ولم يبق في البلد من الجند أحد ، وأصبح الناس وليس لهم نائب ولا عسكر ، وخلت الديار منهم ، ونائب الغيبة الأمير سيف الدين الجلي بغا العسادي ، وانتقل الناس من البساتين ومن طرف العقبية وغيرها إلى المدينة ، وأكثر الأمراء نقلت حواصلهم وأهاليهم إلى القلعة المنصورة ، فانافه وإنا إليه راجعون . ولما اقترب دخول الأمير يلبيغا بن معه انزعج الناس وانتقل أهل القرى الذين في طريقه ، وسرى ذلك إلى أطراف الصالحية والبساتين وحواضر البلد ، وغاقت أبواب البلد إلى ما يلي القلعة ، كسب النصر وباب الفرج ، وكذا باب الفردائس ، ونحلت أكثر الحمال من أهاليهم ، ونقلوا حوائجهم وحواصلهم وأنعمهم إلى البلد على الدواب والحمالين ، وبأنهم أن أطراف الجيش انتهبوا ما في القرى في طريقهم من الشعير والتبن وبعض الانعام الأكل . وربما وقع فساد غير هذا من بعض الجهة ، تخاف الناس كثيرا وتشوشت خواطرم انتهى .

دخول يلبيغا أروش إلى دمشق

ولما كان يوم الاربعاء الرابع والعشرين من رجب دخل الأمير سيف الدين يلبيغا أروش نائب حلب إلى دمشق الحروسية بن معه من العساكر الحلبية وغيرهم وفي صحبته نائب طرابلس الأمير سيف الدين بكلمش ، ونائب حماة الأمير شهاب الدين أحمد ، ونائب صفد الأمير علاء الدين طيبيغا ، ملقب برناق ، وكان قد توجه قبله ، قبل بيوم ، ومعه نواب قلاع كثيرة من بلاد حلب وغيرها ، في عدد كثير من الأتراك والتركمان ، فوقف في سوق الخيل مكان نواب السلطان تحت القلعة ، واستعرض الجيوش الذين وفدوا معه هنالك ، فدخلوا في تجمل كثير ، ملبسين ، وكان عدة

من كان معه من أسراء الطليخانات قريباً من ستين أميراً أو يزيدون أو ينقصون ، على ما استفاض
عن غير واحد من شاهد ذلك ، ثم سار قريباً من الزوال للمخيم الذي ضرب له قبل مسجد القدم
عند قبة يلبغا ، عند الجدول الذي هنالك ، وكان يوماً مشهوداً هائلاً ، لما عين الناس من كثرة الجيوش
والعدد ، وعذر كثير من الناس صاحب دمشق في ذهابه بمن معه لثلا يقابل هؤلاء . ففسأل الله أن
يجمع قلوبهم على ما فيه صلاح المسلمين . وقد أرسل إلى نائب القلعة وهو الأمير سيف الدين إياجي
يطلب منه حواصل أرغون التي عنده ، فامتنع عليه أيضاً ، وقد حصن القلعة وسترها وأرصد فيها
الرجال والرماة والعدد ، وهيانها بعض المجانيق ليعمد بها فوق الأبرجة ، وأمر أهل البلد أن لا يفتحوا
الدكاكين ويغلقوا الأسواق ، وجعل يغلّق أبواب البلد إلا باباً أو بابين منها ، واشتد حنق السكر
عليه ، وهما بأشياء كثيرة من الشر ، ثم يرمون عن الناس والله المسلم ، غير أن إقبال السكر
وأطرافه قد عاثوا فيها جاورهم من القرايا والبساتين والكروم والزروع فيأخذون ما يأكلون وتأكل
دوابهم ، وأكثر من ذلك فأن الله وإنا إليه راجعون . ونهبت قرايا كثيرة وفجروا بنساء وبنات ،
وعظم الخطف ، وأما التجار ومن يذكر بكثرة مال فأكثرهم مخنف لا يظهر لما يخشى من المصادرة ،
فسأل الله أن يحسن عاقبتهم .

واستهل شهر شعبان وأهل البلد في خوف شديد ، وأهل القرايا والخواضر في قلة أئانهم وبقارهم
ودوابهم وأبنائهم ونسائهم ، وأكثر أبواب البلد مغلقة سوى بابي الفراديس والجالية ، وفي كل يوم
نسمع بأمور كثيرة من النهب للقرايا والخواضر ، حتى انتقل كثير من أهل الصالحية أو أكثرهم ،
وكذلك من أهل العقبة وسائر خواضر البلد ، فنزلوا عند معارفهم وأصحابهم ، ومنهم من نزل على قارعة
الطريق بنسائهم وأولادهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وقال كثير من المشايخ الذين
أدركوا زمن قازان : إن هذا الوقت كان أصعب من ذلك لما ترك الناس من ورائهم من الغلات والثمار
التي هي عمدة قوتهم في سنتهم ، وأما أهل البلد ففي قلق شديد أيضاً لما يبلنهم عنهم من الفجور
بالنساء ، ويجعلون يدعون عقيب الصلوات عليهم يصرحون بأسمائهم ويعنون بأسماء أمرائهم وأتباعهم
ونائب القلعة الأمير سيف الدين إياجي في كل وقت يسكن جاش الناس ويقوى عزيمتهم ويبشرهم بخروج
المساكر المنصورة من الديار المصرية بحجة السلطان إلى بلاد غزة حيث الجيش الدمشقي ، ليجيئوا
كلهم في خدمته وبين يديه ، وتصدق البشار فيفرح الناس ثم تسكن الأخبار وتبطل الروايات فتتلق
ويخرجون في كل يوم وساعة في تجميل عظيم ووعد وهيات حسنة ، ثم جاء السلطان أيده الله تعالى
وقد ترجل الأمراء بين يديه من حين بسط له عند مسجد الدبان إلى داخل القلعة المنصورة ، وهو
لا لبس قباء أحمر له قيمته على فرس أصيلة مؤدبة معلقة المشى على القوس لا تحيد عنه ، وهو حسن

الصورة مقبول الطلعة ، عليه بهاء المملكة والرياسة ، وانحرف فوق رأسه يحمله بعض الأمراء الأكبر ، وكما عينه من عينه من الناس يبتهلون بالدعاء بأصوات عالية ، والنساء بالزغرطة ، وفرح الناس فرحا شديدا ، وكان يوما مشهودا ، وأمرأ حميدا ، جعله الله مباركا على المسلمين . فنزل بالقلمة المنصورة ، وقد قدم معه الخليفة المعتضد أبو الفتح بن أبي بكر المستكني بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وكلف راكباً إلى جانبه من ناحية اليسار ، ونزل بالمدرسة الدماغية في أواخر هذا اليوم سائر الأمراء مع نائب الشام ، ومقدمهم طار وشيخون في طلب يلبغا ومن معه من البغاة المفسدين .

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر السلطان أيده الله إلى الجامع الأموي وصلى فيه الجمعة بالمشهد الذي يصلى فيه نواب السلطان أيده الله ، فكثرت الدعاء والحبة له ذاهباً وآيياً تقبل الله منه ، وكذلك فعل الجمعة الأخرى وهي تاسع الشهر . وفي يوم السبت عاشره اجتمعنا - يقول الشيخ عماد الدين بن كثير المصنف رحمه الله - بالخليفة المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر بن المستكني بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد ، وسلمنا عليه وهو نازل بالمدرسة الدماغية ، داخل باب الفرج وقرأت عنده جزءاً فيه ما رواه أحمد بن حنبل عن محمد بن إدريس الشافعي في مسنده ، وذلك عن الشيخ عز الدين بن الضيا الحموي بسامعه من ابن البخاري ، وزينب بنت مكي عن أحمد بن الحسين عن ابن المذهب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه فذكرهما ، والمقصود أنه شاب حسن الشكل مليح الكلام متواضع جيد الفهم حلو العبارة رحم الله سلفه .

وفي رابع عشره قدم البريد من بلاد حلب بسيفوف الأمراء المسوكين من أصحاب يلبغا . وفي يوم الخميس خامس عشره نزل السلطان الملك الصالح من الطارمة إلى القصر الأبق في أبهة المملكة ، ولم يحضر يوم الجمعة إلى الصلاة ، بل اقتصر على الصلاة بالقصر المسدور . وفي يوم الجمعة باكر النهار دخل الأمير سيف الدين شيوخون ، وطار بمن معه من العساكر من بلاد حلب ، وقد فات تدارك يلبغا وأصحابه لدخولهم بلاد زلفادار التركمانى بمن بقى معهم ، وهم القليل ، وقد أسرجا من الأمراء الذين كانوا معه ، وهم في القيود والسلاسل محببة الأميرين المذكورين ، فدخل على السلطان وهو بالقصر الأبق فسلمنا عليه وقبلنا الأرض وهنأه بالعيد ، ونزل طار بدار أيتمش بالشرق الشمالى ، ونزل شيوخون بدار إياس الحاجب بالقرب من الظاهرية البرانية ، ونزل بقية الجيش في أرجاء البلد ، وأما الأمير سيف الدين أرغون فأقام بحلب نائباً عن سؤاله إلى ما ذكر ، وخوطلب في تقليده باللقاب هائلة ، ولبس خلعة سنية ، وعظم تعظيماً زائداً ، ليكون هناك إلماً على يلبغا وأصحابه لشدة مايينهما من العداوة . ثم صلى السلطان بمن معه من المصريين ومن انضاف إليهم من الشاميين صلاة عيد الفطر

بالميدان الأخضر ، وخطب بهم القاضي تاج الدين المناوي المصري . قاضي العسكر المصري بموسم
السلطان وذويه ، وخلع عليه . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا

وفي يوم الاثنين ثالث شوال قبل العصر ركب السلطان من القصر إلى الطارمة وعلى رأسه القبة
والطير يحملهما الأمير بدر الدين بن أنطاير ، فجلس في الطارمة ووقف الجيش بين يديه تحت القلعة
وأحضروا الأمراء الذين قدهوا بهم من بلاد حلب ، فجعلوا يوقفون الأمير منهم ثم يشاورون عليه
فمنهم من يشفع فيه ومنهم من يؤمر بتوسطه ، فوسط سبعة : خمس طبلخانات ومقدما ألف ، منهم
نائب صفد برناق وشفع في الباقيين فردوا إلى السجن ، وكانوا خمسة آخرين وفي يوم الأربعاء خامسه
مسك جماعة من أمراء دمشق سبعة وتحولت دول كثيرة ، وتأمر جماعة من الأجناد وغيرهم انتهى
خروج السلطان من دمشق متوجهاً إلى بلاد مصر

وفي يوم الجمعة سابع شوال ركب السلطان في جيشه من القصر الأتليق قاصداً لصلاة الجمعة بالجامع
الأموي ، فلما انتهى إلى باب النصر ترجل الجيش بكاله بين يديه مشاة ، وذلك في يوم شات كثير الوحل
فصلى بالمقصورة إلى جانب المصحف الثماني ، وليس معه في الصف الأول أحد ، بل بقيّة
الأمراء خلفه صفوف ، فسمع خطبة الخطيب ، ولما فرغ من الصلاة قرأ كتاب باطلاق أعشار
الأوقاف ، وخرج السلطان بمن معه من باب النصر ، فركب الجيش واستقل ذاهبا نحو الكسوة بمن
معه من العساكر المنصورة ، مصحوبين بالسلامة والعافية المستمرة ، وخرج السلطان وليس بدمشق
نائب سلطنة ، وبها الأمير بدر الدين بن الخطاير هو الذي يتكلم في الأمور نائب غيبة ، حتى يقدم
إليها نائبها ويتمين لها ، وجاءت الأخبار بوصول السلطان إلى الديار المصرية سالماً ، ودخلها في أبهة
عظيمة في أواخر ذي القعدة ، وكان يوماً مشهوداً ، وخلع على الأمراء كلهم ولبس خلعة نيابة الشام
الأمير علاء الدين المارداني ، ومسك الأمير علم الدين بن زنبور وتولية الوزارة صاحب موفق
الدين . وفي صبيحة يوم السبت خاض الحجة دخل الأمير علاء الدين على الجدار من الديار المصرية
إلى دمشق المحروسة في أبهة هائلة ، وهو كب حافل يستوليا نيابة بها ، وبين يديه الأمراء على العادة ،
فوقف عند تربة بهادر آص حتى استعرض عليه الجيش فالحقهم ، فدخل دار السعادة فتنزلها على
عادة النواب قبله ، جملة الله وجها مباركا على المسلمين . وفي يوم السبت ثالث عشره قدم دوا دار
السلطان الأمير عز الدين مغلطاي من الديار المصرية فنزل القصر الأتليق ، ومن عزمه الذهاب إلى
البلاد الحلبية ليجهز الجيوش نحو يلبغا وأصحابه انتهى والله تعالى أعلم .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبع مائة

استهل هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والبلاد الشامية والمملكة الحلبية وما والاها والحرمين الشريفين الملك الصالح صلاح الدين صالح بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ونائبه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبلاى ، والمشار إليهم فى تدبير المملكة الأمراء سيف الدين شيعون ، وسيف الدين طار ، وسيف الدين صرغتمش الناصرى ، وقضاة القضاة وكاتب السر هناك هم المذكورون فى السنة الماضية ، ونائب حلب الأمير سيف الدين أرغون السكالى ، لأجل مقاتلة أولئك الأمراء الثلاثة يلبغا وأمير أحمد وبكلمش الذين فعلوا ما ذكرنا فى رجب من السنة الماضية ، ثم لجأوا إلى بلاد البليسين فى خفارة زلفادر التركانى ، ثم إنه احتال عليهم من خوفه من صاحب مصر وأسلمهم إلى قبضة نائب حلب المذكور ، ففرح المسلمون بذلك فرحا شديداً ، ولله الحمد والمنة ، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أيتمش الذى كان نائب دمشق كما ذكرنا ، تقلبت به الأحوال حتى استنصب فى طرابلس حين كان السلطان بدمشق كما تقدم ،

واستهل هذه السنة وقد تواترت الأخبار بأن الأمراء الثلاثة يلبغا وبكلمش وأمير أحمد قد حصلوا فى قبضة نائب حلب الأمير سيف الدين أرغون ، وهم مسجونون بالقلمة بها ، ينتظر ما يرسم به فيهم ، وقد فرح المسلمون بذلك فرحا شديداً . وفى يوم السبت سابع عشر المحرم وصل إلى دمشق الأمير عز الدين منطماى الدويدار عائداً من البلاد الحلبية ، وفى صحبته رأس يلبغا الباغى أمكن الله منه بعد وصول صاحبيه بكلمش الذى كان نائباً بطرابلس ، وأمير أحمد الذى كان نائب حماة فقامت رؤسهما بحجاب بين يدي نائبها سيف الدين أرغون السكالى ، وسيرت إلى مصر ، ولما وصل يلبغا بعدها فمل به كنفعلهما جبهة بعد العصر بسوق الخليل بين يدي نائب السلطنة والجيش برمته والعامه على الأحاجير يتفرجون ويفرحون بمصرعه ، وسر المسلمون كلهم ولله الحمد والمنة .

وفى يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول أقيمت جمعة جديدة بمحلة الشاغور بمسجد هناك يقال له مسجد المزار ، وخطب فيه جمال الدين عبد الله بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ، ثم وقع فى ذلك كلام فأنفضى الحال أن أهل المحلة ذهبوا إلى سوق الخليل يوم موكبه ، وحلوا سناجق خليفتين من جامهم ومصاحف واشتملوا إلى نائب السلطنة وسألوا منه أن تستمر الخطبة عندهم ، فأجابهم إلى ذلك فى الساعة الراحنة ، ثم وقع نزاع فى جواز ذلك ، ثم حكم القاضى الحنبلى لهم بالاستمرار ، وجرى خطوب طويلاً بعد ذلك .

وفى يوم الأحد سابع ربيع الآخر توفى الأمير الكبير سيف الدين ألقى بن العادلى ، ودفن بتربته التى كان أنشأها قديماً ظاهر باب الجابية ، وهى مشهورة تعرف به ، وكان له فى الامرة قريباً

من ستين سنة ، وقد كان أصابه في نوبة أرغون شاه وقضيته ضربة أصابت يده اليمنى ، واستمر مع ذلك على إمرته وتقدمته محترماً معظماً إلى أن توفي رحمة الله تعالى عليه .

ذكر أمر غريب جداً

لما ذهبت لتهنئة الأمير ناصر الدين ابن الأتوقس بذيابة بملكك وجدت هناك شاباً فذكر لي من حضر أن هذا هو الذي كان أنثى ثم ظهر له ذكر ، وقد كان أمره اشتهر ببلاد طرابلس ، وشاع بين الناس بدمشق وغير ذلك ، وتحدث الناس به ، فلما رأيته وعليه قبعة تركية استدعيتني إلى مسالته بمحضرة من حضر ، فقالت له : كيف كان أمرك ؟ فاستحي وعلاه خجل يشبه النساء ، فقال : كنت امرأة مدة خمس عشرة سنة ، وزوجتي بثلاثة أزواج لا يقدر على ، وكلهم يطلق ثم اعترضني حال غريب فغارت ثدياي وصغرت ، وجعل النوم يعتريني ليلاً ونهاراً ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليل ، ويتزايد حتى برز شبه ذكر وأنثيان ، فسألته أهو كبير أم صغير ؟ فاستحي ثم ذكر أنه صغير بقدر الأصبع ، فسألته هل احتمل ؟ فقال احتمل مرتين منذ حصل له ذلك ، وكان له قريباً من ستة أشهر إلى حين أخبرتني ، وذكر أنه يحسن صنعة النساء كلها من الغزل والتطريز والزركاش وغير ذلك ، فقلت له ما كان اسمك وأنت على صفة النساء ؟ فقال : نفيسة ، فقلت : واليوم ؟ فقال عبد الله ، وذكر أنه لما حصل له هذا الحال كتمه عن أهله حتى عن أبيه ، ثم عزمو على تزويجه على رابع فقال لا ، إن الأمر ما صفته كيت وكيت ، فلما اطاع أهله على ذلك أعلموا به نائب السلطنة هناك ، وكتب بذلك محضراً واشتهر أمره ، فقدم دمشق ووقف بين يدي نائب السلطنة بدمشق ، فسأله فأخبره كما أخبرتني ، فأخذ الحاجب سيف الدين كحلان ابن الأتوقس عنده وألبسه ثياب الاجناد ، وهو شاب حسن ، على وجهه وممته ومشيته وحديثه أنوثة النساء ، فسبحان الفعال لما يشاء ، فهذا أمر لم يقع مثله في العالم إلا قليلاً جداً ، وعندى أن ذكره كان غائراً في جوزة طبر فافرخا^(١) ثم لما بلغ ظهر قليلاً قليلاً ، حتى تكامل ظهوره فتبينوا أنه كان ذكراً ، وذكر لي أن ذكره برز مخنونا فسمى ختان القمر ، فهذا يوجد كثيراً والله أعلم .

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رجب قدم الأمير عز الدين بقطية الدويدار من الديار الحلبية وخبرها اتفاق عليه العساكر الحلبية من ذهابهم مع نائبهم ونواب تلك الحصون وعساكر خلف بن زلغادر التركاني ، الذي كان أعان يلبغا وذويه على خروجه على السلطان ، وقدم معه إلى دمشق وكان من أمره ما تقدم بسطه في السنة الماضية ، وأنهم نهبوا أمواله وحواصله ، وأسرأوا خلقاً من بنيه وذويه وحر به ، وأن الجيش أخذ شيئاً كثيراً من الأغنام والأبقار والقيق والدواب والامتعة وغير ذلك ، وأنه لجأ إلى ابن أرطنا فاحتاط عليه واعتقله عنده ، وراسل السلطان بأمره ففرح الناس

(١) كذا بالأصل .

راحة الجيش الحلبي وسلامته بعدما قاسوا شديداً وتعباً كثيراً . وفي يوم الأربعاء ثالث عشره كان قدوم الأمراء الذين كانوا مسجونين بالاسكندرية من لدن عود السلطان إلى الديار المصرية ، ممن كان اثمهم بمالأة يلبغا أو خدمته ، كلاً مير سيف الدين ملك أجي ، وعلاء الدين على السيمقدار ، وساطلمس الجلالى ومن معهم .

وفي أول شهر رمضان اتفق أن جماعة من المغنيين أفتوا بأحد قولى العلماء ، وهما وجهان لأصحابنا الشافعية وهو جواز استعادة ما استهدم من الكنائس ، فتهصب عليهم قاضى القضاة تقي الدين السبكي فقرعهم في ذلك ومنعهم من الافشاء ، وصنف في ذلك مصنفات يتضمن المنع من ذلك سماه « الدسائس في الكنائس » ، وفي خامس شهر رمضان قدم بالأمير أبو النادر التركاني الذي كان مؤازراً ليلبغا في العام الماضي دلى تلك الأفاعيل القبيحة ، وهو مضيق عليه ، فأحضر بين يدي النائب ثم أودع القلعة المنصورة في هذا اليوم . ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبع مائة

استهات هذه السنة وساططان الديار المصرية والبلاد الشامية وما يتبع ذلك والحرمين الشريفين وما والاها من بلاد الحجاز وغيرها الملك الصالح صلاح الدين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وهو ابن بنت تنكز نائب الشام ، وكان في الدولة الناصرية ، وقائمه بالديار المصرية الأمير سيف الدين قبالى الناصرى ، ووزيره القاضى موفق الدين ، وقضاة مصرهم المذكورون في العام الماضي ، ومنهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة الشافى ، وقد جاور في هذه السنة في الحجاز الشريف ، والقاضى تاج الدين المناوى يسد المنصب عنه ، وكاتب السر القاضى علاء الدين ابن فضل الله المدوى ، ومدبروا المملكة الأمراء الثلاثة سيف الدين شيخون ، ومصر فتمش الناصرى والأمير الكبير الدوادار عز الدين مغلطى الناصرى . ودخلت هذه السنة والأمير سيف الدين شيخون في الاحداث من مدة شهر أو قريب ونائب دمشق الأمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون في التى قبلها ، وناظر الدواوين الصاحب فحمس الدين موسى بن الناج إسحاق وكاتب السر القاضى ناصر الدين بن الشرف يعقوب ، وخطيب البلد جمال الدين محمود بن جملة ، ومحاسبه الشيخ علاء الدين الانصارى ، قريب الشيخ بهاء الدين بن إمام المشهد ، وهو مدرس الأينية مكانه أيضا .

وفي شهر ربيع الآخر قدم الأمير علاء الدين مغلطى الذى كان مسجوناً بالاسكندرية ثم أفرج عنه ، وقد كان قبل ذلك هو الدولة ، وأمر بالمسير إلى الشام ليكون عند حمزة أيتمش نائب طرابلس ، وأما منجك الذى كان وزيره بالديار المصرية وكان معتقلاً بالاسكندرية مع مغلطى ، فانه صار إلى صفد مقبلاً بها بطلا ، كما أن مغلطى أمر بالقام بطرابلس بطلا إلى حين يحكم الله عز وجل

انتهى والله أعلم .
نادرة من الغرائب

في يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى اجتاز رجل من الروافض من أهل الحلة بجماع دمشق وهو يسب أول من ظلم آل محمد ، ويكرر ذلك لا يفتر ، ولم يصل مع الناس ولا صلى على الجنازة الحاضرة ، على أن الناس في الصلاة ، وهو يكرر ذلك ويرفع صوته به ، فلما فرغنا من الصلاة نهت عليه الناس فأخذوه وإذا قاضى القضاة الشافعى في تلك الجنازة حاضر مع الناس . فنجت إليه واستنطقته من الذى ظلم آل محمد ؟ فقال : أبو بكر الصديق ، ثم قال جبهة والناس يسمعون : لعن الله أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ، فأعاد ذلك مرتين ، فأمر به الحاكم إلى السجن ، ثم استحضره المالكى وجلده بالسياط ، وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن والكلام الذى لا يصدر إلا عن شقى ، واسم هذا اللعين على بن أبى الفضل بن محمد بن حسين بن كثير قبيحه الله وأخزاه ، ثم لما كان يوم الخميس سابع عشره عقد له مجلس بدار السعادة وحضر القضاة الأربعة وطلب إلى هنالك فقد رآه أن حكم نائب المالكى بقتله ، فأخذ سريما فضرب عنقه تحت القلمة وحرقة العمامة وطاقوا برأسه البلد وفادوا عليه هذا جزاء من سب أصحاب رسول الله (ص) ، وقد ناظرت هذا الجاهل بدار القاضى المالكى وإذا عنده شئ مما يقوله الرافضة العلاء ، وقد تناقوا عن أصحاب ابن مطهر أشياء في الكفر والزندقة ، قبحه الله وإياه . وورد الكتاب بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية .

وفي يوم الجمعة ثامن عشر رجب الفرد قرى بجماع دمشق بالمقصورة بمحضرة نائب السلطنة وأمراء الأعراب ، وكبار الأمراء ، وأهل الحل والعقد والعمامة كتاب السلطان بالزام أهل الذمة بالشروط العمرية وزيادات أخر : منها أن لا يستخدموا في شئ من الدواوين السلطانية والأمراء ولا في شئ من الأشياء ، وأن لا تزيد عمامة أحدهم عن عشرة أذرع ولا يركبوا الخيل ولا البغال ولكن الخيل بالأكف عرضا ، وأن لا يدخلوا إلا بالعلامات من جرس أو بخاتم نحاس أصفر ، أو رصاص ، ولا تدخل نسائهم مع المسلمات الحلمات ، وليكن لهن حمائم تختص بهن ، وأن يكون إزار النصرانية من كتان أزرق ، واليهودية من كتان أصفر ، وأن يكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ، وأن يحكم حكم مواريثهم على الأحكام الشرعية .

واحتقرت بأسورة باب الجابية في ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة ، وعدم المسلمون تلك الاطعامات والحواصل النافعة من الباب الجوانى إلى الباب البرانى . وفي مستهل شهر رمضان عمل الشيخ الامام العالم البارع شمس الدين - بن النقاش المصرى الشافعى - ورد دمشق بالجامع الاموى فجاه محراب الصحابة ، ميمادا لاودظ واجتمع عنده خلق من الأعيان والفضلاء والعمامة ، وشكروا كلامه وطلاقة عبارته ، من غير تلعثم ولا تخطيط ولا توقف ، وطال ذلك إلى قريب العصر .

وفي صبيحة يوم الأحد ثالثه صلى بجامع دمشق بالصحن تحت النسر على القاضي كمال الدين حسين ابن قاضي القضاة آقاي الدين السبكي الشافعي، ونائبه، وحضر نائب السلطنة الامير علاء الدين علي، وقضاة البلد والأعيان والدولة وكثير من العامة، وكانت جنازته محسودة، وحضر والده قاضي القضاة وهو بهادي بين رجلين، فظهر عليه الحزن والسكابة، فصلى عليه إماماً، وتأسف الناس عليه لسماحة أخلاقه وانجماعه على نفسه لا يتمدى شره إلى غيره، وكان يحكم جيداً نظيف العرض في ذلك، وكان قد درس في عدة مدارس، منها الشامية البرانية والمذراوية، وأفقي وقصدر، وكانت لديه فضيلة جيدة بالنحو والفقه والفرائض وغير ذلك، ودفن بسفح قاسيون في تربة معروفة لهم ورحمهم الله. عودة الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

وذلك يوم الاثنين ثاني شهر شوال اتفق جمهور الأمراء مع الامير شيخون وصرغتمش في غيبة طاز في الصيد على خلع الملك الصالح صالح بن الناصر، وأمه بنت تنكز، وإعادة أخيه الملك الناصر حسن، وكان ذلك يومئذ وألزم الصالح بيته مضيقاً عليه، وسلم إلى أمه خوندت بنت الامير سيف الدين تنكز نائب الشام كان، وقطلبوطار، وأمسك أخوه سنتم وأخو السلطان الصالح لأمه عمر بن أحمد بن بكنتم الساقى، ووقعت خبطة عظيمة بالديار المصرية، ومع هذا فلم يقبل البريد إلى الشام وخبر البيعة إلا يوم الخميس الثالث عشر من هذا الشهر، قدم يسبها الامير عز الدين أيدير الشمسي وبايع النائب بعد ما خلع عليه خلة سفية، والأمراء بدار السعادة على العادة، ودقت البشاروزين البلد وخطاب له الخطيب يوم الجمعة على المنبر بحضرة نائب السلطنة والقضاة والدولة وفي صبيحة يوم الخميس التاسع عشر شوال دخل دمشق الأمير سيف الدين منجك على نيابة طرابلس ونزل القصر الأتليق مع الامير عز الدين أيدير فأقام أياماً عديدة ثم سار إلى بلاده بعد أيام. وفي صبيحة يوم الخميس السادس والعشرين منه دخل الامير سيف الدين طاز من الديار المصرية في جماعة من أصحابه مجتازاً إلى نيابة حلب المحروسة، فنلقاه نائب السلطنة إلى قريب من جامع كريم الدين بالقبيبات، وشيعه إلى قريب من باب الفراديس فسار ونزل بوطاة برزة فبات هناك، ثم أصبح غادياً وقد كان نظير الامير شيخون ولكن قوى عليه فسيره إلى بلاد حلب، وهو محبب إلى العامة لماله من السعي المشكور في أمور كبار كما تقدم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الاسلام والمسلمين السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، وليس بالديار المصرية نائب ولا وزير، وقضاةهم المذكورون في التى قبلها، ونائب دمشق الأمير على المارداني، والقضاة والحاجب والخطيب وكتب السرم

المذكور في التي قبلها ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، ونائب طرابلس منجك ، ونائب حماة استدمر المعري ، ونائب صغد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، ونائب حمص الأمير ناصر الدين ابن الاقوس ، ونائب بعلبك الحاج كامل .

وفي يوم الاثنين تاسع صفر سنة ١٠٨٠ الأمير أرغون السكامل الذي ناب بدمشق مدة ثم بعدها بحلب ثم طالب إلى الديار المصرية حين ولها طاز ، فقبض عليه وأرسل إلى الاسكندرية معتقلا . وفي يوم السبت من شهر صفر قدم تقليد قضاء الشافعية بدمشق وأعمالها لقاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، على قاعدة والده ، وذلك في حياة أبيه ، وذهبت الناس للسلام عليه .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من ربيع الآخر توجه قاضي القضاة تقي الدين السبكي بعد استقلال ولده تاج الدين عبد الوهاب في قضاء القضاة ومشيشة دار الحديث الاشرفية مسافراً نحو الديار المصرية في محفة ، ومعه جماعة من أهله وذويه ، منهم سبطه القاضي بدر الدين بن أبي الفتح وآخرون ، وقد كان الناس ودعوه قبل ذلك وعنده ضعف ، ومن الناس من يخاف عليه وعشاء السفر مع الكبر والضعف .

ولما كان يوم الجمعة سادس شهر جمادى الآخرة صلى بعد الظهر على قاضي القضاة تقي الدين ابن علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي المصري الشافعي ، توفي بمصر ليلة الاثنين ثالثة ودفن من صبيحة ذلك اليوم وقد أكل ثلاثاً وأربعين سنة ، ودخل في الرابعة أشهر ، وولى الحكم بدمشق نحواً من سبع عشرة سنة ، ثم نزل عن ذلك لولده قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، ثم رحل في محفة إلى الديار المصرية كما ذكرنا ، ولما وصا مصر أقام دون الشهر ثم توفي كما ذكرنا ، وجاءت النعزية ومرسوم باستقرار ولده في مدرسته اليعقوبية والقيمية ، وبقشريف تطيبيا لقلبه ، وذهب الناس إلى تعزيتة على العادة ، وقد جمع قاضي القضاة السبكي الحديث في شيبته بديار مصر ، ورحل إلى الشام وقرأ بنفسه وكتب وخرج ، وله تصانيف كثيرة منتشرة كثيرة الفائدة ، وما زال في مدة القضاء يصنف ويكتب إلى حين وفاته ، وكان كثير التلاوة ، وذكرى أنه كان يقوم من الليل رحمه الله وفي شهر جمادى الأولى من هذه السنة اشتهر أخذ الفرنج المخذولين لمدينة طرابلس المغرب .

وقرأت من كتاب لقاضي قضاة المالكية أن أخذهم إياها كان ليلة الجمعة مستهل ربيع الاول من هذه السنة ، ثم بعد خمسة عشر يوماً استعابها المسلمون وقتلوا منهم أضعاف ما قتلوا أولاً من المسلمين والله الحمد والمثنة . وأرسل الدولة إلى الشام يطلبون من أموال أوقاف الأسارى ما يستغنون به من بقى أيديهم من المسلمين . وفي يوم الاربعاء حادى عشر رجب الفرد من هذه السنة حكم القاضي المالكي

وهو قاضى القضاة جمال الدين المسلاوى بقتل نصرانى من قرية الرأس من معاملة بعلبك ، اسمه داود بن سالم ، ثبت عليه بمجلس الحكم فى بعلبك أنه اعترف بما شهد عليه أحمد بن نور الدين على بن غازى من قرية اللبوة من الكلام الذى نال به من رسول الله (س) ، وسبه وقذفه بكلام لا يليق ذكره ، فقتل لعنه الله يومئذ بعد أذان العصر بسوق الخيل وحرقة الناس وشقى الله صدور قوم مؤمنين والله الحد والمنة وفى صبيحة يوم الأحد رابع عشر شعبان درس القاضى بهاء الدين أبو البقاء السبكى بالمدرسة القيمرية نزل له عنها ابن عمه قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكى وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ فى قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وصلى فى هذا اليوم بعد الظهر على الشيخ الشاب الفاضل المحصل جمال الدين عبد الله بن العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلى ، ودفن عند أبيه بمقابر باب الصغير ، وكانت جنازته حافلة ، وكانت لديه علوم جيدة ، وذهنه حاضر خارق ، أفنى ودرس وأعاد وناظر وحج مرات عديدة رحمه الله وبل بالرحمة ثراه .

وفى يوم الاثنين تاسع عشر شوال وقع حريق هائل فى سوق القطانين بالنهار ، وذهب إليه نائب السلطنة والحجابة والقضاة حتى اجتهد الفعول والمتبرعون فى إخماده وطفئيه ، حتى سكن شره وذهب بسببه دكاكين ودور كثيرة جداً ، فأن الله وإنا إليه راجعون . وقد رأيت من الغد والنار كما هى عمالة والدخان ساعد والناس يطوفونه بالماء الكثير الغمر والنار لا تجمد ، لكن هدمت الجدران وخربت المساكن وانتقل السكان انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وساططان البلاد بالديار المصرية والشامية والحرمين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ولا نائب ولا وزير بمصر ، وإنما يرجع تدبير المملكة إلى الأمير سيف الدين شيخون ، ثم الأمير سيف الدين صرغتمش ، ثم الأمير عز الدين مغلطى الدوايدار ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها سوى الشافى فإنه ابن المتوفى قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكى ، ونائب حلب الأمير سيف الدين طاز ، وطرابلس الأمير سيف الدين منجك ، وبصند الأمير شهاب الدين بن صبح ، وبجدة يدمر العمري ، وبمصر علاء الدين بن المعظم ، وببعلبك الأمير ناصر الدين الأقرس .

وفى العشر الأول من ربيع الأول تكامل إصلاح بلاط الجامع الأموى وغسل فصوص المقصورة والقبة ، وبسط بسطاً حسناً ، وببيض أطباق القناديل ، وأضاء حاله جداً ، وكان

المستحث على ذلك الأمير علاء الدين أيدغمش أحد أمراء الطبلخانات ، بمرسوم نائب السلطنة له في ذلك .

وفي يوم الجمعة الثامن والعشرين من ربيع الآخر من هذه السنة صلى على الأمير سيف الدين براق أمير أرجو بجامع تنكز ، ودفن بمقابر الصوفية ، وكان مشكور السيرة كثير الصلاة والصدقة محباً للخير وأهله ، من أكبر أصحاب الشيخ آق الدين بن تيمية رحمه الله تعالى . وقد رسم لولديه ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر كل منهما بعشرة أرماع ، ولناصر الدين بمكان أبيه في الوظيفة باصطبل السلطان . وفي يوم الخميس رابع شهر جمادى الأولى خلع على الأميرين الأخوين ناصر الدين محمد وسيف الدين أبي بكر ولدى الأمير سيف الدين براق رحمه الله تعالى ، بأمرين عشرين . ووقع في هذا الشهر نزاع بين الحناينة في مسألة المناقلة ، وكان ابن قاضي الجبل الحنبلي يحكم بالمناقلة في قرار دار الأمير سيف الدين طيدمر الاسماعيلى حاجب الحجاب إلى أرض أخرى يجعلها وقفاً على ما كانت قرار داره عليه ، ففعل ذلك بطريقة وهذه القضية الثلاثة الشافعى والحنبلى والمالكي ، ففضب القاضي الحنبلى وهو قاضى القضاة جمال الدين المرداوى المقدسى من ذلك ، وعقد بسبب ذلك مجالس ، وتطاول الكلام فيه ، وادعى كثير منهم أن مذهب الامام أحمد في المناقلة إنما هو في حال الضرورة ، وحيث لا يمكن الانتفاع بالموقوف ، فاما المناقلة لجرد المصلحة والمنفعة الراجعة فلا ، وامتنعوا من قبول ما قرره الشيخ آق الدين ابن تيمية في ذلك ، ونقله عن الامام أحمد من وجوه كثيرة من طريق ابنه صالح وحرب وأبي داود وغيرهم ، أنها تجوز للمصلحة الراجعة ، وصنف في ذلك مسألة مفردة وقمت عليها - يعنى الشيخ عماد الدين ابن كثير - فرأيتها في غاية الحسن والافادة ، بحيث لا يتخالف من اطالع عليها من يذوق طعم الفقه أنها مذهب الامام أحمد رحمه الله ، فقد احتج أحمد في ذلك في رواية ابنه صالح بما رواه عن يزيد بن عوف عن المسعودى عن القاسم بن محمد أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن يحول المسجد الجامع بالكوفة إلى موضع سوق النارين ، ويجعل السوق في مكان المسجد الجامع العتيق ، ففعل ذلك ، فهذا فيه أوضح دلالة على ما استدلل به فيها من النقل بمجرد المصلحة فانه لا ضرورة إلى جعل المسجد العتيق سوقاً ، على أن الاسناد فيه انقطاع بين القاسم وبين عمر وبين القاسم وابن مسعود ، ولكن قد جزم به صاحب المذهب ، واحتج به ، وهو ظاهر واضح في ذلك ، فعقد المجلس في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر .

وفي ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى وقع حريق عظيم ظاهر باب الفرج احترق فيه بسببه قياسير كثيرة لطاز ولبغا ، وقيصرية الطواشى لبنت تنكز ، وأخر كثيرة ودور ودكاكين ، وذهب للناس شيء كثير من الأمتعة والنحاس والبضائع وغير ذلك ، مما يقاوم ألف

ألف وأكثر خارجاً عن الأموال ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد ذكر كثير من الناس أنه كان في هذه القياسير شر كثير من الفسق والربا والزغل وغير ذلك .

وفي السابع والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بأن الفرنج لعنهم الله استحوذوا على مدينة صفد : قدموا في سبعة مراكب وقتلوا طائفة من أهلها ونهبوا شيئاً كثيراً وأمسروا أيضاً ، وهجموا على الناس وقت الفجر يوم الجمعة ، وقد قتل منهم المسلمون خلقاً كثيراً وكسروا مركباً من مرابكهم ، وجاء الفرنج في عشية السبت قبل العصر وقدم الوالى وهو جريح منقل ، وأمر نائب السلطنة عند ذلك بتجهيز الجيش إلى تلك الناحية فصاروا تلك الليلة لله الحمد ، وتقدمهم حاجب الحجاب وتحمدهم إليهم نائب صفد الأمير شهاب الدين بن صبيح ، فسبق الجيش الدمشقي ، ووجد الفرنج قد برزوا بما غنموا من الأمتة والأسارى إلى جزيرة تلقاء صيدا في البحر ، وقد أسر المسلمون منهم في المعركة شيخاً وشاباً من أبناء أشرفهم ، وهو الذى عاقهم عن الذهب ، فراسلهم الجيش في انفسكك الاسارى من أيديهم فبادرهم عن كل رأس بخمسة مائة فأخذوا من ديوان الاسارى مبلغ ثلاثين ألفاً ، ولم يبق معهم والله الحمد أحد . واستمر العصى من الفرنج مع المسلمين ، وأسلم ودفع إليهم الشيخ الجريح ، وعطش الفرنج عطشاً شديداً ، وأرادوا أن يروا من نهر هناك فبادرهم الجيش إليه فنعوم أن ينالوا منه قطرة واحدة ، فرحلوا ليلة الثلاثاء منشرين بما معهم من الغنائم ، وبعثت رؤس جماعة من الفرنج من قتل في المعركة فنصبت على القلعة بدمشق ، وجاء الخبر في هذا الوقت بأن إيناس قد أحاط بها الفرنج ، وقد أخذوا الربيض وهم محاصرون القلعة ، وفيها نائب البلد ، وذكروا أنهم قتلوا خلقاً كثيراً من أهلها فانا لله وإنا إليه راجعون ، وذهب صاحب حلب في جيش كثيف نحوهم والله المستول أن يظفرهم بهم بحوله وقوته ، وشاع بين العامة أيضاً أن الاسكندرية محاصرة ولم يتحقق ذلك إلى الآن ، والله المستعان . وفي يوم السبت رابع جمادى الآخرة قدم رؤس من قتلى الفرنج على صيدا ، وهى بضع وثلاثون رأساً ، فنصبت على شرافات القلعة ففرح المسلمون بذلك والله الحمد وفي ليلة الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وقع حريق عظيم داخل باب الصغير من مطبخ السكر الذى عند السويقة الملاصقة لمسجد الشناشين ، فاحترق المطبخ وما حوله إلى حمام أبى نصر ، واتصل بالسويقة المذكورة وما هناك من الأماكن ، فكان قريباً أو أكثر من الحريق ظاهر باب الفرج فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحضر نائب السلطنة ، وذلك أنه كان وقت صلاة المشاء ، ولكن كان الريح قويا ، وذلك بتقدير العزيز العليم .

وتوفى الشيخ عز الدين محمد بن إسماعيل بن عمر الحوى أحد مشايخ الرواة في ليلة الثلاثاء الثامن والعشرين من جمادى الآخرة ، وصلى عليه من القند بالجامع الأموى بعد الظهر ، ودفن بمقابر

باب الصغير . وكان مولده في ثاني ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، فجمع الكثير وتفرد بالرواية عن جماعة في آخر عمره ، وانقطع بموته سماع السنن الكبير للبيهقي ، رحمه الله .

وقع حريق عظيم ليلة الجمعة خامس عشر رجب بمحلة الصالحية من سفح قاسيون ، فاحترق السوق القبلي من جامع الخنابلة بكالاه شرقا وغربا ، وجنوبا وشمالا . فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفي يوم الجمعة خامس شهر رمضان خطب بالجامع الذي أنشأه سيف الدين يلبغا الناصري غربي سوق الخليل . وفتح في هذا اليوم وجاء في غاية الحسن والبهاء ، وخطب الشيخ ناصر الدين بن الربوة الحنفي ، وكان قد ناره فيه الشيخ شمس الدين الشافعي الموصلي ، وأظهر ولاية من واقفه يلبغا المذكور ، ومراسيم شريفة سلطانية ، ولكن قد قوى عليه ابن الربوة بسبب أنه نائب عن الشيخ قوام الدين الاتقاني الحنفي ، وهو مقيم بمصر ، ومعه ولاية من السلطان متأخرة عن ولاية الموصلي ، فرسم لابن الربوة ، فلبس بوشة الخلعة السوداء من دار السعادة وجاؤا بين يديه بالسناجق السود الخليفة ، والمؤذنون يكبرون على العادة ، وخطب يومئذ خطبة حسنة أكثرها في فضائل القرآن ، وقرأ في الحراب بأول سورة طه ، وحضر كثير من الأمراء والعامة والخاصة ، وبعض القضاة ، وكان يوما مشهودا ، وكنت ممن حضر قريبا منه . والمعجب أني وقعت في شهر ذي القعدة على كتاب أرسله بعض الناس إلى صاحب له من بلاد طرابلس وفيه : والخلدوم يعرف الشيخ عماد الدين بما جرى في بلاد السواحل من الحريق من بلاد طرابلس إلى آخر معاملة بيروت إلى جميع كسروان ، أحرق الجبال كلها ومات الوحوش كلها مثل النور والدب والتملح والخنزير من الحريق ، ما بقي للوحوش موضع يهربون فيه ، وبقي الحريق عليه أياما وهرب الناس إلى جانب البحر من خوف النار واحترق زيتون كثير ، فلما نزل المطر أطفأه بأذن الله تعالى - يعني الذي وقع في تشرين وذلك في ذي القعدة من هذه السنة - قال ومن العجب أن ورقة من شجرة وقعت في بيت من مدخته فأحترقت جميع ما فيه من الأثاث والنبات وغير ذلك ومن حلية حبر كثير ، وغالب هذه البلاد للدردية والرافضة . نقلته من خط كاتبه محمد بن يلبغا إلى صاحبه ، وهما عندي بقنان فيا لله العجب .

وفي هذا الشهر - يعني ذي القعدة - وقع بين الشيخ إسماعيل بن العز الحنفي وبين أصحابه من الحنفية مناقشة بسبب اعتدائه على بعض الناس في محاكمة ، فاقنضى ذلك إحضاره إلى مجلس الحكم ثلاثة أيام كتل المتحرد عندهم ، فلما لم يحضر فيها حكم عليه القاضي شهاب الدين الكفري نائب الحنفي باسقاط عدالته ، ثم ظهر خبره بأنه قصد بلاد مصر ، فأرسل النائب في أثره من يردعه فعنفه ، ثم أطلقه إلى منزله ، وشنع فيه قاضي القضاة الحنفي فاستحسن ذلك والله الحمد والمنة .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

استهات هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو بكر بن المستنكى بالله أبي الربيع

سليمان العباسي ، وسليمان الاسلام بالديار المصرية وما يتبعها وبالبلاد الشامية وما والاها والحرمين الشريفين وغير ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى وليس له بمصر نائب ولا وزير ، وإنما ترجع الأمور إصداراً وإيراداً إلى الأميرين السكبريين سيف الدين شينخون وصرغتمش الناصريين ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التى قبلها ، ونائب الشام بدمشق الأمير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها انتهى .

كائنة غريبة جداً

لما كان يوم الأربعاء الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة نهدت جماعة من مجاورى الجامع بدمشق من مشهد على وغيره ، واتبعهم جماعة من الفقراء والمغاربة ، وجاؤا إلى أما كن متممة بالخر وبيع الحشيش فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر ، وأراقوا ما فيها وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش وغيره ، ثم انتقلوا إلى حكر السباق وغيرهم فنار عليهم من البارذارية والكلابرية وغيرهم من الرعاع فتناوشوا ، وضربت عليهم ضربات بالأيدي وغيرهم ، وربما سلب بعض الناس السيوف عليهم كما ذكر ، وقد رسم ملك الأمراء لوالى المدينة ووالى البر أن يكونوا عضداً لهم وعوناً على الخباين والحشاشه ، فنصروهم عليهم ، غير أنه كثروهم الضجيج ونصبوا راية واجتمع عليهم خلق كثير ، ولما كان فى أواخر النهار تقدم جماعة من النقباء والخزاندارية ومعهم جنازير فأخذوا جماعة من مجاورى الجامع وضربوا بالمقارح وطيف بهم فى البلد ونادوا عليهم : هذا جزء من يتعرض لما لا يعنيه تحت علم السلطان ، فتعجب الناس من ذلك وأنكروه حتى أنه أنكر اثنان من العامة على المنادية فضرب بهن الجند أحدهم بدبوس فقتله ، وضرب الآخر فيقال إنه مات أيضاً فأنادى الله وإنا إليه راجعون .

وفى شعبان من هذه السنة حكى عن جارية من عتقات الأمير سيف الدين تمر المهندار أنها حملت قريباً من سبعة أشهر ، ثم شرعت تطرح ما فى بطنها فوضعت فى قرب من أر بعين يوماً فى أيام متتالية ومتفرقة أربع عشرة بلناً وصبيّاً بعدهن قل من يعرف شكل الذكر من الأنثى . وجاء الخبر بأن الأمير سيف الدين شينخون مدير الممالك بالديار المصرية والشامية ظفر عليه مملوك من ممالك السلطان فضر به بالسيف غربات فخرجه فى أما كن فى جسده ، منها ما هو فى وجهه ومنها ما هو فى يده ، فحمل إلى منزله صريعاً طريحاً جريحاً ، وغضب لذلك طوائف من الأمراء حتى قيل إنهم ركبوا ودعوا إلى المبارزة فلم يحى إليهم وعظم الخطب بذلك جداً واتهموا به الأمير سيف الدين صرغتمش وغيره ، وأن هذا إنما فعل عن مملأة منهم فأنادى الله أعلم .

وفاة أرغون الكامي باني البيارستان بحلب

كانت وفاته بالقدس الشريف في يوم الخميس السادس والعشرين من شوال من هذه السنة ، ودفن بقرية أنشأها غربي المسجد بشماله ، وقد ناب بدمشق مدة بعد حلب ، ثم جرت السكائنة التي أصلاها يلبننا قبحة الله في أيامه ، ثم صار إلى نيابة حلب ثم سجن بالاسكندرية مدة ، ثم أفرج عنه فأقام بالقدس الشريف إلى أن كانت وفاته كما ذكرنا في التاريخ المذكور عزره الشريف ابن زريك والله أعلم .

وفاة الأمير شيخون

ورد الخبر من الديار المصرية بوفاة الأمير شيخون ليلة الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ودفن من القدي بقرية ، وقد ابقي مدرسة هائلة وجعل فيها المذاهب الأربعة ودار للحديث وخانقاه للصوفية ، ووقف عليها شيئا كثيرا ، وقرر فيها معالم وقراءة دار ، وترك أموالا جزيلة وحواصل كثيرة ودواوين في سائر البلاد المصرية والشامية ، وخلف بنات وزوجة ، وورث البقية أولاد السلطان المذكور بالولاء ، ومسك بعد وفاته أمراء كثيرون بمصر كانوا من حزبه ، من أشهرهم عز الدين بقطاي والدوادار وابن قوصون وأمه أخت السلطان خلف عليها شيخون بعد قوصون انتهى والله أعلم .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة

استمرت هذه السنة وسلطان الاسلام بالبلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور فتلون بن عبد الله الصالحى ، وقد قوى جانبه وحاشيته بموت الأمير شيخون كما ذكرنا في السادس وعشرين من ذي القعدة من السنة الماضية ، وصار إليه من ميراثه من زهرة الحياة شئ كثير من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والأثمان والحرف ، وكذلك من الممالك والأسمعة والعمارة والبرك والمتاجر ما يشق حصره ويتعذر إحصاؤه ها هنا ، وليس في الديار المصرية فيما بلغنا إلى الآن نائب ولا وزير ، والقضاة هم المذكورون في التي قبلها ، وأما دمشق فنائبها وقضاها هم المذكورون في التي قبلها سوى الخنفي فإنه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى ، عوضا عن نجم الدين العاوى . توفى في شعبان من السنة الماضية ، ونائب حلب سيف الدين طاز ، وطرابلس منجك ، وحماة استدمر العدى ، وصغد شهاب الدين بن صبيح ، ومجس صلاح الدين خليل بن خاض برك ، وبمملك ناصر الدين الاقوس .

وفي صبيحة يوم الاثنين رابع عشر المحرم خرجت أربعة آلاف مع أربع مائة إلى ناحية حلب لنصرة لجيش حلب على مسك طاز إن امتنع من السلطنة كما أمر ، ولما كان يوم الحادى والعشرين من المحرم نادى المنادى من جهة نائب السلطنة أن يركب من بقى من الجنود في الحديد ويوافوه إلى ساق الخيل ، فركب معهم قاصدا ناحية ثنية العقاب لينزع الأمير طاز من دخول البلاد ، لما تحقق

جيشه في جيشه قاصداً إلى الديار المصرية ، فانزعج الناس لذلك وأخلت دار السعادة من الحواصل والحریم إلى القلعة ، وتحصن كثير من الأمراء بدورهم داخل البلد ، وأغلق باب النصر ، فاستوحش الناس من ذلك بعض الشيء ، ثم غلقت أبواب البلد كلها إلا بابي الفناديس والفرج ، وباب الجابية أيضاً لأجل دخول الحجاج . ودخل المحمل صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم ولم يشعر به كثير من الناس لشغلهم بمهم فيه من أمر طاز ، وأمر المشير بحوران ، وجاء الخبر بمسك الأمير سيف الدين طيدمر الحاجب الكبير بأرض حوران وسجنه بقلعة صرخد ، وجاء سيفه بحجة الأمير جمال الدين الحاجب ، فذهب به إلى الوطاق عند النخبة ، وقد وصل طاز بمنوده إلى باب القطيفة وتلاقى شاليشه بالشليش نائب الشام ، ولم يكن منهم قتال والله الحمد ، ثم ترأس هو والنائب في الصلح على أن يسلم طاز نفسه ويركب في عشرة سروج إلى السلطان ويسلخ مهابه فيه ، ويكاتب فيه النائب وتلقوا بأمره عند السلطان وبكل ما يقدر عليه ، فأجاب إلى ذلك وأرسل يطلب من يشهده على وصيته ، فأرسل إليه نائب السلطنة القاضي شهاب الدين قاضي العسكر ، فذهب إليه فأرسل ولده وأمر ولده ولوالده نفسه ، وجعل الناظر على وصيته الأمير علاء الدين أمير على المارداني نائب السلطنة ، وللأمير صرغتمش ، ورجع النائب من النخبة عشية يوم السبت بين العشاءين الرابع والعشرين منه وتضاعفت الأدعية له وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، ودعوا إلى الأمير طاز بسبب إجابته إلى السمع والطاعة ، وعدم مقاتلته مع كثرة من كان معه من الجيوش ، وقوة من كان يحرضه على ذلك من أخويه وذويه ، وقد اجتمعت بنائب السلطنة الأمير علاء الدين أمير على المارداني فأخبرني بملخص ما وقع منذ خرج إلى أن رجع ، ومضمون كلامه أن الله لطف بالمسلمين لطفاً عظيماً ، إذ لم يقع بينهم قتال ، فانه قال : لما وصل طاز إلى القطيفة وقد نزلنا نحن بالقرب من خان لاجين أرسلت إليه مملوكاً من مماليكى أقول له : إن المرسوم الشرعي قد ورد بذهابك إلى الديار المصرية في عشرة سروج فقط ، فإذا جئت هكذا فأهلاً وسهلاً ، وإن لم تفعل فأنت أصل الفتنة . وركبت ليلة الجمعة طول الليل في الجيش وهو ملبس فرجيج مملوكي ومعه مملوكه سرىما يقول : إنه يسأل أن يدخل يطلبه كما خرج يطلبه من مصر ، فقلت لاسبيل إلى ذلك إلا في عشرة سروج كما رسم السلطان ، فرجع وجاءني الأمير الذي جاء من مصر يطلبه فقال : إنه يطلب منك أن تدخل في مماليكه فإذا جاوز دمشق إلى السكوة نزل جيشه هناك وركب هو في عشرة سروج كما رسم . فقلت : لاسبيل إلى أن يدخل دمشق ويتجاوز يطلبه أصلاً ، وإن كان عنده خيل ورجال وعدة فمندی أضعاف ذلك ، فقال لي الأمير : ياخوند لا يكون تنسى قيمته ، فقلت لا يقع إلا ما تسمع ، فرجع فما هو إلا أن ساق مقدار رمية سهم وجاء بعض الجواسيس الذين لنا عندهم فقال ياخوندها قد وصل جيش حماة وطرابلس ، ومن معهم من جيش دمشق

الذين كانوا قد خرجوا بسببه ، وقد اتفقوا هم وهو . قال فحينئذ ركبت في الجيش وأرسلت طلبتين أمانى وقلت تراءوا للجيش الذين جاؤا حتى يروكم فيعلموا أنا قد أحطنا بهم من كل جانب . فحينئذ جاءت البرد من جهته بطلب الامان ويجهرون بالاجابة إلى أن يركب في عشرة سروج ، ويترك طلبه بالقطيفة ، وذلك يوم الجمعة ، فلما كان الليل ركبت أنا والجيش في السلاح طول الليل وخشيت أن تكون مكيدة وخديعة ، فجاءتنا الجواسيس فأخبرونا أنهم قد أوقدوا نشابهم ورماحهم وكثيراً من سلاحهم ، فتحققنا عند ذلك طاعته وإجابته ، لـسـكـلـ مـارـسـمـهـ ، فلما أصبح يوم السبت وصى وركب في عشرة سروج وسار نحو الديار المصرية والله الحمد والمنة .

وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من صفر دخل حأجب الحجاب الذى كان سجين في قلعة صرخد مع البريدى الذى قدم بسببه من الديار المصرية ، وتلقاه جماعة من الأمراء والكبراء ، وتصديق بصدقات كثيرة في داره ، وفرحوا به فرحاً شديداً ، وهو والناس يقولون إنه ذاهب إلى الديار المصرية معظماً مكرمًا على مقدمة ألف وظائف هناك ، فلما كان يوم الخميس السابع والعشرين منه لم ينجأ الناس إلا وقد دخل القلعة المنصورة معتقلاً بها مضيقاً عليه ، فتعجب الناس من هذه الفرحة من تلك الفرحة فما شاء الله كان .

وفي يوم الأربعاء ربيع الأول عقد مجلس بسبب الحأجب بالمشهد من الجامع . وفي يوم الخميس أحضر الحأجب من القلعة إلى دار الحديث ، واجتمع القضاة هناك بسبب دعاوى يطلبون منه حق بعضهم ، ثم لما كان يوم الاثنين تأسسه قدم من الديار المصرية مقدم البريدى بطلب الحأجب المذكور ، فأخرج من القلعة السلطانية وجاء إلى نائب السلطنة فقبل قدمه ، ثم خرج إلى منزله وركب من يومه قاصداً إلى الديار المصرية مكرمًا ، وخرج بين يديه خلق من العوام والحرافيش يدعون له ، وهذا أغرب ما أرى ، فهذا الرجل نالته شدة عظيمة بسبب سببه بصرخد ، ثم أفرج عنه ، ثم حبس في قلعة دمشق ثم أفرج عنه ، وذلك كله في نحو شهر .

ثم جاءت الأخبار في يوم الأحد ثاني عشر جمادى الأولى بعزل نائب السلطنة عن دمشق فلم يركب في الموكب يوم الاثنين ، ولا حضر في دار العدل ، ثم تحققت الاخبار بذلك وبذهابه إلى بيابة حلب ، وجمي نائب حلب إلى دمشق ، فأسف كثير من الناس عليه لذيائته وجوده وحسن معاملته لأهل العلم ، ولكن حاشيته لا ينفذون أوامره ، فتولد بسبب ذلك فساد عريض وحوا كثيرا من البلاد ، فوقت الحروب بين أهلها بسبب ذلك ، وهاجت المشيرات فانا لله وإنا إليه راجعون وفي صبيحة يوم السبت الخامس والعشرين خرج الأمير على الماردانى من دمشق في طلبه مستعجلاً في أبهة النيابة ، قاصداً إلى حلب المحروسة ، وقد ضرب وطاقه بوطاة برزة ، نفرج الناس للنفرج

على طلبه . وفي هذا اليوم بعد خروج النائب بقليل دخل الأمير سيف الدين طيدير الحاجب من الديار المصرية عائداً إلى وظيفة الحجوبية في أبهة عظيمة ، وتلقاه الناس بالشموع ، ودعوا له ، ثم ركب من بومه إلى خدمة ملك الأمراء إلى وطاة برزة ، فقبل يده وخلع عليه الأمراء ، واصطلحوا انتهى والله أعلم دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق

كان ذلك في صبيحة يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الآخرة من ناحية حلب وبين يديه الأمراء والجنش على العادة ، وأوقدت الشموع وخرج الناس ومنهم من بات على الأسطحة وكان يوماً هائلاً .

وفي أواخر شهر رجب برز نائب السلطنة إلى الربوة وأحضر القضاة وولاة الأمور ورسم بإحضار المفتين . وكانت فيمن طلب يومئذ إلى الربوة فركبت إليها . وكان نائب السلطنة عزم يومئذ على تغريب المنازل المبنية بالربوة وخلق الحام من أجل هذه فيما ذكر أنها بنيت ليقضى فيها ، وهذا الحام أوساخه صائرة إلى النهر الذي يشرب منه الناس ، فاتفق الحال في آخر الأمر على إبقاء المساكن ورد المرتفعات المسطحة على توره وناس ، ويترك ما هو مسطوط على بردي ، فانسكف الناس عن الذهاب إلى الربوة بالسككية ، ورسم يومئذ بتضييق أحكام النساء وأن تزال الاجراس والركب عن الجبر التي للمكارية .

وفي أوائل شهر شعبان ركب نائب السلطنة يوم الجمعة بعد العصر ليقف على الحائط الرومي الذي بالرحبية ، فخاف أهل الأسواق وغلقوا دكاكينهم عن آخرهم ، واعتقدوا أن نائب السلطنة أمر بذلك ، فغضب من ذلك وتصل منه ، ثم إنه أمر بهدم الحائط المذكور ، وأن ينقل إلى العمارة التي استجدها خارج باب النصر في دار الصناعة التي إلى جانب دار العدل ، أمر ببنائها خاناً ونقلت تلك الأحجار إليها ، انتهى والله أعلم .

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

ولما كان يوم الثلاثاء تاسع شعبان قدم من الديار المصرية بريدى ومعه تذكرة - ورقة - فيها السلام على القضاة المستجدين ، وأخبر بعزل القاضى الشافعى والحنفى والمالكي ، وأنه ولي قضاة الشافعية القاضى بهاء الدين أبو البقا السبكى ، وقضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج الحنفى وذهب الناس إلى السلام عليهم والتهنئة لهم واحتفلوا بذلك ، وأخبروا أن القاضى المالكي سيقدم من الديار المصرية ، ولما كان يوم السبت السابع والعشرين من شعبان وصل البريد من الديار المصرية ومعه تقليدان وخلعتان للقاضى الشافعى والقاضى الحنفى ، فلبسا الخلعين وجاءا من دار السعادة إلى الجامع الأموى ، وجلسا في محراب المقصورة ، وقرأ تقليد قاضى القضاة بهاء الدين أبي البقاء

الشافعي ، الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث على السدة تجاه الحراب ، وقرأ تقليد قاضي القضاة جمال الدين بن السراج الحنفي الشيخ عماد الدين بن السراج المحدث أيضاً على السدة ، ثم حكاه هنالك ، ثم جاء أيضاً إلى الغزالية فدرس بها قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء ، وجلس الحنفي إلى جانبه عن يمينه ، وحضرت عنده فأخذ في صيام يوم الشك ، ثم جاء معه إلى المدرسة النورية فدرس بها قاضي القضاة جمال الدين المذكور ، وحضر عنده قاضي القضاة بهاء الدين ، وذكروا أنه أخذ في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط) الآية . ثم انصرف بهاء الدين إلى المدرسة العادلية الكبيرة فدرس بها قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) الآية . وفي صبيحة يوم الأربعاء فأنشأ شهر رمضان دخل القاضي المالكي من الديار المصرية فلبس الخامة يومئذ ودخل المقصورة من الجامع الأموي وقرأ تقليده هنالك بمحضرة القضاة والأعيان ، قرأه الشيخ نور الدين بن الصارم المحدث ، وهو قاضي القضاة شرف الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن الشيخ شمس الدين محمد بن عسكر العراق البغدادي ، قدم الشام مراراً ثم استوطن الديار المصرية بعد ما حكم ببغداد نيابة عن قبط الدين الأخوي ، ودرس بالمستنصرية بعد أبيه ، وحكم بدمياط أيضاً ثم نقل إلى قضاء المالكية بدمشق وهو شيخ حسن كثير التودد ومسدد العبارة حسن البشر عند اللقاء ، مشكور في مباشرته عفة ونزاهة وكرم ، الله يوفقه ويسدده .

مسك الأمير طرغتمش أتابك الأمراء بالديار المصرية

ورد الخبر إلينا بمسكه يوم السبت الخامس والعشرين من رمضان هذا ، وأنه قبض عليه بمحضرة السلطان يوم الاثنين العشرين منه ، ثم اختلفت الرواية عن قتله غير أنه احتبط على حواصله وأمواله ، وصردر أصحابه وأتباعه ، فكان فيمن ضرب وعصر نحت المصادرة القاضي ضياء الدين ابن خطيب بيت الابار ، واشتهر أنه مات تحت العقوبة ، وقد كان مقصداً للواردين إلى الديار المصرية ، لاسيما أهل بلدة دمشق ، وقد باشر عدة وظائف ، وكان في آخر عمره قد فوض إليه نظر جميع الأوقاف ببلاد السلطان ، وتكلم في أمر الجامع الأموي وغيره ، فحصل بسبب ذلك قطع أرزاق جماعات من الكتبة وغيرهم ، ومالاً الأمير صرغتمش في أمور كثيرة خاصة وعامة ، فهلك بسببه ، وقد قارب الثمانين ، انتهى .

إعادة القضاة

وقد كان صرغتمش عزل القضاة الثلاثة بدمشق ، وهم الشافعي والحنفي والمالكي كما تقدم ، وعزل قبلهم ابن جماعة وولي ابن عقيل ، فلما مسك صرغتمش رسم السلطان بإعادة القضاة على ما كانوا عليه ، ولما ورد الخبر بذلك إلى دمشق امتنع القضاة الثلاثة من الحكم ، غير أنهم حضروا ليلة العيد لروية

الهلل بالجامع الأموي ، وركبوا مع النائب صبيحة العيد إلى المصلى على عادة القضاة ، وهم على وجل ، وقد انتقلوا من مدارس الحكم فرجع قاضي القضاة أبو البقاء الشافعي إلى بسنتانه بالزعيفرية ، ورجع قاضي القضاة ابن السراج إلى داره بالتمديد ، وأرحل قاضي القضاة شرف الدين المالكي إلى الصالحية داخل الصمصامية ، وتالم كثير من الناس بسببه ، لأنه قد قدم غريباً من الديار المصرية وهو فقير ومتدين ، وقد باشر الحكم جيداً ، ثم تبين بآخرة أنه لم يعزل وأنه مستمر كما سئذ كره ، ففرح أصحابه وأحبابه ، وكثير من الناس بذلك ، فلما كان يوم الأحد رابع ربيع شوال قدم البريد ومحبته تقليد الشافعي قاضي القضاة تاج الدين ابن السبكي ، وتقليد الخنفي قاضي القضاة شرف الدين الكفري واستمر قاضي القضاة شرف الدين المالكي العراقي على قضاء المالكية ، لأن السلطان تذكر أنه كان شافيه بولاية القضاء بالشام ، وسيره بين يديه إلى دمشق ، فجمدت سيرته كما حصلت سيرته . إن شاء الله ، وفرح الناس له بذلك .

وفي ذى القعدة توفي المحدث شمس الدين محمد بن سعد الحنبلي يوم الاثنين ثلثه ، ودفن من الغد بالسفح ، وقد قارب الستين ، وكتب كثيراً وخرج ، وكانت له معرفة جيدة بأسماء الأحرار ورواتهم الشيوخ المتأخرين ، وقد كتب للمحافظ البرزالي قطعة كبيرة من مشايخه ، وخرج له عن كل حديثاً أو أكثر ، وأثبت له ما سمعه عن كل منهم ، ولم يتم حتى توفي البرزالي رحمه الله .

وتوفي بهاء الدين ابن المرجاني بأبي جامع الفوقاني ، وكان مسجداً في الأصل فبناء جامعاً ، وجعل فيه خطبة ، وكانت أول من خطب فيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، وسمع شيئاً من الحديث . وبلغنا مقتل الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى بن مهنا أحد أمراء الأعراب الأجواد الانتجاد وقد ولي إمرة آل مهنا غير مرة كما وليها أبوه من قبله : عدا عليه بعض بني عمه فقتله عن غير قصد بقتله ، كما ذكر ، لكن لما حمل عليه السيف أراد أن يدفع عن نفسه وبغضه فضربه بالسيف برأسه ففلقه فلم يعيش بعده إلا أياماً قلائل ومات رحمه الله انتهى .

عزل منجك عن دمشق

ولما كان يوم الأحد ثاني ذى الحجة قدم أمير من الديار المصرية ومعه تقليد نائب دمشق ، وهو الأمير سيف الدين منجك بنبابة صفد الحروسة ، فأصبح من الغد - وهو يوم عرفة - وقد انتقل من دار السعادة إلى سطح المزة قاصداً إلى صفد الحروسة فعمل العيد بسطح المزة ، ثم نزل نحو صفد ، وطمع كثير من المفسدين والخمارين وغيرهم وفرحوا بزواله عنهم . وفي يوم العيد قرئ كتاب السلطان بدار السعادة على الأمراء وفيه التصريح باستقابة أميره على المارداني عليهم ، وعوده إليهم والأمر بطاعته وتعظيمه واحترامه والشكر له والثناء عليه ، وقدم الأمير شهاب الدين بن صبح من

نيابة صفد ونزل بداره بظاهر البلد بالقرب من الشامية البرانية . ووصل البريد يوم السبت الحادى والعشرين من ذى الحجة بنفى صاحب الحجاب طيدير الاسماعيلى إلى مدينة حماة بطالا فى مرجين لاغير والله أعلم . ثم دخلت سنة ستين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وملك الديار المصرية والشامية وما يتبع ذلك من الممالك الاسلامية الملك الناصر حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى ، وقضائه بمصر المذكورون فى السنة التى قبلها ، ونائبه بدمشق الامير علاء الدين أمير على الماردانى ، وقضاة الشام المذكورون فى التى قبلها غير المالكى ، فانه عزل جمال الدين المسلاى بشرف الدين العراقى ، وحاجب الحجاب الأمير شهاب الدين بن صبيح ، وخطباء البلد كانت أكثرها المذكورون . وفى صبيحة يوم الأربعاء ثالث المحرم دخل الأمير علاء الدين أمير على نائب السلطنة إلى دمشق من نيابة حلب ، وفرح الناس به وتلقوه إلى أثناء الطريق ، وحملت له العمامة الشجوع فى طرقات البلد ، ولبس الأمير شهاب الدين بن صبيح خلة الحجابة الكبيرة بدمشق عوفاً عن نيابة صفد .

ووردت كذب الحجاج يوم السبت الثالث عشر منه ، ورخة سابع عشر من ذى الحجة من العلاء ذكروا أن صاحب المدينة النبوية عدا عليه فداوىان عند لبسه خلة السلطان ، وقت دخول الحمل إلى المدينة الشريفة فقتلاه ، فمدت عبيده على الحجاج الذين هم داخل المدينة فقهروا من أموالهم وقتلوا بعضهم وخرجوه ، وكانوا قد أغلقوا أبواب المدينة دون الجيش فأحرق بعضها ، ودخل الجيش السلطانى فاستنقذوا الناس من أيدي الظالمين . ودخل الحمل السلطانى إلى دمشق يوم السبت العشرين من هذا الشهر على عادته ، وبين يدي الحمل الفداوىان اللذان قتل صاحب المدينة ، وقد ذكرت عنه أمور شنيعة بشعة من غلوه فى الرأى المفرط ، ومن قوله إنه لو تمكن لأخرج الشيخين من الحجرة ، وغير ذلك من عبارات مؤذية لعدم إيمانه إن صح عنه والله أعلم

وفى صبيحة يوم الثلاثاء سادس صفر مسك الأمير شهاب الدين بن صبيح حاجب الحجاب وولده الأميران وحبسوا فى القلعة المنصورة ، ثم سافر به الأمير ناصر الدين بن خار بك بعد أيام إلى الديار المصرية ، وفى رجل ابن صبيح قيد ، وذكر أنه فك من رجله فى أثناء الطريق . وفى يوم الاثنين ثالث عشر صفر قدم نائب طرابلس الأمير سيف الدين عبد الغنى فأدخل القلعة ثم سافر به الأمير علاء الدين بن أبى بكر إلى الديار المصرية محتفظاً به مضيقاً عليه ، وجاء الخبر بأن منجك سافر من صفد على البريد مطلوباً إلى السلطان ، فلما كان بينه وبين غزة بريد واحد دخل بمن معه من خدمه التيه فاراً من السلطان ، وحين وصل الخبر إلى نائب غزة اجتهد فى طلبه فأعجزه وتفرط الامر ، انتهى والله أعلم .

مسك الأمير على المارداني نائب الشام

وأصل ذلك أنه في صبيحة يوم الأربعاء الثاني والعشرين من رجب، ركب الجيش إلى تحت القلعة ملبسين وضربت البشائر في القلعة في قاحية الطارمة، وجاء الأمراء بالطبلخانات من كل جانب والقائم بأعباء الأمر الأمير سيف الدين بيدمر الحاجب، ونائب السلطنة داخل دار السعادة والرسل مردة بينه وبين الجيش، ثم خرج فحمل على سروج يسيرة محتاطا عليه إلى ناحية الديار المصرية، واستوحش من أهل الشام عند باب النصر، فنبأ كي الناس رحمة له وأسفة عليه، لذيائنه وقلة أذيته وأذية الرعية وإحسانه إلى العلماء والفقراء والقضاة.

ثم في صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين منه احتيط على الأمراء الثلاثة، وهم الأمير سيف الدين طيغفاحجي أحد مقدمي الأتوف، والأمير سيف الدين فطليخا الدوادار أحد المتقدمين أيضا والأمير علاء الدين أيدغمش المارداني أحد أمراء الطبلخانات، وكان هؤلاء ممن حضر نائب السلطنة المذكورهم جاساؤه وسماؤه، والذين بسفارته أعطوا الأجناس والطبلخانات والتقدم، فرفعه إلى القلعة المنصورة معتقلين بهامع من بهامن الأمراء، ثم ورد الخبر بأن الأمير على رد من الطريق بعد مجاوزته غزة وأرسل إليه بتقليد نيابة صفد المحروسة، فتمائل الحال وفرح بذلك أصحابه وأجابه، وقدم مسلم دمشق الذي خاض عليه بفتياتها بالديار المصرية في يوم الخميس سانس عشر شهر رجب بعد أن استغنى من ذلك مراراً، وبأس الأرض مراراً فلم يعمه السلطان، وهو الأمير سيف الدين استدر أخو يلبغا البحنوي، الذي كان نائب الشام، وبنته اليوم زوجة السلطان، قدم متسلحه إلى دمشق يوم الخميس سلخ الشهر فنزل في دار السعادة، وراح القضاة والأعيان للسلام عليه والتودد إليه، وحملت إليه الضيافات والتقدم، انتهى والله أعلم.

كائنة وقعت بقرية حوران

فأوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا الشهر الشريف

وذلك أنهم أشهر أهل قرية بحوران وهي خاص لنائب الشام وهم حلبية يمن ويقال لهم بنو لبسه وبنو ناشى وهي حصينة منيعة يضوى إليها كل مفسد وقاطع ومارق ولجأ إليهم أحد شياطين روعين المشير وهو عمر المعروف بالديبط، فأعدوا عددا كثيرة ونهبوا ليغنموا العشير، وفي هذا الحين بدرهم وإلى الولاية المعروف تشنكل منكل، فجاء إليهم ليردهم ويهديهم، وطلب منهم عمر الديبط فأبوا عليه وراموا مقاتلته، وهم جمع كثير وجهم غفير، فتأخر عنهم وكتب إلى نائب السلطنة ليمده بمجيش عوناه عليهم وعلى أمثالهم، فجهر له جماعة من أمراء الطبلخانات والعشراوات ومائة من جند الحلقة الرماة، فلما بقى في بلادهم تجمعت لقتال العسكر ورموه بالحجارة والمقاليع، وحجزوا بينهم وبين البلد،

فعمد ذلك ومنهم الاتراك بالنبال من كل جانب، فقتلوا منهم فوق المائة، وفروا على أعقابهم، وأسر منهم والى الولاية نحواً من ستين رجلاً، وأمر بقطع رموس القنلى وتعليقها فى أعناق هؤلاء الأسرى، ونهبت بيوت الفلاحين كلهم، وسلمت إلى ممالك نائب السلطنة لم يبق منها ما يساوى ثلاثمائة درهم، وكر راجعاً إلى بصرى وشيوخ العشيرات معه، فأخبر ابن الأمير صلاح الدين ابن خاص ترك، وكان من جملة أمراء الطبائخانات الذين قاتلهم ببسوط ما يخصه وأنه كان إذا أعيا بعض تلك الأمرى من الجرحى أمر المشاعلى بذبحه وتعليق رأسه على بقية الأسرى، وفعل هذا بهم غير مرة حتى أنه قطع رأس شاب منهم وعلق رأسه على أبيه، شيخ كبير، فانا لله وإنا إليه راجعون، حتى قدم بهم بصرى فشكّل طائفة من أولئك المأسورين وشكّل آخرين ووسط الآخرين وحبس بعضهم فى القلعة، وعلق الرموس على أخشاب نصبها حول قلعة بصرى، فحصل بذلك تشكىل شديد لم يقع مثله فى هذا الاوان بأهل حوران، وهذا كله ساء عليهم بما كسبت أيديهم وما ربك بظالم للعبيد، وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون، فانا لله وإنا إليه راجعون. انتهى.

دخول نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر البحنائى

فى صبيحة يوم الاثنين حادى عشر شعبان من هذه السنة كان دخول الأمير سيف الدين استدمر البحنائى نائباً على دمشق من جهة الديار المصرية، وتلقاه الناس واحتفلوا له احتفالاً زائداً وشاهدته حين ترجل لتقبيل العتبة، وبعضه الأمير سيف الدين بيدم الذى كان حاجب الحجاب وعين لنيابة حلب المحروسة، فاستقبل القبله وسجد عند القبله، وقد بسط له عندها مفارش وضمة هائلة، ثم إنه ركب فتمتضه بيدم أيضاً وسار نحو الموكب فأركب ثم عاد إلى دار السعادة على عادة من تقدمه من النواب. وجاء تقليد الأمير سيف الدين بيدم من آخر النهار لنيابة حلب المحروسة. وفى آخر نهار الثلاثاء بعد العصر ورد البريد البشيرى وعلى يده مرسوم شريف بنفى القاضى بهاء الدين أبو البقاء وأولاده وأهله إلى طرابلس بلا وظيفة، فشق ذلك عليه وعلى أهليه ومن يليه، وتغمم له كثير من الناس، وسافر ليلة الجمعة وقد أذن له فى الاستقابة فى جهاته، فاستناب ولده الكبير عز الدين، واشتهر فى شوال أن الأمير سيف الدين منجك الذى كان نائب السلطنة بالشام وهرب ولم يطعم له خبر، فلما كان فى هذا الوقت ذكر أنه مسك ببلد بجران من مقاطعة ماردى فى زى فقير، وأنه احتفظ عليه وأرسل السلطان قراره، وهب كثير من الناس من ذلك، ثم لم يظهر لذلك حقيقة وكان الذين رأوه ظنوا أنه هو، فاذا هو فقير من جملة الفقراء يشبهه من بعض الوجوه. واشتهر فى ذى القعدة أن الأمير عز الدين فياض بن مهنا ملك العرب، خرج عن طاعة السلطان وتوجه نحو العراق فوردت المراسيم السلطانية لمن بأرض الرجة من الساكر الدمشقية وهم أربعة مقدمين فى

أربعة آلاف ، وكذلك جيش حلب وغيره بتطلبه وإحضاره إلى بين يدي السلطان ، فسعوا في ذلك بكل ما يقدرون عليه فمجزوا عن لحاقه والدخول وراءه إلى البراري ، وتفاطرت الحال وخلص إلى أرض العراق فضاقت النطاق وتعدت الأحاق .

ثم دخلت سنة إحدى وستين وسبعمائة

استهلت وسلطان المسلمين الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون وقضاة مصر والشام هم المذكورون في التي قبلها ، ونائب الشام الأمير سيف الدين استدمر أخو يلغا البحناسي ، وكاتب السر القاضي أمين الدين بن القلانسي .

وفي مستهل الحرم جاء الخبير بموت الشيخ صلاح الدين العلائي بالقدس الشريف ليلة الاثنين ثالث الحرم ، وصلى عليه من الغد بالمسجد الأقصى بعد صلاة الظهر ، ودفن بمقبرة نائب الرحبة ، وله من العمر ست وستون سنة ، وكان مدة مقامه بالقدس مدرسا بالمدرسة الصلاحية وشيخا بدار الحديث السكرية ثلاثين سنة ، وقد صنف وألف وجمع وخرج ، وكانت له يد طويلة بمعرفة العالي والنازل ، وتخرج الاجزاء والفوائد ، وله مشاركة قوية في الفقه واللغة والعربية والادب وفي كتابته ضمف لسنن مع صحة وضبط لما يشكك ، وله عدة مصنفات ، وبلغني أنه وقفها على الخانقاه السمساطية بدمشق ، وقد ولي بعده التدريس بالصرخسية الخطيب برهان الدين ابن جماعة والنظار بها ، وكان معه تفويض منه متقدم التاريخ .

وفي يوم الخميس السادس من محرم احتيط على متولى البر ابن بهادر الشيرجى ورسم عليه بالعذرية بسبب أنه اتهم بأخذ مطلب من نعمان البلقاء هو وكحلن الحاجب ، وقاضى حسان ، والظاهر أن هذه مرافعة من خصم عدو لهم ، وأنه لم يكن من هذا شيء والله أعلم . ثم ظهر على رجل يزور المراسيم الشريفة وأخذ بسببه مدرس الصارمية لأنه كان عنده في المدرسة المذكورة ، وضرب بين يدي ملك الأمراء ، وكذلك على الشيخ زين الدين زيد المغربي أنشأه ، وذكر عنه أنه يطلب مرسوماً لمدرسة الأكرية ، وضرب أيضاً ورسم عليه في حبس السد ، وكذلك حبس الأمير شهاب الدين الذي كان متولى البلد ، لأنه كان قد كتب له مرسوماً شريفاً بالولاية ، فلما فهم ذلك كاتب السر أطاع عليه نائب السلطنة فأنفتح عليه الباب وحبسوا كلهم بالسد ، وجاءت كتب الحاج ليلة السبت الخامس عشر من المحرم وأخبرت بالخصب والرخص والأمن والله الحمد والمنة . ودخل المحمل بعد المغرب ليلة السبت الحادى والعشرين منه ، ثم دخل الحجيج بعده في العاين والمرض وقد لقوا من ذلك من بلاد حوران عناء وشدة ، وقعت جمالات كثيرة وسبيت نساء كثيرة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وحصل للناس تعب شديد . ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين قطعت يد

الذي زور المراسيم واسم السراج عمر القفطى المصرى ، وهو شاب كاتب مطبق على ما ذكره ، وجل في قفص على جل وهو مقطوع اليد ، ولم يحسم بعدو الدم ينصب منها ، وأركب معه الشيخ زين الدين زيد على جل وهو منكوس وجهه إلى ناحية دبر الجل ، وهو عريان مكشوف الرأس ، وكذلك البدر الحمصى على جل آخر ، وأركب الوالى شهاب الدين على جل آخر وعليه تخفيفة صغيرة ، وخف وقباء ، وطيف بهم في محال البلدة ونودى عليهم : هذا جزاء من يزور على السلطان ، ثم أودعوا حبس الباب الصغير وكانوا قبل هذا التمييز في حبس السد ، ومنه أخذوا وأشهروا ، فانا لله وإنا إليه راجعون انتهى

مسك منجك وصفة الظهور عليه وكان محتفياً بدمشق حوالي سنة لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم جاء ناصح إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين استمد مر فأخبره بأن منجك في دار الشرف الأعلى ، فأرسل من فوراء إلى ذلك المنزل الذي هو فيه بعض الحجة ومن عنده من خواصه ، فأحضر إلى بين يديه محتفظاً عليه جداً ، بحيث إن بعضهم رزقه من ورائه واحتضنه ، فلما واجهه نائب السلطنة أكرمه وتلقاه وأجلسه معه على مقعدته ، وتلطف به وسقاه وأضافه ، وقد قيل إنه كان صائماً فأفطر عنده ، وأعطاه من ملابسه وقبده وأرسله إلى السلطان في ليلته - ليلة الجمعة - مع جماعة من الجند وبعض الأمراء ، منهم حسام الدين أمير حاجب ، وقد كان أرسل نائب السلطنة ولده بسيف منجك من أوائل النهار ، وتعجب الناس من هذه القضية جداً ، وما كان يظن كثير من الناس إلا أنه قد عدم باعتبار أنه في بعض البلاد النائية ، ولم يشعر الناس أنه في وسط دمشق وأنه يمشى بينهم متنكراً ، وقد ذكر أنه كان يحضر الجمعات بجامع دمشق ويمشى بين الناس متنكراً في لبسه وهيئته ، ومع هذا لن يغنى حذر من قدره ، ولكل أجل كتاب ، وأرسل ملك الأمراء بالسيف وملابسه التي كان يتنكر بها ، وبعث هو مع جماعة من الأمراء الحجة وغيرهم وجيش كثيف إلى الديار المصرية مقيداً محتفظاً عليه ، ورجع ابن ملك الأمراء بالتحف والهدايا والجامع والافعام لوالده ، ولحاجب الحجاب ، وليس ذلك الأمراء يوم الجمعة واحتفل الناس بالشموع وغيرها ، ثم توارت الأخبار بدخول منجك إلى السلطان وعفوه عنه وخلعته السكاملة عليه وإطلاقه له الحسام والخيول المسومة والألبسة المفتخرة ، والأموال والأمان ، وتقديم الأمراء والأكابر له من سائر صنوف التحف ، وقدوم الأمير على من صفد قاصداً إلى حماة لنيابتها ، فنزل القصر الأبقى ليلة الخميس رابع صفر وتوجه ليلة الأحد سابعه .

وفي يوم الخميس الثامن عشر من صفر قدم القاضي بهاء الدين أبو البقاء من طرابلس بمرسوم شريف أن يعود إلى دمشق على وظائفه المبقاة عليه ، وقد كان ولده ولّى الدين ينوب عنه فيها ، فتلقاه كثير من الناس إلى أثناء الطريق ، وبرز إليه قاضي القضاة تاج الدين إلى حرستا ، وراح الناس إلى

تهنئته إلى داره ، وفرحوا برجوعه إلى وطنه . ووقع مطر عظيم في أول هذا الشهر ، وهو أثناء شهر شباط ، وتلج عظيم ، فرويت البساتين التي كانت لها عن الماء عدة شهور ، ولا يحصل لأحد من الناس سقى إلا بكلفة عظيمة ومشقة ، ومبلغ كثير ، حتى كاد الناس يقتلون عليه بالأيدى والأيديس وغير ذلك من البذل الكثير ، وذلك في شهور كانون الأول والثاني ، وأول شباط ، وذلك لقلة مياه الأنهار وضعفها ، وكذلك بلاد حوران أكثرهم يروون من أما كن بعيدة في هذه الشهور ، ثم من الله تعالى فجرت الأودية وكثرت الأمطار والثلوج ، وغزرت الأنهار والله الحمد والمنة . وتواتر الأمطار ، فكانه حصل السيل في هذه السنة من كانون إلى شباط فكان شباط هو كانون وكان لم يسلم فيه ميزاب واحد . ووصل في هذا الشهر الأمير سيف الدين منجك إلى القدس الشريف ليبتنى للسلطان مدرسة وخانقاه غربي المسجد الشريف ، وأحضر الغرمان الذي كتب له بماء الذهب إلى دمشق وشاهده الناس ووقفت على نسخته وفيها تعظيم زائد ومدح وثناء له ، وشكر على متقدم خدمه لهذه الدولة ، والعفو عما مضى من زلاته ، وذكر سيرته بعبارة حسنة .

وفي أوائل شهر ربيع الآخر رسم على المعلم سنجر مملوك ابن هلال صاحب الاموال الجزيلة بمرسوم شريف قدم مع البريد وطلب منه ستائة ألف درهم ، واحتيط على العارة التي أنشأها عند باب النطايق ليجمعها مدرسة ، ورسم بأن يعمر مكانها مكتب للآيتام ، وأن يوقف عليهم كتبهم جارية عليهم ، وكذلك رسم بأن يجعل في كل مدرسة من مدارس المملكة الكبار ، وهذا مقصد جيد . وسلم المعلم سنجر إلى شاد الدواوين يستخلص منه المبلغ المذكور سريعا ، فاجل يحمل مائتي ألف ، وسيرت مع أمير عشرة إلى الديار المصرية .

الاحتياط على الكتبة والدواوين

وفي يوم الاربعاء خامس عشر ربيع الآخر ورد من الديار المصرية أميرهم مرسوم بالاحتياط على دواوين السلطان ، بسبب ما أكلوا من الأموال المرتبة للناس من الصدقات السلطانية وغير ذلك فرسم عليهم بدار العدل البرانية وألزموا بأموال جزيلة كثيرة ، بحيث احتاجوا إلى بيع أناتهم وأقشهم وفرشهم وأمتعتهم وغيرها ، حتى ذكر أن منهم من لم يكن له شيء يعطيه فأحضر بناته إلى الدكة ليبيعهن فتباكي الناس واتحبوا رحمة ورقة لأبيهن ، ثم أطلق بعضهم وهم الضعفاء منهم والفقراء الذين لا شيء معهم ، وبقيت الغرامة على الكبراء منهم ، كالصاحب والمستوفيين ، ثم شددت عليهم المطالبة وضربوا ضربا مبرحا ، وألزموا الصاحب بمال كثير بحيث إنه احتاج إلى أن سأل من الأمراء والأكابر والتجار بنفسه وبأوراقه ، فأسمفوه بمبلغ كثير يقارب ما ألزم به ، بعد أن عرى ليضرب ، ولكن ترك واشتهر أنه قد عين عوضه من الديار المصرية ، انتهى .

موت فياض بن مهنا

ورد الخبر بذلك يوم السبت الثامن عشر منه ، فاستبشر بذلك كثير من الناس ، وأرسل إلى السلطان مبشرين بذلك ، لأنه كان قد خرج عن الطاعة وطارق الجماعة ، فأتت موته جاهلية بأرض الشقاق والنفاق ، وقد ذكرت عن هذا أشياء صدرت عنه من ظلم الناس ، والافتطار في شهر رمضان بلا عذر وأمره أصحابه وذويه بذلك في هذا الشهر الماضي ، فأنا لله وإنا إليه راجعون ، جاوز السبعين انتهى . والله أعلم .

كائنات عجيبة جدا هي المعلم سنجر مملوك بن هلال

في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الآخر أطلق المعلم الهلال بعد أن استوفوا منه تكميل ستائة ألف درهم ، فبات في منزله عند باب النطافيين سرورا بالخلاص ، ولما أصبح ذهب إلى الحمام وقد ورد البريد من جهة السلطان من الديار المصرية بالاحتياط على أمواله وحواصله ، فأقبلت الحجة وبقاء النقبة والاعوان من كل مكان ، فتمسكوا داره فاحتاطوا بها وعليها بما فيها ، ورسم عليه وعلى ولديه ، وأخرجت نساؤه من المنزل في حالة صعبة ، وفتشوا النساء وأنزعوا سنن الحلي والجواهر والنفايس ، واجتمعت العامة والفقهاء ، وحضر بعض القضاة ومعه الشهود بضبط الأموال والحجج والرهون ، وأحضروا المعلم ليستعملوا منه جليلة ذلك ، فوجدوا من حاصل الفضة أول يوم ثلثمائة ألف وسبعين ألفا ، ثم صناديق أخرى لم تفتح ، وحواصل لم يصلوا إليها لضيق الوقت ثم أصبحوا يوم الأحد في مثل ذلك ، وقد بات الحرس على الأبواب والأسطحة لئلا يعدى عليها في الليل وبات هو وأولاده بالقلمة المنصورة محتفظا عليهم ، وقد رق له كثير من الناس لما أصابه من المصيبة العظيمة بعد التي قبلها سريعا .

وفي أواخر هذا الشهر توفي الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادار السكري ، كان ذا مكانة عند أسناده ، ومنزلة عالية ، ونال من السعادة في وظيفته أقضاها ، ثم قلب الله قلب أستاذه عليه فخره وصادره وعزله وسجنه ، ونزل قدره عند الناس ، وآل به الحال إلى أن كان يقف على أتباعه بفرسه ويشترى منهم ويحيا ككهم ، ويحمل حاجته معه في سرجه ، وصار مثلة بين الناس ، بعد أن كان في غاية ما يكون فيه الدويارية من العز والجاه والمال والرفعة في الدنيا ، وحق على الله تعالى أن لا يرفع شيئا من أمر الدنيا الا وضعه .

وفي صبيحة يوم الأحد سابع عشره أفرج عن المعلم الهلال وعن ولديه ، وكانوا معتقلين بالقلمة المنصورة ، وسلمت لهم دورهم وحواصلهم ، ولكن أخذ ما كان حاصل في داره ، وهو ثلثمائة ألف وعشرون ألفا ، وختم على حججه ليمقد لذلك مجلس ليرجع رأس ماله منها عملا بقوله تعالى (وإن

تقيم فليسكم رهوس أموالكم لا تظلمون ولا تظالمون) ونودي عليه في البلد إنما فعل به ذلك لأنه لا يؤدي الزكاة ويعامل بالربا ، وحاجب السلطان ومتولى البلد ، وبقية المتعممين والمشاغلة تنادي عليه في أسواق البلد وأرجائها .

وفي اليوم الثامن والعشرين منه ورد المرسوم السلطاني الشريف بإطلاق الهواوين إلى ديارهم وأهاليهم ، ففرح الناس بسبب ذلك خلاصهم مما كانوا فيه من العقوبة والمصادرة البليغة ، ولكن لم يستمر بهم في مباشرتهم .

وفي أواخر الشهر تسلكم الشيخ شهاب الدين المقدسي الواعظ ، قدم من الديار المصرية تجاه محراب الصحابة ، واجتمع الناس إليه وحضر من قضاة القضاة الشافعي والمالكي ، فتكلم على تفسير آيات من القرآن ، وأشار إلى أشياء من إشارات الصوفية بعبارات طليقة مرة بملحة صادقة للقلوب فأفاد وأجاد ، ودع الناس بعوده إلى بلده ، ولما دعا استقنض الناس للقيام ، فقاموا في حال الدعاء ، وقد اجتمعت به بالجلس فرأيت حسن الهيئة والسكلام والتأدب ، فالحمد لله يصلحه وإيالة آمين .

وفي مستهل جمادى الآخرة ركب الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب لقصد غز وبلاد سويس في جيش ، فلقاه الله النعم والنأييد . وفي مستهل هذا الشهر أصبح أهل القلعة وقد نزل جماعة من أمراء الأعراب من أعلى مجلسهم في عائم وحبال إلى الخندق وخاضوه وخرجوا من عند جسر الزلازمة فانطلق اثنان وأمسك الثالث الذي تبقى في السجن ، وكأنه كان يمسك لهم الحبال حتى تدلوا فيها ، فاشتد نكير نائب السلطنة على نائب القلعة ، وضرب ابنه النقيب وأخاه وسجنهما ، وكتب في هذه الكائنة إلى السلطان ، فورد المرسوم بعزل نائب القلعة وإخراجه منها ، وطلبه لمجاسبة ما قبض من الأموال السلطانية في مدة ست سنين مباشرة ، وعزل ابنه عن النقابة وابنه الآخر عن استدراثة السلطان ، فنزلا من عزمهم إلى عزهم .

وفي يوم الاثنين سابع عشره جاء الأمير تاج الدين جبريل من عند الأمير سيف الدين بيدمر نائب حلب ، وقد فتح بلدين من بلاد سويس ، وهما طرسوس وأذنة ، وأوصل مفتاحيهما صحبة جبريل المذكور إلى السلطان أيده الله ، ثم افتتح حصونا آخر كثيرة في أسرع مدة ، وأيسر كلفة ، وخطب القاضي ناصر الدين كاتب السرخس بليغة حسنة ، وبلغني في كتاب أن أبواب كنيسة أذنة حملت إلى الديار المصرية في المراكب . قلت : وهذه هي أبواب الناصرية التي بالفتح ، أخذها سويس عام قازان ، وذلك في سنة تسع وتسعين وسبعمائة ، فاستغنيت والله الحمد في هذه السنة .

وفي أواخر هذا الشهر بلغنا أن الشيخ قطب الدين هرماس الذي كان شيخ السلطان طرد عن جناب مخدمه ، وضرب وصور ، وخربت داره إلى الأساس ، ونفى إلى مصيف ، فاجتاز بمشق

ونزل بالمدرسة الجليلة ظاهر باب الفرج ، وزرته فيمن سلم عليه ، فاذا هو شيخ حسن عنده ما يقال ويتلفظ معرباً جيداً ، ولديه فضيلة ، وعنده تواضع وتصوف ، والله يحسن عاقبته . ثم تحول إلى المدرسية وفي صبيحة يوم السبت سابع شهر رجب توجه الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل الخنبل إلى الديار المصرية مطلوباً على البريد إلى السلطان لتبريس الطائفة الخنبلية بالمدرسة التي أنشأها السلطان بالقاهرة المعزية ، وخرج لتوديعه القضاة والأعيان إلى أنشاء الطريق ، كتب الله سلامته ، انتهى والله تعالى أعلم .

مسك نائب السلطنة استدمر البشناوي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رجب قبض على نائب السلطنة الأمير سيف الدين استدمر ، أخى بلبغا البشناوي ، عن كتاب ورد من السلطان بحجة الدوادار الصغير ، وكان يومئذ راكباً بناحية ميدان ابن بابك ، فلما رجع إلى عند مقابر اليهود والنصارى احتاط عليه الحاجب الكبير ومن معه من الجيش وألزموه بالذهاب إلى ناحية طرابلس ، فذهب من على طريق الشيخ رسلان ، ولم يمكن من المسير ، إلى دار السعادة ، ورسم عليه من الجند من أوصله إلى طرابلس مقيماً بها بطلاً ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، يفعل ما يشاء . وبقي البلد بلا نائب يحكم فيه الحاجب الكبير من مرسوم السلطان ، وعين للنيابة الأمير سيف الدين بيدمر النائب بحلب

وفي شعبان وصل تقليد الأمير سيف الدين بيدمر بنيابة دمشق ، ورسم له أن يركب في طائفة من جيش حلب ويقصد الأمير خيار بن مهنا ليحضره إلى خدمة السلطان ، وكذلك رسم لنائب حماة وحمص أن يكرنا هونا للأمير سيف الدين بيدمر في ذلك ، فلما كان يوم الجمعة رابعه التقوا مع خيار عند سلمية ، فكانت بينهم مناشات ، فأخبرني الأمير تاج الدين الدودار - وكان مشاهد الواقعة - أن الأعراب أحاطوا بهم من كل جانب ، وذلك لكثرة العرب وكانوا نحو الثمانمائة ، وكانت الترك من حماة وحمص وحلب مائة وخمسين ، فرموا الأعراب بالنشاب فقتلوا منهم طائفة كثيرة ، ولم يقتل من الترك سوى رجل واحد ، رماه بعض الترك ظاناً أنه من العرب بناشج فقتله ، ثم حجز بينهم القيل ، وخرجت الترك من الدائرة ونهبت أموال من الترك ومن العرب ، وجرت فتنة وجردت أمراء عدة من دمشق لتدارك الحال ، وأقام نائب السلطنة هناك يفتغار ورودم ، وقدم الأمير مهر الملقب بمصعب بن موسى بن مهنا من الديار المصرية أميراً على الأعراب وفي صحبته الأمير بدر الدين ابن جازر أميران على الأعراب ، فنزل مصعب بالقهر الابق ، ونزل الأمير رولة بالتوزية على عادته ثم توجهوا إلى ناحية خيار بن معهما من عرب الطاعة ممن أضيف إليهم من تجريدة دمشق ومن يكون معهم من جيش حماة وحمص لتحصيل الأمير خيار ، وإحضاره إلى الخدمة الشريفة والله تعالى يحسن العاقبة

دخول نائب السلطنة الامير سيف الدين بيدمر الى دمشق

وذلك صبيحة يوم السبت التاسع عشر من شعبان ، أقبل بجيشه من ناحية حلب وقد بات بوطاة برزة ليلة السبت ، وتلقاه الناس إلى حماة ودونها ، وجرت له وقعة مع العرب كما ذكرنا ، فلما كان هذا اليوم دخل في أبهة عظيمة ، وتجميل حافل ، فقبل العتبة على المائدة ، ومشى إلى دار السعادة ، ثم أقبلت جنائبه في لبوس هائلة باهرة ، وعدد كثير وعدد ثمينة ، وفرح المسلمون به لشهامته وصرامته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، والله تعالى يؤيده ويسدده .

وفي يوم الجمعة ثاني شهر رمضان خطبت الخنابلة بجامع القبيبات وعزل عنه القاضي شهاب الدين قاضي العسكر الخنبلي ، بمرسوم نائب السلطان لأنه كان يعرف أنه كان مختصراً بالخنابلة منذ عين إلى هذا الحين .

وفي يوم الجمعة السادس عشر منه قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ، أنه كان يكثر من شتم الرسول (س) ، فرفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجاوب ، ثم استقر أمره على أن قتل قبحه الله وأبعده ولا رحمه . وفي يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زباله الذي بهتار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي (س) ودعواه أشياء كفرية ، وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام ، ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين ، وفي حق النبي (س) ، فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخليل والله الحمد والمنة .

وفي ثالث عشر شوال خرج الحمل السلطاني وأمره الأمير ناصر الدين بن قراسنقر وقاضي الحجيج الشيخ شمس الدين محمد بن سند المحدث ، أحد المفتيين .

وفي أواخر شهر شوال أخذ رجل يقال له حسن ، كان خياطاً بمحلة الشاغور ، ومن شأنه أن ينتصر لفرعون لأنه الله ، ويزعم أنه مات على الاسلام ويحتج بأنه في سورة يونس حين أدركه الفرق قال [آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين] ولا يفهم معنى قوله [الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين] ولا معنى قوله [فأخذه الله نكال الآخرة والأولى] ولا معنى قوله [فأخذناه أخذاً وببلا] إلى غير ذلك من الآيات والأعاديث الكثيرة الدالة على أن فرعون أ كفر الكافرين كما هو مجمع عليه بين اليهود والنصارى والمسلمين .

وفي صبيحة يوم الجمعة سادس القعدة قدم البريد بطالب نائب السلطنة إلى الديار المصرية في تكريم وتعميم ، على عادة تنكز ، فتوجه النائب إلى الديار المصرية وقد استصحب معه تحفا سنية وهدايا من منظمة تصالح للإيوان الشريف . في صبيحة السبت رابع عشره ، خرج زعمه القضاة والأعيان

من الحجبة والأمراء لتوديعه . وفي أوائل ذى الحجة ورد كتاب من نائب السلطنة بخطه إلى قاضي القضاة تاج الدين الشافعي يستدعيه إلى القدس الشريف ، وزيارة قبر الخليل ، ويذكر فيه معاملته به السلطان من الأحسان والأكرام والاحترام والاطلاق والانعقاد من الخيل والتحف والمال والغلات فتوجه نحوه قاضي القضاة يوم الجمعة بعد الصلاة رابعا على ستة من خيل البريد ، ومعه تحف وما يناسب من الهدايا ، وعاد عشية يوم الجمعة ثامن عشره إلى بستانه .

ووقع في هذا الشهر والذي قبله سيول كثيرة جدا في أماكن متعددة ، من ذلك ما شاهدنا آثاره في مدينة بعلبك ، أتلّف شيئا كثيرا من الأشجار ، واخترق أماكن كثيرة متعددة عندهم ، وبقى آثار سبجه على أماكن كثيرة ، ومن ذلك سيل وقع بأرض جملوص أتلّف شيئا كثيرا جدا ، وغرق فيه قاضي تلك الناحية ، ومعه بعض الأخيار ، كانوا وقفا على أكمة فدهمهم أمر عظيم ، ولم يستطيعوا دفعه ولا منعه ، فهلكوا . ومن ذلك سيل وقع بناحية حسة جمال فهلك به شيء كثير من الأشجار والأغنام والأعشاب وغيرها . ومن ذلك سيل بأرض حلب هلك به خلق كثير من الترك وغيرهم : رجالا ونساء وأطفالا وغنا وإبلا . قرأته من كتاب من شاهد ذلك عيانا ، وذكر أنه سقط عليهم برد وزنت الواحدة منه فبلغت زنتها سبعمائة درهم وفيه ما هو أكبر من ذلك وأصغر ، انتهى .

الأمر بالزام القلندرية بترك حلق لحاهم وحواجبيهم وشواربهم

وذلك بحرم بالأجماع حسب ما حكاه ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء بالكرامية

ورد كتاب من السلطان أيده الله إلى دمشق في يوم الثلاثاء خاتم عشر ذى الحجة ، بالزامهم بزي المسلمين وترك زي الأعاجم والجوس ، فلا يمكن أحد منهم من الدخول إلى بلاد السلطان حتى يترك هذا الزي المبتدع ، واللباس المستنقع ، ومن لا يلتزم بذلك يمزّر شرعا ، ويقام من قراره قلعا ، وكان اللائق أن يؤمروا بترك كل الحشيشة الخسيسة ، وإقامة الحد عليهم بأكلها وسكرها ، كما أفتى بذلك بعض الفقهاء . والمقصود أنهم نودى عليهم بذلك في جميع أرجاء البلد ونواحيه في صبيحة يوم الأربعاء والله الحمد والمنة .

وبلغنا في هذا الشهر وفاة الشيخ الصالح الشيخ أحمد بن موسى الزرعي بمدينة جبراص يوم الثلاثاء خامس ذى الحجة ، وكان من المبشرين بالأمم بالمر وف والنهي عن المنكر ، والقيام في مصالح الناس عند السلطان والدولة ، وله وجاهة عند الخواص والعوام ، رحمه الله . والأمير سيف الدين كحلان بن الاقوس ، الذي كان حاكما بدمشق وأميرا ، ثم عزل عن ذلك كله ، ونفاه السلطان إلى طرابلس فمات هناك .

وقدم نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر عائدا من الديار المصرية ، وقد لقي من السلطان

إكراما وإحسانا زائداً فاجتاز في طريقه بالقدس الشريف فأقام به يوم عرفة والنحر، ثم سلك على طريق غابة أرسوف يصطاد بها فأصابه وحك منعه عن ذلك، فأسرع السير فدخل دمشق من صبيحة يوم الاثنين الحادى والعشرين منه في أبهة هائلة، ورياسة طائلة، وتزايد وخرج العامة للتفرج عليه والنظر إليه في مجيئه هذا، فدخل وعليه قباء معظم ومطرز، وبين يديه ماجرت به العادة من الخوفية والشاليشية وغيرهم، ومن نيته الاحسان إلى الرعية والنظر في أحوال الأوقاف وإصلاحها على طريقة تنكز رحمه الله، انتهى والله أعلم.

ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبع مائة

استملت هذه السنة المباركة وساهلها بالديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك ويلتحق به الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى، ولا نائب له بالديار المصرية، وقضاياه بها هم المذكورون في العام الماضى، ووزيره القاضى بن اخصيب ونائب الشام بدمشق الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى، والقضاة والخطيب وبقية الأشراف وناظر الجيش والمحاسب هم المذكورون في العام الماضى، والوزير ابن قزوينه، وكان السرى القاضى أمين الدين بن القلانسى، ووكيل بيت المال القاضى صلاح الدين الصفدى وهو أحد موقى الدست الأربعة. وشاد الأوقاف الأمير ناصر الدين بن فضل الله، وحاجب الحجاب اليوسفى، وقد توجه إلى الديار المصرية ليكون بها أمير جنهار، ومتولى البلد ناصر الدين، ونقيب النقباء ابن الشجاعى. وفي صبيحة يوم الاثنين سادس المحرم قدم الأمير على نائب حماة منها فدخل دمشق مجتازاً إلى الديار المصرية فنزل في القصر الأبقى ثم تحول إلى دار دويداره يلعبها الذى جدد فيها مساكن كثيرة بالقصعين. وتردد الناس إليه للسلام عليه، فأقام بها إلى صبيحة يوم الخميس تاسعه، فسار إلى الديار المصرية. وفي يوم الأحد تاسع عشر المحرم أحضر حسن بن الخياط من محلة الشاغور إلى مجلس الحكم المالسى من السجن، وناظر في إيمان فرعون وادعى عليه بدعاوى لانتصاره لفرعون لعنه الله، وصدق ذلك باعترافه أولاً ثم بمنابرته في ذلك ثانياً وثالثاً، وهو شيخ كبير جاهل عامى ذا نص لا يقيم دليلاً ولا يحسنه، وإنما قام في مخيلته شبهة محتج عليها بقوله إخباراً عن فرعون حين أدركه الفرق، وأحيط به ورأى بأس الله، وعابن عذابه الأليم، فقال حين الفرق إذاً [آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين] قال الله تعالى [الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم نتجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية] فاعتقد هذا العامى أن هذا الإيمان الذى صدر من فرعون والحالة هذه ينفعه، وقد قال تعالى [فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون] وقال تعالى

(إن الذين حققت عليهم كلت ربك لا يؤمنون به ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الآليم . قال قد أجيبت دعوتكما) الآية . ثم حضر في يوم آخر وهو مصمم على ضلاله فضرب بالسياط ، فأظهر التوبة ثم أعيد إلى السجن في زنجير ، ثم أحضر يوماً ثالثاً وهو يستهل بالتوبة فيما يظهر ، فنودي عليه في البلد ثم أطلق .

وفي ليلة الثلاثاء الرابع عشر طلع القمر خاسفاً كله ولكن كان تحت السحاب ، فلما ظهر وقت العشاء وقد أخذ في الجلاء صلى الخطيب صلاة الكسوف قبل العشاء ، وقرأ في الأولى بسورة العنكبوت وفي الأخرى بسورة يس ، ثم صعد المنبر فخطب ثم نزل بعد العشاء . وقدمت كتب الحجاج يخبرون بالرخص والأمن ، واستمرت زيادة الماء من أول ذى الحجة وقبلها إلى هذه الأيام من آخر هذا الشهر والأمر على حاله ، وهذا شيء لم يعهد كما أخبر به عامة الشيوخ ، وسببه أنه جاء ماء من بعض الجبال انهمال في طريق النهر .

ودخل المحمل السلطاني يوم الثلاثاء الحسادى والعشرين من المحرم قبل الظهر ، وسلك أمير الحاج شركس المراداني الذي كان متبياً بمكة شرفها الله تعالى ، وحماها من الأوغاد ، فلما عادت التجريدة مع الحجاج إلى دمشق صحبة القراستقر من ساعة وصوله إلى دمشق ، فقيد وسير إلى الديار المصرية على البريد ، وبلغنا أن الأمير سسند أمير مكة غرر بجند السلطان الذين ساروا صحبة ابن قراستقر وكبسهم وقتل من حواشيهم وأخذوا خيولهم ، وأنهم ساروا جرائد بغير شيء مسلوبين إلى الديار المصرية ، فأن الله وإنا إليه راجعون .

وفي أول شوال اشتهر فيه وتواتر خبر الفناء الذي بالديار المصرية بسبب كثرة المستنقعات من فيض النيل عندهم ، على خلاف المعتاد ، فبلغنا أنه يموت من أهلها كل يوم فوق الألفين ، فأما المرض فكثير جداً ، وغلت الأسعار لقلة من يتعاطى الأشغال ، وغلا السكر والامياه والذاتكة جداً ، وتبرز السلطان إلى ظاهر البلد وحصل له تشو يش أيضاً ، ثم عوفي بحمد الله .

وفي ثالث ربيع الآخر قدم من الديار المصرية ابن الحجاف رسول صاحب العراق الخطبة بنت السلطان ، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يصدقها مملكة بغداد ، وأعطاهم مستحقاً سلطانياً ، وأطلق لهم من التحف والخلع والأموال شيئاً كثيراً ، ورسم الرسول بمشترى قرية من بيت المال لتوقف على الخلقاء التي يريد أن يتخذها بدمشق قريباً من الطواويس ، وقد خرج لتلقيه نائب النيبة وهو حاجب الحجاب ، والدولة والاعيان . وقرأت في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر كتاباً ورد من حلب بخط الفقيه العدل شمس الدين العراقي من أهلها ، ذكر فيه أنه كان في حضرة نائب السلطنة في دار العدل يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الاول وأنه أحضر رجلاً قد ولد له ولد

عاش ساعة ومات ، وأحضره معه وشاهده الحاضرون ، وشاهده كاتب الكتاب ، فإذا هو شكل سوى له على كل كتف رأس بوجه مستدير ، والوجهان إلى ناحية واحدة فسبحان الخلاق العليم . وبلغنا أنه في هذا الشهر سقطت المنارة التي بنيت للمدرسة السلطانية بمصر ، وكانت مستجدة على صفة غربية ، وذلك أنها منارتان على أصل واحد فوق قبو الباب الذي للمدرسة المذكورة ، فلما سقطت أهلكت خلقا كثيرا من الصنائع بالمدرسة والمارة والصبيان الذين في مكتب المدرسة ، ولم ينج من الصبيان فيما ذكر شيء سوى ستة ، وكان جملة من هلك بسببها نحو ثلثمائة نفس ، وقيل أكثر وقيل أقل ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وخرج نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدمر إلى الفيضة لاصلاحها وإزالة ما فيها من الأشجار المؤذية والدغل يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر ، وكان ساخه ، وخرج معه جميع الجيش من الأمراء وأصحابه ، وأجناد الحلقة برمتهم لم يتأخر منهم أحد ، وكلهم يعملون فيها بأنفسهم وغلانهم ، وأحضر إليهم خلق من فلاحى المروج والغوطة وغير ذلك ، ورجع يوم السبت خامس الشهر الداخلى وقد نظفوها من القل والدغل والغش .

وافقت كاتبة غربية لبعض السؤال ، وهو أنه اجتمع جماعة منهم قبل الفجر ليأخذوا خبراً من صدقة تربة امرأة ملك الأمراء تنسكن عند باب الخواصين ، فتضاربوا فيما بينهم فعمدوا إلى رجل منهم فخنقوه خنقا شديداً ، وأخذوا منه جراباً فيه نحو من أربعة آلاف درهم . وشئ من الذهب وذهبوا على حية ، وأفاق هو من الغشى فلم يجدهم ، واشتكى أمره إلى متولى البلد فلم يظفر بهم إلى الآن ، وقد أخبرني الذي أخذوا منه أنهم أخذوا منه ثلاثة آلاف درهم مائة ، وألف درهم بندقية ودينارين وزنهما ثلاثة دنانير . كذا قال لي إن كان صادقا .

وفي صبيحة يوم السبت خامس جمادى الأولى طلب قاضى القضاة شرف الدين الحنفى للشيخ على بن البنا ، وقد كان يتكلم في الجامع الأموى على الدوام ، وهو جالس على الأرض شئ من الوعظيات وما أشبهها من صدره ، فكأنه تعرض في غضون كلامه لأبى حنيفة رحمه الله ، فأحضر فاستناب من ذلك ، ومنه قاضى القضاة شرف الدين الكفرى من الكلام على الناس وسجنه ، وبلغنى أنه حكم بإسلامه وأطلقه من يومه ، وهذا المذكور ابن البنا عنده زهادة وتسف ، وهو مصرى يسمع الحديث ويقرؤه ، ويتكلم بشئ من الوعظيات والرقائق ، وضرب أمثال ، وقد مال إليه كثير من العوام واستحلوه ، وكلامه قريب إلى مفهومهم ، وربما أضحك في كلامه ، وحاضرتة وهو مطبوع قريب إلى الفهم ، ولكنّه أشار فيما ذكر عنه في شطحته إلى بعض الاشياء التي لا تنبى أن تذكر ، والله الموفق ، ثم إنه جلس للناس في يوم الثلاثاء ثامن فتكلم على عادته فتطلبه القاضى المذكور فيقال إن المذكور تمت انتهى والله أعلم .

سلطنة الملك المنصور صلاح الدين محمد

ابن الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون بن عبد الله الصالحى وزوال دولة همه الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون .

لما كثر طعمه وتزايد شرهه ، وسامت سيرته إلى رعيته ، وضيق عليهم فى معاشهم وأكسابهم ، وبني البناءات الجبارة التى لا يحتاج إلى كثير منها ، واستحوذ على كثير من أملاك بيت المال وأمواله ، واشترى منه قرايا كثيرة ومدنا أيضا ورساتيق ، وشق ذلك على الناس جدا ، ولم يتجاسر أحد من القضاة ولا الولاة ولا العلماء ولا الصالحاء على الإنكار عليه ، ولا الهجوم عليه ، ولا النصيحة له بما هو المصلحة له وللمسلمين ، انتقم الله منه فسلط عليه جنده وقلب قلوب رعيته من الخاصة والعامة عليه ، لما قطع من أرزاقهم ومعاليهم وجوامكهم وأخبارهم ، وأضاف ذلك جميعه إلى خاصته ، قتل الأمراء والاجناء والمقدمون والكتاب والموقعون ، ومس الناس الضرر وتعدى على جوامكهم وأولادهم ومن يلود بهم ، فعند ذلك قدر الله تعالى هلاكه على يد أحد خواصه وهو الأمير الكبير سيف الدين يلبنغا الخاصكى . وذلك أنه أراد السلطان مسكه فاعتد لذلك ، وركب السلطان لمسكه فركب هو فى جيش ، وتلاقيا فى ظاهر القاهرة حيث كانوا نزولا فى الوطائق ، فهزم السلطان بعد كل حساب ، وقد قتل من الفريقين طائفة ، ولجأ السلطان إلى قلعة الجبل ، كلالا ووزر ، ولن ينجى حذرن قدر ، فبات الجيش بكاله محذقا بالقلعة ، فهم بالحرب فى الليل على عجن كان قد اعتدها ليهرب إلى الكرك ، فلما برز مسك واعتقل ودخل به إلى دار يلبنغا الخاصكى المذكور ، وكان آخر العهد به ، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ، وصارت الدولة والمشورة متناهية إلى الأمير سيف الدين يلبنغا الخاصكى ، فاتفقت الآراء واجتمعت السكامة وانفذت البيعة للملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي ، وخطب الخطباء وضربت السكة ، وسارت البريدية للبيعة بأسمه الشريف ، هذا وهو ابن ثنى عشرة ، وقبل أربع عشرة ، ومن الناس من قال ست عشرة ، ورسم فى عود الأمور إلى ما كانت عليه فى أيام والده الناصر محمد بن قلاوون ، وأن يبطل جميع ما كان أخذه الملك الناصر حسن ، وأن تعاد المرتبات والجوامك التى كان قطعها ، وأمر باحضار طار وطاشتمر القامى من سجن اسكندرية إلى بين يديه ليكونا آتابكا ، وجاء الخبر إلى دمشق بحبة الأمير سيف الدين بزلا رشاد الترمبخانة أحد أمراء الطبليخانات بمصر صبيحة يوم الأربعاء سادس عشر الشهر ، فضربت البشائر بالقلعة وطبلخانات الأمراء على أبوابهم ، وزين البلد بكاله ، وأخذت البيعة له صبيحة يومه بدار السمادة وخلع عن نائب السلطنة تشرىف هائل ، وفرح أكثر الأمراء والجند والعامة والله الأمر ، وله الحكم . قال تعالى [قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتمز من تشاء

وتنزل من نشاء [الآية . ووجد على حجر بالحيرية فقرئت للمأمون فاذا مكتوب .

ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في ذلك
إلا لنقل النعيم من ملك * قد زال سلطانه إلى ملك
وملك ذى العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بعشرك

وروى عن سليمان بن عبد الملك بن مروان أنه خرج يوماً لصلاة الجمعة ، وكان سوى الخلق
حسنه ، وقد لبس حلة خضراء ، وهو شاب ممتلئ شبابا ، وينظر في أعطافه ولباسه ، فأعجبه ذلك من
نفسه ، فلما بلغ إلى صرح الدار تلتفت جنبة في صورة جارية من حظاياها فأنشدته :

أنت نعم لو كنت تبقي * غير أن لا حياة للانسان
ليس فيها علمت فيك عي * بئ يذكرك غير أنك فان

فصعد المنبر الذى فى جامع دمشق وخطب الناس ، وكان جهورى الصوت يسمع أهل الجامع وهو
قائم على المنبر ، فضعف صوته قليلا قليلا حتى لم يسمعه أهل المقصورة ، فلما فرغ من الصلاة حمل
إلى منزله فاستحضر تلك الجارية التى تبعت تلك الجنبة على صورتها ، وقال : كيف أنشدتني تينك
البيتين ؟ قالت : ما أنشدتك شيئا . فقال : الله أكبر فميت والله إلى نفسى . فأوصى أن يكون
الخليفة من بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقدم نائب طرابلس المعزول عليلا والأمير سيف الدين استدمر الذى كان نائب دمشق وكانا
مقيمان بطرابلس جميعاً ، فى صبيحة يوم السبت السادس والعشرين منه ، فدخل دار السعادة فلم يحتفل
بهما نائب السلطنة .

وتكامل فى هذا الشهر تجديد الرواق غربى باب الناطقانيين إصلاحاً بدرابزيناته وتبييضاً
لجدرانته ومحراب فيه ، وجعل له شبابيك فى الدرابزينات ، ووقف فيه قراءة تقرأ بعد المغرب ،
وذكروا أن شخصاً رأى مناماً فقصه على نائب السلطنة فأمر بإصلاحه . وفيه نهض بناء المدرسة التى
إلى جانب هذا المكان من الشباك ، وقد كان أسسها أولاً علم الدين بن هلال ، فلما صودر أخذت
منه وجمعت مضافة إلى السلطان ، فبنوا فوق الأساسات وجعلوا لها خمسة شبابيك من شرقها ،
وباباً قبلها ، ومحراباً وبركة وعراقية ، وجعلوا حائطها بالحجارة البيض والسود ، وكلوا عاليها بالأجر ،
وجاءت فى غاية الحسن ، وقد كان السلطان الناصر حسن قد رسم بأن تجعل مكتبة للأيتام فلم يتم أمرها
حتى قتل كما ذكرنا .

واشتهر فى هذا الشهر أن بقرة كانت نجيء من ناحية باب الجابية تقصد جراء لكلية قد ماتت
أهمهم ، وهى فى ناحية كنيسة مريم فى خرابة ، فتجىء إليهم فتسلط على شقها فترضع أولئك الجراء

منها ، تكرر هذا منها مراراً ، وأخبرني المحدث المفيد التقى نور الدين أحمد بن المقصوص بمشاهدته ذلك .

وفي العشر الأوسط من جمادى الآخرة نادى مناد من جهة نائب السلطنة حرسه الله تعالى في البلد أن النساء يمشن في تسنن ويلبسن أزهرن إلى أسفل من سائر ثيابهن ، ولا يظهن زينة ولا يداً ، فامتنان ذلك والله الحمد والمنة . وقدم أمير العرب جبار بن مهنا في أبهة هائلة ، وتلقاه نائب السلطنة إلى أثناء الطريق ، وهو قاصد إلى الأبواب الشريفة . وفي أواخر رجب قدم الأمير سيف الدين تمر المهندار من نيابة غزة حاجب الحجاب بدمشق ، وعلى مقدمة رأس الميمنة ، وأطلق نائب السلطنة مكوسات كثيرة ، مثل مكس الحداية وانزل المرددن الحلب والطباي ، وأبطل ما كان يؤخذ من المحتسبين زيادة على نصف درهم ، وما يؤخذ من أجرة عدة الموقى كل ميت بثلاثة ونصف ، وجعل العدة التي في القيسارية للعاجلة مسجلة لا تمنع على أحد في تغسيل ميت ، وهذا حسن جداً ، وكذلك منع التحجر في بيع البلح المختص به ، وبيع مثل بقية الناس من غير طرحان فرخص على الناس في هذه السنة جداً ، حتى قيل إنه يبيع القنطار بمشيرة ، وما حولها .

وفي شهر شعبان قدم الأمير جبار بن مهنا من الديار المصرية فنزل القصر الأبلق وتلقاه نائب السلطنة وأكرم كل منهما الآخر ، ثم ترحل بعد أيام قلائل ، وقدم الأمراء الذين كانوا بمحبس الاسكندرية في صبيحة يوم الجمعة سابعه ، وفيهم الأمير شهاب الدين بن صبيح وسيف الدين طيدير الحاجب ، وطيرف ومقدم ألف ، وعمرشاه ، وهذا ونائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدير أعزه الله يبطل المكوسات شيئاً بعد شيء مما فيه مضرة بالمسلمين ، وبلغني عنه أن من عزمه أن يبطل جميع ذلك إن أمكنه الله من ذلك ، آمين انتهى .

تنبيه على واقعة غريبة واتقان عجيب .

نائب السلطنة الأمير سيف الدين بيدير فيما بلغنا في نفسه عتب على أتابك الديار المصرية الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي مدبر الدولة بها ، وقد توسم وتوهم منه أنه يسمى في صرفه عن الشام ، وفي نفس نائبنا قوة وصرامة شديدة ، فتقسم منه ببعض الإباء عن طاعة يلبغا ، مع استمراره على طاعة السلطان ، وأنه إن اتفق عزل من قبل يلبغا أنه لا يسمع ولا يطيع ، فعمل أعمالاً وافق في غضون هذا الحال موت نائب القلعة المنصورة بدمشق وهو الأمير سيف الدين برناق الناصري فأرسل نائب السلطنة من أصحابه وحاشيته من يتسلم القلعة برمتها ، ودخل هو بنفسه إليها ، وطلب الأمير زين الدين زباله الذي كان قفيها ثم نائبها وهو من أخبر الناس بها ومخطاتها وحواصلها ، فدار معه فيها وأراه حصونها وبروجها ومفاتيحها وأغلقها ودورها وقصورها وعددها وبركتها ، وما هو معد

فيها ولما ، وتعجب الناس من هذا الاتفاق في هذا الحال ، حيث لم يتفق ذلك لأحد من النواب قبله قط ، وفتح الباب الذي هو تجاه دار السعادة وجعل نائب السلطنة يدخل منه إلى القلعة ويخرج بخدمة وحشمه وأهله يكشف أمرها وينظر في مصالحها أيده الله .

ولما كان يوم السبت خامس عشر شعبان ركب في الموكب على العادة واستدعى الأمير سيف الدين استدمر الذي كان نائب الشام ، وهو في منزله كالمعتقل فيه ، لا يركب ولا يراه أحد ، فأحضره إليه وركب معه ، وكذلك الأمراء الذين قدموا من الديار المصرية : طبرق ، وهو أحد أمراء الأتوف وطيدمر الحاجب ، كان ، وأما ابن صبيح وعمر شاه فانهما كانا قد سافرا يوم الجمعة عشية النهار ، والمقصود أنه سيرهم وجميع الأمراء يسوق الخيل ، ونزل بهم كلهم إلى دار السعادة فتماهدوا وتعاقدوا واتفقوا على أن يكونوا كلهم كنفاً واحداً ، وعصبة واحدة على مخالفة من أرادهم بسوء وأنهم يد على من سوام ممن أراد عزل أحد منهم أو قتله ، وأن من قاتلهم قاتلوه ، وأن السلطان هو ابن أستاذهم الملك المنصور بن حاجي بن الناصر بن المنصور قلاوون ، فطالعوا كلهم لنائب السلطنة على ما أراد من ذلك ، وحلفوا له وخرجوا من عنده على هذا الجلف ، وقام نائب السلطنة على عادته في عظمة هائلة ، وأهله كثيرة ، والمسئول من الله حسن العاقبة .

وفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر شعبان أبطل ملك الأمراء المكس الذي يؤخذ من الملح وأبطال مكس الأفراح ، وأبطال أن لا تغني امرأة لرجال ، ولا رجل لنساء ، وهذا في غاية ما يكون من المصاحبة العظيمة الشامل نفعا . وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره شرع نائب السلطنة سيف الدين بيدمر في نصب مجانيق على أعلى بروج القلعة ، فنصبت أربع مجانيق من جهاتها الأربع ، وبلغني أنه نصب آخر في أرضها عند البحيرة ، ثم نصب آخر وآخر حتى شاهد الناس ستة مجانيق على ظهور الأبرجة ، وأخرج منها القلعية وأسكنها خلقا من الأكراد والتركمان وغيرهم من الرجال الاتجاد ، ونقل إليها من الغلات والأطعمة والأمتعة وآلات الحرب شيئا كثيرا ، واستعد للحصار إن حوصر فيها بما يحتاج إليه من جميع ما يرصد من القلاع ، بما يفوت الحصر . ولما شاهد أهل البساتين المجانيق قد نصبت في القلعة انزعجوا وانتقل أكثرهم من البساتين إلى البلد ، ومنهم من أودع عند أهل البلد نفائس أموالهم وأمتعتهم ، والعاقبة إلى خير إن شاء الله تعالى .

وجاءتني فتيا صورتها : ما تقول السادة العلماء في ملك اشترى غلاماً فأحسن إليه وأعطاه وقدمه ، ثم إنه وثب على سيده فقتله وأخذ ماله ومنع ورثته منه ، وتصرف في المملكة ، وأرسل إلى بعض نواب البلاد ليقدم عليه ليقضه ، فهل له الامتناع منه ؟ وهل إذا قاتل دون نفسه وماله حتى يقتل يكون شهيداً أم لا ؟ وهل يثاب الساعي في خلاص حق ورثة الملك المقتول من القصاص والمال ؟ أفقتونا مأجورين .

نقلت للذي جاءني بها من جهة الأمير : إن كان مراده خلاص ذمته فيما بينه وبين الله تعالى فهو أعلم بنيتة في الذي يقصده ، ولا يسمى في تحصيل حق معين إذا ترتب على ذلك مفسدة راجعة على ذلك ، فيؤخر الطالب إلى وقت إمكانه بطريقه ، وإن كان مراده بهذا الاستفتاء أن يتقوى بها في جمع الدولة والأمراء عليه ، فلا بد أن يكتب عليها كبار القضاة والمشايخ أولاً ، ثم بعد ذلك بقية المفتين بطريقه والله الموفق للصواب .

هذا وقد اجتمع على الأمير نائب السلطنة جميع أمراء الشام ، حتى قيل إن فيهم من نواب السلطنة سبعة عشر أميراً ، وكلهم يحضر معه الموكب المائلة ، وينزلون معه إلى دار السيادة ، ويعد لهم الأسمطة ويأكل معهم ، وجاء الخبر بأن الأمير منجك الطرجاقي المقيم ببیت المقدس قد أظهر الموافقة لنائب السلطنة ، فأرسل له جبريل ثم عاد فأخبر بالموافقة ، وأنه قد استحوذ على غرة وثاقبه ، وقد جمع وحشد واستخدم طوائف ، ومسك على الجادة فلا يدع أحداً يمر إلا أن يفتش ما معه ، لاحتمال إيصال كتب من هاهنا إلى هاهنا ، ومع هذا كله ظلمة ثابتة جداً ، والأمن حامل هناك ، فلا يخاف أحده ، وكذلك بدمشق وضواحيها ، لا يحتاج أحد ولا يتعدى أحد على أحد ، ولا يذهب أحد لأحد شيئاً من ماله ، وغير أن بعض أهل البساتين تومروا وركبوا إلى المدينة وتحوّلوا ، وأودع بعضهم نفائس ما عندهم ، وأقاموا بها على وجل ، ذلك لما رأوا المجانيق الستة منصوبة على رؤس قلال الأبراج التي للقلعة ، ثم أحضر نائب السلطنة القضاة الأربعة والأمراء كلهم وكتبوا مكنوباً سطره بينهم كاتب السر ، أنهم راضون بالسلطان كارهون ليلبغا ، وأنهم لا يريدونه ولا يوافقون على تصرفه في المملكة ، وشهد عليهم القضاة بذلك ، وأرسلوا المكتوب مع مملوك للأمر طيفي الطويل ، نظير يلبغا بالديار المصرية ، وأرسل منجك إلى نائب السلطنة يستحثه في الحضور إليه في الجيش لينجزوا المصريين ، فمِن نائب الشام من الجيش طائفة يبرزون بين يديه ، وخرجت التجربة ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان محبة استدمر الذي كان نائب الشام مدداً للأمير منجك في ألفين ، ويذكر الناس أن نائب السلطنة بمن بقي من الجيش يذهبون على إثرهم ، ثم خرجت أخرى بعدها ثلاثة آلاف ، ليلة الثلاثاء الثامن من رمضان كما سيأتي .

وتوفي الشيخ الحافظ علاء الدين مغلطاي المصري بها في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان من هذه السنة ، ودفن من القند بالزيدانية ، وقد كتب الكثير وصنف وجمع ، وكانت عنده كتب كثيرة رحمه الله .

وفي مستهل رمضان أحضر جماعة من التجار إلى دار العدل ظاهر باب النصر لبيع شيء عليهم من القند والفولاذ والزجاج مما هو في حواصل يلبغا ، فامتنعوا من ذلك خوفاً من استعادته منهم على

تقدير، فضرب بعضهم، منهم شهاب الدين ابن السواف بين يدي الحجاب، وشاد الدواوين، ثم أفرج عنهم في اليوم الثاني ففرج الله بذلك.

وخرجت التجريدة ليلة الثلاثاء بعد العشاء محبة ثلاثة مقدمين منهم عراق ثم ابن صبيح ثم ابن طارغية، ودخل نائب طرابلس الأمير سيف الدين تومان إلى دمشق صبيحة يوم الأربعاء عاشر رمضان، فتلقيه ملك الأمراء سيف الدين بيدمر إلى الأقصر، ودخلا ما في أبهة عظيمة، فنزل تومان في القصر الأبلق، وبرز من معه من الجيوش إلى عند قبة يلغا، هذا والقلة منصوب عليها المجانيق، وقد ملئت حرساً شديداً، ونائب السلطنة في غاية التحفظ. ولما أصبح يوم الخميس صمم تومان تمر على ملك الأمراء في الرحيل إلى غزة ليتوافى هو وبقية من تقدمه من الجيش الشامي، ومنجك ومن معه هنالك، ليقض الله أمراً كان مفعولاً، فأجابه إلى ذلك وأمر بتقديم السبق بين يديه في هذا اليوم، فخرج السبق وأغلقت القلعة بابها المسلوكة الذي عند دار الحديث، فاستوحش الناس من ذلك، والله يحسن العاقبة

خروج ملك الأمراء بيدمر من دمشق إلى غزة

صلى الجمعة بالمقصورة الثاني عشر من رمضان نائب السلطنة، ونائب طرابلس، ثم اجتمعوا بالخطبة في مقصورة الخطابة، ثم راح لدار السعادة ثم خرج طلبه في تجمل هائل على ما ذكر بعد العصر، وخرج معهم فاستعرضهم ثم عاد إلى دار السعادة فبات إلى أن صلى الصبح، ثم ركب خلف الجيش هو ونائب طرابلس، وخرج عامة من بقي من الجيش من الأمراء وبقية الحلقة، وسلمهم الله، وكذلك خرج القضاة، وكذلك كاتب السر ووكيل بيت المال وغيرهم من كتاب الدست، وأصبح الناس يوم السبت وليس أحد من الجنود بدمشق، سوى نائب الغيبة الأمير سيف الدين بن حمزة التركاني، وقرينه والي البر، ومتولى البلد الأمير بدر الدين صدقة بن أوحى، ومحتسب البلد ونواب القضاة والقلعة على حالها، والمجانيق منصوبة كما هي. ولما كان صبح يوم الأحد رجع القضاة بكرة ثم رجع ملك الأمراء في أثناء النهار هو وتومان تمر، وهم كلهم في لبس وأسلحة تامة، وكل منهما خائف من الآخر أن يسكه، فدخل هذا دار السعادة وراح الآخر إلى القصر الأبلق، ولما كان بعد العصر قدم منجك واستندم كان نائب السلطنة بدمشق، وهما مغلولان قد كسرها من كان قدم على منجك من العساكر التي جهزها بيدمر إلى منجك قوة له على المصريين، وكان ذلك على يدي الأمير سيف الدين تمر حاجب الحجاب ويعرف بالمهندار، قال لمنجك كننا في خدمة من بمصر، ونحن لانطيعك على نصرة بيدمر، فتقاولا ثم تقاتلا فهزم منجك وذهب تمر ومنجك ومن كان معهما كان صبح وطيدمر. ولما أصبح الصباح من يوم الاثنين خامس عشر لم يوجد لتومان تمر وطبترق

ولا أحد من أمراء دمشق عيّن ولا أثر ، قد ذهبوا كلهم إلى طاعة صاحب مصر ، ولم يبق بدمشق من أمرائها سوى ابن قراسنقر من الأمراء المنتقدين ، وسوى بيدمر ومنجك واستندر ، والقلعة قد هيئت والمجانيق منصوبة على حالها ، والناس في خوف شديد من دخول بيدمر إلى القلعة ، فيحصل بعد ذلك عند قدوم الجيش المصرى حصار وتعب ومشقة على الناس ، والله يحسن العاقبة .

ولما كان في أثناء نهار الاثنين سادس عشره دقت البشار في القلعة وأظهر أن يلبغا الخاصكى قد نفاه السلطان إلى الشام ، ثم ضربت وقت المغرب ثم بعد العشاء في صبيحة يوم الثلاثاء أيضا ، وفي كل ذلك يركب الأمراء الثلاثة منجك وبيدمر واستندر ملبسين ، ويخرجون إلى خارج البلد ، ثم يعودون ، والناس فيما يقال ما بين مصدق ومكذب ، ولكن قد شرع إلى تستير القلعة ونهى الحصار ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

ثم تبين أن هذه البشار لا حقيقة لها ، فاهتم في عمل سنائر القلعة وحمل الزايط والأحجار إليها ، الأغنام والحوامل ، وقد وردت الأخبار بأن الركاب الشريف السلطاني ومحبته يلبغا في جميع جيش مصر قد عهدا غزاة ، فعند ذلك خرج المصاحب وكاتب السر والقاضي الشافعى وناظر الجيش وتقبأوه وتمسكوا بالبلد وتوجروا لتقاء حماة لتلقى الأمير على الذى قد جاءه تقليد دمشق ، وبقى البلد شاغرا عن حاكم فيها سوى المحتسب وبعض القضاة ، والناس كغفم لاراعى لهم ، ومع هذا الأحوال صالحة والأمور ساكنة ، لا يمدو أحد على أحد فيما بلغنا ، وهذا وبيدمر ومنجك واستندر في تحصين القلعة وتحصيل العدد والأقوات فيها ، والله غالب على أمره ، أيما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة . السنائر تعمل فوق الأبرجة ، وصلى الأمير بيدمر صلاة الجمعة تاسع عشر الشهر فى الشباك السكالى ، فى مشهد عثمان ، وصلى عنده منجك إلى جانبه داخل موضع القضاة ، وليس هناك أحد من الحجبة ولا النقباء ، وليس فى البلد أحد من المباشرين بالكلية ، ولا من الجند إلا القليل ، وكلهم قد سافروا إلى ناحية السلطان ، والمباشررون إلى ناحية حماة لتلقى الأمير على نائب الشام المحروس ، ثم عاد إلى القلعة ولم يحضر الصلاة استندر ، لأنه قليل كان منقطعا أو قد صلى فى القلعة .

وفى يوم السبت العشرين من الشهر وصل البريد من جهة السلطان من أبناء الرسول إلى نائب دمشق يستعلم طاعته أو مخالفته ، وبث عليه فيما اعتمده من استحوذ على القلعة ويخطب فيها ، وادخار الآلات والإعلامات فيها ، وعدم المجانيق والسنائر عليها ، وكيف تصرف فى الأموال السلطانية تصرف الملك والملوك ، فتتصل ملك الأمراء من ذلك ، وذكر أنه إنما أرصد فى القلعة جنادتها وأنه لم يدخلها ، وأن أبوابها مفتوحة ، وهى قلعة السلطان ، وإمالة غريم بينه وبينه الشرع

والقضاة الأربعة - معنى يلبغا - وكتب بالجواب وأرسله محبة البري يدي وهو ككتكدي بملوك بقطبه الدويدار، وأرسل في محبته الأمير صارم الدين أحد أمراء العشرات من يوم ذلك .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين من رمضان أصبح أبواب البلد مغلقة إلى قريب الظهر ، وليس ثم مفتوح سوى باب النصر والفرج ، والناس في حصر شديد وانزعاج ، فأنفقوا إلى راجعون . ولكن قد اقترب وصول السلطان والعساكر المنصورة . وفي صبيحة الاربعاء أصبح الحال كما كان وأزيد ، ونزل الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي بقبة يلبغا ، وامتد طلبه من سيفه داريا إلى القبة المذكورة في أمة عظيمة ، وهيئة حسنة ، وتأخر الركاب الشريف بتأخره عن الصبيحين معه ، ودخل ييدمر في هذا اليوم إلى القلعة وتحصن بها . وفي يوم الخميس الخامس والعشرين منه استمرت الأبواب كلها مغلقة سوى باب النصر والفرج ، وضاق النطاق وانحصر الناس جذبا بموقع المصريين نهر بانياس والفرع الداخل إليها وإلى دار السعادة من القنوات ، واحتاجوا لذلك أن يقطعوا القنوات ليسدوا الفرع المذكور ، فانزعج أهل البلد لذلك وعلوا ما في بيوتهم من برك المدارس ، وبيعت القرية بدرهم ، والحق بنصف ، ثم أرسلت القنوات وقت العصر من يومئذ والله الحمد والمنة ، فأنشراح الناس لذلك ، وأصبح الصبح يوم الجمعة والأبواب مغلقة ولم يفتح باب النصر والفرج إلى بعد طلوع الشمس بزمان ، فأرسل يلبغا من جهته أربعة أمراء وهم الأمير زين الدين زباله الذي كان نائب القلعة ، والملك صلاح الدين ابن الكامل ، والشيخ على الذي كان نائب الرحبة من جهة ييدمر ، وأمير آخر ، فدخلوا البلد وكسروا أقفال أبواب البلد ، وفتحوا الأبواب ، فلما رأى ييدمر ذلك أرسل مفتاح البلد إليهم انتهى . وصول السلطان لتلك المنصور إلى المصطبة غربي عقبة سجورا

كان ذلك في يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رمضان في جحافل عظيمة كلجبال ، فنزل عند المصطبة المنسوبة إلى عم أبنه الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، وجاءت الأمراء ونواب البلاد لتقبيل يده والأرض بين يدي ، كنائب حلب ، ونائب حماة ، وهو الأمير علاء الدين المارداني ، وقد عين لنيابة دمشق ، وكتب بتقليده بذلك ، وأرسل إليه وهو بحماة . فلما كان يوم السبت السابع والعشرين منه خلع على الأمير علاء الدين على المارداني بنيابة دمشق ، وأعيد إليها هوذا على بدء ، ثم هذه الكرة الثالثة ، وقبل يد السلطان وركب عن يمينه ، وخرج أهل البلد اتهمته ، هذاو القلعة محصنة بيد ييدمر ، وقد دخلها ليلة الجمعة واحتجى بها ، هو ومنجك واستدمر ومن معه من الاعوان بها ، ولسان حال القدر يقول [أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة] ولما كان يوم الأحد طلب قضاة القضاة وأرسلوا إلى ييدمر وذويه بالقلعة ليصلحوه على شيء ميسور يشترطونه ، وكان ماستد كره انتهى والله تعالى أعلم .

سبب خروج بيدمر من القلعة وصفة ذلك

لما كان يوم الاحد الثامن والعشرين منه أرسل قضاة القضاة ومهمهم الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلي ، والشيخ مراح الدين الهندى الحنفى ، قاضى المسكر المصرى للحنفية ، إلى بيدمر ومن معه ليشككوا معهم فى الصلح لينزلوا على ما يشترطون قبيل أن يشرعوا فى الحصار والجانيق التى قد استدعى بها من صفد و بعلبك ، وأحضر من رجال النقاين نحو من ستة آلاف رام فلما اجتمع به القضاة ومن معهم وأخبروه عن السلطان وأعيان الأمراء بأنهم قد كتبوا له أماناً إن أناب إلى المصالحة ، فطلب أن يكون بأهله ببيت المقدس ، وطلب أن يعطى منجك كذا بناحية بلاد سيس ليسترقى هنالك ، وطلب استدعاء أن يكون بشه قدراً للأمر سيف الدين يلبغا الخالصكى . فرجع القضاة إلى السلطان ومهمهم الأمير زين الدين جبريل الحاجب كان ، فأخبروا السلطان والأمراء بذلك ، فأجيبوا إليه ، وخاع السلطان والأمراء على جبريل خلعا ، فرجع فى خدمة القضاة ومهمهم الأمير استبقا بن الابو بكرى ، فدخلوا القلعة وبانوا هنالك كلهم ، وانتقل الأمير بيدمر بأهله وأثاثه إلى داره بالمطروزيين ، فلما أصبح يوم الاثنين التاسع والعشرين منه خرج الأمراء الثلاثة من القلعة ومهمهم جبريل ، فدخل القضاة وسلموا القلعة بما فيها من الحواصل إلى الأمير استبقا بن الابو بكرى انتهى .

دخول السلطان محمد بن الملك أمير حاج بن الملك محمد ابن الملك قلاوون الى دمشق في جيشه وأمرائه

لما كان صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة رجع القضاة إلى الوطاق الشريف ، وفى محبتهم الأمراء الذين كانوا بالقلعة ، وقد أعطوا الأمان من جهة السلطان ومن معهم ونوحيهم ، فدخل القضاة وحجب الأمراء المذكورون ، فخلع على القضاة الأربعة وانصرفوا راجعين بجيهورين ، وأما الأمراء المذكورون فانهم أركبوا على خيل ضعيفة ، وخلف كل واحد منهم وساق أخذ بوسطه قبل ، وفى يد كل واحد من الوساقية خنجر كبير مسلول لئلا يستنفذه منه أحد فيقتله بها ، فدخل جبهة بين الناس ليروم ذلتهم التى قد لبسهم ، وقد أهدق الناس بالطريق من كل جانب ، فقام كثير من الناس ، الله أعلم بعدتهم ، إلا أنهم قد يقاربون المائة ألف أو يزيدون عليها ، فرأى الناس منظرًا عظيماً ، فدخل بهم الوساقية إلى الميدان الأخضر الذى فيه القصر ، فأجلسوا هنالك وهم ستة نفر : الثلاثة النواب وجبريل وابن استدعاء ، وسادس ، ووطن كل منهم أن يفعل بهم فاقرة ، فانما لله وإنا إليه راجعون ، وأرسلت الجيوش داخلة إلى دمشق أطلافاً في تجهيل عظيم ، ولبس الحرب بنهر النصر وخيول وأسلحة ورماح ، ثم دخل السلطان فى آخر ذلك كله بعد العصر بمن ، وعلى

من أنواع الملابس قباز بخارى ، والقبة والطير يحملها على رأسه الأمير سيف الدين تومان نمر ، الذى كان نائب طرابلس ، والأمراء مشاة بين يديه ، والبسط تحت قدمى فرسه ، والبشائر تقرب خلفه فدخل القلعة المنصورة المنصورية لا البدرية . رأى ما قد أُرصد بها من المجانيق والأسلحة ، فاشتد حنقه على بيدمر وأصحابه كثيراً ، ونزل الطارمة ، وجلس على سرير المملكة ووقف الأمراء والنواب بين يديه ، ورجع الحق إلى نصابه ، وقد كان بين دخوله ودخول عمه الصالح صالح فى أول يوم من رمضان ، وهذا فى التاسع والعشرين منه ، وقد قيل إنه سلخه والله أعلم . وشرع الناس فى الزينة . وفى صبيحة يوم الثلاثاء سُلخ الشهر نقل الأمراء المفضوب عليهم الذين ضل سببهم فيما كانوا أبرموه من ضمير سوء المسلمين إلى القلعة فأنزلوها فى أبراجها مهانين مفترقا بينهم ، بعد ما كانوا بها آمنين حاكين ، أصبحوا معتقلين مهانين خائفين ، فجأروا بعد ما كانوا رؤساء ، وأصبحوا بعد عزيم أذلاء ، ونقبت أصحاب هؤلاء ونودى عليهم فى البلد ، ووعد من دل على أحد منهم بمال جزيل ، وولاية إمرة بحسب ذلك ، ورسم فى هذا اليوم على الرئيس أمين الدين ابن القلانسي كاتب السر ، وطلب منه ألف ألف درهم ، وسلم إلى الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة ، وقد أعيد إليها وأعطى مقدمة ابن قراسنقر ، وأمره أن يعاقبه إلى أن يزن هذا المبلغ ، وصلى السلطان وأمرأؤه بالميدان الأخضر صلاة العيد ، ضرب له خام عظيم وصلى به خطيباً القاضى تاج الدين السارى الشافعى ، قاضى المسكر المنصورة للشافعية ، ودخل الأمراء مع السلطان للقلعة من باب المدرسة ، ومد لهم سباطهاثلاً أكلوا منه ثم رجموا إلى دورهم وقصورهم ، وحمل الطير فى هذا اليوم على رأس السلطان الأمير على نائب دمشق ، وخلع عليه خلعة هائلة .

وفى هذا اليوم مسك الأمير تومان نمر الذى كان نائب طرابلس ، ثم قدم على بيدمر ، فكان معه ، ثم قفل إلى مصر بين واعتذر إليهم فعدروه فيما بيدرو للناس ، ودخل وهو حامل الخبز على رأس السلطان يوم الدخول ، ثم ولوه نيابة حصن ، فصغروه وحفروه ، ثم لما استمر ذاهباً إليها فسكان عند القابون أرسلوا إليه فأمسكوه وردوه ، وطلب منه المائة ألف التى كان قبضها من بيدمر ، ثم ردوه إلى نيابة حصن .

وفى يوم الخميس اشتهر الخبر بأن طائفة من الجيش بمصر من طواشية وخا صكية ملكوا عليهم حسين الناصر ثم اختلفوا فيما بينهم واقتتلوا ، وأن الأمر قد انفصل ورد حسين المحل الذى كان معتقلاً فيه ، وأطفاً الله شر هذه الطائفة والله الحمد .

وفى آخر هذا اليوم لبس القاضى ناصر الدين بن يعقوب خلعة كتابة السر الشريفة ، والمدرستين ، ومشيخة الشيوخ عوضاً عن الرئيس علاء الدين بن القلانسي ، عزل وصودر ، وراح

الناس تهنئته بالعود إلى وظيفته كما كان .

وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث شوال مسك جماعة من الأمراء الشاميين منهم الحاجبان صلاح الدين وحسام الدين والمهمندار ابن أخي الحاجب الكبير ، تمر ، وناصر الدين ابن الملك صلاح الدين ابن الكامل ، وابن حمزة والطرخاني وائسان أخوان وهما طييفا زفر وبلجات ، كلهم طليخانات ، وأخرجوا خير وتمر حاجب الحاجب ، وكذلك الحجوبية أيضا لقاربي أحد أمراء مصر .

وفي يوم الثلاثاء سابع شوال مسك ستة عشر أميراً من أمراء العرب بالقلمة المنصورة ، منهم هرب بن موسى بن مهنا الملقب بالمصمغ ، الذي كان أمير العرب في وقت ، ومعقل بن فضل بن مهنا وآخرون ، وذكروا أن سبب ذلك أن طائفة من آل فضل عرضوا للامير سيف الدين الأشمدي الذي استاقوه على حلب ، وأخذوا منه شيئاً من بعض الامتعة ، وكادت الحرب تقع بينهم . وفي ليلة الخميس بعد المغرب حمل تسعة عشر أميراً من الأتراك والعرب على البريد مقيدون في الاغسلال أيضا إلى الديار المصرية ، منهم بيدمر ومنجك واستندر وجبريل وصلاح الدين الحاجب وحسام الدين أيضا وبلجك وغيرهم ، ومعهم نحو من مائتي فارس ، أسسين بالسلاح متوكلين بحفظهم ، وساروا بهم نحو الديار المصرية ، وأمروا جماعة من البطالين منهم أولاد لاقوش ، وأطلق الرئيس أمين الدين بن القلانسي من المصادرة والترسيم بالقلمة ، بعد ما وزن بعض ما طلب منه ، وصار إلى منزله ، وهنأه الناس .

خروج السلطان من دمشق قاصداً حصر

ولما كان يوم الجمعة عاشر شهر شوال خرج طاب يلعباً انفراداً صبيحته في فجل عظيم لم ير الناس في هذه المدد مثله ، من نجائب وجنائب وماليك وعظامة هائلة ، وكانت عامة الاطلاب قد تقدمت قبله بيوم ، وحضر السلطان إلى الجامع الأموي قبل أذان الظهر ، فصلى في مشهد عثمان هو ومن معه من أمراء المصريين ، ونائب الشام ، وخرج من فوره من باب النصر ذاهباً نحو الكسوة والناس في الطرقات والأسطحة على العادة ، وكانت الزينة قد بقي أكثرها في الصاغة والخواصين وباب البريد إلى هذا اليوم ، فاستمرت نحو العشرة أيام .

وفي يوم السبت حادى عشر شوال خلع على الشيخ علاء الدين الأنصاري باعادة الحسبة إليه وعزل عسار الدين ابن السيرجي ، وخرج المحمل يوم الخميس سادس عشر شوال على العادة ، والامير مصفاي البيري . وتوفي يوم الخميس ويوم الجمعة أربعة أمراء بدمشق ، وهم طشتدر وفر وطيفنا الغبل ، ونوروز أحد مقدمي الالف ، وتمر المهمندار ، وقد كان مقدم ألف ، وحاجب الحاجب وعمل نيابة غزة في وقت ، ثم تعصب عليه المصريون فعزلوه عن الامرة ، وكان مريضاً فاستمر مريراً أيضاً إلى أن توفي يوم الجمعة ، ودفن يوم السبت بترقبته التي أنشأها بالصوفية ، لكنه لم يدفن فيها بل

على بابها كأنه مودع أو ندم على بنائها فوق قبور المسلمين رحمه الله .

وتوفي الأمير ناصر الدين بن لاقوش يوم الاثنين العشرين من شوال ودفن بالقبيبات ، وقد نائب بعمليك وبمهص ، ثم قلع خبره هو وأخوه كحلان ونفوا عن البلد إلى بلدان شتى ، ثم رضى عنهم الأمير يلبنما وأعاد عليهم أخبارا بطبايعانات ، فلبث ناصر الدين بالإسيرا حتى توفي إلى رحمة الله تعالى ، وقد أنثر آثارا حسنة كثيرة منها عند عقبة الرمانة خان مليح نافع ، وله بعمليك جامع وحمام وخان وغير ذلك ، وله من العمر ست وخمسون سنة .

وفي يوم الأحد السادس والعشرين منه درس القاضي نور الدين محمد بن قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء الشافعي بالمدرسة الاتابكية ، نزل له عنها والده بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده القضاة والأعيان ، وأخذ في قوله تعالى [الحج أشهر معلومات] وفي هذا اليوم درس القاضي نجم الدين أحمد بن عثمان النابلسي الشافعي المعروف بابن الجاني بالمدرسة المصرية استنزل له عنها القاضي أمين الدين بن القلانسي في مصادراته . وفي صبيحة يوم الاثنين التاسع والعشرين من شوال درس القاضي ولي الدين عبد الله بن القاضي بهاء الدين أبي البقاء بالمدرستين الرواحية ثم القيصرية ، نزل له عنهما والده المذكور بتوقيع سلطاني ، وحضر عنده فيهما القضاة والأعيان .

وفي صبيحة يوم الخميس سابع شوال شهر الشيخ أسد بن الشيخ السكردى على جبل وطيف به في حواضر البلد ونودي عليه : هذا جزاء من يخامر على السلطان ويفسد نواب السلطان ، ثم أنزل عن الجبل وحمل على حمار وطيف به في البلد ونودي عليه بذلك ، ثم أزم السجن وطلب منه مال جزيل وقد كان المذكور من أعوان بيدمر المتقدم ذكره وأنصاره ، وكان هو المتسلم للقلعة في أيامه .

وفي صبيحة يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة خلع على قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح بقضاء العسكر الذى كان متوقفا عن علاء الدين بن شمرنوخ ، وهنأه الناس بذلك وركب البغلة بالزنازى مضافا إلى ما بيده من نيابة الحكم والتدريس . وفي يوم الاثنين ثامن عشره أعيد تدريس الركنية بالصليبية إلى قاضي القضاة شرف الدين السكفري الحنفي ، أسترجمها بمرسوم شريف سلطاني ، من يد القاضي عماد الدين بن العز ، وخلع على السكفري ، وذهب الناس إليه فتهنئة بالمدرسة المذكورة .

وفي شهر ذى الحجة اشتهر وقوع فتن بين الفلاحين بناحية هبلون ، وأنهم اقتتلوا قتلوا من الفرقيين البنى والقيسى طائفة ، وأن عين حينا التي هي شرقي هبلون دمرت وخربت ، وقطع أشجارها ودمرت بالسكية . وفي صبيحة يوم السبت الثاني والعشرين من ذى الحجة لم تفتح أبواب دمشق إلى ما بعد طلوع الشمس ، فأنكر الناس ذلك ، وكان سببه الاحتياط على أمير يقال له كسبغا ، كان يريد

الحرب إلى بلاد الشرق ، فاحتيط عليه حتى أمسكه .

وفي ليلة الأربعاء السادس والعشرين من ذي الحجة قدم الأمير سيف الدين طاز من القدس فنزل بالقصر الأبقى ، وقد عى من الكحل حين كان مسجوناً بالأسكندرية ، فأطلق كما ذكرنا ، ونزل ببيت المقدس مدة ، ثم جاءه تقليد بأنه يكون طرخانا ينزل حيث شاء من بلاد السلطان ، غير أنه لا يدخل ديار مصر ، فجاء فنزل بالقصر الأبقى ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم - نائب السلطنة فن دونه - يملون عليه وهو لا يبصر شيئاً ، وهو على عزم أن يشتري أو يستكرى له داراً بدمشق يسكنها . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبع مائة

استهلت هذه السنة وسلطان الديار المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما والاها من الممالك الإسلامية السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المغفر أمير حاج بن الملك المنصور قلاوون ، وهو شاب دون العشرين ، ومدير الممالك بين يديه الأمير يلبغا ، ونائب الديار المصرية طشتمر ، وقضاهاهم المذكورون في التي قبلها ، والوزير سيف الدين قزوينة ، وهو مريض مدنف ونائب الشام بدمشق الأمير دلاء الدين المارداني ، وقضاهاهم المذكورون في التي قبلها ، وكذلك الخطيب ووكيل بيت المال والختسب دلاء الدين الأنصاري ، عاد إليها في السنة المنفصلة ، وحاجب الحجاب قناري ، والذي يلبه الساجاني وآخر من مصر أيضاً ، وكاتب السر القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب الحلبي ، وناظر الجامع القاضي آق الدين بن مراجل ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين الشافعي أنه جدد في أول هذه السنة قاضي حنفي بمدينة صفد المحروسة مع الشافعي ، فصار في كل من حماة وطرابلس وصفد قاضيان شافعي وحنفي .

وفي ثاني المحرم قدم نائب السلطنة بعد غيبة نحو من خمسة عشر يوماً ، وقد أوطأ بلاد فرير بالرعب ، وأخذ من مقدميهم طائفة فأودعهم الحبس ، وكان قد اشتهر أنه قصد العشيرات المواسين ببلاد مجلون ، فسألته عن ذلك حين سلمت عليه فأخبرني أنه لم يتعد ناحية فرير ، وأن العشيرات قد اصالحوا واتفقوا ، وأن التجريدة عندهم هناك . قال : وقد كبس الأعراب من حرم الترك فزهمم الترك وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، ثم ظهر للعرب كمين فاجأ الترك إلى وادي صرح فحصرهم هناك ، ثم ولت الأعراب فراراً ولم يقتل من الترك أحد ، وإنما جرح منهم أمير واحد فقط ، وقتل من الأعراب فوق الخمسين نفساً .

وقدم السجاج يوم الأحد الثاني والعشرين من المحرم ، ودخل الحمل السلطاني ليلة الاثنين بعد المشاء ، ولم يحتمل لدخوله كما جرت به العادة ، وذلك لشدة ما نال الركب في الرحلة من برير إلى هنا

من البرد الشديد ، بحيث إنه قد قيل إنه مات منهم بسبب ذلك نحو المائة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن أخبروا برخص كثير وأمن ، وبموت نفسة أخى عجلان صاحب مكة ، وقد استبشر بموته أهل تلك البلاد لبغية على أخيه عجلان العادل فيهم انتهى والله أعلم .

منام غريب جداً

ورأيت - يعنى المصنف - فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من المحرم سنة ثلاث وستين وسبعمائة الشيخ محى الدين النووى رحمه الله فقلت له : يا سيدى الشيخ لم لا أدخلت فى شرحك المذهب شيئاً من مصنفات ابن حزم ؟ فقال ما معناه : إنه لا يحبه ، فقلت له : أنت معذّر فيه فانه جمع بين طرفى التقيضين فى أصوله وفروعه ، أما هو فى الفروع فظاهرى جامد بإس ، وفى الأصول تول مائع قرمطة القرامطة وهرس المرأسة ، ورفعت بها صوتى حتى صممت وأنا نائم ، ثم أشرت له إلى أرض خضراء تشبه النخيل بل هى أردأ شكلاً منه ، لا ينتفع بها فى استغلال ولا رعى ، فقلت له : هذه أرض ابن حزم التى زرعها [قال :] أنظر هل ترى فيها شجراً مثمراً أو شيئاً ينتفع به ، فقلت إنما تصالح للجلوس عليها فى ضوء القمر . فهذا حاصل ما رأيته ، ووقع فى خلدى أن ابن حزم كان حاضراً عند ما أشرت للشيخ محى الدين إلى الأرض المنسوبة لابن حزم ، وهو ساكت لا يتكلم . وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر خلع على القاضي عماد الدين بن الشيرجى بعود الحسبة إليه بسبب ضعف علاء الدين الأنصارى عن القيام بها لشغله بالمرض المدنف ، وهؤلاء الناس على العادة . وفى يوم السبت السادس والعشرين من صفر توفى الشيخ علاء الدين الأنصارى المذكور بالمدرسة الأمينية ، وصلى عليه الظاهر بالجامع الأموى ، ودفن بمقابر باب الصغير خلف محراب جامع جراح ، فى تربة هنالك ، وقد جاوز الأربعين سنة ، ودرس فى الأمينية وفى الحسبة مرتين وترك أولاداً صغاراً وأموالاً جزيلة ساعه الله ورحمه ، وولى المدرسة بعده قاضى القضاة تاج الدين بن السبكي بمرسوم كريم شريف .

وفى العشر الأخير من صفر باقنا وفاة قاضى قضاة المالكية الاخنائى بمصر وتولية أخيه برهان الدين ابن قاضى القضاة علم الدين الاخنائى الشافعى أبوه قاضياً مكان أخيه ، وقد كان على الحسبة بمصر مشكور السيرة فيها ، وأضيف إليه نظر الخزانة كما كان أخوه . وفى صبيحة يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول كان ابتداء حضور قاضى القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب ابن قاضى القضاة تقي الدين بن الحسن بن عبد الكافى السبكي الشافعى تدرّس الأمينية عوضاً عن الشيخ علاء الدين المحتسب ، بحكم وفاته رحمه الله كما ذكرنا ، وحضر عنده خلق من العلماء والأمرء والعقهاء والعامة ، وكان درساً حافلاً ، أخذ فى قوله تعالى [أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله]

الآية وما بعدها ، فاستنبط أشياء حسنة ، وذكر ضرباً من العلوم بعبارة طليقة جارية معسولة ، أخذ ذلك من غير تلثم ولا تلجلج ولا تكلف فأجاد وأفاد ، وشكره الخاصة والعامة من الحاضرين وغيرهم حتى قال بعض الأكابر : إنه لم يسمع درساً مثله .

وفي يوم الاثنين الخامس والعشرين منه توفي الصدر برهان الدين بن لؤلؤ الحوضي ، في داره بالقصايع ولم يمرض إلا يوماً واحداً ، وصلى عليه من القديس بمجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، وخرجوا به من باب النصر فخرج نائب السلطنة الأمير على فصلي عليه إماماً خارج باب النصر ، ثم ذهبوا به فدفنوه بمقابرهم بباب الصغير ، فدفن عند أبيه رحمه الله ، وكان رحمه الله فيه مروءة وقيام مع الناس ، وله وجهة عند الدولة وقبول عند نواب السلطنة وغيرهم ، ويحب العلماء وأهل الخير ، ويواظب على سماع مواعيد الحديث والخير ، وكان له مال وثروة ومعروف ، قارب الثمانين رحمه الله .

وجاء البريد من الديار المصرية فأخبر بموت الشيخ شمس الدين محمد بن النقاش المصري بها ، وكان واعظاً باهراً ، وفصيحا ماهراً ، ونحوياً شاعراً ، له يد طولي في فنون متعددة ، وقدرة على نسج الكلام ، ودخول على الدولة وتحصيل الأموال ، وهو من أبناء الأربعمين رحمه الله .

وأخبر البريد بولاية قاضي القضاة شرف الدين المالكي البغدادي ، الذي كان قاضياً بالشام للمالكية ، ثم عزل بنظر الخزانة بمصر ، فانه رتب له معلوم وأفر يكفيه ويفضل عنه ، ففرح بذلك من يحبه .

وفي يوم الأحد السابع عشر من ربيع الآخر توفي الرئيس أمين الدين محمد بن الصدر جمال الدين أحمد بن الرئيس شرف الدين محمد بن القلانسي ، أحد من بقى من رؤساء البلد وكبرائها ، وقد كان باشر مباشرات كبار كآبسه وعه علاء الدين ، ولكن فاق هذا على أسلافه فانه باشر وكالة المال مدة ، وولى قضاء المساكر أيضاً ، ثم ولى كتابة السرم مع مشيخة الشيوخ وتدريس الناصرية والشامية الجوانية ، وكان قد درس في المصرية من قبل سنة ست وثلاثين ، ثم لما قدم السلطان في السنة الماضية عزل عن مناصبه الكبار ، وصودر بمبلغ كثير يقارب مائتي ألف ، فباع كثيراً من أملاكه وما بقى بيده من وظائفه شيء ، وبقى خالداً مدة إلى يومه هذا ، فتوفي بقتة ، وكان قد تشوش قليلاً لم يشربه أحد ، وصلى عليه المصري بمجامع دمشق ، وخرجوا به من باب الناطفانيين إلى تربتهم التي بسفح قاسيون رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين ثامن عشره ، خلع على القاضي جمال الدين بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري الحنفي ، وجعل مع أبيه شريكاً في القضاء ولقب في التوقيع الوارد محبة البريد من جهة السلطان « قاضي القضاة » فلبس الخلعة بدار السعادة وجاء معه قاضي القضاة تاج الدين السبكي

إلى النورية فقعده في المسجد ووضعت الربعة فقرئت وقرئ القرآن ولم يكن درساً ، وجاءت الناس للتهنئة بما حصل من الولاية له مع أبيه .

وفي صبيحة يوم الثلاثاء توفي الشيخ الصالح العابد الناسك الجامع فتح الدين بن الشيخ زين الدين الفارقي ، إمام دار الحديث الأشرفية ، وخازن الأثر بها ، ومؤذن في الجامع ، وقد أئنت عليه تسعون سنة في خير وصيانة وتلاوة وصلاة كثيرة وانجماع عن الناس ، صلى عليه صبيحة يومئذ ، وخرج به من باب النصر إلى نحو الصالحية رحمه الله .

وفي صبيحة يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ورد البريد وهو قرا بغداد وادار نائب الشام الصغير ومعه تقليد بقضاء قضية الخنفية للشيخ جمال الدين يوسف بن قاضي القضاة شرف الدين الكفري ، بمقتضى نزول أبيه له عن ذلك ، وليس الخلفة بدار السعادة وأجلس تحت المالكى ، ثم جاؤا إلى المنصورة من الجامع وقرئ تقليده هناك ، قرأه شمس الدين بن السبكي نائب الحسبة ، واستناب اثنين من أصحابهم وهما شمس الدين بن منصور ، وبدر الدين بن الخراش ، ثم جاء معه إلى النورية فدرس بها ولم يحضره والده بشئ من ذلك انتهى والله أعلم .

موت الخليفة المعتضد بالله

كان ذلك في العشر الأوسط من جمادى الأولى بالقاهرة ، وصلى عليه يوم الخميس ، أخبرني بذلك قاضي القضاة تاج الدين الشافى ، عن كتاب أخيه الشيخ بهاء الدين رحمه الله .

خلافة المتوكل على الله

ثم يبيع بعده ولده المتوكل على الله على أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر أبي الفتح بن المستنكى بالله أبي الربيع سليمان بن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد رحمه الله أسلافه .

وفي جمادى الأولى توجه الرسول من الديار المصرية ومعه صنایق خليفية وسلطانية وتقاليد وخلع وتمحف لصاحبى الموصل وسنجار من جهة صاحب مصر ليخطب له فيها ، وولى قاضي القضاة تاج الدين الشافى السبكي الحاكم بدمشق لقاضيها من جهته تقليدين ، حسب ما أخبرني بذلك ، وأرسل مع ما أرسل به السلطان إلى البلدين ، وهذا أمر غريب لم يقع مثله فيما تقدم فيما أعلم والله أعلم . وفي جمادى الآخرة خرج نائب السلطنة إلى صرح الفسولة ومعه حجته وبقية النقباء ، وكاتب السر وذووه ، ومن عزمهم الإقامة مدة ، فقدم من الديار المصرية أمير على البريد فأمرهم بالآوبة فدخلوا في صبيحة الأحد الحادى والعشرين منه ، وأصبح نائب السلطنة لحضر الموكب على العادة ، وخلع على الأمير سيف الدين يلبغا الصالحى ، وجاء النص من الديار المصرية بخلفة دوا دار عوضاً عن سيف الدين كحلان ، وخلع في هذا اليوم على الصدر شمس الدين بن مرق بتوقيع المست ، وجهات

آخر ، قدم بها من الديار المصرية ، فانتشر الخبر في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة شمس الدين الكفري الحنفي ، فوق قاضي القضاة المالكية ، لكن لم يحضر في هذا اليوم ، وذلك بعد ما قد أمر بإجلاس المالكي فوقه .

وفي ثاني رجب توفي القاضي الامام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسي الحنبلي ، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي ، وزوج ابنته ، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث ، وكان بارهاً فاضلاً متفنناً في علوم كثيرة ، ولا سيما علم الفروع ، كان غاية في نقل مذهب الامام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المنع نحواً من ثلاثين مجلداً كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين ، وعاق على محفظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين ، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله ، توفي عن نحو خمسين سنة ، وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفري ، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق ، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم ، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه .

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة أساؤا الأدب على النائب وماليكه ، بسبب جامع للخطبة جدد بناحتهم ، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين ، لحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعاً قد نصب فيه منبر ، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه ، فأنفست أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعاً ، وأعظموا ذلك ، فتسكلم بعضهم بكلام سيئ ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضر بهم بالمقارع بين يديه ، ونودي عليهم في البلد ، فأراد بعض العامة إنكاراً لذلك ، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف ، رتبته أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي ، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج ، واجتمع عنده خلق كثير وجهم غفير ، وقرأ في السيرة النبوية من خطي ، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر .

أعجوبة من العجائب

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزخشري وغير ذلك من محاضيرها ، في فنون أخر ، فلما كان يوم الأربعاء سلك شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالخائط الشمالي منه ، عند باب السكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه ، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة يدي ، فأدى جيداً ، غير أنه يصحف بعضاً من الكلمات لعجم فيه ، وربما لم ين أيضاً في بعض الأحيان ، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين ، فأعجب ذلك جماعة كثيرين ، وقال آخرون منهم إن سرد بقية

الكتاب على هذا المنوال لعظيم جداً ، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور ، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء ، واجتمع العامة محدقين فقرأ على المادة غير أنه لم يطول كأول يوم ، وسقط عليه بعض الأحاديث ، وصحف ولحن في بعض الألفاظ ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بمحضرتهما أيضا بعض الشيء ، وهذا والعامة محنتون به متعجبون من أمره ، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه ، وفرح بكتابتني له بالسماع على الاجازة ، وقال : أنا ما خرجت من بلادى إلا إلى القصد إليك ، وأن يجيزنى ، وذكرك في بلادنا مشهور ، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارهه القضاة والأعيان بشئ من الدرهم يقارب الألف .

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق

في يوم الأحد حادى عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف بعزل الأمير على عن نيابة دمشق ، فأحضر الأمراء إلى دار السعادة وقرئ المرسوم الشريف عليهم بحضوره ، وخلع عليه خلمة وردت مع البريد ، ورسم له بقرية دومة وأخرى في بلاد طرابلس على سبيل الراتب ، وأن يكون فى أى البلاد شاء من دمشق أو القدس أو الحجاز ، فانتقل من يومه من دار السعادة ويبقى أصحابه ومماليكه ، واستقر نزوله فى دار الخليلي بالقصاعين التى جددتها وزاد فيها دويداره يلبغا ، وهى دار هائلة ، وراح الناس للتأسف عليه والحزن له انتهى .

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن السيكي الشافعي الى الديار المصرية

ورد البريد يطلبه من آخر نهار الأحد بعد العصر الحادى عشر من شعبان سنة ثلاث وستين وسبعمائة ، فأرسل إليه حاجب الحجاب قمارى وهونائب الغيبة أن يسافر من يومه ، فاستنظروا إلى الغد فأهمل ، وقد ورد الخبر بولاية أخيه الشيخ بهاء الدين بن السيكي بقضاء الشام عوضا عن أخيه تاج الدين ، وأرسل يستنيد ابن أخيهما قاضي القضاة تاج الدين فى التأهب والسير ، وجاء الناس إليه ليوذعوه ويستوحشون له ، وركب من بستانه بعد العصر يوم الاثنين ثانى عشر شعبان ، متوجها على البريد إلى الديار المصرية ، وبين يديه قضاة القضاة والأعيان ، حتى قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء السيكي ، حتى ردم قريبا من الجسورة ومنهم من جاوزها والله المسئول فى حسن الخاتمة فى الدنيا والآخرة ، انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

أعجوبة أخرى غريبة

لما كان يوم الثلاثاء العشرين من شعبان دعيت إلى بستان الشيخ العلامة كمال الدين بن الشريشى شيخ الشافعية وحضر جماعة من الأعيان منهم الشيخ العلامة شمس الدين بن الموصلى

الشافعي ، والشيخ الأمام العلامة صلاح الدين الصفدي ، وكيل بيت المال ، والشيخ الأمام العلامة
فهمس الدين الموصلي الشافعي ، والشيخ الأمام العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي من ذرية
الشيخ أبي إسحاق الفيروزي ، من أئمة الاغويين ، والخطيب الأمام العلامة صدر الدين بن العز
الحنفي أحد البلغاء الفضلاء ، والشيخ الأمام العلامة نور الدين علي بن الصارم أحد القراء المحققين
البلغاء ، وأحضروا نيفا وأربعين مجلداً من كتاب المنتهى في اللغة للشمس البرمكي ، وقف الناصرية
وحضر ولد الشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وهو العلامة بدر الدين محمد ، واجتمعنا كلنا عليه ،
وأخذ كل منا مجلداً بيده من تلك المجلدات ، ثم أخذنا نسأله عن بيوت الشعر المستشهد عليها بها ،
فينشر كلامها ويتكلم عليه بكلام مبين مفيد ، فجزم الحاضرون والسمعون أنه يحفظ جميع شواهد
اللغة ولا يشدعه منها إلا القليل الشاذ ، وهذا من أعجب العجائب ، وأبلغ الاعراب .

دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر

وذلك في أوائل رمضان يوم السبت ضحى والحجة بين يديه والجيش بكاله ، فتقدم إلى سوق
الخليل فأركب فيه ثم جاء ونزل عند باب السر ، وقبل العتبة ثم مشى إلى دار السعادة والناس بين
يديه ، وكان أول شيء حكم فيه أن أمر بصلب الذي كان قتل بالأمس وإلى الصالحية ، وهو ذاهب إلى
صلاة الجمعة ، ثم هرب فتبعه الناس فقتل منهم آخر وجرح آخرون ثم تكاثروا عليه فسك ، ولما
صلب طافوا به على حل إلى الصالحية فأتاه هناك بعد أيام ، وقاموا شديداً من العقوبات ، وقد
ظهر بعد ذلك على أنه قتل خلقاً كثيراً من الناس قبحه الله .

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين أحمد بن تقي الدين عوضاً عن أخيه قاضي

القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب

قدم يوم الثلاثاء قبل المصير فبدأ بملك الأمراء فسلم عليه ، ثم مشى إلى دار الحديث فوصل هناك
ثم مشى إلى المدرسة الركنية فنزل بها عند ابن أخيه قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح ، قاضي
العساكر ، وذهب الناس للسلام عليه وهو يكره من يلقيه بقاضي القضاة ، وعليه تواضع وتشف ،
ويظهر عليه تأسف على مفارقة بلده ووطنه وولده وأهله ، والله المستول المأمول أن يحسن العاقبة .
وخرج المحمل السلطاني يوم الخميس ثامن عشر شوال ، وأمير الحاج الملك صلاح الدين بن الملك
الكامل بن السميد العادل الكبير ، وقاضيه الشيخ بهاء الدين بن سبع مدرس الأمينية بيمليك
وفي هذا الشهر وقع الحكم بما يخص المجاهدين من وقف المدرسة التقوية إليهم ، وأذن القضاة
الأربعة إليهم بمحضرة ملك الأمراء في ذلك .

وفي ليلة الأحد ثالث شهر ذي القعدة توفي القاضي ناصر الدين محمد بن يعقوب كاتب السر ،

وشيوخ الشيوخ ومدرس الناصرية الجوانية والشامية الجوانية بدمشق ، ومدرس الاسدية بحلب ، وقد باشر كتابة السر بحلب أيضاً ، وقضاء العساكر وأقضى بزمان ولاية الشيخ كمال الدين الزمككافى قضاء حلب ، أذن له هنالك فى حدود سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، ومولده سنة سبع وسبعمائة ، وقد قرأ التلخيص ومختصر ابن الحاجب فى الأصول ، وفى العربية ، وكان عنده نباهة وممارسة للعلم ، وفى جودة طباع وإحسان بحسب ما يقدر عليه ، وليس يتوسم منه سوء ، وفى ديانة وعفة ، حلف لى فى وقت بالآيمان المفلطة أنه لم يمكن قط منه فاحشة الاواط ولا خطر له ذلك ، ولم يزن ولم يشرب مسكراً ولا أكل حشيشة ، فرحه الله وأكرم مثواه ، صلى عليه بعد الظهور يومئذ وخرج بالجنازة من باب النصر فخرج فائب السلطنة من دار السعادة فحضر الصلاة عليه هنالك ، ودفن بمقبرة لهم بالصوفية وتأسفوا عليه وترجوا ، وتزاحم جماعة من الفقهاء بطلب مدارسه انتهى .

ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة

استبهرت هذه السنة وسلطان الاسلام بالديار المصرية والشامية والحجازية وما يتبعهما من الاقاليم والرساتيق الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المنصور المظفرى حاجى بن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الصالحى ، ومدير الممالك بين يديه ، وأتابك العساكر سيف الدين يلغا ، وقضاة مصرهم المذكورون فى التلخيص قبلها ، غير أن ابن جماعة قاضى الشافعية وموفقى الدين قاضى الحنابلة فى الحجاز الشريف ، وفائب دمشق الأمير سيف الدين قشتمر المنصورى ، وقاضى قضاء الشافعية الشيخ بهاء الدين ابن قاضى القضاة تقي الدين السبكى ، وأخوه قاضى القضاة تاج الدين مقيم بصرى ، وقاضى قضاء الحنفية الشيخ جمال الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين السكفرى ، آثره والده بالمنصب وأقام على تدريس الركنية يتعبد وينلو ويجمع على العبادة ، وقاضى قضاء المالكية جمال الدين المسلافى ، وقاضى قضاء الحنابلة الشيخ جمال الدين المرادوى محمود بن جملة ، ومحاسب البلد الشيخ عماد الدين بن الشيرجى ، وكتب السر جمال الدين عبد الله بن الأنثى ، قدم من الديار المصرية عوضاً عن ناصر الدين بن يعقوب ، وكان قدومه يوم سلبخ السنة الماضية ، وناظر الدواوين بدر الدين حسن بن النابلسى ، وناظر الخزانة القاضى تقي الدين بن مارجل . ودخل المحمل السلطاني يوم الجمعة الثانى والعشرين من المحرم بعد العصر خوفاً من المطر ، وكان وقع مطر شديد قبل أيام ، فتلف منه غلات كثيرة بحوران وغيرها ، وشاطيخ وغير ذلك ، فثأله وإنا إليه راجعون .

وفى ليلة الأربعاء السابع والعشرين منه بعد عشاء الآخرة قبل دقة القلعة دخل فارس من ناحية باب الفرج إلى ناحية باب القلعة الجوانية ، ومن ناحية الباب المذكور سلسلة ، ومن ناحية باب النصر أخرى جددتا للتأجير راكب على باب القلعة المنصورة ، فساق هذا الفارس المذكور على

السلسلة الواحدة قطعها ، ثم مر على الأخرى قطعها وخرج من باب النصر ولم يعرف لأنه ملتم .
وفي حادى عشر صفر وقبله بيوم قدم البريد من الديار المصرية بطلب الأمير سيف الدين زباله أحد
أمراء الأتوف إلى الديار المصرية مكرماً ، وقد كان عزل عن نيابة القلعة بسبب ما تقدم ، وجاء البريد
أيضاً ومعه التواقيع التي كانت بأيدي ناس كثير ، زيادات على الجامع ، ردت إليهم وأقروا على
ما بأيديهم من ذلك ، وكان ناظر الجامع الصاحب تقي الدين بن مراجل قد سعى برافع ما زيد بعد
التذكرة التي كانت في أيام صرغتمش ، فلم يف ذلك ، وتوجه الشيخ بهاء الدين بن السبكي قاضى
قضاة الشام الشافعى من دمشق إلى الديار المصرية يوم الأحد سادس عشر صفر من هذه السنة ،
وخرج القضاة والأعيان لتوديعه ، وقد كان أخبرنا عند توديعه بأن أخاه قاضى القضاة تاج الدين قد
لبس خلمة القضاة بالديار المصرية ، وهو متوجه إلى الشام عند وصوله إلى ديار مصر ، وذكرنا أن
أخاه كاره للشام . وأنشدنى القاضى صلاح الدين الصفدى ليلة الجمعة رابع عشر لنفسه فيما عكس
عن المتنبي في يديه من قصيدته وهو قوله :

إذا اعتادَ القى خوضَ المنايا * فأيسرُ ما يمرُّ بهِ الوصولُ
وقال دخولُ دمشقٍ يكسبنا نَحولاً * كأنَّ لها دخولاً في البرايا
إذا اعتادَ الغريبُ الخوضَ فيها * فأيسرُ ما يمرُّ بهِ المنايا
وهذا شعر قوى ، وعكس جلى ، لفظاً ومعنى .

وفي ليلة الجمعة الحادى والعشرين من صفر عملت خيمة حافلة بالمارستان الدقاقى جوار الجامع ،
بسبب تكامل تجديده قريب السقف مبني بالابن ، حتى قنطره الأربع بالحجارة البلق ، وجعل
في أعاليه قريات كبار مضيئة ، وفتق في قبلته إيواناً حسناً زاد في أغصافه أضفاف ما كان ، وبيضه
جميعه بالجنس الحسن الملبح ، وجسدت فيه خزائن ومصالح ، وفرش ولحف جدد ، وأشياء حسنة ،
فأناب الله وأحسن جزاءه آمين ، وحضر الخيمة جماعات من الناس من الخواص والعوام ، ولما كانت
الجمعة الأخرى دخله نائب السلطنة بعد الصلاة فأعجبه ما شاهد من العمارات ، وأخبره بما كانت عليه
حاله قبل هذه العمارة ، فاستجاد ذلك من صديق الناظر .

وفي أول ربيع الآخر قدم قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على قضاء الشام
عوداً على بدء يوم الثلاثاء رابع عشر فبدأ بالسلام على نائب السلطنة بدار السعادة ، ثم ذهب إلى
دار الأمير على بالقصاعين فسلم عليه ، ثم جاء إلى العادلية قبل الزوال ، ثم جاءه الناس من الخواص
والعام يسلمون عليه ويهنونه بالعود ، وهو يتودد ويترحب بهم . ثم لما كان صبح يوم الخميس سادس
عشر لبس الخلمة بدار السعادة ثم جاء في أبهة هائلة لابسا إلى العادلية فقرأ تقليده بها بحضور

القضاة والأعيان وهنالك الناس والشراء والمداح .

وأخبر قاضي القضاة تاج الدين بموت حسين بن الملك الناصر ، ولم يكن بقي من بنيه لصلبه سواه ، وفرح بذلك كثير من الأثراء وكبار الدولة ، لما كان فيه من حدة وارثكأب أمور منكرة . وأخبر بموت القاضي فخر الدين سليمان بن القاضي عماد الدين بن الشيرجى ، وقد كان اتفق له من الأمر أنه قلده حصة دمشق عوضاً عن أبيه ، نزل له عنها باختياره لكبره وضعفه ، وخلع عليه بالديار المصرية ، ولم يبق إلا أن يركب على البريد فتمرض يوماً وثانياً وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فتألم والده بسبب ذلك تألماً عظيماً ، وعزاء الناس فيه ، ووجدته صابراً محتسباً باكياً مسترجعاً موجعاً انتهى .

بشارة عظيمة بوضع الشطر من مكس الغنم

مع ولاية سعد الدين ملجند بن التاج إسحاق من الديار المصرية على نظار الدواوين قبله ، وفرح الناس بولاية هذا وقدموه ، وبمزل الأول وانصرافه عن البلد فرحاً شديداً ، ومعه مرسوم شريف بوضع نصف مكس الغنم ، وكان عبرته أربعة دراهم ونصف ، فصار إلى درهين وربع درهم ، وقد تودى بذلك في البلد يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، والله الحمد والمنة ، وتضاعفت أديعتهم لمن كان السبب في ذلك ، وذلك أنه يكثر الجلب برخص اللحم على الناس ، يأخذ الديوان نظير ما كان يأخذ قبل ذلك ، وقدر الله تعالى قدوم وفود وقبول بتجارتهم متعددة ، وأخذ منها الديوان السلطاني في الزكاة والوكالة ، وقدم مراكب كثيرة فأخذ منها في العشر أضعاف ما أطلق من المكس ، والله الحمد والمنة . ثم قرئ على الناس في يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة قبل العصر .

وفي يوم الاثنين العشرين من منه ضرب الفقيه شمس الدين بن الصفدى بطار السعادة بسبب خانقاه العاوايس ، فانه جاء في جملة من يتظلمون من كاتب السر الذى هو شيخ الشيوخ ، وقد تسكلم معهم فيما يتعلق بشرط الواقف مما فيه مشقة عليهم ، فتسكلم الصفدى المذكور بكلام فيه غاظ ، فبطع ليضرب فشنع فيه ، ثم تسكلم فشنع فيه ، ثم بطع الثالثة فضرب ثم أمر به إلى السجن ، ثم أخرج بعد ليلتين أو ثلاثة .

وفي صبيحة يوم الأحد السادس والعشرين من منه درس قاضي القضاة الشافعى بمدارسه ، وحضر درس الداعرية الجوانية بمقتضى شرط الواقف الذى أثبتته أخوه بعد موت القاضي ناصر الدين كاتب السر ، وحضر عنده جماعة من الأعيان وبعض القضاة ، وأخذ في سورة الفتح ، قرئ عليه من تفسير والده في قوله [إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً] .

وفي مستهل جمادى الأولى يوم الجمعة بعد صلاة الفجر مع الامام الكبير صلى على القاضي

قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بمصر ، جاء إلى دمشق لتلقي أخى زوجته قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافعى ، فتمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق ، فصلى عليه بالجامع كما ذكرنا ، وخارج باب الفرج ، ثم سمعوا به إلى سفح جبل قاسيون ، وقد جاوز الثمانين بسنتين ، وقد حدث وروى شيئا يسيراً رحمه الله .

وفى يوم الأحد ثلثة قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بمحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأذرى ، والشيخ زين الدين البارنى وآخرون معهم ، فنزلوا بالدرسة الاقبالية وهم قاضى قضائهم الشافعى ، وهو كمال الدين المصرى مطلوبون إلى الديار المصرية ، فتمحروا ما ذكره عن قاضيهما وما تقدمه عليه من طسيرة السيئة فيما يذكرون فى المواقف الشريفة بمصر ، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشوراء .

وفى يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زباله نائب التتمة من الديار المصرية على البريد فى تجمل عظيم متكل ، وتلقاه الناس بالشموع فى أنشاء الطريق ، وتوزل بدار الذهب ، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة ، على عادته ، وهذه ثالث مرة ولها لأنه مشكور السيرة فيها ، وله فيها سحر محمود فى أوقات متعددة .

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعى والحنفى وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمشورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين ، فضاغت الأدمية لولى الأمر ، ولبن كان السبب فى ذلك .

غريبة من الغرائب وعجوبة من العجائب

وقد كثرت المياه فى هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا ، بحيث إنه فاض الماء فى سوق الخليل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب ، بحيث إنه أجزيت فيه المراكب بالسلك ، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب ، واستمر ذلك جمعا متعددة ، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك ، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الاسطبل السلطانى ، وهذا أمر لم يهد مثله ولا رأيته قط فى مدة عمرى ، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة ، وتعلقت طواحين كثيرة غمرها الماء .

وفى ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفى الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخى بعد المشاء الآخرة ، وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ، ودفن بالسفح . وفى صبيحة هذا اليوم توفى الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوى الحنفى ، خطيب جامع يلبغا ، وصلى عليه عقيب صلاة الظهر أيضا ، ودفن بالصوفية ، وقد باشر عوضه الخطابة والامامة

قاضى القضاة جمال الدين الكفرى الحنفى . وفى عصر هذا اليوم توفى القاضى علاء الدين بن القاضى شرف الدين بن القاضى شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبى ، أحد موقى الدست بدمشق ، وصلى عليه يوم الأربعاء ودفن بالسفح .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين منه خطب قاضى القضاة جمال الدين الكفرى الحنفى بجامع يلبغا عوضاً عن الشيخ ناصر الدين بن القونوى رحمه الله تعالى ، وحضر عنده نائب السلطنة الامير سيف الدين قشتمر ، وصلى معه قاضى القضاة تاج الدين الشافعى بالشباك الغربى القبلى منه ، وحضر خلق من الامراء والاعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، وخطب ابن نبانة بأداء حسن وفصاحة بليغة ، هذا مع علم أن كل مركب صعب . وفى يوم السبت خامس عشر جمادى الآخرة توجه الشيخ شرف الدين القاضى الحنبلى إلى الديار المصرية بطلب الامير سيف الدين يلبغا فى كتاب كتبه إليه يستدعيه ويستحثه فى القدوم عليه .

وفى يوم الثلاثاء الثانى شهر رجب سقط اثنان سكارى من سعالج بحارة اليهود ، أحدهما مسلم والآخر يهودى ، فمات المسلم من ساعته واقلعت عين اليهودى وانكسرت يده لعنه الله ، وحل إلى نائب السلطنة فلم يجر جواباً .

ورجع الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل بعد ما قارب غزوة لما بلغه من الوفاء بالديار المصرية فعاد إلى القدس الشريف ، ثم وجع إلى وطنه فأصاب السنة ، وقد وردت كتب كثيرة تخبر بشدة الوفاء والطاعون بمصر ، وأنه يضبط من أهلها فى النهار نحو الألف ، وأنه مات جماعة ممن يعرفون كركلى قاضى القضاة تاج الدين المناوى ، وكتب الحكم ابن الفرات ، وأهل بيته أجمعين ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وجاء الخبر فى أواخر شهر رجب بموت جماعة بمصر منهم أبو حاتم ابن الشيخ بهاء الدين السبكى المصرى بمصر ، وهو شاب لم يستكمل العشرين ، وقد درس بعدة جهات بمصر وخطب ، فقده والده وتأسف الناس عليه وعزوا فيه همه قاضى القضاة تاج الدين السبكى قاضى الشافعية بدمشق ، وجاء الخبر بموت قاضى القضاة شهاب الدين أحمد الرباجى المالكي ، كان يحلب ولها مرتين ثم عزل فقصد مصر واستوطنها مدة ليتمكن من السعى فى العودة فأدركته منيته فى هذه السنة من الفناء ولدان له معه أيضاً . وفى يوم السبت سباسب شعبان توجه نائب السلطنة فى صحبة جمهور الامراء إلى ناحية تدمر لأجل الأعراب من أصحاب خيار بن مهنا ، ومن النغ عليه منهم ، وقد دمر بعضهم بلد تدمر وحرقوا كثيراً من أشجارها ، وروعها وانتهبوا شيئاً كثيراً ، وخرجوا من الطاعة ، وذلك بسبب قطع إقطاعاتهم وتملك أملاً بهم والحيولة عليهم ، فركب نائب السلطنة بمن معه كما ذكرنا ،

لطردهم عن تلك الناحية ، وفي صحبتهم الأمير حمزة ابن الخياط ، أحد أمراء الطليخانات ، وقد كان حاجبا لخيار قبل ذلك ، فرجع عنه وألب عليه عند الأمير الكبير يلبغا الخاصكى ، ووعدته إن هو أمره وكبره أن يظفزه بخيسار وأن يأتيه برأسه ، ففعل معه ذلك ، فقدم إلى دمشق ومعه مرسوم بركوب الجيش معه إلى خيار وأصعابه ، فساروا كما ذكرنا ، فوصلوا إلى تدمر ، وهربت الأعراب من بين يدي نائب الشام يمينا وشمالا ، ولم يواجهوه هيبة له ، ولسكنهم يتحرفون على حمزة بن الخياط ، ثم بلغنا أنهم بيتوا الجيش فقتلوا منه طائفة وجرحوا آخرين وأسروا آخرين . فانا لله وإنا إليه راجعون .

سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين

« شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان »

لما كان عشية السبت تاسع عشر شعبان من هذه السنة - أعنى سنة أربع وستين وسبعمائة - قدم أمير من الديار المصرية فنزل بالقصر الأبلق ، وأخبر بزوال مملكة الملك المنصور بن المظفر حاجبى بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومساك واعتقل . وبويع للملك الأشرف شعبان بن حسين الناصر بن المنصور قلاوون ، وله من العمر قريب العشرين ، فدقت البشائر بالقلمة المنصورة ، وأصبح الناس يوم الأحد في الزينة . وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين والصاحب سعد الدين ماجد ناظر الدواوين ، أنه لما كان يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان عزل الملك المنصور وأودع منزله وأجلس الملك الأشرف ناصر الدين شعبان على سرير الملك ، وبويع لذلك ، وقد وقع رعد في هذا اليوم ومطر كثير ، وجرت المزاريب ، فصار غسدرانا في الطرقات ، وذلك في خامس حزيران ، فتمعجب الناس من ذلك ، هذا وقد وقع وباء في مصر في أول شعبان ، فتزايد وجمهوره في اليهود ، وقد وصلوا إلى الحسين في كل يوم وبالله المستعان .

وفي يوم الاثنين سابعه اشتهر الخبر عن الجيش بأن الاعراب اعترضوا التجريدة القاصدين إلى الرحبة وواقفهم وقتلوا منهم ونهبوا وجرحوا ، وقد سار البريد خلف النائب والأمراء ليقدّموا إلى البلد لأجل البيعة للسلطان الجديد . جعله الله مباركا على المسلمين ، ثم قدم جماعة من الأمراء المنهزمين من الأعراب في أسوأ حال وذلة ، ثم جاء البريد من الديار المصرية بخدم إلى العسكر الذى مع نائب السلطنة على تدمر ، متوعدين بأنواع العقوبات ، وقطع الاقطاعات . وفي شهر رمضان تفانم الحال بسبب الطاعون فانا لله وإنا إليه راجعون ، وجمهوره في اليهود لعله قد قسد منهم من مستهل شعبان إلى مستهل رمضان نحو الألف نسمة خبيثة ، كما أخبرنى بذلك القاضى صلاح الدين الصفدى وكيل بيت المال ، ثم كثر ذلك فيهم في شهر رمضان جدّا ، وعدة العدة من المسلمين والذمة بالثمانين . وفي يوم السبت حادى عشره صلينا بعد الظهر على الشيخ المعمر الصدر بدر الدين محمد ابن

الرفاق المعروف بابن الجوجى ، وعلى الشيخ صلاح الدين محمد بن شاكر الليثي ، تفرد في صناعته وجمع تاريخاً مفيداً نَحْواً من عشر مجلدات ، وكان يحفظ ويذاكر ويفيد رحمه الله وسامحه ، انتهى .

وفاة الخطيب جمال الدين محمود بن جملة ومباشرة تاج الدين بعده

كانت وفاته يوم الاثنين بعد الظهر قريباً من العصر ، فصلى بالناس بالحراب صلاة العصر قاضى القضاة تاج الدين السبكي الشافعي عوضاً عنه ، وصلى بالناس الصبح أيضاً ، وقرأ بآخر المائدة من قوله [يوم يجمع الله الرسل] ثم لما طلعت الشمس وزال وقت الكراهة صلى على الخطيب جمال الدين عند باب الخطابة ، وكان الجمع في الجامع كثيراً ، وخرج بجنائزته من باب البريد ، وخرج معه طائفة من العوام وغيرهم ، وقد حضر جنازته بالصالحية على ما ذكر جم غفير وخلق كثير ، ونال قاضى القضاة الشافعي من بهض الجهلة إساءة أدب ، فلأخذ منهم جماعة وأدبوا ، وحضر هو بنفسه صلاة الظهر يومئذ ، وكذا باشر الظهر والعصر في بقية الأيام ، يأتي للجامع في محفل من الفقهاء والأعيان وغيرهم ، ذهاباً وإياباً ، وخطب عنه يوم الجمعة الشيخ جمال الدين بن قاضى القضاة ، و [منع] تاج الدين من المباشرة ، حتى يأتي الشريف .

وفي يوم الاثنين بعد العصر صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله البعلبكي ، المعروف بابن النقيب ، ودفن بالصوفية وقد قارب السبعين وجاورها ، وكان بارعاً في القراءات والنحو والتصريف والعربية ، وله يد في الفقه وغير ذلك ، وولى مكانه مشيخة الاقراء بأمر الصالح شمس الدين محمد بن اللبان ، وبالتربة الأشرفية الشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن السلار ، وقدم نائب السلطنة من ناحية الرحبة وتدمر وفي صحبته الجيش الذين كانوا معه بسبب محاربتهم إلى [أولاد] مهنا وذويهم من الأعراب في يوم الأربعاء سادس شوال .

وفي ليلة الأحد عاشره توفي الشيخ صلاح الدين خليل بن أبيك ، وكيل بيت المال ، وموقع الدست ، وصلى عليه صبيحة الأحد بالجامع ، ودفن بالصوفية ، وقد كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب ، وله الأشعار الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات .

وفي يوم السبت عاشره جمع القضاة والأعيان بدار السعادة وكتبوا خطوطهم بالرضى بخطابة قاضى القضاة تاج الدين السبكي بالجامع الأموى ، وكاتب نائب السلطنة في ذلك .
وفي يوم الأحد حادى عشره استقر عزل نائب السلطنة سيف الدين قشتمر عن نيابة دمشق وأمر بالسير إلى نيابة صغد فأنزل أهل بدار طيغنا حجى من الشرق الأعلى ، وبرز هو إلى سطح

الازة ذاهبا إلى ناحية صفد . وخرج المحمل محبة المحبيج وم جم غفير وخلق كثير يوم الخميس رابع عشر شوال .

وفي يوم الخميس الحادى والعشرين من شوال توفى القاضى أمين الدين أبو حيان ابن أخى قاضى القضاة تاج الدين المسلاى المالكي وزوج ابنته ونائبه فى الحكم مطلقا وفى القضاء والتدريس فى غيبته ، فاجلته المنية .

ومن غريب ما وقع فى أواخر هذا الشهر أنه اشتهر بين النساء وكثير من العوام أن رجلا رأى مناما فيه أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، عند شجرة توتة عند مسجد ضرار خارج باب شرقى ، فتبادر النساء إلى تخليق تلك التوتة ، وأخذوا أوراقها للاستشفاء من الوباء ، ولكن لم يظهر صدق ذلك المنام ، ولا يصح عن برويه . وفى يوم الجمعة سابع شهر ذى القعدة خطاب بجوامع دمشق قاضى القضاة تاج الدين السبكى خطبة بليغة فصيحة أداها أداء حسنا ، وقد كان يحس من طائفة من العوام أن يشوشوا فلم يتكلم أحد منهم بل ضجوا عند الموعظة وغيرها ، وأعجبهم الخطيب وخطبته وأداؤه وتبليغه ومهابته ، واستمر بخطب هو بنفسه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره توفى المصاحب اتقى الدين سليمان بن مارجل ناظر الجامع الأموى وغيره ، وقد باشر نظر الجامع فى أيام تنكز ، وعمر الجانب الغربى من الحائط القبلى ، وكل رخامه كله ، وفتح محرابا للحنفية فى الحائط القبلى ، ومحرابا للحنابلة فيه أيضا فى غربيه ، وأثر أشياء كثيرة فيه ، وتآنت له حمة وينسب إلى أمانه وصرامته ومباشرة مشكورة مشهورة ، ودفن بتربة أنشأها نجاة داره بالقبيبات رحمه الله ، وقد جاوز الثمانين .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره توفى الشيخ بهاء الدين عبد الوهاب الأخيى المصرى ، إمام مسجد درب الحجر ، وصلى عليه بعد العصر بالجامع الأموى ، ودفن بقصر ابن الحلج عند الطيور بين براوية لبعض الفقراء الخزنة هناك ، وقد كان له يد فى أصول الفقه ، وصنف فى الكلام كتابا مشتملا على أشياء مقبولة وغير مقبولة ، انتهى .

دخول نائب السلطنة منكلى بغا

فى يوم الخميس السابع والعشرين من ذى القعدة دخل نائب السلطنة منكلى بغا من حلب إلى دمشق نائباً عليها فى تجمهل هائل ، ولكنه مستمر فى بدنه بسبب ما كان ناله من التعب فى مصارعة الأعراب ، فنزل دار السيادة على البادة . وفى يوم الاثنين مسهل ذى الحجة خاع على قاضى القضاة تاج الدين السبكى الشافعى للخطابة بجوامع دمشق ، واستمر على ما كان عليه بخطب بنفسه كل جمعة وفى يوم الثلاثاء ثمانية قدم القاضى فتح الدين بن الشهيد ولبس الخلمة وراح الناس لتهنئته

وفي يوم الخميس حضر القاضي فتح الدين بن الشهيد كاتب السر مشيخة السميضية، وحضر عنده القضاة والاعيان بعد الظهر، وخاع عليه لذلك أيضاً، وحضر فيها من الغد على العادة، وخاع في هذا اليوم على وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الزهاوي وعلى الشيخ شهاب الدين الزهري بفتيا دار العدل. انتهى. ثم دخلت سنة خمس وستين وسبع مائة

استهلّت هذه السنة وساططان الديار المصرية والشامية والحرمين وما يتبع ذلك الملك الأشرف ناصر الدين شعبان بن سيدي حسين بن الساططان الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون الصالحى، وهو في عمر عشر سنين، ومدير الممالك بين يديه الأمير الكبير نظام الملك سيف الدين يلغا الخصاصكى، وقضاة مصرهم المذكورون في السنة التي قبلها، ووزيرها نضر الدين بن قزوينة، ونائب دمشق الأمير سيف الدين منكلى بغا الشمسى، وهو مشكور السيرة، وقضاة هم المذكورون في السنة التي قبلها، وناظر الدواوين بها صاحب عهد الدين ماجد، وناظر الجيش علم الدين داود، وكاتب السر القاضي فتح الدين بن الشهيد، ووكيل بيت المال القاضي جمال الدين بن الزهاوي.

استهلّت هذه السنة وداء الفناء موجود في الناس، إلا أنه خف وقل والله الحمد. وفي يوم السبت توجه قاضي القضاة - وكان بهاء الدين أبو البقاء السبكى - إلى الديار المصرية مطلوباً من جهة الأمير يلغا وفي الكتاب إجابته له إلى مسائل، وتوجه بعده قاضي القضاة تاج الدين الحاكم بدمشق وخطيبها يوم الاثنين الرابع عشر من الحرم، على خيل البريد، وتوجه بعدها الشيخ شرف الدين ابن قاضي الجبل الحنبلى، مطلوباً إلى الديار المصرية، وكذلك توجه الشيخ زين الدين المنغلوطى مطلوباً.

وتوفي في العشر الأوسط من الحرم صاحبنا الشيخ قمس الدين بن العطار الشافعى، كان لديه فضيلة واشتغال، وله فهم، وعاق بخطة فوائده جيدة، وكان إماماً بالسجن من مشهد على بن الحسين بجماع دمشق، ومصدراً بالجامع، وفقهاً بالمدارس، وله مدرسة الحديث الوادعية، وجاوز الحدين بسنوات، ولم ينزوح قط. وقدم الركب الشامى إلى دمشق في اليوم الرابع والعشرين من الحرم، وهم شاكرون مثنون في كل خير بهذه السنة أمنا ورخصاً والله الحمد.

وفي يوم الأحد حادى عشر صفر درس بالمدرسة الفتحية صاحبنا الشيخ عماد الدين إسماعيل بن خليفة الشافعى، وحضر عنده جماعة من الأعيان والفضلاء، وأخذ في قوله تعالى [إن عدة الشهور عند الله اثني عشر شهراً].

وفي يوم الخميس خامس عشر نودى في البلد على أهل الذمة بالزامهم بالصغار وتصغير العمام، وأن لا يستخدموا في شيء من الأعمال، وأن لا يركبوا الخيل ولا البغال، ويتركبوا الحمير بالأفكاف بالعرض، وأن يكون في رقابهم ورقاب نسائهم في الحمامات أجراس، وأن يكون أحد التعلين أسود

مخالفاً لكون الاخرى ، ففرح بذلك المسلمون ودعوا للأمر بذلك .

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول قدم قاضي القضاة تاج الدين من الديار المصرية مستمراً على القضاء والخطابة ، فتلقاه الناس وهنأوه بالعود والسلامة . وفي يوم الخميس سابعه لبس القاضي صاحب الهندى الخلع لظفر الدواوين بدمشق ، وهنأه الناس ، وباشترى بهرامه واستعمل في غالب الجلبات من أبناء السبيل .

وفي يوم الاثنين حادى عشر رجب قاضي القضاة بدر الدين بن أبى الفتح دلى خيول البريد إلى الديار المصرية لتولية قضاء القضاة الشافعية بدمشق ، عن رضا من خله قاضي القضاة تاج الدين ، ونزوله عن ذلك .

وفي يوم الخميس خامس ربيع الأول احترقت الباسورة التي ظهر باب الفرج على الجسر ، ونزل سجارة الباب شيء من حريقها فاشتعلت ، وقد حضر طليعتها نائب السلطنة والمجاوب الكبير ، ونائب القنصل والولاة وغيرهم . وفي صبيحة هذا اليوم زاد النهر زيادة عظيمة بسبب كثرة الأمطار وذلك في أوائل كانون الثانى ، وركب المساء سوق الخيل بكهله ، ووصل إلى ظاهر باب الفردائس ، وتلك النواحي ، وكبر جسر الخشب الذى عند جامع يلبغا ، وجاء فهدم به جسر الزلايصة فحسره أيضاً .

وفي يوم الخميس ثمانى عشر مرمر حبيب الحجاب قارى عن المباشرة بدار السمادة ، وأخذت القضاة يده وانعزف إلى داره في أقل من الناس ، واستبشر بذلك كثير من الناس ، لكثرة ما كان يفتات على الأحكام الشرعية .

وفي أواخره اشتهر موت القاضي تاج الدين المناوى بديار مصر وولاية قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبى البقاء السبكى مكانه بقضاء الساكر بها ، ووكالة السلطان أيضاً ، ورتب له مع ذلك كفائته . وتولى في هذه الأيام الشيخ سراج الدين البلقينى إفتاء دار العدل مع الشيخ بهاء الدين أحمد بن قاضى القضاة السبكى بالشام ، وقد ولى هو أيضاً القضاء بالشام كما تقدم ، ثم عاد إلى مصر وفراً مكرماً وعاد أخوه تاج الدين إلى الشام ، وكذلك ولوا مع البلقينى إفتاء دار العدل الحنفى [شيخنا] يقال له الشيخ شمس الدين بن الصائغ ، وهو مقبى حنفى أيضاً .

وفي يوم الاثنين سابع ربيع الأول توفي الشيخ نور الدين محمد بن الشيخ أبى بكر قروام بزاوية بسفح جبل قاسيون ، وهذا الناس إلى جنازته ، وقد كان من العلماء الفضلاء المقهات بمذهب الشافعى ، درس بالناصرة البرانية مدة سنين بمداييه ، وبالباط الدويدارى داخل باب الفرج ، وكان يحضر المدارس ، ونزل عندنا بالمدرسة النجيبية ، وكان يحب السنة ويهتم بها جيداً رحمه الله .

وفي مستهل جمادى الأولى ولى قاضى القضاة تاج الدين الشافى مشيخة دار الحديث بالمدرسة التى فتحت بدرب القلبي ، وكانت داراً لواقفها جمال الدين عبيد الله بن محمد بن عيسى التندرى ، الذى كان أستاذاً للأمر طاز ، وجعل فيها درس للحنابلة ، وجعل المدرس لهم الشيخ رمان الدين إبراهيم ابن قيم الجوزية ، وحضر الدرس وحضر عنده بعض الحنابلة بالدرس ، ثم جرت أمور بطول بسطها . واستحضر نائب السلطنة شهود الحنابلة بالدرس واستفرد كلا منهم ورأه كيف شهد فى أصل الكتاب - المحضر - الذى أثبتوا عليهم ، فاضطربوا فى الشهادات فضايط ذلك عليهم ، وفيه مخالفة كبيرة لما شهدوا به فى أصل المحضر ، وشنع عليهم كثير من الناس ، ثم ظهرت ديون كثيرة لبيت طاز على جمال الدين التندرى الواف ، وطالب من القاضى المالكي أن يحكم بإبطال ما حكم به الحنبلى ، فتوقف فى ذلك . وفى يوم الاثنين الحسادى والعشرين منه ، قرئ كتاب السلطان بصرف الوكلاء من أبواب القضاة الأربعة فصرفوا .

وفى شهر جمادى الآخرة توفى الشيخ شمس الدين شيخ الحنابلة بالصالحية ويمر بالببرى يوم الخميس ثمانه ، صلى عليه بالجامع المظفرى بعد العصر ودفن بالنفح وقد قارب الثمانين .

وفى الرابع عشر منه عقد بدار السعادة مجلس حافل اجتمع فيه القضاة الأربعة وجماعة من المفتيين ، وطلبت لخصرت معهم بسبب المدرسة التندرية وقرابة الواقف ودعواهم أنه وقف عليهم الثالث ، فوقف الحنبلى فى أمرهم ودافعهم عن ذلك أشد الدفاع .

وفى العشر الأول من رجب وجد جراد كثير منشور ، ثم تزايد وتراكم وتضاعف وتناقم الأمر بسببه ، وسد الأرض كثرة وعاث بيننا وشملاً ، وأفسد شيئاً كثيراً من الكروم والمقانى والزروع والتفيسة ، وأتلف للناس شيئاً كثيراً ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان توجه القضاة ووكيل بيت المال إلى باب كيسان فوقفوا عليه وعلى هيئته ومن نية نائب السلطنة فتحه لينفرج الناس به . وعدم للناس غلات كثيرة وأشياء من أنواع الزروع بسبب كثرة الجراد ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

فتح باب كيسان بعد غلقه نحواً من مائتي سنة

وفى يوم الاربعاء السادس والعشرين من شعبان اجتمع نائب السلطنة والقضاة عند باب كيسان ، وشرع الصنائع فى فتحه عن مرسوم السلطان الوارد من الديار المصرية ، وأمر نائب السلطنة وإذن القضاة فى ذلك ، واستهل رمضان وهم فى العمل فيه .

وفى العشر الأخير من شعبان توفى الشريف شمس الدين محمد بن على بن الحسن بن حمزة الحسينى المحدث المحصل ، المؤلف لأشياء مهمة ، وفى الحديث قرأ وسمع وكتب أسماء رجال

بمسند الإمام أحمد، واختصر كتاباً في أسماء الرجال مفيداً، وروى مشيخة الحديث التي وقفها في داره بهاء الدين القاسم بن عساكر، داخل باب توما، وختمت البخاريات في آخر شهر رمضان.

ووقع بين الشيخ عماد الدين بن السراج قارىء البخارى عند محراب الصحابة، وبين الشيخ بدر الدين بن الشيخ جمال الدين الشريفي، وتها ترا على رؤس الأشهاد بسبب لفظة «يبتز» بمعنى يدخر، وفي نسخة يتبر، فحكى ابن السراج عن الحافظ المزى أن الصواب «يبتز» من قول العرب عزب، وصدق في ذلك، فكان منازعه خطأ ابن المزى، فانتصر الآخر للحافظ المزى، فقاد منه بالقول ثم قام والده الشيخ جمال الدين المشار إليه فكشف رأسه على طريقة الصوفية، فكان ابن السراج لم يلتفت إليه، وتدفقوا إلى القاضي الشافعي فانتصر للحافظ المزى، وجرت أمور، ثم اصطالحوا غير مرة وعزم أولئك على كتب محضر على ابن السراج، ثم انطفأت تلك الشرور.

وكثر الموت في أثناء شهر رمضان وقاربت العدة مائة، وربما تجاوزت المائة، وربما كانت أقل منها وهو الغالب، ومات جماعة من الأصحاب والمعارف، فانا لله وإنا إليه راجعون. وكثر الجراد في البساتين وعظم الخطب بسببه، وأتلف شيئاً كثيراً من الفلات والثمار والخضروات، وغلت الأسعار وقلت الثمار، وارتفعت قيم الأشياء فبيع الدبس بما فوق المائتين القنطار، والرز بأزيد من ذلك وتكامل فتح باب كيسان وسموه الباب القبلى، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، وعرضه أزيد من عشرة أذرع بالبحارى لأجل عمل الباسورة جنبيه، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وجاء في غاية الحسن، وسلك الناس في حارات اليهود، وانكشف دخلهم وأمن الناس من دخنهم وغشهم ومكرهم وخبثهم، وانفرج الناس بهذا الباب المبارك.

واستهل شوال والجراد قد أتلف شيئاً كثيراً من البيلاد، ورعى الخضروات والأشجار، وأوسع أهل الشام في الفساد، وغلت الأسعار، واستمر الفناء وكثر الضجيج والبكاء، وفقدنا كثيراً من الأصحاب والأصدقاء، فلان مات. وقد تناقص الفناء في هذه المدة وقل الوقع وتناقص الخمسين. وفي شهر ذى القعدة تقاصر الفناء والله الحمد، ونزل العدد إلى العشرين فاحولها، وفي رابعه دخل بالغيل والزرافة إلى مدينة دمشق من القاهرة، فأنزل في الميدان الأخضر قريباً من القصر الأبلق، وذهب الناس للنظر إليهما على العادة.

وفي يوم الجمعة تاسعة صلى على الشيخ جمال الدين عبد الصمد بن خليل البغدادى، المعروف بابن الخضرى، محدث بغداد وواعظها، كان من أهل السنة والجماعة رحمه الله انتهى.

تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق منذ فتوح الشام

اتفق ذلك في يوم الجمعة الثالث، ثم تبين أنه الرابع والعشرين من ذى القعدة من هذه السنة

بالجامع الذى جدد بناءه نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، بدرب البلاغة قبلى مسجد درب الحجر ، داخل باب كيسان المجدد فتحد فى هذا الحين كما تقدم ، وهو معروف عند العامة بمسجد الشاذورى ، وإنما هو فى تاريخ ابن عساكر مسجد الشاذورى ، وكان المسجد فى الهيئة قد تقدم عهد مدة دهر ، وهجر فلا يدخله أحد من الناس إلا قليل ، فوسمه من قبله وسدته جديدا ، وجعل له ممرحة شمالية مبلطة ، ورواق على هيئة الجوامع ، والداخل بأبوابه على المدة ، ودخل ذلك رواق كبير له جناحان شرفى وغربى ، بأعمدة وقناطر ، وقد كان قديما كنيسة فأخذت منهم قبل الحسمائة ، وعملت مسجدا ، فلم يزل كذلك إلى هذا الحين ، فلما كن كما ذكرنا وسبق إليه الماء من القنوات ، ووضع فيه منبر مستعمل كذلك ، فيومئذ ركب نائب السلطنة ودخل البلد من باب كيسان وانعطف على حارة اليهود حتى انتهى إلى الجامع المذكور ، وقد استكشف الناس عنده من قضاء وأعيان وخاصة وعامة ، وقد عين لخطابته الشيخ صدر الدين بن منصور الحنفى ، مدرس الناجية وإمام الحنفية بالجامع الأموى ، فلما أذن الأذان الأول تمدر عليه الخروج من بيت الخطابة ، قبا لمرض عرض له ، وقيل اغبر ذلك من حصر أو نحوه ، فخطب الناس يومئذ قاضى القضاة جمال الدين الحنفى الكفرى ، خدمة لنائب السلطنة .

واسنهل شهر ذى الحجة وقد رفع الله الوباء عن دمشق وله الحمد والمنة . وأهل البلد يموتون على المدة ولا يمرض أحد بتلك العلة ، ولكن المرض المعتاد ، انتهى .

ثم دخلت سنة ست وستين وسبع مائة

استنهل هذه السنة والسلطان الملك الأشرف ناصر الدين شعبان ، والدولة بمصر والشام هم ، ودخل الحمل السلطانى صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين منه ، وذكروا أنهم نالهم فى الرجعة شدة شديدة من الغلاء وموت الجمال وهرب الجالين ، وقدم مع الركب من خارج من الديار المصرية قاضى القضاة بدر الدين بن أبى الفتح ، وقد سبقه التقليد بقضاء القضاة مع خاله تاج الدين بحكم فيما يحكم فيه مستقلا معه ومنفردا بعده .

وفى شهر الله المحرم رسم نائب السلطنة بتخريب قرىتين من وادى التيم وهم مشعرا وتلبثانا ، وسبب ذلك أنهما عاصيان وأهلهما مفسدان فى الأرض ، والبلدان والأرض حصينان لا يصل إليهما إلا بكلفة كثيرة لا يرتقى إليهما إلا فارس فارس ، نغر بتا وهجر بدلهما فى أسفل الوادى ، بحيث يصل إليهما حكم الحاكم والطلب بسهولة ، فأخبرنى الملك صلاح الدين ابن الكامل أن بلدة تلبثانا عمل فيها ألف فارس ، ونقل نقضها إلى أسفل الوادى خمسمائة حمار عدة أيام .

وفى يوم الجمعة سادس صفر بعد الصلاة صلى على قاضى القضاة جمال الدين يوسف بن قاضى

القضاة شرف الدين أحمد بن أقفى القضاة بن الحسين المزى الحنفى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة المذكورة بعد مرض قريب من شهر ، وقد جاوز الأربعين بثلاث من السنين ، ولى قضاء قضاء الحنفية ، وخطب بجامع يلبغا ، وأحضر مشيخة النفيسية ، ودرس بأماكن من مدارس الحنفية ، وهو أول من خطب بالجامع المستجد داخل باب كيسان بمحضرة نائب السلطنة .

وفى صفر كانت وفاة الشيخ جمال الدين عمر بن القاضى عبد الحى بن إدريس الحنبلى محاسب بغداد ، وقاضى الحنابلة بها ، فتمصبت عليه الروافض حتى ضرب بين يدي الوزارة ضرباً مبرحاً ، كان سبب موته سرى ما رحمه الله ، وكان من القائمين بالحق الأسمين بالمعروف والناهين عن المنكر ، من أكبر المنكرين على الروافض وغيرهم من أهل البدع رحمه الله ، وبل بالرحمة تراه .

وفى يوم الأربعاء تاسع صفر حضر مشيخة النفيسية الشيخ فحس الدين بن سند ، وحضر عنده قاضى القضاة تاج الدين وجماعة من الأعيان ، وأورد حديث عبادة بن الصامت « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أسنده عن قاضى القضاة المشار إليه .

وجاء البريد من الديار المصرية بطلب قاضى القضاة تاج الدين إلى هناك ، فسير أهله قبله على الجمال ، وخرجوا يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول جماعة من أهل بيتهم لزيارة أهاليهم هناك ، فأقام هو بسدم إلى أن قدم نائب السلطنة من الرحبة وركب على البريد . وفى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة رجع قاضى القضاة تاج الدين السبكي من الديار المصرية على البريد وتلقاه الناس إلى أثناء الطريق ، واحتفلوا للسلام عليه وتهنئته بالسلامة انتهى . والله أعلم .

قتل الرافضى الحبيث

وفى يوم الخميس سابع عشر أول النهار وجد رجل بالجامع الأموى اسمه محمود بن إبراهيم الشيرازى ، وهو يسب الشيخين ويصرح بلمنتهما ، فرفع إلى القاضى المالكي قاضى القضاة جمال الدين المسلاى فاستتابه عن ذلك وأحضر الضراب فأول ضربة قال لا إله إلا الله على ولى الله ، ولما ضرب الثانية لمن أيا بكر وعمر ، فأتته العامة فأوسموه ضرباً مبرحاً بحيث كاد يهلك ، فجعل القاضى يستكفهم عنه فلم يستعاع ذلك ، فجعل الرافضى يسب ويلعن الصحابة ، وقال : كانوا على الضلال ، فعند ذلك حمل إلى نائب السلطنة وشهد عليه قوله بأنهم كانوا على الضلالة ، فعند ذلك حكم عليه القاضى بإراقة دمه ، فأخذ إلى ظاهر البلد فضربت عنقه وأحرقته العامة قبعة الله ، وكان ممن يقرأ بمدرسة أبى عمر ، ثم ظهر عليه الرضى فمجنه الحنبلى أربعين يوماً ، فلم ينفع ذلك ، وما زال يصرح فى كل موطن يأمر فيه بالسب حتى كان يومه هذا أظهر مذهبه فى الجامع ، وكان سبب قتله قبعة الله كما قبح من كان قبله ، وقتل بقتله فى سنة خمس وخمسين .

استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي

وفي آخر هذا اليوم - أعني يوم الخميس ثامن عشره - حكم أنقض القضاة ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين بن أبي البناء بالمدرسة المادلية الكبيرة نيابة عن قاضي القضاة تاج الدين مع استنابة أنقض القضاة شمس الدين العزى ، وأنقض القضاة بدر الدين بن وهيبة ، وأما قاضي القضاة بدر الدين بن أبي الفتح فهو نائب أيضاً ، ولكنه بتوقيع شريف أنه يحكم مستقلاً مع قاضي القضاة تاج الدين .

وفي يوم الاثنين الثاني والعشرين منه استعفى نائب السلطنة الأمير ناصر الدين بن الماوى متولى البلد ونظم عليه أشياء ، وأمر بضربه فضرب بين يديه على أكتافه ضرباً ليس بمبرح ، ثم عزله واستعفى بالأمير علم الدين سليمان أحد الأمراء العشراوات ابن الأمير صفى الدين بن أبي القاسم البعراوى ، أحد أمراء الطبائخانات ، كان قد ولي شد الدواوين ونظر القدس والتحليل وغير ذلك من الولايات الكبار ، وهو ابن الشيخ نضر الدين عثمان بن الشيخ صفى الدين أبي القاد التميمى الحنفى . وبأيديهم تدرىس الأملية التى ببصرى والحكيمية أزيد من مائة سنة ، فولاه البلد على تكريمه منه ، فألزمه بها وخلع عليه ، وقد كان وإياها قبل ذلك فأحسن السيرة وشكر سعيه لديانته وأمانته وعفته ، وفرح الناس والله الحمد .

ولاية فاضلي القضاة بهاء الدين السبكي قضاء مصر بعد عزل

عز الدين بن جماعة نفسه

ورد الخبر مع البريد من الديار المصرية بأن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة عزل نفسه عن القضاء يوم الاثنين السادس عشر من هذا الشهر ، وصمم على ذلك ، فبعث الأمير الكبير يلعبا إليه الأمر استرضونه فلم يقبل ، فركب إليه بنفسه ومعه القضاة والأعيان فتلطفوا به فلم يقبل وصمم على الانعزال ، فقال له الأمير الكبير: فمين لنا من يصلح بعدك . قال ولا أقول لكم شيئاً غير أنه لا يتولى رجل واحد ، ثم ولوا من شئتم ، فأخبرنى قاضي القضاة تاج الدين السبكي أنه قال لا تولوا ابن عقيل ، فمين الأمير الكبير قاضي القضاة بهاء الدين أبا البقاء فقيل إنه أظهر الامتناع ، ثم قبل ولبس الخلع وأبشر يوم الاثنين الثالث والعشرين من جمادى الآخرة ، قاضى القضاة الشيخ بهاء الدين بن قاضي القضاة تقي الدين السبكي قضاء العساكر الذى كان بيد أبي البقاء .

وفي يوم الاثنين سابع رجب توفى الشيخ على المراوحى خادماً الشيخ أسد المراوحى البغدادى ، وكان فيه مروءة كثيرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويدخل على النواب ويرسل إلى الولاة

فتقبل رسالته ، وله قبول عند الناس ، وفيه بر وصدقة وإحسان إلى المحاويج ، وبيده مال جيد يتجرله فيه
تعال مدة طويلة ثم كانت وفاته في هذا اليوم صلى عليه الظاهر بالجامع ، ثم حل إلى سفح قاسيون رحمه الله .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدر الذي كان
نائب الشام فنزل بداره عند مأذنة فيروز ، وذهب الناس للسلام عليه بعد ما سلم على نائب السلطنة
بدار السعادة ، وقد ربح له بطلب الخالين وتقدمة ألف ولاية الولاية من غزاة إلى أقصى بلاد الشام ،
وأكرمه ملك الأمراء إكراما زائدا ، وفرحت العامة بذلك فرحاشديداً بعوده إلى الولاية . وختمت
البخاريات بالجامع الأوبى وذير في عدة أماكن من ذلك سنة مواعيد تقرأ على الشيخ حماد الدين
ابن كثير في اليوم ، أو ما مسجد ابن هشام بكرة قبل طلوع الشمس ، ثم تحت المنبر ، ثم بالمدرسة
النورية ، وبعد الظاهر بجامع تنكز ، ثم بالمدرسة الزرية ، ثم بالكوشك لأم الزوجة الست أسماء بنت
الوزير ابن السلجوس ، إلى أذان العصر ، ثم من بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير على محلة القضاء
إلى قريب القروب ، ويقرأ جميع مسلم بحراب الحنابلة داخل باب الزيارة بعد قبلة السر وقبل
النورية ، والله المستول وهو إله الميسر المسهل . وقد قرئ في هذه الهيئة في عدة أماكن آخر من
دور الأمراء وذيرهم ، ولم يهد مثل هذا في السنين الماضية ، فله الحمد والمنة .

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال توفي الشيخ نور الدين علي بن أبي الهيجاء الكركي الشوبكي ،
ثم الدمشقي الشافعي ، كان ممنا في المقرى والكتاب ، وختمت أفا وهو في سنة إحدى عشرة ، ونشأ
في صيانة وحفاف ، وقرأ على الشيخ بدر الدين بن سيجان السبيع ، ولم يكمل عليه ختمه ، واشتغل
في المنهاج للزواي فقرأ كثيراً منه أو أكثره ، وكان ينقل منه ويستحضره ، وكان خفيف الروح
نحبه الناس لذلك يرغبون في عشرته لذلك رحمه الله ، وكان يستحضر المشابهة في القرآن استحضاراً
حسناً متقناً كثير تلاوة له ، حذن الصلاة يوم الليل ، وقرأ على جميع البخاري بعهد ابن هشام
عدة سنين ، ومهر فيه ، وكان صوته جهورياً نصيح المبرة ، ثم ولي مشيخة الحلبي بالجامع وقرأ في
عدة كراسي بالمناط الشمالي ، وكان مقبولا عند الخاصة والعامة ، وكان يداوم على قيام العشر الأخير
في محراب الصحابة مع عدة قراء يبيتون فيه ويحيون الليل ، ولما كان في هذه السنة أحياء ليلة العيد
وحداء الحراب المذكور ثم رضى خمسة أيام ، ثم مات بعد الظاهر يوم الثلاثاء عاشر شوال بدرب العميد ،
وصلى عليه العصر بالجامع الأموي ، ودفن بقابر الباب الصغير عند والده في تربة لهم ، وكانت جنازته
حافلة وتأسف الناس عليه ، رحمه الله وبل بالرحمة تراه ، وقد قارب خسا وستين سنة وتترك بفتا سباعية
اسمها عائشة ، وقد أنفأها شيئا من القرآن إلى تسارك ، وحفظها الاربعين النواوية جبرها رجا
ورحم أبها آمين .

وخرج الحمل الشامي والحجيج يوم الخميس نائى عشره ، وأميرهم الأمير علاه الدين على بن علم الدين الهلالى ، أحد أمراء الطبليخانات .

وتوفى الشيخ عبد الله الماعلى يوم السبت رابع عشره ، وكان مشهوراً بالمجاورة بالكلاسة فى الجامع الأموى ، له أشياء كثيرة من الطرايح والآلات الفخرية ، ويلبس على طريقة الحريرية وشكله مزيج ، ومن الناس من كان يعتقد فيه الصلاح ، وكنت ممن يكرهه طبعاً وشرطاً أيضاً .

وفى يوم الخميس الخامس والعشرين من ذى القعدة قدم البريد من ناحية المشرق ومعهم قاقم ماء من عين هناك من خاصيته أنه يتبعه طير يسمى السممر أصفر الريش قريب من شكل الخطاف من شأنه إذا قدم الجراد إلى البلد الذى هو فيه أنه يقنيه ويأكله أكلاً سريعاً ، فلا يلبث الجراد إلا قليلاً حتى يرحل أو يؤكل على ما ذكر ، ولم أشاهد ذلك .

وفى المنتصف من ذى الحجة كمل بناء القيسارية التى كانت معملاً بالقرب من دار الحجارة ، قبلى سوق الدهشة الذى للرجال ، وفتحت وأكرمت دهشة لقماش النساء ، وذلك كله بمرسوم ملك الأمراء ناظر الجامع المعمر رحمه الله ، وأخبرنى الصدر عز الدين الصغير فى المشارف بالجامع أنه غرم عليها من مال الجامع قرىب ثلاثين ألف درهم انتهى .

طرح مكس القطن المغزول البلدى والمجلوب

وفى أواخر هذا الشهر جاء المرسوم الشريف بطرح مكس القطن المغزول البلدى والجلب أيضاً ، ونودى بذلك فى البلد ، فكثرت الدعوات لمن أمر بذلك ، وفرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً وفه الحمد والمنا .

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبع مائة

استهانت وسلاطان البلاد المصرية والشامية والحرمين الشريفين وما يتبع ذلك من الأقاليم الملك الأشرف بن الحسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وعمره عشر سنين فما فوقها ، وأتابك العساكر ومدير ممالك الأمير سيف الدين يلبغا الخالصى ، وقاضى قضاة الشافعية بمصر بهاء الدين أبو البقاء السبكى ، وبقية القضاة هم المذكورون فى السنة الماضية ، وناصب دمشق الأمير سيف الدين منكلى بغا ، وقضاة دمشق هم المذكورون فى التى قبلها سوى الخنزى فإنه الشيخ جمال الدين بن السراج شيخ الحنفية ، والخطابة بيد قاضى القضاة تاج الدين الشافى ، وكاتب السرو شيخ الشيوخ القاضى فتح الدين بن الشهيد ، وكيل بيت المال الشيخ جمال الدين بن الرهاوى . ودخل الحمل السلطانى يوم الجمعة بعد العصر قرىب الغروب ، ولم يشعر بذلك أكثر أهل البلد ، وذلك لغبية النائب فى السرحة مما يلى ناحية الفرات ، ليكون كارد لا تجر يده التى تعينت لتخريب الكيبيسات التى هى إقطاع خيار بن منها من زمن السلاطان أويس ملك العراق انتهى .

استيلاء الفرنج لعنهم الله على الاسكندرية

وفي العشر الأخير من شهر الله المحرم احتيط على الفرنج بمدينة دمشق وأودعوا في الحبوس في القلعة المنصورة ، واشتهر أن سبب ذلك أن مدينة الاسكندرية محاصرة بعدة شواين ، وذكر أن صاحب قبرص معهم ، وأن الجيش المصري صمدوا إلى حراسة مدينة الاسكندرية حرسها الله تعالى وصانها وحماها ، وسيأتي تفصيل أمرها في الشهر الآتي ، فانه وضع لنا فيه ، ومكث القوم بعد الاسكندرية بأيام فيما بلغنا ، بعد ذلك حاصرها أمير من التتار يقال له ماميه ، واستعان بطائفة من الفرنج ففتحوها قسراً ، وقتلوا من أهلها خلقاً وغنموا شيئاً كثيراً واستقرت عليها يد ماميه ملكا عليها . وفي يوم الجمعة سلبخ هذا الشهر توفي الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية ببستانه بالمزة ، ونقل إلى عند والده بمقابر باب الصغير ، فصلى عليه بعد صلاة العصر بجماع جراح ، وحضر جنازته القضاة والأعيان وخلق من التجار والعامسة ، وكانت جنازته حافلة ، وقد بلغ من العمر ثمانياً وأربعين سنة ، وكان بارعا فاضلا في النحو والفقه وفنون أخر على طريقة والده رحمهما الله تعالى ، وكان مدرسا بالصدريّة والتدمرية ، وله تصدير بالجماع ، وخطابة بجماع ابن صلحان ، وترك مالا جزيلا يقارب المائة ألف درهم . انتهى .

ثم دخل شهر صفر وأوله الجمعة ، أخبرني بعض علماء السير أنه اجتمع في هذا اليوم - يوم الجمعة مسنهل هذا الشهر - الكواكب السبعة سوى المريخ في برج العقرب ، ولم يتفق مثل هذا من سنين متطالة ، فلما المريخ فانه كان قد سبق إلى برج القوس فيه ووردت الأخبار بما وقع من الأمر الفظيع بمدينة الاسكندرية من الفرنج لعنهم الله ، وذلك أنهم وصلوا إليها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر الله المحرم ، فلم يجدوا بها قائدا ولا جيشا ، ولا حائطا للبحر ولا ناهرا ، فدخلوها يوم الجمعة بكرة النهار بعد ماحرقوا أبوابا كثيرة منها ، وعاثوا في أهلها فسادا ، يقتلون الرجال ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال ، فالحكم لله العلي الكبير المتعال . وأقاموا بها يوم الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء ، فلما كان صبيحة يوم الأربعاء قدم الشاليش المصري ، فأقلعت الفرنج لعنهم الله عنهم ، وقد أسروا خلقا كثيرا ينامون الأربعة آلاف ، وأخذوا من الأموال ذهباً وحريراً وبهاراً وغير ذلك مالا يحصى ولا يوصف ، وقدم السلطان والأمير الكبير يلبغا ظهر يومئذ ، وقد تفارط الحال وتحولت الفنائم كلها إلى الشواطئ بالبحر ، فسمع للأسارى من العويل والبكاء والشكوى والجأر إلى الله والاستغاثة به وبالمسلمين ، ما قلع الأكباد ، وذرفت له الدموع وأصم الأسماع ، فأن الله وإنا إليه راجعون ولما بلغت الأخبار إلى أهل دمشق شق عليهم ذلك جدا ، وذكر ذلك الخطيب يوم الجمعة على المنبر فتباكي [الناس] كثيرا ، فأن الله وإنا إليه راجعون ، وجاء المرسوم الشريف من الديار المصرية إلى

فائب السلطنة بسك النصرارى من الشام جملة واحدة ، وأن يأخذ منهم ربيع أموالهم لعمارة ماخرب من الاسكندرية ، ولعمارة مراكب لغزو الفرنج ، فأهاوا النصرارى وطلبوا من بيوتهم بمنف وخافوا أن يقتلوا ، ولم يفهموا مايراد بهم ، فهربوا كل مهرب ، ولم تسكن هذه الحركة شرعية ، ولا يجوز اعتمادها شرعا ، وقد طلبت يوم السبت السادس عشر من صفر إلى الميدان الأخضر للاجتماع بنائب السلطنة ، وكان اجتماعنا بعد العصر يومئذ بعد الفراغ من لعب الكرة ، فرأيت منه أنسا كثيرا ، ورأيتة كامل الرأى والفهم ، حسن العبارة كريم المجالسة ، فذكرت له أن هذا لايجوز اعتماده فى النصرارى ، فقال إن بعض فقهاء مصر أنفى للأمير الكبير بذلك ، فقلت له : هذا مما لايسوغ شرعا ، ولايجوز لأحد أن يفتى بهذا ، وفى كانوا باقين على الذمة يؤدون إلينا الجزية ملتزمين بالذلة والصغار ، وأحكام الملة قائمة ، لايجوز أن يؤخذ منهم الدرهم الواحد - الفرد - فوق مايبذلونه من الجزية ، ومثل هذا لايجبى على الأمير فقال : كيف أصنع وقد ورد المرسوم بذلك ولا يمكننى أن أخالفه ؟ وذكر له أشياء كثيرة مما يبنى اعتماده فى حق أهل قبرص من الازهاب وعيد العقاب ، وأنه يجوز ذلك وإن لم يفعل مايتوعدهم به ، كما قال سليمان بن داود عليهما السلام : « اتئوتى بالسكين أشق نصفين » كما هو الحديث مبسوط فى الصحيحين ، فجعل يعجبه هذا جدا ، وذكر أن هذا كان فى قلبه وأنى كاشفته بهذا ، وأنه كتب به مطالعة إلى الديار المصرية ، وسألتى جوابها بعد عشرة أيام ، فتجئى حتى تنف على الجواب ، وظهر منه إحسان وقبول وإكرام زائد رحمه الله . ثم اجتمعت به فى دار السعادة فى أوائل شهر ربيع الأول فبشرنى أنه قد رسم بعمل الشوائى والمراكب لغزو الفرنج والله الحمد والمنة . ثم فى صبيحة يوم الاحد طالب النصرارى الذين اجتمعوا فى كنيسهم إلى بين يديه وهم قريب من أربعمائة فخانهم كم أموالهم وألزمهم بأداء الربيع من أموالهم ، فأنال الله وإنا إليه راجعون . وقد أمروا إلى الولاية باحضارن فى معاملتهم ، وإلى البر قد خرج إلى القرايا بسبب ذلك ، وجردت أمراء إلى النواحى لاستخلاص الأموال من النصرارى فى القدس وغير ذلك .

وفى أول شهر ربيع الأول كان سفر قاضى القضاة تقي الدين السبكى الشافعى إلى القاهرة . وفى يوم الأربعاء خامس ربيع الأول اجتمعت بنائب السلطنة بدار السمادة وسألته عن جواب المطالعة ، فذكر لى أنه جاء المرسوم الشريف السلطانى بعمل الشوائى والمراكب لغزو قبرص ، وقتال الفرنج والله الحمد والمنة . وأمر نائب السلطنة بتجهيز القطاعين والشارين من دمشق إلى القنابة التى بالقرب من بيروت ، وأن يشرع فى عمل الشوائى فى آخر يوم من هذا الشهر ، وهو يوم الجمعة . وفتحت دار القرآن التى وقفها الشريف التعدادانى إلى جانب حمام السكس ، شملى المدرسة البادرائية ، وعمل فيها وظيفة حديث وحضر واقفها يومية قاضى القضاة تاج الدين السبكى انتهى والله أعلم .

عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج الدين السبكي

ولما كان يوم الاثنين الرابع والعشرين من ربيع الأول عقد مجلس حافل بدار السعادة بسبب ما رمى به قاضي القضاة تاج الدين الشافعي ابن قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكنت ممن طلب إليه ، فحضرته فيمن حضر ، وقد اجتمع فيه القضاة الثلاثة ، وخلق من المذاهب الأربعة ، وآخرون من غيرهم ، بحضرة نائب الشام سيف الدين منكلى بغا ، وكان قد سافر هو إلى الديار المصرية إلى الابواب الشريفة ، واستعجز كتباً إلى نائب السلطنة لجمع هذا المجلس ليسأل عنه الناس ، وكان قد كتب فيه محضران متعاكسان أحدهما له والآخر عليه ، وفي الذى عليه خط القاضيين المالكي والحنبلى ، وجماعة آخرين ، وفيه عظام وأشياء منكورة جداً ينبو السمع عن استماعه . وفي الآخر خطوط جماعات من المذاهب بالثناء عليه ، وفيه خطى بأنى ما رأيت فيه إلا خيراً . ولما اجتمعوا أمر نائب السلطنة بأن يمتاز هؤلاء عن هؤلاء في المجالس ، فصارت كل طائفة وحدها ، وتمازوا فيما بينهم ، وتواصل عنه نائب القضاة فتمس الدين الغزى ، والنائب الآخر بدر الدين بن وهبة وغيرهما ، وصرح قاضي القضاة جمال الدين الحنبلى بأنه قد ثبت عنده ما كتب به خطه فيه ، وأجابه بعض الحاضرين منهم بدهاء النفوذ ، فبادر القاضى الغزى فقال للحنبلى : أنت قد ثبتت عداوتك لقاضى القضاة تاج الدين ، فكثير القول وارتفعت الأصوات وكثر الجدال والمقال ، وتكلم قاضى القضاة جمال الدين المالكي أيضاً بنحو مقال الحنبلى ، فأجيب بمثل ذلك أيضاً ، وطال المجلس فانفضوا دلى مثل ذلك ، ولما بلغت الباب أمر نائب السلطنة بروجوهى إليه ، فاذا بقية الناس من الطرفين والقضاة الثلاثة جلوس ، فأشار نائب السلطنة بالصالح بينهم وبين قاضى القضاة تاج الدين - يعنى وأن يرجع القاضيان عما قالوا - فأشار الشيخ شرف الدين بن قاضى الجبل وأشرت أنا أيضاً بذلك فلان المالكي وامتنع الحنبلى ، فقمنا والأمر باق على ما تقدم ، ثم اجتمعنا يوم الجمعة بعد العصر عند نائب السلطنة عن طلبه ففرضوا كيف يكون جواب الكتابات مع مطالعة نائب السلطنة ، ففعل ذلك وسار يريد بذلك إلى الديار المصرية ، ثم اجتمعنا أيضاً يوم الجمعة بعد الصلاة التاسع عشر من ربيع الآخر بدار السعادة ، وحضر القضاة الثلاثة وجماعة آخرون ، واجتهد نائب السلطنة على الصلح بين القضاة وقاضى الشافعية وهو بمصر ، فحصل خلف وكلام طويل ، ثم كان الأمر أن سكنت أنفس جماعة منهم إلى ذلك على ما سئد كره فى الشهر الآتى .

وفى مسهل ربيع الآخر كانت وفاة المعلم داود الذى كان مباشراً لنظارة الجيش ، وأضيف إليه نظر الدواوين إلى آخر وقت ، فاجتمع له هاتان الوظيفتان ولم يجتمعا لأحد قبله كما فى على ، وكان من أخبر الناس بنظر الجيش وأعلمهم بأسماء رجاله ، ومواضع الاقطاعات ، وقد كان والده نائباً لنظار

ولما كان يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر - أعنى ربيع الآخر - طلب القضاة الثلاثة وجماعة من المفتين : فن ناحية الشافعي نائبه ، وهما القاضي فحمس الدين الغزى والقاضي بدر الدين بن وهبة ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني ، والمصنف الشيخ عماد الدين بن كثير والشيخ بدر الدين حسن الزرعى ، والشيخ آقى الدين الفارقى . ومن الجانب الآخر قاضيا القضاة جمال الدين المالكي والحنبل ، والشيخ شرف الدين بن قاضي الجبل الحنبلى ، والشيخ جمال الدين ابن الشريشنى ، والشيخ عز الدين بن حمزة بن شيخ السلامة الحنبلى ، وعماد الدين الحنائى ، فاجتمعت مع نائب السلطنة بالقاعة التى فى صدر إيوان دار السعادة ، وجلس نائب السلطنة فى صدر المكان ، وجلسنا حوله ، فكان أول ما قال : كنا نحن الترك وغيرنا إذا اختلفنا واختلفنا نجيء بالعلماء فيصالحون بيننا ، فصرنا نحن إذا اختلفت العلماء واختلفوا فن يصلح بينهم ؟ وشرع فى تأنيب من شنع على الشافعي بما تقدم ذكره من تلك الأقوال والأفاعيل التى كتبت فى تلك الأوراق وغيرها ، وأن هذا يشئ الأعداء بنا ، وأشار بالصلح بين القضاة بعضهم من بعض فصمم بعضهم وامتنع ، وجرت مناقشات من بعض الحاضرين فيما بينهم ، ثم حصل بحث فى مسائل ثم قال نائب السلطنة أخيراً : أما معتمى قول الله تعالى (عفا الله عما سلف) فلان القلوب عند

ذلك وأمر كاتب السر أن يكتب مضمون ذلك في مطالعة إلى الديار المصرية ، ثم خرجنا على ذلك

انتهى والله أعلم

عودة قاضي القضاة السبكي إلى دمشق

في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى قدم من ناحية الكسوة وقد تلقاه جماعة من الأعيان إلى الصمين وما فوقها ، فلما وصل إلى الكسوة كثر الناس جدا وقاربها قاضي قضاة الحنفية الشيخ جمال الدين بن السراج ، فلما أشرف من عقبة شعورا تلقاه خلافاً لاجهضون كثرة وأشعلت الشموع حتى مع النساء ، والناس في سرور عظيم ، فلما كان قريبا من الجسورة تلقاه الخلائق الحليين مع الجوامع والمؤذنون يكبرون ، والناس في سرور عظيم ، ولما قارب باب النصر وقع مطر عظيم والناس معه لا تسهم الطراقات ، يدعون له ويفرحون بقدومه ، فدخل دار السعادة وسلم على نائب السلطنة ، ثم دخل الجامع بعد العصر ومعه شموع كثيرة ، والرؤساء أكثر من العامة . ولما كان يوم الجمعة ثاني شهر جمادى الآخرة ركب قاضي القضاة السبكي إلى دار السعادة وقد استدعى نائب السلطنة بالقاضيين المالكي والحنبلي ، فأصاح بينهم ، وخرج من عنده ثلاثتهم يتماشون إلى الجامع ، فدخلوا دار الخطابة فاجتمعوا هناك ، وضيفهما الشافعي ، ثم حضرا خطبته الحافلة بالبيعة الفصيحة ، ثم خرجوا ثلاثتهم من جوا إلى دار المالكي ، فاجتمعوا هناك وضيفهم المالكي هنالك ما تيسر . والله الموفق للصواب .

وفي أوائل هذا الشهر وردت المراسيم الشريفة السلطانية من الديار المصرية بأن يجمل للأمير من إقطاعه النصف خاصا له ، وفي النصف الآخر يكون لأجناده ، فحصل بهذا رفق عظيم بالجند ، وعدل كثير والله الحمد ، وأن يتجهز الأجناد ويحرموا على السبق والرمي بالنشاب ، وأن يكونوا مستعدين متى استنفروا نفرأ ، فاستعدوا لذلك وتأهبوا لقتال الفرنج ، كما قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية . وثبت في الحديث أن رسول الله (س) قال على المنبر « ألا إن القوة الرمي » . وفي الحديث الآخر « ارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلي » .

وفي يوم الاثنين بعد الظهر عقد مجلس بدار السعادة للكشف على قاضي القضاة جمال الدين المرادوى الحنبلي بمقتضى مرسوم شريف ورد من الديار المصرية بذلك ، وذلك بسبب ما يعتمد كثير من شهود مجلسه من بيع أوقاف لم يستوف فيها شرائط المذهب ، وإببات إعسارات أيضا كذلك وغير ذلك انتهى .

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية

وفي العشر الأخير من جمادى الآخرة ورد الخبر بأن الأمير الكبير يلبننا الخالصي خرج عليه

جماعة من الأمراء مع الأمير سيف الدين طيغنا الطويل ، فبرز إليهم إلى قبة القصر فالتقوا معه هنالك ، فقتل جماعة وجرح آخرين ، وانفصل الحان على مساك طيغنا الطويل وهو جريح ، ومسك أرغون الشعر دى اللو يدار ، وخاق من أمراء الاكوف والطباخانات ، وجرت خبطة عظيمة استمر فيها الأمير الكبير يلبنغا على عزه ونأييده ونصره والله الحمد والمنة . وفي ثاني رجب يوم السبت توجه الأمير سيف الدين بيدمر الذي كان نائب دمشق إلى الديار المصرية بطلب الأمير يلبنغا ليؤكد أمره في دخول البحر لقتال الفرنج وفتح قبرص إن شاء الله ، انتهى والله تعالى أعلم .

مما يتعلق بأمر بغداد

أخبرني الشيخ عبد الرحمن البغدادي أحد رؤساء بغداد وأصحاب التجارات ، والشيخ شهاب الدين المطار - السمسار في الشرب - بغدادي أيضا - أن بغداد بعد أن استعادها أويس ملك العراق وخراسان من يد الطواشي مرجان ، واستحضره فأكرمه وأطلق له ، فاتفقا أن أصل الفتنة من الأمير أحمد أخو الوزير ، فأحضره السلطان إلى بين يديه وضربه بسكين في كرشه فشقته ، وأسر بعض الأمراء فقتله ، فاتفق أهل السنة لذلك فغرة عظيمة ، وأخذ خشبته أهل باب الأزج فأحرقوه وسكننت الأمور وتشفوا بمقتل الشيخ جمال الدين الأتباري الذي قتله الوزير الرافضي فأهلكه الله بعده سريعا انتهى .

وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن حاتم الشافعي

وفي العشر الأول من شهر شعبان قدم كتاب من الديار المصرية ب وفاة قاضي القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة بمكة شرفها الله ، في العاشر من جمادى الآخرة ودفن في الحادي عشر في باب المني وذكروا أنه توفي وهو يقرأ القرآن ، وأخبرني صاحب الشيخ محي الدين الرحبي حفظه الله تعالى انه كان يقول كثيرا : أشتهي أن أموت وأنا موزول ، وأن تكون وفاتي بأحد الحرمين ، فأعطاه الله ما تمناه : عزل نفسه في السنة الماضية ، وهاجر إلى مكة ، ثم قدم المدينة لزيارة رسول الله (ص) ، ثم عاد إلى مكة ، وكانت وفاته بها في الوقت المذكور ، فرحبه الله وبل بالرحمة تراء . وقد كان مولده في سنة أربع وتسعين ، فتوفي عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد نال العز عز في الدنيا ورفعة هائلة ، ومناصب زتداريس كبار ، ثم عزل نفسه وتفرغ للمبادة والمجاورة بالحرمين الشريفين ، فيقال له ما قلته في بعض المراتي . فسكانك قد أهدمت بالموث حتى • تزودت له من خيار الزاد .

وحضر عندي في يوم الثلاثاء تاسع شوال البترك بشارة الملتب بميخائيل ، وأخبرني أن المطارنة بالشام يأمروه على أن جعلوه بتركا بدمشق عوضا عن البترك بالطاكية ، فذكرت له أن هذا أمر مبتدع في دينهم ، فانه لا تكون البتاركة إلا أرلعة فالاسكندرية وبالقدس وبالطاكية وبرومية ، فنقل بترك

رومية إلى اسطنبول وهي السلطنة ، وقد أنكر عليهم كثير منهم إذ ذاك ، فهذا الذي ابتدئ به في هذا الوقت أعظم من ذلك . لكن اعتذر بأنه في الحقيقة هو عن إنطاكية ، وإنما أذن له في المقام بالشام الشريف لأجل أنه أمره نائب السلطنة أن يكتب عنه وعن أهل ملتهم إلى صاحب قبرص ، يذكر له ما حل بهم من الخزي والنكال والجناية بسبب عدوان صاحب قبرص على مدينة الاسكندرية ، وأحضر لي الكتب إليه وإلى ملك اسطنبول وقرأها على من لفظه لعنه الله ولعن المكتوب إليهم أيضا . وقد تسكمت معه في دينهم ونفوس ما يعتقده كل من الطوائف الثلاثة ، وهم الملكية واليعقوبية ومنهم الانرج والقبطة والنسطورية ، فإذا هو يفهم بعض الشيء ، ولكن حاصله أنه حمار من أكر الكفار لعنه الله .

وفي هذا الشهر بلغنا استمادة السلطان أويس ابن الشيخ حسن ملك العراق وخراسان بغداد من يد الطوائف . مرجان الذي كان نائبه عليهم ، وامتنع من طاعة أويس ، فجاء إليه في جعافل كثيرة فهرب مرجان ودخل أويس إلى بغداد دخولا هائلا ، وكان يوما مشهودا .

وفي يوم السبت السابع والعشرين من شعبان قدم الأمير سيف الدين بيدمر من الديار المصرية على البريد أمير مائة مقدم ألف ، وعلى نيابة يلبنغا في جميع دواوينه بدمشق وغيرها ، وعلى إمارة البحر وعمل المراكب ، فلما قدم أمر بجميع جميع النصارى والنجارين والحدادين ونهبهم لبيروت اقتطع الأخشاب ، فسيروا يوم الأربعاء نافي رمضان وهو عازم على إلحاق بهم إلى هنالك وبالله المستعان . ثم أتبعوا بآخرين من نجارين وحدادين وعتالين وغير ذلك ، وجعلوا كل من وجدوه من ركاب الحبر ينزلونه ويركبوا إلى ناحية البقاع ، وسخروا لهم من الصنائع وغيرهم ، وجرت خبطة عظيمة وتباكي عوائلهم وأطفالهم ، ولم يسلموا شيئا من أجورهم ، وكان من اللائق أن يسلفوه حتى يتركوه إلى أولادهم .

وخطب برهان الدين المقدسى الحنفى بجامع يلبنغا عن آقى الدين ابن قاضى القضاة شرف الدين السكفرى ، بمرسوم شريف ومرسوم نائب صند استمر أخى يلبنغا ، وشق ذلك عليه وعلى جده وجماعتهم ، وذلك يوم الجمعة الرابع من رمضان ، وهذا وحضر عنده خلق كثير .

وفي يوم الخميس الرابع والعشرين منه قرئ تقليد قاضى القضاة شرف الدين بن قاضى الجبل لقضاء الحنابلة ، عوضا عن قاضى القضاة جمال الدين المرادوى ، عزل هو والمالكي معه أيضا ، بسبب أمور تقدم نسبتها لهما وقرئ التقليد بحراب الحنابلة ، وحضر عنده الشافعى والحنفى ، وكان المالكي معتكفا بالقاعة من المنارة الغربية ، فلم يخرج إليهم لأنه معزول أيضا برأى قاضى حجة ، وقد وقفت شرور ونخبيط بالصالحية وغيرها .

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثلاثين من شهر رمضان خلع على قاضي القضاة سري الدين إسماعيل المالكي ، قدم من حماة على قضاء المالكية ، عوضاً عن قاضي القضاة جمال الدين السلافي ، عزل عن المنصب ، وقرئ تقليده بمقصورة المالكية من الجامع ، وحضر عنده القضاة والاعيان .

وفي صبيحة يوم الأربعاء سابع شوال قدم الأمير خيار بن مهنا إلى دمشق سامعاً مطيعاً ، بعد أن جرت بينه وبين الجيوش حروب متطاولة ، كل ذلك ليطلب البساط ، فأبى خوفاً من المسك والحبس أو القتل ، فبعد ذلك كله قدم هذا اليوم قاصداً الديار المصرية ليصطحب مع الأمير الكبير يلغا ، فلتقاء الحجة والمهندارية والخلق ، وخرج الناس للفرجة ، فنزل القصر الأبلق ، وقدم معه نائب حماة عمر شاه فنزل معه ، وخرج معه ثاني يوم إلى الديار المصرية ، وأقرأني القاضي ولي الدين عبدالله وكيل بيت المال كتاب والده قاضي القضاة بهاء الدين ابن أبي البقاء قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية ، أن الأمير الكبير جدد درسا بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وجعل لكل فقيه منهم في الشهر أربعين درهماً ، وأردب قبح ، وذكر فيه أن جماعة من غير الحنفية انتقلوا إلى مذهب أبي حنيفة لينزلوا في هذا الدرس .

درس التفسير بالجامع الأموي

وفي صبيحة يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شوال سنة سبع وستين وسبعمائة حضر الشيخ العلامة الشيخ عماد الدين بن كثير درس التفسير الذي أنشأه ملك الأمراء نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكلي بغارحه الله تعالى من أوقاف الجامع الذي جدها في حال نظره عليه أنابه الله ، وجعل من الطلبة من سائر المذاهب خمسة عشر طالباً ليكمل طالب في الشهر عشرة دراهم ، وللمعيد عشرون وليكاتب الغيبة عشرون ، وللمدرس ثمانون ، وتصديق حدين دعوته لحضور الدرس ، لحضر واجتمع القضاة والاعيان ، وأخذ في أول تفسير النافذة ، وكان يوماً مشهوداً . والله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعفة انتهى .^(١) قضاة الحنابلة الشيخ شرف الدين أحمد بن الحسن بن قاضي الجبل المقدسي ، وناظر الدواوين محمد الدين بن التاج إسحق ، وكاتب السر فتح الدين بن الشهيد ، وهو شيخ الشيوخ أيضاً ، وناظر الجيوش الشامية برهان الدين بن الحلبي ، ووكيل بيت المال القاضي ولي الدين بن قاضي القضاة بهاء الدين أبي البقاء . انتهى .

سفر نائب السلطنة إلى الديار المصرية

لما كانت ليلة الحادي والعشرين قدم حاشتر دويدار يلغا على البريد ، فنزل بدار السعادة ، ثم (١) كذا بنسخ الاستانة وفي المصرية بياض نصف صفحة من الأصل . وهذا يدل على أن هذا الكلام من تأليف تلميذ ابن كثير وسقط كلام فيه أول السنة .

ركب هو نائب السلطنة بعد العشاء الأخيرة في المشاعل ، والحجبة بين أيديهما والخلائق يدعون
لنائبهم ، واستمروا كذلك ذاهبين إلى الديار المصرية ، فأكرمهم بلبغا وأنعم عليه وسأله أن يكون
ببيلاد حلب ، فأجابه إلى ذلك وعاد فنزل بدار سنجر الاسماعيلي ، وارتحل منها إلى حلب ، وقد
اجتمعت به هناك وتأسف الناس عليه ، وناب في الغيبة الأمير سيف الدين زباله ، إلى أن قدم
النائب المزمز السيفي فقتل عبد الغني على ما سيأتي . وتوفي القاضي شمس الدين بن منصور الحنفي
الذي كان نائب الحكم رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من المحرم ، ودفن بالباب الصغير ،
وقد قارب الثمانين .

وفي هذا اليوم أو الذي بعده توفي القاضي شهاب الدين أحمد ابن الوزوارة ناظر الأوقاف
بالصالحية . وفي صبيحة يوم الجمعة ثالث صفر نودي في البلد أن لا يتخلف أحد من أجناد الحلقة عن
السفر إلى بيروت ، فاجتمع الناس لذلك فبادر الناس والجيش ملبسين إلى سطح المزة ، وخرج
ملك الأمراء أمير على كان نائب الشام من داره داخل باب الجابية في جماعة ملبسين في هيئة
حسنة وتجميل هائل ، وولده الأمير ناصر الدين محمد وطلبه معه ، وقد جاء نائب الغيبة والحجبة إلى
بين يديه إلى وطاقه وشاوروه في الأمر ، فقال : ليس لي هاهنا أمر ، ولكن إذا حضر الحرب
والقتال فلي هناك أمر ، وخرج خلق من الناس متبرعين ، وخطب قاضي القضاة تاج الدين الشافعي
بالناس يوم الجمعة على العادة ، وحرّض الناس على الجهاد ، وقد ألبس جماعة من غلمانة الائمة والخوذة
وهو على عزم المسير مع الناس إلى بيروت ولله الحمد والمنة . ولما كان من آخر النهار رجع الناس إلى
منازلهم وقد ورد الخبر بأن المراكب التي رؤيت في البحر إنما هي مراكب تجار لا مراكب قتال ،
فطابت قلوب الناس ، ولكن ظهر منهم استعداد عظيم ولله الحمد .

وفي ليلة الأحد خامس صفر قدم بالأمر سيف الدين شرشي الذي كان إلى آخر وقت نائب
حلب محتاطا عليه بعد العشاء الآخرة إلى دار السعادة بدمشق ، فسير ممزولا عن حلب إلى
طرابلس بطالا ، وبعث في سرجين محبة الأمير علاء الدين بن صبيح .

وبلغنا وفاة الشيخ جمال الدين بن نباتة حامل لواء شعراء زمانه بديار مصر بمصرستان الملك
المنصور قلاوون ، وذلك يوم الثلاثاء سابع صفر من هذه السنة رحمه الله تعالى . وفي ليلة ثامن هرب
أهل حبس السد من سجنهم وخرج أكثرهم فأرسل الولاة صبيحة يومئذ في أثرهم فسك كثير ممن
هرب فضر بهم أشد الضر ، وردهم إلى شر المتقلب .

وفي يوم الأربعاء خامس عشره نودي بالبلدان أن لا يمايل الفرنج البنادقة والحبوبة والكيكلان
واجتمعت في آخر هذا اليوم بالأمر زين الدين زباله نائب الغيبة النازل بدار الذهب فأخبرني أن

البريدى أخبره أن صاحب قبرص رأى في النجم أن قبرص مأخوذة ، فجهز مركبين من الأسرى الذين عنده من المسلمين إلى يلبغا ، وفادى في بلاده أن من كتم مسلماً صغيراً أو كبيراً قتل ، وكان من عزمه أن لا يبقى أحداً من الأسارى إلا أرسله .

وفي آخر نهار الأربعاء خامس عشره قدم من الديار المصرية قاضى القضاة جمال الدين المسلاى المالكي الذى كان قاضى المالكية فعزل في أواخر رمضان من العام الماضى ، فخرج ثم قصد الديار المصرية فدخلها لعله يستغيث فلم يصادفه قبول ، فادعى عليه بعض الحجاب وحصل له ما يسوه ، ثم خرج إلى الشام فجاء فنزل في التربة السكاملية شمالي الجامع ، ثم انتقل إلى منزل ابنته متمرضا ، والطلاب والدعاوى والمصالحات عنه كثيرة جداً ، فأحسن الله عاقبته .

وفي يوم الأحد بعد العصر دخل الأمير سيف الدين طييبغا الطويل من القدس الشريف إلى دمشق فنزل بالقصر الأبلق ، ورحل بعد يومين أو ثلاثة إلى نيابة حماة حرسها الله بتقليد من الديار المصرية ، وجاءت الاخبار بتولية الأمير سيف الدين منكلى بغا نيابة حلب عوضاً عن نيابة دمشق وأنه حصل له من التشريف والتكريم والتشريف بديار مصر شئ كثير ومال جزيل وخيول وأقشة ونحف يشق حصرها ، وأنه قد استقر بدمشق الأمير سيف الدين أفشتمر عبيد الغنى ، الذى كان حاجب الحجاب بمصر ، وعوض عنه في الحجوبية الأمير علاء الدين طييبغا أستاذ دار يلبغا وخلع على الثلاثة في يوم واحد .

وفي يوم الأحد حادى عشر ربيع الأول اشتهر في البلد قضية الفرنج أيضاً بمدينة الاسكندرية وقدم بريدى من الديار المصرية بذلك ، واحتيط على من كان بدمشق من الفرنج وسجنوا بالقلمسة وأخذت حواصلهم ، وأخبرنى قاضى القضاة تاج الدين الشافعى يومئذ أن أصل ذلك أن سبعة مراكب من التجار من البنادقة من الفرنج قدموا إلى الاسكندرية فباعوا بها واشتروا ، وبلغ انظر إلى الأمير الكبير يلبغا أن مركباً من هذه السبعة إلى صاحب قبرص ، فأرسل إلى الفرنج يقول لهم : أن يسلموا هذه المركب فامتنعوا من ذلك وبادروا إلى مراكبهم ، فأرسل في آثارهم ستة شوانى مشحونة بالمقاتلة ، فالتقواهم والفرنج في البحر فقتل من الفريقين خلق ولكن من الفرنج أكثر وهربوا فارين بما معهم من البضائع فجاء الأمير على الذى كان نائب دمشق أيضاً في جيش مبارك ومعه ولده وماليسكه في تجمل هائل ، فرجع الأمير على واستمر نائب السلطنة حتى وقف على بيروت ونظر في أمرها ، وعاد سريعاً . وقد بلغنى أن الفرنج جاؤا طراباس غزاة وأخذوا مراكب المسلمين من المينا وحرقوه ، والناس ينظرون ولا يستطيعون دفعهم ولا منعهم ، وأن الفرنج كروا راجعين ، وقد أسروا

ثلاثة من المسلمين ، فانا لله وإنا إليه راجعون . انتهى والله أعلم .

مقتل يلبغا الأمير الكبير

جاء الخبر بقتله إلينا بدمشق في ليلة الاثنين السابع عشر من ربيع الاخر مع أسيرين جاءا على البريد من الديار المصرية ، فأخبرا بمقتله في يوم الاربعاء ثاني عشر هذا الشهر : تمالأ عليه مماليكه حتى قتلوه يومئذ ، وتغيرت الدلالة ومسك من أمراء الأتوف والطبلخانات جماعة كثيرة ، واختبطت الأمور جداً ، وجرت أحوال صعبة ، وقام بأعباء القضية الأمير سيف الدين طيتمر النظامي وقوى جانب السلطان ورشد ، وفرح أكثر الأمراء بمصر بما وقع ، وقدم نائب السلطنة إلى دمشق من بيروت فأمر بدق البشائر ، وزينت البلاد ففعل ذلك ، وأطلقت الفرنج الذين كانوا بالقلعة المنصورة فلم يهن ذلك على الناس .

وهذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، وصلواته على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم



فهرست الجزء الرابع عشر من كتاب البداية والنهاية

صحيفة	صحيفة
١٧	٢
الشيخ جمال الدين أبو محمد	ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستائة
ثم دخلت سنة سبعمائة من الهجرة	٤
النبوية	الشيخ نظام الدين
الشيخ حسن الكردي	المفسر الشيخ العالم الزاهد
الطواشي صفى الدين جوهر التتليسي	٥
الأمير عز الدين	الشيخ أبو يعقوب المغربي المقيم
الأمير جمال الدين آقوش الشريفي	بالقدس
ثم دخلت سنة إحدى وسبعمائة	التقي توبة الوزير
أمير المؤمنين الخليفة الحاكم بأمر الله	الأمير الكبير
١٩	السلطان الملك المظفر
خلافة المستكفي بالله	الملك الأوحده
٢٠	القاضي شهاب الدين يوسف
أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله العباسي	الصاحب نصر الدين أبو الغنائم
الأمير عز الدين	٦
الشيخ الأمام العالم شرف الدين	ياقوت بن عبدالله
أبو الحسن	ثم دخلت سنة تسع وتسعين وستائة
الصدر ضياء الدين	وقعة قازان
الأمير الكبير المرباط المجاهد	١٣
٢١	القاضي حسام الدين أبو الفضائل
الأبرقوهي المسند المعمر المصري	القاضي الإمام العالي
صاحب مكة	المسند المعمر الرحلة
	الخطيب الأمام العالم
	١٤
	الصدر شمس الدين

صحيفة

ثم دخلت سنة إثنين وسبعمائة من

الهجرة

٢٢ عجيبة من عجائب البحر

٢٣ أوائل وقعة شقحب

صفة وقعة شقحب

٢٧ ابن دقيق العيد

الشيخ برهان الدين الاسكندري

الصدر جمال الدين بن العطار

الملك العادل زين الدين كتبغا

٢٨ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعمائة

٢٩ الشيخ القدوة العابد أبو إسحاق

٣٠ والشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم
ابن عبيد السلام

الخطيب ضياء الدين

الشيخ زين الدين الفارقي

الأمير الكبير عز الدين أيبك

الحموي

٣١ الوزير فتح الدين

ترجمة والد ابن كثير مؤلف هذا

التاريخ

٣٣ ثم دخلت سنة أربع وسبعمائة

الشيخ تاج الدين بن شمس الدين

بن الرفاعي

الصدر نجم الدين بن عمر

صحيفة

ثم دخلت سنة خمس وسبعمائة

٣٦ ما جرى للشيخ تقي الدين بن تيمية

مع الأحمدية وكيف عقدت له المجالس
الثلاثة

اول المجالس الثلاثة للشيخ الاسلام

ابن تيمية

٣٩ الشيخ عيسى بن الشيخ سيف الدين

الرحي

الملك الاوحد

الصدر علاء الدين

الخطيب شرف الدين أبو العباس

٤٠ شيخنا العلامة برهان الدين الخافض

الكبير الدمياطي

ثم دخلت سنة ست وسبعمائة

٤٣ القاضي تاج الدين

الشيخ ضياء الدين الطوسي

الشيخ جمال الدين ابراهيم بن

محمد بن سعد الطيمي

٤٤ الشيخ الجليل سيف الدين الرجيجي

الأمير فارس الدين الروادي

الشيخ العابد خطيب دمشق شمس

الدين

ثم دخلت سنة سبع وسبعمائة

٤٧ الأمير ركن الدين بيبرس

الشيخ صالح الأحمد الرفاعي

صحيفة

- الصاحب امين الدولة
الشيخ كريم الدين بن الحسين الأيكي
القيه عز الدين عبد الجليل
ابن الرفعة
ثم دخلت سنة إحدى عشرة وسبعمائة
٦٣ الشيخ الرئيس بدر الدين
٦٤ الشيخ شعبان بن أبي بكر بن عمر
الأريلي
الشيخ ناصر الدين يحيى بن ابراهيم
الشيخ الصالح الجليل القدوة
ابن الوحيد الكاتب
الأمير ناصر الدين
التميمي الداري
القاضي الامام العلامة الحافظ
٦٥ ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وسبعمائة
نيابة تنكر على الشام
٦٨ الملك المنصور صاحب ماردين
الأمير سيف الدين قتلوك الشيشي
الشيخ الصالح
الأمير الكبير الملك المظفر
قاضي القضاة
ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وسبعمائة
٦٩ الشيخ الامام المحدث
٧٠ عز الدين محمد بن العدل
الشيخ الكبير المقرئ

صحيفة

- ثم دخلت سنة ثمان وسبعمائة
٤٨ الشيخ الصالح عثمان الحلبي
٤٩ الشيخ الصالح
السيد الشريف زين الدين
الشيخ الجليل ظهير الدين
ثم دخلت سنة تسع وسبعمائة
٥١ صفة عود الملك الناصر
محمد بن الملك المنصور قلاوون الى
الملك وزاول دولة المظفر الجاشنكير
بيبرس وخذلانه وخذلان شيخه
نصر المنبجي الاتحادي الحلبي
٥٥ مقتل الجاشنكير
٥٦ الخطيب ناصر الدين أبو الهدى
قاضي الحنابلة بمصر
٥٧ الشيخ نجم الدين
الأمير شمس الدين سنقر الأعسر
المنصوري
الأمير جمال الدين آقوش بن
عبد الله
التاج ابن سعيد الدولة
الشيخ شهاب الدين
ثم دخلت سنة عشر وسبعمائة
٦٠ قاضي القضاة شمس الدين أبو
العباس

صحيفة

ثم دخلت سنة أربع عشرة وسبعمائة
 ٧٢ سودي نائب حلب في رجب
 صاحب شرف الدين
 والشيخ رشيد أبو الفداء اسماعيل
 الشيخ سليمان التركماني
 الشيخة الصالحة العابدة التاسكة
 ثم دخلت سنة خمس عشرة وسبعمائة
 ٧٣ فتح ملطية
 شرف الدين أبو عبدالله
 الشيخ صفى الدين الهندي
 ٧٠ القاضي المسند المعمر الرحلة
 الشيخ علي بن الشيخ علي الحريري
 الحكيم الفاضل البارع
 ثم دخلت سنة ست عشرة وسبعمائة
 ٧٨ عز الدين المبشر، والشهاب الكاشنفرى
 شيخ الشيوخ، والنهاس العجمي
 مدرس النجيبية
 الشرف صالح بن محمد بن عربشاه
 ابن عرفه صاحب التذكرة الكندية
 الطواشي ظهير الدين مختار
 ٧٩ الأمير بدر الدين
 الشيخة الصالحة
 القاضي محب الدين

صحيفة

الشيخة الصالحة
 الشيخ نجم الدين موسى بن علي
 بن محمد
 الشيخ تقي الدين الموصلى
 ٨٠ الشيخ الصالح الزاهد المقرئ
 الشيخ الصدر بن الوكيل
 الشيخ عماد الدين اسماعيل القوعي
 ثم دخلت سنة سبع عشرة وسبعمائة
 ٨٢ صفة خروج المهدي الضال بأرض
 جبلة
 الشيخ الصالح
 الشيخ شهاب الدين الرومي
 الشيخ الصالح العدل
 قاضي القضاة
 ٨٥ القاضي الصدر الرئيس
 الفقيه الامام العالم المناظر
 صاحب انيس الملوك
 ٨٦ الصدر الرئيس شرف الدين محمد
 ابن جمال الدين إبراهيم
 ثم دخلت سنة ثمان عشرة وسبعمائة
 ٨٩ الشيخ الصالح العابد الناسك
 ٩٠ الشيخ الصالح الأديب البارع الشاعر
 المجيد
 قاضي القضاة زين الدين

صحيفة

- الشيخ الفاضل شمس الدين أبو عبد الله
 ١٠١ الشيخ الإمام العالم علاء الدين
 الأمير حاجب الحجاب
 ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين وسبعمائة
 ١٠٢ القاضي شمس الدين بن العز الحنفي
 الشيخ الإمام العالم أبو أسحاق
 شيخنا العلامة الزاهد ركن الدين
 ١٠٤ نصير الدين
 شمس الدين محمد بن المغربي
 الشيخ الجليل نجم الدين
 شمس الدين محمد بن الحسن
 الشيخ العابد جلال الدين
 الشيخ الإمام قطب الدين
 ١٠٥ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة
 ١٠٦ الإمام المؤرخ كمال الدين القوطي
 قاضي القضاة نجم الدين بن صصري
 ١٠٧ علاء الدين علي بن محمد
 الشيخ ضياء الدين
 الشيخ الصالح المقرئ الفاضل
 شهاب الدين أحمد بن محمد
 القاضي الإمام جمال الدين
 الشيخ المعمر المسن جمال الدين
 ١٠٨ الشيخ الإمام المحدث صفى الدين
 الخاتون المصونة
 شيخنا الجليل المعمر الرحلة بهاء الدين

صحيفة

- ٩١ الشيخ إبراهيم بن أبي العلاء
 الشيخ الإمام العالم الزاهد
 الشيخ كمال الدين ابن الشريشي
 الشهاب المقرئ
 ٩٢ قاضي القضاة فخر الدين
 ثم دخلت سنة تسع عشرة وسبعمائة
 ٩٤ الشيخ المقرئ شهاب الدين
 الشيخ الإمام تاج الدين
 محيي الدين محمد بن مفضل بن فضل
 الله المصري
 الأمير الكبير غرلوف بن عبد الله
 العادلي
 ٩٥ الأمير جمال الدين آقوش
 الخطيب صلاح الدين
 العلامة فخر الدين أبو عمرو
 الشيخ الصالح العابد
 الشيخ الصالح المعمر الرحلة
 ثم دخلت سنة عشرين وسبعمائة
 ٩٨ الشيخ إبراهيم الدهستاني
 الشيخ محمد بن محمود بن علي
 الشيخ شمس الدين ابن الصائغ اللغوي
 ثم دخلت سنة إحدى وعشرين
 وسبعمائة
 ١٠ الشيخ الصالح المقرئ

صحيفة

الوزير ثم الأمير نجم الدين
 ١٠٩ الأمير صارم الدين بن قواسنقر
 الجوكندار
 الشيخ أحمد الأعقف الحريري
 الشيخ المقرئ أبو عبدالله
 شيخنا الأصيل شمس الدين
 ١١٠ الشيخ العابد أبو بكر
 الأمير علاء الدين بن شرف الدين
 الفقيه الناسك شرف الدين الحراني
 ثم دخلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة
 ١١٤ بدر الدين بن ممدوح بن أحمد الحنفري
 الحجة الكبيرة خوندابنت مكية
 الشيخ محمد بن جعفر بن فرعوش
 الشيخ أيوب السعودي
 الشيخ الامام الزاهد نور الدين
 ١١٥ الشيخ محمد الباجر بقى
 شيخنا القاضي أبو زكريا
 الفقيه الكبير الصدر الامام العالم
 الخطيب بالجامع
 الكاتب المفيد قطب الدين
 ١١٦ الأمير الكبير ملك العرب
 الوزير الكبير علي شاه بن أبي
 بكر التبريزي
 الأمير سيف الدين بكتمر

صحيفة

شرف الدين أبو عبدالله
 الشيخ حسن الكردي الموله
 كريم الدين الذي كان وكيل
 السلطان
 ١١٧ الشيخ الامام العالم علاء الدين
 ثم دخلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة
 ١١٩ الشيخ إبراهيم الصباح
 إبراهيم الموله
 الشيخ عفيف الدين
 الشيخ الصالح العابد الزاهد الناسك
 الشيخ الصالح الكبير المعمر
 ١٢٠ الشيخ الامام صدر الدين
 شيخنا عفيف الدين الأمدى
 البدر العوام
 الشهاب أحمد بن عثمان الاشاطي
 القاضي الامام العالم الزاهد
 ١٢١ أحمد بن صبيح المؤذن
 خطاب باني خان خطاب
 ركن الدين خطاب بن الصاحب
 كمال الدين
 بدر الدين أبو عبدالله
 ١٢٢ القاضي محيي الدين
 ثم دخلت سنة ست وعشرين وسبعمائة
 ١٢٥ ابن المطهر الشيعي جمال الدين
 الشمس الكاتب

العزيز حسن بن أحمد بن زفر
الشيخ الامام امين الدين سالم بن
أبي الدر

الشيخ حماد

١٢٦ الشيخ قطب الدين اليونيني

قاضي القضاة ابن ممام

القاضي نجم الدين

ابن قاضي شعبة

١٢٧ الشرف يعقوب بن فارس الجعبري

الحاج أبو بكر بن تيمراز الصيرفي

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة

١٢٨ الأمير أبو يحيى

١٣٠ الشيخ الصالح ضياء الدين

الشيخ علي المحارفي

الملك الكامل ناصر الدين

١٣١ الشيخ الامام نجم الدين

الشيخ الصالح أبو القاسم

القاضي عز الدين

الشيخ كال الدين بن الزملكاني

١٣٢ الحاج علي المؤذن المشهور بالجامع

الأموي

الشيخ فضل ابن الشيخ الرجيسي

التونسي

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

١٣٥ وفاة شيخ الاسلام أبي العباس تقي

الدين أحمد بن تيمية

١٤١ الشريف العالم عز الدين

الشمس محمد بن عيسى التكريدي

الشيخ أبو بكر الصالحاني

أبو الدواليبي البغدادي

١٤٢ قاضي القضاة شمس الدين ابن

الحريري

الشيخ الامام العالم المقرئ

ابن العاقولي البغدادي

الشيخ الصالح شمس الدين السلامي

١٤٣ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة

١٤٤ الامام العالم نجم الدين

١٤٥ الأمير سيف الدين قطلوبك

التشنكي الرومي

حدث اليمن

نجم الدين أبو الحسن

الأمير بكتمر الحاجب

الشيخ شرف الدين عيسى بن حمد

ابن قراجا بن سليمان

١٤٦ الشيخ الامام العالم الزاهد الورع

الصاحب شرف الدين يعقوب

ابن عبدالله

١٤٧ القاضي معين الدين

صحيحة

قاضي القضاة علاء الدين القونوي
الأمير حسام الدين لاجين المنصور
الحسامي
الصاحب عز الدين ابويعلبي
١٤٨ ثم دخلت سنة ثلاثون وسبعمائة
١٤٩ علاء الدين ابن الأثير
الوزير العالم أبو القاسم
١٥٠ شيخنا الصالح العابد الناسك الخاشع
بها درآص الأمير الكبير
الحجّار ابن الشعنة
١٥١ الشيخ نجم الدين بن عبد الرحيم
ابن عبد الرحمن
الشيخ إبراهيم الهدمة
سنته بنت الأمير سيف الدين
قاضي قضاة طرابلس
الشيخ الصالح
الشيخ حسن بن علي
١٥٢ محيي الدين أبو الشتاء محمود
الشاب الرئيس
ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين
وسبعمائة
١٥٤ قاضي القضاة عز الدين المقدسي
١٥٥ الأمير سيف الدين فجلّيس
الأمير الكبير سيف الدين ارغون
القاضي ضياء الدين

صحيحة

أبو دبوس عثمان بن سعيد المغربي
الامام العلامة ضياء الدين أبو العباس
١٥٦ الصدر الكبير تاج الدين الكارمي
الإمام العلامة فخر الدين
تقي الدين عمر ابن الوزير شمس
الدين
جمال الدين أبو العباس
ثم دخلت سنة اثنتي وثلاثين وسبعمائة
١٥٨ الشيخ عبد الرحمن بن أبي محمد
ابن محمد
الملك المؤيد صاحب حماة
القاضي الإمام تاج الدين السعدي
١٥٩ الشيخ رضي الدين بن سليمان
الامام علاء الدين طليقا
قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد
الشيخ ياقوت الحبشي
النقيب ناصح الدين
القاضي فخر الدين كاتب المماليك
الأمير سيف الدين الجاني
الدويدار الملكي الناصري
١٦٠ الطبيب الماهر الحاذق الفاضل
الشيخ الامام العالم المقرئ شيخ القراء
قاضي القضاة علم الدين
قطب الدين موسى

صحيفة

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة
 ١٦٢ الشيخ العالم تقي الدين محمود علي
 ١٦٣ الشيخ الامام العالم عز القضاة
 ابن جماعة قاضي القضاة
 الشيخ الامام الفاضل مفتي المسلمين
 ١٦٤ تاج الدين عبد الرحمن بن أيوب
 الشيخ فخر الدين أبو محمد
 الامام الفاضل مجموع الفضائل
 الشيخ الصالح الزاهد الناسك
 الأمير عز الدين إبراهيم بن
 عبد الرحمن
 ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وسبعمائة
 ١٦٥ قضية القاضي ابن جلة
 ١٦٦ الشيخ الأجل التاجر بدر الدين
 الصدر امين الدين
 الخطيب الأمام العالم
 الصدر شمس الدين
 جمال الدين قاضي القضاة الزوعي
 ١٦٧ الشيخ الأمام العالم الزاهد
 الأمير شهاب الدين
 الشيخ عبد الله بن يوسف بن أبي بكر
 الاسعدي الموقت
 الأمير سيف الدين بلبات
 شمس الدين محمد بن يحيى بن
 ابن قاضي حوران

صحيفة

الشيخ الامام ذو الفتوح
 الشيخ الصالح العابد الناسك ايم
 ١٦٩ الشيخ نجم الدين القباني المحوي
 الشيخ فتح الدين بن سير الناس
 القاضي مجد الدين بن حرمي
 ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وسبعمائة
 ١٧١ الشيخ الصالح المعمر رئيس المؤذنين
 بجامع دمشق
 الكاتب المطبق المجود المحرر
 علاء الدين السنجاري
 العدل نجم الدين التاجر
 الشيخ الامام الحافظ قطب الدين
 ١٧٢ القاضي الامام زين الدين أبو محمد
 تاج الدين علي بن إبراهيم
 الشيخ الصالح عبد الكافي
 الشيخ محمد بن عبد الحق
 الأمير سلطان العرب
 ١٧٣ الشيخ الزاهد فضل العجلوؤ
 ثم دخلت سنة ست وثلاثين وسبعمائة
 ١٧٤ السلطان أبو سعيد ابن خربندا
 الشيخ البندنجي
 ١٧٥ قاضي قضاة بغداد
 الأمير صارم الدين
 الأمير علاء الدين مغلطاي الخازن
 القاضي كمال الدين

صحيفة

الأمير ناصر الدين

علاء الدين

١٧٦ عز الدين أحمد بن الشيخ زين الدين

الشيخ علي بن أبي المجد بن شرف

ابن أحمد الحمصي

الأمير شهاب الدين بن برق

الامير فخر الدين ابن الشمس لؤلؤ

عماد الدين إسماعيل

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وسبع مائة

١٧٨ الشيخ علاء الدين بن غانم

الشرف عمود الحريري

الشيخ الصالح العابد

الشيخ شهاب الدين عبد الحق الحنفى

الشيخ عماد الدين

الشيخ الامام العابد الناسك

١٧٩ المحدث البارع المحصل المفيد

المخرج المجيد

شيخنا الامام العالم العابد

الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد

الامير اسد الدين

الشيخ الصالح الفاضل

١٨٠ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة

١٨١ الامير الكبير بدر الدين محمد بن

فخر الدين عيسى ابن التركمانى

صحيفة

قاضي القضاة شهاب الدين

الشيخ الامام العالم بن المرحل

١٨٢ الشيخ قاضي القضاة جمال الدين

الصالحى

شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن

الباري

الشيخ الامام العالم

١٨٣ القاضي محي الدين بن فضل الله كاتب

السر

الشيخ الامام العلامة ابن الكتانى

الشيخ الامام العلامة ابن القويح

١٨٤ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وسبع مائة

العلامة قاضي القضاة فخر الدين

قاضي القضاة جلال الدين محمد

ابن عبد الرحمن

الشيخ الامام الحافظ ابن البرزالي

١٨٥ المؤرخ شمس الدين

ثم دخلت سنة أربعين وسبع مائة

١٨٧ سبب مسك تنكز

امير المؤمنين المستكفي بالله

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

وسبع مائة

١٩٠ ذكر وفاة الملك الناصر محمد بن

قلاوون

١٣٥	
صحيفة	صحيفة
٢٣٩ كائنة غربية جدا	١٩١ ثم دخلت سنة إثنين وأربعين وسبعمئة
ملكة السلطان الملك الصالح	ولاية الخليفة الحاكم بأمر الله
صلاح الدين بن الملك الناصر	وفاة شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني
محمد بن الملك المنصور قلاوون	١٩٢ كائنة غربية جدا
الصالح	١٩٤ كائنة غربية جدا
٢٤١ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمئة	١٩٦ عجيبة من عجائب الدهر
ترجمة باب جيرون المشهور بدمشق	٢٠١ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وسبعمئة
٢٤٢ بيان تقدم مدة هذا الباب وزيادتها	٢٠٩ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وسبعمئة
على مدة أربعة آلاف سنة بـ	٢١٢ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وسبعمئة
يقارب الخمسة	٢١٥ ثم دخلت سنة ست وأربعين وسبعمئة
٢٤٣ دخول يلبغا أروش إلى دمشق	وفاة الملك الصالح إسماعيل
٢٤٦ قتل الأمراء السبعة من أصحاب يلبغا	٢١٨ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمئة
خروج السلطان من دمشق متوجهاً	٢٢١ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وسبعمئة
إلى بلاد مصر	٢٢٤ مقتل المظفر وتولية الناصر حسن
٢٤٧ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمئة	ابن الناصر
٢٤٨ ذكر أمر غريب جداً	٢٢٥ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وسبعمئة
٢٤٩ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وسبعمئة	٢٢٩ ثم دخلت سنة خمسين وسبعمئة
٢٥٠ نادرة من الغرائب	٢٣٠ مسك نائب السلطنة ارغون شاه
٢٥١ عودة الملك الناصر حسن بن الملك	كائنة عجيبة غربية جداً
الناصر محمد بن قلاوون	٢٢٢ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وسبعمئة
ثم دخلت سنة ست وخمسين وسبعمئة	٢٣٤ ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم
٢٥٣ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وسبعمئة	الجوزويه
٢٥٦ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وسبعمئة	٢٣٧ ثم دخلت سنة إثنين وخمسين وسبعمئة
٢٥٧ كائنة غربية جداً	

صحيفة

٢٥٨ وفاة أرغون الكامي باني البيارستان

بجلب

وفاة الأمير شيخون

ثم دخلت سنة تسع وخمسين وسبعمائة

٢٦١ دخول نائب السلطنة منجك إلى دمشق

عزل القضاة الثلاثة بدمشق

٢٦٢ مسك الأمير طرغتمش أتابك

الأمراء بالديار المصرية

إعادة القضاة

عزل منجك عن دمشق

٢٦٤ ثم دخلت سنة ستين وسبعمائة

٢٦٥ مسك الأمير على المارداني نائب الشام

كائنة وقعت بقرية حوران

فاوقع الله بهم بأساً شديداً في هذا

الشهر الشريف

٢٦٦ دخول نائب السلطنة الأمير سيف

الدين استدمر البحنوي

٢٦٧ ثم دخلت سنة إحدى وستين

وسبعمائة

٢٦٨ مسك منجك وصفة الظهور عليه

وكان مختفياً بدمشق حوالي سنة

٢٦٩ الاحتياط على الكتابة والدواوين

٢٧٠ موت فياض بن مهنا

كائنة عجيبة جداً هي المعلم سنجر

ملوك بن هلال

صحيفة

٢٧٢ مسك نائب السلطنة استدمر البحنوي

٢٧٣ دخول نائب السلطنة الأمير سيف

الدين بيدمر إلى دمشق

٢٧٤ الأمر بالزام القلندرية بترك حلق

الحام وحواجبهم وشواربهم

وذلك بحرم بالأجماع حسب ما حكاه

ابن حازم وإنما ذكره بعض الفقهاء

بالكراهية

٢٧٥ ثم دخلت سنة اثنتين وستين وسبعمائة

٢٧٨ سلطنة الملك المنصور صلاح الدين

محمد

٢٨٠ تنبيه على واقعة غربية واتفان عجيب

٢٨٣ خروج ملك الأمراء بيدمر من

دمشق إلى غزة

٢٨٥ وصول السلطان الملك المنصور إلى

المصطبة غربي عقبة مجورا

٢٨٦ سبب خروج بيدمر من القلعة

وصفة ذلك

دخول السلطان محمد بن الملك

أمير حاج بن الملك محمد ابن

الملك قلاوون

إلى دمشق في جيشه وأمرائه

٢٨٨ خروج السلطان من دمشق قاصداً

مصر

٢٩٠ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وسبعمائة

صحيفة

٢٩١ منام غريب جداً

٢٩٢ موت الخليفة المعتضد بالله

خلافة المتوكل على الله

٢٩٤ أعجوبة من العجائب

٢٩٥ عزل الأمير علي عن نيابة دمشق

طلب قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب

ابن السبكي الشافعي الى الديار المصرية

أعجوبة أخرى غريبة

٢٩٦ دخول نائب السلطنة سيف الدين تشتمر

قدوم قاضي القضاة بهاء الدين احمد بن

نعمي الدين عوضاً عن اخيه قاضي

القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب

٢٩٧ ثم دخلت سنة أربع وستين وسبعمائة

٢٩٩ بشارة عظيمة بوضع الشطر من

مكس الغنم

٣٠٠ غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب

٣٠٢ سلطنة الملك الأشرف ناصر الدين

٣٠٣ وفاة الخطيب جمال الدين عمود بن

جملة ومباشرة تاج الدين بعده

٣٠٤ دخول نائب السلطنة منكلي بغا

٣٠٥ ثم دخلت سنة خمس وستين وسبعمائة

٣٠٧ فتح باب كيسان بعد خلقه نحواً من

صحيفة

مائتي سنة

٣٠٨ تجديد خطبة ثانية داخل سور دمشق

منذ فتوح الشام

٣٠٩ ثم دخلت سنة ست وستين وسبعمائة

٣١٠ قتل الرافضي الخبيث

٣١١ استنابة ولي الدين ابن أبي البقاء السبكي

ولاية قاضي القضاة بهاء الدين

السبكي قضاء مصر بعدم عزل

عز الدين بن جماعة نفسه

٣١٣ طرح مكس القطن المغزول البلدي

والمجلوب

ثم دخلت سنة سبع وستين وسبعمائة

٣١٤ استيلاء الفرنج لعنهم الله على الاسكندرية

٣١٦ عقد مجلس بسبب قاضي القضاة تاج

الدين السبكي

٣١٨ عودة قاضي القضاة السبكي الى دمشق

الوقعة بين الأمراء بالديار المصرية

٣١٩ مما يتعلق بأمر بغداد

وفاة قاضي القضاة عز الدين عبد

العزير بن حاتم الشافعي

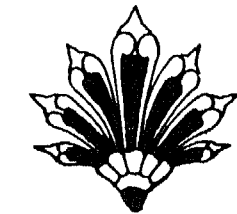
٣٢١ درس التفسير بالجامع الأموي

سفر نائب السلطنة الى الديار المصرية

مقتل يلبغا الأمير الكبير

انتهى الفهرست

General Organization of the
and Library (GOL)



جميع الحقوق محفوظة

لناشر

مكتبة المبحر
بيروت





